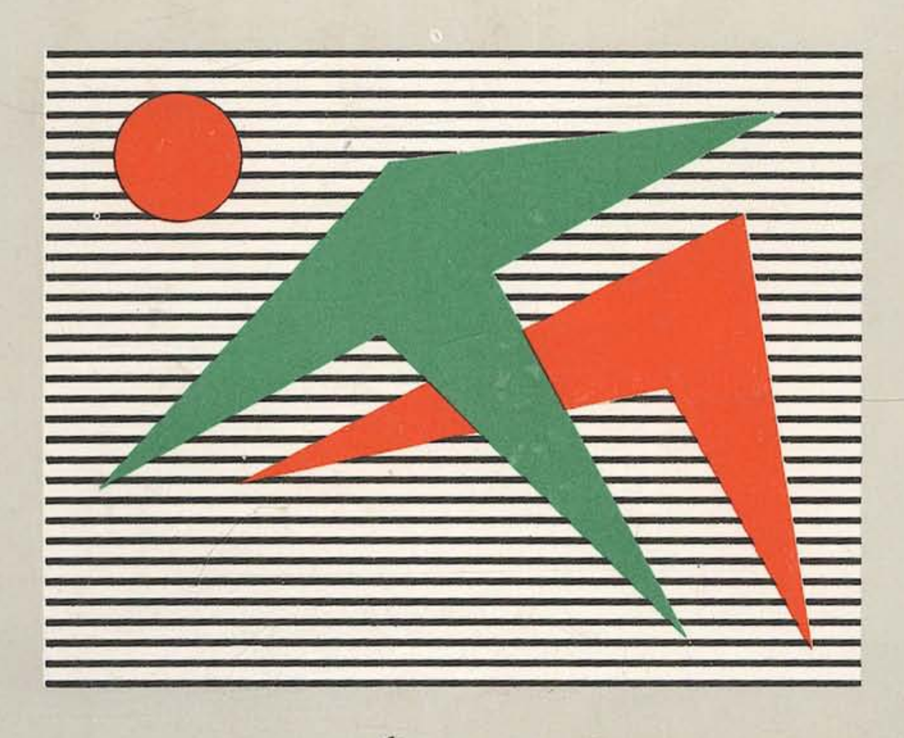
أبو بكر القادري





الجزء الأول

مذكراتي
في
الحركة الوطنية المغربية

أبو بكر القادري
عضو أكاديمية المملكة المغربية



مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية

من 1930 إلى 1940

ذكريات ومواقف وأحداث

الجزء الأول

1413هـ 1992م

إهـــداء

إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما بدّلوا تبديلا.

إلى الشهداء الذين قدموا أنفسهم وأرواحهم فداء لتحرير وطنهم، والحفاظ على عقيدتهم، وصيانة وحدتهم الترابية.

إلى بطل تحرير المغرب، ورمز النضال والتضحية، سيد الملوك العظام، جلالة محمد الخامس نوَّر الله ضريحه.

أهدي كتابي هذا.

أبو بكر القادري

الطبعة الأولى 1413 ــ 1992



صاحب الجلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس
حاملا بيديه الكريمتين ولي عهده جلالة الحسن الثاني
لدى انبعاث الحركة الوطنية المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تقديم

كتب الكثيرون عن تاريخ الحركة الوطنية المغربية، كل من منزعه ومقصده، ومع ذلك فإن تاريخ الحركة الوطنية لازال لم يدون التدوين الكامل، ولم يؤرخ التاريخ الكافي والوافي، وذلك لأسباب متعددة، أهمها أن بعض الذين قادوا الحركة الوطنية، لم يكتبوا مذكراتهم ولم يسجلوا الأحداث والوقائع التي ساهموا في صنعها، وشاركوا في القيام بها، فبقي جانب من الأحداث والوقائع غائبا، وخصوصا الوقائع التي صنعوها بأنفسهم أو أشرفوا عليها، وعرفوا حقائقها وأغوارها ودوافعها وأسبابها، وما لاقته من نجاح أو فشل، فبقي ذلك الجانب غامِضا، غائبا عن الأعين، والسبب الثاني أن الظروف التي نشأت فيها الحركة الوطنية الحديثة، كانت ظروفا غير مريحة ان لم تكن ظروفا قاسية، نظرا لأن العهد الاستعماري كان يتسم بالطغيان والجبروت، ولم يكن من المفيد ولا من المصلحة أن تسجل الأحداث والوقائع كما يُخطط لها وكما تنفذ، حتى لا يطلع العدو المسيطر على ما يفكر فيه الوطنيون وما قاموا أو سيقومون به، والسبب الثالث وهو داخل في السبب الثاني ان الاجتماعات الخاصة والمداولات والمناقشات التي كانت تجرى في تلك الاجتماعات لم تكن تسجل في محاضر جلسات مضبوطة، تبقى محفوظة لدى أمناء السر والكتاب الذين يعهد إليهم بالتسجيل، وحتى إذا ما كتبت بعض القرارات فإنها تكتب مختصرة كامل الاختصار، بحيث إذا فضحت لا يستفيد منها العدو المتربص، وسبب رابع لابد أن أشير إليه وهو ان كثيرا من الأحداث والمذكرات التي سجلت ضاعت من أيدي أصحابها لغير ما سبب، فلقد كنا معرضين دائما للتفتيش من طرف القوى الاستعمارية، ولذلك ائتمنا بعض الوثائق عند من لا تحوم حولهم شبهات من طرف المستعمر كي يحتفظ بها كاملة عنده، ولكن بعض الظروف التي مرت بالمغرب والأزمات الشديدة التي عاشتها بلادنا، جعلت أولئك الأمناء يخشون من اكتشاف أمر تلك الوثائق فيعرضون أنفسهم وإخوانهم وحركتهم للمكروه، وهكذا عمدوا إلى إحراقها وإعدامها، كل هذه الأسباب جعلت كثيرا من الأحداث والوقائع تغفل ولا يسجلها التاريخ مع الأسف الشديد، مع أنها كانت من الأهمية بمكان، فإذا أضيف إلى ذلك أن بعض الذين صنعوها انتقلوا إلى دار الآخرة، وإذا أضيف أن الذين بقوا على قيد الحياة وهم قليلون، نسوا ولم يتذكروا إلا القليل منها، فإننا ندرك الخسارة التي خسرناها بسبب ما ذكرنا، ولأسباب أخرى لم نسجلها.

إن الذين كتبوا تاريخ الحركة الوطنية في أغلبيتهم كانت تنقصهم الوثائق الصحيحة، التي يعتمدون عليها والمراجع المعتمدة التي يرجعون إليها، فبالرغم عما بذله بعضهم من جهد لاستطلاع الحقائق، والكشف عن الخبايا، ورغما عن اتصالاتهم مع بعض الثقات الذين رجعوا إليهم وهم يسجلون الأحداث أو يعلقون عليها، فإن بعض الوقائع والأحداث ـــ وان كانت جزئية ـــ بقيت غائبة عنهم، فلم يشيروا إليها ولم يعطوها حقها من التحليل والتدقيق، ثم ان الظروف التي نشأت فيها الحركة الوطنية لم تكن ظروفا عادية، والأحداث الوطنية التي وقعت لم تكن جميعها مقررة من قيادة موحدة، خصوصا أوائل الثلاثينات، وقبل أن تنتظم كتلة العمل الوطني، فمن المعلوم ـــ وهذا ما أريد أن أوكد عليه ـــ أن بداية الحركة الوطنية في أول تكوينها الحديث لم تنشأ من مدينة واحدة أو موقع واحد ولكنها انبعثت رويدا رويدا من هنا وهناك، عندما أرادت الأقدار الالهية أن يتعارف شباب في مختلف المدن ـــ وكانوا قليلين جدا ـــ ليكونوا النواة الأولى للحركة الوطنية المغربية، والشعلة التي أنارت الطريق أمام الأجيال التي جاءت بعدهم وهكذا رأينا بعض الجماعات أو الخلايا السرية، يلتقي أفرادها في تكتم، ويبحثون جادين عمن يعلمون انه يفكر تفكيرهم لينضم إليهم، فلا تمر شهور أو أعوام قلائل حتى ترتبط تلك الجماعة بتلك، وحتى تتكون الجماعة السرية الموحدة التي كانت البذرة الصالحة التي أعطت الثمار، وحققت الاستقلال.

لقد انطلقت الحركة الوطنية، بصورة علنية اثر صدور ظهير 16 ماي 1930 المسمى بالظهير البربري، وهو الظهير الذي كان يرمي واضعوه من الفرنسيين إلى تقسيم الشعب المغربي على نفسه، وخلق نزعات عنصرية في داخله، وإبعاده عن حقيقته الاسلامية التي وحدته خلال القرون، والعمل على إلحاقه بالعائلة الفرنسية المسيحية الدخيلة، وإبعاده عن العائلة العربية الاسلامية الأصيلة، وإخراجه من نفوذ السلطة المغربية الوطنية المتمثلة في جلالة ملك المغرب، باعتباره الضامن لوحدة الأمة، والحارس على الدفاع عنها وعن عقيدتها وقيمها. فارتاع المغاربة بأجمعهم سواء منهم سكان الحواضر أو سكان البوادي، سواء سكان السهول أو الجبال، سواء منهم، العرب أو الامازيغيون، وقام الجميع قومة رجل واحد، يقولون : (اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر) فالسياسة التي خطط لها الاستعمار الفرنسي، وهي سياسة فرق تسد، وُوجهت المواجهة القوية الصريحة من طرف كل المغاربة وابتدأت الحركة الوطنية الجديدة، باسم الله مجراها ومرساها، رافعة لواء الوحدة : وحدة العقيدة ووحدة الشعب ووحدة التراب، ووحدة الحكم، ووحدة اللغة، ووحدة الشخصية المغربية.

وهنا يجب أن أسجل بكل اعتزاز أن بروز الحركة الوطنية بشكلها العلني إثر صدور ما يسمى بالظهير البربري، تعبير واضح أكيد على أنها حركة مغربية صميمة تعتز كل الاعتزاز

بأرومتها ومغربيتها وذوبان كل عنصرية فيها، وانها إن كانت تنتسب إلى مازيغ ويعرب في أصلها الأصيل، فإن التحام الامازيغيين واليعربيين منذ اعتناقهم الاسلام، ومنذ اختلاط دمائهم مع بعضهم خلال التاريخ وخصوصا منذ عهد الفاتح الأكبر المولى ادريس الأول رضي الله عنه وارضاه منذ ذلك التاريخ لم يبق تفريق بين المغاربة، سواء كانوا في أصلهم الأصيل أمازيغيين أو عربا، وفكرة التفريق أتى بها الاستعمار ليسهل عليه الاستحواذ والاستيطان، ولكنه وجد أمامه — والحمد لله — شعبا يقظا، وأمة حية، وحركة وطنية مستميتة في الدفاع عن الوحدة، والحفاظ على الذاتية المغربية، وهكذا يمكننا أن نسجل أن ما قصد إليه الاستعمار الفرنسي أتى بعكس مراده، حيث تراصت جهود الشعب المغربي، وانبعثت نهضة حقيقية، منبعثة من إيمان عميق بأن الشعب المغربي شعب أصيل، متشبث بإسلامه وحقيقته الوحدوية، وإن الاتجاه يجب أن يصرف لبناء المغرب على أسس قويمة تضمن له وحدته الكاملة، وتصون مقدساته بأجمعها، وتعمل على استقلاله وحريته ليبني مستقبله كما يريد، وطبق ما يريد، بعيدا عن كل تبعية أجنبية كيفما كان شأنها، سواء في المجال الفكري أو العقيدي أو السياسي — أو الاقتصادي.

وهكذا سارت الحركة الوطنية موحدة المناهج والأفكار، بعيدة كل البعد عن المؤثرات الأجنبية، مستفيدة من تطورات الفكر الحضاري الانساني، غير منغلقة على نفسها، وغير مندمجة في غيرها، ولقد هيأت لها الأقدار ملكا صالحا مومنا، آمن بالأفكار التي آمنت بها الحركة الوطنية، وعمل جاهدا على مساندتها وتقويتها، بل وضع يده في يدها للنضال في سبيل حرية المغرب واستقلاله، وبناء مستقبله على أسس قويمة، تضمن تقدمه في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، حتى حقق الله النصر، وتحررت البلاد، ودخل الجميع كما قال : في الجهاد الأكبر بعد الجهاد الأصغر.

إن مرحلة الاستعمار في بلادنا وان كانت قاسية، فإن شعبنا استفاد منها في غير ما ناحية من النواحي، فالتطورات الفكرية التي وقعت جاء بعضها من خلال الاحتكاكات التي وقعت مع الأجانب، واطلالتنا على ما عندهم من مناهج وأفكار، ولا ننكر أننا استفدنا من تلك المناهج والأفكار، فانفتحت أعيننا على كثير من الحقائق التي ربما كانت غائبة عن الذين سبقونا من آبائنا وأجدادنا، والتطورات الاقتصادية التي وقعت في بلادنا رغم ما فيها من عتوّ ونهب واستغلال، جعلت المسؤولين فينا يطورون أفكارهم ليستطيع المغرب أن يساير العصر، ويقتفي اثر الغير حتى ينهض نهضة حقيقية، في المجال الاقتصادي، ولا يبقى بقرة حلوبا لا يستفيد من إمكانياته ومقدراته إلا الأجنبي، وهكذا في المجالات الأخرى، اجتماعية وثقافية، ولكن الحركة الوطنية كانت دائما حذرة كل الحذر من الاقتباس والتبعية، حتى لا يكون الاقتباس طريقا لفقدان الذاتية، أو فقدان السيطرة على منابع الثروة الوطنية وعلى مقدرات البلاد، وان نظرة على مطالب الشعب المغربي المرفوعة إلى الجهات المختصة في دجنبر 1934 تعطي الدليل

على أن الحركة الوطنية كانت واعية كل الوعي لما تريد، هادفة إلى التطوير الضروري والتحرير من قبضة الأجنبي المغير.

إنني وأنا أكتب هذا التقديم لهذا الكتاب أود أن أؤكد أنني لم أقصد تدوين تاريخ الحركة الوطنية المغربية ككل، وإنما قصدت أن أسجل بعض الأحداث التي عشتها أو شاركت فيها من قريب أو بعيد، وذلك خلال الفترة الواقعة بين سنة 1930 وسنة 1940 مع الاعتراف سلفا بأني انخرطت في العمل الوطني وأنا في سن السادسة عشرة من عمري، ولذلك فإني لم أعش الارهاصات الأولى للحركة الوطنية، أي لم أعش فترة العشرينات مثل كثير من إخواني الذين سبقوني في هذا الميدان، فكانت لهم فضيلة السبق، ومع الاعتراف أيضا بأن انخراطي في الميدان الوطني وان ابتدأ سنة 1930 أي إثر صدور ما يسمى بالظهير البربري، فإن مركزي لم يكن في القمة، وان كثيرا من الأحداث التي وقعت ومنها أحداث القضية البربرية لم أكن من صانعيها، ولكني كنت فقط من الذين تأثروا بأحداثها، وشاركوا في تأييدها والانخراط في سلك أنصارها، كما أنني عندما اعتنقت الفكر الوطني، وانخرطت في سلك الوطنيين العاملين، كان عملي أولا يأخذ الطابع المحلي الصرف، بمعنى أنني كنت أهتم بالقضايا الوطنية العامة، في دائرة المدينة التي نشأت فيها، ومع إخوان لي في المدينة نفسها، مع حرصي وتتبعي لتلك القضايا الوطنية العامة، وتشجيعي وتأييدي وتضامني مع الاخوة الذين نصبوا أنفسهم لتتبعها والاهتمام بها، وهذا يعني أنني كنت أعرف أن هناك قادة وطنيين، سبقوني إلى الميدان، وان واجبي أن أكون مؤيدا لهم وبجانبهم في المعركة الكبرى التي يخوضونها، ويتولون أمرها، وأنني مع مرور الأيام والأعوام، صرت مع إخوان لي في جماعة «سلا» نساهم بدورنا في القيام ببعض الأعمال على المستوى الوطني العام، مشتركين متعاونين مع إخواننا القادة الوطنيين في المدن الأخرى وخصوصا فاسا والرباط، وفي هذه الظروف بالذات صرت أتعرف على أولئك القادة الأبرار الواحد تلو الآخر، فأستفيد من تجربتهم وكفاءتهم، ووطنيتهم وثقافتهم وأسبقيتهم، وأزيد معرفة بنضالهم وشخصياتهم المتعددة الأطراف والتكوين والتفكير، وأعترف أنني كنت أقدرهم جميعا دون استثناء، وأزيد تقديرا لبعضهم حسبما أجد فيه من قوة التفكير وصدق الوطنية والعمل الجاد والتجرد من الأنانية وحب الذات، وأعترف أيضا أنني كنت ألاحظ أنهم في نشاطهم العملي، مختلفون في تفكيرهم بعض الاختلاف، ولكنهم مع ذلك يتمم بعضهم بعضا، كما كنت ألاحظ أن نظرة القلة منهم للآخرين غير متكافئة، ولربما كان فيها بعض المنافسة الانسانية، وتلك طبيعة البشر أجمعين، ولكن هاته الملاحظات لم يكن لها أي تأثير على سلوكي معهم، واتصالاتي المتوالية الوثيقة مع بعضهم، والعمل يدا في يد مع جميعهم، لست أنا وحدي، ولكن أنا وإخواني أعضاء جماعة «سلا» فلقد كنا يعلم الله جماعة واحدة متناسقة متكاملة، لاهم لنا إلا الصالح العام، وإلا التعاون مع جميع الصادقين، وتطورت علاقتي مع الذين سبقوني عندما دعوني (وأقول دعوني وأكررها) لأكون من جملة العشرة الذين تقدموا

بمطالب الشعب المغربي، فتحملت المسؤولية معهم، بطلب منهم كما ذكرت، وبتقرير من إخواني جماعة «سلا» كما شرحت ذلك عندما تحدثت في هذا الكتاب عن مطالب الشعب المغربي المقدمة إلى الدوائر المسؤولة في دجنبر 1934، وهكذا أصبحت في قمة المسؤولية، وفي مركز القرار، رغم صغر سني بالنسبة لهم، ورغم أنني التحقت بركبهم متأخرا عنهم.

أقول هذا لأؤكد على حقيقة تاريخية لابد من أخذها بعين الاعتبار، وهي أن ما يقف عليه قراء هذا الكتاب من أحداث وما يطلعون عليه من وثائق ومذكرات كنت أحيانا من ضمن صانعيها، وكنت أحيانا أخرى من المُؤيدين والمتضامنين معها، لقد عملت جهدي هنا أن لا أكتفي بسرد الوقيعة أو الحدث، بل آتي بما يؤيد ما قلته وكتبته، إما بوثيقة مكتوبة، أو عريضة مرفوعة، أو محضر جلسات مضبوط، أو رسالة مؤرخة ومكتوبة من صاحبها، حتى يزول كل التباس، ويسقط كل اعتراض، وتبقى الحقيقة وحدها مكشوفة واضحة، ومع هذا كله فلست أدعي أنني استقصيت كل ما يتعلق بالحركة الوطنية في الفترة المذكورة أي من 1930 إلى 1940 فلعل كثيرا من الأحداث غفلت عنها فلم أسجلها عن غير قصد مني، إما لأن الذاكرة خانتني، أو لأنّ الوثيقة ضاعت لي، أو لعدم اطلاع قصرُبي، فليعذرني من يقف على كتابي، والعذر عند الكرام مقبول، وقديما قال خليل الفقيه : (ماكان من نقص كملوه أو خطأ أصلحوه).

لقد كتب بعض الذين أرخوا للحركة الوطنية، وفق ما عايشوه في محيطهم الخاص، أو وفق ما استقوه من معلومات من أشخاص معينين، أو وفق ما أمكنهم الاطلاع عليه من بعض الوثائق، أو من خلال ما قاموا به شخصيا من أعمال وما عاشوه من أحداث، فلم يستطيعوا أن يلموا بجميع الأحداث ولم يستطيعوا أن يحصلوا على كل المعلومات، وعذر هؤلاء مقبول إذا لم يجنحوا إلى إنكار غير ذلك، كما أن آخرين كتبوا حسب نظرتهم الخاصة واعتقادهم أنهم وحدهم مصدر الأحكام والمرجع الوحيد في القضايا، وهو شيء غير مقبول، ولا أغفل الذي كتبوا قاصدين تغيير الحقائق وتأويل الأحداث تأويلا مغرضا غير صحيح ونسبتها لغير ذويها فهؤلاء مسؤولون أمام ضمائرهم أولا عن التغيير المقصود، وعن الكتابة غير النزيهة.

إنني وأنا أكتب هذه المذكرات، وأسجل بعض الأحداث التي عشتها، عملت جهدي أن لا أغبن أحدا من إخواني حقه، سواء كنت متفقا معه في خطه السياسي أو مختلفا معه، معتقدا ان إغفال مساهمة بعض الشخصيات الوطنية الكبرى التي لعبت دورا ما في ظرف من الظروف بتعمّد، لا يُجيزه الفكر النزيه، ولا تقبله الأخلاق المرضية، وإذا ما لاحظ البعض من إخواني أنني أغفلت الحديث عنهم أو الدور الذي لعبوه في مرحلة من المراحل، فإن ذلك لا يكون بقصد مني، ولربما يكون لأنني لم أكن محاطا علما بذلك الحدث ولا بِدوافعه ولا بحقائقه، فلذلك لم أخض فيه باستنكار أو تأييد، ومن جهة أخرى فلقد قررت مع نفسي أن لا أقول إلا

الحق الذي أومن به، وان لم يوافقني عليه غيري، معتقدا أن كتابة التاريخ شهادة، والشهادة لا يقبل أن تحرف أو أن تكون بغير علم (وما شهدنا إلا بما علمنا) انني وأنا أحررُ هذا التقديم أؤكد أنني اطلعت على بعض ما كتبه الذين أرخوا للحركة الوطنية كلاً أو جزءا، فلاحظت أن بعض ما كتبوه مجانب للحق والصواب، فلم أشأ أن أدخل معهم في جدال أو اعتراض حتى لايشط بي القلم، فأسير في غير النهج الذي ارتضيته لنفسي، مقتنعا أن التاريخ سيقول كلمته عندما يهيئ الله من يتصفح ما كتبه البعض ويقارنه مع ما كتبه الآخرون، وهكذا تتجلى الحقائق من عنديتها، وتكون هي المدافع عن نفسها، وإذا ما لاحظ البعض أن مقابلتي لبعض الأفكار والأحكام جاءت في كتابتي، فإني إنما اعتمدت أولا وأخيرا على الحقائق المكتوبة والمعترف بها من أصحابها، ثم بناء على ذلك قلت رأيي فيها، وكتبته مستندا على الحقائق كما سجلها أصحابها. وقضية أخرى هامة لابد أن أشير إليها في هذا التقديم، أنني وأنا أسير مع إخواني في هذه المسيرة الوطنية التي دامت والحمد لله أزيد من ستين سنة، لاحظت أن كثيرا من الذين كانوا معنا أول المسيرة، وقف بعضهم في وسط الطريق، ووقف آخرون بعد هؤلاء بقليل أو كثير، ولم يستمر في المسيرة إلى النهاية إلا القليلون، وتلك سنة الكون في المسيرات كلها، كما لاحظت أن بعض الاخوة الوطنيين الذين كانوا مشاعل مضيئة في فترة من الفترات، انطفأت أنوارهم، وانكسفت شمسهم، لأنهم لم يستطيعوا أن يواصلوا نشاطهم كما كانوا في الأوَّل، لدواعي وأسباب، هم أدرى بها من غيرهم، ومع ذلك فإن التاريخ لا يمكن أن ينسى فضلهم وعطاءهم، ماداموا متمسكين بحقيقتهم الوطنية، وان تأخروا في نشاطهم وعطائهم الوطني، ولكن الذي يؤلم ويحزن هو ما وقع لبعض هؤلاء الذين كانوا في مركز الاشعاع الوطني فأصبحوا متنكرين كل التنكر لمبادئهم الوطنية المثلى، يستهجنونها ويلومون من بقي متمسكا بها، وتلك نقيصة من النقائص نحمد الله أنها لم تتفشَّ في الكثيرين من العاملين الوطنيين. وبعد فها أنا ذا أقدم كتابي الذي أسميته (مذكراتي في الحركة الوطنية من سنة 1930ـ 1940) ولم أرد أن أسميه بتاريخ الحركة الوطنية، حتى لا أكون أخللت بما يجب علي من نقصٍ كامل للأحداث والتواريخ الوطنية كما عشتها، لعل المهتمين بتاريخ الحركة الوطنية يضيفونها إلى ما لديهم من كتابات وتآليف وتواريخ، فيستخرجوا من جميع ذلك تاريخا حقيقيا للحركة الوطنية المغربية التي يتوق الجميع إلى أن يراها أمامه مستوفية لجميع شروطها مُحيطة بكل جوانبها والله من وراء القصد.

ذو الحجة 1412/يوليوز 1992

أبوبكر القادري

مدخل

بقي المغرب محتفظا باستقلاله، مدافعا عن حريته، فارضا وجوده الدولي خلال القرون، وكانت اوربا تهابه، وتقرأ له ألف حساب، نظرا لأنه كان يتوفر على كل وسائل الدفاع بما فيها وجود أسطول حربي كان يحرس الشواطئ المغربية، من الانتهاكات والغارات الأجنبية، ولدى تطور الأوضاع في اوربا بعد الثورة الصناعية والكهربائية، وظهور وسائل ومخترعات جديدة، صارت أوربا تتفوق في مختلف المجالات، وتهدد غيرها من الأقطار، بسبب بقاء تلك الدول والأقطار، منكمشة على نفسها، غير متقدمة في مجال البناء والتجديد والتصنيع والتعليم، وكان المغرب من جملة هذه الدول التي بقيت منكمشة على نفسها رغم بعض المحاولات التي كان يقوم بها بعض الملوك..

لقد نشأ عن التطورات التي وقعت في اوربا، خصوصا في ميدان القوى البحرية، ان صارت هذه القوى تهدد المغرب التهديد الخطير في قواته الدفاعية التي لم تبق متكافئة مع القوى البحرية الأوروبية، الأمر الذي دعا المولى سليمان إلى منع رؤساء الأسطول البحري المغربي من أداء مهمته الجهادية والحراسية في البحر، حتى لا يقع احتكاك مع الأساطيل الأوروبية التي أصبحت تفوقه قوة وعددا، وهكذا فقد المغرب مركزه البحري والتجاري ومنع المولى سليمان المغاربة من التجارة لأراضي الغربيين خشية اصطدام الأسطول المغربي مع أساطيلهم، وحتى لا ينشأ عن ذلك أضرار أخطر[1].

وفي عهد السلطان المولى عبد الرحمن وقع احتلال «الجزائر» من طرف فرنسا وذلك سنة (1830) وكان المولى عبد الرحمان من الملوك المجدين النابهين المخلصين المتوفرين على كثير من الكفاءات السياسية، والتفتح على تطورات العصر، فاهتم بادخال بعض الاصلاحات المتنوعة سواء في المجال العلمي أو العدلي أو الدفاعي، وسلك في حكمه سياسة تختلف في بعض الجوانب عن السياسة التي سلكها المولى سليمان، فأمر بإنشاء بعض القطع البحرية الدفاعية. غير ملتفت للتهديدات والتحرشات التي تاتيه من الغرب المسيحي، الذي أصبح منذ ذلك التاريخ متطلعا إلى الاستيلاء على خيرات البلاد المغربية، باذلا جهده لتقليم أظافر الدفاع

---

(1) انظر ما كتبه الأستاذ المنوني في الموضوع في كتابه : مظاهر يقظة المغرب ص 3.

المغربي، وهكذا بمجرد انبعاث الأسطول المغربي من جديد، تعرضت مرسى العرائش لهجوم ظالم من طرف الأسطول النمساوي.

ولقد تعرض صاحب الاستقصاء لهذا الهجوم فقال : (واعلم أن هذه الوقعة هي التي كانت سببا في إعراض السلطان المولى عبد الرحمان عن الغزو في البحر، والاعتناء بشأنه، فإنه رحمهُ الله لما أراد إحياء هذه السنة، صادف ابان قيام شوكة الفرنج، ووفور عددهم وأدواتهم البحرية، وصار الغزو في البحر، يثير الخصومة والدفاع، والتجادل والنزاع، ويهيج الضغن بين الدولة العلية، ودولة الأجناس الموالية لها، حتى كاد عقد المهادنة ينفصم، وأكد ذلك اتفاق استيلاء الفرنسيين على ثغر الجزائر، فوجم السلطان رحمه الله، واعمل فكره ورويته، فظهر له التوقف عن أمر البحر، رعيا للمصلحة الوقتية، ولقلة المنفعة العائدة من غزو المراكب الإسلامية، وانضم إلى ذلك إعلان الدول الكبار من الفرنج مثل الانجليز والفرنسيس، بأن لا تكون المراكب، إلّا لمن يقوم بضبط قوانين البحر، التي يستقيم بها أمره وتحمد معها العاقبة، وتدوم بحفظها المودة على مقتضى الشروط ومن مهمات ذلك، ترتيب القناصل بالمرسى التي تُريد الدولة دخول مراكبها إليها، وتجارتها فيها، أي دولة كانت. ومن هذه المهمات ما قد لا يساعد الشرع أو الطبع مثل إلكرنتينات وما يترتب عليها، إلى غير ذلك مما فيه هوس كبير، فاشتد عزم السلطان رحمه الله على ترك ما يُفضي إلى ذلك، وتأكد لديه اهماله لتوفر هذه الأسباب).

إن أوربا بعد نهضتها الصناعية، صارت تفكر التفكير الجدي، في بسط نفوذها على الأمم والشعوب الضعيفة، وتقف عائقا أمام تطورها وتقدمها واستطاعتها الدفاع عن نفسها، حتى يسهل عليها الاستحواذ على جميع مقدراتها، وحتى تبقى وحدها المسيطرة والمستغلة، وهذا ما نراه ونعيشه اليوم، بعد حرب الخليج حيث أن الغربيين وفي طليعتهم الولايات المتحدة الأميريكية، أصبحوا مكشرين عن أنيابهم أمام الدول العربية، وعلى رأسها العراق، يلزمونها بتدمير كل قواها الدفاعية، نووية وغير نووية حتى لا تقوم لها قائمة، وحتى لا تستطيع الدفاع عن نفسها حالاً ومستقبلا، في الوقت الذي يزودون إسرائيل، ربيبتهم المدللة، بكل أنواع وسائل الدفاع والدمار.

لقد كان احتلال «الجزائر» بداية مرحلة جديدة حاسمة في تاريخ المغرب العربي كله، فلقد قررت فرنسا منذ ذلك التاريخ أن تبسط نفوذها على بلادنا، وصارت تتحين الفرص وتخلق الأسباب، وتثير المشاكل، وتشجع على القلاقل، وتدفع إلى الثورة ضد السلطة الشرعية، إلى غير ذلك من المؤامرات والدسائس التي من جملتها الاعتداء على الحدود المغربية وضمها إلى الجزائر، وزاد في تصميمها على الضغط على المغرب، ما شعرت به وتأكدت منه، من استنكار المغاربة للهجوم الذي قامت به ضد الجزائر عند احتلالها لها، وتشجيع للمقاومة التي قام بها الشعب الجزائري الشقيق، ولقد جاء في تقرير وجهه نائب القنصل الفرنسي بطنجة

(دولابورت) إلى حكومته مايلي : المغرب كله متجه بأنظاره نحو الهجوم على الجزائر، والاشاعات من كل نوع تتردد كل يوم، ويتقلب المغاربة بين الخوف والأمل، والضربة التي ستنزل بها فرنسا، هي التي ستدفع بالحكومة المغربية، اما إلى موقف الاحترام أو الازدراء نحو القناصل، وكذلك بالسكان نحو النصارى. وفي تقرير آخر يقول نائب القنصل : كل مغربي يلتقي بمغربي آخر يسلم عليه بقوله : طوبى للشهداء، اللهم ارزقنا حظ الشهداء[2].

لقد انزعج المغاربة قاطبة مسؤولين ومواطنين من الهجوم الذي وقع على الجزائر الشقيقة وأحسوا بالخطر يتهددهم، كما هدد إخوانهم، وقرروا مساندة إخوانهم بكل ما يستطيعون، ومَدوا أيديهم لهم، ورحبوا بمقدمهم وحمايتهم، حتى ان سكان مدينة تلمسان لما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من جراء الهجمة الاستعمارية، طلبوا الدخول في حوزة المغرب وكتبوا ببيعتهم لملك البلاد، فما كان منه إلا أن قبل بيعتهم وعين عليهم عامِلا من قبله هو ابن عمه الأمير علي بن سليمان، ولكن ذلك لم يطل، حيث أن الفرنسيس هددوا المغرب، واحتجوا الاحتجاج القوي لقبوله البيعة من سكان تلمسان، وتطورت الأحداث تطورات خطيرة، أدت إلى اشتباكات بين الجنود المغاربة وجنود السلطات الاستعمارية.

ويأتي في طليعة هذه الاشتباكات أو الحروب ما عرف بمعركة (ايسلي) وهي المعركة التي انهزم فيها الجيش المغربي شر هزيمَة، رغم أنه كان يتوفر على جيش قوامه ثلاثون ألفا، بينما لم يكن الجيش الفرنسي يتوفر إلا على ثمانية آلاف جندي ولكن السبب الذي أتى بالهزيمة، هو أن الجيش الفرنسي كان منظما تنظيما محكما عصريا، ومزودا بأسلحة صالحة، في الوقت الذي كان الجيش المغربي يحارب بالطريقة العتيقة، ودون تنظيم ولا تنسيق، الأمر الذي عجل بهزيمته في ظرف نصف يوم لا غير، فكانت هذه الهزيمة التي أصابت الجيش المغربي ؛ أقسى هزيمة، وكانت كما قال الناصري في الاستقصا : (مصيبة عظمى، وفاجعة كبيرة، لم تُفجع الدولة الشريفة بمثلها).

لقد كانت معركة «ايسلي» يوم 14 غشت 1844 وقبلها بشهرين أي في 19 يونيه 1844 احتل الفرنسيون مدينة وجدة متعللين بأن المغرب يساعد الأمير عبد القادر الجزائري، وصاروا يهددون الحدود المغربية، ويهاجمون المراسي المغربية، فقنبلوا كلا من مدن طنجة والعرائش والصويرة، ثم بعد ذلك قنبلوا مدينة «سلا» سنة 1851 وتوالت المعاكسات والمؤامرات والضغوط ضد المغرب، وكان الهدف هو بسط السيطرة الاقتصادية أولا، ثم بسط السيطرة السياسية والعسكرية ثانيا.

إن معركة «ايسلي» في الواقع أبرزت للسلطان مولاي عبد الرحمان حقائق، أهمها أن قواته

---

(2) انظر بحثا للأستاذ محمد زنيبر نشر في مذكرات من التراث المغربي جزء 4 ص 223.

غير متكافئة مع قوات الاستعمار، وانه لا يستطيع مواجهتهم مستقبلا، ولذلك غير سياسته كليا، فصار يناور ويراوغ، ويستعمل كثيرا من الدهاء للتغلب على الدسائس والمؤامرات بل صار يجامل ويقبل بعض الحلول في المشاكل المعروضة مثل قضية الحدود فوقع معاهدة لتعيين الحدود من وجدة إلى مغنية وفتح الأبواب أمام التجارة الأوروبية التي صارت تملأ الأسواق بالبضائع الأجنبية التي أعفيت من الضرائب الجمركية.

وبالرغم عن ذلك فقد بقيت فرنسا مكشرة عن أنيابها تريد أن تزيد المغرب ضعفا على ضعف فصارت تبسط نفوذها على بعض القبائل المغربية، وتعطي حمايتها لبعض الرعايا المغاربة في شرق المغرب كما صارت تطالب بتسهيل مرور تجارتها وقوافلها في الأراضي المغربية. وهذا التوسع التجاري من طرف فرنسا دفع انجلترا بدورها أن تطالب بمعاملتها نفس المعاملة، وبفسح المجال لتجارتها كي تفتح لها الأسواق المغربية، وهكذا عقد المغرب تحت الضغط معاهدة تجارية مع انجلترا، تنص على تحديد الواجبات الجمركية بعشرة في المائة لا غير، واغتنمت إسبانيا هذه الفرصة فطالبت بأن تعامل نفس المعاملة.

وهكذا تحت ستار الروجان التجاري بدأ النفوذ الأجنبي يتسرب إلى بلادنا المغربية من طرف الدول الأوروبية وفي طليعتها فرنسا وإسبانيا وانكلترا.

واغتنمت إسبانيا الاضطراب الواقع، والضعف الذي أظهرته معركة «ايسلي» فهاجمت الجزر الجعفرية الواقعة شرق مدينة (مليلية) واستولت عليها كما اغتنمت وقوع حادث في الحدود مع سبتة لتطالب بجزء من التراب المغربي، حيث توجد بلدة «بليونش» غرب سبتة، وذلك لتزويد سبتة بما تحتاجه من مياه.

لقد كانت اسبانيا تعتبر نفسها أولى ببسط نفوذها على المغرب ولذلك انزعجت كثيرا عندما رأت فرنسا بعد احتلالها للجزائر تريد بسط نفوذها شيئا فشيئا على البلاد المغربية. وهكذا بعد حادث الحدود الذي وقع في سبتة قامت بحملة واسعة ضد المغرب، فزحف الجيش الاسباني الذي قارب عدد أفراده خمسين ألفا وهجم على مدينة تطوان يوم 26 فبراير 1860 واحتلها، ولم تغادر الجيوش تلك المدينة إلا بعد توقيع معاهدة زادت في إضعاف المغرب، حيث سلم المغرب لاسبانيا منطقة (سانتاكروس) وأعطاها امتيازات تجارية هي الأخرى، وسمح لها بإنشاء قنصليات في المدن الداخلية والتزم لها بدفع تعويضات استنزفت مداخيله، وهزتها هزا عنيفا.

هذه الأحداث التي كانت تقع في المغرب خلال تلك الفترات التي أشرنا إليها، أثرت الأثر البعيد في نفوس الطبقة الواعية فقامت تدعو إلى التجديد، وإلى الجهاد، فهذا محمد بن عبد القادر الكردودي الفاسي 1891 ألف كتابا اسماهُ : (كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة) وجاء في مقدمة الكتاب : أما بعد فإني لما رأيت أسباب الجهاد قد اهملت،

وآلاته قد اغفلت ؛ وليله اعتم بعد أن كان مقمرا، ونهاره اظلم بعد أن كان نيّراً، وغصنه ذوي بعد أن كان مورقا، وحسنه انطفأ بعد أن كان مشرقا، ورأيت العدو الكافر، دمره الله وأهلكه، وظفر أيدي المسلمين بجميع ما ملكه، قد استولى على مملكة الجزائر، وقهر كل ذي سطوة فيها من ملك أو ثائر بحروب على هيأة مخصوصة، وصفوف كأبنية مرصوصة، ثم مد يد عزمه، وكشف عن ساق حزمه، لقتال أهل المغرب الأقصى، وأخذ ثغوره التي لا يعد فضلها ويحصى، إلى أن يقول : حملتني الحمية الدينية، والغيرة الاسلامية على أن وضعت هذا الكتاب الجامع لمحاسن اللباب، المشتمل على صفة الحروب وأسبابها، وموجبات الظفر والهزيمة وآدابها، مع ما توقف عليه من الشورى والعدة والشجاعة، وأحوال الجند الذي بها ينتظم عقد الجماعة. وبعدما تحدث عن تنظيم الجيوش وكيف يكون، تحدث عن قيام النظام البرلماني في أوروبا وتركيا فقال : والروم لعهدنا وكذلك الترك فيما يبلغنا، قصروا الشورى على أربعين رجلا، فلا يبرم أمر عندهم الا ان صدر عن رأيهم وإشارتهم، وتسمى هذه الجماعة بالكرطي). وهذا الشاعر الوزير محمد بن ادريس العمروي (1847) يوجه نداء إلى الشعب المغربي يدعو فيه إلى الجهاد فيقول :

ياساكن الغرب الجهاد الجهاد ... فالكفر قد شارككم في البلاد
والشرك قد نصب اشراكه ... مستعبدا بكيده للعباد
وياحماة الدين ما صبركم ... والمشركون يطلبون البداد
ما هذه الغفلة عن ضدكم ... وانتم في الحرب أسد الجلاد
ان بني الاصفر أعداؤكم ... اطمعهم نومكم في السواد
ويا أباة الضيم هل نهضة ... تسربل الكفر ثياب الحداد
قوموا لنصر دينكم قومة ... تحطم أهل الشرك حطم الحداد
أين بنو العرب الذين لهم ... قدم صدق في جهاد الأعاد
وأين أهل البر من بربر ... ومن لهم في الدين بيض أياد
وأين من حاز النهي والتقى ... ومن له في الله حسن اعتقاد
وأين أهل الدين قاطبة ... وسادة الناس الصلاب الشداد
واسطة الغرب قد حازها ... والأمر جد والبلا في ازدياد
حوى الجزائر ووهرانها ... وراع حاضرا بذاك وباد
مصائب صبَّت على معشر ... يبكي من الاشفاق منها الجماد
اخوانكم دينا وجيرانكم ... اضحوا رعايا الشرك بين أعاد
ساموهم هونا وأزروا بهم ... في الدين حتى ركنوا لارتداد

وهذا عالم من علماء القرويين الكبار، وشيوخها الأبرار هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد

السلام التسولي المتوفى 1258هـ (1842) يكتب فتوى عظيمة، يدعو فيها إلى ضرورة الجهاد والدفاع عن حوزة المسلمين في أرض الجزائر الشقيقة، وهي جواب عن سؤال تلقاه من المجاهد البطل الأمير محي الدين بن عبد القادر الجزائري فيقول : إذا نزل عدو الدين بأرض الاسلام أو قريبا منها مريدا الدخول إليها، فإنَّ الجهاد فرض عين على أهل ذلك البلد وعلى امامهم، شيوخا وسكاناً، أحرارا وعبيدا، بل وان على امرأة إن كان لها قوة، ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل على مشورة الامام، ولاسيما أن بعد منهم، بل وان لم يكن لهم إمام تعين عليهم مدافعته، ونصْب الامام فإن لم يقدروا أهل ذلك البلد مع إمامهم على مقاومة العدو، تعين على أقرب الأئمة إليهم وعلى رعيته أن يعينوهم فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة أيضا، وجب على من والاهم، وهكذا حتى يأتي الوجوب منسحبا على جميع المسلمين.

فقطر الجزائر مثلا، حيث لم يقدروا على دفعه لعدم من يضبط كلمتهم، ولعدم وجود القوة منهم، بدليل انه يتردد العدو إليهم، ويأخذ مدائنهم شيئا فشيئا، فإنه يجب على من والاهم من أئمة المشرق وأئمة المغرب إلى سوس الأقصى وإلى بغداد بل وإلى الهند مثلا، ان يعينوهم بالجيوش والعدة والعدد، وان عصى من والاه ولم يعن، تعين على من والى من والاه وهكذا).

وجاء في خطبة ألقاها هذا العالم الجليل نفسه مايلي : (فحرضوا أنفسكم وأشياعكم عليه (الجهاد) بقلب وقالب وجازم الاعتقاد، واكثروا من الأهبة والنفر إليه، وبادروا له بغاية الاستعداد، فإن لم تشغلوهم شغلوكم، وان لم تقاتلوهم قاتلوكم، كيف وهم لكم بالمرصاد، أو لا ترون أنهم نزلوا على من بالقرب منكم، واستولوا لهم على أعظم الثغور، وصارت تخلى رُعبا منهم المنازل والقصور، ويغتالون لهم الرقاب والأموال والأولاد، فانظروا أيدكم الله لأنفسكم، فإن فساد الكفر لا يعدله فساد. إلى أن يقول هذا العالم المجاهد الصريح : (أم تعتقدون أن كفاركم اليوم لا يقصدونكم بالقتال والجلاد، أم تقولون نحن اشتغلنا اليوم بجهاد أنفسنا ورعيتنا والخدمة على الأولاد، والنبي عليه وآله الصلاة والسلام إنما بعثه الله مجاهدا، وفي هذا العرض الأدنى زاهداً، مقتنعا باليسير، وهو يستعد لعدوه الاستعداد الكبير فإن لم تقتدوا به فبمن تقتدون ؟.إلى أن يقول : (فأيقظوا أنفسكم من وسن الغفلة، وانتهزوا من العدو الفرصة، مادامت منكم فسحة الاستعداد، قبل أن يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب، ويحق العذاب، وتسترق بالكفر الرقاب، ويحصل الفوت بسبب الازدياد فإنكم ان لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد، والوقوف لكم بالمرصاد ولا تتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول، من وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للميثاق المعقود، فإن ذلك كله مردود، إذ لا ميثاق ولا عهد لأعداء الدين وأهل الفساد، ونحن لا نعتبر عهودهم وشهادتهم بالاضافة إليهم، فكيف نعتبرها بالنسبة إلينا بإجماع أهل العلم والاجتهاد).

وهكذا كان العلماء الأعلام، يتابعون الأحداث المتعلقة بأوطانهم وأوطان المسلمين في كل

مكان : كانوا يحذرون من الوقوع في شرك الاستعمار، وينبهون إلى عدم الوثوق بعهودهم، لأنها عهود كاذبة، ووُعود خادعة، وهكذا كانت خطب الجمعة، تنبه الغافلين وتستحث على الرباط والجهاد، والوقوف للأعداء بالمرصاد، حتى لا يفاجؤوننا بخيلهم ورجلهم، وحتى لا يهاجموننا في عقر ديارنا ونحن في غفلة ساهون.

لقد شعروا بالخطر يهدد منطقة المغرب العربي بأجمعها، ودعوا إلى التضامن والدفاع ومعاونة البلد الجار، إذ الذي يجري على المثل يجري على المماثل، وفي ذلك يقول شاعر آخر هو الشاعر محمد غريط (1863) في قصيدة طويلة :

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا   من بعدما أخذ الرومي تلمسان
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم   عدو دينهم لا نال إمكانا
ولا على فعله في دفتر وقفوا   بأهل أندلس يا بئس ما كانا
لاعذر للمسلمين في التكاسل عن   جهاده حسبة منهم وإيمانا[3]

وبالمناسبة أسجل هنا انه في الوقت الذي كان شعراء المغرب في الشمال يتتبعون الأحداث ويستحثون الهمم لمقاومة الاستعمار كان المغاربة الشنجيطيون بدورهم يقرضون الشعر ويصرخون في آذان مواطنيهم مطالبين بأخذ الإعدادات اللازمة ومقاومة الركود، ومقارعة الأعداء المتربصين بالبلاد. فهذا محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي (1284) (1867) يقول في قصيدة طويلة[3] :

حماة الدين ان الدين صارا   أسيرا للصوص وللنصارى
فان بادرتموهُ تداركوه   والا يسبق السيف البدارا

إلى أن يقول :

فياللمسلمين لها أمور   لها الأكباد تنفطر انفطارا
تهاونتم بموقعها وما أن   تهاونتم بها الا اغترارا
لصوص لا تخاف البأس منكم   ولا العقبى فترضى أن تدارا
وروم عاينوا في الدين ضعفا   فراموا كلما راموا اختبارا
فان أنتم سعيتم وانتدبتم   برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وان أنتم تكاسلتم وهمتم   برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفوكم كما يبغون فوضى   حيارى لا انتداب ولا ائتمارا

ولقد أورد الأستاذ محمد المنوني في كتابه مظاهر يقظة المغرب أبياتا من قصيدة نظمها

---

(3) انظر مظاهر يقظة المغرب.

ابن ادريس على لسان المولى عبدالرحمن يشكو فيها من الأوضاع التي آل إليها المغرب وموجها الخطاب للجناب النبوي :

وإني قد استرعيت منهم رعيـــة	وحمّلت من أعباء أمرهم أمـــرا
أروم لها التوفيق والرشد والهـــدى	وأرجو لها الاسعاد والحفظ واليســرا
وآمل من جدواك كل عنايــــة	ونصرا عزيزا يهدم الشرك والكفــرا
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمــة	تريد بنصب الماكرين لها الحــرّا
واظهر لها من عز جاهل نصــرة	ترد على الأعقاب من سامَها عــذرا
وتخلي ديار المسلمين من العــدى	وتكسبها من بعد نحسهم طهــــرا
وتتركهم مرعـى بكـل ثنيّــــــة	وتملأها دينا كما ملئت كفــرا

إنها صرخات منبعثة من الأعماق، تدعو إلى الجهاد والنضال والاستبسال، وتنذر بالشر المستطير ان لم يبادر الجميع إلى حماية الدّمار، وإذا كان القنصل الفرنسي إذذاك (دولابورت) قال (ان كل مغربي يلتقي بمغربي آخر، يسلم عليه بقوله : طوبى للشهداء، اللهم ارزقنا حظ الشهداء) فإن ذلك يدل على أن المغرب كان يغلي غليانا شديدا عندما احتلت فرنسا البلاد الجزائرية الشقيقة، وان الجميع كان متحفزا للجهاد والكفاح، ولكن القوة لم تكن متكافئة مع الأسف الشديد.

لقد كانت لموقعة «ايسلي» وحرب تطوان بعد ذلك نتائج اقتصادية خطيرة، تسبب فيها أداء تعويضات الحرب مع اسبانيا، والوجود الأجنبي، حيث صارت تجارة الأجانب تتكاثر بسبب انفتاح الباب أمامهم على مصراعيه، الأمر الذي أضعف المنتوجات الوطنية وخصوصا منها المنسوجات التي كانت تستخرج بوسائل عتيقة، حيث أن الأسواق صارت تغزى بمنسوجات أوروبية، تباع بأثمان أرخص من المنسوجات الوطنية، وهكذا صارت الصناعة الوطنية تضعف، ويضعف معها محترفوها، وتضعف بسبب ذلك قوتهم الشرائية بسبب ارتفاع الأسعار، وارتفاع العملة الفضية، لقد كانت بمدينة «سلا» مصانع تصنع منسوجا يسمى «بالملحم» وكان يهدى في بعض المناسبات إلى الملوك نظرا لجودته، فلما عرفه التجار الأوروبيون نسجوا على منزاله، فجاء ألطف وأرق، وقضى بعد مدة على المصانع المحلية التي كانت تنسج «الملحم».لقد بدأت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية تتغير تغيرا مخيفا، عبر عنه صاحب كتاب الاستقصاء حيث قال : (اعلم أن أحوال هذا الجيل الذي نحن فيه، قد باينت أحوال الجيل الذي قبله غاية التباين، وانعكست عوائد الناس غاية الانعكاس، وانقلبت أطوار أهل التجارة وغيرها، من الحرف في جميع متصرفاتهم لا في سككهم ولا في أسعارهم وفي سائر نفقاتهم، بحيث ضاقت وجوه الأسباب على الناس، وصعبت عليهم سبل جلب الرزق والمعاش، حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا، وحال جيلنا الذي نحن فيه، وقايسنا

بينهما، لوجدناهما كالمتضادين، والسبب في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من أهل اوروبا للناس، وكثرة مخالطتهم لهم، وانتشارهم في الآفاق الاسلامية، فغلبت أحوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل، وجذبته إليه جذبة قوية).

لقد استطاع المغرب أن يحافظ على وحدته بالرغم عن الهجومات التي وقعت عليه، ولكنه بقي متعرضا للتدخل الأجنبي سواء منه الفرنسي أو الاسباني أو غيرهما. كما أن قوته الدفاعية ضعفت بسبب الحربين اللذين تعرض لهما : حرب «ايسلي» وحرب تطوان.

تقوت أطماع الأجانب في المغرب فصاروا يطالبون بامتيازات متعددة، وأن يفتح لهم باب التجارة على مصراعيه، فيصدرون من المغرب ما يشاؤون ويستوردون من بلادهم ما يشاؤون، وكان في ذلك خطر عظيم على سكان البلاد، خصوصا في تصدير القموح التي كان تصديرها يضر الضرر الكبير بحاجيات المواطنين، فلذلك مانع المغرب الممانعة المطلقة فيما يطلبونه، ثم صاروا يطالبون بأن تعطي لهم امتيازات خاصة في المجال الجبائي والقضائي، وان لا يعاملوا معاملة المواطنين أمام المحاكم المغربية، وتعدَّى ذلك إلى إعطائهم الحماية لمن يشتغل معهمَ من المغاربة فكثرت الحمايات الأجنبية، وصار بعض المغاربة لا يخضع للحكم الوطني ويعتبر نفسه خارجا عن نفوذ السلطة المغربية.

تكاثر عدد المحميين بالحمايات الأجنبية المختلفة، وأصبحت الحماية الأجنبية موردا للتجارة يبيعها ويستفيد منها قناصل الدول الأجنبية حتى ان احد قناصل فرنسا كان ينصب (خيمته في سوق خميس الزمامرة بدكالة وعليها الراية الفرنسية، ويعرض بطاقاته (بطاقة الحماية) كما تعرض السلع وحتى صرح أحد السفراء الأنجليز قائلا : (ان السلطان قد يفيق ذات صباح من نومه، فيجد نفسه بدون رعايا)[4] وهذا ما دعا السلطان الحسن الأول إلى رفض هذا الوضع الرفض المطلق فكان مؤتمر مدريد الذي انعقد بتاريخ 1880 وحضرته ثلاث عشرة دولة للنظر في مشكل الحمايات الأجنبية، ورغما من أن المؤتمر لم يحل المشكل الحل المرضي، نظرا لموقف فرنسا وإيطاليا وروسيا وألمانيا المعاكس للمغرب، فإن المؤتمر اتخذ بعض المقررات، كالاًّ تكون الحماية وراثية، والا يستفيد منها موظفو المخزن، وان لا تطبق على الخدم والفلاحين، وان لا يعفى من الضرائب إلا القنصل ونائبه والترجمان ومخزني واحد وخادمان اثنان.

لقد بذل الحسن الأول مجهودا جبارا فيما يتعلق بمشكلة الحماية الأجنبية، كما بذل نفس المجهود في قضايا ومشاكل أخرى، كقضية شراء الأجانب للعقارات، وقضية التجارة الأجنبية والاحتياط منها، وبالأخص قضية تصدير الحبوب التي كان يمانع منها العلماء ويعتبرونها ضررا

---

(4) من بحث الدكتور العروي في مذكرات للتراث المغربي جزء 4. ص 266.

على المواطنين، كما كان يعمل على تطبيق إصلاحات داخلية سواء في الجيش أو الادارة أو التعليم أو في الاصلاح الجبائي أو غير ذلك وفي الوقت نفسه كان يقوم بتثبيت أركان الأمن في بلاده، حتى قالوا عنه انه لم يكن ينزل عن فرسه نظرا لتطوافه الكثير في جميع جهات المغرب إلى حدود الصحراء المغربية التي كانت تدين له بالولاء والطاعة، وهكذا استطاع أن يصون الوحدة الترابية بأجمعها بما فيها واحات توات وناحية وادي نون وشنجيط وتيندُوف وكل الحدود الشرقية والجنوبية، وله في ذلك مواقف ومراسلات يرجع إليها في مراجعها[5] ولقد وجد صعوبات جمة في القيام ببعض الاصلاحات فاضطر إلى القيام باستفتاء العلماء والأعيان والخبراء ومطلق أفراد الشعب، ولكنه لم يستطع أن ينجح النجاح الكامل لأسباب خارجة عن طوقه، ومنها معاكسة الدول الأجنبية.

ومن الوسائل التي كان يستعملها السلطان المولى الحسن، لتثبيت وحدة التراب الوطني وعدم تسليمه لأي جزء منه، حاول الفرنسيون أو غيرهم اقتطاعه من المغرب، سواء في شرق المغرب أو جنوبه، كتابتُه لبعض الدول المعنية محتجا على ما صارت تقوم به السلطات الفرنسية الاستعمارية من الاستيلاء على بعض الأجزاء المغربية وضمها للبلاد الجزائرية، وهذه رسالة كتبها في الموضوع لنائبه في طنجة الحاج محمد الطريس يقول فيها :

خادمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فتصلك مبيضة ــ نأمرك أن تكتب بها لكل واحد من نواب الأجناس الأربعة : الألمان، والانجليز، والاسبنيول، والطليان، وما يجيبونك به وجّههُ عزما، ثم من اقتضى الحال مشافهته قبل الكتابة فشافهه، والكتابة لابد منها لكل من المذكورين ليحصل الجواب الذي هو المقصود. ثم تجيء المبيضة فتقول :

وبعد فإن جنس الفرنسيين ادعى ان الصقع التواتي من حيزه ومن عديد رعيته، مع أن ذلك لم يدعه من قبل ولا طمحت نفسه إليه، ولا كان لهم في حساب، حتى حدث ذلك الآن لما أملوه، ولم يعتبر واما هو مقرر من الدلائل والحجج على كون ذلك الصقع من عمالة رعية سيدنا نصره الله في القديم والحديث ثم تأتي المبيضة بالأدلة على مغربية (توات) ومنها الخريطة الموافق عليها من الدول وان السكان لا يخطبون إلا باسم ملك البلاد نصره الله ومنها ان الزكوات تدفع لعمال المغرب والأمناء يتوجهون دائما لحيازة الأعشار والزكوات ومنها ان الوفود دائما تتوارد على السلطان لتأكيد تبعيتها للمغرب وسلطانه.

وما انطبق على «توات» ينطبق على بقية الأقاليم مثل «تيندوف» وكل الحدود الشرقية المغتصبة. وبعد وفاة الحسن الأول تولى المولى عبد العزيز، فتولى وزارته أحمد بن موسى (أبا

(5) مظاهر يقظة المغرب الحديث جزء 1. ص 51 و52.

حماد) الذي سلك أثناء وزارته سلوك المولى الحسن في الحفاظ على كيان المغرب، والدفاع عنه، فتنمَّر إذ ذاك الاستعمار الفرنسي، وصار يثير المشاكل المتعددة الأشكال والألوان، ويتآمر على استقلال المغرب، فمن اتفاقات سرية مع الدول الضالعة في التآمر، إلى إثارة الفتن داخل المغرب، وتحريض القبائل على الثورة ضد السلطة الشرعية، إلى شراء ضمائر بعض العملاء المغاربة الذين كانوا ينفذون الخطط الاستعمارية ويعملون على إظهارها للسلطان بغير مظهرها الحقيقي، إلى تسرب بعض الجواسيس إلى المملكة وعملهم على تخريبها. ولقد تحدث عن هؤلاء الجواسيس صاحب الاستقصا فقال : (وقد تسرب إليه (السلطان) جماعة من نوَّاب الأجناس كعادتهم مع والده من قبله، فقدموا عليه حضرة فاس، مظهرين انهم إنما قدموا للتهنئة، ومرادهم خلاف ذلك، وما ظنك بمن يزعم انه قدم للتهنئة، وهو مقيم بالحضرة هذه مدة من أربعة أشهر يتجسَّس الأخبار ويتطلع العورات، ويترصد الغفلات، ويحصي الأنفاس لعله تظهر له خلة، أو تمكنه فرصة إلى احتلال بعض المناطق المغربية وضمها إلى الجزائر، وهكذا أصبحت البلاد في وضع لا تحسد عليه).

لقد عقدت فرنسا مع انكلترا اتفاقات سرية، بمقتضاها أطلقت يد فرنسا في المغرب، مقابل اطلاق يد انكلترا في مصر، وعقدت اتفاقات سرية مع إسبانيا بمقتضاها يقتسمان مناطق النفوذ في المغرب بينهما، ويضاف إلى ذلك كله أن الاصلاحات التي كان المغرب يود القيام بها في المجال الاقتصادي كانت تلقى المعارضة من طرف المواطنين كأحداث ضريبة الترتيب، كما أن الاصلاحات الجبائية كانت تلقى المعارضة من طرف الفرنسيين وحلفائهم، واغتنمت فرنسا هذه الظروف فصارت تطالب المغرب بأن يدخل إصلاحات في جهازه الإداري والمالي والأمني.

وكان المولى عبد العزيز يدرك ضرورة إدخال كثير من الاصلاحات، ولكن الظروف لم تواته، خصوصا وانه لم يقبل أن تقوم بهذه الاصلاحات دولة واحدة، هي فرنسا، ولذلك كان يخلق الأعذار والعلل حتى لا يقع في قبضة الفرنسيين، وامام ضغط الفرنسيين قرر إنشاء مجلس أسماه مجلس الأعيان، ليعرض عليه أمر الاصلاحات التي تقترحها فرنسا لتقرر فيها وفق ما فيه مصلحة المغرب.

ومن المطالب التي تقدم بها ممثل فرنسا مايلي : (1) وضع جيش فرنسي بمنطقة الحدود الشرقية، (2) مد خطوط التلغراف والسكة الحديدية، (3) جلوس مراقبين فرنسيين مع الحكام المغاربة، (4) تنظيم الجيش تحت إشراف فرنسي، (5) اصلاح المراسي وتجهيزها، (6) إسناد المحافظة على الأمن بالحدود الشرقية إلى حكام الجزائر، (7) إحداث البنك المغربي، (8) تنظيم مشكلة الضرائب، (9) تنظيم املاك المخزن وأملاك الأحباس، (10) الترخيص في نقل الموسوقات من مرسى إلى أخرى. إلى غير ذلك من المطالب.

لقد تدارس مجلس الأعيان في عدة جلسات هذه المطالب التي تقدمت بها فرنسا ورغما من إدراكه ضرورة إدخال بعض الاصلاحات، فإنه لم يقبل ان تكون تحت ضغط فرنسا وتحت إشرافها، ولذلك تقرر دعوة الدول الموقعة على ميثاق مدريد، لعقد مؤتمر يدرس فيه الاصلاحات التي تدعو المصلحة لتطبيقها. ولقد جاء في الجواب الذي أجاب به وزير الخارجية المغربي، السفير الفرنسي والمؤرخ بـ 28 مايو 1905 مايلي : (ان السلطان لا يجهل جوار الجزائر، ولكن عندما عرض على أعيان البلاد ما كان قد دار بينكم، طلبوا ان لا يوافق على أي إصلاح عسكري وغيره في هذه البلاد، بواسطة دولة واحدة أجنبية، إلا بعد عقد مؤتمر دولي في طنجة، يشترك فيه وزراء الدول الموقعة على اتفاق مدريد، ومندوبو المخزن، للتفاوض على الشكل الذي ستكون عليه الاصلاحات التي يقتضيها الموقف وان يتفقوا بصورة ترضي الرأي العام ثم تقول الرسالة : إن السلطان لا يمكنه أن يعارض الشعب، لأن الشعب له الحق في ألا يهمل في مسألة لها مثل هذه الأهمية)[6].

وبعد بضعة أيام من إعطاء هذا الجواب لممثل فرنسا دعا النائب السلطاني بطنجة السيد محمد بن العربي الطريس إلى عقد مؤتمر بطنجة للنظر في إجراء الاصلاح الذي عزم جلالته على إجرائه في سلطنته، وفي مسألة تدارك النفقات اللازمة للاصلاح مع مراعاة الأحوال الحاضرة).

(6) انظر مظاهر يقظة المغرب جزء 2 ص 197.

مؤتمر الجزيرة الخضراء

انعقد المؤتمر في الجزيرة الخضراء بدل طنجة، وكان افتتاحه يوم 16 يناير 1906 ودامت جلساته إلى سابع أبريل عامه (12 صفر 1324) وشاركت فيه .بالاضافة إلى المغرب اثنتا عشرة دولة، هي : فرنسا ـــ ألمانيا ـــ انجلترا ـــ النامسا ـــ بلجيكا ـــ اسبانيا ـــ الولايات المتحدة الأمريكية ـــ إيطاليا ـــ هولندا ـــ البرتغال ـــ روسيا ـــ السويد، وكان الوفد المغربي ممثلا بالحاج محمد الطريس والحاج محمد المقري والحاج محمد الصفّار، والسيد عبد الرحمان بنيس.

لقد كان المغرب يعمل على أن يساند المؤتمرون في أغلبيتهم مطامحه في الاصلاح دون معاكسة، ولكن ظنه قد خاب، حيث كانت المقررات التي اتخذها لا تلبي المطامح التي كان يتطلع إليها باستثناء قرارين هامين هما اقراره واعترافه باستقلال المغرب ووحدة ترابه، كما أن القرار الذي اتخذه في شأن مساواة الدول الموقعة على المقررات فيما يتعلق بالباب المفتوح للتجارة أفادت كتلة العمل الوطني أثناء فترة الحماية، حيث كانت فرنسا تفرض احتكارها للتجارة مع المغرب فاستعملت الكتلة القرار المتخذ في مؤتمر الجزيرة لبقاء الباب مفتوحا أمام الجميع، وكانت تحتج به ضد المحتكرين الفرنسيين.

إن القرارات التي اتخذها مؤتمر الجزيرة الخضراء لم ترض ممثلي المغرب، ولم يوقع عليها المولى عبد العزيز إلا تحت الضغط، بعد مرور شهرين على انفضاض المؤتمر، لأن تلك القرارات في الواقع كانت كما لاحظ ذلك الباحثون والمختصون ؛ تنظيما للحماية الفرنسية والاسبانية على المغرب تحت مراقبة دولية، ولأنها تركت المخزن وجها لوجه إزاء فرنسا وإسبانيا في مناطق الحدود، ولأنها برهنت على أن الدول الاستعمارية وفي طليعتها فرنسا لا يهمها إلّا تحقيق مصالحها، وفرض وجودها على المغرب الذي رغم ضعفه وعدم استطاعته الدفاع عن نفسه، كان يحرص على الحفاظ على سلطته الشرعية واستقلاله ووحدته، وكل ذلك سيفقده إذا ما طبقت المقررات التي اتخذها المؤتمر، سواء في الميدان المالي أو الأمني أو الإداري.

لقد رفض المغاربة الواعون تلك المقررات، ونشأت عن تطبيقها فوضى عارمة، فكثر الضغط الأجنبي على المغرب، وكثرت مطالب الأجانب، وقامت الثورات في بعض المناطق المغربية معبرة عن رفضها للمخططات الأجنبية، وكانت كثير من الفتن مدبرة من طرف الفرنسيين الذين كانوا يبحثون عن وسيلة أو أخرى ليخطوا الخطوة الثانية للاستيلاء على المغرب. وجاء اغتيال طبيب فرنسي (موشان) بمدينة مراكش من طرف مجهولين وبمؤامرة فرنسية يوم 22 مارس 1907 لترتمي عليه فرنسا وتجعله سببا في احْتلال مدينة وجدة، ثم جاءت أحداث الدار البيضاء فاغتنمتها السلطات الفرنسية لتهاجم مدينة الدار البيضاء وتقنبلها بواسطة بارجة حربية وتنزل جيوشها وتعتقل عاملها السيد أبو بكر أبو زيد السلوي.

لقد ثار المغرب لهذه الأحداث التي نشأت عن مؤتمر الجزيرة الخضراء، والتي قال عنها صحافي انجليزي : (ان مؤتمر الجزيرة حكم على المغرب المستقل بالاعدام، وندب فرنسا واسبانيا إلى تنفيذ الحكم)[7] ولقد تبين بوضوح أن فرنسا قررت فرض سيطرتها على المغرب وصارت تحيك له الدسائس وتعمل على الزيادة في ضعفه واثارة المشاكل ضده، سواء عن طريق العمل الديبلوماسي (مؤتمر الجزيرة) أو بإثارة الفتن داخله (ثورة بوحمارة) أو بتشجيع القبائل على الثورة ضد السلطة الشرعية، أو بالمطالبة بالتعويضات عن الخسائر التي تدعى أنها وقعت لها أو بشراء ضمائر بعض الخونة من رجال المخزن الذين باعوا ضمائرهم وذممهم للفرنسيين.



القائد عبد الله بن سعيد
عضو مجلس الأعيان

ولكن بجانب ذلك نشأت حركة فكرية من بعض الطبقات الواعية كانت تتابع التطورات التي تجري في المغرب عن كثب، وتحذر السلطة الشرعية من الوقوع في الفخ الأجنبي، ثم تطورت فصارت تطالب بإدخال اصلاحات جوهرية وتنظيم البلاد على أساس الشورى الحقيقية.وكان من جملة الداعين لهذه الاصلاحات الشيخ محمد الكتاني والسيد عبد الله بنسعيد. ثم تطورت الأحداث فقامت حركة تصحيحية صارت تطالب بعزل المولى عبد العزيز بدعوى أنه لا يستطيع فرض الأمن والأمان في البلاد، وبدعوى إدخاله إصلاحات لا تتلاءم مع مقتضيات الشريعة الاسلامية كقبوله أحداث بنك يتعامل بالربا، وطلبه القروض من الأجنبي، وقبول وجود شرطيين أجانب ببعض المراسي المغربية، إلى غير ذلك من الأسباب التي جعلت الكثيرين ينضمون للمطالبين بخلع المولى عبد العزيز ومبايعة المولى عبد الحفيظ مكانه. وهكذا وقعت ثورة بمراكش ضد المولى عبد العزيز وبويع مكانه المولى عبد الحفيظ، ثم أصدر بعض علماء فاس فتوى تتضمن وجوب خلع المولى عبد العزيز، أيدها جمهور الفاسيين، واتفقوا على مبايعة المولى عبد الحفيظ التي تعهد في البيعة التي بويع بها بتطبيق الشروط التي تضمن وحدة المغرب واستقلاله، ورفض الشروط التي فرضها مؤتمر الجزيرة. ولقد جاء من ضمن الشروط التي اشترطها المبايعون للمولى عبد الحفيظ : (1) رفع شروط مؤتمر الجزيرة الخضراء (2) إخراج الجيش المحتل من وجدة والدار البيضاء (3) إرجاع الأجزاء المغتصبة من المغرب

(7) مقال للأستاذ العروي عن مؤتمر الجزيرة، الجزء 4 ص 285 من مذكرات من الثرات المغربي.

(4) تطهير المغرب من الحمايات الأجنبية (5) عدم استشارة الأجانب في مصالح الأمة. (6) عدم إبرام أية اتفاقية مع الدول الأجنبية إلا بعد استشارة الأمة (7) الاعداد واتخاذ الوسائل للدفاع عن البلاد (8) اتباع سياسة تضمن الحكم بالعدل بين الناس (9) نشر العلم (10) انتخاب أهل الصلاح والمروءة للمناصب الدينية (11) كف العمال عن الدخول في الأحكام الشرعية (12) رفع أضرار المكوس المفروضة على الأمة.

لقد وقعت مبايعة المولى عبد الحفيظ بمراكش أولا بتاريخ 6 رجب 1325، 16 غشت 1907 أما مبايعة أهل فاس فقد تأخرت إلى فاتح ذي الحجة عام 1326، والسبب في هذا التأخير أن علماء فاس ومن سار في نهجهم من علماء المغرب كان رأيهم أولا أنه لا يجوز خلع الامام إلا بشروط كانت غير متوفرة، ولكنهم بعد ذلك تراجع الكثيرون منهم عن هذا الرأي، ورأوا أن مصلحة الأمة تقتضي مبايعة المولى عبد الحفيظ. ولقد علمنا أن الكثيرين من مفكري ذلك الوقت كانوا يطالبون بالاصلاح، ولكنهم لم يكونوا مقتنعين بضرورة خلع المولى عبد العزيز، ولذلك كان الرأي مختلفا في المغرب، فالبعض بقي متشبثا بالمولى عبد العزيز والبعض سارع إلى مبايعة عبد الحفيظ، ولكن لم تمض إلا أشهر معدودات حتى استقر الأمر للمولى عبد الحفيظ.

ان الاطلاع على نص البيعة الحفيظية يدل على أنه كانت توجد بالمغرب نخبة واعية من الأمة، كانت تتتبع الأحداث العالمية في الشرق والغرب، وتعبر عن المطامح التي يطمح إليها المخلصون من مقاومة للتدخلات الأجنبية وتطبيق الاصلاحات الضرورية التي تتطلبها نهضة البلاد وتقدمها وضمان سير العدل فيها، وذلك بإقامة نظام شورى تساهم بمقتضاه الأمة في تسيير شؤون بلادها. ونلاحظ أثناء تصفحنا لبعض المستندات التاريخية بعض الأسماء اللامعة التي كانت في ذلك العهد تعمل جاهدة على الحفاظ على استقلال المغرب والدفاع عن وحدة ترابه فزيادة على مجلس الأعيان الذي كان يتألف من خمسين عضوا من مختلف الطبقات : علماء واشرافا وأعيانا، عرفنا من بينهم من مدينة «سلا» العلامة السيد عبد الله بن خضراء قاضي الجماعة بفاس والشريف مولاي أحمد الصابونجي، والشريف سيدي احمد الطالبي وكان خليفة لباشا «سلا» والسيد عبد الله بنسعيد في بعض الفترات، كما كان هذا المجلس يضم نخبة من اعلام بعض المدن المغربية الأخرى



مولاي أحمد الصابونجي أحد أعضاء مجلس الأعيان في عهد المولى عبد العزيز

كفاس ومكناس والرباط وطنجة، ومن جملة الذين كانوا من فاس الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي وقفنا على رسالة موجهة إليه من طرف القائد عبد الله بنسعيد السلوي العضو في دار النيابة بطنجة والذي يحذره فيها باعتباره عضوا في مجلس الأعيان من المكائد التي يدبرها الفرنسيون والمطالب التي يودون ان يتقدموا بها إلى المولى عبد العزيز وهي رسالة تفيض اخلاصا وشعورا بالمسؤولية، وغيرة وطنية.

بالاضافة إلى أعضاء مجلس الأعيان المذكور، كانت هناك نخبة من الرجال الوطنيين يتحرقون غيرة على بلادهم وحبا لوطنهم فكانوا يقدمون المذكرات ويكتبون الرسائل ولربما كانوا يحررون المقالات في الصحف التي كانت تصدر إذذاك في طنجة أو في مصر، ولقد تحدث المرحوم علال الفاسي عن بعض هؤلاء الرجال في محاضرته القيمة التي ألقاها يوم 15 نونبر 1968 بعنوان : (حفريات عن الحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية) ثم طبعها ووزعها بعد ذلك، ومن جملة هذه المذكرات، مذكرة الوطني الغيور الحاج علي زنيبر السلوي الذي عاش مدة طويلة بالقاهرة، وكان يبعث منها برسائل ومذكرات إلى المولى عبد العزيز، ولقد كان اطلعني المرحوم الأخ الحاج بوبكر الصبيحي على نص المذكرة أو مشروع الدستور الذي تقدم به خاله الحاج علي زنيبر إلى المولى عبد العزيز، وفيه يقترح (1) انتخاب لجنة من الأعيان العارفين لاعداد وسائل الاصلاح (2) الحفاظ على اللغة العربية وتعليم اللغات الأجنبية (3) تنظيم الشرطة وتوحيدها (4) مراجعة مشكلة الضرائب واصلاح نظامها (5). مراقبة الثغور (7) منع الوصايات والحمايات الأجنبية (8) نشر التعليم بجميع أنواعه (9) تطوير الفلاحة (10) صيانة وحدة البلاد والدفاع عنها (11) اصلاح مرافق الحكومة (12) إنشاء بنك للدولة (13) الاحتياط من الخونة الخ. وللحاج علي زنيبر هذا قصيدة في موضوع الاصلاحات أسماها الاشارة في تحسين الادارة.

كما توجد ضمن (الحفريات) مذكرة أخرى لكاتب مجهول، تتحدث عن تمثيل الأمة بتأليف مجلس وطني يشارك فيه أشخاص من كل القبائل المغربية وتكوين مجلس مصغر يكون بجانب السلطان. وهذان المجلسان يرجع إليهما في جميع القضايا العامة ومنها إبرام المعاهدات الدولية، وإعداد الميزانية ومراقبة الأمناء والقضاة وأعوان السلطة إلى غير ذلك من المهام.

لقد كانت إذذاك تصدر بطنجة جريدة تسمى «لسان المغرب» وقد نشرت ضمن صفحاتها مشروع دستور من الأهمية بمكان وهو يشتمل على ثلاث وتسعين مادة ومقسم إلى عدة أقسام قسم يتحدث عن الدولة والدين والسلطان وقسم يتحدث عن المواطنين وحقوقهم وواجباتهم وقسم يتحدث عن منتدى الشورى ومجلس الأمة ومجلس الشرفاء وقسم يتحدث عن مشكل الحمايات الأجنبية وقسم عن التعليم وتأسيس المدارس، وقسم يتحدث عن اختصاصات منتدى الشورى وان رأيه فوق كل رأي، وله المراقبة على كل شؤون الدولة.

إن الاطلاع على البيعة الحفيظية والمذكرات والمشاريع التي كان يتقدم بها بعض المثقفين المخلصين ومشروع الدستور المنشور في لسان المغرب وبعض محاضر جلسات مجلس الأعيان كل ذلك يدل على أنه كانت ببلادنا نخبة مفكرة وطنية، ربما لم تكن لها من الامكانيات والتنظيمات ما يعطيها قيمة حركة وطنية منظمة، ولكنها على كل حال كانت موجودة وتقوم بواجباتها في دائرة إمكانياتها.

لقد حاول المولى عبد العزيز ادخال بعض الاصلاحات الادارية والمالية، ولكن بعض الانتهازيين المسيطرين كانوا يعاكسون في تطبيقها، فمن ذلك أنه أراد ادخال اصلاحات ضرائبية، والاطلاع على ثروات الأغنياء الذي ستفرض عليهم هذه الضرائب فلم يستطع ذلك، فلقد كان القواد والاشراف ورؤساء الجيش يتمتعون ببعض الامتيازات فأراد أن يزيل تلك الامتيازات، ولكنه فشل، أراد أن يفرض ضريبة الترتيب على البهائم، فأفتى العلماء بعدم جوازها، وهكذا أينما توجه إلا ويجد المعارضة أحيانا من المواطنين، وأحيانا أخرى من بعض الدول الأجنبية كفرنسا وانجلترا اللتين كانتا تمانعان في فرض الضرائب بحجة أن ذلك مخالف لمعاهدة مدريد.

كان في حكومة المولى عبد العزيز تياران متباينان متطاحنان، احدهما يريد الاصلاح، ويعمل له والآخر يرفضه ولا يقبله،٠وكان بعض هؤلاء، اتجاهه مع الانجليز مثل المنبهي، وزير الحرب، وبعضهم اتجاهه فرنسي مثل ابن سليمان، وكان التنافس بين الطرفين حادا أحيانا وهذا من جملة الأسباب التي لم تدع مجالا لإدخال أي اصلاح، ويزيد في حدة الخلاف ما كان يقوم به الضباط الأجانب الذي كانوا يدربون الجيش المغربي من تلاعب ومكر وخداع.

لقد مانعت فرنسا في ادخال أي إصلاح لا يأتي عن طريقها وبواسطتها، ووقف ديلكاسي موقفا واضحا صريحا في موضوع الاصلاحات، معطيا تعاليمه بأن ادخال أية اصلاحات كمد السكة الحديدية أو خطوط تلغرافية أو عقد قروض أو غير ذلك لا يمكن أن يقبل إلا إذا كان من فرنسا وفرنسا وحدها. ولقد قدم «تاياندييه» تحذيرا شديداً للسلطان فيما يتعلق بموضوع الاصلاحات قائلا : (ان موقف فرنسا إزاء المغرب ليس كموقف الدول الأخرى فلها حدُودها المباشرة والممتدة على مسافات واسعة مع المغرب كما أن ممتلكات فرنسا تحيط بالمغرب، وينتج عن هذا مصالح مشتركة وحقوق وواجبات متبادلة، تعطي طابعا خاصا للعلاقات بين المغرب وفرنسا، ذلك لأن كل ما يهدد سلامة الجزائر يهدد المغرب، وكل ما يهدد استقلال المغرب التام، يهدد الجزائر). ثم قال (ان تدخل الأجانب في شؤون المغرب يجبر فرنسا على اتخاذ قرارات خطيرة)(8).

---

(8) المسألة المغربية لمحمد خير فارس ص 125—126.

بعد عزل المولى عبدالعزيز وتنصيب المولى عبد الحفيظ حاول آن يعمل على تطبيق الاصلاحات التي تتطلبها مصلحة المغرب، وكان يدرك كل الادراك انه لم يبايع مكان أخيه إلّا لتطبيق الاصلاحات المفروضة عليه في البيعة، ولكنه وجد نفسه أمام بحر لجي من المشاكل لم تزدها الأيام إلا تفاحشا سواء منها المشاكل الداخلية كفقدان الأمن وثورات القبائل، والمشاكل التي يخلقها ويغذيها رجال الاستعمار الفرنسي والاسباني، فالثورة قائمة في كثير من أنحاء البلاد مثل ثورة طوابير الجيش المغربي التي قتلت الضباط الفرنسيين بفاس وثورة قبائل ناحية فاس وبني بزناسن ومثل تدخل الجيش الفرنسي لاخماد المقاومة المغربية في بعض النواحي ؛ وزاد الأمر خطورة عندما قررت فرنسا فرض حمايتها على المغرب، فلقد أسرع ممثلو فرنسا يستغلون الوضع الخطير في المغرب ويؤكدون للسلطان عبد الحفيظ انه لا أمل في الاصلاح، ولا طريق للعلاج، إلا بالموافقة على تكليف فرنسا وحدها بالحفاظ على الأمن، وإدخال الاصلاحات الضرورية على البلاد، وهكذا وجد السلطان عبد الحفيظ نفسه أمام نارين : نار الاستعماريين يريدون التدخل السافر في شؤون بلاده، ونار الفتن والقلاقل التي اشتعلت في المغرب، وجاءت أحداث فاس لتستغلها فرنسا خير استغلال، وتآمر قواتها بالتدخل بدعوى تأمين سلامة الأوروبيين، ضاغطة على عبد الحفيظ ان يوافق على تدخلها لا لتأمين سلامة الأوربيين فحسب، ولكن (لتوطيد السلم في هذه المناطق والقضاء على أسباب الاضطراب والشغب)[9]. وتطورت الأحوال بعد ذلك تطورات خطيرة، أصبح معها السلطان عبد الحفيظ يَعتبر أن عرشه أصبح في خطر، وانه لم يبايع كسلطان للمغرب ليكون سلطان الحماية الفرنسية، ولكنه بويع للدفاع عن حوزة البلاد واستقلالها ووحدتها. ولقد جاء في بعض الوثائق الفرنسية السرية أن عبد الحفيظ صرح للفرنسيين قائلا : (انني سلطان الاستقلال، ولا يمكن أن أكون سلطان الحماية، وانني أفضل التخلي عن الملك على التسليم لكم، الأمر الذي يصيرني في حكم التاريخ مسؤولا عن إدخال فرنسا إلى بلادي) ولم يات يوم 30 مارس 1912 حتى كانت الحماية الفرنسية مفروضة على المغرب، وكان عبد الحفيظ موقعا عليها.

معاهدة الحماية الفرنسية

لقد أعطت معاهدة الحماية لفرنسا الحق في التصرف في بعض أجزاء التراب المغربي حيث تقول المادة الأولى : (ويوافق السلطان منذ الآن على قيام فرنسا باحتلال أي جزء من المغرب تراه ضروريا للمحافظة على النظام وسلامة المعاملات التجارية بعد اخطار السلطان، وان تقوم كذلك بأعمال البوليس في البر وفي المياه المغربية) ولكن هذا كله لم ينفع أمام الغضب الشعبي ضد الوجود الأجنبي، كما زاد عبد الحفيظ اقتناعا بأنه لا يستطيع أن يوقف التيارات

---

(9) من نداء الجنرال موانيي.

المتباينة التي تهاجمه سواء من الفرنسيين أو ثوران القبائل.. ولذلك صار يفكر بجد في التنازل عن العرش معتقدا أن تهديده بالتنازل سيُربك السلطات الاستعمارية الفرنسية التي كانت لها مشاكل عويصة، ومصاعب متعددة مع بعض الدول الأجنبية، وأخيرا قرر «ليوطي» أن يوافق على تنازل عبد الحفيظ عن العرش لينصب مكانه السلطان مولاي يوسف، فتنازل عبد الحفيظ يوم 12 غشت 1912 بعدما مضى على توقيعه على معاهدة الحماية أقل من خمسة أشهر.

لقد كان المغرب يغلي لدى توقيع معاهدة الحماية وقبلها وبعدها، والقسم الأعظم من بلادنا في حالة ثورة عارمة ففي الجنوب كان هبة الله بن ماء العينين استولى على مراكش معتمدا على الرجال الزرق الذين كانوا يدافعون دفاع الأبطال، وفي تافيلالت قامت ثورة بزعامة السملالي، وفي فاس وناحيتها كانت الثورة مشتعلة، وفي بني يزناسن كانت معارك طاحنة دامت أكثر من ثلاث سنوات، وفي التسول والبرانس كانت المقاومة على أشدها وقدرت المعارك فيها بمائة معركة وكان قائدها المقاوم الحجامي، وفي الأطلس المتوسط الكبير كانت معارك ومقاومات بطولية، ولقد اجتمعت قبائل الأطلس بعد فرض الحماية وقررت القتال والاستبسال والدفاع وتحالفت مع بعضها وتبادلت البرنوس على عادتها علامة على التضامن والالتئام والجهاد بالاضافة إلى معارك تادلة وزعير وملوية وكرسيف وبني مكيلد وبني مطير وقصبة تادلة والقصيبة وبني وراين وتارودانت ومرموشة بالاضافة إلى معارك الشاوية قبل ذلك وبالاضافة إلى معارك جبل صغرو وآيت عطا وآيت بوفلمان وايت حمو، وايت يوسي ومرموشة والبرانس وآزيلال وتالسينت والريش وقصر السوق والقصابي وبوذنيب والريصاني، ومقاومة الريف الخالدة بزعامة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ان معارك الهرى بالأطلس المتوسط ونقطة تازة السوداء وسيدي بوعثمان وجبل بوكافر وأنوال ستبقى خالدة في تاريخ المقاومة المغربية.

وان الأبطال الذين قاموا أمثال البطل بن عبد الكريم وابّا سلّام وسيدي رحو وموحى وحمو الزياني وموحى وسعيد والمقاوم عسو والهيبة ماء العينين ومحمد نفروتن وبلقاسم النكادي بالريساني والشريف امزيان الذي كان يقاوم الغزو الاسباني والريسوني وغيرهم ستبقى أسماؤهم خالدة في أذهان كل مغربي معتز بمغربيته فخور بابطاله المجاهدين الذين استبسلوا في الدفاع عن حوزة الوطن ووحدته واستقلاله.

لقد قاوم المغاربة الاستعمار الفرنسي والاسباني مقاومة الأبطال ورغما عن تعدد المعارك واختلاف مواقعها، وتنوع الجنرالات الفرنسيين والاسبانيين وكثرتهم وخبرتهم، فإن المقاومين المغاربة انتصروا عليهم في غير ما معركة من المعارك.

لقد دفعت فرنسا برجالاتها العسكريين للاستيلاء على المغرب، أمثال «ليوطي» و«مانجان» و«جيرو» و«هوري» و«هولي» و«أليكس» و«أبيرة» و«دوري» و«كورو»

و«بويميرو» و«تيفني» و«بومكترين» و«كيوم» وغيرهم للاستيلاء على المغرب، وتوطيد الأمن فيه حسب دعواهم، ودفعت اسبانيا برجالاتها العسكريين أمثال «سيلفستري» و«فرنكو» و«ميلان استراي» و«داماسو بيرانكور» و«بريمودي ريبيرا»، فكان أبطالنا يواجهونهم بإيمان وقوة وشجاعة واستبسال دفاعا عن بلادهم ومقدساتهم. ان المغاربة لم يستسلموا للغزاة، ولم يرضوا بالاستعمار، ولم يثقوا بوعود الاستعماريين الذين كانوا يدعون أنهم أتوا لحماية المغرب وإصلاحه، وانما كانوا يعتبرونهم كما هو الواقع أتوا مستغلين مستعمرين محاربين. ولقد قال «بيير باران» الفرنسي الذي كان مستوطنا بالمغرب (ان الفرنسيين جاؤوا البلاد فاتحين وأنهم دخلوها بحد السيف، وان أي ادعاء آخر إنما هو مجرد خداع) ولقد كتب أحد الجنرالات الاستعماريين وكان مقيما عاما بالمغرب وهو الذي تحمل مسؤولية الاعتداء على العرش المغربي في شخص الملك المنعم سيدي محمد الخامس وأعني به الجنرال كيوم، كتب في كتابه عن العمليات العسكرية في المغرب مايلي : (ان الشعور المهيمن على البربري والذي تضمحل أمامه سائر المشاعر الأخرى، هو غرامه الفطري بالاستقلال، وهذه الكراهية الغريزية المتمكنة من النفس، المُتغلغلة في أعماقها لكل قهر واعنات، ولكل سيطرة وتسلط، تفسر المقاومة المتناهية اليائسة التي عارضت وصارعت كل تدخل وتوغل أجنبي، ومع أن البربري شديد التمسك بممتلكاته، فإنه لا يتردد مع هذا في التضحية بها كاملة في هذه المعركة، فكل واحد يدافع عن أرضه إلى النهاية القصوى بضراوة واستبسال يثيران الاندهاش، ولكن مع هذا يرغم على الاعجاب، ويجبر على الاكبار، وبمجرد ما يبلغ البربري سن حمل السلاح، فإنه يشارك في المعركة، واستهانته بالموت تثير فيه روح العزة والكرامة، فهو دائما متأهب للدفاع عن تراب قبيلته والاندفاع للهجوم تلبية لنداء إخوانه، فهو محارب لا يضاهي وأحسن مقاتل بلا نزاع في الشمال الافريقي).

لقد كان المغرب في حالة عجز مالي، وضعف اقتصادي، وحالة اجتماعية مرتبكة، واخلال مشين بالأمن العام، وزاد في ضعفه ماكان عليه من ديون قضت على ميزانيته وافرغتها وكانت القبائل تتملص من دفع الضرائب المفروضة عليها، والمتمردون أمثال «بوحمارة» يزيدون في اثارة المشاكل ونشر الفوضى، والتنطع ضد السلطة الشرعية، الأمر الذي أتاح للفرنسيين ومعهم الاسبانيون أن يضغطوا على السلطان حتى يقبل الاصلاحات التي يودون القيام بها لصالحهم بالضبط، وزاد في تعنت الفرنسيين موقف انجلترا التي تخلت عن معاكستها لفرنسا وصرحت بأنه لا يمكن لها أن تمانعها من اتخاذ الوسائل للمحافظة على النظام والأمن والهدوء، وأمَّا اسبانيا فقد اغتنمت الظروف السيئة بدورها وصارت تحتل بعض المواقع وتطالب بالموافقة على الامتيازات التي منحها لها الرُّوكي (بوحمارة) وزادت فصارت تطالب بإقامة بعثة تبشيرية تنشر الدين المسيحي في الأوساط المغربية الاسلامية.

فاجعة فرض الحماية على المغرب



السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي فرضت عليه معاهدة الحماية ليوم 30 مارس 1912

كان فرض الحماية على المغرب يوم 30 مارس 1912م (11 ربيع 1330هـ) نكبة اليمة، وفاجعة كبرى لم يتحملها المغاربة رغم ضعفهم، فبرزت حركة مقاومة في الجبال والسهول، وكانت ثورة مدينة «فاس» من أعظم ثورات المدن التي برهنت بالاضافة إلى ثورات الجبال على أن المغاربة لم يرضوا الخضوع والخنوع للأجنبي مهما كانت ظروفهم قاسية، وأحوالهم غير مستقرة، وإذا كان بعض أحرار الفرنسيين القليلين وقفوا ضد الحماية على المغرب أمثال «جان جوريس» حيث صرح من أعلى مجلس النواب قائلا : (ان عقد الحماية أو عقد المغامرة والخيانة كان سببا في ظهور حركة المقاومة والاحتجاج خفقت لها قلوب المغاربة أجمعين) فإن بقية الفرنسيين مدنيين وعسكريين كانوا مقررين القضاء على استقلال المغرب وفرض السيطرة عليه، وإخضاعه للابتزاز والاستغلال مهما كانت النتائج، ولقد كون البرلمان الفرنسي لجنة اسماها : «لجنة المغرب» وترأسها شخص استعماري يدعى : (أوجين ايتيان) (Eugene Etienne) وألقى هذا الخبيث خطابا قال فيه : (انظروا هناك قريبا منكم، انه المغرب، أرض الخير التي تسقيها أمطار البركة القادمة من المحيط ومن المتوسط، انه من أروع مجالات العمل، هناك مناجم الفوسفاط والحديد، وهناك الحقول لزراعة القمح، وهناك أشجار الزيتون، هناك يمكن إنتاج القطن ليباع لمعاملنا في مدينة (روبي) إلى آخر ما جاء في خطابه المذكور، لقد كان هذا الخبيث يعتبر أن المقياس الوحيد الذي ينبغي اعتماده في كل مشروع استعماري هو ما قد ينتج عنه من الفائدة لفرنسا، فرنسا وحدها لا غيرها.

اما المقيم العام الفرنسي الماكر (ليوطي) الذي كان يعتبر نفسه الفاتح للمغرب، فلقد وضع خطة جهنمية للاستيلاء وتثبيت أركان الحماية، مستعملا دهاءه وذكاءه في تسيير شؤون المغرب بطريقة لا تثير له المشاكل في تحقيق أهدافه الاستعمارية قائلا حسبما جاء في بعض

رسائله : (نمارس الحماية لا الادارة المباشرة، ينبغي أن لا نطمس الأطر القديمة بل نستعملها، وألا نقاوم أعضاء المخزن، بل نسخرهم في إدارة البلاد، ينبغي أن ننطلق من كوننا أقلية قليلة في هذه البلاد، فلا نفكر في أن نحل محلهم، ولا يتعدى عملنا المراقبة والارشاد، ولا نغض من تقاليدهم أبدا، ولا نبدل عاداتهم، ولنؤمن بأن في كل مجتمع طبقة حاكمة خلقت لتحكم، وطبقة محكومة، فلا يستغنى عن الأولى، وينبغي أن نسعى في أن تؤمن بمصالحنا، ولنسخر هذه الفئة الحاكمة لأنها قوة، ولا نزعجها، فإننا نملك زمامها، ولنقتنع بذلك، ولنكرمها، على سبيل السياسة ـــ ان لم يكن عن اقتناع).وهكذا نرى من خلال هذا النص أن ليوطي كان له مذهب خاص في تطبيق الحماية ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب، انه ينصح دوائره السياسية ان لا تسير في طريق الحكم المباشر، لا لأنه يمجه ولا يقبله، ولكن لأنه بريد أن يستعمر المغرب عن طريق المغاربة أنفسهم، فيسخرهم ويستعملهم لمصلحة فرنسا، ويجعل منهم أداة طيعة في أيدي الفرنسيين، وينمي في الطبقة الحاكمة منهم أمثال القواد الكبار حب السيطرة والشعور بأنهم لم يخلقوا إلا ليحكموا، وان بقية الشعب لم تخلق الا لتسمع وتطيع، وهكذا كانت السياسة المتبعة في المغرب أيام الحماية تعطي للقواد الكبار والباشوات والقواد والشيوخ من النفوذ ما جعلهم اداء طيعة في يد إدارة الأمور الأهلية الفرنسية، يأتمرون بأمرها، ويطبقون تعاليمها، دون مراجعة أو تساؤل أو استفسار. لقد ادعى «ليوطي» انه بتوجيهاته لا يطبق الحكم المباشر في المغرب، ولكن السياسة التي سارت عليها الحماية طوال فترة الحماية، كانت كلها حكما مباشرا مغلفاً أحيانا وواضحا أحيانا أخرى.

لقد اعترفت معاهدة الجزيرة الخضراء، بأن المغرب دولة مستقلة ذات سيادة، ولكن عقد الحماية (1912) جاء فانتزع ذلك الاستقلال انتزاعا، حيث أصبحت فرنسا وإسبانيا هما صاحبتي الأمر والنهي، فلا يطبق أي إصلاح في المغرب إلا إذا رأت الحكومتان الفرنسية والاسبانية ضرورة تطبيقه، سواء كان هذا الاصلاح في الميدان الاداري أو القضائي أو الاقتصادي أو التعليمي أو العسكري، وينص عقد الحماية الفرنسية على هذا القول : (ان فرنسا وحدها هي التي ترى تطبيق الاصلاحات في الميادين الادارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية) فليس للسلطة الشرعية المغربية تطبيق أي اصلاح بل ليس لها حتى اقتراح الاصلاح، ولكن عليها فقط أن تطبق أو تسن المشاريع الاصلاحية التي تقترحها السلطات الفرنسية، فهل هذا ينطبق على ما قاله «ليوطي» من الابتعاد عن الحكم المباشر ؟ (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) لقد طبقوا في المغرب الحكم المباشر . وأصبح الموظفون المغاربة ـــ مع الأسف الشديد ـــ أدوات طيعة في أيديهم فأصبحت الادارة المغربية تحت قبضة مراقبين فرنسيين وتحت قبضة ولاة عسكريين في كثير من المناطق المغربية، والكل في قبضة المقيم الفرنسي العام الذي هو (المؤتمن على جميع سلطات الجمهورية الفرنسية

بالمغرب) حسبما جاء في إحدى المذكرات المقيمية. ومع مرور الأيام والأعوام صارت الادارة الاستعمارية تجلب من فرنسا موظفين ومعمرين وأصحاب رؤوس الأموال، وصارت تستغل الاستغلال الفاحش الثروات المعدنية والمائية والفلاحية، وتؤسس الشركات، التي قبضت بيد من حديد على ثروات البلاد وخططت سياسة فلاحية أصبحت معها تنزع الأراضي الفلاحية الخصبة من أيدي أربابها وتستخدم ملاكها الأصليين كأجراء لخدمتها، واضطر الكثيرون منهم إلى الهجرة إلى المدن بحثا عن الشغل والسكنى في بيوت القزدير، وقد روى المهندس المكلف بتنسيق المدن (ميشيل ايكوشار) ان ثلثي سكان البلاد مضطرون ان يعيشوا في أكواخ قذرة. واتجهت السياسة الاستعمارية إلى تقسيم المغرب إلى مغرب نافع ومغرب غير نافع، وإلى زرع الفكرة العنصرية وتغذيتها وخلق التطاحن بين القبائل، وقالوا ان بالمغرب جهات، دعوها بجهات «السيبة» وهي الجهات التي رفضت الاستعمار وقاومته فجيشوا لها الجيوش للقضاء عليها، وتوطيد أمنهم فيها. وفي المجال العدلي والقضائي اتجهت الادارة الاستعمارية إلى تركيز وتقوية المحاكم الفرنسية واضعاف وإهمال المحاكم المغربية، فكانت تنفق على الأولى بغير حساب، بينما كان الاهمال المشين للمحاكم والعدلية المغربية، لقد كان القواد والقضاة المغاربة يحكمون بأبواب دورهم، وقد يكترون محاكم صغرى يؤدون واجب كرائها من مالهم أو من المداخيل القليلة التي يتقاضونها من المدعين، وكان المساجين المغاربة يسجنون مع البهائم في الأروية (إروى) وأحيانا في المطامير، ولم يكن هناك فصل للسلطات، فالقائد هو الحاكم المطلق مهما كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكثيرا ما كان بعض القواد من قدماء المتطوعين في الجيش الفرنسي، أما التعليم والتثقيف فهو خاص بأبناء الفرنسيين وأبناء الجالية اليهودية فبعد مرور ربع قرن لم يكن بالمغرب جميعه سوى ثانويتين اثنتين : واحدة بالرباط والأخرى بفاس ثم أضيفت إليهما مدرسة آزرو التي خصصت لأبناء المناطق الأمازيغية، وحرم فيها التعليم بالعربية التحريم الكامل، والمدارس الثانوية الثلاثة المذكورة لا تهيئ للبكالوريا، ولا يفتح أمام المتخرجين باب التعليم العالي أبدا، وحتى الذين استطاعوا أوائل الثلاثينات أن يتخطوا التعليم الثانوي إلى العالي كانوا شبه مهربين إلى فرنسا وكان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. وأكبر الكبائر التي خطط لها «ليوطي» ونفذها «لوسيان سان» هو اصدار ظهير 16 ماي 1930 المتعلق بتقسيم المغاربة إلى برابرة وعرب، وتطبيق سياسة خاصة على البرابرة، سواء في المجال اللغوي أو الاداري أو القضائي وحتى الديني حيث غزى المغرب جيش من المبشرين المسيحيين كانوا يتنقلون في المناطق التي كانوا يسمونها بالمناطق ذات الاعراف البربرية، مبشرين بالديانة المسيحية (حسب زعمهم) والديانة المسيحية الحقيقية منهم براء، ومحاولين إدخال إخواننا فيها وإخراجهم من ديانتهم الاسلامية، الأمر الذي نشأ عنه رد فعل قوي، سواء في المناطق البربرية أو المناطق العربية، فكانت حركة «اللطيف» المشهورة التي عقدنا لها فصلا خاصا في كتابنا هذا.

إن فرض الحماية على المغرب أثار المغاربة في السهول والجبال، فكانت المقاومة المسلحة في مختلف أنحاء المغرب وبرز أبطال مقاومون أشرنا إلى بعضهم في هذا المدخل ودامت المقاومة المسلحة أزيد من عشرين سنة، (من سنة 1912 إلى سنة 1934) ثم أعقبتها المقاومة السياسية المنظمة التي ابتدأت سنة 1930 ودامت هي بدورها أزيد من عشرين سنة (من سنة 1930 إلى سنة 1953) ثم أعقبتها المقاومة المسلحة أيضا التي ابتدأت بمقاومة فردية (علال بن عبد الله) واستمرت كمقاومة منظمة نشأ عنها جيش التحرير المغربي الذي فرض الاعتراف باستقلال المغرب ورجوع بطل التحرير محمد الخامس رحمه الله إلى عرشه.



صورة تاريخية مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ببيته بالقاهرة أخذت عام 1957.

ويظهر في وسط الصورة البطل محمد بن عبد الكريم وعلى جانبه الأيمن الأستاذ محمد المنوني والأستاذ أبو بكر القادري وشقيق الزعيم الريفي سي مَحمد ثم الأستاذ المرحوم عبد الله كنون وعلى جانبه الأيسر المرحوم محمد إبراهيم الكتاني والأستاذ المرحوم مَحمد بنونة.

الانتفاضة الشعبية
ضد
ظهير 16 ماي 1930



المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل
من المقاومين للظهير البربري

إننا بمقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب عناصر الشعب المغربي وتوحيده نريد محاربة مبدأ التجزئة المكيافيلي الذي ينشره بتفنن ممثلو فرنسا الحربيون والدينيون، نريد أن نمنع خلق كتلتين ذاتي ثقافتين ومصالح متناقضة خلقا اصطناعيا نريد أن نكفل حرية الضمير والتفكير للمواطنين جميعا بكيفية جدية.

عن مجلة «مغرب» بالفرنسية

عمر بن عبد الجليل

التمهيد للظهير البربري

بعد احتلال المغرب سنة 1912، صار رجال الادارة الاستعمارية الفرنسية، يضعون التخطيطات، للقضاء على الشخصية المغربية العربية الاسلامية، ولادماجه في شخصية جديدة تدين بالولاء للوجود الفرنسي، وتتنكر مع الأيام لوجودها الحضاري العربي الاسلامي، وتصبح مع مرور الأيام جزءا من فرنسا (ما وراء البحار).

وهكذا اتجهت السياسة الاستعمارية من جملة ما اتجهت إليه، إلى تقسيم البلاد على نفسها، وتجزئتها طرائق قدداً وعملت على بذر بذور الفرقة بين أبناء الشعب المغربي، الذي سجل تاريخه العربي الاسلامي طوال الأحقاب، وحدته المتماسكة، وعقيدته الموحدة.

لقد كانت تهدف إلى إخراجه من عقيدته الاسلامية السمحة، وإبدالها بعقيدة صليبية مسيحية، ولقد تعاونت في محاولتها هذه مع رجال الكنيسة الذين عملوا يدا في يد مع

السلطات الاستعمارية لاخراج الأغلبية الساحقة من سكان المغرب الأصلاء (البربر) من عقيدتهم الاسلامية ليستبدلوا بها عقيدة الصليب، مستعملين أساليب في منتهى المكر، لتحقيق غاياتهم الدنيئة، ومتبعين النصائح التي أبداها لهم مخططو السياسة البربرية، بأن يعملوا جهدهم، وكل الوسائل التي بين أيديهم، ليبقى الانسان المغربي بعيدا عن كل تطور، محافظا على جموده، مرتبطا بإطاره المحلي الضيق، أي أن يبقى محافظا على مستواه الفكري الجامد، مصونا من كل تطور وتقدم، حتى يسهل جلبه إلى ما يريدونه له دون عناء. وان الرسالة التي كتبها المقيم العام الفرنسي الماريشال «ليوطي» إلى الكولونيل (هانري سيمون) تعبر بوضوح عن هذا التخطيط، فلقد جاء في هذه الرسالة مايلي :

(يجب أن نأخذ بعزم وحكمة، المغربي ولاسيما البربري تدريجيا دون أن نخرجه من إطاره)[1].

ظهير 11 شتنبر 1914 المتعلق بحفاظ البربر على أعرافهم

وطبقا لهذا المخطط، كان من أول ما قامت به السياسة الفرنسية إصدار ظهير سلطاني مؤرخ بحادي عشر شتنبر 1914 أي بعد عامين من فرض الحماية على المغرب يقرر للقبائل البربرية بأن (تحكم وتنظم طبق قوانينها،وأعرافها الخاصة، تحت مراقبة السلطان) أي أن المغاربة الموجودين في المناطق التي يدعونها بالمناطق البربرية تطبق عليهم قوانين خاصة بهم وغير خاضعة للقوانين الشرعية التي تطبق في بقية المناطق المغربية، وبتعبير أوضح، ان هذا الظهير هدف إلى إيجاد فروق بين الشعب المغربي عربه وبربره، سواء في القضاء أو في غيره. يقول الظهير المشار إليه :

نظرا إلى أن قبائل جديدة تنضم يوما فيوما إلى الامبراطورية المغربية بفضل الأمن والسلام، ونظرا إلى أن هذه القبائل من الجنس البربري لها قوانين وعادات خاصة تستعمل عندها منذ القدم، ولها بها تعلق شديد، ونظرا إلى أنه يلزم لخير رعايانا ولطمأنينة ايالتنا السعيدة، رعاية الحالة العرفية التي تدير هذه القبائل أصدر جلالة السلطان أمره بماياتي :

الفصل الأول : قبائل العرف البربري تكون محكومة ومنظمة طبق قوانينها وأعرافها الخاصة، تحت مراقبة السلطان، وتبقى محكومة ومنظمة كذلك.

الفصل الثاني : تصدر قرارات من وزيرنا الأكبر بالاتفاق مع الكاتب العام للحكومة الشريفة (فرنسي) تعين شيئا فشيئا وحسب الحاجة : أولا : القبائل التي تدخل في دائرة العرف البربري، ثانيا : نصوص القوانين والتنظيمات التي تطبق على قبائل العرف البربري.

---

(1) عن مغرب الغد لمارتي ص 218.

الفرنسي «ريبو» يشرح أهداف الظهير

ولتوضيح الهدف من هذا العمل صرح المسيو (ريبو) الذي علق على ذلك الظهير فقال : (ان ظهير 11 شتنبر 1914) ذو أهمية عظمى لأنه وضع مبدأ عدم إسلام القبائل البربرية[2]. فالغاية من ذلك الظهير واضحة تمام الوضوح حسب تفسير مسيو (ريبو) المخطط للظهير البربري الصادر سنة 1930 وهذه الغاية هي إخراج البربر من حظيرة الاسلام، وإبعادهم عقائديا عن بقية إخوانهم سكان الحواضر، ثم استدراجهم إلى عقيدة الصليب حسب ما يشرح ذلك السيد (دوجيرك دولاسال) كما جاء في مجلة تاريخ البعثات[3] حيث يقول : (سنترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية، كما أثرت من قبل في نفوسنا من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة ورسمية، ولكن بإفساح المجال لها، وعدم تشجيع ما يعاكسها، وهذا ما يسهل بغير شك، تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الاسلام في افريقيتنا الشمالية، لفائدة حضارتنا وجنسنا).

الهدف الأساسي للسياسة البربرية الاستعمارية

إن الهدف الأساسي للسياسة الاستعمارية البربرية هو محو الحضارة العربية الاسلامية، وتفكيك عرى الأخوة بين المغاربة، سكان الحواضر وسكان البوادي أي بين العرب والبربر وتسهيل الطريق لنشر المسيحية بين السكان، وضم افريقيا الشمالية جميعها لحظيرة الجنس الآرى والحضارة الفرنسية، حتى تصبح مقاطعة فرنسية، خاضعة تمام الخضوع للنظام والتقاليد والديانة واللغة الفرنسية.

وفي هذا النطاق أصدر المسيو «جيرو» أحد المكلفين من حكومة الحماية الفرنسية بإصلاح القضاء الاسلامي في المغرب قرارا قال فيه : (ان البرابرة لم يعتنقوا الاسلام أبدا، وانهم لا يزالون منذ القدم، مسيحيين إلى اليوم، لم يعتنقوا دينا غير الدين المسيحي)[4].

وفي سنة 1915، وسيرا مع الخطة التي وضعها الفرنسيون لفرنسة المغرب أصْدَر الماريشال ليوطي قرارا بتشكيل لجنة، دعيت (بلجنة الأبحاث البربرية) وذلك تحت رئاسة الكاتب العام للحماية الفرنسية، وعضوية المديرين الفنيين الفرنسيين، والمختصين في السياسة الأهلية، وتهدف هذه اللجنة إلى دراسة الوسائل التي من شأنها أن تنظم القبائل البربرية تنظيما يتفق والمصالح الفرنسية، وتسجل مناقشاتها وقراراتها ومداولاتها باللغة الفرنسية التي تعتبر هي

---

(2) عن بحث حول السياسة البربرية لعلال الفاسي ص 4.

(3) مجلة تاريخ البعثات، السنة الرابعة العدد 3 (عن بحث علال الفاسي المشار إليه).

(4) عن : (فرنسا وسياستها البربرية في المغرب) للشيخ المكي الناصري ص 4.

اللغة الرسمية لها، وقبل ذلك بسنتين أي في سنة 1913، أنشأت الحماية الفرنسية مدرسة عليا أطلقت عليها اسم : (مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية).

وفي هذا الاتجاه ألقى ميشوبلير Michaux Bellairë (وهو من أساطين واضعي السياسة البربرية وأستاذ في معهد الدراسات واللهجات البربرية وكان يتكلم بالبربرية ويشرف على مكتبة هامة كانت توجد بإحدى الدور الكبرى بمدينة «سلا» التي كان يسكنها وتدعى هذه الدار بدار البزاز قرب المسجد الأعظم) محاضرة بالمعهد المذكور تحت عنوان : (السوسيولوجية المغربية) دعا فيها إلى الاستفادة من التجربة الجزائرية وتطبيقها في المغرب، وخلاصة هذه التجربة[5] ان الجزائر عرفت استمرار وجود مجموعة من المؤسسات والأعراف السابقة على مجيء الاسلام، وذلك في الأوساط القبائلية، تلك الأعراف استطاعت أن تقاوم الغزو العربي أولا، ثم الهيمنة التركية ثانيا، وفي الوقت ذاته أمكنها أن تظل محتفظة بتلك الأعراف وأن تعتنق الاسلام، والذي يدُل عليه هذا الأمر ؟ يجيب «بلير» عن تساؤله معلنا بأن الاسلام لم يكن عند هؤلاء الأقوام إلا بمثابة غلاف سطحي وقشرة خارجية، بل هو يذهب أبعد من ذلك عندما يقرر بأن الأمر في المغرب سيكون أكثر أهمية وأقل عناء، لأن هناك بونا شاسعا بين المغرب الرسمي والمغرب الحقيقي، فأما الأول فهو كما يعبر عنه الاسلام، ويمكن القيام فيه بنوع من السوسيولوجيا الاسلامية، واما الثاني «الحقيقي» فقد ظل محتفظا بكل الطقوس والعادات التي كانت سائدة قبل قدوم العرب، ودخول الاسلام إلى المغرب، وهذا النوع يمكن أن يمارس فيه السوسيولوجيا المغربية.

لقد فكرت الادارة الفرنسية في مشاريع تنصير المغاربة وهي لازالت لم تحتل المغرب، ولقد أرادت بعد فرض حمايتها على المغرب أن تسلك نفس الأساليب التي سلكتها في الجزائر حيث أنها عملت على إصدار قوانين تخرج (القبائل) البربرية الجزائرية عن أحكام الشريعة الاسلامية، الأمر الذي دعا رجال القبائل بأنفسهم إلى القيام بثورة ضد المخططات الاستعمارية، وذلك تحت زعامة سيدي المقراني، ورغما عن رفض الجزائريين لتلك المخططات، فإنها أرادت أن تطبقها في المغرب، لأن المخططين كانوا مومنين بأن المغاربة إذا ما بقوا متشبثين بإسلامهم، فإن جميع المخططات الفرنسية ستفشل، ويبقى المغاربة شعبا واحدا مسلما عربيا.

فلتتجه السياسة الفرنسية توا إلى العقيدة الاسلامية لتمحوها من الوجود، ولتعوض بالعقيدة المسيحية التي تعتبر العقيدة الطبيعية حسب زعمهم ــ لِلإنسان البربري، يقول الأب (آنج كولير) في كتابه : (البحث عن روح البربري المراكشي) : (لابد من قوة دينية أخرى، لابد من

---

(5) نقلا عن بحث الأستاذ السعيد بنسعيد نشر في كتاب النهضة والتراكم ص 111.

شرارة إلهية، وشعلة غير طبعية، لمحو الذيانة الطبعية البربرية، ان اليهودية والاسلام، رفضا قبول روحانية المسيح، ولذلك فلن يستطيعا أن يمنحا البربري هذه الشعلة السماوية، ان الاسلام ديانة وضعها الانسان، أما المسيحية فهي من صنع الله، وعلى ذلك فإن المسيحية وحدها قادرة على أن ترفع الفرد والجماعة والأسرة البربرية للاسهام في الحياة الربانية التي جاء بها يسوع نفسه مرسلا من عند الأب، لنشر روح الحقيقة والعدالة والصداقة والسعادة لبني الانسان)[6].

ومما يجب أن يسجل أن هذا الاتجاه الصليبي الذي اتجهته السياسة الاستعمارية لم يكتف بتطبيق مقرراته على القبائل التي يدعونها بربرية بل أراد أن يطبق ذلك مع القبائل المستعربة والتي تخضع في أحكامها جميعها إلى القضاء الشرعي الاسلامي، ففي سنة 1924، وضعت الادارة الاستعمارية مشروعا يتعلق بتنظيم الحكم العرفي في سوس واعترض الحاكم الفرنسي الذي كان موجودا بمنطقة سوس قائلا : ان هذه القبائل مسلمة، متعمقة في الاسلام، وان ما تحتفظ به إلى اليوم من عوائدها، إنما يتعلق بالقضايا الجنائية اما فيما عدا ذلك، فهذه القبائل كلها تلجأ إلى القضاة الشرعيين، وإلى القانون الاسلامي[7].

السلطان مولاي يوسف يعارض المخططات الاستعمارية

لقد عارض جلالة السلطان المولى يوسف هذه السياسة البربرية عندما أعلن رفضه للمشروع الذي تقدم به الماريشال «ليوطي» والمتعلق بتنظيم البيوعات العقارية في الأقاليم البربرية وقال لوزيره الأول : (كل قبيلة دخلت في طاعة الدولة المغربية يجب أن تكون خاضعة للشرع الاسلامي، كباقي أطراف المملكة الشريفة) ولكن التلاعب والدهاء الاستعماريين جعلا الأمور لا تسير في النهج الذي كان يريده، فلقد بقيت السلطات الاستعمارية متحفزة لتطبيق سياستها البربرية، سواء في عهد «اليوطي» أو «ستيغ» وبقي المولى يوسف متحفظا كل التحفظ من تطبيق تلك السياسة، وفي ذلك يقول «ريبو» متحدثا عن رسالة كتبها مستشار الحكومة (فرنسي) ويقول فيها بالحرف : (ان السلطان بصفته رئيسا روحيا لدين سماوي، لا يمكنه أن يصدر نصّاً رسميا، ولا حكما قاطعا يهدم القانون الاسلامي، ويطعن نفوذه الخاص كإمام حام للقانون الديني، وان هذه المسألة في نظره مسألة امتياز شخصي أمام أعين رعاياه، ومسألة عاطفة دينية مرتبط بها تمام الارتباط، لا يقبل فيها معارضة ولا تساهلا)[8].

---

(6) كتاب «بحث عن روح البربري المراكشي» ص 44 نقلا عن بحث علال الفاسي حول السياسة البربرية في المغرب الأقصى.

(7) فرنسا وسياستها البربرية للناصري ص 19.

(8) «ريبو» في كتابه الجماعات القضائية البربرية عن كتاب السياسة البربرية للشيخ المكي الناصري.

ومع كل ما ذكر، فلابد للسياسة الاستعمارية أن تمضي في خطتها لاخراج البرابر المغاربة من حظيرة الاسلام، ففرنسا لم تأت إلى المغرب لتتركه في ليل الاسلام ـــ كما عبر عن ذلك المقيم الفرنسي (لوسيان سان) ولكنها أتت لتمدنه وتحضره وتخرجه من تخلفه، بإخراجه من عقيدة الاسلام ومن الأحكام والتشريعات الاسلامية، ولتجعل منه بلدا متحضرا يدين بعقيدة المتحضرين أي الصليبيين، وفي انتظار الوصول إلى ذلك، يجب أن يخضع للأعراف الجاهلية التي ستقنن وتضبط ويعمل على إحياء ما اندثر منها، لتسير بعد ذلك في طريق المسيحية التي يعمل رهبانها على تركيز وجودهم وتشييد كنائسهم، وتنظيم تبشيرهم، ومساعدة ومؤازرة الفاتحين الاستعماريين.

لقد كتبت مجلة «مراكش الكاثوليكية» تقول : «ان الماريشال (ليوطي) يعرف مراكش جيدا، ويعرف وسائل التغلغل اللائقة بالمنطقة البربرية، فهو حينما وضع لهذه القبائل نظاما خاصا، قد وحد بين العرب والبربر في التعلق بحكم واحد هو فرنسا، وحينما نفذ رغبة الاسقفية في الرباط فجعلها تحت إدارة أسقف فرانسيسكي يعاونه مجموعة من الأخوان، وسمح لها بإنشاء مدارس خاصة ـــ عبر عن يقينه في النفوذ الهائل الذي يستطيع الحصول عليه هؤلاء المرابطون المسيحيون في أوساط المسلمين، لاسيما في اليوم الذي ينجحون فيه، بجعل المراكشيين يقبلون ما هو روح الحضارة الفرنسية أي النصرانية»[9].

الغاية التي كان يعمل لها «ليوطي»

إنَّ الغاية التي كان يعمل لها «ليوطي» ومن تبعه ومن كان يساعده من الاستعماريين ورجال الكنيسة، هي قبول الحضارة الفرنسية أي الخروج من الاسلام، واعتناق النصرانية، وإذا كان الوصول إلى ذلك لا يمكن أن يتحقق دفعة واحدة، فالسياسة تقتضي زحزحتهم عن العقيدة الاسلامية ببعث عوائد وتقاليد وأعراف جاهلية، وإنشاء محاكم تخضع لتلك الأعراف بمساعدة فنيين استعماريين واستعمال اللغة الفرنسية التي هي لغة المتحضرين، وإبعاد اللغة العربية التي هي لغة ظلام الاسلام الدامس !!!

وحول إبعاد اللغة العربية باعتبارها لغة الاسلام كتب بول مارتي «Paul Marty» وكان مديرا للتعليم بالمغرب وعضوا هاما من أعضاء واضعي السياسة البربرية، يقول : منذ نهاية سنة 1914 يعني مع بداية عمل التهدئة في الجبال، كان للحماية الفرنسية تصور واضح أشد الوضوح بسياستها البربرية، تصور استقلال ذاتي حقوقي، وتقاليد اجتماعية تقضي على كل اسلام، وتبعد كل تعريب، ثم يقول : ان اللغة العربية عامل اسلام، لأن هذه اللغة تتعلم في

(9) مجلة (ماروك كاثوليك) عدد نونبر 1933 عن بحث الأستاذ علال المذكور.

القرآن، والحال أن مصلحتنا تملي علينا أن نجعل تطور البربر يتم خارج الاسلام. ويقول منظر آخر من المنظرين الاستعماريين الفرنسيين هو (فكتور بيكي) «Victor Piquet»: فالبديل هو أن نفرغ كل مجهوداتنا في تعليم البرابرة اللغة الفرنسية بلا واسطة لغة أخرى... وبالجملة، فإنه يمكننا حفظ الحضارة الخاصة بالبرابرة في ثلاث نقط :

أولا : الادارة العامة.

ثانيا : القانون.

ثالثا : اللغة.

ومعنى هذا أن المخطط يهدف إلى إخراج البربر من حظيرة الادارة المغربية أي من نفوذ جلالة الملك، وإخراجهم من حوزة القوانين الاسلامية والحكم الشرعي الاسلامي، وإبعاد اللغة العربية التي هي لغة الاسلام والقرآن عنهم، وبذلك يصبحون تابعين لفرنسا في إدارتهم وقوانينهم وتحاكمهم ولغتهم، بعيدين كل البعد عن هويتهم الوطنية وأنسيتهم المغربية، ودينهم الاسلامي.

«ليوطي» يكون لجنة لدراسة مخطط تطبيق سياسته

إنه مخطط رهيب لابد أن يلقي بعد أن يفتضح مقاومة من البرابرة أنفسهم، ولذلك فإن الماريشال ليوطي وهو من هو في دهائه وفكره عمل على تأسيس لجنة تحت رئاسته، عهد إليها بالبحث عن وسيلة ناجعة لتحقيق الأهداف التي تسعى لها السياسة الفرنسية لفصل البربر عن العرب، سواء من الناحية القضائية أو غيرها، ولقد جاء في محضر من محاضر جلسات هذه اللجنة المنعقدة بتاريخ ثامن أكتوبر 1924 مايلي : (يجب تحديد ما يلزم من إجراءات واختصاصات لتكوين الجماعة القضائية في القبائل ذات العرف البربري، ولا يضيرنا إذا ما حطمنا الوحدة القضائية المتبعة في المنطقة الفرنسية من المغرب، لأن الغرض هو تقوية العنصر البربري لدور التوازن الذي يمكن أن تدعو الحاجة إليه، فلاشك أن هناك فائدة سياسية في تحطيم المرآة)(10).

ظهير 16 مايو 1930

لقد كانت السياسة البربرية المتبعة والمخطط لها، غائبة عن أعين الكثيرين، حتى جاء ظهير 16 ماي 1930 ليفضحها.

---

(10) عن مقال للأستاذ محمد اليزيدي نشر في مجلة «مغرب» عدد يونيه 1933 وترجمه الأستاذ علال في بحثه.

اكتشاف محضر جلسات واضعي مشروع 16 ماي 1930

ومن الأمانة والاعتراف بالجميل لأهله أن أسجل هنا وبهذه المناسبة أنه خلال سنة 1932 اتصل بي الأخ المرحوم السيد محمد حصار، ومكنني من وثيقة في منتهى الخطورة والأهمية، وهي عبارة عن محضر كامل للجلسات التي كانت تعقدها اللجنة الموكل إليها وضع مخطط فصل البربر عن العرب، والمناقشات التي كانت تجري في هذه الجلسات، والآراء التي كانت تطرح، ولقد كنت غامرت إذذاك مغامرة شبابية، فبعثت بها تحت مسؤوليتي وعن طريق البريد المضمون إلى أخي المرحوم السعيد حجي الذي كان إذذاك بدمشق يتابع دراسته، ثم بعث هو بدوره إلى إخواننا بباريس، حيث كان اكتشافها فضيحة للمخطط الجهنمي الفرنسي الذي يتآمر على وحدة شعبنا وتقسيمه وإخراجه عن عقيدته ووحدته والرمي به في أعراف جاهلية، ومحاكم ما أنزل الله بها من سلطان. وهي روح التقرير المشار إليه وفي ضوئه صدر ظهير 16 ماي 1930 الذي أطلق عليه «الظهير البربري».

هدف الاستعماريين حكم المغرب حكماً مباشراً

ان الأهداف الحقيقية التي كان يعمل لها أساطين السياسة الاستعمارية هي حكم المغرب حكما مباشرا وإدماجه في العائلة الفرنسية، وفصله نهائيا عن الشرع الاسلامي والعقيدة الاسلامية والمجموعة الاسلامية، فهذا الرائد الاستعماري المعروف «Thomassi» «توماسي» أكد فيما كتبه منذ أوائل القرن التاسع عشر، أنه لابد من صراع مع المغرب ومع الاسلام، إلى أن ينقاد المغاربة لما تريده منهم فرنسا ثم يقول : انه لمن قبيل الخيال فعلا الاعتقاد بأن الاسلام لن يحرك ساكنا إلى أن يلفظ أنفاسه كما يطيب لنا، دون أن يخوض معركته الأخيرة، وحيث أن المغرب يعد ذرعه الخلفي في افريقيا، واحد جيوشه الاحتياطية، فعلينا أن نستعد للحروب الحاسمة التي ربما يكون هذا البلد مسرحا لها ذات يوم، وستكون فرنسا مدعوة لا محالة، لتمثل فيه المسيحية ولتحارب كبطل للحضارة ثم يقول : على فرنسا أن تبادر إلى التعرف على ساحة المعركة، حيث تنتظرها مصائر تزداد مجدا، كلما كانت أقل دموية، وانتصارات تزداد رسوخا كلما نيلت بأسلحة أكثر سلمية، ثم يقول : ان العلم هو أحد الأسلحة، وأول سلاح ينبغي توظيفه، لأنه هو الذي سيعمل على تعبيد الأرضية التي يتعين الزحف عليها[11].

«الرهيب» دوفوكو كان جاسوساً لفرنسا

ولا يمكننا أن نغفل دور الراهب (الرهيب) (دوفوكو) «de foucould» الذي كان حسب

---

(11) راجع بحث الأستاذ عياش حول التاريخ والاستعمار ص 12 و13.

اعترافه يصلي ويعمل ليهب المغرب للمسيح ولفرنسا المسيحية، والذي عمل جاسوسا لفرنسا في المغرب طوال أربعين سنة متجولا في مدن المغرب وقراه متنكرا في صفة يهودي والذي ألف كتابا أسماه «Reconnaissance au Maroc».

لقد بدأوا أولا بتأسيس محاكم فرنسية محضة، حلت محل ما كان يسمى بالمحاكم القنصلية تم اتجهوا إلى ما يسمونه بالاصلاح والذي كان يهدف إلى تجريد المحاكم الشرعية الاسلامية من كثير من اختصاصاتها خصوصا في القضايا العقارية التي تعتبر عماد الحياة الاقتصادية والتي دفعهم إلى الاهتمام بها بصفة خاصة تسلط المعمرين الفرنسيين على أراضي المغاربة الفلاحين وانتزاعها منهم بوسيلة أو أخرى.

قانون العرف البربري

ثم ابتكروا ما أسموه بقانون العرف البربري، ومن الغريب أن هذا العرف الذي اهتموا به، وأرادوا له البعث والنشور، هو الذي وجدوه في مناطق قليلة جدا من المغرب، توالت عليها النكبات والفتن، حتى افتقد فيها العلماء والمصلحون والقضاة الفقهاء، فصار الناس يستفتون الجهال والمسيطرين، ونظموا جماعات يرجعون إليها في خصامهم ونزاعاتهم، أما بقية أطراف المغرب من المناطق البربرية نفسها فقد كانت تتحاكم إلى الشريعة الاسلامية بشهادة الفرنسيين أنفسهم، فهذا الخصم العنيد للاسلام والمسمى روبيرمونتين، يقول في كتابه الذي نال به شهادة الدكتوراه، والذي جعل اسمه (البرابرة والمخزن) : (انه منذ عصور طويلة أصبح العرف البربري، يراض على الاتفاق مع قواعد القانون الاسلامي، وفي هذا الوطن الذي ولد فيه كثير من مصلحي الاسلام وعلمائه وفقهائه، لم يزل نفوذ المبادئ الشرعية وتأثيرها متتابعا متعاقبا، حتى خرج من القانون العرفي جميع ما يخالف القرآن، وأصبح العرف محدودا في قمع الجنايات والجرائم وتنظيم الحياة السياسية للقبائل، وقد ظل الجزء الشرعي ينمو بدون انقطاع، وامتد على الأحوال الشخصية والقضايا العقارية، ومجموعات القوانين العرفية لقبائل سوس وقبائل سلسلة الأطلس الجنوبية، ليس فيها شيء يتعارض مع قواعد الشرع، ماعدا بعض صور الرهن، وبعض صور الدين)(12).

لقد كانت القوانين الاسلامية هي المطبقة في الأحكام في الأغلبية الساحقة من المناطق البربرية وغيرها، وكانت الأعراف القبلية نفسها تستمد من الفقه الاسلامي، وكان القضاة يحكمون بكثير من المناطق البربرية، حتى أتى الفرنسيون فقاموا بطردهم، وألغوا المحاكم الشرعية التي كانت موجودة بين ظهراني المغاربة البرابر، سواء في خنيفرة وبني مكيلد وزمور الشلح وآيت شخمان وآيت إسحاق وغير ذلك من القبائل.

---

(12) فرنسا والسياسة البربرية من وجهتها القضائية ص 61.

إن ما سموه بالقانون أو العرف البربري، إنما هو خديعة من الخدع الاستعمارية التي ابتكرها أساطين رجال الاستعمار وفي طليعتهم أستاذ فرنسي عرفناه أستاذا للحقوق العرفية البربرية، ومطلعا على الفقه الاسلامي ومفتيا قديرا في كل ما يتعلق بإخراج المغاربة عن عقيدتهم ومتتبعا نشيطا للسياسة الأهلية، وأعني به المسيو «جورج سردون» ذلك الرجل الذي عين رئيسا للعدلية البربرية والذي ترهبن في آخر حياته أواخر الثلاثينيات بعدما لعب أدوارا سياسية هامة مع الجنرال نوجيس عندما كانت الأزمة مشتدة بين الوطنيين المغاربة وبين الحماية الفرنسية ابتداء من سنة 1937.

لقد تحدث «سوردون» إلى طلبته سنة 1928 فقال : (يجب جمع العوائد البربرية، لا للمحافظة عليها وتخليدها، انها محكوم عليها بالاندثار أمام قانون أرقى منها، ولكن أولى لنا أن ندمجها في القانون الفرنسي من أن تدمج في الشرع الاسلامي، والواجب يقضي علينا أن لا نحفر بيننا وبين البرابرة هوّة لا تمتلئ، — يعني بإبقاء المحاكم الاسلامية المغربية — ففي المغرب قانونان : قانون إسلامي وقانون فرنسي، ومادامت الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد البربرية، فلنا الحق في اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد، ويجب على المخزن أن يكون مستعدا لأعطائنا الحرية التامة في تنظيم البلاد البربرية كما يطيب لنا وبالطريقة التي ترضينا، ولقد أصبح المغاربة لا يذكرون أصلهم القديم، وأضاعوا الذكرى بأنهم برابرة وتحقق لديهم انهم عرب، بل يوجد منهم من يتسمى باسم العروبة وأصبح كثير منهم ينتسب إلى النّبي العربي وقد اضمحلت العوائد العرفية أمام الشرع الاسلامي، فلماذا لا نصل نحن إلى نتيجة مثل هذه النتيجة (أي فرنسة المغاربة جنسا وقانونا) وإذا كانت العوائد العرفية لا مناص لها من الاضمحلال أمام شرع مدون، فلماذا لا تضمحل أمام شرعنا نحن الفرنسيين ؟ الا يمكن أن يتخذ البرابرة في يوم من الأيام نفس القوانين الفرنسية)[13].

إن مسيو «سردون» حريص كل الحرص على أن يبعد البرابر عن القانون الاسلامي ليدمجهم في القانون الفرنسي، وهو يطالب بأن تكون للفرنسيين الحرية التامة حتى ينظموا المناطق البربرية كما يريدون ووفق مصالحهم، وفي الوقت نفسه هو مستاء من انتساب البرابرة للارومة العربية وانحدار بعضهم من السلالة النبوية، فلابد من عمل لضم البرابرة إلى الحظيرة الفرنسية، ولابد من تطبيق القوانين الفرنسية عليهم، وواجب السلطان في نظر (سوردون) التخلي لفرنسا عن القبائل البربرية لأنها هي التي فتحت المناطق البربرية بقوة السلاح.

هذا ما كان يشغل فكر «سوردون» وأضرابه من المخططين للسياسة البربرية، وهذا ما مهد لمشروع ظهير 16 ماي 1930 المسمى بالظهير البربري. فما هو الظهير البربري ؟

---

(13) المصدر السابق ص 66.

نص الظهير البربري

الفصل الأول : ان المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية بايالتنا الشريفة، والتي ينظر فيها القواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة، يقع زجرها (فصلها) هناك من طرف رؤساء القبائل، وأما بقية المخالفات فينظر فيها ويقع زجرها، طبق ما هو مقرر في الفصلين : الرابع والسادس من ظهيرنا الشريف هذا.

الفصل الثاني : إنه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنساوية بايالتنا الشريفة، فإن الدعاوي المدنية أو التجارية والدعاوي المختصة بالعقارات والمنقولات، تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف بالمحاكم العرفية ابتدائيا أو نهائيا بحسب الحدود (المقدار) التي يجري تعيينها بقرار وزيري، كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث، وتطبق في كل الأحوال، العوائد المحلية.

الفصل الثالث : ان استيناف الأحكام الصادرة من طرف المحاكم العرفية يرفع أمام محاكم تعرف بالمحاكم العرفية الاستينافية، وذلك في جميع الأحوال التي يكون فيها الاستيناف مقبولا.

الفصل الرابع : ان المحاكم الاستينافية المشار إليها، تنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بقصد زجر المخالفات المشار إليها في الفقرة الثانية من الفصل الأول أعلاه، وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة.

الفصل الخامس : يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية أو استينافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرجع إليها أمره، ويجعل أيضا لكل واحدة من المحاكم المذكورة، كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق.

الفصل السادس : ان المحاكم الفرنساوية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها، لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية، ويجري العمل في هذه الأحوال بالظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت سنة 1913 المتعلق بالمرافعات الجنائية.

الفصل السابع : إن الدعوى المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسية، فتكون من اختصاصات المحاكم الفرنساوية المذكورة.

الفصل الثامن : إن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها، تعين بقرارات وزيرية متوالية تصدر بحسب الأحوال. ومهما تقتضيه المصلحة.

وحرر بالرباط في 17 ذي الحجة 1348 موافق 16 مايو سنة 1930 قد سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ 17 ذي الحجة 1348 موافق لـ 16 مايو 1930. محمد المقري

اطلع عليه وأذن بنشره في الرباط في 23 مايو سنة 1930 الكوميسير المقيم العام «لوسيان سان».

أهداف السياسة البربرية

حسب ما جاء في هذا الظهير (16 ماي 1930)

إن الملاحظة الأولى التي تثير الانتباه ان ظهير. 16 ماي 1930 يقسم المغاربة إلى قسمين : عرب وبربر، وان المحاكم التي تقوم بالمغرب تكون مختلفة. فللعرب أي سكان الحواضر محاكمهم، وللبرابرة أي سكان الجبال محاكمهم، والمخالفات التي يرتكبها البرابرة لا ترجع إلى المحاكم المختصة، وإنما ترجع إلى رؤساء القبائل الذين يحكمون بأعراف قديمة تختلف من منطقة إلى أخرى، وهكذا يقضي نهائيا على المحاكم الشرعية وحتى على المحاكم التي كانوا يعبرون عنها بالمحاكم المخزنية، وهذا فيما يتعلق بغير العقارات والمنقولات أما ما يتعلق بهذه فإنها ترجع إلى محاكم تؤسس وتسمى بالمحاكم العرفية التي تنظر وتحكم أيضا (في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الارث) حسب العوائد والأعراف لا حسب القواعد الشرعية الاسلامية، وهذا يعني أن الأغلبية الساحقة من المغاربة ستخرج عن النظام الاسلامي في أحكامها جيمعها حتى فيما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث وغير ذلك، وهذه المحاكم العرفية ابتدائية واستينافية لابد أن يحضرها مندوب فرنسي مفوض من طرف الحماية التي يرجع إليها الأمر، ويأتي الفصل السادس من الظهير ليعطي صلاحيات للمحاكم الفرنسية التي يصبح لها الحق وحدها والنظر (في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية) كما أن الدعاوي المتعلقة بالعقارات والتي تحكم فيها حسب هذا الظهير المحاكم العرفية — ترجع إلى المحاكم الفرنسية (إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم إلى المحاكم الفرنسية).

فالظهير يحيي أعرافا جاهلية في الارث وغيره، وينشئ محاكم عرفية ويعطي صلاحيات للمحاكم الفرنسية التي لا تحكم باسم جلالة الملك وانما تحكم باسم رئيس جمهورية فرنسا، وتصدر الأحكام باللغة الفرنسية ويقضي بمقتضاها على القانون الاسلامي. ولكي نزيد تعرفا على

هذه الأهداف التي وضع من أجلها الظهير البربري، لابد أن نرجع لما كتبه عنه المسؤولون الفرنسيون أنفسهم، فهذا مستشار الحكومة الشريفة الفرنسي كتب يحلل أهداف العرف البربري قائلا : (ان مبدأ استقلال العرف البربري ودوائر اختصاصه عن الشرع الاسلامي ودوائر اختصاصه مبدأ فيه أكبر مصلحة سياسية لفرنسا، وان ابعاد الشرع الاسلامي من جميع بلاد البربر بشكل نهائي مطلق، يسمح لنا في يوم قد يكون بعيدا شيئا ما، بإنشاء نظام معقول للعدلية البربرية في اتجاه فرنسي خالص) ويقول : «سوردون» : (ان المجتمع البربري قد فككنا نظامه باحتلالنا، وقد حان الوقت ليس لاتمام جمع العرف المتوسط، بل العرف كله موجود، ولكن ليس باللغة العربية، بل بالبربرية مباشرة، وليس لدى الجماعة، ولكن لدى المحكمين (اينحكا من) الذين وقع إلغاؤهم بتهور وبلا حذر) ويقول قبل ذلك : (يتحتم الآن الظفر بإجراء تشريعي جوهري أصبح لازماً لكل تقدم، فيجب أن يشتمل على تفويض السلطان للموظفين الفرنسيين تسيير الادارة في البلاد البربرية) ويزيد «سوردون» توضيحا لما يريد أن تطبقه الحماية الفرنسية بالمغرب فيقول : (من الضرورة الملحة معرفة القانون العرفي البربري، ليس من أجل الاحتفاظ به، حيث يجب أن يضمحل لزوما أمام قانون اسمي (أي الفرنسي) ولكن لمجرد أن نتوفر على معطيات مؤكدة حول العادات والمالوفات، وحول العقلية وبكلمة واحدة، حول نفسية البرابر، وكذلك للسماح لنا بعمل تحليلي جدي يمكننا من القبض على زمام تطور العرف، وأخيرا فإننا مقيدون صراحة بنص تشريعي، حيث أننا وعدنا البرابر بظهير 11 سبتمبر 1914 باحترام عوائدهم وأعرافهم، فمصلحتنا تتوافق في هذا مع واجبنا وزيادة... إلى أن يقول : يلزمنا أن نحصي العرف البربري، ليس من أجل تقنينه، فلا حاجة لنا بهذا، ولكن لنحتفظ به، كي لا يضمحل بامتصاص الشرع له إذ لنا مصلحة واضحة في عدم ترك الهوة المتعذرة العبور تحفر بين البرابر وبيننا في مجال قانون منزَّل، ذلك أن العرف أمام مدونة قانونية، مقضي عليه حتما بالاندثار، وفي المغرب يوجد قانونان مكتوبان : القانون الاسلامي من أصل منزل، والقانون الفرنسي، ويلوح لنا أنه من الأفضل أن نرى العرف ينمحي في القانون الفرنسي على أن ينمحي في الشرع، لأنه من جهة، يوجد بين الشرع وبيننا شقة غير قابلة للعبور، آتية من قانون منزل، لا يتحمل المصالحات والتنازلات، ومن جهة أخرى، فإن الأسلحة الفرنسية هي التي بسطت السلم في البلاد البربرية، وهذا الواقع يخولنا حق اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد).

فالمقصود الأول والأخير هو تقسيم المغاربة والقضاء على الشرع الاسلامي وبعث أعراف جاهلية كمرحلة لبسط الحكم بالقانون الفرنسي وإخراج المغاربة من نفوذ السلطان وإلحاقهم بفرنسا والقضاء على اللغة العربية وعلى الوجود العربي الاسلامي بالمناطق البربرية لادماجهم في العائلة الفرنسية دينا ولغة وأحكاما، وهذا ما دفعهم إلى إصدار ظهير 16 ماي 1930، ذلك الظهير الذي كان السبب في انتفاضة قوية قام بها الشباب المغربي ضدا على السياسة البربرية،

وفضحا لمراميها وأهدافها، واستحثاثا للعالم جميعه والعالم الاسلامي بصفة خاصة ان يقف مع المغرب ليحتفظ بوحدته وعقيدته ولغته، فكيف جاءت هذه الانتفاضة ؟ وكيف بدأت ؟ وما هي المراحل التي قطعتها ؟ وما هي المدن السباقة للاحتجاج ضد الظهير البربري ؟ وما هي الحركات التي قام بها الشباب الوطني في الداخل والخارج لاسماع صوت المغرب ؟ وما هي البلدان والأقطار التي تجاوبت مع المغرب ؟ ومن هم الرجال الافذاذ الذين رفعوا صوت المغرب أولا، مستنكرين ومُحتجين ؟ ذلك ما نعرض له ولو باختصار في الصفحات التالية :

المقاوم الأول للظهير البربري



المقاوم الأول للظهير البربري
الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي

كان أول من تنبه لخطر ظهير 16 ماي 1930 هو المرحوم الزعيم السيد عبد اللطيف الصبيحي[14] فلقد أتيح له أن يطلع عليه قبل صدوره في الجريدة الرسمية، نظرا لأنه كان موظفا بإدارة الأمور الشريفة وهي الادارة المعهود إليها ان تكون واسطة بين القصر الملكي والاقامة العامة الفرنسية.

وبمجرد أن اطلع عليه صار يعلن عن استنكاره له مع أصدقائه وإخوانه وأتباعه في الرباط وسلا، وفي طليعتهم أعضاء النادي الأدبي الاسلامي السلاوي، وبعد صدوره في الجريدة الرسمية جن جنونه، فصار يطوف على المجتمعات والأندية، شارحا أخطاره، موضحا أضراره، داعيا إلى مقاومته بكل الوسائل الممكنة.

كان الوقت صيفا، وكان شباب «سلا» يقصدون الشاطئ بقصد الاستحمام والراحة، خصوصا جماعة كانت منخرطة في سلك النادي الأدبي الاسلامي، وهي جمعية أدبية ثقافية كانت تقوم بنشاط ثقافي ومن جملة نشاطاتها الثقافية القيام بتمثيل روايات تاريخية ووطنية واجتماعية، وكان يترأس الفرقة التمثيلية الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي هذا الذي كان يعتبر بالاضافة إلى ترأسه للفرقة وعضويته في النادي من أبرز الشخصيات الشابة المثقفة بالثقافتين العربية والفرنسية.

---

(14) ازداد بسلا سنة 1897 وتوفي في مارس 1965. بعد دراسته العربية والقرآن صار يدرس الفرنسية فنال شهادة الدبلوم العربي ثم التحق بمدرسة اللغات الشرقية بباريس فحصل على دبلومها ودرس الحقوق بكلية الحقوق موظفا بقسم الأبحاث التشريعية والمستندات بإدارة الشؤون الشريفة، فعزل من وظيفه إثر قيامه بمناهضة الظهير البربري ونفي إلى مراكش ثم أزيلال ثم تزنيت.



الأستاذ السيد عبد الكريم حجي

التحق الأستاذ الصبيحي بجماعة الشباب في الشاطئ مرعدا مزبدا، غاضبا منتقدا، متسائلا وهو يوجه الخطاب إلى أصدقائه من الشباب ماذا ستقومون به لمناهضة هذا المخطط الجهنمي الذي تدبرهُ الادارة الفرنسية بإصدارها للظهير البربري المشؤوم ؟ وما هي الطريق التي ستنهجونها للاحتجاج ضده ؟ انه لا يجوز السكوت عن مخطط يريد أن يقسم المغاربة إلى شطرين، انه لا يجوز أن نبقى مكتوفي الأيدي أمام ما يهدد وحدتنا ومصيرنا ؟ واختلفت الآراء وتعددت الاقتراحات وكان من رأي عبد اللطيف أولا أن يلتقي بالشخصيات المغربية المعروفة في المغرب من كبار الموظفين والعلماء ليعرفها بالخطر الذي يتهدد المغرب وبالفعل سافر إلى بعض المدن واتصل بأبرز الشخصيات فيها داعيا إلى مقاومة ظهير 16 ماي 1930 وكان من رأي بعض إخوانه أن القضية لابد أن تأخذ صبغتها الحقيقية وتعرف المغاربة بأن هذا الظهير لا يرمي إلى هدف سياسي فحسب، ولكنه يرمي إلى هدف ديني فالاسلام أصبح مهددا ببلادنا، والمغاربة لا يقبلون أن يمس دينهم، وانفض الاجتماع التلقائي والجميع منشغل البال بما يجب أن يعمل لمناهضة هذا الظهير.

وفي اليوم الموالي، خطرت فكرة للأخ عبد الكريم حجي لم يلبث أن نفذها، ذلك أنه طاف على كتاتيب «سلا» طالبا من فقهائها أن يلجأوا إلى الله بطلب اسم الله اللطيف أن يرفع عنهم البلاء الذي نزل بهم بصدور ظهير 16 ماي، وان يلطف بهم وهكذا تعالت الأصوات في الكتاتيب القرآنية التي زارها عبد الكريم حجي مستغيثة بالله العظيم أن يلطف بالمسلمين فيما جرت به المقادير. قال عبد الكريم حجي[15] : وفي الغد عندما سمع مراقب سلا (الفرنسي المسمى كابريالي) بصدى اللطيف أرسل في طلب أحد فقهاء الكتاتيب وهو الفقيه السيد محمد بنسعيد فسأله عن سبب قراءة اللطيف، فأجابه أن أصغر أنجال السيد أحمد حجي دفع له ربع ريال، وطلب منه قراءة اللطيف على العادة الجاري بها العمل، وفي الحين أرسل المراقبُ في طلب أخي المرحوم «السعيد» حيث هو أصغرنا، صحبة والدي المرحوم، ولكنه عندما تبين له أنه ليس المسؤول عن ذلك كما صرح الفقيه نفسه، اعتذر لهما، وطلب منهما أن يبعثاني إليه، وفعلا ذهبت لزيارته، فوجدته جالسا في مكتبه، وإلى جانبه الترجمان، رغما عن كونه يعرف العربية معرفة جيدة، فقد أراد أن يخلق للموقف رهبة ليؤثر علي، ولكن لله



الفقيه محمد بن الحاج عمر بن سعيد

(15) انظر مقالا له في مجلة «دعوة الحق» العدد 232 في شهر يونبر 1983.

الحمد، كنت قوي الايمان بموقفي، ولاسيما بالتشجيع الذي غمرني به والدي المرحوم عندما أعلمني بطلب الحضور لدي المراقب. وعندما استقر بي المجلس، استدعى المراقب الفقيه بنسعيد، وسأله، هل أنا الذي طلبت منه ذلك، وعندما تحقق المراقب بأني صاحب الفكرة، هدد الفقيه وتوعده إنْ هو استمع لأقوال الأطفال مرة ثانية، ثم أذن له بالخروج، ووجه إلي سؤالا بواسطة الترجمان في شيء من الاستغراب، هل حصل شيء خطير كقحط أو زلزال يستلزم اللطيف الذي طلبت من الفقيه أن يقوم به ؟ ألا تدري ما وقع يا سعادة المراقب ؟ ان الأمر أكثر خطورة، ماذا وقع ؟ صدور الظهير البربري الذي يفرق بين سكان المغرب العرب والبربر، ويفصل البربر عن الشريعة الاسلامية إلى آخر الحديث الذي جرى بين المراقب المدني بسلا «كابريالي» وبين عبد الكريم حجي.

لقد أثارت قراءة اللطيف في الكتاتيب القرآنية، واستدعاء الفقيه بنسعيد من طرف المراقب المدني، واستنطاق عبد الكريم حجي، ردود فعل في أرجاء المدينة، فصار جميع السكان لا يتحدثون إلا عن موضوع الظهير البربري، وصار التفكير يتجه إلى قراءة اللطيف بالمساجد وانعقد اجتماع وتقرر أن يكون يوم الجمعة المقبل 20 يونيه موعدا لقراءة اسم الله اللطيف بالمسجد الأعظم، وحتى لا تفشل الفكرة تقرر أن تجتمع فئة من الشباب داخل المسجد ليرفعوا أصواتهم مجتمعين باسم الله اللطيف بعد تسليم الامام مباشرة، وفي الوقت نفسه تقرر اخبار إمام المسجد وخطيبه ليكون على بال وليشجع ويوافق ويشرع هو بدوره في قراءة اسم الله اللطيف بعد السلام، وتحمس الشباب للفكرة، وانطلقوا يبشرون لها، ويدعون لها، حتى ارتاعت المراقبة المدنية من عزم الشباب على ذكر اسم الله اللطيف في المسجد بعد صلاة الجمعة. فما كان منها إلا أن أمرت باشا المدينة باعتقال من كانت تظن انهم متزعمو الفكرة، وهكذا وقع استدعاء كل من : عبد الكريم حجي ـــ سعيد حجي ـــ محمد حصار ـــ محمد شماعو ـــ وعبد الكريم الصابونجي ـــ وعبد السلام عواد، ظنا من المراقب المدني أنه بتوقيفه لهؤلاء سيكون حاصر الفكرة وطوقها ولكن الله غالب على أمره، فما ان انتهى الخطيب من خطبته وصلاته وقال السلام عليكم، حتى ارتجت أركان المسجد بذكر اسم الله اللطيف. وهنا اترك الكلام لأخي المجاهد السيد محمد اليزيدي الذي حدثني بمنزله عن هذه اللحظات التي عاشها بجانب صديقه إذ ذاك المرحوم عبد اللطيف الصبيحي، قال اليزيدي : كنت مع عبد اللطيف وقت صلاة الجمعة بمقهى بالرباط، وكان مضطربا بعض الاضطراب ينتظر ماذا يقع، وما هي إلا لحظات، حتى نودي عليه أنَّ شخصا يطلبك بالهاتف[16] فقام وأخذ السماعة ثم رجع وعيناه تدمعان من الفرح وهو يقول : لقد نجحنا، لقد قرئ اللطيف بالمسجد الأعظم بسلا. كما أنني اطلعت على رسالة في مخلفات المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي تلقاها من

(16) هو المرحوم محمد حصار.



عبد السلام عواد



عبد الكريم الصابونجي



محمد حصار



سعيد حجي

أخينا اليزيدي المذكور بعد وفاة عبد اللطيف سنة 1965 يقول فيها : أن الفضل كل الفضل في حركة اللطيف بالعدوتين يرجع إليه بصفة أخص، لأنه اظهر حينذاك كل خصائل الزعيم الذي يقود جنوده إلى المعركة بكل إيمان وحزم، لا يثنيه شيء ولا توقفه عقبة، إلى آخر الرسالة[17]. أما الاخوة الموقوفون لدى الباشا فلقد أخذهم خليفته إلى مسجد سيدي أحمد حجي ليؤدوا صلاة الجمعة تحت مراقبة الخليفة وما أن أدوا الصلاة حتى غادروا باب المسجد حيث وجدوا المرحوم المكي السدراتي واقفا ينتظرهم ليخبرهم ان الفكرة نجحت وان اللطيف قرئ بالمسجد الأعظم، وما أن أتم كلامه معهم وكانت الأعين ترصده حتى ألقي عليه القبض ودخل السجن كأول سجين في سبيل الاحتجاج ضد الظهير البربري. لقد تشجع عبد اللطيف الصبيحي، وزاد من إصراره على المضي في طريق الدعوة لمقاومة الظهير البربري، فسافر إلى بعض المدن المغربية ليتصل بكبرائها ظانا أنه سيقنعهم بالتأثير على الفرنسيين كي يتراجعوا عن خطتهم وفي الوقت نفسه صار يشجع فكرة اللطيف ويقوي من معنوية الشباب، ويغشى المسجد مع إخوانه ليصلي ويطلب اللطيف.

وضاقت الادارة الفرنسية ذرعا بهذه الحركة، وقررت الانتقام من عبد اللطيف الصبيحي، فعقدت لجنة تأديبية بإدارة الأمور الشريفة لمحاكمته. قال المرحوم ج احمد بناني في كلمة ألقاها بمسرح محمد الخامس بعد وفاة عبد اللطيف الصبيحي أثناء الحفل التأبيني الذي أقيم له : لقد كنت بدوري موظفا بإدارة الأمور الشريفة، ولما كونت الادارة اللجنة التأديبية استدعتني باعتباري أصغر الأعضاء سنا إذذاك، لاكون المدافع عن عبد اللطيف في اللجنة، ورغما عن مطالبتي أن لا يصدر عليه حكم بالطرد، فلقد تقرر طرده من الوظيف، وبعد انفضاض الجلسة، ألتقيت مع عبد اللطيف، واخبرته بالقرار المؤسف، فقال : الآن تحررت من

(17) يُوجد أصل الرسالة في المكتبة الصبيحية داخل الملف الخاص بالحفل التابيني الذي أقيم لعبد اللطيف الصبيحي بعد وفاته.

كل عائق يعوقني عن أداء واجبي الوطني، وهكذا لم تمض إلا فترة وجيزة حتى نفته السلطة الفرنسية إلى مراكش بعدما وقع استنطاقه يوم الجمعة 11 يوليه 1930.

ولدى وجوده بمراكش وجه مذكرة إلى الجنرال حاكم ناحية مراكش (الفرنسي) قال فيها بالحرف :



المرحوم المكي السدراتي
أول سجين في القضية البربرية

مذكرة عبد اللطيف الصبيحي إلى الجنرال حاكم ناحية مراكش[18]

مذكرة مرفوعة إلى الجنرال حاكم ناحية مراكش في القضية التي من أجلها استنطقت يوم الجمعة 11 يوليه سنة 1930 وتقرر إيقافي بمقتضاها قبل أن يصدر علي الحكم. **(عبد اللطيف)**

(لم يسفر ـــ على ما أظن وأعتقد ـــ استنطاقي المشار إليه أعلاه، وما كان ليسفر عن شبهات يصح أن تعتبر كافية لتبرير الاجراءات التي اتخذت ضدي في هذه الظروف، وليس مروري بمراكش في الأسبوع الماضي وتحدثي مع بعض مواطني من قاطني هذه المدينة بكاف لاسلم إلى التحقيق، لذلك أرى أن الصواب كله في توسيع أفق هذه المرافعة كي لا تطمس الحقيقة، وإعطائي كل الضمانات التي يخولها لي القانون كي أدافع عن نفسي بكل حرية فكر وضمير، إذ ليست شخصيتي هي المعرضة في هذا الموقف، بل القضية التي أذود عنها كما يذود عنها ذوداً جميع المفكرين وأصحاب الرأي في هذه البلاد العزيزة هي التي ربما خرجت من هذه المرافعة دون أن تنبلج الحقيقة ويتجلى كل غموض، مع أن مصلحة الجميع تتطلب حتما أن لا يكون هناك سوء نية ولا أدنى عرقلة، حتى لا تكثر الظنون والأقاويل وعلى الأخص كي لا تتولد ـــ ان عاجلا أو آجلا ـــ حالة فكرية ووجدان شعبي يتوجس منه خيفة تكون للحكومة (ولو مباشرة) يَدٌ في تمهيدها.

والغاية عند الطبقة الراقية في هذه البلاد (وهي في هذه ترجمان الشعب الصادق) ان تعلم بكل دقة ووضوح، ما هو مصير هذا القطر ؟ وفي الحق توجد اليوم نعرة استعمارية ـــ الله يعلم مدى نياتها ـــ تعمل بحرارة متزايدة على بذر جراثيم الشقاق في أدمغة النشء الأوربي ـــ سواء منه وليد هذه البلاد أو المهاجر إليها، وبقدر ما تبذر هذه النعرة الاستعمارية من الجراثيم

(18) نشرت هذه المذكرة بجريدة «الفتح» المصرية ونقلها عنها الأستاذ بوعياد في كتابه القيم حول الظهير البربري، وكان الذي وجهها إلى جريدة «الفتح» مراسلها بالمغرب والمراسلة مؤرخة بـ 22 ربيع الثاني 1339هـ.

العدوانية، يعظم الخطب إذا ما قيس بالتربية الوطنية المحضة التي يتلقاها جيلنا المغربي الكامل وما استتبع من النابتة.

لذلك نتساءل في شيء من الذعر والشفقة ماذا عسى يؤمل دعاة الاستلحاق السياسي يوم يصطبغ هذا النشء الأوربي بنعرتهم الضارة، ويحيد عن مأموريته التي كان من المنتظر أن يؤهل لها حفظا للتوازن الاجتماعي في هذه البلاد ؟!!

لذلك نتساءل ماذا عسى يؤمل هؤلاء الدعاة النّعارون يوم يصبح هذا العنصر الأوربي من ألد خصمائنا ويقف في وجهنا وقفة المحق وقد تشرب تلك المبادئ التي يمكن تلخيصها في نقطتين اثنتين :

أولا : ان معنى الحماية كما كان يلقننا إياه المارشال ليوتي قد أصبح أسطورة لا يؤمن بها إلا فكر غبي.

ثانيا : ان اصطباغ هذه البلاد بالصبغة الافرنسية قد صار أمرا محسوسا، فمن اشنع الجنايات أن يشك في صيرورة هذه البلاد ترابا فرنسيا محضا، ولا يشك في هذه الحقيقة الناصعة الا مكابر.

وبإزاء هذه الاضلولة نجد أنفسنا نحن معاشر الاطالسة مرتاحين لما تضمنه الوفاق المنعقد بفاس بين حكومتي المغرب الأقصى والجمهورية الافرنسية، منطوقه ومفهومه وبقدر ما نحن مخلصون لهذا العهد نجد أنفسنا أقوياء بحق نحن الذين دفعتنا وطنيتنا الشماء وإيماننا الراسخ لأن نكون من أنفسنا حراسا روحيين على هذا الميثاق الذي نحن به مستمسكون، ويمين الله لا نترك يدا تندس إلى كياننا السياسي والاجتماعي ولو أدى بنا هذا القسم إلى التهلكة، وحسبنا برهانا ما نشاهده اليوم بين مختلف طبقات الشعب المغربي من الاستياء العميق.

وليسمح لي — أنا الذي تشربت المثل الأعلى الافرنسي — أن استيقن باسم هذا المثل الأعلى بأن سيفسح لي في القول حتى أمحص على ضوء المنطق المجرد الظهير المؤرخ بالسادس عشر من مايو سنة 1930م المتعلق بنظام المحاكم البربرية وأثبت في غير حيطة ولا تردد خطأه الجوهري وخطأ محدثه).

ويلاحظ أن المذكرة مكتوبة بأسلوب بليغ، وان الذي حررها مومن كل الايمان بقضية بلاده، وانه يدافع عن فكرة سامية لا يصوغ له التخلي عنها ولو أدى به الحال إلى التهلكة. ويؤكد تشبثه بعقد الحماية.

إنه يرفض الرفض القاطع إدماج المغرب في فرنسا رغم اعترافه بعقد الحماية ورغم تشربه كما قال بالمثل الأعلى الفرنسي ويعتبر ذلك من أكبر الجنايات. فالمغرب له شخصيته وذاتيته وكيانه، وهو مرتبط بفرنسا على أساس من عقد الحماية الذي يضمن له وجوده وشخصيته المستقلة.

إن الحماية ليست استعمارا وليست اندماجا وذلك ما كان يؤكده «ليوطي» نفسه الذي يعتبره عبد اللطيف ـــ حسبما يظهر ـــ صادقا في دعاواه، ولذلك فإن ظهير 16 ماي 1930 من أكبر الأخطاء التي ارتكبها واضعوه، ولذلك فإنه (لا يترك يدا تندس إلى الكيان السياسي والاجتماعي للمغرب).

لقد استعمل أسلوب السياسة والعقل والعاطفة في آن واحد، وهو يخاطب الجنرال الفرنسي، ولم يلجأ إلى السب والقذف واكتفى بإشعار المسؤولين الفرنسيين أن المستقبل سيكون مخيفا، والتعامل بين الأجيال الجديدة سيكون بعيدا إذا ما لم يقض على بذور النعرة الاستعمارية التي بدأت تظهر.

الاحتجاج على اعتقال عبد اللطيف الصبيحي

ويظهر أن هذه المذكرة كان لها أثرها في نفس الجنرال حاكم ناحية مراكش، فلم يَرَ بُدّاً من أن يجيبه عنها مخبرا بأنه سيجعلها ضمن ملف القضية البربرية.

بعد نفي عبد اللطيف إلى مراكش، استمرت قراءة اللطيف بسلا والرباط ووزعت الصدقات على المساكين بأبواب المساجد، وعقد اجتماع شارك فيه الأخ محمد اليزيدي وتقرر إرسال وفد إلى رئيس الأمور الأهلية مسيو بينازي يحتج على هذا الاعتقال، ويطالب بالافراج عن عبد اللطيف. ولقد كان الوفد متركبا زيادة على اليزيدي من : عبد الكريم حجي، ومحمد شماعو، وعبد الكريم الصابونجي، فاستقبلهم «بينازي» بمكتبه بالرباط يوم 17 يوليوز 1930 وأجرى معهم حديثا كان يقصد منه سبر أغوارهم فيما يتعلق بمشكل الظهير البربري من جهة، وتبرير الأعمال التي قامت بها حكومته الفرنسية من جهة أخرى، مؤكدا أن فرنسا تعتبر صديقة الاسلام (كذا) حبيبة للمسلمين، محافظة على التقاليد الاسلامية. ثم طلب منهم أن يوقفوا حركتهم الاحتجاجية ضد الظهير البربري إلى أن يرجع السلطان من سفره، وانه يعدهم بأن تدرس المسألة دراسة جديدة، ثم صار يطرق معهم بعض الأحاديث الجانبية، ملمحا إلى إطماعهم في الحصول على وظيف ان تراجعوا عن احتجاجهم اما ما يتعلق بموضوع عبد اللطيف الذي زاروه من أجله، فلقد أكد لهم أنه في قبضة الباشا الكلاوي وحاكم الناحية، وسيبقى هناك إلى أن تهدأ الحالة. وهكذا استؤنفت قراءة اللطيف في سلا والرباط، فكان الشباب الرباطي تحت رئاسة الأخ الأستاذ محمد اليزيدي يقصد بدوره المسجد الأعظم بسلا إعلانا للتضامن والتكاثف وكان الشباب السلوي يقصد المسجد الأعظم بالرباط لنفس الغاية والمشاركة في قراءة اسم الله اللطيف، ولقد ابتدع أحد الشباب صيغة لقراءة اللطيف بعد نفي عبد اللطيف كان هذا نصها :



الأستاذ محمد اليزيدي

اللهـــم يـاواســـع يالطيـــف، سرح لنا صديقنا عبد اللطيـــف

أما الصيغة التي كانت تستعمل في مختلف المدن بعد ذلك فهي :

اللهم يالطيف نسألك اللُّطف فيما جرت به المقادير

ولا تـفــرق بيـنــا وبيـــن إخـوانـنـــا الـبــرابـــر

اما قبل ذلك فكانت الصيغة هكذا :

يالطيف ـــ يالطيف ـــ يالطيف



ج بوبكر المالقي

لم يلبث الزعيم عبد اللطيف الصبيحي بمراكش إلا أسابيع ثم نقل إلى أزيلال ثم إلى مدينة تزنيت حيث بقي معتقلا ما يقرب من سنتين. كما ألقي القبض على الأخ المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري بعد إلقائه خطبا ببعض مساجد الرباط وبقي معتقلا بضعة أيام وخلال هذه الفترة ألقي القبض على صهر عبد اللطيف الصبيحي الوطني الغيور السيد الحاج بوبكر المالقي وزج به في سجن الرباط بتهمة تمرده على السلطة، ولقد وقف موقفا شجاعا ضد الحكم الذي حكمت به عليه الادارة، فأضرب عن الطعام مدة سبعة عشر يوما، وكان أول سجين سياسي يقف هذا الموقف المعبر عن احتجاجه ضد السلطات الاستعمارية ولقد دخل معه السجن من الرباط الأخ المعطي أبا خاي والأخ عبد اللطيف العتابي بتهمة دعوتهما إلى الاضراب وقراءة اسم الله اللطيف، ولقد نفي عبد اللطيف العتابي بعد ذلك إلى ميدلت كما أن السيد محمد اشماعو اعتقل بسجن الرباط مدة شهر ونصف لأنه كتب رسالة خطية إلى قاضي المدينة يوبخه فيها على عدم مشاركته المومنين قراءة اللطيف، ثم أبعد إلى ميسور ومهيرجة وبقي منفيا أزيد من سنتين حيث تأخر اطلاق سراحه عن بقية المنفيين، أما المرحوم الأستاذ أحمد الشرقاوي فإنه نقل من وظيفه بالرباط إلى مراكش عقابا له على ما قام به من نشاط وطني ومقاومته للسياسة البربرية وخلال شهر شتنبر أبعد الأخ محمد اليزيدي بدوره إلى قلعة السراغنة وبقي منفيا بها مدة سنتين تقريبا. كما سأتحدث عن ذلك لدى الحديث عن انتفاضة الرباط ضد الظهير البربري.

أم المغاربة تخطب في شباب العدوتين

في يوم السبت 19 يوليوز 1930 وبعد قراءة اسم الله اللطيف بالمسجد الأعظم بالرباط قصد الشباب الرباطي والسلوي منزل الزعيم عبد اللطيف الصبيحي الكائن بزنقة البليدة بمحروسة «سلا» قصد مواساة والدة عبد اللطيف وتثبيتها وبعدما استقر بهم المقام بالبيت المذكور، خرجت السيدة الوقورة من الغرفة التي كانت جالسة فيها، ووقفت أمام الشباب تحييهم وتسلم عليهم ثم قالت :

أبنائي !! إني والله لمسرورة جدا بجهادكم في سبيل الدّين والوطن، أعانكم الله وقواكم، وزاد في مددكم، واني لمغتبطة كذلك بمشاركة ابني عبد اللطيف في هذه الحركة، وتعاونه معكم، واحتجاجه ضد السياسة البربرية، وإبعاده من أجل أفكاره الوطنية، واني معكم مستعدة لأن أضحي بنفسي ومالي وأولادي في هذا السبيل.

أبنائي ! جاهدوا في سبيل الدين والوطن، فإن الله معكم ولا تخافوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، ان الموت في سبيل الدين والوطن، خير من الحياة في الذل والهوان.

لا تخافوا فإن الموت واحدة، وليس للمجاهدين إلا الجنة في الحياة الأخرى، واعلموا أن الله مع الصابرين، وهو الذي ينصر الحق بإيمانكم وتمسككم بالدين الحنيف.

لقد كان الشبان الرباطيون والسلويون منفعلين أشد الانفعال وهم ينصتون لهذه السيدة الفاضلة «عائشة بنت الحاج علي زنيبر»(19)، ووالدة الزعيم الصبيحي، واعتبروا صمودها وثباتها ووقوفها هذا الموقف الصلب في مثل هذه الظروف بداية عهد جديد لم يالفه المغاربة من قبل. فما سمعنا في العهود الأخيرة بامرأة تدعو إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الدين والوطن وما رأينا امرأة تخاطب الجمهور قائلة انها مستعدة ان تضحي بنفسها ومالها وأولادها في سبيل عزة الدين والوطن، انه عهد جديد فتحته هذه الانتفاضة ضد الظهير البربري وان مستقبل المغرب بحول الله مضمون مادام المغاربة رجالا ونساء، مستمسكين بحبل دينهم، مستعدين للتضحية في سبيل الدين والوطن، كما عبرت عن ذلك هذه السيدة الفاضلة التي أطلقوا عليها منذ تلك الساعة التي خاطبتهم فيها : «أم المغاربة» اقتداء بإخواننا المصريين الذين أطلقوا على امرأة

(19) الحاج علي زنيبر خال المرحوم عبد اللطيف الصبيحي قضى مدّة مديدة بمصر كتاجر أيام المولى عبد العزيز ثم رجع إلى المغرب أوائل الحماية وله عدة رسائل كتبها ناصحاً المولى عبد العزيز ومنها رسالة سماها (حفظ الاستقلال، ولفظ سيطرة الاحتلال). ورسالة أخرى أسماها (الاشارة في تحسين الادارة).

الزعيم المصري «سعد زغلول باشا» بعد نفيه من طرف السلطة الانجليزية، وبعدما استقبلت جمهور المتظاهرين وخطبت بدورها فيهم «أم المصريين». ان هذا الموقف الوطني الشريف الذي وقفته السيدة عائشة زنيبر بعد نفي ولدها، لا ينبغي أن يغفل من تاريخ الحركة الوطنية، ويمر عليه مر الكرام، إذ هو موقف شجاع يبرهن على أن المرأة المغربية لا ترضى بالدون، ولا تقبل الهوان، وإنها مستعدة لبذل كل ما تستطيع في سبيل عزة دينها، وكرامة وطنها، والمحافظة على وحدة بلدها، ورفضها لكل مخطط استعماري يرمي إلى تفريق شمل الأمة المغربية وتقسيمها إلى عنصرين متباغضين كما يريد ذلك الاستعمار، فرحم الله السيدة الفاضلة، وأبقى ذكرها في الصالحات.

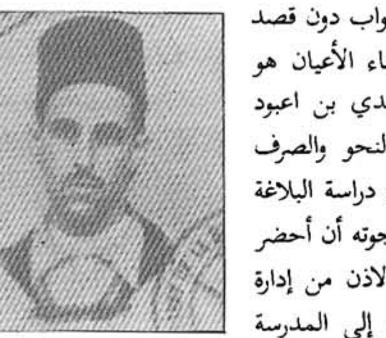
كيف شاركت في مقاومة الظهير البربري

قبل سنة 1930 لم يكن لي اتصال وثيق بالشباب الذي تزعم مقاومة السياسة الاستعمارية لتنصير إخواننا البرابرة باستثناء أفراد قلائل كان في طليعتهم الصديق المرحوم السعيد حجي الذي تعرفت عليه أولا بالمدرسة الابتدائية التي كنا ندرس بها جميعا وتسمى (مدرسة درب لعلو) وهي أول مدرسة حرة تأسست بسلا سنة 1921 وأسسها جماعة من الغيورين لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية ومبادئ العلوم الاسلامية، ثم توطدت العلاقة بيني وبينه أواخر العشرينات وبالضبط سنة 1929 وعندما تأسس النادي الأدبي والاسلامي السلوي وكان من جملة مؤسسيه والناشطين فيه، صار يدعوني إلى الانخراط فيه، ولكنني لم انفذ له رغبته إلا بعد أحداث سنة 1930. لقد كنت مشتغلا بدروسي العلمية التي أتلقاها على علماء «سلا» وفي طليعتهم العلامة الفقيه السيد أحمد بن عبد النبي، وكان الرفقاء الذين يتعاطون الدروس معي يختلفون في تكوينهم وتوجهاتهم عن الشباب العصري حسب ما كان يطلق عليهم إذذاك، فهم بعيدون عن النشاط الأدبي والثقافي والحركة التمثيلية، وهم مقبلون على دراسة الفقه والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والأصول وما شاكل ذلك من العلوم، وحتى دراسة الأدب والتاريخ كانوا بعيدين عنها، والشباب العصري في نظرهم مشغول بما لا يعني ولا يفيد. كان بعض هؤلاء يشاركوننا أحيانا في بعض هذه الدروس ولو مشاركة غير منظمة وكان من جملة هؤلاء السعيد حجي الذي زاد ارتباطي به وصداقتي معه في هذه الدروس التي كان يحضر البعض منها بين العشاءين ومن جملة الذين تعرفت عليهم في هذه الدروس الأخ الحاج أحمد معنينو الذي توطأت العلاقة بيني وبينه بعد أحداث القضية البربرية.

في إحدى عشايا شهر يونيه 1930 كنت أتجول مع بعض الأصدقاء، وكان الحديث الذي بيننا يدور حول ظهير 16 مايو والأخطار التي تهدد المغرب في عقيدته ووحدته ولغته، ودعيت إلى اجتماع ليلي بمنزل السيد بوسلهام المنصوري والد الأستاذ أبي بكر المنصوري السفير حاليا بالبحرين.

وفي هذا الاجتماع الذي حضره شباب لا يتجاوز عددهم العشرة قررنا التضامن مع الذين يدعون إلى مقاومة السياسة الاستعمارية بكل ما نستطيع، وكنا متحمسين أقصى ما يكون الحماس، ومن جملة القرارات التي اتخذناها إذذاك، السير في الدعوة إلى قراءة اللطيف والتضامن المطلق مع إخواننا البرابر.

ومنذ ذلك الوقت وكنت في سن السادسة عشرة من عمري انغمرت الانغمار الكلي في ميدان العمل الوطني، فزيادة على طوافنا في الأسواق ودعوة المواطنين إلى الذهاب إلى المسجد لقراءة اسم الله اللطيف وللالتجاء إليه، ان يلطف بنا فيما جرت به المقادير، وان لا يفرق بيننا وبين إخواننا البرابر. كنا نوالي اجتماعاتنا لنؤيد إخواننا ونكون في عونهم.لقد تغير اتجاهي تغيرا كليا إثر صدور الظهير المشؤوم ظهير 16 مايو 1930 لا من جانب واحد ولكن من جوانب متعددة فزيادة على اندفاعي لمقاومة السياسة البربرية مع أصدقائي من الشباب، تغير اتجاهي الثقافي أيضا فلم يبق محصورا في الدراسات النحوية والفقهية بل صرت أخطط لنفسي دراسات أخرى في الأدب والتاريخ وعلوم الاجتماع، وصرت أنظم مطالعاتي في الثقافة العامة، وأستشير من هم أكثر ثقافة مني فيما يجب على أن أقرأه أو أدرسه من كتب.وأعترف بأن علاقتي وصداقتي للسعيد رحمه الله كان لها أثر فعال في تكويني السياسي.لقد تساءلت مع نفسي ماذا يفيدني ويفيد بلادي ان أنا بقيت سائرا في الخط الذي يكتفي فيه بدراسة الشيخ خليل في المختصر وألفيَّة ابنِ مالك في النحو وما شاكل ذلك من الدروس، واتضح لي أن تنويع الثقافة وشموليتها شيء أساسي وأكيد بالنسبة لمستقبلي، كما اتضح لي أن دراستي للغة الأجنبية قد تكون فيه فائدة كبرى.ولكن انى لي ذلك وأنا في سن السادسة عشرة، فهل أنخرط في سلك تلامذة المدرسة الابتدائية الفرنسية العربية رغم بلوغي سن الرشد ؟ وهل سيقبل تسجيلي بالمدرسة المذكورة ان صح العزم مني على ذلك ؟ وجاء الجواب دون قصد مني، فلقد كان أستاذ العربية إذذاك بمدرسة أبناء الأعيان هو الشيخ زين العابدين بن اعبود أخو الدكتور المهدي بن اعبود الأكبر، وكنت أتعاطى عليه بعض الدروس في النحو والصرف والتفسير والحديث، وشاءت الأقدار أن يشرع في دراسة البلاغة مع تلامذة القسم العالي في المدرسة المذكورة، فرجوته أن أحضر بصورة استثنائية في ذلك الدرس بعد أن يأخذ الاذن من إدارة المدرسة، وجاء الجواب بالايجاب فصرت أذهب إلى المدرسة


الحاج أحمد معنينو

على الساعة الثامنة صباحا لتلقي دروس البلاغة، ولاحظت إذذاك أنه يوجد بالمدرسة تلامذة أكبر مني سنا، ومع ذلك لا يستنكفون من جلوسهم مع من هم أصغر منهم سنا فلماذا لا أفعل مثلهم ؟ واتخذت الاجراءات الضرورية، وحصلت من باشا المدينة على توصية تسمح لي بالالتحاق بصفة رسمية بتلامذة المدرسة ثم التحقت فعلا بالقسم الابتدائي الأول في وسط السنة الدراسية أو آخرها لست أدري بالضبط وشاء الله أن ينتقل الأستاذ ابن اعبود من سلك التعليم إلى سلك القضاء فيخلفه الأستاذ السيد عبد الرحمان حجي شقيق السعيد حجي.

لم أقض بالقسم الابتدائي المذكور إلا شهرين تقريبا ثم نقلوني إلى القسم الثاني أوائل السنة الدراسية. في هذه السنة انتقلت أيضاً إلى القسم الثالث، وخلال هذه المدة كلها اعفاني الأستاذ عبد الرحمان حجي من دروسه العربية وصار يكلفني بتصحيح دفاتر تلامذة القسم الثالث ـــ وجاءت حفلة توزيع الجوائز لأنال فيها جائزة هامة هي عبارة عن كتب هامة في الأدب العربي من جملتها على ما أذكر زهر الآداب للحصري وكان الذي قدم لي الجائزة هو مندوب المعارف إذذاك الفقيه العلامة السيد محمد الحجوي الثعالبي.



العلامة السيد محمد الحجوي الثعالبي

لقد لاحظت أثناء الحفل أن أنظار المراقب المدني متجهة إلي، وتريد أن تتعرف علي أكثر، ويظهر ان ذلك كان نتيجة ما يسمعونه عني من أني أعامل في المدرسة معاملة خاصة سواء من طرف المعلمين والأساتذة أو من طرف التلاميذ أنفسهم، فالجميع يحترمني وكأني لست بتلميذ في الأقسام الابتدائية، وأنا بدوري أحترم نفسي فلا أخالط التلاميذ في ألعابهم وحتى في أوقات الاستراحة، آخذ ركنا خاصا في مباح (فناء) المدرسة أقف فيه حتى يحين وقت الدخول إلى القسم.

وذات يوم وأنا واقف كعادتي طلبت مني معلمة فرنسية أن أنزل إلى الساحة الكبرى التي يلعب فيها التلاميذ، ولما لم ألب طلبها، شكتني إلى المدير، ولعله كان ينتظر المناسبة التي تريحه من وجودي بالمدرسة، فطلب مني أن أعتذر للمعلمة لأني لم ألب طلبها، ولما رفضت الاعتذار طردني من المدرسة واستراح من وجودي الذي كان يقلقه ويقلق الادارة معه.

وضجت المدرسة من هذا الطرد، وقرر التلاميذ من عنديتهم الاضراب عن الدروس، وأصبحت المعلمة المتسببة في هذا الطرد مقصد التلاميذ يرمونها بالأحجار في الطريق، وقامت حركة غير عادية في المدرسة صار التلاميذ معها يطالبون ببعض الحقوق التي من جملتها تخصيص أماكن لأداء صلاة العصر بالمدرسة، وارتاعت المراقبة المدنية لهذه التحركات

فأمرت بطرد بعض التلامذة الذين كانت ترى أنهم المتسببون في حركة العصيان وهكذا كان من جملة المطرودين بعدي الاخوة السيد محمد البقالي والمرحومين السيد محمد بن المكي القادري والسيد عبد السلام بن الحاج محمد بنسعيد.

الاخوة الثلاثة الذي طردوا من مدرسة أبناء الأعيان
إثر تضامنهم معي بعد طردي من المدرسة المذكورة



محمد البقالي



عبد السلام بنسعيد



محمد المكي القادري

إثر طردي من المدرسة أصبحتُ أتساءل مع نفسي ما هو العمل ؟ لقد كان اقترح علي الأخ السعيد أن ألتحق به في سوريا لاتمام دراستي فيها ولكن ظروفي المادية لم تسمح لي بذلك، فهل أصحح العزم الآن وأتخذ الوسائل للالتحاق به، ولكن أنى لي بنيل جواز السفر ؟ ومن أين لي المصاريف التي يتطلبها السفر ؟ ثم بعد ذلك هل لا يعتبر سفري فرارا من المسؤولية وعدم مواجهة التحدي الذي ووجهت به والذي نتج عنه طردي من المدرسة، لابد من مواجهة التحدي بالتحدي، فإذا كانوا طردوني من المدرسة فلأعمل على تأسيس مدرسة حرة، وهكذا كان تأسيسي للمكتب الاسلامي الذي كان مقره زاويتنا القادرية والذي تحدثت عنه في كتابي : (قصة النهضة).

حركة «اللطيف» في الرباط

لم أستطع أن أتعرف بالضبط على اليوم والتاريخ الذي شرع فيه الاخوة في الرباط بتلاوة اسم الله اللطيف، ولكني متأكد كل التأكيد أنه وقع أواخر شهر يونيه، إثر قراءة «اللطيف» بسلا مباشرة. ولقد تلي اسم الله اللطيف أولا حسب ما كان بلغني بمسجد العكاري ثم تلى في المسجد الأعظم ومسجد سيدي الغندور ومسجد مولاي سليمان ومسجد القصبة ولربما في مسجد السنة أيضا.

ولقد خطب في مسجد سيدي الغندور والمسجد الأعظم الأخ المرحوم السيد عبد الله الجراري منددا بالظهير البربري حاضا المومنين على الاحتجاج ضده، الأمر الذي عرضه للدخول إلى السجن بضعة أيام. واني أذكر أنه لدى سراحه صار يستقبل المهنئين بمنزل الأخ السيد محمد اليزيدي الذي فتح باب منزله على مصراعيه لزيارة من يودون تهنئة الأستاذ الجراري. وأذكر وأنا إذذاك في سن السادسة عشرة من عمري انني زرته صحبة بعض الرفاق الشباب من «سلا» مهنئا إخوته بهذه التضحية في سبيل الله والوطن، كما أذكر ان ذلك هو اليوم الأول الذي تعرفت فيه على الأخ محمد اليزيدي الذي لما عرفني سألني أولا عن أخي المرحوم مولاي الشريف القادري الذي كان يجتمع به في اللقاءات التي كان ينظمها النادي الأدبي الاسلامي السلوي لشباب «سلا» و«الرباط» والتي كان يتزعمها من «سلا» المرحوم عبد اللطيف الصبيحي، ومن الرباط الأخ محمد اليزيدي، حيث كان الأول يشرف على جمعية أدبية للتمثيل (جوق تمثيلي بسلا) والثاني يشرف على (جوق تمثيلي بالرباط).



المرحوم عبد الله الجراري
الذي خطب بمساجد الرباط
ضد الظهير البربري

ويجب أن أسجل هنا أن تضامنا وثيقا كان بين الشباب السلوي والشباب الرباطي، فكان الشبان الرباطيون يقصدون «سلا» لمشاركة إخوانهم في التجمعات الاحتجاجية، وكذلك الشبان السلاويون يقصدون الرباط لنفس الغرض.

ولقد استمرت قراءة اللطيف بالرباط طوال شهر يوليوز وكان من المعتقلين من أجل القضية البربرية في الرباط الشادة : المعطي أباخاي ـــ والمرحوم عبد اللطيف الاعتابي ـــ وهذا الأخير وقع نفيه إلى «ميدلت» بعدما أطلق سراحه من السجن، ذلك أنه لدى نفي الأخ محمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة في شهر شتنبر 1930 أراد أن يزوره في منفاه دون إذن من الادارة، فكانت النتيجة أن ألقي عليه القبض ونفي إلى ميدلت، اما ثالث ثلاثة نفي من الرباط إلى مراكش فهو المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي الذي كان موظفا إذذاك بإدارة الضرائب ولما رأى الفرنسيون نشاطه في مقاومة السياسة البربرية قرروا إبعاده إلى «مراكش» في نفس الوظيف ثم غادر الوظيف نهائيا بعد ذلك.

حركة اللطيف بفاس

تأخر احتجاج مدينة «فاس» ضد الظهير المسمى بالظهير البربري مدة أسبوعين، فلقد ابتدأت «سلا» ثم الرباط، قراءة اسم الله اللطيف بالمساجد في الأسبوعين الأخيرين من شهر يونيه 1930 أما بفاس، فكان أول تجمع بالقرويين يوم رابع يوليوز عامه وافتتح «اللطيف» والد

أخينا الأستاذ ج حسن بوعياد السيد الحاج العربي بوعياد. ولقد توالت الاجتماعات بالقرويين نحو الأسبوعين وفي يوم 18 منه تقدم المرحوم الأستاذ السيد عبد السلام بن إبراهيم الوزاني فألقى خطابا موجزا تعرض فيه للسياسة البربرية ومشروع الظهير البربري واستنكر ما أرادت الحماية الفرنسية أن تقوم به لتفريق المغاربة وتقسيمهم وإخراجهم من دينهم وإلحاقهم بالمجموعة الفرنسية، وبعد إنهائه لخطابه توجه المجتمعون المحتجون إلى الضريح الادريسي حيث ألقى السيد حميد بن فاتح الصفريوي ـــ وهو من طلبة القرويين أيضا ـــ خطابا مماثلا. ثم قصد المتظاهرون مسجد الرصيف، ثم إلى منزل السيد أحمد بن الجيلالي رئيس المجلس



الشريف عبد السلام بن ابراهيم الوزاني
أول من خطب بجامع القرويين بفاس
بمناسبة الاحتجاج ضد الظهير البربري
1930



السيد محمد بن فاتح الصفريوي
من خطباء الضريح الادريسي في
انتفاضة الشعب ضد ظهير
16 ماي 1930

العلمي باعتباره رئيس العلماء، لاشعاره بالقيام بواجبه في استنكار السياسة البربرية ثم قصد المتظاهرون المدرسة العنانية ومنها إلى القرويين فدار الباشا ابن البغدادي فدار بوعلي حيث وقع جلد طائفة من المتظاهرين الذين اعتبرهم ابن البغدادي مسؤولين عما حدث.

ويحكي الأستاذ بوعياد وهو من الرعيل الأول الذي قاوم السياسة البربرية انه قبل القيام بهذه الحركة الاحتجاجية تألفت لجنة دعيت بلجنة التنسيق وعقدت اجتماعا بدار الحاج عبد الرحمان بن عبد الله المجاور للقرويين فقررت أن يكتفي بقراءة اللطيف والخطبة دون المظاهرة في الشوارع، وانه بعد اجتماع القرويين الاحتجاجي كان بجانبه الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني الذي شارك في اجتماع لجنة التنسيق، وانه لما رأى تجمهر الناس بصحن القرويين استفسره الوزاني عن الأمر أي هل حدث تغيير فيما وقع عليه الاتفاق، فأجابه «بوعياد» بأن لا علم عنده بشيء وانهما لما تابعا المتظاهرين، سمعا مناديا ينادي بالذهاب إلى مولاي ادريس فاضطر للالتحاق بالمتظاهرين إلى الضريح الادريسي حيث وجد هيجانا واندفاعا استنكره «بوعياد» لأنه «خارج على الاتفاق».

ويقول المرحوم ابن الحسن الوزاني في مذكراته : انه هو الذي أشار على المتجمهرين بالخروج من القرويين بعد خطاب سيدي عبد السلام الوزاني، والذهاب إلى الضريح الادريسي ثم متابعة المظاهرة عبر شوارع المدينة حتى منزل رئيس المجلس العلمي الخ ثم يقول : انه لم يكن هذا مقررا ولكنه سار مع التطورات التي حدثت، والاندفاع الذي وقع.

لقد تعمدت ان آتي بهذه التفاصيل عن سير مظاهرة فاس لأزيل التباسا ربما يقع لدى بعض الباحثين الذين يطلعون على ما كتبه الأستاذ المرحوم بوعياد في كتابه حول الظهير البربري وما كتبه الأستاذ المرحوم الوزاني في مذكراته عن الموضوع. والذين يجدون بعض التناقض فيما كتب حول الموضوع والذي يمعن فيما كتبه الاستاذان، يدرك أن القرار الذي اتخذ ووافق عليه الجميع هو اجتماع القرويين وحده وان الذين التزموا به وساروا في خطته، التزموا بكلمتهم، وأدوا واجبهم طبق ما قرر، وان الذين تحمسوا فخرجوا عن القرار، لم يسيروا حسب ما قررته اللجنة التي قررت أن يكتفي باجتماع القرويين لقراءة اسم الله اللطيف، وإنما ساروا حسبما ذكر ذلك الأستاذ الوزاني — حسب التطورات والاجتهادات الشخصية، وعلى ذلك فإن الذين لم يسايروا الجمهور في هيجانه لا يمكن بحال من الأحوال أن يلاموا على عدم مسايرتهم هيجان الجمهور، فلربما كان سيفلت الزمام من أيديهم — حسبما شعر بذلك المرحوم الوزاني نفسه.

وعلى كل حال، فنرى أنه إذا كان هناك عتاب أخوي، فيجب أن يوجه للذين يتخذون قرارا ثم يخالفونه وكيفما كان الأمر، فإن المظاهرة أعطت ثمرتها. رغم ما لاقاه إخواننا من محنة وعذاب. وأقول محنة وعذابا لأن جماعة من الشباب الوطني في طليعتهم خطيب تجمع القرويين أخونا المرحوم التقى الورع العالم سيدي عبد السلام بن إبراهيم الوزاني الذي يحكي المرحوم ابن الحسن الوزاني عن محنته فيقول : «رأينا اثنين من الزبانية يمسكان بخطيب المظاهرة في القرويين عبد السلام بن ابراهيم الوزاني، ويسقطانه على الأرض، ويدخلان رجليه في «الفلقة» ويلويان عليهما بشدة. حبلها في شكل نصف دائرة، بينما يجلس اثنان آخران من الزبانية فيمسك كلاهما بإحدى يدي الضحية واضعا قدمه في كتف المعذب الذي تظل يداه موثوقتين وثقا محكما، وبعد هذا ينهال اثنان على مقعدته بالسياط المفتول من الجلد، بعد غطسه في الماء قبل العملية وبعد تعذيب سيدي عبد السلام الوزاني جاء دور خطيب مولاي ادريس المرحوم العالم السيد محمد بن الحاج فاتح الصفريوي فلاقي ما لاقاه أخوه من قبله، ثم جاء دور المرحوم الزعيم سيدي محمد بن الحسن الوزاني نفسه، فتحمل ما تحمله أخواه السابقان من محنة وعذاب، ساكتا وصابرا، يقول الوزاني عن نفسه : «والحقيقة أنني لم أشعر بعدّ الضربات الأولى بألم يفقد معه كل صبر وتحمل، فقد كنا كما قال أحمد شوقي :

ترى اسرى وما شهدوا قتالا ولا اعتقلوا الاسنة والصفاحا
وجرح السوط لا جرحى المواضي بما عمل الجواسيس اجتراحا

وقول الشاعر محمد بن ابراهيم المراكشي :

يسوس بفاس من بنيه كرامهم   يقلبهم بطنا ويجلدهم ظهـــرا
سجن وضرب مؤلـم واهانـــة   وزجر وتعذيب وما اقترفـوا وزرا
فقل لكثيف الروح هاتيك ضربة   ملايين قد أضحت بمغربنا عشرا

ثم تتابع جلد بقية المعتقلين الذين منهم الأخوة : الهاشمي الفيلالي، عبد العزيز ابن ادريس، محمد الدرقاوي، العربي الدرقاوي، احمد الوزاني، محمد التادلي، حميد الصفريوي، محمد البلغيثي، محمد بن التهامي السلوي، علال الجامعي، علال السلوي، الطائع العراقي. ثم نقلوا جميعا إلى السجن حيث مكثوا فيه بضعة أيام وقع سراحهم بعدها.

لقد نتج عن هذه الأحداث مضاعفة الهيجان في الأفكار الأمر الذي أزعج الادارة الفرنسية، حيث اكثرت من الاحتياطات واعداد العدة لمقاومة كل تحرك جديد للمقاومة، ولكن هذا لم ينفع ولم يجد فتيلا، فاضطرت الادارة إلى استدعاء نخبة من أعيان فاس لاجتماع عقد بالناحية كان من طليعة المدعوين إليه أخونا المجاهد الصامد السيد الحاج احمد مكوار، وذلك من أجل النظر في الأحداث التي وقعت اثر الاحتجاج على الظهير البربري، وكان المقصود هو تهدئة الأفكار، ولكن النتيجة كانت سلبية، فاضطر رئيس الناحية إذذاك الجنرال ميلي إلى استدعاء جماعة أخرى يوم ثاني غشت ليتذاكر معها ويخبرها بأن الصدر الأعظم سيأتي إلى فاس لدراسة الوضع وفي اليوم الموالي 3 غشت استقبل المقري الجماعة المذكورة وكانت متألفة من السادة : أحمد مكوار، حمزة الطاهري، الحاج محمد بن المفضل بن جلون، الحاج محمد بن عبد السلام لحلو، احمد بوعياد فخاطبهم مخاطبة فظة، متوعدا ومهددا، ولكن تهديده لم ينفع، فبقيت الحالة متوترة إلى أبعد الحدود، وقرر المحتجون معاودة قراءة اللطيف، ونفذ القرار يوم ثامن غشت.



من المؤسسين الأولين للحركة الوطنية المجاهد الحاج أحمد مكوار



الزعيم محمد ابن الحسن الوزاني



الشريف حمزة الطاهري من أوائل من قرأ اللطيف بجامع القرويين

حركة اللطيف «بآسفي»

حدثني الأخ الحاج محمد البوعمراني وهو من قدماء رجال الحركة الوطنيين الذين انخرطوا في «الطائفة» ومن الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 انه بعد صدور ظهير 16 ماي 1930 (الظهير البربري) زارهم بآسفي المرحوم السعيد حجي والأستاذ الصديق بن العربي وطلب منهم المشاركة في الاحتجاج ضد الظهير المذكور. وهكذا قام هو وزمرة من إخوانه إذذاك في طليعتهم الفقيه الكانوني صاحب كتاب : (آسفي وما إليه) بالدعاية لذكر الله اللطيف في مختلف مساجد آسفي واتصل هو والفقيه الكانوني بخطباء المساجد ملحين عليهم في التضامن مع إخوانهم بذكر اسم الله اللطيف، ولكنهم لم يجدوا آذانا صاغية إلا من قاضي المدينة الذي كان في الوقت نفسه خطيبا في المسجد الأعظم ويسمى الفقيه الدكالي من أقارب الشيخ شعيب الدكالي المحدث المشهور، فلقد أجابهم هذا القاضي بأنه لا يمانع في ذكر اسم اللطيف بالمسجد الذي يخطب فيه ولكنه لا يبدأ القراءة بنفسه قائلا : انني لم آمر بها ولم تسؤني وهكذا قصد البوعمراني والكانوني المسجد المذكور يوم الجمعة، وبعد الصلاة افتتحا قراءة اسم الله اللطيف وتبعهما كل الحاضرين، وبمجرد خروجهما من المسجد ألقي عليهما القبض وحكم عليهما بثلاثة أشهر سجنا. ولم يحدد الأخ البوعمراني تاريخ قراءة اللطيف بمدينته وقال انه يغلب على ظنه ان ذلك كان بعد قراءة اللطيف بسلا والرباط وفاس أي في شهر يوليوز تقريبا.

لقد ارتاع الفرنسيون من هذه الانتفاضة التي كانت في نطاق ضيق في سلا والرباط ثم انتقلت إلى فاس حيث أخذت طابعا أقوى وأعنف، ثم انتقلت إلى الدار البيضاء، ومراكش، وآسفي وغيرها من المدن ثم صارت تنقل إلى القبائل البربرية نفسها، فما هو العمل ؟ وكيف السبيل إلى تهدئة الأفكار ؟ لقد أوعزوا إلى عميلهم الصدر الأعظم ج محمد المقري أن يكتب رسالة باسم السلطان تتلى بمساجد المغرب، وتدعو إلى السكينة والهدوء، وهكذا لم يأت يوم 11 غشت حتى قرئت الرسالة بمساجد فاس وسلا والرباط، ولست أدري أقرئت بمدن أخرى أم لا ؟ فماذا جاء في هذه الرسالة ؟.



الحاج محمد البوعمراني

رسالة المقري
التي نسبها للسلطان

الحمد لله. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

إلى خدامنا الباشاوات وكافة الأهالي، نخص منهم الشرفاء والعلماء والأعيان، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد، فغير خفي أن للقبائل البربرية عوائد قديمة يرجعون إليها في حفظ النظام، ويجرونها في ضبط الأحكام، وقد أقرهم عليها الملوك المتقدمون من أسلافنا ومن قبلهم، فتمشوا على مقتضاها منذ مدة مديدة، وسنين عديدة وكان آخر من أقرهم على ذلك مولانا الوالد، قدس الله روحه في أعلى المشاهد، اقتداء بمن تقدمه من الملوك، واجابة لآمالهم، ورغبة في اصلاح حالهم، وحيث ان ذلك من جملة الأنظمة المحترمة، اقتضى نظرنا الشريف، تجديد حكم الظهير المذكور، لأن تجديده ضروري لاجراء العمل به بين الجمهور. وقد قامت شرذمة من صبيانكم الذين يكادون لم يبلغوا الحلم، وأشاعوا، ولبئس ما صنعوا، ان البرابرة بموجب الظهير الشريف تنصروا، وما دروا عاقبة فعلهم الذميم وما تبصروا، وموهوا بذلك على العامة، وصاروا يدعونهم لعقد الاجتماعات بالمساجد عقب الصلوات لذكر اسم الله تعالى اللطيف، فخرجت المسألة من دور التضرع والتعبد، إلى دور التحزب والتمرد، فساء جنابنا الشريف أن تصير مساجد قال الله في حقها : (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية، محلات اجتماعات سياسية، تروج فيها الأغراض والشهوات. ومعلوم لدى الخاص والعام، ان مولانا السلف الصالح، كان أحرص الناس على إيصال الخير لأمته، فكيف يعقل ان يسعى في تكفير جزء عظيم من قبائل رعيته، ونحن والحمد لله سائرون على اثره في ذلك ساهرون على دفع كل ضرر يلحق برعايانا السعيدة، فليس إبقاء تقرير البرابر على عوائدهم، الا مساعدة من جنابنا الشريف على محض طلبهم، وإجراء لهم على ما كانوا عليه منذ أزمان طويلة، على أننا قررنا أن كل قبيلة بربرية تطلب إجراء الأحكام الشرعية، تساعد على ذلك فورا، أو يعين لها



الحاج محمد المقري

القاضي من لدن جنابنا الشريف، حرصا على صيانة دينها، وبرهانا على مالنا من الذود عن حرمة الاسلام في بلادهم فآمركم أن تلزموا السكينة والوقار، وان ترجعوا إلى سلوك الجادة والاعتبار، أصلح الله بمنه ودائم لطفه أحوالكم، وهداكم لما فيه الخير من حالكم ومآلكم والسلام. في 13 ربيع النبوي الأنور عام 1349.

لقد تلي هذا الخطاب بجامع القرويين وبالجامع الأعظم بسلا وبالجامع الأعظم بالرباط، فما زاد الأفكار إلا اشتعالا، وما زاد الشباب والكهول والشيوخ، إلا تمسكا بمواقفهم في المطالبة بمحو هذا الظهير البربري من الوجود، واتباع سياسة رشيدة نحو المغاربة لا ترمي إلى تمزيق وحدتهم ومحاربتهم في عقيدتهم ولغتهم وحضارتهم، وإدماجهم في عائلة غير عائلتهم وكيان غير كيانهم. وذاتية تختلف عن ذاتيتهم ان الخطاب يقر ويعترف أن السلطة عازمة كل العزم على تطبيق الأعراف الجاهلية، مدعية أن الأسلاف ساروا عليها وهو كذب وبهتان على التاريخ، فما كان الاسلاف المغاربة عربا وبربرا، يتحاكمون إلى الطاغوت، وما كانوا جميعهم الا مسلمين لا يرضون بإسلامهم بديلا، وما كانوا إلا متبعين الأحكام والقوانين الاسلامية حسب المذهب المالكي، منذ ادريس الأول ومن أتى بعده من المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين. وكلنا يعلم أن المولى يوسف قدس الله روحه لدى اطلاعه على ما عزم عليه الفرنسيون في عهده من الزام البرابرة اتباع الأعراف وبعدما طلب منه الفرنسيون الموافقة على مشاريعهم البربرية رفض الرفض القاطع الموافقة على ذلك، وقيل أنه لقي جزاءه منهم نتيجة هذا الرفض فإذا ما رفض المغاربة محتوى الظهير البربري وإذا ما قاموا يحتجون ويتظاهرون ضده، فإن ذلك هو الواجب عليهم، ولا يجوز التخلي عنه بحال من الأحوال. أما ما جاء في الرسالة من أن المساجد لم تفتح إلا للصلاة والتعبد فذلك غير صحيح فإن مسجد الرسول عليه السلام كان وكأنه خلية نحل في الاجتماعات السياسية والاجتماعية، فمن المسجد كانت تنطلق تعاليم الرسول عليه السلام، وفيه كانت تعطى التوجيهات النبوية، ومن خلال جدرانه كانت تتخذ القرارات السياسية والعسكرية. لقد كان الرسول يدعو المومنين إلى الاجتماع بالمسجد كلما حزب المسلمين أمر، وكان الصحابة من بعده ينهجون نهجه ويسيرون على منواله، ومن الغريب العجيب ان تنتقد الرسالة الاجتماعات التي يعقدها المسلمون لقراءة اسم الله اللطيف في المساجد، بينما تاتي السلطة بأمر من المحتلين لتتخذ المسجد وسيلة لتبليغ تهديداتها وتقريعاتها ولمزها المسلمين الصادقين بأنهم صبيان يكادون لم يبلغوا الحلم. وعلى كل فلقد كان لقراءة هذه الخطاب وقع سيء، ونتج عنه عكس ما كان يهدف إليه صانعوه من الاستعماريين واذنابهم، لقد بقي الجو مكفهرا، والقلق عاما، الأمر الذي دعا حاكم ناحية فاس إلى مقابلة الوفد المشار إليه قبلا مرة أخرى، ليحادثهم بأن السلطان ينظر في الأمر، وان عليهم أن يوقفوا الاجتماعات الاحتجاجية ريثما ياتيهم جواب من سيدنا، وهكذا وقع الاتفاق على أن يخطب العلامة سيدي عبد الواحد الفاسي والد الزعيم سيدي علال الفاسي بالقرويين ويدعو الناس إلى التزام السكينة والهدوء ريثما ينظر جلالة السلطان في الأمر.



لقد كان هذا الاجتماع يوم 12 غشت 1930، فتوقفت التجمعات الاحتجاجية اثر ذلك وبقي الجميع في الانتظار.

ويوم 22 غشت وقع اجتماع مكبر بدار المجلس البلدي حضره ما يقرب من مائة شخص من أعيان المدينة وعلمائها وشبانها،وكان المقصود من هذا الاجتماع انتخاب عشرين شخصية لتتداول الرأي وتحرير المطالب التي ستقدم لجلالة السلطان وهكذا انتخب السادة الآتية أسماؤهم ننقلهم عما أثبته الحاج الحسن بوعياد الذي كان من جملة المنتخبين وهم : 1) علال الفاسي 2) محمد بن الحسن الوزاني 3) عمر بن عبد الجليل 4) حَ الحسن بوعياد 5) الحاج محمد بن عبد السلام لحلو 6) سيدي حمزة الطاهري 7) والعلامة سيدي عبد الرحمان بن القرشي 8) السيد أحمد مكوار 9) السيد محمد أشرقي 10) السيد أحمد بوعياد 11) الحاج محمد بن المفضل بن جلون 12) السيد عبد السلام المراكشي 13) السيد عبد العزيز بن ادريس 14) سيدي ادريس الوزاني 15) سيدي عبد الواحد الفاسي 16) السيد ادريس برادة 17) السيد الهاشمي الفيلالي 18) السيد محمد بن العربي التازي الجزار 19) الحاج احمد الرامي 20) سيدي الهادي بن المواز، وبعد تحرير العريضة مع المطالب، اجتمع العشرون المذكورون، فانتخبوا الوفد الذي سيرفع العريضة إلى الجناب الشريف بالرباط، فكان الذين وقع انتخابهم، العلامة سيدي عبد الرحمان بن القرشي، سيدي ادريس الوزاني، سيدي عبد الهادي بن المواز، الحاج محمد بن المفضل بن جلون، سيدي علال الفاسي، سيدي محمد بن الحسن الوزاني، الحاج عمر بن عبد الجليل، الحاج محمد بن عبد السلام لحلو، السيد محمد الديوري.

ولكن الادارة بعدما اطلعت على هذه القائمة رفضت ان يكون ضمن الوفد السيدان : علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني نظرا لأنهما وقع اعتقالهما في موضوع القضية البربرية،

ولربما لا يسمح السلطان باستقبالهما، ولما سمع الحاج عمر بن عبد الجليل ما تذرعت به الادارة لعدم قبول صديقيه ضمن الوفد، سحب اسمه من القائمة، فبقي الوفد مكونا من سبعة أفراد لا غير.

سافر الوفد المذكور إلى الرباط، حاملا معه العريضة الوطنية المشتملة على المطالب التي أقرها الجمع العام، فاستقبل أولا من طرف الصدر الأعظم، ثم يوم 27 غشت استقبل من طرف جلالة السلطان.

لقد كان اللقاء حارا ومؤثرا في الوقت نفسه، فلقد تحدث العلامة سيدي عبد الرحمان بن القرشي في موضوع السياسة البربرية بكلام العارفين بخبايا السياسة الاستعمارية، حيث أنه رحمه الله لما كان وزيرا للعدل اطلع على نوايا الفرنسيين، وعرف دسائسهم ومكائدهم، ورأي بأم عينيه ما كانوا يدبرونه للمغرب في عهد جلالة السلطان مولاي يوسف ذلك السلطان الذي رفض الرفض القاطع التدابير التي كان يريد الفرنسيون أن يتخذوها في موضوع السياسة البربرية، وانه أي ابن القرشي استقال من منصب وزير العدل، لأنه لم يسمح له ضميره الديني ان يقر سياسة لا يرتضيها الله ولا العباد.

وبالمناسبة أود أن اثبت هنا أن أخي المجاهد السيد محمد اليزيدي سبق له أن حدثني أن الفقيه بن القرشي لما كان بالرباط كان يتصل به الآونة بعد الأخرى، ويطلب منه أن يترجم له ما جاء في الصحف الفرنسية عن ثورة ونضال الزعيم الوطني العظيم السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ان الفقيه ابن القرشي تحدث أمام سيدي محمد بن يوسف بلغة العارف التقى الورع الوطني الذي لا تأخذه في الله لومة لائم فكان كلامه مؤثرا وكانت عباراته صادقة.وحكى لي من أثق به أن جلالة الملك الصالح سيدي محمد بن يوسف تأثر كثيرا من كلمات الفقيه ابن القرشي حتى دمعت عيناه رحمه الله.

ولقد كتبت جريدة «لوكري ماروكين» اليسارية التي كانت تصدر بالدار البيضاء عن هذا اللقاء الذي وقع بين جلالة الملك ووفد فاس فقالت كما جاء في مذكرات المرحوم ابن الحسن الوزاني : (كان لقاء الوفد المغربي في جلسة ملكية لا مثيل لها في الأبهة والعظمة، فقد دخل الوفد إلى قاعة العرش حيث كان السلطان فحياه الأعضاء بالانحناء وبإشارة تمثل الرضى، أذن السلطان لرئيس الوفد بالكلام، وتقديم العريضة، فتكلم الشيخ الوقور المهيب بما يفتت القلوب ألما، ولم يستطع السلطان أن يحبس دموعه لما سمعه، وتأثر برؤية الشيخ وما كان يبدو عليه من حزن وأسى، وكان هذا المنظر يذكرنا بعهود الاسلام الأولى يوم كان العلماء ينصحون ويعظون الملوك الذين كانوا خدام الرعية) لقد أنصت جلالة السلطان بكل اهتمام لرئيس الوفد وهو يشرح الغاية التي زاروه من أجلها، فوعدهم قدس الله روحه بدراسة المطالب، وإجابتهم عليها قائلا : لا يكون إلا الخير إن شاء الله.

لقد تصور الوفد أن الجواب ربما يكون قريبا جدا، ولذلك، ارتأى أن تطول إقامته بضعة أيام ريثما يتلقى الجواب، ولكن السلطة الاستعمارية كانت بالمرصاد، فلم تتركهم يستقرون بل ألزمت أعضاء الوفد بالرجوع، وهو شأنها في كثير من مثل هذه المواقف، وهكذا رجع الوفد إلى فاس ليبلغ منتخبيه نتيجة مقابلته لجلالة الملك، وليخبرهم بالضغط الحكومي الذي تعرض له حتى لا يطول مقامه بالرباط. وفي الوقت الذي كان المتتبعون للأحداث ينتظرون نتيجة اللقاء مع جلالة الملك الذي وعدهم خيرا، كانت الادارة الفرنسية تدبر وتفكر، وتتآمر وتمكر، فلم يمض إلا يوم واحد على رجوع أعضاء الوفد حتى قررت إلقاء القبض على بعض أفراده ومنهم الحاج محمد بن عبد السلام لحلو وسيدي علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وعبد العزيز بن ادريس والهاشمي الفيلالي ونقل الأخيرين إلى سجن تازة مع آخرين معهم حيث بقوا في السجن شهرين أفرج عنهم بعدهما وزجت بهم في سجن زقاق البغل. فاستونفت التجمعات بالقرويين، وعاد الناس إلى قراءة اسم الله اللطيف، فقررت السلطة أن تظهر بمظهرها الحقيقي حيث قررت اعتقال الكثيرين فقرر المحتجون الدعوة إلى الاضراب وأغلقت الدكاكين والأسواق، وتوقفت حركة الاحتجاج نتيجة القمع الشديد.

عريضة فاس ومطالبها

أشرت سابقا إلى أن وفد فاس تقدم بعريضة ومطالب إلى جلالة الملك المعظم، واني مثبت هنا نص العريضة المذكورة وهي مكتوبة بأسلوب سجعي قديم، لا يخلو من طلاوة، وان كان لا يستسيغه بعض الشباب المعاصر :

المقام الذي يصرخ وينفذ، ويُتْهم سبيل السلام وينجد، ويسعف في حفظ مراسم الاسلام ويسعد، وينجز في صيانة الملة السمحة قبل أن يعد.

الامام الذي شرف أصلا وفرعا، ولان عريكة وطبعا، وامتطى ذرى السؤدد انتصابا ورفعا، واطمأنت بإمارته الخواطر والنفوس، وتشرفت بنشر فضائله الأقلام والطروس، وآمنت بصوارم نهضته شعائر الدّين من كل بوس، الامام الهمام، المنصور الالوية والاعلام، أمير المسلمين والاسلام، أبا عبد الله سيدي محمد، احمد الله منهجه ومسعاه، وجعل في الصالحات مذهبه ورجعاه. وعلى سدتكم السنية ابلغ السلام وأزكى التحية، من مجموع أعيان الرعية، بإخلاص تجلة واحترام، واجلال من الخاص والعام.

أما بعد حمد لله تعالى الذي من بخلافة الاسلام، لصيانة حوزة الشريعة، وتأمين سبل السلام، ونشر شعائر الملة بين سائر الأنام، وطوقنا بيعة هذه الدولة الشريفة العلوية والعترة الطاهرة الهاشمية، التي شيدت معالم المجد الاسلامي ومراسمه، وبذلت الجهود في صيانته،

ببواتر لزيغ العناد حاسمة، ونشرت الوية الأمن والأمان، وأنامت الأنام على سرر العدالة في كل آن.

فالقصد منا بهذا الكتاب، والتضرع المستطاب، استعطاف ذلك الجناب، واستمناح مواهبه السابغة الجلباب، بمناسبة المسألة البربرية، التي أهم شأنها بإيالتكم الشريفة كل البرية، رغبة في دين الاسلام، إذْ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم كما قال عليه السلام، وتمسكا بأذيال كلمة الله العليا، دون تفرق في الوحدة المغربية أو انقسام، وتشبثا بالعروة الوثقى، وجريا على سنن السلف الصالح أهل الديانة والتقى، واعتصاما بحبل الله تعالى التجاء وتضرعا، لئلا نكون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، راجين من جنابكم العالي السامي المقدار، ذي المجادة والفخار، أن تلتفتوا لهذه المسألة بهمتكم العلية، وفكرتكم الذكية، التفات تبصر واعتبار، واهتمام ذي شهامة واقتدار، حتى ينجلي عن المخلصة في طاعتكم الكرب الذي حزبها، وينكشف الغم الذي نابها، بمد يدكم الشريفة لمناولة هذه اللائحة التي توافي جنابكم الرفيع، وتؤذن ربع ناديكم البديع، مشتملة على رغبات هي أجدر أن تحظى من سيادتكم بجوائز الاجازة والمساعدة، وان تصادف من شيمكم السامية درر الاستحسان والاجادة، بظهير شريف، تلقونه يوم القيامة كتابا منشورا، وعملا متقبلا مشكورا، وجزاء موفورا. إذ لا يخفى على شريف علمكم ان القبائل البربرية كانت من أول الأمة المغربية تسارعا إلى اعتناق الديانة الاسلامية، والاهتبال بمراسمها السامية، بل كان منهم أعوان لها وأنصار، في مختلف الجهات والأقطار منذ الفاتح الأكبر، والسند السري الأشهر، مولانا ادريس الأزهر، بجريهم في معتقداتهم ومعاملاتهم على مقتضاها وسيرهم على ما يبلغ رضى الله ورضاها. وكان الأمراء الأجلة كيوسف بن تاشفين — وهو من صميم البربر — ينشر دعوة الاسلام ومعالمه، ويستصحب لكافة القبائل أجلة العلماء، استرشادا لهم في إجراء الشعائر الاسلامية، دون توان أو فتور، أو تراخ وقصور، واقتفى أثره في ذلك من بعده من ملوك البربر كالموحدين وبني مرين، حينا بعد حين، واستمر لواء الشريعة على عهدهم منشورا، وجند الحنيفية السمحة مؤيدا منصورا، في جميع أنحاء المغرب، مدنه وقراه، عربه وبربره، إلى أن أظهر الله الدولة السعدية، الشريفة القرشية، فاتبعت تعاليم من سبق لهذا الميدان، وأيدت الشريعة الاسلامية والوحدة المغربية بكل مكان، ثم أشرقت شمس الدولة العلوية، والعترة الطاهرة الهاشمية على جميع الايالة المغربية، فأيدت كذلك شؤون الشريعة المحمدية، والشعائر السنية الدينية، وسلكت بالناس من رعيتها العرب والبربر المحجة البيضاء، وسبل الملة السمحاء، وأقروا الولاة الشرعيين في سائر الأنحاء، وشدوا عضد القضاة والعلماء بقبائل البربر، كالامام المؤرخ اليفرني وأبي علي اليوسي وغيرهم من القضاة والعلماء الموجهين لنشر عقائد الاسلام، ممن لا يحصون كثرة على عهد من سبقهم من دول الاسلام : من دولة الأدارسة فمن بعدهم، ممتثلين قول الله تعالى : «فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» الآية،وقوله تعالى : «إنما كان

قول المومنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا». وكذلك كانت تفد الطلبة للمدن والحواضر لتعلم العلوم الشرعية الاسلامية، والعقائد الدينية، لقوله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) الآية.

ومن المعتقد في جناب مولانا المنصور بالله، دام مجده وعلاه، التمسك بشريعة وطريقة جده عليه السلام، واقتفاء اثر أسلافه الكرام، برد الله أضرحتهم في دار السلام، ولذلكم نرجو من جنابكم الشريف التفضل بتلبية هذه المطالب، وتحقيق هذه الرغائب، ومقابلة الوافدين على أعتابكم الشريفة بعين الرضى والقبول، ومنح رعيتكم المتعلقة بأذيالكم المنى والمسؤول، أبقاكم الله محفوظين، وبعين رعايته ملحوظين، وأدام جنابكم حصنا حصينا للأنام، ومنهلا عذبا للعفاة من رعاياكم على مر الليالي والأيام، بجاه جدكم خير الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى خالص الخدْمة، وصميم المحبة، وصريح الطاعة. والسلام. في 28 ربيع النبوي الأنور عام 1349هـ.

وفيما يلي المطالب المقدمة مع العريضة :

أولا : احترام نفوذ جلالة السلطان أيده الله بالايالة الشريفة، وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، وذلك بجعل الولاة المخزنيين من قضاة وقواد وباشوات ومحتسبين ونظار وأمناء الأملاك مسؤولين أمام الحكومة الشريفة.

ثانيا : إصدار ظهير مولوي، يجعل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية.

ثالثا : تنظيم المحاكم الشريفة وإصلاحها وتولية الأكفاء فيها، سواء الشرعية منها، أو محاكم الباشاوات والقواد والمحتسبين وتعميمها في سائر القطر المغربي لا فرق بين حواضره وبواديه.

رابعا : توحيد برنامج التعليم في سائر المدارس التي تؤسس لتعليم الأهالي، سواء في المدن أو القبائل، وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن فيها، وتعميم تعليم الدين الاسلامي.

خامسا : احترام اللغة العربية، لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها بالايالة الشريفة، وكذلك في سائر المحاكم، وعدم اعطاء أي لهجة من لهجات البربرية أي صفة رسمية، ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية.

سادسا : ايقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم، ومنعهم من التجول بالقبائل والحضور في الأسواق والمواسم، ونشر أي شيء يمس بكرامة الاسلام، وحرمة النبي ﷺ بأي نوع من أنواع النشر.

سابعا : لا تعطى أية إعانة من ميزانية الدولة الشريفة أو ملك من أملاك المخزن الشريف

صورة من الوثيقة التي قدمها الوفد الوطني لمدينة فاس برئاسة الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمن بن القرشي الامامي يحتجون فيها على الظهير البربري.

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

[illegible]

أولا — [illegible]

ثانيا — [illegible]

ثالثا — [illegible]

رابعا — [illegible]

خامسا — احترام اللغة العربية [illegible]

سادسا — [illegible]

سابعا — [illegible]

ثامنا — [illegible]

تاسعا — [illegible]

عاشرا — [illegible]

حادي عشر — [illegible]

ثاني عشر — [illegible]

ثالث عشر — [illegible]

[illegible]

للجمعيات التبشيرية من الساعين في تشييد الكنائس، ومنتديات التبشير في أطراف البلاد المغربية.

ثامنا : عدم السماح للمبشرين بإحداث ملاجئ للأيتام واللقطاء، ومدارس صناعية للبنين والبنات والانفاق على ذلك من المال المعد للمصالح العامة، وأموال جماعة المسلمين كما هو مقرر في الشريعة الاسلامية،اما ما سبق تأسيسه، فإما ان تقوم به الحكومة الشريفة، واما أن يقفل، وعلى أي حال، لا ينبغي أن يبقى تحت نفوذ المبشرين.

تاسعا : لا يعين الرهبان والمبشرون للتدريس في مدارس الحكومة أو لادارتها.

عاشرا : عدم التعرض لفقهاء المكاتب والمشارطين بالقبائل وإعطاء الحرية للوعاظ والعلماء، وشيوخ الطرق الصوفية، للتجول بالأنحاء المغربية، بقصد تعليم الناس أحكام دينهم، وحثهم على إقامة شعائره.

حادي عشر : اسقاط جوازات التنقل بداخل الايالة المغربية التي يحصل بها بُعد الحضري عن البدوي، ويتعذر بذلك تفقيه الأمة في الدين، والاكتفاء عند التنقل بورقة التعريف الشخصية.

ثاني عشر : اعتبار جميع السكان الموجودين بالبلاد المغربية ما عدا الأجانب، تحت رعاية مولانا السلطان وسلطته، خاضعين للمحاكم الشرعية والمخزنية التي تؤسس باسمه الشريف، وكذلك اعتبار جميع المغاربة ما عدا اليهود مسلمين، بمعنى أنه لا توجد ملة ثالثة للمغاربة الوطنيين.

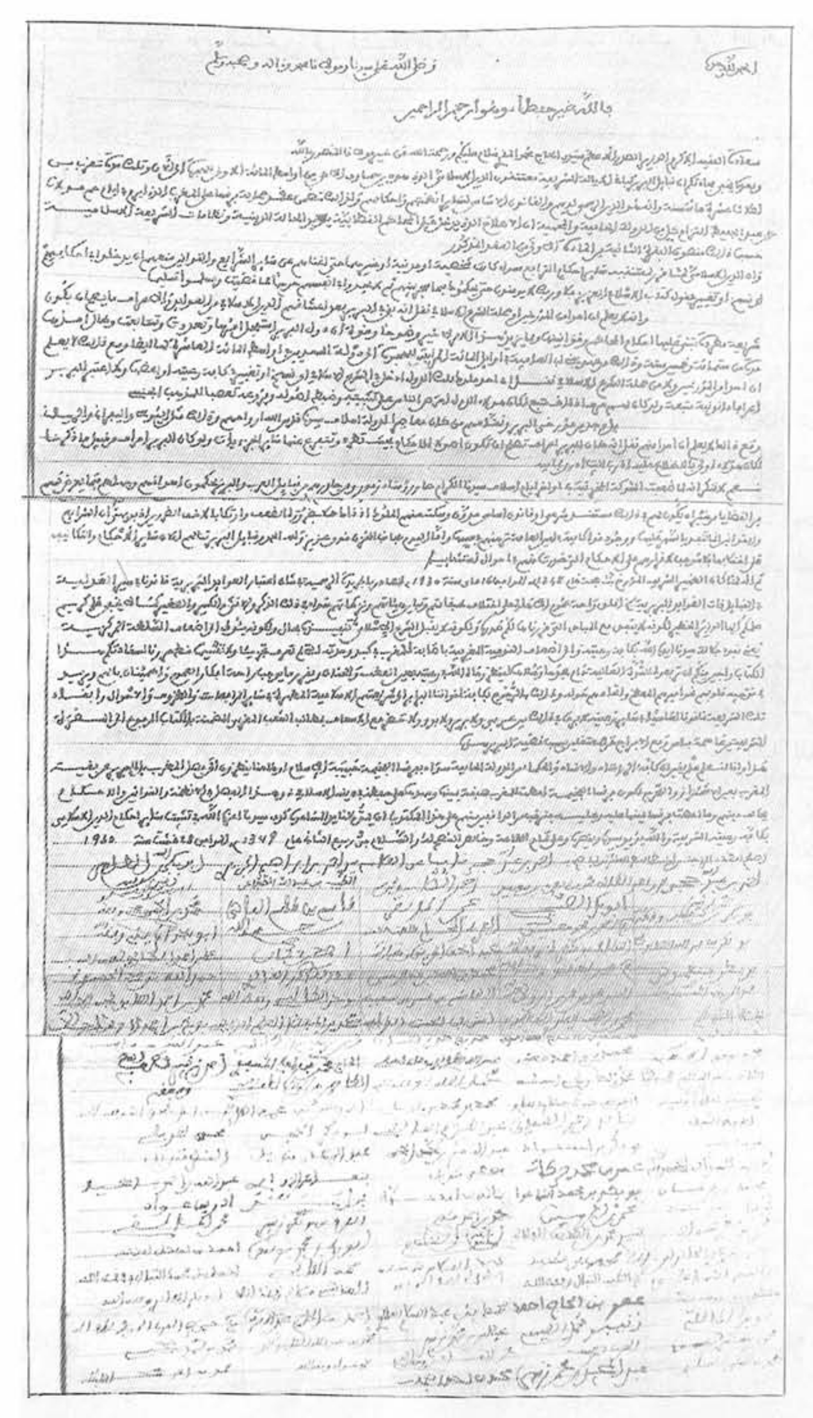
ثالث عشر : منح العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في سبيل هذه القضية، وعدم التعرض لكل من خاض فيها.

* * *

لقد كان لتقديم عريضة فاس، واستقبال وفدها من طرف جلالة السلطان، صدى عظيم في أنحاء المغرب، فقررت كل من الجماعة الوطنية بسلا والرباط ان تتقدم هي بدورها بمذكرات وعرائض تأييدية للمطالب التي أتت في عريضة فاس والتي كانت تعبيرا صادقا عما يطمح إليه الشعب المغربي في تلك الظروف الحرجة.

عريضة مدينة « سلا »

ولقد تكونت لجنة وطنية بسلا عهد إليها بتحرير المذكرة التي سترفع إلى جلالة السلطان وعين الوفد الذي سيقدمها، وكان من جملة أعضائه العلامة المفتي شيخ الجماعة بسلا الفقيه



الحمد لله وحده

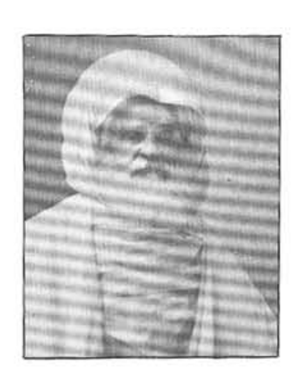
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

عريضة مدينة «سلا»

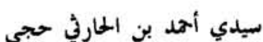


العلامة السيد أبو بكر زنيبر



العلامة السيد أحمد الجريري





سيدي أحمد بن الحارثي حجي

العالم الزاهد السيد أحمد الجريري والعلامة المفتي السيد أبو بكر بن الطاهر زنيبر والشريف الأصيل مولاي أحمد الصابونجي والشريف الوجيه سيدي أحمد بن الحارثي حجي والشريف الغيور السيد الحاج محمد الطالبي والأستاذ المخلص السيد ﺝ بوبكر الصبيحي.

ولقد حرر مشروع المذكرة الفقيه العلامة السيد بوبكر زنيبر وكتبت بخط السيد بنعاشر الزواوي، وهذا نص المذكرة :

الحمد لله وحده.

فالله خير حفظا، وهو أرحم الراحمين

سعادة الفقيه الأكرم، والوزير الصدر الأعظم سيدي ﺝ محمد المقري

سلام عليكم ورحمة الله، عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد، فلا يخفى مجادتكم أن قبائل البربر كباقي الايالة الشريفة، معتنقون للدين الاسلامي الذي هو دين سماوي الاهي، من أواسط المائة الأولى للهجرة إلى الآن، وتلك مدة تقرب من الثلاث عشرة مائة، وانه هو الدين الرسمي لديهم، والقانون الأساسي لسائر أنظمتهم وأحكامهم. ولذلك تضمن عقد حماية فرنسا على المغرب الذي أبرم في أيام عم مولانا، مولاي عبد الحفيظ، التزام كل من الدولة الحامية والمحمية ان الاصلاح الذي يدخل على المحاكم القضائية يؤيد الحالة الدينية ونظامات الشريعة الاسلامية، حسبما ذاك منطوق الفقرة الثانية من المادة الأولى من العقد المذكور.

وان الدين الاسلامي لما قرر لمعتنقيه سائر أحكام الترافع، سواء كانت شخصية أو مدنية أو غيرهما، حتى أغناهم عن سائر الشرائع والقوانين، منعهم أن يدخلوا في أحكامهم أي نسخ

أو تغيير بقول كتاب الاسلام العزيز «فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما».

وانه لا يعلم أن أحدا من المؤرخين أو حملة الشرع الاسلامي نقل انه بقي في البربر بعد اعتناقهم الدّين الاسلامي من العوائد والأعراف، ما يصح أن يكون شريعة مطردة، تبنى عليها أحكام المحاكم وقوانينها.

وممّا يزيد هذا الأمر الأخير وضوحا وقوة أن دول البربر استفحل أمرها، وتتابعت وطال أمدها مدة من ستمائة وخمسين سنة، وذلك من عهد بني أبي العافية في أوائل المائة الرابعة للهجرة إلى دولة السعديين في أواسط المائة العاشرة. كما أيضا ومع ذلك لا يعلم أن أحدا من المؤرخين ولَا مِنْ حملة الشرع الاسلامي نقل ان أحد ملوك تلك الدول أدخل في الشرع الاسلامي أيَّ نسخ أو تغيير، في كافة رعيته أو بعضها، ولا اعتبر للبربر أعرافا قانونية متبعة، ولو كان لهم عرف إذذاك متبع، لكان هؤلاء الدول أحرص الناس على تثبيته وضبط أصوله وفروعه تعصبا للمذهب الجنسي.

بل وجد من مؤرخي البربر ونقادهم، من كَانَ معاصرا لدولة أسلاف سيدنا قدس الله أرواحهم، وذلك مثل اليوسي واليفرني والزياني، ومع ذلك لا يعلم أن أحدا منهم نقل انه كان للبربر أعراف تصلح أن تكون أصولا للأحكام بحيث تطرد وتتفرع عنها سائر الجزئيات، ولو كان للبربر أعراف من قبيل ما ذكرنا، لكان هؤلاء أولى بالاطلاع عليها، إذ رب البيت أدرى بما فيه.

نعم، لا ننكر أنه لما ضعفت الشوكة المخزنية في أواخر أيام أسلاف سيدنا الكرام، صار رؤساء زمور ومن جاورهم من قبائل العرب والبربر يحكمون أهواءهم وجهلهم، فيما يعرض لهم من القضايا، من غير أن يكون لهم في ذلك مستند شرعي أو قانون أساسي مدون، وسكت عنهم الملوك إذذاك، عملا بضرورة الضعف وارتكابا لأخف الضررين، إذ بديهي ان الشرائع والقوانين إنما تنفذ بالسهر عليها ووجود قوة كافية في أعين العامَّة ترهبهم في مسِّها، واما اليوم فجانب المخزن قوي عزيز ولله الحمد وقبائل البربر تنالهم الآن سائر الأحكام والتكاليف على اختلافها، فلا موجب لاقرارهم على الأحكام التي صدرت منهم في أحوال استثنائية.

ثم انه لما كان الظهير الشريف المؤرخ بـ 17 حجة عام 1348 الموافق لـ 16 ماي 1930 الصادر بالجريدة الرسمية في شأن اعتبار العوائد البربرية قانونا في سير العدلية في القبائل ذات العوائد البربرية الخ... اقلق راحة عموم الأهالي على اختلاف طبقاتهم، وتباين هيآتهم ونزعاتهم، سواء في ذلك الذكر والأنثى والكبير والصغير كما لا يخفى على كريم علمكم أيها الوزير الخطير، لكونه لا يتفق مع المبادئ التي قررناها لكم صدرهُ، ولكونه لا يقبل الشرع الاسلامي تنفيذه بحال، ولكونه يؤول إلى اضعاف السلطة المركزية نعني نفوذ جلالة

سيدنا أيدهُ الله بكافة رعيته، وإلى اضعاف القومية المغربية بإصابة المغرب في كبد وحدته التي لم تعرف تجزيئا ولا تقسيما قط.

حررنا لسعادتكم هذا الكتاب راجين منكم أن ترفعوه للسدة العالية دام مجدها وعلاها، لينظر رعاه الله في رعيته بعين العطف والحنان، ويقرر ما يوجب راحة أفكار العموم، واطمئنان بالهم، ويزيد في توجيه قلوبهم نحو أميرهم المعظم، واتحادهم حوله، وذلك بالرجوع بكافة إخواننا البرابر إلى شريعتهم الاسلامية المطهرة في سائر المرافعات والظروف والأحوال، وابقاء تلك الشريعة قانونا أساسيا في سائر رعيته، لا فرق في ذلك بين عربي ولا بربري، ولابدو ولا حضر، مع الاسعاف بمطالب الشعب المغربي المضمنة بالكتاب المرفوع إلى الحضرة الشريفة من عاصمة فاس، ومع الافراج عن المعتقلين بسبب قضية البربر هذه.

هذا وإنا لنعلم علم يقين أن كافة الرؤساء والأمناء والحكماء من الدولة الحامية، سواء بفرنسا الفخيمة (حبيبة الاسلام) ؟ أو ها هنا ينظرون إلى فصل المغرب بل البربر عن بقية المغرب بعين الاشمئزاز والتحرج لكون فرنسا الفخيمة أعطت للمغرب صفقة يمينها وعهدها على حفظِهِ في دينه الاسلامي، وهذا الفصل في الأنظمة والقوانين والأحكام، يخالف دينهم، وما أعطت فرنسا يمينها عليه.

وعليه فنرغب من الواقفين منهم على هذا المكتوب أن يمدوا لنا يد المساعدة لدى سيدنا أعزه الله، في تثبيت سائر أحكام الدين الاسلامي بكافة رعيته الشريفة، والله يؤيد سيدنا وينصره، وعلى تمام الطاعة وخالص النصح له والسلام.

في 9 ربيع الثاني عام 1349 الموافق 28 غشت سنة 1930 ثم التوقيعات وهي :

— أحمد بن عبد الله حجي نائبا عن العلامة سيدي أحمد بن ابراهيم الجريري (شيخ العلماء).
— أبو بكر بن الطاهر زنيبر (عالم، قاض سابقا، مفت).
— احمد بن عبد الله حجي (تاجر، ملاك)
— محمد بن احمد الطالبي (فلاح، ملاك)
— محمد بن العربي بنسعيد
— الطيب بن عبد الله الصفاعي (عالم)
— ادريس الجعيدي (عالم، عادل)
— محمد زنيبر
— عمر المالقي
— محمد بن الحسن حجي
— بوبكر بن سعيد
— العربي النجار (تاجر)
— التهامي بوشعرة (تاجر)
— احمد بن دحمان
— أحمد الصبونجي (ملاك، تاجر)
— أبوبكر الصبيحي (موظف)
— قاسم بن قاسم الفاسي (تاجر)
— أبو بكر المريني
— الحاج احمد بن محمد معنينو
— بوبكر بن عبد الله الصابونجي

— عبد الحق المريني
— بوبكر بنغموش
— عبد الله بن محمد الحسوني
— محمد بن احمد الصابونجي
— محمد بن المفضل العلمي
— عبد الله جغالف
— الحاج محمد بن علي المسفيوي
— محمد الصابونجي
— جّ هشام العلوي
— بناصر بن محمد السفياني
— عمر بن الكبير
— الخضر قنديل
— بنعاشر الزواوي
— بناصر بن احمد عواد
— عمر بن الأمين
— مّحمد بن محمد عواد
— جّ محمد لعلو
— محمد المريني (عالم)
— الجيلالي الشواطي
— بوبكر بن أحمد الأحرش
— محمد بن مومن
— الحاج محمد بن علي المسفيوي (شيخ الملحون)
— محمد لعلو

— محمد بن محمد بروابن
— عبد الكريم المالقي
— بوبكر بن احمد عواد
— ادريس الشدادي الحسني
— عبد الله بن احمد بايحيا
— عبد الحميد العلوي

— علي بن احمد الطالبي (موظف)
— محمد بن احمد بن عبد الرحمان
— الهاشمي بن عمر بنسعيد (نجار)
— محمد بن الطيب العلوي (عدل)
— محمد بن جّ محمد بن دحمان
— محمد بن جّ احمد معنينو
— احمد زنيبر (ملاك)
— الطاهر بن المعطي
— ادريس بن محمد الطالبي
— أبو بكر حجي
— عبد القادر بن محمد حجي
— عمر بن محمد حركات
— محمد بن دحمان
— ادريس عواد
— العربي بن بوبكر زنيبر
— عبد الله العلوي
— عبد القادر القادري
— بوبكر الطالبي (فلاح)
— الحسن الطرابلسي
— إبراهيم الطرابلسي
— عبد الله الطالبي
— الطاهر بن عبد السلام حجي

— بنعيسى لعلو (ملاك من الذين نفوا في حوادث الضرائب 1921)
— عمر بن احمد بن محمد السفياني
— محمد الغرابلي
— عبد الرحمان قنديل
— مصطفى قنديل
— بوبكر بن محمد اشماعو
— أبو بكر بن عبد الله عواد



- محمد بن احمد ملاح
- سيدي محمد بن الصديق الفلالي
- احمد بن المفضل المكينسي (فلاح)
- محمد بن سعيد
- ابراهيم اشماعو (خراز)
- مصطفى بن بوزيد «امام مسجد»
- حّ حجي ابن العربي الريفي
- محمد ابن عبد الله الصابونجي
- محمد عواد (عدل، خطيب)
- محمد بن احمد النجار
- احمد بن محمد التيال
- أبو بكر القادري
- احمد بن حّ محمد الأحرش
- عباس بن محمد زنيبر
- محمد القادري
- محمد المالقي
- أبو بكر بن محمد بوشعرة
- الحسين بن عبد القادر بن بوزيد
- محمد الفاسي
- الهاشمي ملاح (نجار)
- محمد بن عبد السلام العلوي
- محمد الصبيحي
- محمد بن بنعاشر الحسوني
- محمد بن المكي العلوي
- عبد السلام بن عبد العالي
- حّ الطيب التيال (خراز)
- عمر بن الحاج احمد زنيبر
- بوبكر المالقي
- مّحمد بن محمد حجي
- محمد بن احمد حجي
- عبد المجيد بن محمد زنيبر

ولقد كان في عزم الوفد السلاوي ان يقدم بنفسه هذه المذكرة لصاحب الجلالة، ولكن الادارة تعرضت، فبقي الوفد ينتظر تحديد الموعد دون نتيجة.

ولقد وقعت الوثيقة من مختلف طبقات سكان مدينة سلا من العلماء والأعيان والتجار والحرفيين والطلبة والاشراف وغيرهم.

عريضة الرباط

أما عريضة الرباط فلقد جاء فيها مايلي :

إن مما آلم الأمة المغربية، وأقض مضاجعها ما اقتضاه الظهير الصادر في 17 حجة عام 1348هـ الموافق 16 مايو 1930م من إخراج جميع إخواننا البرابرة من تحت أحكام الشريعة الاسلامية مع أن البربر عماد الاسلام في هذا القطر المغربي، وانه لم تقم للاسلام قائمة الا بهم، فإن المولى ادريس رضي الله عنه انما دخل للمغرب وحده، والبربر هم الذين عزروه ونصروه وقاموا بدعوته، وان جميع الدول الاسلامية العظمى التي توالت على المغرب الأقصى، وفي أيامها أدرك أوج عزه ومجده، وامتداد فتوحاته جلها كانت من البرابرة كالدولة اللمتونية التي ضمت جزيرة الأندلس إلى المغرب الأقصى، وكالدولة الموحدية التي ضمت الجزائر وتونس واتصلت

امبراطوريتها بحدود الكنانة، والتي لا تزال آثارها الدينية ماثلة في مساجد الكتبية وحسان ومنارة اشبيلية، ثم الدولة المرينية ذات المؤسسات الدينية العرفانية وزوايا البر وملاجئ الاحسان التي لا تزال لحد الساعة بارزة المعالم في جميع أنحاء المغرب أولئك كانوا من رجال الاسلام وعظمائه وحماة شريعته وناشري ألويته، والذين مازال أبناؤهم كما كان آباؤهم مسلمين متمسكين بعقيدتهم وإسلامهم، يراد اليوم ابعادهم عن الشريعة الاسلامية التي اعتنقوها منذ ثلاثة عشر قرنا، والزامهم أحكام العرف التي هي أحكام أزمنة الفوضى والفتنة، كانت تضطر إليها القبائل البدوية، سواء البربر فيها والعرب ابان ثورة أو انعدام حكم المخزن من بينهم، وعدم وجود ولاة المخزن من مدنيين وشرعيين بين اظهرهم، فتضطرهم المنازعات التي لابد من حدوثها في كل قبيل، إلى تحكيم جماعات من شيوخهم فيها، ثم لا يلبث يضمحل وينقرض بمجرد رجوع حكام المخزن واستتباب الأمن، فهل مثل تلك الأحكام الجاهلية التي يصدرها جماعة من الجهلاء تقوم مقام الشريعة الاسلامية القويمة، وتحل محلها مع شريعة أجنبية لا تجمعهم بها جامعة دين أو وطن، مع أن القوم لازالوا مسلمين يجاهرون بإسلامهم ويبرؤون إلى الله من كل ما يحول بينهم وبين الاسلام، ولم يقر أحد من ملوك المغرب أحكام العرف بصفة رسمية في قبيلة من قبائله وهم تحت سيطرة الحكم العرفي، اما الظهير الذي صدر في 20 شوال 1332هـ 11 شتنبر 1914، فقد اقتضت صدوره ظروف الحرب العظمى بطلب من نائب الدولة الحامية، وقد كان ينتظر إلغاؤه من وقت لآخر، بظهير آخر يرد على الأمة المغربية وحدة شريعتها، إذ لا حياة مدنية لأمة متعددة الشرائع.

(وجاء بعد محو سطرين مايلي) : ولاشك أن فصل العنصر البربري عن الشريعة الاسلامية واللغة العربية هو فصلهم عن المتمسكين بهما من بقية الأمة المغربية، وينتج عن هذا الفصل نتيجتان : كل منهما قاض على المغرب والمغاربة، أولهما : إذا نزعت الشريعة الاسلامية والثقافة العربية من بين جميع القبائل البربرية واقصيت سيطرة السلطات الدينية والدنيوية، وقد بدئ بترك الدعاء للملك على منابرهم في الجمع والأعياد وبقوا مع ذلك تحت سيطرة تلك الأحكام الجاهلية العمياء، مع وجود ثقافة أجنبية بلغتها وآدابها وشريعتها وعدم وجود ما يعارضها من شريعة قويمة أو ثقافة متينة، فتسقط تلك المحاكم العرفية الجهلاء أمام تلك الثقافة الأجنبية العنيدة، لامراء يصبح أبناؤها الذين تثقفوا بالثقافة الأجنبية هم أول القاضين عليها، وإذذاك يقضي على الاسلام قضاء مبرما مباشرة أو بواسطة، وهذا أحد نتائج الانفصال. ثانيهما : أنه إذا فصل البربر عن العرب، يصير العرب في حكم الأقلية، فإذا صارت هناك أغلبية عظمى تعضدها قوة أجنبية فأي حياة تكون لتلك الأقلية أمام ذلك التجييش المنظم، ولاشك أنه إذا ثبتت مقدمات الانفصال ان تثبت النتائج المذكورة، وإذذاك لا يبعد اليوم الذي يحل بنا ما حل بأسلافنا في الأندلس. لذا نطلب من جنابكم أن تبلغوا مخاوفنا هذه للجلالة الشريفة، وأن تبينوا لها الأخطار الناجمة عن ذلك الظهير القاضي بفصل البربر عن الشريعة

الاسلامية، وان تسعوا لدى جلالته بنسخه ونسخ ظهير 11 شتنبر 1914 الذي اقتضته ظروف الحرب فقط[20].

وإليكم ياسعادة الصدر الأعظم، مطالبنا الشعبية الدينية، التي نطلب من جنابكم تبليغها وبسطها لدى الجلالة الشريفة وهي :

أولا : نسخ الظهائر والقرارات القاضية بفصل البربر عن الشريعة الاسلامية أو بإنشاء محاكم عرفية لهم بظهائر تلغيها وتوجب توحيد الشريعة في جميع القطر المغربي مع تنظيم المحاكم الشريفة وإصلاحها وتولية الأكفاء فيها، سواء منها الشرعية أو المدنية وتعميمها في كافة القطر المغربي لا فرق بين بواديه وحواضره.

ثانيا : احترام نفوذ جلالة الملك بالايالة الشريفة، وتعميم سلطته الدينية والدنيوية، وذلك بأن يكون تعيين جميع الولاة المغربيين من لدن جلالته الشريفة، سواء في القبائل البربرية أو غيرها.

ثالثا : توحيد برنامج التعليم في سائر المدارس التي تؤسس باسم الحكومة الشريفة، سواء في المدن أو القبائل، وتعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن فيها، وتعميم التعليم الديني الاسلامي.

رابعا : احترام اللغة العربية التي هي لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها بالايالة الشريفة، وعدم إعطاء أي لهجة غيرها صبغة رسمية.

خامسا : إيقاف حركة المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم، ومنعهم من التجول بالقبائل البربرية، والحضور في الأسواق والمواسم ونشر أي شيء يمس بكرامة الاسلام وكرامة النبي ﷺ. بأي نوع من أنواع النشر.

سادسا : عدم السماح للمبشرين باحداث ملاجئ للأيتام أو اللقطاء ومدارس علمية وصناعية للصبيان والبنات، وترك ذلك للحكومة والأمة، وعدم تعيينهم بمدارس الحكومة الشريفة.

سابعا : عدم التعرض للفقراء والقراء والمشارطين بالقبائل وإعطاء الحرية للعلماء والوعاظ وشيوخ الطرق الصوفية للتجول بالأنحاء المغربية في الأسواق والمواسم والمجتمعات، بقصد تعليم الناس أحكام دينهم، وحثهم على التمسك بهدايته.

ثامنا : إسقاط جوازات التنقل بداخل الايالة الشريفة المغربية التي يراد بها ابعاد الحضريين عن البدويين، حتى لا يتفقه هؤلاء في الدين، ولا تنتشر بينهم اللغة العربية.

(20) مقدمة العريضة منقولة عن كتاب «شذرات تاريخية» للمرحوم الأستاذ عبد الله الجراري ص 61/60/59/58.

هذه ياسعادة الوزير، أهم مطالبنا اليوم التي نطلب من جنابكم تعضيد تحقيقها من لدن الجلالة الشريفة، وانا لعلى يقين تام من أن رجال الدولة الحامية الذين يعملون بإخلاص لمنفعة هذا القطر المغربي وسلطانه وأمته، يستنكفون من كل ما ينفر قلوب المغاربة عنهم، أو يزيل ثقتهم فيهم، ولاشك أنهم يتعاونون مع جلالة السلطان على تحقيق ما فيه صالحنا، وهو توحيدنا امة وتشريعا، وابعاد ما يضر بنا، وهو تمزيق وحدتنا، وخنق شريعتنا، والله يتولى الكل بمراده.

والسلام عليكم ورحمة الله

في 28 ربيع الأول عام 1349

علال الفاسي

السياسة البربرية في مراكش

عناصرها ومظاهر تطبيقها

القاهرة ١٩٥٢

سياسة التخدير

لم يكن الفرنسيون ينتظرون هذه المقاومة التي برز بها المغاربة في الحواضر والبوادي لسياسة تقسيم المغرب، ولم يكونوا يتوقعون أن الشباب المغربي سيدرك أبعاد ما ترمي إليه سياستهم، ولكنهم فوجئوا بالحقائق التي لا تقبل الطعن، فالمغرب يغلي، وغليانه لا ينفع معه كلام معسول، ولا تأويل غير معقول، فما هم فاعلون وقد افتضحت مخططاتهم ؟، وماذا سيقولون والجرائد الاستعمارية التي أصبح الشباب المغربي يطلع على ما تكتب، تهنئ رجال الاستعمار بهذه الخطوة التي خطاها دهاقنتهم بإخراجهم البربر من ظلام الشريعة الاسلامية ؟. لقد كتبت جريدة «الطان» الباريزية مقالا بتاريخ 27 ماي 1930 قالت فيه متحدثة عن ظهير 16 ماي 1930 مايلي : «انه عمل عظيم، جدير أن تهنأ عليه فرنسا، لقد تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الاسلامية». ثم يقول المقال : «بالظهير البربري تم للسلطة الفرنسية طرد الشريعة الاسلامية، وبه تم طرد السلطة المخزنية وهذا هو أساس السياسة البربرية».

لقد عمد مفتو السياسة الأهلية بالاقامة العامة الفرنسية إلى سياسة التخدير، كي يطفؤوا حماس المغاربة، وليموهوا عليهم ويغالطوهم، وهكذا أذاع المعتمد بالاقامة «اربان بلان» منشورا يدعى فيه أن بعض رجال الادارة فسروا ظهير 16 ماي تفسيرا غير صحيح، انه لا يلزم القبائل البربرية كلها بالتحاكم إلى العرف (ازرف) بل ان ذلك موكول إلى الاختيار، فمن شاءت من القبائل ان تتحاكم إلى الشريعة فلها ذلك، ومن شاءت ان تتحاكم إلى أعرافها فلها ذلك.ولكن الواقع كذب ما ادعاه هذا المنشور التخديري، فان القبائل التي حاولت التعبير عن مطالبتها التحاكم إلى الشريعة الاسلامية، كانت تلاقي من العنت الشيء الكثير، فلقد سافر وفد من زمور إلى الرباط للمطالبة بالشرع، فكان جزاؤه السجن في الحال، ونفس الشيء وقع مع قبيلة آيت شغروشن بناحية صفرو وآيت يوسى وغيرها من القبائل. الأمر الذي زاد الشعب اعتقادا بأن الادارة الاستعمارية ماضية في خطتها، منفذة قراراتها، متبعة مناوراتها. فلا مناص من المقاومة لهذه السياسة التقسيمية، ولابد من فضحها أمام الملأ، ليدرك اخواننا في المشرق والمغرب، وليدرك الأحرار في العالم جميعه ان فرنسا قررت القضاء على وحدة شعب المغرب، دينيا ولغويا وقضائيا وجنسيا.

وهكذا اتجهت الأنظار إلى الخارج لفضح المخططات التي خطها دهاقنة الاستعمار، ولطلب المعونة من الأحرار ليقفوا بجانب هذا الشعب الذي رمت به الأقدار في حضن من يضمرون له السوء، ويكيدون له بكل أنواع الكيد.



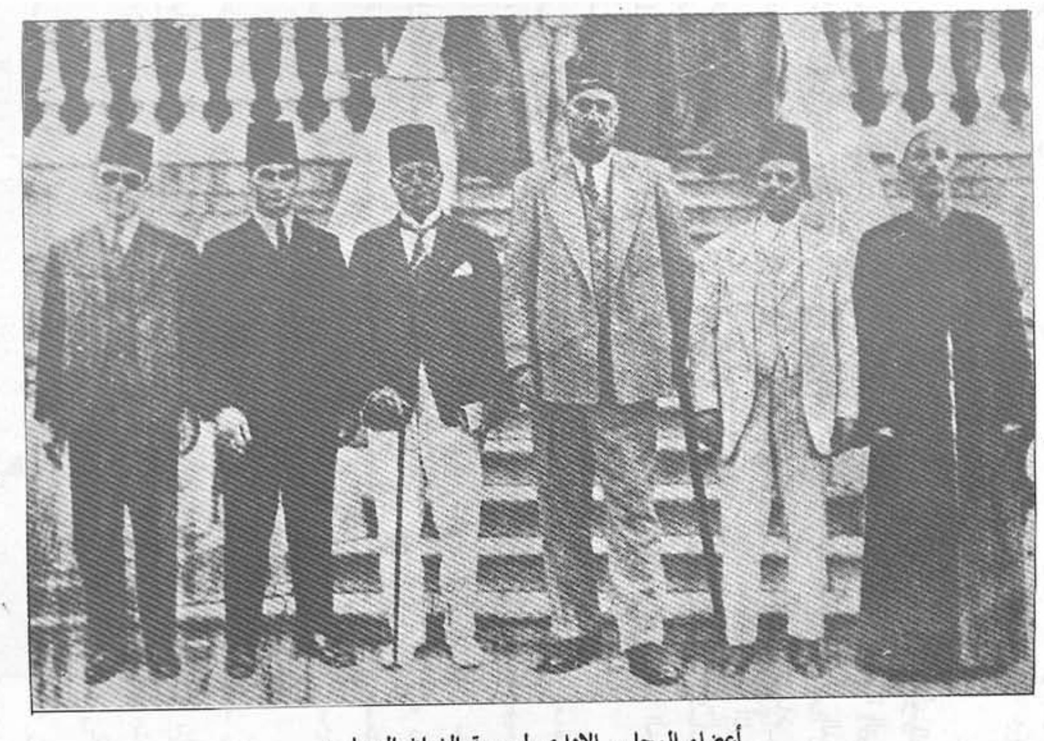
الأستاذ الحاج حسن بوعياد

لقد اتجهت الأنظار إلى مصر حيث أصبحت صحافتها وجمعياتها تردد صدى ما وقع في المغرب، وما تبيته فرنسا لشريعة الاسلام ولغة القرآن واضعاف نفوذ السلطان. ولقد قام الشباب المغربي بفتح معركة مع الاستعمار خارج الأسوار، في باريس والقاهرة وكل البلاد العربية والاسلامية، وهكذا قام أخونا المرحوم الأستاذ الحاج حسن بوعياد بدور عظيم في القاهرة يستحق شكر الوطن والدين عليه، فاتصل بقادتها وزعمائها وعلمائها، وأبلغهم ما يعلق غليهم الشعب المغربي من آمال ليساعدوه ويؤيدوه ويرفعوا صوتهم عاليا مستنكرين أعمال فرنسا وسياستها البربرية المقيتة، ولقد كان لعمله اثر كبير، فقامت مصر قومتها المعروفة مؤيدة الشعب المغربي مطالبة بمحو السياسة البربرية، فكتب الكاتبون، وخطب الخطباء، ورفعت المذكرات الاحتجاجية، وبعثت البرقيات الاستنكارية.

ولقد ابتدأ الأستاذ بوعياد نشاطه بإلقاء محاضرة بجمعية الشبان المسلمين قالت عنها جريدة «الفتح» المصرية :

«غصت قاعة المحاضرات في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة على سعتها لسماع محاضرة صديقنا الفاضل الوجيه السيد الحسن بن العربي بوعياد، مساء يوم السّبت عن قضية المغرب الأقصى حتى ان كثيرين اضطروا إلى الوقوف خارج القاعة لسماع هذه المحاضرة النفيسة التي جمعت فأوعت بما تضمنته من المستندات المهمة، والتصريحات العجيبة التي سجلها ولاة الأمور الفرنسيون على أنفسهم، فأفهموا بها العالم الاسلامي أنهم ماضون في خطة القضاء على العربية والاسلام في المغرب الأقصى، وقد دام القاء المحاضرة زمنا طويلا، وكان الحاضرون كأن على رؤوسهم الطير في استماع هذه الحقائق والاصغاء إلى ما تشير إليه من عبرة لمن يعتبر، وكلّما اعتذر الخطيب عن الاطالة شكروا له واستزادوه، حتى إذا انتهى ونزل عن منبر الخطابة دوت القاعة بتصفيق طويل حاد، قابلهم عليه المحاضر بالشكر ثم وقف حضرة الدكتور يحيى بك الدرديري مراقب الجمعية العام فشكر للمحاضر تجشمه السفر من المغرب الأقصى إلى مصر، لابلاغ هذه الأمانة، وأعقبه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ثم فضيلة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا بكلام عظيم الأهمية وستنشر الجمعية هذه المحاضرة في جزء رجب من مجلتها».

والواقع أن بلاد الكنانة قامت بدورها كاملا في مناصرة المغرب وتأييده في محنته الكبرى التي اجتازها اثر صدور الظهير البربري ولا يمكننا إلا أن نسجل بكامل الاعتزاز والاعتراف



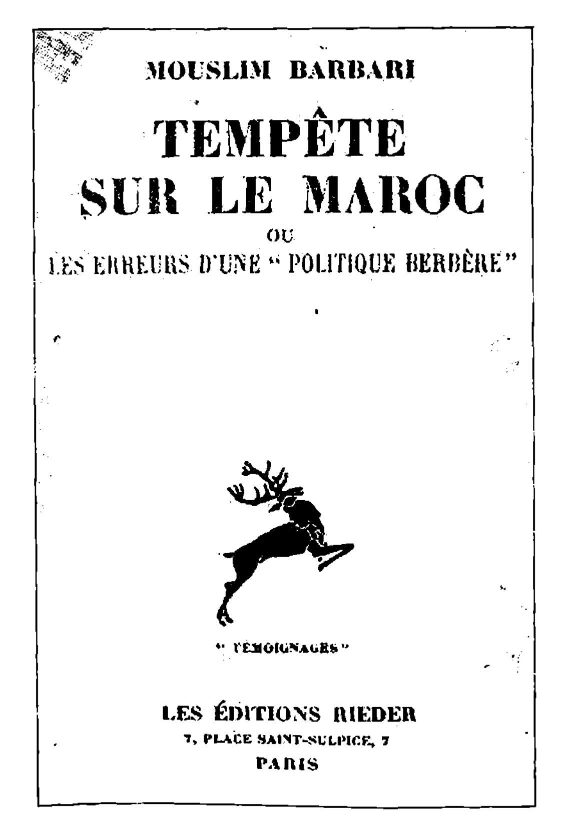
أعضاء المجلس الاداري لجمعية الشبان المسلمين

الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ــ الدكتور يحيى الدرديري ــ الدكتور عبد الحميد سعيد ــ الأستاذ عثمان مرتضى ــ الأستاذ محب الدين الخطيب ــ محمد الناغي

بالجميل لهذا البلد العظيم الذي ما تخلى عن إخوانه في أية محنة اجتازوها. اننا لا ننسى الدور الذي قامت به جريدة «الفتح» الغراء وصاحبها المومن الصادق الأستاذ محب الدين الخطيب والدور الذي قامت به مجلة «المنار» ورجلها السلفي المحدث الامام محمد رشيد رضا وجمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الاسلامية ورجال الأزهر الكرام وغيرهم وغيرهم كثير. فجزاهم الله أحسن ما يجازي العاملين المخلصين وتحية لمصر ورجالها في كل وقت وحين.

الطلبة المغاربة بباريس يفضحون سياسة الاستعمار

أما في باريس فلقد قام الشباب الوطني الموجود هناك بقصد الدراسة أو الشباب الذي التحق به بعد ذلك بدور عظيم في التعريف بالقضية البربرية وفضح السياسة التي خطط لها الاستعماريون. ولقد كان قادة الحركة الوطنية المقاومة للسياسة البربرية في الداخل يزودون إخوانهم في باريس بالمعلومات والمقالات والأبحاث للتعريف بالقضية، واستنهاض أحرار فرنسا كي يقوموا بواجبهم في مناصرة الشعب المضطهد، ومن جملة الأعمال التي أثارت ضجة في فرنسا والخارج، كتيب صغير الحجم، عظيم الفائدة، وضعته جماعة من الشباب الوطني في طليعتهم المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل حسب ما كان بلغني باسم الجماعة، ووقعه مسلم بربري.


MOUSLIM BARBARI

TEMPÊTE SUR LE MAROC

OU

LES ERREURS D'UNE " POLITIQUE BERBÈRE"

" TÉMOIGNAGES "

LES ÉDITIONS RIEDER

7, PLACE SAINT-SULPICE, 7

PARIS

عاصفة في المغرب

هذا الكتاب كان عنوانه : (عاصفة في المغرب) أو الحقيقة عن القضية البربرية، وكتب باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى العربية، وقد كنا نتداوله فيما بيننا ونحن شباب، ولم تبق تحت يدي نسخة منه، واني مثبت ملخصا عنه منقولاً عن كتاب الأستاذ بوعياد حول الظهير البربري الذي نقله بدوره عن جريدة «الفتح» القاهرية :

1) مقدمة.
2) نظرة تاريخية.
3) ظهير 16 ماي وفي هذا الفصل أربعة أقسام.
4) الشعب المغربي ضد الظهير.
5) صدى الظهير في العالم الاسلامي وترجمة بعض ما نشرته الصحف العربية.
6) القضية البربرية والرأي العام الفرنساوي وفيه بعض ما كتبته صحفهم.
7) الدواء.
8) خاتمة.

وجاء في مقدمة الكتاب : «قلق مخطر ــ ولا نقول أكثر ــ يسود الآن جميع البلاد التي تستعمرها وتحميها فرنسا وانڭلترا. ولقد استغربت هاتان الدولتان يقظة هذه الشعوب لسرعتها، ولما أحدثته من حركة هائلة، وصارتا في مأزق حرج.

والحقيقة أن هذا الاستغراب في غير محله إذا فكرنا في الوسائل التي تستعملها فرنسا وانكلترا في استعمار الشعوب، فالمسؤولية عليهما في كل ما وقع في الهند وفي الهند الصينية وأخيرا في المغرب الأقصى، فخطاياهم المتكررة، هي التي اضرمت نار الفتنة، وكانت سببا في سفك الدماء.

ولقد كانت حكومات البلاد، تعلم ما يجري يوميا من الحوادث في تلك «النممتلكات» وراء البحار، فإن الرأي العام، بل أكثر الرجال السياسيين خبرة، يجهلون تماما، كل ما يجري في المستعمرات.ومن جهة أخرى، فإن الصحافة المسماة الصحافة الاخبارية، في صمت تام، فلذلك لا يمكن لأحد أن يحكم أو يرفع صوته، أو يبدي رأيه في سياسة تلك البلاد.

وقصدنا من هذه النشرة هو أن نخبر بكل ما في طاقتنا من الانصاف ممثلي الشعب الفرنسي، وكل من يهتمون بسلم بلادهم ومستقبلها عن الحوادث التي جرت أخيرا في المغرب الأقصى وهو تحت حماية فرنسا منذ مارس 1912م. فإن استياء عاما تبعته مظاهرات عديدة قد استولى على المغرب من الريف إلى تافيلالت ومن سواحل الأطلنطيك إلى حدود الجزائر، وكان سببا في احتجاجات عديدة شديدة من العالم الاسلامي أجمع.

وسبب هذا الاستياء العام الذي لم تكن أهميته بالحسبان هو ظهير (مرسوم) 16 مايو 1930 الذي وضع بزعمهم لتنظيم العدلية البربرية، وهذا الظهير قد انتزع من سلطان المغرب سيدي محمد قهرا، والمندوب السامي الفرنسي الحالي م. لوسيان بمساعدة الوزير الصدر المقري يبعدانه عن مصالح أمته، ولا يمكنانه من معرفة شيء عنها. ما هو أصل هذا الظهير ؟ ما معناه ؟ ما هو التشريع البربري ؟ ما هي الحوادث التي وقعت بعد صدور الظهير ؟ ما هو الدواء لعلاج هذا الاستياء العام ؟ تلك هي الأسئلة التي سنحاول الجواب عنها في هذا البحث».

لقد وزع هذا الكتيب على أحرار فرنسا وغيرهم ووزع في العالم العربي وبالطبع وزع بالمغرب، فكان له أثر وأي أثر في تنبيه الأفكار، وفي إثارة الرأي العام الحر في فرنسا، وفي التعريف بحقيقة السياسة البربرية التي أرادت فرنسا أن تطبقها بالمغرب، فأظهر السياسة الفرنسية على حقيقتها، لا كما كان يروجه دعاتها وأنصارها في المشرق العربي وفي مصر بالخصوص، من انها نصيرة الحرية، آخذة على نفسها مناصرة الشعوب المظلومة، وانها حبيبة الاسلام، صديقة للمسلمين. لقد انكشف لاخواننا في مصر، وقد كان الكثيرون منهم متأثرين بالثقافة الفرنسية وبالمبادئ الفرنسية، انكشفت لهم حقائق كانوا يجهلونها عن الاستعمار الفرنسي فاندفعوا والحق يقال اندفاعا مثيرا للدفاع عن المغرب وتضامنا معه. وزادتهم البيانات والمقالات التي كانت تنشرها، الصحف المصرية على اختلاف اتجاهاتها يقينا بأن السياسة الفرنسية سياسة خطيرة، وخطيرة جدا، فاكثروا من الاجتماعات الاحتجاجية ووجهوا البرقيات والمذكرات إلى المسؤولين الفرنسيين في المفوضية الفرنسية بالقاهرة وإلى المسؤولين في باريس نفسها، ووجهت النداءات إلى ملوك ورؤساء المسلمين مستغيثة مستحثة على القيام بمناصرة المغاربة في مقاومتهم السياسة البربرية.

رسالة إلى رئيس جمعية الشبان المسلمين

وقد جاء في رسالة تلقاها الدكتور المجاهد عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين مايلي : «ان العالم الاسلامي اليوم هو بإزاء مسألة أهم جدا من منع حكومة فلسطين لالتئام جمعية الشبان المسلمين بيافا، ومن اغلاق أنقرة لثمانين مسجدا، وحتى من استيلاء إيطاليا على بعض زوايا السنوسية، وهذه المسألة هي تشبث فرنسا بإخراج البربر من الاسلام، بحجة أن أصلهم نصارى، وانهم من عرق أوربي». ثم تقول الرسالة وهي طويلة جدا : «ولكن الحكومة الفرنسية لم تجاهر في هذه المسألة مُجاهرتها الأخيرة، إلا بما جرأها من عمل الكماليين الذين يحاولون هدم الاسلام في تركيا، والذين سلكوا إلى ذلك طريق التدريج منذ ثماني سنوات، فهي أي فرنسا ترى أنه إذا كانت حكومة إسلامية، تلغي الشريعة الاسلامية ولا حرج عليها، فلا يكون حرج على حكومة غير إسلامية إذا حاولت إلغاء هذه الشريعة».

موقف علماء مصر وأحرارها من السياسة البربرية

إننا لا يمكن أن ننسى موقف علماء مصر، وأحرار مصر، لا ننسى موقف الامام محمد رشيد رضا صاحب «المنار» الذي ساهم مساهمة فعالة في مقاومة المخططات الفرنسية إزاء المسألة البربرية فهو لم يفتح صفحات مجلته «المنار» للتشهير بأعمال فرنسا فقط ولكنه حرر مع إخوانه العلماء نداء قويا وقعه جمهور من أعلام علماء مصر ثم صار يطوف به لتأييده فسافر إلى الاسكندرية للاتصال بعلمائها وقادتها واتصل بالأزهر وعلمائه طالبا مساندتهم، وقصد القصر الملكي مع ثلاثة من الأعلام ليرفع النداء إلى الملك فؤاد ملك مصر إذ ذاك.

إن هذا التحرك الذي تحركته مصر وقادتها أزعج السفارة الفرنسية، إزعاجا كبيرا، فاضطرت إلى إعطاء بعض التوضيحات المتعلقة بظهير 16 ماي 1930، تدافع عما قامت به السلطات الفرنسية بالمغرب، وتدعى أن جلالة السلطان وافق على المشاريع التي قدمت إليه، والمتعلقة بالاصلاح العدلي بالنسبة للقبائل البربرية، واحترام الأعراف والعادات التي كانت تسير على ضوئها القبائل البربرية، مؤكدة ان البربر مسلمون وسيظلون مسلمين.

أمير البيان شكيب أرسلان في الميدان

وأنا أسجل الأحداث كما وقعت، لتطلع عليها الأجيال، لا يمكنني أن أغفل الدور العظيم الخطير الذي قام به أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله ورضي عنه. فهذا الرجل خدم المغرب خدمة تسجل له بمداد الذهب، وجعل همه في هذه الفترة كاد أن يكون مقتصرا على استنكار ما قامت به السلطات الفرنسية بإصدارها للظهير البربري، ففتح صفحات مجلته «الأمة العربية» التي كان يصدرها بسويسرا باللغة الفرنسية، للتعريف بالقضية البربرية وكتب المقالات تلو المقالات في الصحف العربية السيارة في مصر وغيرها، ووجه وأفاد، واتصل بالشخصيات العربية والأجنبية موضحا الأخطار التي يتعرض لها المغرب إذا ما طبقت السياسة البربرية، ومطالبا بتأييدها ومناصرتها. ولقد كنا نلتهم المقالات التي يحرر التهاما، ونعتبره سيفاً مصلتا في وجوه الاستعماريين وأذنابهم. ولقد



الأمير شكيب أرسلان وعن يمينه المرحوم علال الفاسي وعن يساره المرحوم الحاج محمد بنونة

اطلعت على رسائل كتبها في موضوع السياسة البربرية، منها رسالة كتبها بتاريخ 14 شتنبر 1930 إلى صديقه الحاج عبد السلام بنونة يقول فيها[21] : «جاوبني الزعيم الاشتراكي جان لونكي «Jean Longuet» الذي كتبت له عن ذلك أنه سيثير هذه المسألة في البوبلير جريدة السوسياليست ويثير أيضا القضية المهمة التي هي قضية الظهير المتعلق بالبربر، قال لي لونكي : انهم قرأوا عن هذه الحوادث في جريدة الدار البيضاء الاشتراكية، لكنها لم تاتهم بالتفاصيل التي علموها من كتابي.

ثم اني كتبت إلى زعيم اشتراكي كبير، هو المسيو رينوديل من أقطاب البرلمان الفرنساوي كتابا مشبعا عن القضية البربرية 20 صفحة من قطع أكبر من هذه الورقة، ولابد من أن يجاوبني إلى «لوزان» لأن الكتابات بيننا متصلة.

ولن نقتصر على هذا في تشهير هذه الفضيحة، واحباط هذه المكيدة الموجهة على الاسلام، وأول من أمس أرسلت من هنا (مدريد) بمقالة إلى مجلتنا (الأمة العربية) 130 صفحة من قطع هذه الورقة عنوانها : «Justice berbere ou manœuvres pour détacher les berberes de l'islame» ثم تقول الرسالة : كتبت بشأن المسألة البربرية كتابا وافيا إلى عبد الحميد سعيد، رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر، ليقرأه عليها، ويقرروا الاحتجاج لدى فرنسا نفسها، ولدى جمعية الأمم، لأن المسائل الدينية هي من حقوق جميع الأمم، ولا يقال فيها : هذه أمور داخلية، لا تعلق للأجانب بها، ثم طلبت منه أن ينشروا هذه الأخبار في جميع الجرائد العربية التي يمكنهم حملها على ذلك، ثم أعدت له الكتابة من مجريط ــ والمكتوب الأول أرسلته من «القنت» واقترحت عليهم أن يرسلوا وفدا إلى معتمد فرنسة بمصر، يسألونه عن حقيقة هذه القصة، ويبينون له أن العالم الاسلامي ينظر باستغراب إلى تدخل فرنسا في مسائل دينية إسلامية ثم اقترحت عليهم إن أمكنهم عرض المسألة للملك فؤاد، لعله يسأل معتمد فرنسا بمصر ولو بصورة خصوصية، وكتبت لمحب الدين الخطيب ما يلزم لنشره في «الفتح» وكتبت إلى السيد رشيد رضا، ولاشك عندي أن «المنار» القادم سيأتي طافحا بهذه المسألة. وحررت مقالة إلى «الشوري».ثم تقول الرسالة : والحاصل، هذا ما قدرت ان أعمله الآن في القضية البربرية، برغم تنقلاتي وكثرة ما علي من الأجوبة والوجائب، لكن المسألة لم تنته هنا، فلابد من المتابعة، أن سلاحنا في هذه النازلة هو الفضيحة والتشهير، وجعل العالم الاسلامي كله يهتز لها، وجعل غير المسلمين أيضا يطلعون على ما تصنعه فرنسا في المغرب».

وفي رسالة أخرى مؤرخة بـ 14 أكتوبر 1930 قال : «لو صار عند هؤلاء الشبان المغاربة

---

(21) عن كتاب «نضالنا القومي» للطيب بنونة ص 104.

الذين بباريز شيء من المال، لعملوا حركة كلها بركة ولأقاموا واقعدوا، ولاستمالوا بمآدب وشاهيات وعلاوات وهدايا جما غفيرا من سياسيين وصحافيين، وقام هؤلاء وفضحوا أعمال فرنسة في المغرب وشهروا وجرسوا بقضية التنصير التي تتوخاها فرنسة. كل شيء بدون مال لا يقوم ولا يستتب. والمسلمون يريدون أن يستقلوا ويتحرروا وان يحفظوا حقوقهم وان يرفعوا كل اعتداء على دينهم ودنياهم الخ. لكن بدون بذل شيء، بل بالاتكال على أمرين : أحدهما أن الله وعد المسلمين في القرآن بالنصر، فإن كان القرآن حقا فعليه أن ينصرهم، والثاني أن الأمم المتمدنة تزعم الحرية والعدالة والمساواة، فلماذا لا تعدل فيهم ؟ والجواب على هذا ان الله لم يعد المسلمين النصر، إلا على شروط معلومة، كررها في كتابه مرارا، منها أنهم يقتلون ويقتلون، ومنها أنهم يبيعون أنفسهم من الله، ومنها أنهم يحبون الله ورسوله أكثر من أولادهم وآبائهم وأزواجهم ومساكنهم وتجارتهم، ومنها غير ذلك من العزائم، وهم يقومون من هذا كله بأقل من الاذن بالنسبة إلى الجمل، فكيف يطالبون الله بالنصر إذا ؟ واما الأمم المتمدنة فليس بصحيح أن عندها عدالة ومساواة وان كان عندها فيكون فيما بينها، ولا يكون إلا إذا كان وراء الحقوق سيوف تخيف من تحدثه نفسه بهضم الحقوق، إذ لا وسيلة ولا حيلة للمسلمين إلا بأمرين : أولهما التشكيلات أي الجمعيات واللجان والشركات والصحف والنشرات، وطرق الاتحاد كلها وطرق الاتصال لاسيما للأمم المغلوبة على أمرها، ثانيهما البذل والانفاق على هذه الأعمال، بحيث تكون صناديق هاتيك الشركات والجمعيات ملأى، ولا تكون اسما بلا مسمى، ولهذا تحسنون صنعا في جمع مبلغ من ذوي الحمية في تطاون، وإرساله إلى هؤلاء الطلبة، مع الاشارة إليهم بأن يقدموا لكم عنه حساباً تحت إمضاء أعضاء لجنتهم كلها، ولا يكفي هذا، بل يجب مراسلة الحواضر الأخرى في المغرب، حتى ينهضوا ويبذلوا أيضا».

وفي رسالة أخرى بعث بها أيضا من لوزان إلى جَ عبد السلام بنونة مؤرخة بـ 14 أكتوبر 1930 يقول[22] : «أرسلت إلى مصر أطلب من إخواننا ترجمة ذلك النداء ـــ الذي أرسلت لكم نسخة منه ضمن ظرف مضمون ـــ إلى الفرنساوي والانكليزي ونشر ألوف من النسخ منه في اوربا والعالم كله، وأن يبعث به إلى كل النواب والشيوخ والوزراء ورجال السياسة والصحافة في فرنسة وانكلترا وألمانيا وإيطاليا وسائر الممالك وان يكتبوا احتجاجات برقية أيضا إلى جمعية الأمم وإلى الحكومات، فإن كل هذا يفيد جدا، وأنتم اكتبوا إلى أولادنا السيد العربي والسيد الطريس في مصر، لأجل السعي بمثل ذلك، وأنا أرى أنه صار يجب تأليف وتوزيع كتاب خاص بهذه المسألة تحت عنوان : «الحادث الأكبر، في محاولة الفرنسيين تنصير البربر» ويجمع فيه جميع الأدلة على صحة الدسائس التي أجراها الفرنسيس للوصول إلى هذه الغاية، والرد على التمويهات التي تذيعها فرنسة الآن، وان يترجم هذا الكتاب إلى لغات أوروبية

(22) صفحة 122 من نضالنا القومي.

وشرقية. طيه قصاصات من جريدة «النداء» الكبيرة الصادرة في بيروت فيها مقالة، أظنها بقلم أحمد بلافريج وفقه الله وأكثر في شبان هذه الأمة من أمثاله، ووفقهم جميعا، لأنهم جميعا، وأنا لم أعرف إلا ولدينا «بلافريج» و«محمد الفاسي» وأحبهما كما أحب «غالب» (ولد الأمير) ثم تقول الرسالة : «مقاطعة البضائع الفرنسوية يجب أن تعم المغرب والمشرق، ولا توجد أمة أشد اهتماما بالاقتصاد والكسب من هذه الأمة، فلو عملت حسابا انه نقص 20 في المائة من صادراتها إلى بلاد الاسلام لَهالَها الأمر، أفيحزم المسلمون ويثبتون ويحققون هذا الأمر بالفعل إن أمكنهم ذلك، فهو أمضى سيف في يدهم، تلزم هذه الدعاية في كل محل، فاليوم الحرب، إنما هي بالمال».

وجاء في رسالة كتبها إلى الحاج عبد السلام بنونة بتاريخ 23 نونبر يستحث فيها ذوي المال من المغاربة أن يساندوا الطلبة المغاربة الموجودين بباريز كي يقوموا بواجبهم في الدفاع عن قضيتهم فيقول : «واما الطلبة المغاربة بباريز، فقد جاءتهم أربعة آلاف فرنساوي لا غير، أرجو منك أن تستنهض همة إخواننا بتطوان وطنجة والقصر، وأن تكتب إلى فاس والرباط الخ. فإن هذه المسألة البربرية لا يقتلها إلا التشهير، وهذا لابد له من الجرائد وهذه في باريز، علاجها المال، ومراهمها الدراهم لا سواها». وفي رسالة مؤرخة بـ 23 مارس 1931 كتب لبنونة يقول : «جاءني جواب من سيف الاسلام محمد والي الحديدة وثاني أنجال الامام المتوكل على الله «يحيى» يقول فيه مايلي بالحرف : مسألة الاعتداء الفظيع على البربر، مهما كان من ضجيج وكلام، ففائدته يسيرة، وليس عند الشرقيين ما ينتصفون به غير مقاطعة بضائع المعتدين، فإذا قامت لجنة وطافت الأقطار، فلن يتخلف شرقي عن الارتباط، وسيتم المقصود إن شاء الله». ويعلق الأمير شكيب على هذه الرسالة فيقول انه سيجرب هذا الاقتراح ويؤلف لجنة تطوف بعض الأقطار الاسلامية للدعوة إلى مقاطعة فرنسا ثم يدعو المغاربة إلى استعمال سلاح المقاطعة، ويقول : انه إذا وطن الأهالي أنفسهم على المقاطعة، فإنهم يقتلون تجارة فرنسة. من ص 191.

إن الاطلاع على المقالات التي حررها ونشرها الأمير شكيب أرسلان وهذه الرسائل التي كتبها إلى صديقه المرحوم الحاج عبد السلام بنونة والتي نشرها ابنه المرحوم الطيب بنونة في كتابه : نضالنا القومي «يثبت بما لا يدع مجالا لأي شك أن شكيب أرسلان اعتبر القضية البربرية قضيته الأولى في الحياة، وكأنه وحده المسؤول عنها، فهو لا يكتب المقالات ويحرر الرسائل فحسب، ولكنه يخطط لمقاومة هذه السياسة البربرية ويشير بالطرق التي على المغاربة والمسلمين ان يسلكوها لافشال هذه السياسة، ويقيم الدنيا ويقعدها ضدا على الفرنسيين الذين أرادوا الكيد للأمة المغربية والشعب المغربي. يقول في رسالة أخرى مؤرخة بنفس التاريخ : (ان هذا الأمر الفظيع الذي أقدم عليه الفرنسيون من جهة البربر، والذي إذا لم يصادم بالعنف من ألآن، كان مبدأ انحلال الاسلام والعياذ بالله بالمغرب، كما انحل بالأندلس، هذا أمر لا يخربه

على الفرنسيين إلا الفرنسيين أنفسهم، وذلك بالسعي والدعوة والنشر ومخاطبة الأحزاب الحرة في فرنسة، كالسوسياليست والراديكال الذين هم ضد استعمال السلطة الأفرنسية لنشر الكثلكة أو الدين المسيحي والذين يقدرون أن يمنعوا هذا الأمر على شرط أن يجدوا هيآت من المسلمين تراجعهم) ثم يقول في نفس الرسالة : (ولكن الحركة في الصحف العربية لا تكفي، وينبغي أن يكون مثلها في أوربا وفي صحف فرنسة وفي صحف انكلترا الخ) ويدرك رحمه الله أن الدعاية في أوربا تتطلب أموالا كثيرة، حتى يستطيع المدافعون عن قضايا إخوانهم أن يجدوا مكانا في الصحف الأجنبية، التي لا تنشر إلا بالمقابل ولا تعرف وجه الله ولا الضمير، ولذلك فإنه يطلب ويلح في الطلب أن يساند الاخوة الطلبة الموجودين بباريز مثل بلافريج والفاسي وغيرهما بالمال اللازم للقيام بالدعاية اللازمة. وحتى تزال الشكوك من أن يتصرف الطلبة في الأموال دون اقتصاد، يقترح أن يتوجه شخص أو شخصان من الموثوق بهم ليساعدوا الطلبة ويكونوا في عونهم ويزودونهم بما يحتاجون إليه من مال للقيام بواجبهم الوطني والديني.

يقول في رسالة مؤرخة بـ 31 أكتوبر 1930 : «إني أستأنف الحث والتوصية بإرسال دراهم إلى جمعية الطلبة المغاربة بباريز، انهم يقدرون أن يعملوا، لكن لابد من المال، ليس بشيء إذا تبرعت لهم تطوان بعشرة آلاف بسيطة، وطنجة بعشرة والعرائش والقصر بعشرة وفاس بمائة ألف فرنك فرنساوي والرباط ومراكش والدار البيضاء، ومكناس وسلا بمثلها، وليرسل مراقب نبيه يسهر على كيفية انفاقها، فإنه لا يوجد مسألة أهم من هذه المسألة لأنها تتعلق بالدين رأسا، ولأن التساهل فيها يقضي على الاسلام في المغرب»[23].

إن القيامة التي قامت ضد مخططات الفرنسيين، وضد الظهير البربري جعلتهم يتهمون الأمير شكيب بأنه هو الذي أقام الدنيا عليهم، وان حركة مقاومة السياسة البربرية كانت من صنع يده لما زار المغرب في نفس السنة. فلقد كتبت جريدة «الطان» الباريسية مقالا بتاريخ 4 نونبر 1930 تتهم فيه الأمير بأنه هو الذي حرك المغرب والعالم الاسلامي ضد السياسة التي سيسلكونها في المسألة البربرية، وأنهم أي الفرنسيين عاتبوا الاسبانيين على السماح له بزيارة تطوان. ولقد أشار هو نفسه إلى ذلك في الرسالة التي كتبها بتاريخ 23 نونبر 1930 والتي يقول فيها[24] : «عندي شعور خفي بأن الفرنسيين خاطبوا الذي عندكم (أي الاسبان) عتابا على الاذن لي بزيارة تطوان، وانهم التمسوا من الدول الأخرى التي لها علاقة بالمغرب، بأن تتضامن معهم في وجه الاسلام» إلى أن يقول : «لحظت هذه السياسة من أشياء كثيرة من جملتها مقالة في «الطان» في 4 الجاري، معناها أن كل حركة المغرب وقضية البربر هذه، انما كانت مني، وان ذهابي إلى تطاوين كان لهذه الغاية». ثم يقول : «ولتعلم فرنسا أن العالم

(23) صفحة 129 من «نضالنا القومي».

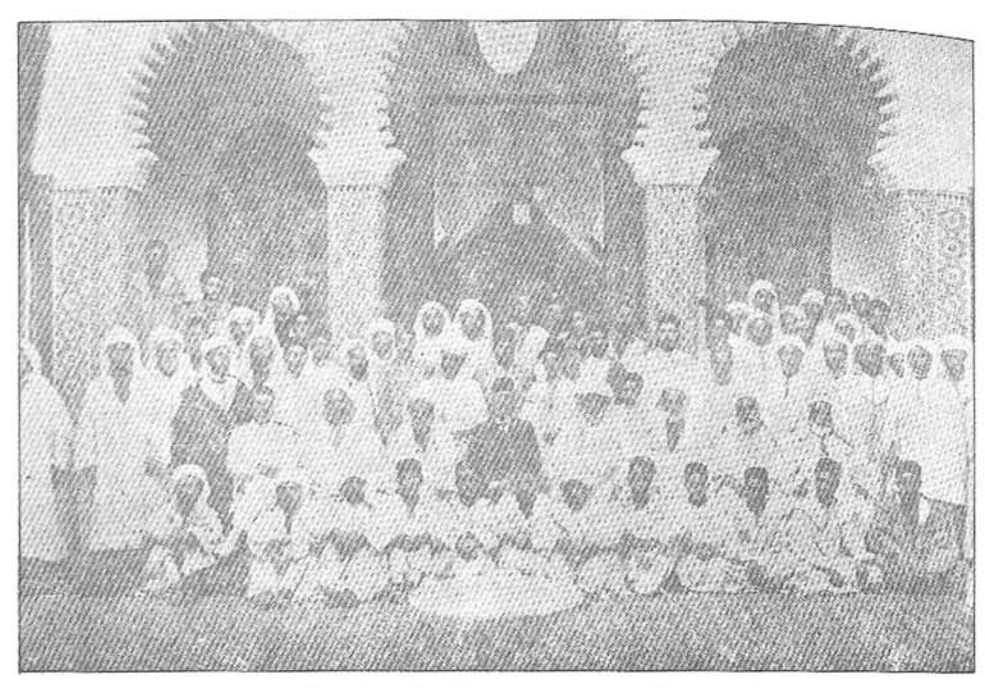
(24) صفحة 136 من «نضالنا القومي».

الاسلامي كله لن يسكت عنها إلا بإلغاء الظهير المشؤوم الذي لا جدال في أن مرماه ديني صرف برغم كل تموهات الفرنسيين) ومن هذه الرسالة نفسها نعلم أنه يرحمه الله كتب لملوك المسلمين ورؤسائهم مستحثا تأييدهم للمغرب في كفاحه ضد البربرة، فهو يخبر أن الملك ابن سعود (عبد العزيز) كتب كتابا خاصا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية في الموضوع وان الملك يحيى (اليمن) ربما فعل ذلك وانه كتب أيضا لملك افغانستان يطلب منه أن يتخذ موقفا لصالح المغرب والاسلام».

لقد أحب الأمير شكيب المغرب، وأحب المغاربة، وتعلق بطلبة المغرب الذين تعرف عليهم، وفي طليعتهم، بلافريج والفاسي فهو يقول : (والله ياأخي لا أراني أحب ولدي «غالب» أكثر مما أحب احمد بلافريج ومحمد الفاسي وجميع من شاهدتهم من أولئك الشبان بطنجة وتطوان وممن أتوا من فاس والرباط، أشعر نحوهم بحنو لا يجده إلا أب نحو أولاده، وأسأل الله أن يفتح عليهم أجمعين).



الرائد الاسلامي الكبير
عطوفة الأمير شكيب أرسلان
باللباس الوطني المغربي



حفلة التكريم الكبرى التي أقيمت بتطوان على شرف الأمير شكيب أرسلان يوم 30.8.17
ويُرى في الوسط باللباس الاروبي القاتم

وبالمناسبة أشير إلى أنه كان لا يخاطب الأخ بلافريج إلا بقرّة العين أو نور العين. ولقد علمت أنه كان كتب له وصية هامة سألت عنها في يوم من الأيام الأخ بلافريج، فأجابني بأنها ربما تكون ضاعت بين الأوراق، فعسى أن يبحث عنها ولده «أنيس» أصلحه الله ليستفيد منها الباحثون، ويطلعوا على ما فيها من توجيهات ونصائح. ثم استطعت الحصول على نسخة منها، وجدتها لدى الأخ محمد اليزيدي حفظه الله وهي تحت يدي وسأعمل على نشرها بحول الله.

ربما أكون قد أطلت كثيرا في الحديث عن الأمير شكيب ودوره في الدفاع عن المغرب، ولكني ــ يعلم الله ــ رأيت من الواجب على أن أثبت ما قام به هذا الرجل العظيم نحونا، وما أسداه لبلادنا من معروف حتى تدرك الأجيال الآتية ما صنعه السابقون، وما بذله المخلصون من زعماء الأمة الاسلامية من معروف نحو بلادنا المغربية لتبقى أمة عربية إسلامية، دينها الاسلام، ولغتها لغة القرآن، وشريعتها شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وإذا ما وفق الله فسأكتب عن حياة الأمير شكيب أرسلان ونضاله في سبيل عزة العرب والمسلمين، ما يبرز هذه الشخصية الفذة التي أعطت الكثير فجزاه الله عن المسلمين كل خير.

الكتاب الفرنسيون الأحرار ينتقدون السياسة البربرية

اهتم بعض الأحرار الفرنسيين بدورهم بقضية الظهير البربري خصوصا بعد ما تلقوا معلومات ودراسات من الطلبة المغاربة المقيمين بفرنسا ومن الأمير شكيب أرسلان الذي كانت له صلة وثيقة ببعضهم أمثال جان لونكي وروندبل وغيرهما. ومن الذين كتبوا في الموضوع نجد في الطليعة النائب الفرنسي جان لونكي خليفة رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب وولده روبير جان لونكي المحامي والمسؤول عن مجلة «مغرب» التي كانت تصدرها الجماعة الوطنية الأولى بباريز ابتداء من سنة 1932، وجورج موني وبيرجوري عضو لجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان الفرنسي، ودانييل جوران وإميل درمنغام، م. اوجين يونغ «Eugene yung» وكاريط بوفي ولوسيان مينو.

ونجد العدد الممتاز الأخضر من مجلة «مغرب» الذي أصدرته الجماعة الوطنية مدبجا بأقلام مغربية وفرنسية يأتي في طليعتها بعض المذكورة أسماؤهم أعلاه والاخوة : أحمد بلافريج وعمر ابن عبد الجليل ومحمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي وعبد القادر بن جلون وعبد اللطيف الصبيحي، كما نجد أن جريدة لوكري ماروكان التي كانت تصدر بالدار البيضاء كانت تنشر مقالات هامة في موضوع السياسة البربرية وجريدة لوبوبيلير التي كانت تصدر بالقنيطرة ولوبينيون ماروكان ،كما أن جريدة اسبانية نسيت اسمها وكانت تصدر بمدريد علق مراسلها عدة تعاليق في موضوع السياسة البربرية. وبالعكس من هؤلاء لقد تعرضت بعض الصحف الاستعمارية الفرنسية للموضوع حسب مفاهيمها الاستعمارية مثل : لافيجي ماروكان وليكودي ماروك ولابريس ماروكان والجورنال والطان والمجلة الاستعمارية «La revue coloniale» وغيرها.

ولقد تلقت جريدة الفكرة المغربية (لوبينيون ماروكان) مذكرة موقعة بـ (مسلمو المغرب يحتجون) جاء في تقديمها مايلي : نتشرف بمكاتبتكم طالبين نشر المذكرة الخطيرة التي تجدونها طيه في جريدتكم الهامة أو تستمدون لتكتبوا كلمة فيما يتعلق بالنظام الجديد الذي جعلته الاقامة العامة للعدلية البربرية ذلك النظام الذي يمس بالعقائد الدينية التي يتمسك بها المغاربة المسلمون، راجين منكم قبول مضمون كتابنا. ثم تتحدث الرسالة قائلة : ان العنصر الأوربي يمكن أن يجهل انه من تاريخ 20 جوان الفارط (هو اليوم الذي ابتدئ فيه بذكر اسم الله اللطيف بمسجد سلا الأعظم) وقعت وقائع خطرة في مساجد المدن المغربية وصدى تلك



Maghreb

" Les Documents Marocains "

REDACTEUR EN CHEF :

Robert-Jean LONGUET

COMITE DE REDACTION :

BERGERY - Jean LONGUET - MONNET
Pierre RENAUDEL, SIXTE-QUENIN, Députés.
Etienne ANTONELLI, Professeur agrégé de Droit.

Pour la Zone Espagnole :
ORTEGA Y GASSET, Avocat, ancien Député
MELCHIOR MARIAL, Député
ARGILA, Homme de Lettres.



ABONNEMENT :

Un an.. .. 50 francs - Le numéro.. . 4 francs
Etranger.. .. 100 francs
Adresser les abonnements aux Chèques Postaux : 1718-29 Paris

REDACTION - ADMINISTRATION

8 — Rue Cassini — 8
PARIS-XIVe

صورة غلاف مجلة «مغرب»

المظاهرات لا يصل إلى عموم الناس بفضل حرص الولاة الذين يمنعون بجميع الوسائل الصحافة الحكومية من الكلام، وهذا لا يمنعنا أبدا من نشر القضية.

إن المظاهرات المتكلم عليها، لها صفة دينية للاحتجاج على الظهير المنشور أخيرا برسم نظام العدلية البربرية القاضي على البربر دون العرب بأن يكونوا في القضايا الجنائية تحت الحكم الفرنسي الأمر الذي يمس بالشريعة الاسلامية.ثم تتحدث المذكرة عن قضايا الأعراف ومخالفتها الجوهرية لمبادئ الشريعة الاسلامية الخ...

في المؤتمر الاسلامي بالقدس الشريف

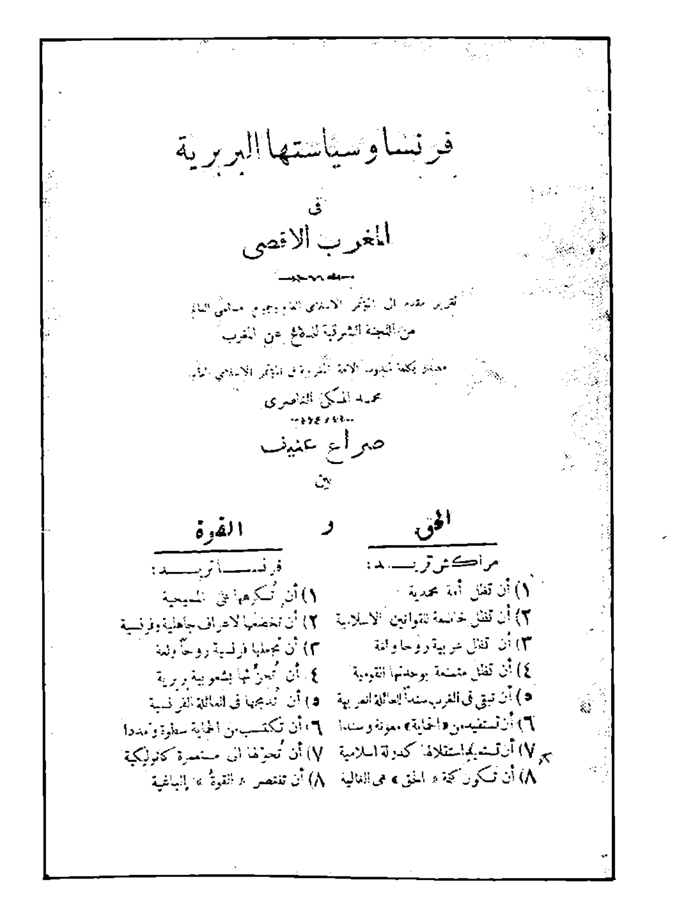
دعا سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس الهيأة العليا إلى عقد مؤتمر إسلامي بالقدس الشريف وذلك خلال سنة 1931 وقد اغتنم رجال الحركة الوطنية إذذاك هذه المناسبة فكتبوا تقريرا موقعا باسم اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب شرحوا فيه أخطار السياسة البربرية من الوجهة القضائية تكلف بتبليغه الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري الذي كان موجودا إذذاك بالقاهرة.



يظهر في الصورة من اليمين إلى اليسار :
الشيخ محمد المكي الكتاني ـــ الملك فيصل بن الحسين ـــ الحاج أمين الحسيني
الأمير عبد الله بن الحسين ـــ الزعيم عبد العزيز الثعالبي وغيرهم

ولقد قدم الشيخ المكي لهذا التقرير بمقدمة ضافية تحدث فيها عن خصائص السياسة البربرية وعن تطبيقها بالجزائر أولا ثم تطبيقها في المغرب ثانيا. متحدثا في الوقت نفسه عن ظهير 11 شتنبر سنة 1914 وتعليق «ريبو» عليه، ومتحدثا أيضا عما سموه بلجنة الأبحاث البربرية والبربر والاسلام وعن القوانين العرفية والجماعات البربرية وعن موقف السلطان مولاي يوسف الرافض للسياسة البربرية، كما تحدث عن الظهير البربري وكيفية نشوئه وأخطاره.

ولقد طبع كل من التقرير والمقدمة في كتاب من 92 صفحة تحت عنوان : (فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى) ويعتبر مرجعا هاما أساسيا من المراجع التي تشرح أهداف السياسة الفرنسية في المغرب، كما ينبغي الاطلاع على البحث القيم الذي حرره الأستاذ علال الفاسي والذي عنوانه : «السياسة البربرية في مراكش : عناصرها ومظاهر تطبيقها». وقد طبع بالقاهرة سنة 1952. وبالمناسبة أذكر أن المؤتمر المذكور دعيت له ثمانية شخصيات من المغرب، وحضر فيه بالاضافة إلى الشيخ المكي الأستاذ المرحوم الحاج محمد بنونة والشيخ الوقور الشريف سيدي المكي الكتاني الذي كان إذ ذاك مهاجرا بمدينة دمشق.



فرنسا وسياستها البربرية

في

المغرب الاقصى

تقرير مقدم الى المؤتمر الاسلامي العام [illegible]

من اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب

محلاة بكلمة مندوب الامة المغربية في المؤتمر الاسلامي العام

محمد المكي الناصري

صراع عنيف

بين

الحق	و	القوة
مراكش تريد :		فرنسا تريد :
١) أن تظل أمة محمدية		١) أن تكرهها على المسيحية
٢) أن تظل خاضعة للقوانين الاسلامية		٢) أن تخضعها لاعراف جاهلية وثنية
٣) أن تظل عربية روحا ولغة		٣) أن تجعلها فرنسية روحا ولغة
٤) أن تظل متمتعة بوحدتها القومية		٤) أن تجزئها بشعوبية بربرية
٥) أن تبقى في الغرب منضمة للعائلة العربية		٥) أن تدمجها في العائلة الفرنسية
٦) أن تستفيد من «الحماية» معونة وسندا		٦) أن تكتسب من الحماية سطوة ومددا
٧) أن تسترجع استقلالها كدولة اسلامية		٧) أن تحولها الى مستعمرة كاثوليكية
٨) أن تكون كلمة «الحق» هي العالية		٨) أن تنتصر «القوة» الباغية

زيارة رئيس جمهورية فرنسا
المسيو دوميرج إلى المغرب

استمرت الاحتجاجات والتجمعات في المساجد بالمغرب، خصوصا «بفاس» من 20 يونيه 1930 إلى شتنبر، ولقد امتلأت السجون بالمعتقلين ووقع نفي بعض الزعماء إلى جهات مختلفة.

ولكي يظهر الفرنسيون أن الشعب المغربي غير ساخط، ولكي يثبتوا أن سلطة فرنسا لازالت قوية، قرروا أن يزور رئيس جمهوريتهم المغرب، وهكذا في شهر أكتوبر 1930، زار رئيس الجمهورية الفرنسية الرباط ثم فاس وغيرهما من بعض المدن والقرى فأعطت الادارة تعاليمها كي يتجمع سكان القبائل في الطرقات ووزعت الاستدعاءات على الأعيان والمتعاونين كي يكونوا في طليعة المستقبلين وتحدثت الصحافة الفرنسية عن هذه الزيارة التي أتت في أعقاب المظاهرات والتجمعات المحتجة على الظهير البربري، وأظهرت المغرب والمغاربة وكأنهم راضون عن السياسة الفرنسية، متعلقون بالحماة الفرنسيين.

ولكن الفئة الواعية في الشعب، لم تلبث أن اغتنمتها فرصة لاثارة القضية التي تشغل بال الشعب المغربي، ولتعبر عن تذمرها واستنكارها للسياسة البربرية المطبقة بالمغرب، ولتطلب وترجو من رئيس جمهورية فرنسا كمسؤول أول عن السياسة الفرنسية أن يتدارك الموقف ويعمل على أن يقع التراجع عن السياسة البربرية التي أثارت الأفكار، وأسخطت النفوس، ودفعت المغاربة إلى الاحتجاج تلو الاحتجاج، والاستنكار عقب الاستنكار. وليقدموا نسخة من مطالب الشعب المغربي التي تقدم بها إلى جلالة السلطان.

ولقد جاء في خاتمة العريضة التي قدمت لرئيس الجمهورية مايلي : «نقدم لفخامتكم هذه المطالب، ورجاؤنا قوي بأن تحظى بالقبول وتقع المصادقة عليها من طرفكم. وإذذاك يبقى ذكركم مكتوبا في التاريخ على صفحات بيضاء. على أن مصادقتكم على مطالب الشعب المغربي المذكورة، هي في الحقيقة خدمة لفرنسا لا للمغرب، لأن المغربي بطبيعته ميال إلى الطمأنينة والسكينة، ويمكن له أن يخضع لكل شيء، ما لم يمس في دينه، فإذا أصيب دينه بشيء، يغضب غضبا، لا يقوم له بشيء، ولا يخشى حين ذلك القوة، ولا يهاب إلا الحق).

لقد كان بعض الشباب الوطني يوجد إذذاك بالقاهرة ومنهم المرحوم عبد الخالق الطريس الذي ما بلغه خبر وصول رئيس جمهورية فرنسا إلى المغرب حتى وجه له خطابا مفتوحا وقعه

بالأحرف الآتية : ط.خ.ع ونشره ببعض الصحف المصرية. ولقد جاء في هذا الخطاب : «قرأنا في البرقيات الخارجية يافخامة الرئيس خبر وصولكم إلى المغرب الأقصى، ويقيناً أنه قد بهركم ما أعده لكم رجال الادارة من الحفلات والزينات، طول الأرض وعرضها، إكراما لشخصكم المحبوب، ولكن لابد أنه لم يغرب عن نباهتكم التي تسنمتم بها هذا المقام السامي أن كل ما رأيتموه من معالم الابتهاج مدبر بيد موظفيكم هناك الذين يريدون أن يظهروا البلاد المغربية بحلة المتعلق بالجمهورية الفرنسية الخاضع لها.

أما الأهالي فستجدون قلوبهم أفعمها الأسى، وجرحها الألم لما لاقوه من عسف واضطهاد في سيل ما تدعون أنكم جئتم للمحافظة عليه». ثم يقول الخطاب : «ألم يبلغكم ما فعله مرؤوسكم في الناس الذين هممتم بزيارتهم ؟ وكم منهم سجنوا، وكم منهم عذبوا ؟ لأنهم استنصروا الله واستنجدوا لطفه، عندما رأووا اعتداء فظيعا يقع على أشرف عاطفة في نفوسهم تلك العاطفة التي طالما ذادوا عن كيانها». ثم يقول الخطاب : «ما أجرأ أمتكم يافخامة الرئيس، انه لم يكن أحد يتوهم أنها وهي التي تعلن أنها بعثت المبادئ الثلاثة من قبورها، وعرفت الانسان أنه له حقوق محترمة يجب على الغير مراعاتها، ما كان لأمة هذه دعواها أن تهدم هذا الزعم بشهوة استعمارية أثيمة، لابد أن تضمحل وليبقى تأثيرها السيء على ممر الأجيال. ان هذا الاعتداء الذي حل بالمغاربة سيكون فاتحة عصر جديد ليساير المغرب فيه غيره من الشعوب الشرقية في رقيها وحضارتها، فشكرا لكم»[1].

لقد اغتنم رئيس الجمهورية الفرنسية وجوده بالمغرب فألقى فيها بعض الخطب التطمينية وأكد أن فرنسا تحترم الأديان ولا تريد أن تمس عقيدة البرابرة بسوء، وان معاهدة الحماية تؤكد احترام الفرنسيين للدّين الاسلامي، وان ما يروجه المغرضون من دعاوى باطلة لا يقصد منه إلا الإساءة لسمعة فرنسا وتشويه أعمالها.

ومن أجل تخفيف وطأة المعارضة أعطى تعاليمه بإطلاق سراح بعض المعتقلين، فأطلق سراح سجناء تازة الأساتذة : علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومن معهما من الإخوة وأطلق سراح الحاج بوبكر المالقي من سلا والمعطي أبا خاي وعبد اللطيف العتابي من الرباط ولكن المرحوم عبد اللطيف العتابي لم يلبث أن ألقي عليه القبض بمراكش، ونفي إلى ميدلت حيث بقي منفيا ما يقرب من السنتين.

---

(1) انظر نص الرسالة بخط الطريس في الجزء الثاني من كتاب ابن عزوز عن جّ عبد السلام بنونة. ص 107 و108.

المجلس الاسلامي الأعلى بفلسطين يتضامن مع المغرب

علاقة المغرب بفلسطين، علاقة عريقة، ترجع إلى الحروب الصليبية التي ساهم المغاربة فيها مع إخوانهم الفلسطينيين في مقاومة المد الصليبي على فلسطين والقدس الشريف.

وبعد وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود لفلسطين واندفاع إخواننا الفلسطينيين لمقاومته تحت زعامة أخينا الأكبر الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وزعيمها في وقته. تضامن المغرب التضامن الكامل مع القضية الفلسطينية التي اعتبرها قضيته ومنذ ذلك التاريخ والمغرب واقف بجانب إخوانه المجاهدين يشد أزرهم ويذود عن حماهم إلى أن تحرر فلسطين من قبضة الصهيونية.



الحاج أمين الحسيني

ومن جهة أخرى فإن فلسطين كانت مع المغرب في محنته لدى صدور الظهير البربري 1930، فكتبت الصحافة الفلسطينية المقالات تلو المقالات معبرة عن تضامنها، ومستنكرة ما أقدمت عليه فرنسا من مقاومة للدين وفصل للشعب المغربي عن مجموعته الاسلامية. كما أن المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يترأسه المفتي الأكبر سماحة الحاج أمين الحسيني كتب الرسائل تلو الرسائل لرئيس جمهورية فرنسا ورئيس حكومتها والقنصل الفرنسي بالقدس الشريف محتجا باسم الشعب الفلسطيني على ما تقوم به السلطة الفرنسية من تقسيم للمغاربة ومحاولة تنصير إخوانهم البرابرة. ولقد جاء في الرسالة التي بعث بها إلى رئيس حكومة فرنسا مايلي : «تلقى مسلمو فلسطين كما تلقى المسلمون في جميع أقطار الأرض باستغراب ودهشة شديدين، وبمنتهى القلق نبأ ما أذيع عن عمل السلطة الفرنسية على فصل إخوانهم مسلمي البربر في المغرب الأقصى عن دينهم الاسلامي الحنيف وأحكامه، وهم يعتقدون بأنه لا يغيب عن فطنة حكومة جمهورية فرنسا الفخيمة، وحكمتها ما يتركه الإقدام على مثل هذا العمل من أثر سيء في نفوس المسلمين عموما وفي سمعتها، في عصر أصبحت فيه حرية الأديان مبدأ عاما كانت فرنسا أول من آمن به واعتنقه في بلادها.

لذلك فالمجلس الاسلامي الأعلى باسم مسلمي فلسطين يرفع احتجاجه إلى فخامتكم ويضم صوته إلى أصوات مآت الملايين من إخوانه المسلمين في الرجاء بأن تعدل حكومة فرنسا عن هذه الخطة التي تحمل أمة بأسرها من الخروج من دينها الذي ارتضته واطمأنت له

نفوسها، وتعاملت بشريعته وأحكامه منذ الأجيال البعيدة، ولنا الأمل الكبير في أن فخامتكم ستسعون في إعادة الاطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين من ناحية إخوانهم مسلمي البربر، فتعملون على سحب ذلك الظهير الذي لا يمكن أن يعتقد المسلمون بأنه صدر من مسلم باختياره، ولما فيه من تعطيل لأحكام الشريعة الاسلامية، وقبول بوسائل من شأنها إخراج فريق من المسلمين عن دينهم تدريجيا، وانكم عملا بمبدأ حرية الأديان، ستأمرون ليس بإعادة المحاكم الشرعية الاسلامية بين أمة البربر لتفصل في معاملاتهم وأحوالهم الشخصية كما كانت عليه فحسب، بل وفي إعادة مدارسهم المختصة بتعليمهم القرآن الكريم ولغته العربية والديانة الاسلامية، مع رفع أية إجراءات من شأنها إرغام أبناء المسلمين على الالتجاء إلى معاهد التبشير. وتفضلوا ياصاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام.

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى

محمد أمين الحسيني

قراءة اسم الله اللطيف بالأزهر الشريف

ارتج المغاربة في كل الأقطار العربية والأجنبية لما بلغهم خبر ما أقدمت عليه فرنسا من تقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر، وإلى إخراج البرابرة من نفوذ جلالة الملك وجعلهم في احكامهم يرجعون إلى العوائد والأعراف وإلى نفوذ رئيس جمهورية فرنسا.

ولقد توالت اجتماعاتهم في كثير من الأقطار منها القطر المصري الشقيق، فلقد روى أخونا الأستاذ الحسن بوعياد في كتابه حول الظهير البربري الذي يعتبر من أهم المراجع وأوثقها عن المواقف التي وقفها مع المغرب أحرار العالم الانساني والاسلامي، روى أن الجالية المغربية الساكنة برواق المغاربة بالأزهر الشريف اجتمعت داخل الأزهر الشريف وتوجهت إلى الله باسمه اللطيف أن يلطف بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وان لا يفرق بينهم وبين إخوانهم البرابر.

كما أن الشباب المغربي في مصر رفع للمسؤولين احتجاجا هذا نصه : نرفع احتجاجنا على عمل الحكومة الأفرنسية في بلادنا من استنادها على مرسوم في فصل القبائل البربرية عن الاسلام وتعاليمه وتسرعها فعلا إلى اقفال كتاتيب القرآن، وتبديل المحاكم الشرعية بالعرف الجاهلي الذي لا تؤيده العقول، ولا ترضاه الانسانية، وإلقائها القبض أخيرا على شباننا بالمغرب الأقصى، حيث استنكروا هذه الأعمال ولم يرضوها لبلادهم العريقة في الاسلام، وتنكيلها بهم بأنواع العذاب.

وسائل استعمارية للقضاء على الوحدة المغربية

من أجل إنجاح المخطط الاستعماري لتقسيم المغرب إلى عرب وبربر وخلق نزاعات بين البربر وإخوانهم العرب. قررت الادارة الاستعمارية استعمال عدة وسائل، منها ما هو مفضوح، ومنها ما هو مستتر. فمن ذلك :

1) في سنة 1913 أي بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب أسست الادارة الاستعمارية معهدا، أسمته معهد اللغة العربية واللهجات البربرية، والمقصود الأول من إنشاء هذا المعهد، هو تركيز اللهجات البربرية والنفث في روع إخواننا سكان المناطق البربرية أن لغتهم الحقيقية هي البربرية وان اللغة العربية دخيلة عليهم. وأن عليهم أن يهجروها.

2) بالاضافة إلى العناية الكبرى باللهجات البربرية، تعمدت أن لا تكتبها الا بالأحرف اللاتينية لتحارب اللغة العربية التي كانت هي المستعملة لدى العلماء والفقهاء البرابرة الذين ترجموا بعض ما يحتاجه إخوانهم من قواعد فقهية، وأحكام دينية ورسوم عدلية إلى البربرية ولكن بأحرف عربية.

3) الاعتناء الزائد بالعادات والتقاليد البربرية وإحياؤها وافهام الشباب المنتمي للمناطق البربرية أن تلك هي عوائده وتقاليده ولا يجوز له الانفكاك عنها.

4) إنشاء وفتح مدارس فرنسية بربرية محرم فيها التخاطب بالعربية، فأحرى تعليمها.

5) إنشاء محاكم عرفية فرنسية تسجل أحكامها بالفرنسية.

6) منع تعليم القرآن والدين في المدارس البربرية الفرنسية، وفي ذلك يقول موريس لوكلاي : يجب أن نعلم البربر كل شيء ماعدا الاسلام.

7) إنشاء مكتب للعدلية البربرية، تحددت اختصاصاته بقرار مقيمي مؤرخ بـ 20 يونيه 1930 أي بعد شهر واحد من صدور الظهير 16 ماي 1930.

8) تشجيع الفوارق بين سكان المناطق البربرية وسكان الحواضر، وبث النزعات العنصرية المقيتة لابعاد البرابر عن إخوانهم.

9) استصدار قرارات من الوزير الأول بالاتفاق مع الكاتب العام للحماية تعين القبائل التي لابد لها من أن تدخل في دائرة العرف البربري، وتوضع نصوص القوانين والتنظيمات التي ستطبق عليها (ظهير 11 شتنبر 1914).

10) تأليف لجنة خاصة للأبحاث البربرية، ويحدد قرار مقيمي اغراض هذه اللجنة فيذكر انها تعمل على جمع الأبحاث المتعلقة بالقبائل البربرية من جميع أطراف المغرب، وتستخرج منها النتائج العملية التي من شأنها (ان تساعد فرنسا على تنظيم هذه القبائل وإدارتها بشكل يتفق مع المصلحة الفرنسية).

11) خلق جماعات اطلقوا عليها : الجماعات البربرية أو الجماعات القضائية، ألحق بها ضباط عسكريون فرنسيون ككتاب ومترجمين. وهذه الجماعات عهد إليها أن تفصل في القضايا المعروضة عليها على أساس العرف، وبعيدا عن الشرع الاسلامي.

تلك بعض الوسائل التي شرعت الادارة الفرنسية في تطبيقها لابعاد البرابرة عن إخوانهم العرب.

الأهداف التي كان يرمي إليها الاستعمار

إن الهدف الحقيقي من السياسة التي أتى بها الفرنسيون وأطلقوا عليها السياسة البربرية، هي إبعاد إخواننا البربر عن ذاتيتهم وإلحاقهم بالذاتية الفرنسية، وهكذا كان التخطيط يرمي إلى فرنسة الجزء الأكبر من المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا وحتى دينيا إن نجح المبشرون في دعايتهم التي كان يسخر منها إخواننا البرابرة.

ان ايجاد فروق بين العرب والبربر، وإشعار البرابرة بأنهم يختلفون عن إخوانهم العرب، سواء من حيث اللغة التي يتخاطبون ويتعاملون بها، أو من حيث تثقيفهم ثقافة بعيدة عن الثقافة العربية الاسلامية، أو من حيث أحكامهم التي يبتعدون بها عن شريعتهم الاسلامية، أو من حيث اعرافهم وتقاليدهم، أو من حيث كتابتهم وحروفهم التي ستصبح هي الحروف اللاتينية، أو من حيث ارتباطهم في القضاء مع القوانين الفرنسية، أو من حيث يصبحون مرتبطين في المحاكم العليا مع السلطة العليا الفرنسية التي تحكم باسم رئيس الجمهورية الفرنسية، ان هذه الفوارق جميعها ستجعل الشعب المغربي شعبين، شعب عربي ينتمي إلى المجموعة العربية الاسلامية وشعب بربري يرتبط شيئا فشيئا بالمجموعة الفرنسية. لقد كان الفرنسيون يحلمون بامبراطورية فرنسية في افريقيا يسمونها : فرنسا ما وراء البحار، ولماذا لا يكون المغرب جزءا أساسيا فيها، خصوصا وأن موقعه الجغرافي موقع استراتيجي، ودوره في بسط الاشعاع الفرنسي، سيكون دورا عظيما إن نجحوا في خطتهم أو مخططاتهم.

لقد فكروا وقدروا، وكادوا ومكروا، ولكن غابت عنهم حقيقة أساسية هي أن المغرب بعدما دان بالاسلام الذي تشبث به منذ أربعة عشر قرنا، لم يبق يومن بأية فكرة عنصرية، فلا فرق بين عربي وبربري، فالمغاربة جميعهم من مازيغ ويعرب، يدينون بفكرة التوحيد والوحدة، وإذا كانوا يتكلمون لهجات متعددة، فإن لهجاتهم لا تشعرهم بأنهم شعوب مختلفة ولكنهم شعب واحد هو المغرب، وأن الذين يتكلمون باللهجة البربرية فيهم الاشراف المنحدرون من سلالة الرسول العربي عليه السلام، وان الذين يتكلمون العربية، فيهم المنحدرون من أبناء يوسف بن تاشفين وبني مرين. ان المغربي مغربي وكفى، لقد انقضت فكرة العرق والعنصر من قلبه عندما اعتنق فكرة الاسلام. وهو يعتقد أن أجداده العرب، مثل أجداده البربر يعتز بهم، ويفخر بأنهم جعلوا منه إنسانا موحدا.

لقد سقطت خرافة العرب والبربر في أذهان دهاقنة الاستعمار عندما رأوا بأم أعينهم موقف البرابرة أنفسهم من هذا الظهير الذي اصطنعوه، ولقد بهت المراقبُ الفرنسي «بوسيي» عندما استدعى جماعة من زمور الشلح ليتذاكر معها في موضوع السياسة البربرية، فلاحظ أن القبيلة أتت بحذافيرها تهدد بالثورة إن أقدم الفرنسيون على معاملتهم معاملة تبعدهم عن مغربيتهم. ولقد هرب المبشرون المسيحيون عندما رأوا أن البرابرة سينتقمون منهم شر انتقام إن هم بقوا مقيمين بين أظهرهم، ولقد أدرك روكس مدير ثانوية مولاي يوسف بالرباط عام 1944 أن الانتفاضة الشريفة القوية التي قام بها الشباب الأمازيغي في ثانوية آزرو وثانوية مولاي يوسف ضد الاستعمار الفرنسي ليست إلا دليلا قاطعا على أن المغرب شعب موحد ـــ بالكسر وموحد (بالفتح) وان الشعار الذي كان يقوله المصلون في المساجد (لا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر) شعار منبعث من الأعماق، ويعبر عن حقيقة ان خفيت عن الاستعمار، فهي لا تخفى عن أولي الأبصار. فليقرر الاستعمار ما شاء له هواه، فقافلة الوحدة والتوحيد، سائرة في طريقها القويم السديد.

لا فرق بين العرب والأمازيغيين

المغاربة شعب واحد، لا فرق بين الأمازيغيين الأصلاء الذين قاوموا الدخلاء الأجانب الأوروبيين قبل دخول الاسلام إلى المغرب، ولا بين العرب الأمناء الذين حملوا معهم عقيدة الاسلام وتعاليم سيد الأنام. لقد انصهروا جميعهم في عقيدة الاسلام، وتمسكوا بتعاليم القرآن، وأصبحوا يومنون، بأنهم شعب مغربي واحد، لا مجال لتفريقهم، ولا قبول لمُخططات الاستعماريين الذين أتوا لتشتيتهم، أنهم يفخرون بأمجادهم القديمة قبل الاسلام، مثل ما يفخرون بأمجادهم التي أتتهم مع الاسلام، لقد تعشقوا الحرية وناضلوا في سبيلها وحموها من المعتدين ولقد قاوموا المعتدين المحتلين في كل العصور والأزمان، وفي ذلك قال شاعر الشباب الأستاذ المرحوم علال الفاسي في قصيدته العصماء التي نظمها بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس الملك المجاهد محمد الخامس نور الله ضريحه على عرش أسلافه المقدسين (1934) قال علال :

سلوا من بني التاريخ أي مملـــك	أتى طامعا لم يغْد مسكنه القبر
وأين بنو روما وما كان منهـــم	وهل جاءهم من بعد كسرتهم جبر
لقوا من بني مازيغ أعظم نكبة	يصان بها من ليس يردعه الزجر
حماك بها «بوكاس» من شر كيدهم	وعادوا فلم يكمل لهم أبدا أمر
لقد قهروا الوندال من بعد فانْطَفَى	لهيب ولم يخمد لنا أبدا جمر
وما زلْتَ في أفق السيادة شامخا	تحوطك أسد ليس يلحقهم قهر
إلى أن أتى الاسلام بالنور والهدى	وقد قام داعيه ودعوته الخيـــر

فكانت مبادئه أجل عقيدة وأحسن ما يختاره العاقل البر
هنالك أسلست القياد ولم تكن بلادك يغويها الجحود أو الكفر
ولاسيما والفتح فتح ضمائر يلامس قلبا ليس يملأه الشر

هذه الروح الوحدوية هي التي دفعت شباب «سلا» و«الرباط» و«فاس» و«الخميسات» و«آزرو» و«بني مكيلد» و«زايان» و«سوس» وكل أفراد الشعب المغربي في مختلف مدنه وقراه وحاضرته وباديته إلى أن يقاوموا السياسة التفريقية التي خططها الاستعمار. وهي التي دفعت الطلبة في ثانوية مولاي يوسف وثانوية آزرو إلى أن يكونوا منصهرين مُندمجين متحدين متضامنين بعضهم مع بعض تحت راية الاستقلال عندما تقدمنا بوثيقة الاستقلال سنة 1944. لقد جن الاستعماريون عندما رأوا أن آمالهم تحطمت، وأن الذين ساهموا المساهمة الفعالة في تحطيمها، هم الشباب الذين كانوا يظنون أنهم سيكونونهم التكوين الفرنسي ليكونوا بجانبهم محطمين للوحدة المغربية، وعاملين على الفرقة.

إن الاستعماريين وجهابذتهم لم يستطيعوا أن يسبروا روح المغربي الأصيل، فهو لا ينساق مع الدعايات الأجنبية مهما كانت خلابة، وهو محروس بعقيدته الاسلامية ولغته القرآنية، وتقاليده العريقة ومغربيته الصميمة، وشخصيته الفذة، وهو فخور بأمجاده التاريخية، ومقوماته الأساسية، وتراثه القديم والحديث، وهو معتز بآدابه الأمازيغي والعربي، يصونه ويحفظه، ويذوذ عنه ويحميه، وإذا كانت لغة الخطاب تختلف بين ناحية وأخرى من نواحي المغرب، وإذا كانت اللهجات متعددة بين قبيلة وأخرى، وبين مدينة ومدينة، فإن لغة القرآن وحدت الجميع، وان عقيدة الاسلام آخت بين القريب والبعيد،فليخسأ المفرقون الدساسون، ولتعل كلمة الوحدة والتوحيد.



الرائد المرحوم علال الفاسي

المدن المغربية التي شاركت في الاحتجاج ضد الظهير البربري

لم أتمكن من استقصاء جميع المدن التي ساهمت في مقاومة السياسة البربرية بعد صدور الظهير البربري 16 ماي 1930،ولكنني أثبت هنا ما بلغ علمي مؤملا أن أسجل بعون الله كل ما يثبت عندي من أنباء وأخبار، حتى لا أهضم أية مدينة أو قرية حقها.

1) فمدينة «سلا» كانت هي البادئة بقراءة اللطيف بالمسجد الأعظم، وبمسجد الشهباء وكان شروعها في قراءة اللطيف يوم 20 يونيه 1930.

2) وأعقبتها مدينة «الرباط» التي شاركت في الحركة الاحتجاجية وقراءة اللطيف في مساجدها : المسجد الأعظم، سيدي الغندور، مسجد السنة، ومولاي سليمان، ومسجد العكاري، ومسجد القصبة.

3) و«فاس» التي قرئ اللطيف فيها في «القرويين» ومولاي ادريس و«العنانية» ومسجد الرصيف، ودامت قراءة اللطيف من 4 يوليوز إلى 2 شتنبر 1930، مع توقيف في بعض الظروف.

4) أما الدار البيضاء فقد قرئ اللطيف في مسجدها الكبير يوم 18 يوليوز 1930 ويوم 16 غشت وألقي القبض على بعض الأفراد.

5) وفي مراكش وقع تجمع يوم 9 يوليوز بمسجد سيدي محمد لعريف لقراءة اسم الله اللطيف.

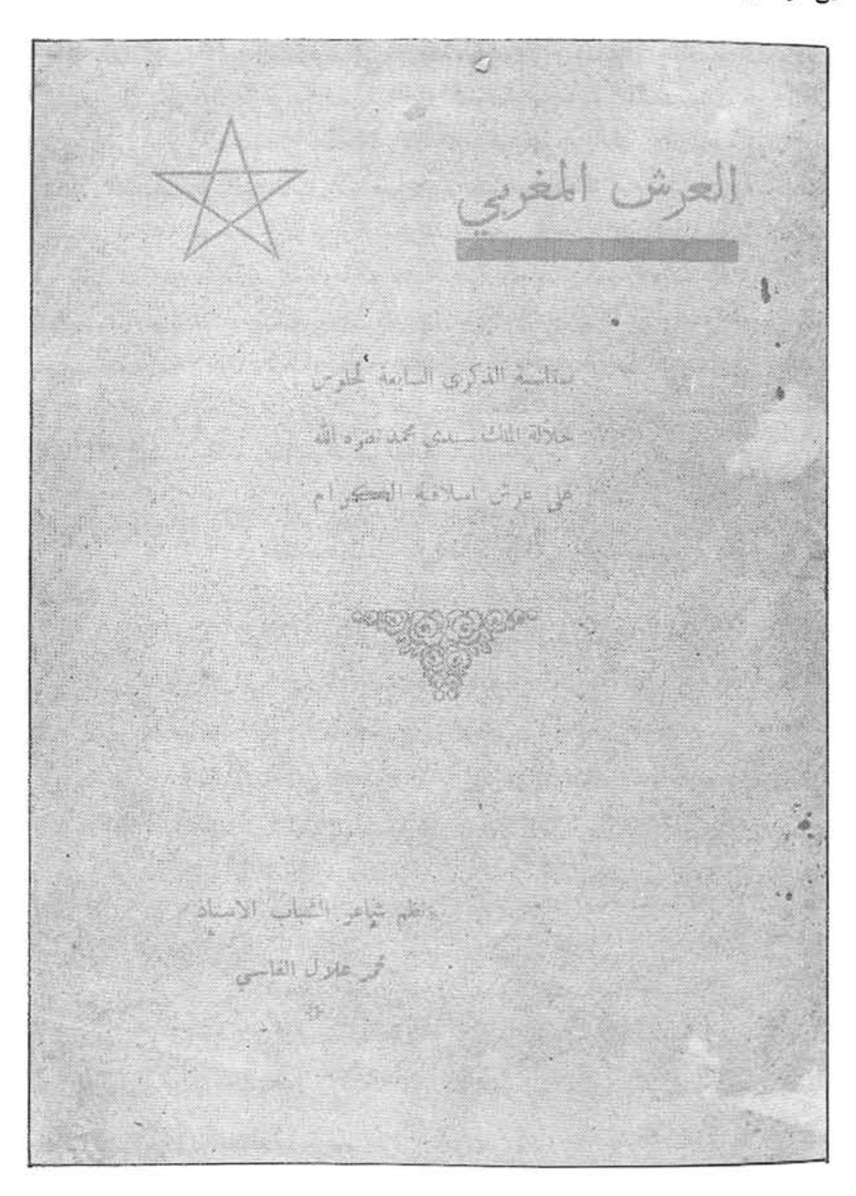
6) ويقال أن مكناس وطنجة والقصر الكبير شاركت بعض المشاركة.

7) وفي تطوان قرئ اسم الله اللطيف بالمسجد الأعظم يوم فاتح غشت 1930 وتأسست لجنة لمقاومة السياسة التفريقية وجعلت من أهدافها مقاطعة البضائع الفرنسية، ووجهت برقيات احتجاجية ضد السياسة الفرنسية.وجاء في نص البرقية المرفوعة إلى المقيم العام الفرنسي ووزير الخارجية الفرنسية مايلي : باسم سكان هذه المنطقة من الامبراطورية المغربية الواقعة تحت الحماية الاسبانية، نحتج ضد السياسة العنصرية والتمييزية التي تنهجها الجمهورية الفرنسية في منطقة حمايتها بالمغرب، نطالب بإلغاء ظهير 16 ماي فورا لأنه ينتهك الحقوق المقدسة

للشعب المغربي المسلم، وفيه خرق للتعهدات التي التزمت بها فرنسا مع الدولة المغربية.ثم الامضاءات :

[الطريس، داود، الوزاني، المصمودي، بنونة].

8) وفي آسفي قرئ اللطيف ببعض المساجد أواخر شهر يوليوز 1930 وألقي القبض على الذين تزعموا حركة قراءة اللطيف.



العرش المغربي

بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس

جلالة الملك سيدي محمد نصره الله

على عرش اسلافه الكرام

بنظم شاعر الشباب الاستاذ

محمد علال الفاسي

وسائل مقاومة الظهير البربري

تعددت وسائل مقاومة السياسة البربرية، فمن التجمعات المسجدية إلى المظاهرات في الشوارع إلى كتابة المقالات في الصحف والمجلات إلى توزيع المناشير وتعليقها في الطرقات، إلى كتابة المذكرات وإرسال الوفود إلى المسؤولين، إلى الاتصال بالجمعيات والأحزاب السياسية في الداخل والخارج وكتابة البيانات الموقعة من أبرز الشخصيات في العالمين الاسلامي والأوربي، إلى الدعوة إلى مقاطعة البضائع الفرنسية، إلى غير ذلك من الوسائل التي أثرت التأثير العميق على السلطات الاستعمارية، حيث لم ينفعها أمام هذا التيار الجارف من المعارضة في الداخل والخارج لا ملء السجون، ولا نفي الرجال، ولا اعطاء الوعود المعسولة. وزاد في حقد الادارة وتأثرها ان المقاومة لم تبق خاصة بالمدن ولكنها تعدت ذلك إلى المناطق البربرية نفسها، حيث أن اخواننا في تلك المناطق تحركوا التحرك الذي أوجبته عليهم عقيدتهم ووطنيتهم، وأصبح الفلاحون والرعاة والطلبة «يتغنون» بالأناشيد الوطنية الحزينة التي تبكي حالة الوطن وما يكيده له الأجنبي من دسائس. ولعل من العظة والذكرى ومن التسجيل للحقيقة ان ننقل هنا هذا النشيد باللغة الأمازيغية، ثم نعقبه بالترجمة)(2).

1) إيغاء بين اوينا حكمنين
متاثمباطا ازرف ازلان الدين
2) ثمرم البراي تزليم العزنون
تكرام الدين ارتكارم سومر ذول
3) يتاغ الحال ثميها تاتصحا نكراخ
لسلام امازيغ عربي اكان بامن
4) الارزون امعيذان اذاخ يظون
اتمسلهو ذي كيناخ نقبط
5) اهايمازيغن أنودم ذا يتاع
الايتفافا الحر أكر ذيبخوان
6) اران ايرومين سوا وال أكليد
اداخ عديل ايريدا ايهنا الخلا
7) اريدا ذي كين ذا الدين ام ساو
عذا واهانتا ياسمى تالخ تونكين

---

(2) عن كتاب الحركات الاستقلالية للزعيم علال الفاسي ص 152.

8) اهايمازيغن امعيورظــن ايتكـــام
اسيـد العارايكـون يا عن كاامغرب

9) تيتشم ادا المال ادويا ذا الدين
ادان ثغيزاريــو يثــن اخنريــــــر

10) وتذعنم الدلت ثكيم ام اسمفان
امي وريا ذيكـرا ارون شانشجعـان

11) والله العظيم نكيرمش ذانكـان
اليسامـــوم غاس انزكـــوم نــــــون

12) اياك جران ايمازيغن كالمغرب
اذا سن روخ أيس كان ايتما كالدين

نص الترجمة بالعربية

1) أيها القابضون على أزمَّة أمورنا، الحاكمون في قضايانا ماهذا الحكم بالعرف المصادم للدين ؟

2) اترضون كل ما يحدث إلى أن رميتم عزتكم، ورفضتم شرفكم فذهبا مع دينكم، كما ذهبت معهما ثروتكم ؟

3) لا نعرف من قديم الزمان، إلا أننا والعرب إخوان، متحدثون متصلون، أليس اسلام الأمازيغ أبوه عربي ؟

4) يريد الاعادي ان يفرقونا، ويذكوا نار العداوة بيننا، لتتم سيادتهم علينا.

5) أيها الأمازيغ، ان النوم من طبائع الانسان، ولكن الحر الذكي ينتبه ويبادر السارق المتلصص.

6) زعموا أن حكومتنا احتمت بفرنسا لنشر المدنيَّة والاصلاح.

7) واذن، فلماذا يجعلون سدا بيننا وبين ديننا، ويثبتون فينا عداوته، والحال أن الدين الاسلامي، هو غايتنا من الحياة.

8) أيها البربر ! انكم خفرتم العهد ونقضتموه. أليس غارا عليكم أن تهانوا في دينكم، في عقر داركم المغرب ؟

9) نهب مالكم، بعد دينكم، فتلاهما عقاركم وصار الجميع بيد عدوكم.

10) أذْعنتم للذين يستعبدونكم، كأنكم أرقاء، وكأنكم خلقتم من مادة الجبن، والحال ان أجدادكم من أشجع الناس.

11) والله العظيم، لقد أضناني السهر من أجلكم، وأضعفني همكم.

12) ما أعظم مصابكم أيها البرابر بالمغرب، أبكي لكم إذْ أنتم أنا نَسَباً ودينا.

وكما قال الزعيم علال في كتابه، فإن إخواننا البرابر عندما كانوا يعبرون عن مكنونات صدورهم بهذا النشيد المؤثر، كان الشباب المغربي يردد هذا النشيد الذي هو من شعره رحمه الله :

صوت ينادي المغربي	من مازغ ويعرب
يحدو الشباب المغربي	للموت من دون الوطن
لبيك ياصوت الجدود	انا لشعبنا جنود
كل يرى حفظ العهود	في الذب عن حوض الوطن
لا نرتضي بالتفرقة	ولو علونا المشنقة
ولو غدت ممزقة	اشلاؤنا فدا الوطن
فليغضب الخصم العنيد	وليرهب الصوت الشديد
لسنا نخاف أو نحيد	انا خلقنا للوطن

وبالمناسبة، أورد هنا قصيدة نظمها أحد الشعراء الوطنيين بمناسبة يوم الذكرى، أي ذكرى 16 ماي، ولقد كان يوم 16 ماي، يوم تجمع وذكرى وصيام وتوجه إلى الله، كما كان يوم توزيع المناشير، وكتابة المقالات، وإصدار الأعداد الخاصة من الجرائد التي كانت متعاطفة معنا، كما سنتحدث عنه فيما بعد، والقصيدة نشرتها في حينها جريدة «الفتح» ونقلها عنها الأستاذ بوعياد في كتابه في صفحة 631 :

اغــرودة الـذكـــرى

غــن يابلبــل واصـــدح
واشدُ في روضك وامــرح
غــن يابلبــل وحــــدك
فهنيئــا لــك سعــــدك
انــا مخلــوق حزيــــن
أنــا دومــا فــي أنيــــن
كيف اسلو كيف أفرح
كيف يلهو كيف يمزح
ان يــوم الحــزن حــلا
يوم ذكرى قد تجلـــى
وطنــي فيــه ينـــادي
كيــف يسلــوه فــؤادي
أنا في يومي شـــاك
وبليلـي انـــا بـــاك
انا في ذا اليوم صائــم
وبيبيــت اللــه قائـــم
فــاذا المغــرب نـــادى
أنـــا جنــدي تهـــادى
مغربــي أنـــا حـــر
واذا مسنـــا ضـــر
أنـــا للمغـــرب دومـــا
كيــف ألهــو عنه يومـــا
أيهـــا البلبـــل غـــرد
غــن مــا شئـــت وردد
ومتـــى أديــت شعبـــي
ومتـــى حـــقق ربـــي

انـت في أرضك حــر
فلــك العيــش الاغـــر
مثل ما أندب وحــدي
وهنيئــا لـــي وجـــدي
لا يواتينـــي الغنـــاء
وشهيـــــق وبكـــــاء
وبــلادي فـــي نكَـــاد
ناشئ يهْـــوَى البَلَــــد
فيـه قـد طـاب الرثـــاء
بــه للشعــب الشقـــاء
كيـف ألهـو عـن نـــداء
وهولـي ذخـر الحيـــاة
لسـت التـذ الطعـــام
ليس يحلـو لـي المنـــام
مخلــص للــه صومـــي
علــه يرحـــم قومـــي
قلـــت لبيـــك بـــلادي
بيـــن أبطـــال الجهـــاد
لسـت أرضـى أن نهـــون
فأنـــا أهـــوى المنـــون
مستعــــد للنـــــداء
وهــو لــي كنـز البقـــاء
وحــدك اليــوم وغنـــي
ليـس يسلــو بك حزنـــي
مالــه مــن واجبـــات
مـــا لنــا مــن رغبـــات

فـإذن تحلـو الأغـانـي بيـن هاتيـك الـزهـور
يـوم ادراك الأمـانـي غنني لحـن السـرور

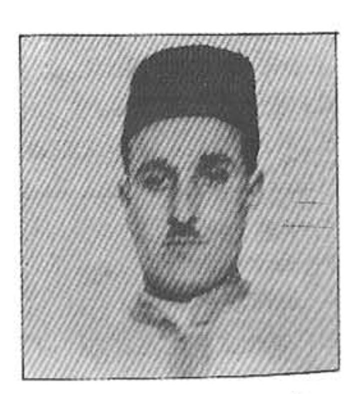
ومن الأناشيد التي كنا نرددها ولست أدري لمن هي :

يالطيـف الطـف بقـوم هـم ضحايـا الوطنيـة
بشبـاب قـد تفانـى لا يـرى السجـن دنيـة
لا يـرى السجـن مصابـا لا يـرى المـوت دنيـة
بشبـاب قـد تفانـى لا يـرى الشنـق رزيـة
هـم بنـو العـز سـراة هـم ذوو النفـس الأبيـة
شيـدوا للديـن مجـدا بيميـن عربيـة
وأبـوا للديـن إلا وحـدة للأبديـة
وحـدة اخلـص فيهـا مضـر للبربريـة
تلكـم نهضـة عـرب جددوهـا مغربيـة
خلـدوا للنشـئ ذكـرى ارسلوهـا مثليـة
لا اضـاع اللـه عهـدا عقـدوهـا شرفيـة

اندهاش السلطات الاستعمارية من ردود الفعل الوطنية

لقد اندهشت السلطات الاستعمارية من ردود الفعل التي وقعت سواء داخل المغرب أو خارجه ضد ظهير 16 ماي 1930. فلم يكونوا يتوقعون ان تنتج عن صدور هذا الظهير هذه المقاومة العنيفة، ولذلك فإنهم اتخذوا أسلوبين في التعامل مع الأحداث، فمن جهة صاروا يستقبلون بعض المستنكرين للسياسة البربرية، ويوهمونهم أن الظهير البربري لا يقصد به تنصير المسلمين أو إخراجهم عن عقيدتهم الاسلامية أو إبعادهم عن السلطة الشرعية للبلاد ومن جهة صاروا يستدعون بعض آباء الشباب الوطني، ويخوفونهم من سوء العواقب التي تنتظر أبناءهم ان هم بقوا سائرين في هذا الهيجان الذي أحدثوه في النفوس، كما عمدوا أحيانا إلى محاكمة بعض الشبان أحكاما مخففة، حتى لا يشاع انهم يملأون السجون بالمعتقلين.

لقد أمَروا عميلهم الصدر الأعظم محمد المقري، أن يذهب إلى فاس ليستقبل بعض الشخصيات من العلماء والأعيان ويطمئنها ولقد أذنوا لوفد فاس، أن يذهب لمقابلة جلالة الملك ويعرض عليه مطالب المحتجين، ولقد اكتفوا أولا بإبعاد عبد اللطيف الصبيحي الذي كانوا يعتبرونه المحرك الأول لمقاومة الظهير إلى مراكش وفرضوا عليه الاقامة الاجبارية بأحد المنازل وحاولوا أن لا يمسوا الأخ محمد اليزيدي، رغم أنه المحرك الأول والأساسي لمقاومة الظهير بالرباط، ولكن هذا كله لم يزد القضية الا اشتعالا والانتفاضة الشعبية إلا مواصلة،



الأستاذ محمد اليزيدي المتزعم لحركة مقاومة الظهير البربري بالرباط



محمد اشماعو
أحد الخمسة الذين أوقفتهم السلطة في منزل الباشا في اليوم الأول لقراءة اللطيف بالمسجد الأعظم بسلا



الحاج محمد بن عبد السلام لحلو ممن قبض عليهم يوم 31 غشت

فبقيت حركة اللطيف مستمرة مدة شهرين تقريبا من 20 يونيه التي ابتدأت في سلا إلى 22 غشت حيث استمرت في «فاس» ثم عمدوا إلى الزيادة في الشدة فحكموا على بعض المعتقلين بثلاثة أشهر سجنا وكان من هؤلاء الاخوة : المرحوم عبد اللطيف الاعتابي، والمعطي أباخاي، من الرباط والحاج بوبكر المالقي من «سلا»، كما نفوا وسجنوا إلى تازة الاخوة : علال الفاسي، ومحمد الوزاني، وعبد العزيز بن ادريس والهاشمي الفلالي ومن معهم من الاخوة الذي ذكرت أسماؤهم. كما نفوا إلى أزيلال ثم تزنيت عبد اللطيف الصبيحي، ومحمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة ومحمد اشماعو إلى مهريجة (المغرب الشرقي) وهؤلاء بقوا في منفاهم أزيد من سنتين. ونفوا الحاج ابن عبد السلام لحلو إلى ميسور وألزموا الفقيه بن القرشي الاقامة في بيته.

بعد هذا الابعاد، وبعد قراءة الظهير الذي أصدره المقري باسم جلالة الملك في المساجد، والذي يصفُ المحتجين على السياسة التفريقية بأنهم صبيان لم يبلغوا الحلم، هدأت الحالة داخل المغرب، وان كانت بقيت مشتعلة في العالم الاسلامي حيث ما انفكت الاحتجاجات تتوالى على الفرنسيين مطالبة بنسخ ظهير 16 مايو 1930، والتراجع عن السياسة التفريقية الأمرُ الذي أقض مضاجع الاقامة العامة الفرنسية فاضطرت إلى كتابة رسالة سرية رسمية موقعة من طرف المقيم «لوسيان سان» وموجهة إلى رؤساء النواحي الفرنسيين بالمغرب جاء فيها : ان عملاء شركة مضادة لفرنسا قد نجحوا، بواسطة دعاية ماهرة وكاذبة، في تشويش الأفكار وقتا ما بالمدن الكبرى، متذرعين بظهير 16 ماي 1930 حول العدلية البربرية. وهذا الظهير كظهائر السلاطين المتقدمين وخاصة منهم مولاي يوسف في 1914 قد اقتصر على الاعتراف بأعراف تعاقبت عليها القرون دون أن يغير شيئا في الوضع القائم، ولقد كان لازما للحياة الاقتصادية في النواحي الجديدة المفتوحة للأمن وكذلك لتطمين سكان جعلوا من احترام أعرافهم الشرط الصريح لدخولهم تحت نفوذ المخزن. ونص الظهير المجهول من أغلبية الذين هاجموه. قد عرض بمكر وخداع، كأداة حرب ضد الدين الاسلامي، وكوسيلة لتنصير العالم البربري وبالرغم عن باطل وزيف هذه الاتهامات فمما لا ينكر أن شخصيات أهلية، قد انقاذت للمغالطة فوقعت في الخطأ.

وقد استغل المحرضون بمكر وخداع بعض التصرفات الطائشة التي ارتكبها بعض المبشرين المتحمسين بافراط في سبيل العقيدة المسيحية، فأرادوا أن يوحوا باعتقاد أن حكومة الحماية تنظر بغير امتعاض إلى مشروعات البربرة، ونجد الدليل على هذا فيما وقع، وهو أن وفدا من بعض الأعيان، استقبل من طرف جلالة السلطان، فأعرب في وثيقة مسلمة بهذه المناسبة إلى ملكه عن الرغبة في أن يرى نهاية النشاط الذي تقوم به الارساليات المسيحية، وبعدما تشير الرسالة إلى تصريح القسيس (ويلانج في اجتماع مرسيليا) من أن ادعاء التمدين دون التنصير أمر غريب وفظيع، وبعدما تشير إلى مقالات مجلة «المغرب الكاتوليكي» المحرضة على

التنصير وكذلك الإرساليات الانكليزية والأمريكية تقول : ان هذا النشاط الديني للارساليات الكاثوليكية والبروتستانية غير ملائم في الظروف الراهنة، تطلب أن تقتصر مهمة المبشرين على الجالية الأوروبية وتمنع من التبشيريين الأهالي، وان تراقب الأعمال الخيرية التي يقومون بها حتى تبقى في دورها الاسعافي. والرسالة المذكورة مؤرخة بـ 6 أكتوبر 1930.

كم من نقمة في طيها نعمة

بعد الهدوء النسبي، والكف عن التجمعات المسجدية لقراءة اسم الله اللطيف، تساءل الشباب الوطني مع نفسه، كل واحد من موقعه، ما هو الواجب علينا من أعمال ؟ أيحسن أن نركد بعد هذه الانتفاضة الشعبية ضد السياسة الاستعمارية ؟ أم الواجب يقضي أن نطور حركتنا لما هو أبعد ؟ سؤال ألقيناه على أنفسنا ونحن شباب صغار في «سلا» كما ألقاه إخواننا على أنفسهم في بعض المدن وفي طليعتها «فاس والرباط».

لقد كانت توجد جمعيات سرية للشباب في بعض المدن، كفاس والرباط وسلا وتطوان وطنجة، كجمعية «ام البنين» بفاس، وجمعية «إلى الملتقى» في «الرباط» وجمعية الوداد في «سلا» ولكن طابع هذه الجمعيات رغم اتجاهها الوطني كان يغلب عليه الاتجاه الثقافي والتكويني كما كانت هناك جمعيات ثقافية أخرى معترف بها كجمعية قدماء تلامذة المدرسة الادريسية بفاس وجمعية الجوق الرباطي بالرباط والنادي الأدبي بسلا، وجمعية قدماء تلامذة الدار البيضاء، والفرقة الثمتيلية بطنجة، ولكن دور هذه الجمعيات كان ينحصر في بث الوعي الثقافي والاهتمام بتمثيل روايات تاريخية وإلقاء محاضرات، وتنظيم مسامرات وما شاكل ذلك، ولكن هذه الجمعيات أو تلك لم تتجه عمليا الاتجاه السياسي الذي كانت تفرضه الظروف. ولذلك فإنه لما وقع الحدث العظيم، حدث كَشْفِ الفرنسيين عن نياتهم إزاء شعبنا بإصدارهم لظهير 16 ماي الذي خطط لتفريق شعبنا والقضاء على وحدته الدينية واللغوية والجنسية، كان لابد من التفكير في خط طريق أخرى لمقاومة السياسة الاستعمارية.

تكوين جماعة سرية للمقاومة

ففي فاس قامت جماعة من الشباب الوطني بتنظيم صفوفها بتأسيس جماعة سرية سياسية أطلقوا عليها اسم «الزاوية» تعمل على (تكوين حركة بناءة تسير رويدا نحو المثل الاستقلالي) كما عبر عن ذلك الزعيم المرحوم علال الفاسي، ولقد أضافوا إليهم بعض الاخوة من الرباط

وتطوان، ثم توسعت هذه الجماعة بعد ذلك فسميت «الطائفة» وانضاف إليها اخوة آخرون من بعض المدن المغربية وكنت والمرحوم السعيد حجي من جملة هؤلاء الذين انضموا «للطائفة» ثم إلى «الزاوية» حوالي سنة 1934 كما سأذكره بعد بتفصيل.

«اتصال الادارة الفرنسية بعبد اللطيف الصبيحي في منفاه»

أمام الهجوم على السياسة الفرنسية التي اتبعتها فرنسا في المغرب، وقعت المذاكرة مع عبد اللطيف في شأن تغيير الفصل السادس من الظهير البربري وأذن له في الاتصال ببعض إخوانه في منفاهم ليعرض عليهم الأمر، ولقد رأى عبد اللطيف أن حذف الفصل السادس من الظهير الذي يخرج البرابرة في تحاكمهم من سلطة جلالة السلطان، ويجعلهم تابعين للمحاكم الفرنسية التي هي بدورها تابعة لرئيس جمهورية فرنسا، رأي هذا التغيير خطوة مهمة في تراجع السياسة الاستعمارية، فقبل أن يعرض الفكرة على إخوانه، وهكذا اتصل بالأخ اليزيدي في منفاه كما اتصل بغيره من الاخوان وتباحث معهم في الموضوع ثم أتى للرباط فاتصل برجال الادارة الفرنسية وبعد خروجه من بعض الاتصالات صرح لمراسلي بعض الصحف، قائلا : ان مقابلته للمسؤولين كانت مفيدة، وان الشعب المغربي انتصر في معركته ضد الظهير البربري الذي سيغير بشكل مقبول. ولكن الادارة الفرنسية استاءت من هذا التصريح واعتبرته تحديا لها، خصوصاً وأنها كانت تسعى في إيجاد مخرج لورطتها ولكن لا بشكل علني، حتى يمكنها أن تغطيه بالشكل الذي تريد.

وهكذا تراجعت عن قرارها، وأمرت بإرجاع عبد اللطيف إلى منفاه بعد أن بلغته قطع المفاوضة معه.

واثر هذا صارت تشيع بعض الاشاعات لخلق بلبلة في الأفكار، فصارت تشيع بأن البعض من المنفيين تنازل عن مطالبته بتغيير الظهير وان الوطنيين غير متفقين، ولكنا إزاء كل هذا بقينا صامدين ثابتين لا تأتينا مناسبة إلا وعبرنا فيها عن مطالبتنا بمحو السياسة التفريقية خصوصا بمناسبة ذكرى لـ 16 ماي، حيث نقصد المساجد لتلاوة القرآن وقراءة اسم الله اللطيف ونوزع المناشير على الشخصيات ونعلق البعض منها على الجدران، ونفس الشيء كان يقع بالرباط وفاس الأمر الذي جعل الادارة تشعر أن الاحتجاج لا ينقطع، وانه لابد من تغيير السياسة الاستعمارية التي اتبعت وهكذا صارت تدبر لاطلاق سراح المعتقلين الذين لازالوا في معتقلاتهم فسرح السيد عبد اللطيف العتابي ثم سرح الأستاذ اليزيدي في يونيه 1932 وبعدهما سرح عبد اللطيف الصبيحي ثم بعده محمد اشماعو.

فضيحة للمقيم العام «لوسيان سان»
الذي أصدر ظهير 16 ماي

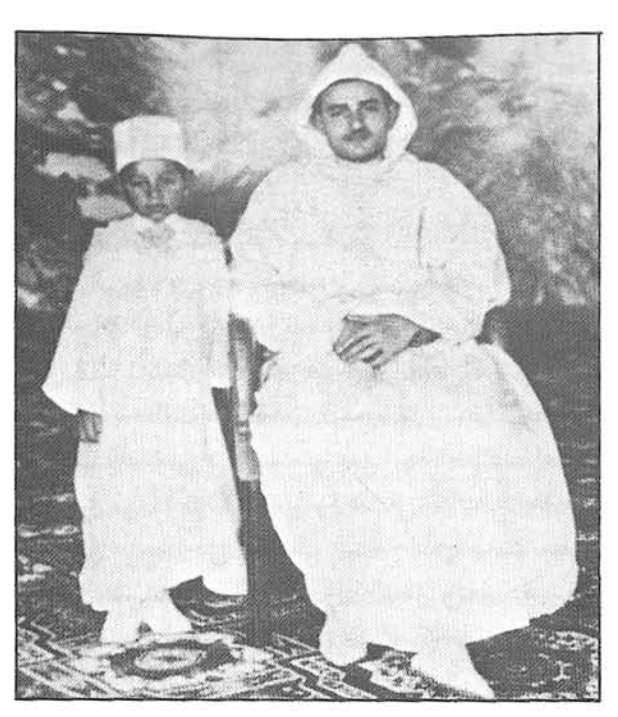
من المعلوم أن المقيم الفرنسي «لوسيان سان» هو الذي أصدر ظهير 16 ماي 1930 المتعلق بفصل إخواننا البرابرة عن بقية المجموعة المغربية دينيا وحضاريا وثقافيا وقضائيا وسياسيا ولقد دخلت الحركة الوطنية في بداية نهضتها معه في عراك دام أزيد من ثلاث سنوات وفي ذكرى 14 يوليوز 1933 الذي كان يعتبر هو العيد الوطني الفرنسي ألقى «لوسيان سان» خطابا سياسيا اعترف فيه بأخطاء وقعت يجب تصحيحها واستغرق خطابه مدة طويلة ولقد أتيح للأستاذ عبد اللطيف الصبيحي أن ينصت ويستمع لهذا الخطاب، فصاح قائلا : ان هذا الكلام وهذه التعابير سبق لي أن قرأتها بنصها وحرفها في كتاب طالعته قريبا، وما لبث أن تصفح بعض الكتب التي طالعها حتى عثر على المرجع الذي يبحث عنه، وإذا هو كتاب للمرحوم فرحات عباس الزعيم الجزائري المعروف وإذا الجمل والتعابير التي في كتاب فرحات عباس منقولة بالحرف ليلقيها «لوسيان سان» في خطابه كخطبة له.

لم يكن عبد اللطيف من العاجزين حتى قام إلى مكتبه ليحرر مقالا بعثه إلى مجلة «مغرب» الصادرة بباريز يفضح فيه هذه السرقة وينشر النص الأصلي الذي جاء في كتاب «فرحات عباس» مقارنا بالنص الأصلي لخطاب المقيم العام فكانت فضيحة منكرة «للوسيان سان» أن ينقل كلاما مسروقا بنصه وحرفه ولشخص جزائري معارض، لقد اندهشت الاقامة العامة الفرنسية لهذه الفضيحة فصارت تبحث عن حل يكفر به «سان» عن خطيئته، واستدعت بعض الأعيان راجية منهم أن يحرروا عريضة يعبرون فيها عن رضاهم وتعلقهم «بلوسيان سان» ولكن الفضيحة كانت شاعت وذاعت، وتحدثت عنها الأفواه والألسن فلم يسع الحكومة الفرنسية إلا أن تعفيه من منصبه كمقيم عام، فكان كمن يبحث عن حتفه بظلفه ولله في خلقه شؤون.

إلغاء الظهير البربري

بعد الضجة العظمى والاحتجاجات المتوالية، وتضامن العالم الاسلامي قررت السلطات الاستعمارية إلغاء الفصل السادس من ظهير 16 ماي 1930 والذي جاء فيه :

«إن المحاكم الفرنسوية التي تحكم في الأمور الجنائية، حسب القواعد الخاصة بها، لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب



جلالة محمد الخامس مع ولي عهده المولى الحسن
لدى دخوله الكتاب القرآني **(انظر صفحة 181)**

الجناية» ولقد اعتبر المرحوم عبد اللطيف الصبيحي إلغاء هذا الفصل نصرا كبيرا وخطوة هامة في محو السياسة التي كانت فرنسا تود تطبيقها على البرابرة، ولكن إخوانه من الزعماء الآخرين لم يكتفوا بإلغاء الفصل السادس من الظهير، وبقوا مصرين على إلغاء جميع فصول الظهير المذكور وهكذا بقي العمل جاريا بمقتضى جميع فصول ظهير 16 ماي 1930 باستثناء الفصل السادس حتى أعلن استقلال المغرب، وتألفت حكومة وطنية تولي وزارة العدل فيها المرحوم الأستاذ عبد الكريم بن جلون الذي كان عضوا في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال إذذاك فعمل على إصدار ظهير شريف صدر في الجريدة الرسمية 7 شوال 1375 — 18 مايو 1956، يلغي كل مقتضيات ظهير 16 مايو 1930.

وهذا نص الظهير المذكور :

ظهير شريف رقم 1.56.014 مؤرخ بـ 6 شعبان 1375 = الموافق لـ 19 مارس سنة 1956 بشأن إلغاء كل مراقبة كانت أو خاصة راجعة لتدبير شؤون العدل المغربي :

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا أسماه الله وأعز أمره، أننا أصدرنا أمرنا الشريف بماياتي : بمقتضى الظهير الشريف الصادر في 22 ربيع الثاني 1375 الموافق لـ 7 دجنبر 1955 بشأن تأسيس الحكومة المغربية.

وبمقتضى الظهير الشريف الصادر في 7 ذي القعدة 1338 الموافق لـ 24 يوليوز 1920 والمحدثة بموجبه إدارة الشؤون الشريفة.

الفصل الأول : تلغى كل مراقبة عامة أو خاصة راجعة لتدبير شؤون العدل المغربي.

الفصل الثاني : سيصدر استقبالا ظهير شريف فيما يخص تنظيم نيابة عامة لدى المحاكم المغربية وتسيير شؤونها.

الفصل الثالث : تلغى جميع المقتضيات المنافية لهذا الظهير الشريف ولاسيما مقتضيات الظهيرين الصادرين في 24 يوليوز 1920 و16 مايو 1930 والسلام.

وحرر بالرباط في 6 شعبان 1375 الموافق 19 مارس 1956.

وسجل هذا الظهير الشريف برئاسة الوزارة بتاريخ 7 منه عامه الموافق 20 منه سنته.

الامضاء : **البكاي**

بعد إلغاء الظهير البربري تصريح لعبد اللطيف الصبيحي

وبعد إلغاء الظهير البربري صرح عبد اللطيف الصبيحي لجريدة فرنسية قائلا : «أشاهد اليوم تتويج جهاد استمر أزيد من ربع قرن، وكان فيه السجن والتضحيات والنفي ثم قال : من اليوم الأول الذي نشر فيه الظهير البربري، فإني تخليت عن كل شيء، كي أفهم رأي الشباب المغربي الخطر الذي يكمن في هذا الظهير وعلى الأخص في فصله السادس، وبعد مرور شهرين أي يوم 10 جوي 1930 عزلت من وظيفي وألقي علي القبض في غد ذلك اليوم بسلا، ووجهت إلى مراكش، حيث بقيت أربعة أشهر تحت الحراسة، في دار من دورها، وفي شهر أكتوبر جعلت في إقامة مجروسة بأزيلال في جوار زاوية احنصال، ولم توافقني الاقامة، في هذا المكان المرتفع نظرا لضعف قلبي، وإذا بي أنقل إلى «تزنيت» حيث طالت إقامتي أكثر من عشرين شهرا، كان المسيو «بونصو» هو الذي ألغى الفصل السادس وأطلق سراحي.

وكتب عبد اللطيف في الصحيفة التي كان يصدرها باللغة الفرنسية وهي صحيفة (الصوت الوطني) مايلي : إن استعجالنا لا يشككنا في مستقبلنا، المستقبل لنا، هو على الأخص لشبيبتنا المغربية التي ستعرض غدا أطر البلاد وتقود شعبنا تحت قيادة أعقل ملك والهم عاهل، نحو أحسن مصير.

(تعقيب) : أتيت بكل هذا اعترافا بجميل الرجل الذي كان المنادي الأول لمقاومة المخططات الاستعمارية فيما يتعلق بفصل الجزء الأكبر من سكان المغرب الأصلاء عن إخوانهم في المدن.

وإني وان كنت لَم أتفق مع الخط السياسي الذي كان يسلكه، فإن الأمانة التاريخية تفرض عليَّ أن أنصف الرجل حتى لا ينساه التاريخ، وكل يعمل على شاكلته، وربنا أعلم بمن هو أهدى سبيلا.

رجوع المنفيين في القضية البربرية

لدى سنة 1932 رجع محمد اليزيدي، ثم عبد اللطيف الصبيحي ومحمد اشماعو من منافيهم فأقمنا حفلا بإحدى حدائق «سلا» وهي «سانية الحاج علي عواد» الكائنة إذذاك إزاء باب «فاس» بهذه المناسبة، شارك فيه زيادة على المذكورين الأخ الزعيم المرحوم علال الفاسي والدكتور عبد المالك فرج وادريس البنيوري والحاج أحمد بناني وبعض الاخوة الوطنيين من الرباط وسلا، ولعلها كانت المناسبة الأولى التي تعرفت فيها إلى الزعيم علال الفاسي رحمه الله ومنذ ذلك الوقت صارت حركتنا الوطنية تتطور وتنمو ويتعدد نشاطها.

ومن أهم النشاطات التي تقرر أن تقوم بها الحركة بعد رجوع المنفيين إصدار جريدة وطنية تعمل على بث الوعي الوطني، وتشرح الأهداف التي يسعى لها الشباب الوطني، وهكذا توالت اللقاءات وبالأخص بين الأخ محمد اليزيدي والمرحوم عبد اللطيف الصبيحي، اللذين تقرر أن يقدما طلباً للجريدة باسمهما على أن يتعهد بتموينها والنفقة عليها المدن التالية : فاس — الرباط — سلا، ولقد قدرت الميزانية المخصصة لهذه الجريدة التي ستدعى «العمل» بعشرين ألف فرنك، وبالفعل قدمت للخزينة العامة الضمانة المطلوبة مع طلب الاذن من الصدر الأعظم حسب القوانين الجاري بها العمل اذذاك، وصار الاخوان يتصلان برجال الادارة يستحثونهم على السماح بإصدار هده الجريدة، ووقع حوار بين اليزيدي ورئيس الناحية الفرنسي في موضوع السماح بإصدار هذه الجريدة، صرح رئيس الناحية المذكور بأن فتح باب الصحافة للمغاربة صعب جدا، فأجابه اليزيدي بأنكم فتحتموه فعلا عندما سمحتم للسيد محمد الصالح ميسة الجزائري بإصدار مجلة «المغرب» الشهرية.

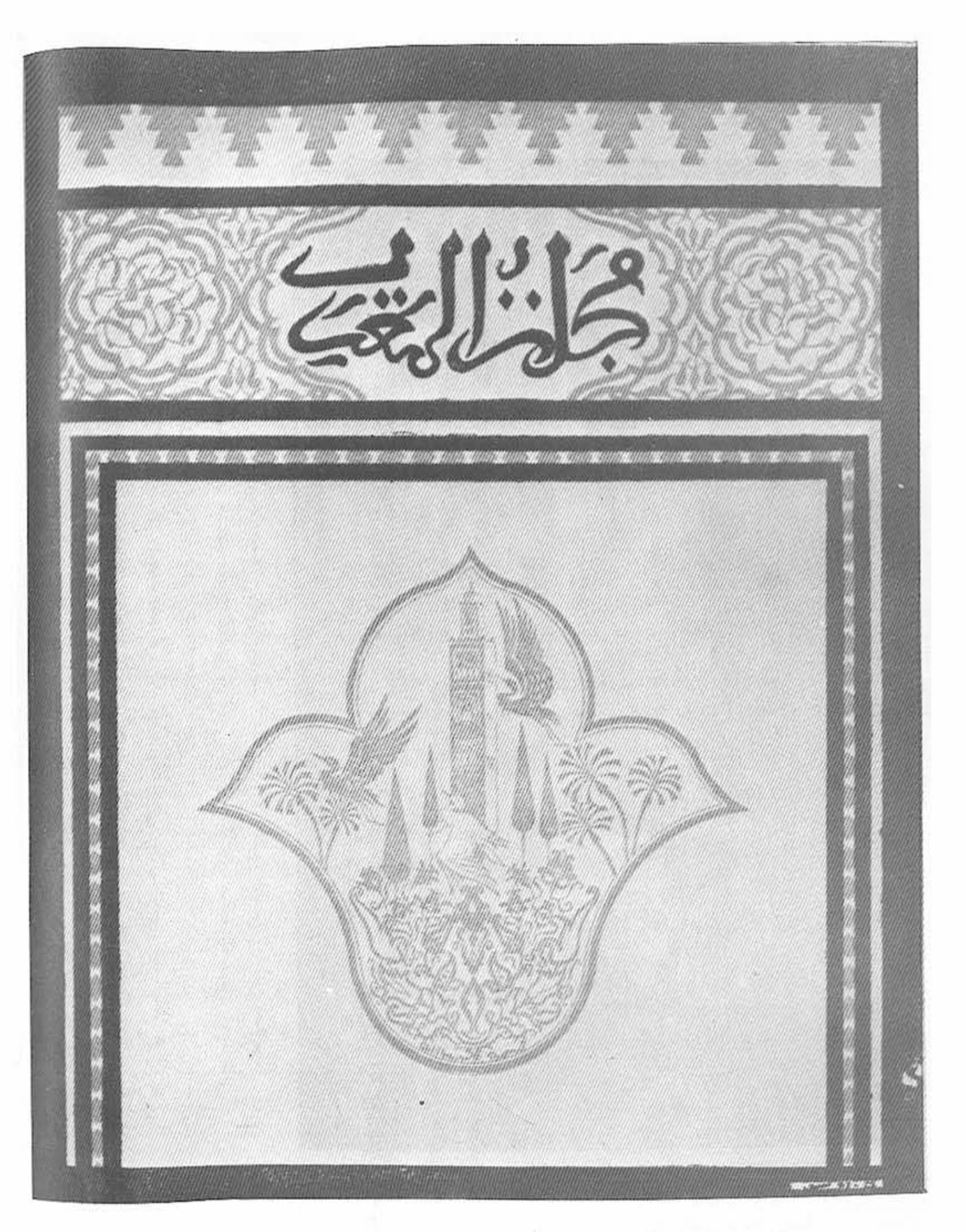
مجلة «المغرب» الشهرية

وكان السيد محمد ميسة أصدر مجلة أدبية ثقافية اجتماعية شهرية في هذه السنة، ونظرا لأنه جزائري الجنسية، والقانون المغربي إذذاك لا يسمح بإعطاء جريدة عربية إلا لمغربي، كما أن الاذن بإصدار جريدة باللغة الفرنسية لا يعطي إلا لفرنسي فإن السيد محمد ميسة طلب من السيد الحاج بوبكر زنيبر السلوي الفلاح ان تكون المجلة رسميا باسمه[1]، وهكذا صدرت

(1) الحاج بوبكر زنيبر المذكور هو والد الأستاذ الطاهر زنيبر عضو اللجنة المركزية للحزب وهو غير الفقيه المفتي السيد بوبكر زنيبر.



الاحتفال برجوع المنفيين من سلا والرباط بعرسة ج علي عواد بسلا سنة 1932 بحضور فاسيين ورباطيين وسلويين.
الجالسون من اليمين : جّ أحمد معنينو، السعيد حجي، الصديق بن العربي، أبو بكر القادري، محمد الحصيني، أحمد بناني، محمد حجي، عبد اللطيف الاحرش، عبد الله حجي، عبد الرحمان حجي.
الواقفون في الوسط : عبد الرزاق بن احساين، محمد اشماعو، عبد اللطيف الصبيحي، علال الفاسي، عبد المالك فرج، أبو بكر بنسعيد، عبد الكريم حجي، المكي السدراسي، عثمان الأحرش، محمد الرغاي.
الواقفون من الوراء : القباج، عبد الهادي لحلو، محمد كراكشو، الطاهر الرفاعي، ملين، أبو بكر حجي، محمد اليزيدي، ادريس لبنيوري، عبد اللطيف العتابي...... المهدي زنير.



مجلة «المغرب» الشهرية التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة

«مجلة المغرب» التي كان موقف الوطنيين منها مختلفا، فالبعض كان يعتبر صدورها ربحاً، مهْما كان صاحبها، والبعض كان لا يرى ذلك الرأي، بل يحاربها :اعتبار أنها لسانٌ من ألسنة الحماية الفرنسية، ومن جملة الذين كتبوا في هذه المجلة المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل كما كان يكتب فيها باستمرار المرحوم محمد بن العباس القباج والمرحوم محمد حصار والمرحوم عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي وغيرهم كثير. وفي هذه المجلة برزت الدعوة إلى الاحتفال بذكرى جلوس صاحب الجلالة محمد الخامس على عرش أسلافه، حيث كتب المرحوم محمد حصار مقالا حول الأعياد الاسلامية دعا في آخره إلى الاحتفال بذكرى عيد العرش واعتباره عيدا وطنيا وكان ذلك في شهر يوليوز 1933 أي قبل الاحتفال الشعبي الأول بأربعة أشهر. والاقتراح كان من «حصار» رحمه الله لا من ميسة كما جاء في مذكرة المرحوم الوزاني، ولكن مجلة «ميسة» أيدت الاقتراح .

ميثاق للعمل الوطني

في شهر يوليوز سنة 1932 رجع المرحوم السعيد حجي من دمشق هو وأخوه عبد الكريم، فواليا الاجتماع معنا كل أسبوع، ووضعنا أسسا جديدة للعمل الوطني. كان من جملتها تأسيس صندوق وطني لمواجهة المصاريف التي تتطلبها منا الأعمال الوطنية ونظرا لضعف ذات يدنا فلقد اتفقنا على أن نتصل بكل الاخوة الذين يتعاطفون معنا ليمدونا بمقادير شهرية مضبوطة كما اتفقنا على أن نشتري بعض الكتب التي توقد الروح الوطنية ونبيعها لمن يرغب فيها بربح خفيف، فنكون قد استفدنا ماديا وأدبيا، ومن محصول الربح والمشاهرات يتكون الصندوق كما قررنا إحكام الاتصال بالشباب، وتوثيق العلاقات معه، لينضم إلى صفوفنا ويقوي جانبنا، ومن جملة القرارات التي اتخذناها وضع ميثاق وطني نسير على ضوئه في تحركاتنا الوطنية كما أن برنامج عملنا اشتمل من جملة ما اشتمل عليه :

1) على الالتزام بجلب الشباب إلى العمل الوطني.
2) تقديم الكتب المفيدة والصحافة الوطنية إلى الشباب الوطني كي يتربى وعيه وتزيد ثقافته.
3) دراسة الحالة العامة وتقديم تقرير عنها لدى كل اجتماع.
4) مكاتبة الصحافة الشرقية العربية بأخبار المغرب وحوادثه.
5) تجميع كل ما يمكن من كتب ونشرات تتعلق بأحوال المغرب.

تطور في الفكر الوطني

صارت حركتنا الوطنية تنتظم، فلم يبق اهتمامنا مسلطا على مقاومة الظهير البربري فحسب، ولكن أفكارنا صارت تتسع وتنضج، وشعرنا بضرورة ربط العلاقات وإحكامها مع إخواننا في الرباط، وفاس وغيرهما، وهكذا كنت أزور الأخ محمد اليزيدي كل خميس، أتذاكر معه فيما جد من أحداث، وآخذ رأيه في بعض القضايا التي تعرض لنا. كما أنه هو نفسه صار يزورنا الآونة بعد الأخرى، ويشاركنا اجتماعاتنا. كما كنت أزور الشيخ محمد المكي الناصري بمنزله ببوقرون فأستفيد من معلوماته، ونعلق على بعض الأحداث. وأستمع إلى بعض انتقاداته.

والواقع أنني كنت أحس أن الاتجاه السياسي للأخ محمد اليزيدي هو نفس الاتجاه لاخواني الوطنيين بفاس، فكثيرا ما كان يجيبني عندما أعرض عليه اقتراحا بأنه سيتذاكر فيه مع الاخوان.

لم تكن جماعتنا الوطنية بسلا مرتبطة بأية جماعة أخرى كما أشرت لذلك سواء بفاس أو بغيرها، وإنما كانت هناك اتصالات ومذاكرات وتعاون في بعض الأحيان وكان أول الذين تعرف عليه وطنيوا «سلا» من فاس هو الأخ الهاشمي الفيلالي وكان القائم بهذا الاتصال قبلي هو المرحوم سعيد حجي، فقد أتاحت له ظروفه في أول الثلاثينات ولربما قبل الثلاثينات عندما كان عضوا بالنادي الأدبي الاسلامي أن يتصل بالأخ اليزيدي وغيره ويتعرفا على بعضهما، وكذلك الأخ الحاج أحمد معنينو كان متعرفاً إلى بعض الاخوان بفاس والرباط وكذلك غيرهما من الاخوان وما أن نظمنا جماعتنا بعد الأحداث البربرية، حتى صار تعارفنا مع إخواننا في الرباط وفاس يتزايد، وتعاوننا يتكاثر.

لقاءاتي مع السعيد حجي

وإني أذكر بهذه المناسبة انني كنت ألتقي مع «السعيد» يوميا لمناقشة فكرة أو التعليق على حدث، وانني استفدت منه كثيرا في تعرفي على كثير من الشخصيات الوطنية والمثقفة مثل الأخ اليزيدي والأخ الهاشمي الفيلالي والأخ المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل والحاج احمد بناني والأستاذ محمد الفاسي والمرحوم عبد الكبير بن حفيظ الفاسي وغيرهم، فكنا نجلس الساعات الطوال نحلل جوانب من تلك الشخصيات ونتعرف إلى اتجاهاتها وخصائصها وكيفية التعامل معها.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فلقد كانت الشخصية الثانية من الشخصيات الوطنية التي تعرفت عليها خارج مدينة «سلا» هي شخصية المرحوم الحاج عمر ابن عبد الجليل، فلقد كان خلال سنة 1932 مكلفا بالاشراف على الأراضي الفلاحية لبعض الشخصيات بسيدي

سليمان[2] (الغرب) باعتباره مهندسا فلاحيا، وكان يأتي إلى «سلا» أحيانا فيقيم بمنزل السيد احمد الحسناوي الموظف بالصدارة العظمى، وكنت أزوره هناك لأدفع له بعض المساهمات المالية في الصندوق الوطني العام الذي كان يزود مجلة «مغرب» الفرنسية بالنفقات التي يتطلبها إصدارها. وأذكر أني دفعت له عن شهر أكتوبر 1932 ثلاثمائة وخمسة وعشرين فرنكا عوض خمسمائة فرنك التي كنا ملتزمين بها، نظرا لأن كثيرين من الذين كانوا ملتزمين معنا بأداء مشاهرات لم يوفوا بالتزاماتهم. ويعتبر اتصالي بالأخ اليزيدي أولا ثم اتصالي بالأخ ابن عبد الجليل ثانيا المراحل الأولى في تنظيم وتوحيد أعمالنا الوطنية مع اخواننا بالرباط وفاس.

اصدار مجلة «مغرب» باريس

أشرت إلى أننا في نطاق تعاوننا مع إخواننا بفاس والرباط كنا نؤدي بعض المساهمات المالية الطفيفة للصندوق الوطني إذذاك ولمساندة مجلة «مغرب» الفرنسية التي صدر أول عدد منها في يوليوز 1932.

وان صدور هذه المجلة المغربية باللغة الفرنسية يتطلب وقفة خفيفة، نتعرف خلالها على الأسباب التي دعت إلى اصدارها والأشخاص الذين كانوا حريصين كل الحرص على أن يكون للوطنية المغربية صوت بالخارج، وبفرنسا بالذات، يفضح السياسة التي تتبعها الادارة الفرنسية الاستعمارية بالمغرب، ويعمق في الأذهان أخطار السياسة البربرية. ويظهر أن الأسباب الأولى التي دعت إلى التفكير في اصدار هذه المجلة، هو النجاح الذي لقيته الدعاية ضد السياسة البربرية في الخارج، والتخوفات التي تخوفها رجال الادارة الاستعمارية من الدعاية ضدهم. ولقد سبق أن ذكرت أن اخواننا الشبان الوطنيين الذين كانوا يدرسون بفرنسا، احكموا الاتصال بالأمير شكيب أرسلان في سويسرا، وان مجلته الشهرية التي كان يصدرها هناك «الأمة العربية» باللغة الفرنسية قامت بدورها الكامل في التشهير بمخططي السياسة البربرية، وان الأمير شكيب مع ذلك اقترح ان تصدر بباريز نشرة أو مجلة تحت «اسم المغرب» تفضح السياسة الاستعمارية، وتدافع عن القضايا الوطنية كما اقترح ذلك (روبير لونكي) فلقد اطلعت على رسالة كتبها الأمير شكيب أرسلان إلى الحاج عبد السلام بنونة مؤرخة بـ 28 غشت 1931، ورد فيها مايلي بالحرف : ينبغي مع هذا تأسيس مجلة تصدر كل جمعة أو كل 15 يوما في باريز، يتولى إدارتها أحد الكتاب الفرنسيين وتسمى «المغرب» وتدافع عن مسلمي المغرب، فهذه ترد عن اسلام المغرب أكثر من جيش، ولا يقدر أحد أن يمنعها، نظرا لأن مديرها سيكون فرنسيا، تكلم في هذا المشروع المسيو لونكي وابنه والمسيو «فارج» مع قرة العيون «احمد» وكتب لي وقال : انهم يرون 50 ألف فرنك فرنساوي أي 400 جنيه، كافية للمشروع، فأجبته

(2) هو القائد إبراهيم الزهاني.

أن واحدا مثل التازي (حّ عمر التازي) يدفع هذا المبلغ ولا يشعر به، لكن من حيث أنه لن يدفعه، تعمل شركة بأربعمائة سهم، كل سهم بجنيه واحد، وهذه الأسهم يشتريها ذووا الحمية، وأنا أشتري 10 أسهم من كيسي، وأحث أناسا في المشرق على الشراء فالمسألة سهلة بسيطة ولن تأتي ضربة على يافوخ القديس (لوسيان سان) أشد من هذه الضربة[3].

ومن خلال ما كنت أعلمه وأتحقق به من قبل، ومن خلال ما كتبه الأمير شكيب في رسائله إلى «بنونة» يتأكد أن الذي كان يحرص كل الحرص على إصدار هذه المجلة هو الأستاذ أحمد بلافريج رحمه الله، وانه لكي يخرج الفكرة من حيز النظر إلى حيز التنفيذ تطوع أن ينفق على إصدارها جزءا من المعونة التي كان يتلقاها من خاله من أجل دراسته. يقول الأمير شكيب في رسالة مؤرخة 21 دجنبر 1931 مايلي : قرة العيون «احمد مستعجل في إصدار المجلة، ويقول انه هو ياتيه ثلاثة آلاف فرنك كل شهر من خاله لمصروفه، فيقدر أن يعيش بثلثيها، ويخصص الثلث لمجلة «المغرب»»[4].

إن الأمير شكيب تحمس كل الحماس لاصدار مجلة «مغرب» ورعاها وطالب باستمرار بمساندتها، واعتبرها سيفا مصلتا ضد أعمال الفرنسيين بالمغرب. فلقد كتب إلى صديقه بنونة يرجوه أن يكتب إلى المجاهد السيد احمد مكوار كي يزيد في معاضدتها يقول : أرجو أن تكتبوا إلى السيد أ.م في فاس بأنه لم يوجد عمل للمغرب حتى الآن افيد وافعل من اصدار مجلة «مغرب» التي طعنت الاستعمار في قلبه، وستقضي على «لوسيان سان» وسواء دخلت المغرب أم لم تدخل فتأثيرها واحد، والمهم هو باريز، وهي هناك يقرأها الجميع، والخلاصة أنه يجب دوام معاضدتها المالية بأي وجه كان ووقوفها لا يغتفر.

صدرت مجلة «مغرب» كما ذكرت في شهر يوليوز 1932 وكان المسؤول عنها رسميا هو السيد روبير جان لونكي، وكان المشرف عليها عمليا هو الأستاذ أحمد بلافريج، وكان المحررون فيها نخبة من الشبان الوطنيين الأحرار أمثال محمد بن الحسن الوزاني الحاج عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي ومحمد الفاسي وعبد اللطيف الصبيحي وعبد القادر بن جلون، وكانت التوقيعات أحيانا صريحة، وأحيانا بأسماء مستعارة، مثل بوشعيب الفطواكي وهو اليزيدي وبوعزة الزموري وهو حّ عمر بن عبد الجليل، و«الخبير» و«الزنبور» و«النحلة» وهو أيضا الحاج عمر بن عبد الجليل وأ.ب وهو بلافريج. وفتى المغرب وهو ابن الحسن الوزاني وم — و وهو أيضا ابن الحسن الوزاني، كما شارك فيها كتاب فرنسيون وغير فرنسيين مثل «روبير لونكي» ووالده وغيرهما — لقد كانت للمجلة لجنة رعاية من بعض الأحرار الفرنسيين مثل جان

---

(3) انظر نص الرسالة في كتاب نضالنا القومي لبنونة ص 266.

(4) انظر نص الرسالة في كتاب نضالنا القومي لبنونة ص 284.

لونكي، وبيير رونوديل وفرانسوا آلبير ومن الأحرار الاسبانيين كدولوس ريوس وزير التعليم الاسباني. ولقد كتب في غلاف المجلة الأخير هذا الخطاب، ويغلب على ظني أنه بخط «بلافريج» : أيها المغربي قد أسست هذه المجلة للدفاع عن حقوقك، ورفع صوتك عاليا برغائبك ومكتسباتك، وأنت تعلم أن بلادك تشتد حاجتها الآن إلى مشروع كهذا، اذ ضياع الحق في سكوت أهله عنه، الاستسلام للباطل موت، والمناقشة في الحق حياة، فواجبك يقضي عليك بالسعي في تفهم محتوياتها، والتحلي بروحها والدعاية لمبادئها، والمساعدة على نشرها، وحيث كان المال قوام الأعمال، فلابد أن تمد لها معاضدتك الفعلية الدائمة حتى تكون قادرة على بلوغ مرماها، وهو مرمى الأمة المغربية بأسرها.

إن صدور «مغرب» اعتبر فتحا جديدا في عالم العمل الوطني لا للتعريف بالحالة السياسية التي كان يعاني منها المغرب فحسب، ولكن في مجال التوجيه الوطني والتربية السياسية التي كان الشباب المغربي في حاجة إليها.

لقد كانت تصلنا الأعداد منها لدى كل شهر، وفي الغالب بواسطة الأخ محمد اليزيدي، فكنا نجمع لها الاشتراكات حتى من الذين لا يقرءون اللغة الفرنسية، وكنا نعاني كثيرا من المصاعب لدى كل شهر في استخلاص واجب الاشتراك من بعض المشتركين الذين كانوا يبخلون علينا حتى بذلك المقدار البسيط وهو خمسون فرنكا في السنة. فلطالما اعتذر لنا بعض المشتركين، وكثيرا ما ماطلنا آخرون ولكنا بقينا ماضون في خطنا نؤازر مجلتنا جهد ما نستطيع حتى توقفت نهائيا عن الصدور، بعدما منعت هي وأخوات لها في شهر مايو 1934 اثر الزيارة التي قام بها جلالة محمد الخامس إلى فاس، والأحداث التي وقعت في تلك الزيارة كما نتحدث عنه فيما بعد إن شاء الله، وتعتبر مجموعة مجلة «مغرب» من أهم الوثائق التي تسجل مرحلة هامة في نشوء الحركة الوطنية بالمغرب، ويعتبر العدد الخاص ذو الغلاف الأخضر، والذي خصص للقضية البربرية من المراجع الأساسية في تاريخ الكفاح ضد السياسة البربرية.

التنظيم السري للحركة الوطنية المغربية (الزاوية والطائفة)

في صيف سنة 1934 زارني في بيتي بسلا المرحوم الفقيه السيد محمد غازي، وبعد مذاكرات ومناقشات، طلب مني أداء قسم ليزيد ارتباطي بالجماعة الوطنية ــ ولتتقوّى أواصر الأخوة والتعاون فيما بيننا. فأجبته بأنه ليست هناك ضرورة لأداء القسم، فنحن متعاونون على الخير والاخلاص لبلادنا وخدمتها الخدمة الصادقة، مدفوعين بضمائرنا قبل كل شيء، ولكنه أجابني بأن الاخوان يلحون بضرورة توثيق العلاقة معهم، وللاطلاع على بعض الأسرار والتنظيمات، ولا يتيسر ذلك إلا إذا أديت كما أدوا هم بدورهم يمين الاخلاص، والقضية وان كانت شكلية، إلا أنها ضرورية، وبعد تمنع كبير مني ونقاش طويل بيني وبينه، أديت يمين الاخلاص لله والوطن، وكتمان الأسرار، وهناك خبرني بأنه توجد جماعة سرية تسمى «الطائفة» هي التي تسير الكتلة بعدما تأسست وكانت تسير الحركة الوطنية قبل ذلك، وان أفرادها منبثون في بعض المدن المغربية سواء بفاس أو الرباط أو غيرهما، واني اعتبر الفرد الأول الذي انخرط فيها الآن بمدينة «سلا» كما انخرط فيها بعد ذلك : «سعيد حجي». «عبد الكريم حجي». «محمد اشماعو» لقد كنت ألتقي باستمرار بالاخوان الوطنيين في مختلف المدن المغربية، وبالأخص مع الأخ محمد اليزيدي بالرباط الذي ربطت معهُ علاقات وطيدة بعد رجوعه من المنفى سنة 1932، وكنت أدرك تمام الادراك ان ارتباطه بالاخوان بفاس، ارتباط قوي، وأنه لا يتخذ أي قرار إلا بعد استشارتهم، حتى أنني عندما أعرض عليه بعض الاقتراحات التي تقترحها جماعتنا الوطنية السلوية، يجيبني بأنه سيعرض الموضوع على الاخوان.

لم يكن لدينا حزب وطني علني، ولم نصبح ندعى بكتلة العمل الوطني إلا بعد تقديمنا لبرنامج الاصلاحات المغربية، ولكن الطريقة التي كانت يتخذ بها الاخوان غير السلويين قراراتهم لم يكن لي علم بها، حتى انخرطت في الطائفة فعلمت أن لها قانونا ــ وان كنت لم أطلع عليه أبدا ــ وان القرارات تتخذها الجماعة المسؤولة، وبعد مضي فترة زمانية، كاشفني الأخ محمد اليزيدي بأنه يوجد على رأس الطائفة جماعة مصغرة تسمى «الزاوية» وانه لا فرق في الواقع بين هذه وتلك، إلا أنها قضية تنظيمية لا غير، وزاد فقال : انه يوجد ضمن الزاوية، لجنة مصغرة تسمى بلجنة «السافر» وهذه اللجنة لها أهمية كبرى حيث انها وحدها يمكنها الاطلاع على جميع الأسرار كيفما كان نوعها، وهي التي تربط وتحكم العلاقات بين أفراد

الطائفة، ويرجع إليها في كثير من القضايا التي تهم تسيير الطائفة لقد أتيح لي بعد ذلك أن أتعرف على كثير من الاخوة الذين تتكون منهمالطائفة والزاوية الذين أصبح يتزايد عددهم السنة تلو الأخرى، والذين زاد عددهم عندما كنا نتهيأ لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال.

لقد كنا نكون جماعات أو خليات سرية في نطاق الحزب الوطني، فيؤدي أفرادها يمين الاخلاص لله والوطن والملك والحزب مع الالتزام بكتمان الأسرار، وضمن هذه الجماعات أو الخلايا كانت بسلا جماعة تسمي «فتح» من خلايا الحزب الوطني ومن خلال هذه الجماعة انخرط في الطائفة على يدي والأخ اليزيدي : الاخوة : عبد الرحيم بوعبيد، وقاسم الزهيري، ومحمد البقالي، والصديق بن العربي، والطاهر بن الفقيه المفتي، أبو بكر زنيبر، وجّ بوبكر الصبيحي، ومّحمد بن الخضر من آسفي، وكل هؤلاء وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة إلى جلالة الملك في 11 يناير 1944، وبالمناسبة أسجل هنا ولربما لأول مرة أعلن هذا السر، انه كان تقرر عندما هيأنا وثيقة المطالبة بالاستقلال ان الواجب الوطني يفرض على كل المنخرطين في (الطائفة) ان يكشفوا عن أنفسهم ويكونوا أول الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، ليبقى سر الوثيقة مكتوما حتى نضمن تقديمها، وانه في حالة ما إذا دعت المصلحة لاضافة توقيعات أخرى من غير الأفراد المنخرطين في الطائفة فيجب أن يتحمل من يقترحهم المسؤولية الكاملة، حتى لا ينكشف سر الوثيقة قبل تقديمها، فنفشل فيما كنا نهدف إليه.

ويجب أن أسجل هنا كذلك باعتزاز كبير أن كل المنخرطين في الطائفة، سواء منهم الموظفون أو غيرهم، سواء منهم الذين كانوا يجاهرون بوطنيتهم أو الذين لا يجاهرون، كل هؤلاء وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال ماعدا شخصا واحدا حسب علمي — اعتذر لظروف خاصة به، وماعدا شخصا أو شخصين — نسيت — قررت الطائفة أن لا يعلن عن أسمائهم لمصلحة وطنية عليا.

كيف تأسست الطائفة أو الزاوية أول يوم

لم يتحدث الزعيم علال الفاسي رحمه الله في كتابه : (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) عن تأسيس الطائفة والزاوية، ولكنه تحدث عن الزاوية في كتابه : (عقيدة وجهاد) وهو التقرير الذي ألقاه في المؤتمر العام لحزب الاستقلال في يناير عام 1960، فلقد قال بعدما تحدث عن تأسيس الأحزاب الوطنية وكيف يكون، وان حزب الاستقلال، ظهر أولا في شكل أعمال تمهيدية إصلاحية، تدعو إلى مقاومة الشعوذة، وتنادي بالرجوع للاسلام السني وللسلفية الصحيحة، وتذكر الناس بضرورة الوقوف في سبيل المستعمر ولو بغير سلاح، ثم تبلْوَر في شكل حركة جماعية حين تقدمنا لمعارضة السياسة البربرية التي تجلت في ظهير 16 ماي سنة 1930 قال : (وفي جو هذه الحركة الشعبية العارمة، وقع بفاس حادث عظيم يلذ لي اليوم

ان أعلنه لأول مرة، لأنه الحدث الذي كان له الأثر الفعال في تكوين أول حزب سياسي وطني وأعظمه في المغرب، نعم أيها الاخوان ! في جو المعركة التي كانت تحتدم بين الشعب وبين الفرنسيين في مساجد فاس والرباط وسلا وغيرها من أنحاء المغرب، اتفقنا نحن ثلة قليلة العدد، على أن ننتحي جانبا، وننظر في عمل شيء دائم، يوجه هذا الفيض الشعبي نحو حركة بناءة، تسير رويدا نحو المثل الاستقلالي الذي فكرنا فيه، وفعلا وفي أسطوانة فنيذق تجاري برحبة القيس، اجتمعنا نحن الثلاثة : علال الفاسي، وأحمد مكوار، والسيد حمزة الطاهري رحمه الله، وكان معنا شاب متحرق هو الآخر على نفس الفكرة، هو السيد محمد بن الطالب بناني الذي انسحب من المكان بمجرد التقائنا، ولم نمكث في هذا المحل أزيد من عشر دقائق، حتى كنا قد قررنا تأسيس جمعية سرية، واتفقنا على قوانين هذه الجمعية، اجتمعنا بمنزل السيد أحمد بوعياد رحمه الله، اجتماعا تأسيسيا، درسنا فيه القوانين المذكورة وأقررناها وأقسمنا اليمين عليها.

لقد كان الذين حضروا هذا الاجتماع، والذي أسسوا ما أطلقنا عليه بيننا بعد اسم (الزاوية) هم : حمزة الطاهري، الحاج العربي بوعياد، احمد مكوار، احمد بوعياد، حَ الحسن بوعياد، حَ عمر السبتي، عبد القادر التازي، محمد الوزاني، علال الفاسي، وقررنا أن يكون معنا : عمر عبد الجليل، واحمد بلافريج ومحمد الديوري، ومحمد اليزيدي والحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود واحمد غيلان والفقيه طنانة، ومحمد غازي، ومحمد بلكورة.

لقد كانت هذه الفئة الصغيرة المتكتمة هي التي تعمل علنا مع العديد من إخواننا الذين كونوا الوفد الوطني الأول المنتخب في المجلس البلدي بفاس، والذي رفع لجلالة الملك لأول مرة، وثيقة الاحتجاج الشعبي ضد السياسة البربرية ومطالبة المغرب بتحرير السلطة المغربية من الهيمنة الفرنسية عليها، ولم يلبث ان ظهرت في ميدان العمل الوطني، نخبة طيبة من شباب الوطن ورجاله، توسمنا فيهم الخير والسر، فأسسنا منهم ما سميناه (بالطائفة) هي فيما يرى الناس مستقلة، وفي الواقع جزء من (الزاوية) وسرعان ما حلت محلها، وقد بلغ عدد أعضائها الستين، نرى منهم بيننا عديدا من الاخوان هم زيادة على من ذكر : علال الفاسي، محمد اليزيدي، الحاج احمد بلافريج، احمد الشرقاوي، الحفيان الشرقاوي، حَ عثمان جوريو، مسعود الشيكر، حَ بوبكر الصبيحي، محمد البقالي، الطاهر زنيبر، الهاشمي الفيلالي، سيدي عبد العزيز بن ادريس، المهدي بن بركة، عبد الرحيم بوعبيد، أبو بكر القادري، محمد الفاسي، عبد الكبير الفاسي، ملكة الفاسية، عبد الكريم حجي، سعيد حجي، المعطي أباخاي، عبد الله الرجراجي، حَ عمر عبد الجليل، بوشتى الجامعي، عبد الكريم غلاب، عبد المجيد بن جلون، أحمد بن المليح، عبد الكريم بن ثابت مَحمد بن سودة، احمد الحمياني، احمد أباحنيني، الفقيه غازي، قاسم الزهيري، احمد اليزيدي، عبد اللطيف العتابي، عبد الجليل القباج، محمد الديوري، محمد بناني، عبد الوهاب الفاسي، بريك، عبد القادر حسن، عبد الله ابراهيم،

الورزازي الحسين، عبد السلام المستاري، محمد بن احماد، احمد بن شقرون، احمد مكوار، الجيلالي بناني، عبد الكريم بن جلون، بناصر بن حَ العربي، محمد بن الحسن الوزاني الصديق بن العربي، حَ محمد الباعمراني، احمد بن دلة، مولاي احمد المنجرة، العيساوي المسطاسي، محمد بن عزو، احمد بن بوشتى، عبد الحق بن البشير، الحسن بن جلون، محمد الفرسيوي هذه الطائفة أيها الاخوان، هي التي كانت التعبير العلني باسم كتلة العمل الوطني زمنا، ثم بالحزب الوطني من بعد، وأخيرا باسم حزب الاستقلال، وقد كان لي شرف تحمل أمانتها العامة في السر أولا، وبرئاستها في العلانية، ثانيا : كما كان لها جميعا شرف الأبوة والرحم لكل عمل وطني أو ديني أو ثقافي وقع خلال هذه المدة السالفة كلها، ولذلك فإنني لن أدخل في صميم الموضوع، قبل أن أتوجه بالترحم على إخواننا الذين استشهدوا أو ماتوا من ذلك الرعيل الأول، ثم بالتحية لأخواننا الآخرين الحاضرين منهم في المؤتمر أو الذين عاقتهم وظائفهم العامة عن الحضور، مهنئا لهم جميعا بنجاح البذر التي زرعوا، والشجرة التي غرسوا، وانني لسعيد بأن أكون قد أديت أمام هذا الجمع الحاشد واجب الوفاء نحوهم جميعا، تنويها بأسبقيتهم، وتقديرا لمجهودهم الخالد)[1].

أما الحاج الحسن أبو عياد، فيقول عن تكوين الطائفة والزاوية في كتابه عن (الحركة الوطنية)[2] مايلي : (ومساء هذا اليوم (يوم 23 غشت 1930) تأسست أول جماعة للكفاح بفاس وأدى أفرادها يمين الاخلاص لله والوطن والملك، وهم عشرة : وكان ذلك بدار الفاضل الوطني المخلص السيد أحمد بن الحاج الطاهر مكوار، وكم من نقمة في طيها نعمة، إذا كان من نعم الله على عباده المخلصين في هاته الضائقة، ان وحد صفوفهم وهداهم لتكوين هاته الجماعة من المومنين التي سيكون لها كمثيلاتها من الجماعات الأخرى ما سيكون من شأن في تنوير فكر المغاربة وقيادتهم تحت امرة جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، حتى تصل الأمة بحول الله إلى شاطئ النجاة، وتحقيق الهدف الأسمى الذي كان يصبو إليه المغاربة جميعا وهو نيل الحرية والاستقلال.

وأسماء هذه الجماعة الوطنية الأولى بفاس هي : الشريف سيدي حمزة الطاهري، الذي استعير له اسم (أبوبكر) سيدي علال الفاسي الذي استعير له اسم (عمر) سيدي محمد بن الحسن الوزاني الذي استعير له اسم (عثمان) السيد الحاج العربي بوعياد الذي استعير له اسم علي السيد احمد بوعياد الذي استعير له اسم (سعد) السيد الحاج الحسن بوعياد الذي استعير له اسم (سعيد) السيد عبد القادر التازي الذي استعير له اسم (طلحة) السيد محمد الديوري

(1) عقيدة وجهاد لعلال الفاسي ص : 12/11/10/9 (المطبعة الاقتصادية) (زنقة ايميل ديبلوابي) الرباط.

(2) الحركة الوطنية (الظهير البربري لون آخر من نشاط الحركة الوطنية في الخارج) ص : 19 دار الطباعة الحديثة (الدار البيضاء).

الذي استعيز له اسم (الزبير) السيد عبد الرحمان برادة الذي استعير له اسم (عبد الرحمن بن عوف) السيد احمد مكوار الذي استعير له اسم (أبو عبيدة).

ولا يخفى على السادة القراء، أن الأسماء الموجودة بين قوسين هي أسماء العشرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم المبشرين بالجنة، تيمنا بها، كما أطلق عليها اسم (الطائفة) والجماعة التي بعدها سميت (بالزاوية) (انتهى ما كتبه الحاج الحسين بوعياد) حول تكوين الجماعة الوطنية السرية الأولى بفاس (الطائفة) و(الزاوية) وهو يختلف بعض الاختلاف عما كتبه الأستاذ علال الفاسي، حيث يعتبر علال أن (الزاوية) هي الأصل وأن (الطائفة) فرع عنها، بينما يقول أبو عياد أن (الطائفة) هي الأصل و(الزاوية) فرع عنها، والذي في علمي كما ذكرت ذلك من قبل أن (الزاوية) هي الأصل، وهي المسؤولة الأساس، و(الطائفة) فرع عنها، وان كانا امتزجا في الأخير، فلم يبق فرق بين (الزاوية) و(الطائفة) وان (الطائفة) هي التي اشتهرت على السن العارفين الذين تتبعوا نشاط الحركة الوطنية في المجال السري، كما أن الذين انضموا إلى الحركة السرية متأخرين، لم يكونوا يعرفون إلا أنهم منتمون (للطائفة).

ويلاحظ أيضا أن الأستاذ علال الفاسي أعطى معلومات أدق فيما يتعلق بتكوين النواة الأولى للجماعة السرية، وان ثلاثة أشخاص هم الذين اقترحوا الفكرة أولا وهم : علال ومكوار والطاهري، وان علال هو الذي وضع قوانين هذه الجمعية السرية وان الذين حضروا الاجتماع الثاني لاخراج الفكرة إلى حيز التطبيق تسعة أفراد هم : حمزة الطاهري، الحاج العربي بوعياد، احمد مكوار، احمد بوعياد، حّ الحسن بوعياد، حّ عمر السبتي، عبد القادر التازي، محمد بن الحسن الوزاني، علال الفاسي.

أما الحاج الحسن بوعياد فإنه يعطي تفصيلا أدق، حيث يذكر أن المجتمعين كانوا عشرة لا تسعة فقط، ويذكر من بينهم السيد محمد الديوري والسيد عبد الرحمان برادة، ولا يذكر الحاج عمر السبتي، ويزيد الحاج الحسين بوعياد، فيذكر الأسماء الرمزية السرية التي أعطيت لهؤلاء العشرة، ويذكر لكل واحد منهم اسمه المعروف به لدى الجماعة، حتى إذا أطلق فإنه لا ينصرف إلا له.

ويظهر لي أن الشخصيات التي ذكرها كل من علال وبوعياد منتمية إلى الزاوية والطائفة بل انني متأكد كل التأكد من انتمائها وإتماماً لموضوع البحث في «الزاوية» و«الطائفة» كجماعة سرية انبثقت عنها الحركة الوطنية المنظمة بفاس، ثم اتصلت بغيرها في بعض المدن المغربية، آتى هنا بما كتبه الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني في مذكراته عن هذه الموضوع.

لقد كتب الوزاني فصلا في الجزء الثالث من مذكراته (حياة وجهاد) جعل عنوانه كمايلي : التنظيمات السرية السياسية : «الزاوية» و«الطائفة» وبعد أن تكلم عن حركة اللطيف عام 1930 وكيف كان تنظيمها بفاس، وبعد أن ذكر أن بعض العاملين رأوا ضرورة تنظيم الحركة

الوطنية مسايرة للظروف القائمة قال : (ومن أجل هذا جرت اتصالات ومذاكرات بين بعض العاملين ممن **أوذوا في سبيل الوطنية وممن كانوا كذلك من خيرة أنصارها ومشجعيها** فتم الاتفاق على أن يعتبروا أنفسهم «خلية سرية» تنتظم اجتماعاتها وتتمتن روابطها، وتتظافر جهودها، كما اتفق على أن يصطلح عليها في السر «بالزاوية» بمثابة قيادة عملية و«الطائفة» عبارة عن جمهرة محدودة من الأنصار والمنفذين، وكانت أكثرية أعضاء الطائفة في فاس والرباط وسلا، والقنيطرة، والدار البيضاء، ومراكش، وآسفي، وطنجة، وتطوان.

أما أعضاء «الزاوية» فهم : حمزة الطاهري والعربي بوعياد واحمد بوعياد والحاج الغالي السبتي (كذا) وادريس برادة المكنى «بالكدر» واحمد مكوار من الأعيان وعبد القادر التازي ومحمد النبتي وعمر السبتي والحسن بوعياد وعمر بن عبد الجليل وعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني من الشباب، وقد ألحق بالزاوية في تطوان : الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود واحمد غيلان، وفي القنيطرة : محمد الديوري وفي الرباط : محمد اليزيدي واحمد بلافريج واحمد الشرقاوي وفي فاس : عبد العزيز بن ادريس والهاشمي الفيلالي وبوشتى الجامعي وذلك في أوقات مختلفة ما بين 1930 و1934 ومما لاشك فيه أن الزاوية **كانت خليطا بشريا، و«كشكولا» من العناصر المتفاوتة الأعمار، شيوخا وكهولا تجمع بينهم صلات شخصية أو تجارية أو عائلية،** كما تجمع بينهم وبيننا نحن الشباب، ضرورة العمل الوطني لا غير.

ويلاحظ أن الشخصيات المؤسسة للزاوية، وقع اختلاف فيها بين ما كتبه علال الفاسي وما كتبه بوعياد وما كتبه بعد ذلك الوزاني، وأن الأسماء المتفق عليها من لدن الثلاثة هي : 1) حمزة الطاهري 2) العربي بوعياد 3) احمد مكوار 4) احمد بوعياد 5) الحسن بوعياد 6) محمد الديوري 7) عبد القادر التازي 8) علال الفاسي 9) محمد الوزاني أما الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود واحمد غيلان ومحمد اليزيدي وج احمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل وعمر السبتي فيذكرهم علال الفاسي ومحمد الوزاني ولا يذكرهم «بوعياد» وأما الفقيه طنانة والفقيه محمد غازي ومحمد بلكورة فيذكرهم علال ولا يشير إليهم غيره كمؤسسين وأما الوزاني فيذكر احمد الشرقاوي وادريس برادة ومحمد السبتي والهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس وبوشتى الجامعي فيذكرهم الوزاني ولا يذكرهم كمؤسسين أولين الأستاذ علال أما «بوعياد» فيذكر اسم عبد الرحمان برادة من المؤسسين ولكننا لم نلاحظ ذكر اسمه فيما سجله الوزاني وعلال، ويتراءى لي أن طول المدة وعدم الرجوع إلى لائحة مضبوطة لدى الذين تعرضوا لهذا الموضوع واعتمادهم على الذاكرة وحدها، هو الذي جعل الاضطراب يقع في تسجيلهم للأسماء، كما أن التحاق بعض الشخصيات بالزاوية أو الطائفة بعد فترة التأسيس أي بعد عام 1930 هو الذي جعل بعض الأسماء يثبتها البعض ويغفلها البعض الآخر.

على أن اللائحة التي اثبتها الأستاذ علال في كتابه المشار إليه : (عقيدة وجهاد) هي

اللائحة الكاملة، سواء من المؤسسين الأولين، أو من الذين التحقوا بالطائفة والزاوية خلال الثلاثينات إلى سنة 1944 عندما تقدمنا بوثيقة المطالبة بالاستقلال، والتي يبلغ عددها : واحد وستون شخصا يزاد عليهم شخصيات كانت من المؤسسين وانتقلت إلى عفو الله قبل الستينات التي كتب فيها علال اللائحة التي ألقاها في المؤتمر ومنهم سيدي حمزة الطاهري وﭺ العربي بوعياد وعبد السلام بنونة أو الذين لم يبق لهم نشاط في دائرة الحزب مثل عبد القادر التازي ومحمد داود واحمد غيلان ومحمد بلكورة، أو أشخاص غفل عنهم في اللائحة الكاملة مع أنه ذكرهم من المؤسسين مثل الفقيه طنانة وﭺ عمر السبني واحمد بوعياد.

وكيفما كان الأمر، فهذه هي الجماعة الوطنية الأولى التي حملت اسم «الطائفة» والتي كان لها الفضل في إرساء القواعد الأولى للحركة الوطنية المغربية، والتي التحقت بها شخصيات خلال الثلاثينات وأوائل الأربعينات كان لها بدورها الدور الهام والحيوي في تنظيم الحركة الوطنية على أسس ثابتة نشأ عنها تكوين حزب الاستقلال (1944) الذي قدر الله له أن ينهض بالمطالبة بالاستقلال وبتنظيم البلاد على أساس الملكية الدستورية.

لقد كانت جماعة صادقة وفية لما عاهدت الله عليه، ثابتة في خطتها، مدركة تمام الادراك أهدافها، مستعدة كل الاستعداد للتضحية، في سبيل ما وهبت نفسها له من تحرير وانعتاق من قبضة الاستعمار الأجنبي كيفما كان شكله ولونه.

ويجب أن أسجل هنا أن القسم الذي أداه أعضاء الطائفة من كتمان للأسرار، برَّ به جميع الأعضاء المنخرطين فيها، حتى الذين انفصلوا عنها لسبب من الأسباب، فلم يحصل في وقت من الأوقات أو ظرف من الظروف أن تعرف العدو إلى حقيقة هذه الطائفة، ولم نعلم سواء في أيام الشدة أو أيام الرخاء أن شخصا واحدا باح بحقيقة هذه الطائفة لغير الطائفيين.

وقضية أخرى لابد أن أشير إليها بهذه المناسبة أن اتصال كتلة العمل الوطني أو الحزب الوطني أو حزب الاستقلال بجلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، كان على أساس تعرفه على الطائفة وأداء بعض أفرادها القسم أمامه بكتمان الأسرار والعمل لصالح المغرب واستقلاله في ظل الملكية الدستورية، كما وان جلالته قدس الله سره أدى للجماعة القسم أمام كتاب الله على العمل لاستقلال المغرب والدفاع عن كرامته وعقيدته. ولقد وفي بقسمه كما وفت الطائفة، فلم يخيب الله تعالى لهم مسعى وتحررت البلاد من ربقة الاستعمار، وصدق الله وعده، وهزم الكافرين وحده وقضية أخرى لابد أن أثبتها هنا للتاريخ وهي أن المطلع على وثيقة المطالبة بالاستقلال المقدمة إلى المراجع المختصة بتاريخ 11 يناير 1944، يجد أن تعداد الموقعين عليها يبلغ عددهم ستة وستين فردا، فيهم امرأة واحدة، هي السيد مليكة الفاسية عقيلة الأستاذ السيد محمد الفاسي، وان ثلاثة وخمسين من هؤلاء الموقعين بمن فيهم السيدة المذكورة كانوا أعضاء في الطائفة أما الباقون وهم ثلاثة عشر فردا

فلم يسبق انخراطهم في الطائفة على ما في علمي، وإن كانوا أدوا القسم على الكتمان قبل أن يطلعوا على نص الوثيقة وقبل أن يوقعوا عليها، ولقد أشرت فيما سبق إلى أننا لما حررنا الوثيقة بعد اتفاقنا مع جلالة محمد الخامس على فحواها ومضمونها، قررنا أن يكشف الطائفيون عن أنفسهم بتوقيعهم على الوثيقة التاريخية التي نفذت ماكانوا يطمحون إليه عندما أدوا القسم أمام كتاب الله للعمل على خدمة بلادهم وتحريرها من ربقة الاستعمار، وانهم سيكونون هم الأساس لهذه الوثيقة حتى يبقى سرها مكتوما ولا يطلع عليه أحد، إلا بعض الأفراد القلائل الذين رأينا من المصلحة أن يضافوا للطائفيين وان لم يكونوا من المنخرطين، وكل ذلك كان حرصا على أن لا ينفضح أمر الوثيقة قبل تقديمها ولا تحقق الغرض الذي قصدنا إليه من مفاجأة المستعمر بتقديمنا لطلب الاستقلال.

أتيت بهذه التفاصيل المتعلقة بالزاوية والطائفة ووثيقة المطالبة بالاستقلال لادلل على أن المنخرطين في الطائفة ما نكصوا علي أعقابهم عندما دعاهم الواجب الوطني للقيام بواجبهم — باستثناء شخص واحد كان بلغني أنه اعتذر عن التوقيع لسبب يخصه — وان العلاقة التي كانت تجمعهم ليست علاقة تجارية أو مصلحية أو عائلية وإنما هي علاقة وطنية، أساسها ومرماها الاخلاص لله والوطن قبل كل شيء، فما كتبه المرحوم محمد بن الحسن الوزاني في مذكرته من أن : (الزاوية كانت خليطا بشريا وكشكولا من العناصر المتفاوتة الأعمار، شيوخا وكهولا تجمع بينهم صلات شخصية أو تجارية أو عائلية، كما تجمع بينهم وبيننا نحن الشباب ضرورة العمل الوطني لا غير) و(ان أكثرهم كانوا أميين أو أشباه الأميين) و(انها قامت على سوء التركيب وانحطاط المستوى الفكري والتقليد الأعمى بالنسبة لبعض عناصرها) إلى آخر ما وصفها به، يعتبر تجن على الحقيقة، فلا يضير جماعة وطنية مثل (الزاوية) ان تكون متفاوتة الأعمار، فيكون فيها الشيوخ والكهول والشباب، والمقياس الحقيقي الذي يقاس به الوطني الصادق ليس هو السن أو التخرج من المدارس الفرنسية، ولكنه الاخلاص أولا والالتزام بالمبادئ والاستعداد للتضحية والوفاء للجماعة التي ينتمي إليها، وعدم الاضرار بها بفضح أسرارها ثانيا.

على أنه إذا كانت هناك مسؤولية في تركيب الزاوية أول مرة، فإن المرحوم الوزاني يتحمل بدوره المسؤولية مع إخوانه المؤسسين الأولين، لأنه حسب ما ذكر في مذكراته انه كان من المؤسسين الثلاثة عشر الأولين، وان الملحقين بعد ذلك كانوا بقرار من الجماعة لأن الأمر كما يقول هو في صفحة 303 من الجزء الثالث من المذكرة) (وكان شوري بين الجماعة، فلا يبرم شيء إلا بعد التداول والاتفاق) ويقول أيضا في صفحة : 304 : ومهما يكن من حقيقة الزاوية فقد برهنت على فعالية وإيجابية بما قامت به في فترة حياتها المقدرة بنحو ست سنوات من نشاطات وأنجزته من مشاريع كالمدارس الحرة والدروس الوعظية وتوجيه الرأي العام بالمناشير والتعريف بالقضايا الوطنية في الداخل والخارج إلى آخر ما ذكر من أعمال.

لقد تحدث بتطويل في هذا الموضوع أي موضوع الزاوية والطائفة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم في كتابه عن أبي الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة، فليرجع إليه من شاء الاطلاع على بعض التفاصيل التي لم أذكرها(1) وبالأخص ما يتعلق بإجراء الانتخابات داخلها لدى محاولة الاعلان عن حزب وطني علني.

ويلاحظ أن الأستاذ الوزاني يقدر حياة الزاوية والطائفة في نحو ست سنوات أي أنها انتهت في سنة 1936 أو 1937 وهو الوقت الذي انسحب هو من الكتلة وأسس الحركة القومية، والواقع أن الطائفة والزاوية استمر نشاطهما الوطني السري إلى أوائل سنة 1944 ثمَّ إلى سنة 1953 وإن أهم ما أنجزته من عمل هو اتصالها وتنسيقها العمل مع محمد الخامس رحمه الله وتهييئ الوثيقة المطالبة بالاستقلال، وتقديمها لتلك الوثيقة التاريخية التي هزت الاستعمار الفرنسي هزا عنيفا والتي وضحت معالم الطريق أمام الأجيال الجديدة التي حملت المشعل وصارت تكافح وتناضل وتقاوم حتى تحقق الاستقلال.

تنظيم حركتنا الوطنية بمدينة (سلا)

لم تكن بمدينة «سلا» على ما أعلم حركة وطنية منظمة قبل عام 1930، وإنما كان هناك وعي وطني تجلى في القيام بأعمال ونشاطات ثقافية ورياضية وتمثيلية، كما سأذكره فيما بعد، نعم كانت جمعية صغيرة متركبة من بعض الشباب جعلت من أهدافها كما ورد في قانونها الأساسي أنها (عبارة عن جماعة من الشباب المغربي، أخذ على نفسه الاستقامة الدينية والأدبية وتخلق بالدين الاسلامي، وحفظ كيانه الوطني وعمل لنصرة الحق، ونشر الدين، والفضيلة والعلم، ووقف حياته لخدمة بلاده إلى أن يقول : أسست هذه الجمعية لتصرف همتها إلى خدمة الوطن المفدي، ونقده من وهدته) أسست هذه الجمعية سنة 1928، وكانت لها جريدة خطية، تهتم بالشؤون الثقافية والوطنية، ويتداولها المنخرطون فيها، وهم يعدون على رؤوس الأصابع، منهم المرحوم السعيد حجي الذي كان يترأس تحرير الجريدة، ومنهم المرحوم السيد مصطفى الغربي الرباطي، والذي كان يسكن بسلا إذذاك، ومنهم الأخ الصديق بن العربي شافاه الله ومنهم السيد محمد بن بوبكر اشماعو، ومنهم السيد محمد الحصيني إمام المسجد الأعظم الآن.

---

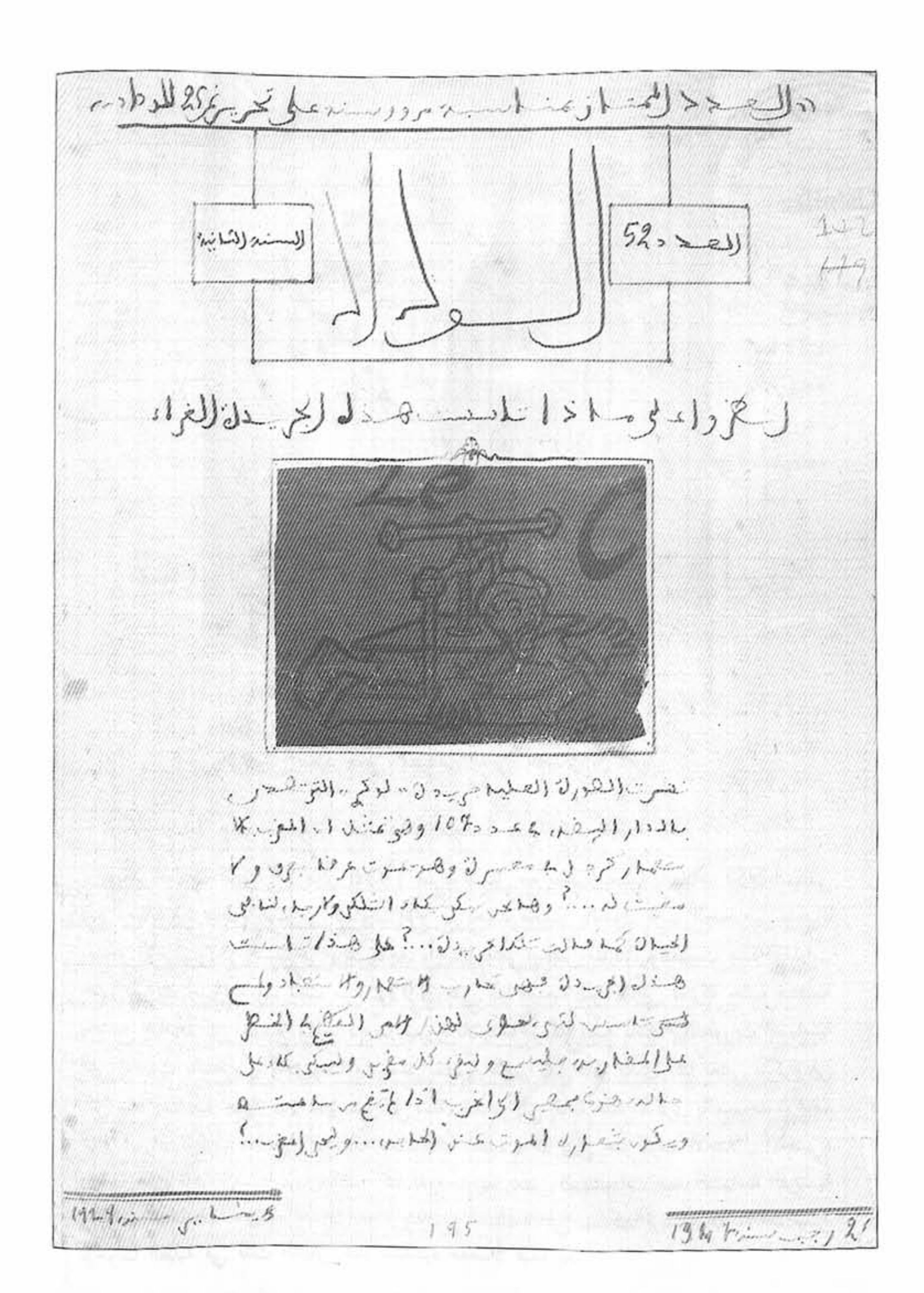
(1) محمد بن عزوز حكيم (أبو الحركة الوطنية المغربية) عبد السلام بنونة الجزء الثاني ص 9 إلى 19.



الجالسان : محمد بن بوبكر اشماعو ومحمد الهاشمي الفيلالي.
الواقفون : سعيد حجي، مصطفى الغربي، الصديق بن العربي.

ولكن نشاط هذه الجمعية كان نشاطا محدودا وفي دائرة خاصة جدا.

وبعد حوادث ظهير 16 ماي 1930 صرنا نتصل مع بعضنا بعضا بانتظام، فكان الملتقى يقع أحيانا في بعض المتاجر كمتجر الأخ ج احمد معنينو بالسوق قرب الحجامين وأحيانا بمتجر الأخ أبي بكر السماحي بالقيسارية، وأحيانا نلتقي ببعض منازلنا، وانتظمت هذه اللقاءات حتى صارت أسبوعية ولم تأت سنة 1932 حتى كنا وضعنا النواة الأولى لحركة وطنية منتظمة يجتمع أفرادها كل أسبوع وكلما دعت ضرورة للاجتماع، كنا نتتبع بانتظام التطورات السياسية التي تحدث بالمغرب، وخصوصا ما يتعلق بقضية ظهير 16 مايو الذي كنا نعتني بذكراه في كل سنة بمناسبة حلول 16 مايو من كل سنة، فندعو إلى إقامة هذه الذكرى بالمسجد الأعظم لنتلو القرآن الكريم ونلتجئ إلى الله باسم الله اللطيف ان يزيل عنا كرب الاحتلال الأجنبي، ويغلبنا على تآمر المستعمرين، كما كنا نقوم بتوزيع بعض المنشورات ضد السياسة الفرنسية ونكاتب الصحف العربية بالبلدان العربية ونفضح السياسة التي تسلكها فرنسا ببلادنا، مستعينين بإخواننا الطلبة في تلك الديار كما سنذكره مفصلا فيما بعد.



العدد 52

السنة الثانية

لقد كانت حركتنا تلقائية وليست مرتبطة بأية هيأة أو جماعة في مدينة أخرى، سواء أكانت فاسا أو غيرها، وفي بعض المناسبات كنا ننسق العمل مع إخواننا الوطنيين بالرباط والذين كان من جملتهم المرحوم عبد الهادي لحلو وأبناء كراكشو والشريف سيدي عبد الرزاق بن احساين ومولاي الطاهر الرفاعي ومصطفى الغربي قبل سراح المرحوم الأخ محمد اليزيدي وبعد سراح المعتقلين من أجل القضية البربرية في سنة 1932 نظمنا الاتصال مع الأخ محمد اليزيدي ومع الشيخ المكي الناصري عندما يحضر إلى الرباط وكذلك مع الأخ المرحوم حَ احمد بلافريج عندما يرجع من فرنسا ثم توسعت اتصالاتنا مع الاخوة بفاس وخصوصا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل والزعيم علال الفاسي، والهاشمي الفيلالي، ومع ذلك كله بقيت حركتنا مستقلة عن غيرها إلى أن جاء تقديم مطالب الشعب المغربي أو برنامج الاصلاحات المغربية التي قدمت إلى السلطات المختصة في دجنبر سنة 1934 حيث زادت الاتصالات والارتباطات متانة دون اندماج كلي، الذي لم يحصل إلا عندما انخرط البعض منا في سلك الطائفة ثم الزاوية.

لقد كنا نلتقي ونتذاكر وننسق الأعمال أحيانا لدى القيام ببعض النشاطات الوطنية، ولكنا مع ذلك بقينا أحرارا من كل التزام جماعي، خصوصا وكنا نشعر أن قرارات تتخذ في غيبة عنا ولا نعلم عنها شيئا، إلا بعد بروزها كما أننا كنا نتخذ بعض القرارات والمبادرات كقرار محاربة ومقاومة انتشار الخمور دون عرض ذلك على إخواننا للموافقة عليه. لقاءاتنا الخاصة كانت غير قانونية، وكانت دورية ومنظمة وان كانت غير معترف بها من السلطة، ومع مرور الأيام والشهور صارت الادارة الفرنسية تتعامل معنا كمسؤولين عن الحركة الوطنية بمدينة «سلا» وكمسؤولين عن كل الأحداث التي تقع، ورغما عن أسبقية إخوان لي في الحركة بسلا، سواء من حيث السن أو العمل فلقد أبى هؤلاء الاخوة إلا أن يشخصوا في المسؤولية سواء أمام السلطة أو أمام غيرها، وتجلى ذلك بصفة رسمية عندما وقعت على البرقيات المرفوعة إلى السلطة وإلى غيرها بعد الاجتماع الذي عقدته الحركة الوطنية المغربية سنة 1933 بمنزل آل حجي بمناسبة مرور سنة على صدور «مغرب» المجلة التي كانت تصدر بباريز باللغة الفرنسية. لقد كانت البرقيات المرفوعة للسلطات موقعة من علال الفاسي ومحمد الوزاني ومحمد اليزيدي وأبو بكر القادري، وكل هذا ذكره المرحوم محمد بن الحسن الوزاني في مذكراته المنشورة بعد وفاته، وهو نفسه دليل على أن ما ادعته المذكرات نفسها بعد ذلك لدى حديثها عن مطالب الشعب المغربي والموقعين عليها فيه كثير من الإجحاف والرمي بالظن وسأشرح كل هذا لدى الحديث عن المطالب.

لقد بقينا محتفظين باستقلاليتنا رغما عن انخراط بعضنا في الطائفة إلى أن أتت سنة 1937 وانشقت كتلة العمل الوطني بانفصال الزعيم الوزاني ومن شايعه عنها، فتحزبت جماعة

للوزاني وكان في طليعتها الحاج أحمد مغْنينو، وبقيت الجماعة الأخرى مع الكتلة بزعامة علال الفاسي كما سنذكره في مكانه بحول الله.

عندما ابتدأنا نشاطنا الوطني كنا أفرادا قليلين، وكان الكثيرون من أفراد الشعب، وفيهم كثير من الشباب يغطون في نومهم، وحتى بعض الشباب الذي كان يطلق عليه الشباب العصري كان يظن أن الرقي والتقدم يتجليان في المظهر السطحي، والتقليد الأجنبي كما عبر عن ذلك الشاعر الفحل الأستاذ عبد الرحمان حجي في قصيدة له حيث قال :

يظنون التمدن في ثياب
مزخرفة وصقل الوجه صقلا

كنا نشعر بمسؤولية ثقيلة، ولذلك كنا نفكر في الطرق التي تجعل شعبنا ينهض ويلتحق بالركب الوطني التقدمي، ومن جملة ما خططناه للعمل على النهوض بشعبنا، ما وجدته مكتوبا عندي في ورقات قديمة يرجع تاريخها إلى نحو من خمس وخمسين سنة، وإني اثبتها هنا كما وجدتها ضمن بعض أوراقي التي لم تضع، لتوضيح طريقة عملنا في تلك الظروف التي كنا فيها لازلنا في عنفوان الشباب، ولأثبت للباحثين والمؤرخين أن اهتماماتنا لم تكن مقتصرة على فئة من الشعب دون الأخرى، ولأؤكد أننا كنا نتجه لتكوين الفرد تكوينا ثقافيا ودينيا وأخلاقيا ووطنيا متخذين الوسائل الآتية :

وسائل انهاض الشعب

أ) لدى الهيآت (أي الخليات)

أولا : يخصص لكل هيأة واعظ يناسبها، فيحدثها عن سيرة الرسول والصحابة ويحثها على اعمال الخير وعلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، ويسرد عليها مقالات من صحف، ويذكر لها شيئا من تاريخ المغرب ويكلف أفرادها بالمطالعة في بيوتهم، ويخصص دروسا للأميين منهم.

ثانيا : تؤسس كل هيأة خزانة من كتب تختارها لها لجنة مكلفة، يقرأها الأفراد بينهم، ويعيرونها لأصحابهم بقصد الدعاية.

ثالثا : تقوم اللجنة بمحاضرات دورية، يلقي المحاضرة صاحبها لدى كل هيأة في مختلف البلدان (المدن) ويمكن لأعضاء الهيأة أن يستدعوا بعض المؤلفة قلوبهم لحضور تلك المحاضرات.

رابعا : تكلف الهيآت بالانفاق على تلميذ محتاج يتعاطى دروسا.

خامسا : يقام إكرام للعضو «المسافر» إذا حل بمدينة من المدن، اما عند عضو من تلك المدينة، واما عند هيأة يوعز إليها بالاستدعاء، وتهيأ مواضيع تدرس في تلك المناسبة.

ب) لدى الشبان غير الأميين

أ) الاتصال بالجمعيات الرسمية الموجودة والأندية الرياضية وحثهم على إعطاء دروس ومحاضرات لأعضائها وغيرهم.

ب) الاتصال بالتلاميذ مباشرة أو غير مباشرة، وحملهم على المطالعة وإرشادهم.

ج) إنشاء خزائن كتب صالحة للشبان.

د) الايعاز إلى تلميذ نجيب بإنشاء زمرة مع بضعة أفراد من أصدقائه والاشتغال معهم، بتكليفهم دوريا بإلقاء حديث يشغل ربع ساعة، موضوعه في الأدب أو التاريخ أو الأخلاق، وكذلك بسرد مقالة من كتاب أو مجلة وتلخيصها والمذاكرة فيها.

هـ) مساعدتهم بالمال ليقوموا بنزهات واجتماعات واشتراء كتب وصحف أدبية.

و) جمع بعض التلاميذ في مجلس تروج فيه مذاكرات دينية ووطنية ليقوى إيمانهم.

ز) يشترط في القائمين (المسيرين) ان يتنازلوا مع الشبان لأن أبناء هذا العصر لا يميلون (لأصحاب القبة) !

ج) لدى باقي طبقات الشعب

أ) يوعز للفقهاء بإلقاء دروس وعظية في أوقات مناسبة يصلحون فيها العقيدة ويحاربون الخرافات والمظاهر الهمجية.

ب) طبع رسائل وكتب مفيدة تباع بثمن مناسب.

ج) يوعز للخطباء بالحض على التعليم والتمسك بالأخلاق الفاضلة.

د) كتابة مقالات مناسبة في المغرب الجديد وغيره مما يشابهه.

هـ) إنشاء خزائن للدعاية في بيوت المرشدين.

هذه بعض الوسائل التي كنا نستعملها لتوجيه أبناء الشعب وتربيتهم وتكوينهم وتهييئهم للعمل الوطني، ويلاحظ أننا كنا نستعين بكل ما يمكننا الاستعانة به كالخطباء والوعاظ والتلاميذ والطلبة والجمعيات الرسمية على قلتها كالنادي الأدبي الاسلامي والجمعية الرياضية الوحيدة التي كان معترفا بها. كما كنا نهتم بمساعدة الطلبة والتلاميذ في حدود إمكانياتنا لتربيتهم على الفضيلة وحب الوطن.

ومن جهة أخرى كان اهتمامنا مسلطا على الطبقة الشغيلة والحرفيين مثل الخرازين

والحصارين وعمال البناء والعمال في النجارة، فكنا نكون منهم جماعات خاصة مع بعضهم بعضا، فزيادة على التوجيه العام، نهتم بمصالحهم ومطالبهم وندافع عنها بالوسائل التي بين أيدينا، وأهمها وسيلة الصحافة عندما تكون لدينا صحيفة، كما كنا ندفعهم لتطوير صناعاتهم، وأذكر أننا كنا نجد صعوبات مع بعضهم عندما ندعوهم لتطوير صناعاتهم، وقع لنا هذا بالخصوص مع المحترفين بالخرازة عندما طالبنا المسؤولين بجلب بعض الآلات لصنع الأحذية، فاعتبروا جلب هذه الآلات قضاء على صنعتهم ورفض البعض أن يشتغلوا فيها ــ كما تجلى اهتمامنا بالأطفال الصغار الذي كانوا يشتغلون في معامل (درازات) الحصر والذين كان ينشأ عن اشتغالهم وهم صغار اعوجاج في ظهورهم، يبقى ملازما لهم طوال حياتهم.

وأذكر بهذه المناسبة أنني تقابلت إحدى المرات مع المراقب المدني الفرنسي في سَلَا من أجل ما يشتكي منه صناع الحصر من أضرار، فَأَصرَّ المراقب على أن لا يستقبلني إلا بصفة فردية لا امثل أية هيأة، وأصررت على أني أقابلُه كمسؤول وطني، لهيأته اهتمامات وطنية متعددة، ومن جملتها الدفاع عن حقوق العمال، وانتهت المقابلة بيني وبينه بتقديمي احتجاجا مكتوباً هذا نصه : وهو مؤرخ برابع ذي الحجة 1355ــ1936.

حضرة المراقب المدني بمدينة «سلا» المحترم أتشرف باعلام سعادتكم بأن المحادثة التي جرت بيننا صباح الاثنين الماضي في شأن أزمة الحصارين، فإن الباعث الوحيد للقدوم لادارتكم والمحادثة معكم، هو إيجاد حل مرضي لهذه الأزمة، حبا في سياسة التفاهم لا غير، ولكن جنابكم أعلن باستخفاف أنه لا يعترف بهيأة الوطنيين ولا يقبل مقترحاتهم لهذا فإننا نحتج شديد الاحتجاج على هذا التصريح الغريب الذي لا يعبر عن حسن نية، ونرى بسبب ذلك أن إدارتكم لم يصبح أي تفاهم ممكنا معها، وان الادارة العليا التي تفتح بابها للتفاهم، كان الأجدر بنا أن نذهب إليها لا إلى غيرها ونجدد في الختام احتجاجنا على تصريحكم ضد الهيأة الوطنية والسلام. والرسالة مكتوبة بخط يدي ووقعها معي الأخ معنينو وان لم يحضر المقابلة.

لقد كانت اهتماماتنا متعددة الجوانب، فزيادة على ما ذكر وإضافة لاشتغالنا طول النهار بتسيير المدرسة وإعطاء الدروس فيها، كنا نظمنا دروسا ليلية لمحاربة الأمية بالنسبة للذكور أولا ثم بعد ذلك بمدة صارت للنساء أيضا، ولم تكن هذه الدروس تقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب ولكنها كانت تهتم بإعطاء دروس قرآنية ودينية، حتى يستطيع المتعلمون أن يحصلوا على معلومات لا بأس بها في المبادئ الدينية الضرورية، ويحفظوا السور الصغرى من القرآن الكريم.

كنا مندفعين اندفاعا كليا لبث الوعي الديني والوطني مغتنمين كل فرصة لشحذ الأفكار وتطويرها وبذر بذور النهضة في نفوس الآباء والأمهات والأبناء، وكنا نغتنم فرص الذكريات الاسلامية كذكرى الهجرة والمولد النبوي وذكرى عيد العرش السعيد للاشادة بأمجادنا وإثارة

الحمد لله وحده

سلا في 6 ذي الحجة عام 1353

حضرة المراقب المدني بمدينة سلا المحترم

نتشرف بإعلام سعادتكم بأن الحادثة التي جرت بيننا صباح
الاثنين الماضي من شأن أزمة [illegible] كان الباعث الوحيد للقدوم
لإدارتكم والحادثة معكم هو الجدال حول مرضي لهذه الأزمة حتماً
من سياسة التفاهم لا غير. ولكن جنابكم أعلن باستخفاف
أنه لا يعترف بهيأة الوطنيين ولا يقبل مقترحاتهم.
لهذا فإننا نحتج شديد الاحتجاج على هذا التصريح الغريب
الذي لا يعبر عن حسن نية ونرى بسبب ذلك أن إدارتكم لم
يصبح أي تفاهم ممكنا معها وأن الإدارة العليا التي تفتح
بابها للتفاهم كان الأجدر بنا أن نذهب إليها لا إلى غيرها
ونجدد في الختام احتجاجنا على تصريحكم ضد الهيأة الوطنية

والسلام!

أبو بكر القادري — [illegible]

أصل الرسالة المرفوعة إلى المراقب المدني بسلا

الحماس في نفوس أبنائنا بإلقاء محاضرات وكلمات وتمثيل روايات حماسية وطنية أو اجتماعية أو ثقافية، وكم كان لهذه الروايات من اثر في نفوس الأوساط الاجتماعية خصوصا الروايات النقدية للمجتمع، وعوائده الضارة وأخلاقه المنحرفة إلى غير ذلك من المواضيع التي تثير الحماس في النفوس، وتدفع إلى اليقظة وتكر على التخلف الفكري والوجود الاستعماري.

كنا في عراك مستمر لامع الاستعمار البغيض فحسب، ولكن مع التخلف والجمود والخنوع أيضا.

وأشهد أننا كنا دائما والحمد لله نجد تجاوبا عميقا وصادقا مع شعبنا ولم نخط أية خطوة، إلا وكان النجاح حليفنا.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد كانت جماعتنا قليلة الأفراد في البداية ثم صارت تتكاثر مع الأيام وكان المسيرون الأساسيون : محمد حصار ــ سعيد حجي ــ حَ أحمد معنينو ــ أبو بكر القادري ومحمد اشماعو، ولكن هذا الأخير انفصل عنا سنة 1936 وعبد الكريم حجي عندما يكون بالمغرب.

الذكرى الأربعينية لوفاة أمير الشعراء «شوقي»

خلال سنة 1932 فارق هذه الحياة أمير الشعراء : «أحمد شوقي» ونظرا للمكانة التي كان يتمتع بها في الأوساط الأدبية المغربية واعتبارا للأفكار التجديدية التي أتى بها في شعره حتى استحق أن يبايع في دمشق بإمارة الشعر، فلقد رأى إخواننا بفاس وفي طليعتهم شاعر الشباب إذذاك المرحوم محمد علال الفاسي أن يقيموا له حفلة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته. لم يكن من تقاليدنا أن نقيم مثل هذه الحفلات في هذه المناسبات ولكن الأفكار التطورية التي وقعت في المغرب، والتجاوب العَميق مع إخواننا في المشرق العربي، وحرص الشباب الوطني على أن يتقوى الالتحام الأخوي بين المغرب والمشرق، جعل إخواننا المذكورين يغتنمون هذه الفرصة ليمدوا الجسور بين الأدباء والشعراء المغاربة وبين إخوانهم في بلاد الكنانة. وهكذا تقرر أن تقام حفلة الذكرى بمسرح السراجين بفاس. لقد تماطلت الادارة الفرنسية في السماح بإقامة هذه الذكرى ولكنها في الأخير سمحت بها بعد الالتزام بأن يكون طابعها أدبياً محضا. وهكذا وزعت اللجنة المكلفة التي كان يرأسها الأخ علال نداء نشرته جريدة «السعادة» إذذاك موجها إلى أدباء المغرب يطلب من جميع الأدباء والشعراء المساهمة

في إقامة هذه الذكرى، ولقد استجابت كثير من الشخصيات، فبعثت بإنتاجها، وكان من جملتها زيادة على المنظمين وبعض الشخصيات الشابة المؤرخ مولاي عبد الرحمان ابن زيدان والفقيه الشنجيطي باشا تارودانت إذذاك والشاعر الأديب السيد العربي معنينو من «سلا» وغيرهم من الكتاب والشعراء الذي نشرت إنتاجهم وما ساهموا به اللجنة المنظمة في كتيب جعلت عنوانه : (يوم شوقي بفاس).

لقد كانت حفلة ناجحة النجاح الكبير، لا من حيث الحاضرون من مختلف أنحاء المغرب فحسب، ولكن من حيث قيمة الحاضرين السياسية والأدبية والعلمية، ومن حيث الأبحاث القيمة التي ألقيت في هذه المناسبة، ولقد جاء في رسالة كتبها الأستاذ الهاشمي الفلالي بتاريخ 13 شعبان 1351هـ دجنبر 1932 مايلي : فاستفدنا في هذه الحفلة فوائد، أهمها أننا :

1) برهنا أن الشعب المغربي متضامن في نفسه ومع إخوانه الشرقيين بدليل مشاركة جميع المدن في الحفلة كتابة وشخصيا.

2) برهنا على أن لنا قيمة أدبية وتسلطا كبيرا (سيطرة كبيرة) بدليل أن جميع الطبقات، كبيرة وصغيرة، شاركتنا ولبت طلبنا، رغم الدعاية التي كانت سريا ضدنا.

3) برهنا على أن الشباب القروي في مقدوره القيام بكل شيء، مما يستدعي نظاما وقوة، فإن الحفلة كانت منظمة تنظيما لم يعهد له نظير.

4) برهنا على أن شعبنا متأدب ومدني، بدليل هذه الحفلة، فقد منعنا التدخين فلم يدخن واحد أصلا طيلة أربع ساعات ونيف، حتى ان بعض الفرنسيين لما أرادوا التدخين تنحوا إلى زوايا المسرح لئلا يراهم أحد ودخنوا. ومنعنا التصفيق، واستعملنا بدله التكبير، فلم يصفق أحد.

وبالمناسبة أذكر أنه عندما وصلنا استدعاء للمشاركة في ذكرى شوقي قصدت أنا والأخ ج أحمد معنينو بيت الشاعر المرحوم العربي معنينو نطلب منه المساهمة بقصيدة شعرية في هذه الذكرى فلبّى طلبنا ونظم قصيدة ألقاها في الحفل الأخ ج أحمد معنينو، ولقد وجدنا لديه شخصية كانت معروفة عندنا بسلا بذوقها الأدبي وشاعريتها الفياضة ونكتها الحلوة رغم أميتها، وتلك الشخصية هي شخصية السيد احمد البهلول فطلبنا منه بدوره مازحين أن يساهم بقصيدة في ذكرى أمير الشعراء فأجابنا على الفور قائلا بعد إطراق لرأسه، سأعطيكم مطلع القصيدة الآن إن أردتم، فاستعجلناه ملحين، فقال :

فقدت شوقي، بفقد «شوقي»، هل بعد «شوقي» أجد شوقي ؟ ثم صار يحدثنا قائلا : انظر إلى هذه الجناس الحلو الجميل، وهذا التعبير الذوقي السليم إلى غير ذلك من التعاليق الممتعة التي كانت تنبع من بين شفتي هذه الشخصية النادرة التي كانت غريبة من نوعها

بذوقها المرهف، ومعرفتها بالأدب العربي وأدب الملحون، وإدراكها للمعاني الشعرية الادراك السليم الموفق، حتى أن بعض الذين كانوا يتعاطون للأدب، ومطالعة أمهاته، يرجعون إليه في تفهُّم المعاني الشعرية، والتشبيهات الدقيقة، كل هذا والشيخ أحمد البهلول رحمه الله أمي لا يقرأ ولا يكتب.

إن النجاح الذي لقيته هذه الحفلة، اعتبرناه ربحا سياسيا، بالاضافة إلى ربحه الأدبي، فلأول مرة في تاريخ المغرب الحديث تلتقي نخبة من الأدباء المغاربة في مسرح عام لتشيد بشاعر عربي كبير، وتؤكد أن المغاربة كشعب عربي مسلم، مرتبطون الارتباط الوثيق بإخوانهم في المشرق العربي، وإن شعورهم واحد، ولغتهم واحدة، ومصيرهم أيضا واحد، وإن توثيق العلاقات والارتباطات يجب أن يكون في السراء والضراء، وإن الأفكار التي كان يرددها شوقي وحافظ والرصافي والزهاوي وغيرهم من الشعراء والأدباء تجد صداها في هذا الجناح من بلاد العروبة والاسلام، وهكذا صار الشباب الوطني المغربي يضع اللبنات الأولى لضمان مستقبل المغرب «العربي» ولتقوية الاتجاه العربي في بناء النهضة المغربية، ولتقويض ما يعمل له الاستعمار الفرنسي من ربط عجلة «المغرب» بقطار الوحدة الفرنسية.

صدور جريدة «عمل الشعب»

تطبيقا لما كان بشر به المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل إخوانه الحاضرين في الاجتماع الذي انعقد «بسلا» بمناسبة مرور سنة على إصدار مجلة «مغرب» بفرنسا أن جريدة أسبوعية فرنسية ستصدر تسمى «عمل الشعب» فلقد صدرت هذه الجريدة بفاس بتاريخ 4 غشت 1933 وكان المسؤول الأول عنها وعن تحريرها هو الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني وكان مساعده الأيمن فيها هو الأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل. كما كان من محرريها الأساسيين الأخ المجاهد السيد محمد اليزيدي الذي كان يذهب إلى فاس بقصد التحرير كل أسبوع تقريبا كما حكى لي ذلك بنفسه. كما كان من جملة المساهمين في الكتابة فيها أخونا المرحوم محمد حصار[1] الذي كان يكتب هو بنفسه حديثا أسبوعيا تحت عنوان : «حديث شاب» كان يعالج فيه بعض المواضيع السياسية والاجتماعية المختلفة بأسلوبه المبسط المعروف، والذي صار يترجم ذلك الحديث نفسه وينشره في جريدة «الحياة» عندما أصدرها

(1) لقد استغربت كل الاستغراب ما جاء في مذكرات الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني من أن حديث شاب لم يكن يكتبه محمد حصار وإنما كان يكتبه ميسه ويمضيه حصار، والحقيقة غير ذلك.

المرحوم عبد الخالق الطريس، ومن جملة المواضيع التي عالجها في أحاديثه، حديث لازلت أذكره لحد كتابة هذه الأسطر، وقد جعل عنوانه حسب ما أذكر «في المغرب ثلاث لغات : اللغة العربية، واللغة الفرنسية ولغة الجريدة الرسمية) وكان مقصوده من هذا الحديث نقد لغة الجريدة الرسمية التي كانت تصدر القرارات والظهائر (المراسيم) باللغة الفرنسية ثم تترجمها إلى لغة تسمى عربية، ولكن لا يكاد يفهمها، أحد كما كان يكتب في «عمل الشعب» الأستاذ محمد الخلطي، وكتب فيها مرة حسب ما أذكر السيد الصديق عواد. والسيد عبد اللطيف الصبيحي، وغيرهم ومن أهم المواضيع والدراسات التي عالجتها جريدة «عمل الشعب» موضوع الفلاح المغربي والفلاحة المغربية التي كان يحررها باستمرار الحاج عمر بن عبد الجليل، والتي كان لها تأثير كبير على المعمرين الفرنسيين الذين كانوا يتصرفون في الأراضي الفلاحية تصرف المالك في ملكه والذين كانت تنزع ملكية الأرض من أصحابها لتعطى لهم، كما كانوا يمكنون من القروض الفلاحية دون غيرهم من الفلاحين المغاربة، لقد درس ح عمر موضوع الفلاحة والفلاحين لا باعتباره مهندسا فلاحيا فحسب، ولكن باعتباره عايش الفلاحة والفلاحين ورأى رؤية العين، ما كان يقاسيه الفلاح المغربي من أهوال ومتاعب، بل رأى بأم عينيه كيف كان المعمرون الفرنسيون يعاملون العمال الفلاحيين الذي كانوا بعدما ينزعون لهم أراضيهم يسخرونهم كخدمة أجراء في أراضيهم وأراضي أجدادهم. لقد فضحت جريدة «عمل الشعب» هؤلاء المعمرين وأضرابهم من الاستغلاليين بسبب تلك المقالات والدراسات، كما عالجت كل المواضيع التي كانت الحاجة إلى الكتابة حولها وحول السياسة المتبعة بالمغرب سواء في الميدان التعليمي أو العدلي أو الاداري أو الاجتماعي، كما اهتمت ببعض القضايا العربية والاسلامية كقضية فلسطين، ولقد كتبت «مجلة المغرب» العربية عدد شتنبر 1933 عن صدور «عمل الشعب» تعليقا قالت فيه بالحرف : («عمل الشعب» جريدة أسبوعية بالقلم الفرنسوي يحررها نخبة من شبابنا الناهض، منهم المهندس الفلاحي البارع السيد عمر بن عبد الجليل والمخلص الثابت السيد محمد اليزيدي والكاتب القدير السيد محمد بن حسن الوزاني والأستاذ النبيل السيد محمد الخلطي والشاب الحازم السيد محمد حصار وغيرهم من العاملين الأحرار، وقد أثار إصدارها العجب والاعجاب، إذ ما كان يخطر ببال كثير من الناس، وبالأخص الرسميين، ان المغرب فيه فئة تقوم بنشرية لا تقل عن أرقى النشريات الفرنسوية بهذا الوطن تحريرا وتفكيرا. والحق أن «عمل الشعب» عمل جدير بكل إكبار وافتخار من قبل الأمة، فنشكر لأبنائنا الذين هم أرواحنا همتهم، ونرجو لهم النجاح، وإنهم بحول الله لناجحون).

الادارة بفاس، الاشتراك خمسون فرنكا.

لقد تحمسنا لاصدار جريدة «عمل الشعب» وجمعنا لها الاشتراكات وكان الأخ محمد حصار زعيم حملة جمع الاشتراكات لها، حتى إنه ذهب إلى المراقب الفرنسي المدني بسلا

وطلب منه أن يشترك فيها وأخذ منه الاشتراك بالفعل ثم أخذ الاشتراك من بعض الفرنسيين أنفسهم.

لقد سمعنا آنذاك أن بعض الاخوة لم يكونوا متحمسين لاصدار هذه الجريدة في ذلك الوقت بالذات، ولكن القرار الجماعي كان هو الغالب ولذلك شارك في التحرير مشاركة فعالة وأساسية الحاج عمر بن عبد الجليل الذي كان لا يفارق إدارة الجريدة مساعدا قويا لصديقه ابن الحسن الوزاني ولذلك كان اليزيدي يذهب أسبوعيا للمشاركة في التحرير، فلو كان اخوة الوزاني ساخطين وناقمين ما شاركوا في التحرير لا من قريب ولا من بعيد، ولو كانوا ساخطين ما قام الأخ ابن عبد الجليل ليبشر إخوانه قائلا بالحرف : إن مجلة «مغرب» ستلد مولودا قريبا هو جريدة «عمل الشعب» ان الحقائق التاريخية لا ينبغي أن تغطي أو تحرف، مهما كان اختلاف أوجه النظر بين الاخوة الوطنيين، لقد قام غلاة الرجعية الفرنسية بمحاربة هذه الجريدة بكل الوسائل الدنيئة فكان الوطنيون جميعا ودون استثناء بجانبها معززين ومناصرين.

لقد بقيت «عمل الشعب» تصدر مدة أشهر ثم منعت من الصدور إثر التحريضات التي قام بها المعمرون الفرنسيون، فصدرت بدلها جريدة «إرادة الشعب» ثم بعد التراجع في المنع إثر احتجاجات وتدخلات، صدرت «عمل الشعب» من جديد، وبقيت تصدر إلى شهر ماي 1934 حيث منعت من الصدور وحيث صدر منع دخول مجلة «مغرب» وجريدة «الحياة» ومجلة «السلام» إلى المنطقة السلطانية، وذلك إثر الحوادث التي وقعت بفاس بمناسبة زيارة جلالة محمد الخامس لهذه المدينة والاستقبال الشعبي العديم النظر الذي وقع كما سنتحدث عنه فيما بعد.

العيد الوطني الذي فرضه الشعب سنة 1933

كان يوم 16 مايو 1930 قمة افتضاح السياسة التي كان يخطط لها الاستعمار الفرنسي، ضدا على مصلحة الشعب والعرش، ففي فصول الظهير البربري المؤرخ بالتاريخ المذكور، برزت النوايا الاستعمارية بأجلى مظاهرها وظهر انها تبيت للشعب والعرش، تبيت للشعب بإدماجه في العائلة الفرنسية ومحاربة جميع مقوماته الأساسية من لغة ودين وحضارة وقيم، وتبيت للعرش بنزع جميع اختصاصاته التشريعية والقضائية والسياسية، وتبقيه جسداً دون روح، وهيكلا دون نفوذ.



صاحب الجلالة المغفور له محمد بن يوسف

لقد التزمت فرنسا في معاهدة. الحماية التي فرضت على المغرب فرضا — بأن الاصلاحات التي ستقوم بها مساعدة للمغرب لا تمس الدين الاسلامي من قريب ولا من بعيد بسوء، ولا تلحق بنفوذ جلالة السلطان أي تغيير أو أذى بل بالعكس من ذلك ستعمل على تقوية نفوذه، وبسط سلطانه على مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجهات التي كانت ثائرة على الاحتلال الأجنبي، ومعنى ذلك أن فرنسا كانت ملزمة بالحفاظ على وحدة البلاد المغربية تحت نفوذ وسلطة جلالة الملك وحدها باعتباره صاحب السلطة الشرعية ورمز كيان البلاد، والحارس لوحدتها وعقيدتها ووجودها، ولكن السلطات الاستعمارية كانت تعتبر كل ذلك مجرد مرحلة، فما كادت تثبت اقدامها وتوطد أركانها. حتى صارت تدبر للتنكر لكل ما تعهدت به وصارت تخطط لتحقيق أحلامها التي طالما راودت عقول — ساستها وأسالَتْ لعابهم من خلق امبراطورية شاسعة الأطراف في افريقيا، سموها، فرنسا ما وراء البحار، وهكذا ابتدأوا بالجزائر فاعتبروها قطعة فرنسية ملحقة ببلادهم، وثنوا بتونس ودبروا ومكروا للقضاء على شخصيتها ثم جاء دور المغرب ليلحقوه ويدمجوه، بفرنسا عن طريق التفريق والتشتيت وقطع الأطراف وعن طريق التبشير والتمسيح وخلق أعراف ما نزل الله بها من سلطان.

وهكذا استصدروا ظهير 16 مايو — 1930 الذي قالت عنه جريدة «الطان» إذذاك وهي جريدة يومية شبه رسمية تماثل جريدة «لوموند» اليوم في قوة الانتشار وكثرة القراء، قالت «الطان» في مقال نشر بتاريخ 27 مايو أي بعد مرور أحد عشر يوما — على صدور الظهير البربري «انه عمل عظيم جدير أن تهنأ عليه فرنسا، فلقد تخلصت قبائل البربر من سلطة الشريعة الاسلامية بصدور هذا الظهير تم للسلطة الفرنسية إبعاد الشرع الأسلامي، وطرد السلطة المخزنية من التحكم بالبلاد».

إن صدور الظهير المذكور. هز مشاعرنا نحن شباب ذلك الظرف، وحرك أوتار قلوبنا وفتح أعيننا على ما يراد ببلادنا وعرشنا، وما يدبر لهما من مكر.

لقد كنا مقتنعين تمام الاقتناع أن بلادنا عاشت بالاسلام وللاسلام، فما ارتضى المغاربة دينا غير دين الاسلام، ومنذ أن شرح الله صدورهم للدخول فيه، ما ارتضوا حكما غير الحكم الاسلامي، وما تعاملوا وتثقفوا وتعلموا إلا بالثقافة الاسلامية العربية فكيف يمحي تاريخهم وعقيدتهم ولغتهم في رمشة العين.

لقد كنا مؤمنين كل الايمان ان العرش المغربي العلوي استمرار لوجودنا الحضاري والديني، ورمز لوحدتنا الوطنية والدينية والترابية والسياسية، فكيف نقبل أن ينقص من نفوذه أو يزال من سلطته ليستبدل بنفوذ أجنبي، وتحكم استعماري عاث ظالم.

لطالما ناضل الملوك العلويون أمثال المولى الرشيد والمولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان ومحمد ابنه، والمولى الحسن الأول لتصان الوحدة الوطنية،

ويتثبت مركز الدولة المغربية ويتقوى جانبها، فلا تخضع لأي أجنبي، ولا تركع لأي دخيل، بل يبقى نفوذها قويا في الداخل والخارج، وصيتها مسموعا بين مختلف الدول الأجنبية، وهيبتها تملأ مسامع العالم بجيشها وأسطولها وشجاعة أبنائها، لقد تآمر على المغرب كثير من الخصوم والأعداء وحاولوا السيطرة على بعض مدنه وشواطئه فقام ملوك هذه الدولة العلوية بالدفاع عن حوزته وتطهير أطرافه من غارات المغيرين وكيد الكائدين واسترجعوا سلما أو حربا، بعض الأطراف التي كانت اغتصبت مكرا واعتداء عليه وقاموا بواجبهم في الدفاع عن حوزة الوطن وبيضة الدين، ونشر الوية الأمن بين المواطنين، وإذا كانت آفة الحماية حاقت بهذا الشعب الأبي الحر، فإن بيعة السلطان الشاب سيدي محمد بن يوسف ضمينة باسترداد ما ضاع وتحقيق ما يطمح إليه الشباب الوطني والشعب المغربي قاطبة.

إن الاستعمار إذا ما كان يخطط لاستمرار وجوده فإن الشعب المغربي كفيل إن شاء الله بإفساد هذه المخططات ومقاومتها، وان العرش المغربي كما كان في الماضي حارسا أمينا للبلاد مدافعا عن حوزتها مناضلا في سبيل الحفاظ على وحدتها وعقيدتها سيبقى جاعلا يده في أيادي شعبه، صيانة للأمانة وذودا عن الحرمات، وافتكاكا للكرامة واسترجاعا للاستقلال.

لقد وعت الحركة الوطنية في بدايتها مسؤوليتها وأدركت بتوفيق من الله أن التآمر الاستعماري لا يقاوم إلا بوحدة ملتحمة بين الشعب والعرش، وانه بهذا الالتحام ستسد الطريق أمام العدو المتربص بالشعب الدوائر، والذي جعل شعاره الدائم فرق تسد فهو يريد أن يفرق بين الملك وشعبه، وهو يريد أن يفرق بين الشعب بعضه بعضا وما سياسته البربرية إلا نموذج واحد رهيب من تخطيطاته في التفرقة والتشتيت.

لقد أصبح شعارنا في بداية الحركة الوطنية هو الوحدة، الوحدة في العقيدة الوحدة في العمل الوحدة في اللغة، الوحدة مع العرش، فالشعب بالعرش، والعرش بالشعب، ولن يفترقا.

وزاد في هذا الالتحام الوحدوي، ما كنا نسمعه ونقرأه عن الملك الشاب محمد بن يوسف ألم ينطق ساعة تنصيبه على عرش أسلافه المقدسين قائلا : إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنضمن له تطورا فكريا يكون متلائما مع عقيدته، ويدفعه ليرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة». إذا لقد نصب نفسه للعمل الجاد الدائب حتى تتطور بلاده التطور المنشود في دائرة الحفاظ على عقيدة الشعب ووجوده الحضاري، وأي شيء تهدف إليه الحركة الوطنية الشابة غير التطور في دائرة الحفاظ على العقيدة وصيانة وجود المغرب الحضاري من عبث العابثين، وتأتي حركة مقاومة السياسية البربرية المشؤومة ليقف الشباب الوطني ومن ورائه الشعب المغربي، وقفة رجل واحد يدعو إلى بطلانها. ويعمل على إحباطها. ويلتجئ الشعب إلى العلي القدير. اللطيف الخبير، مجتمعا بالمساجد متظاهرا بالشوارع، مستنكرا ومحتجا، رافعا صوته مطالبا بالاعتصام بالوحدة

التي لا انفصام لها، ويمضي وفده الأمين إلى القصر الملكي العامر، مستجيرا ومستغيثا، رافعا عريضته إلى أمير المؤمنين وحامي الوحدة والدين قائلا فيها : (فالقصد منا بهذا الكتاب والتضرع المستطاب استعطاف ذلك الجناب، واستمناح مواهبه السابغة الجلباب بمناسبة المسألة البربرية التي أهم شأنها بايالتكم الشريفة كل البرية، رغبة في دين الاسلام إذ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم كما قال عليه السلام، وتمسكا بأذيال كلمة الله العليا، دون تفرق في الوحدة المغربية أو انقسام وتشبثا بالعروة الوثقى، وجريا على سنن السلف الصالح أهل الديانة والتقى، واعتصاما بحبل الله تعالى التجاء وتضرعا، لئلا نكون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، راجين من جنابكم العالي السامي المقدار، ذي المجادة والفخار، ان تلتفتوا لهذه المسألة بهمتكم العلية، وفكرتكم الذكية، التفاتة تبصر واعتبار، واهتمام ذي شهامة واقتدار، حتى ينجلي عن رعيتكم المخلصة في طاعتكم الكرب الذي حزبها، وينكشف الغمّ الذي نابها فمد يدكم الشريفة لمناولة هذه اللائحة التي توافي جنابكم الرفيع. وتؤم ربع ناديكم البديع مشتملة على رغبات هي أجدر أن تحظى من سيادتكم بجوائز الاجازة والمساعدة، وان تصادف من شيمكم السامية درر الاستحسان والاجادة بظهير شريف تلقونه يوم القيامة كتابا منشورا وعملا متقبلا مشكورا وجزاء موفورا) «ثم تتمادى العريضة في شرح الحالة والدور الذي قامت به القبائل البربرية في نشر الاسلام والدفاع عن حوزته، ثم المطالب الأساسية التي في طليعتها : احترام نفوذ جلالة الملك أيده الله وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، وجعل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الاسلامية وتوحيد برامج التعليم واحترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها وعدم إعطاء أي لهجة من اللهجات البربرية أي صفة رسمية ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية وإيقاف حركة المبشرين إلى آخر ما جاء في العريضة.

ويحمل الوفد الأمين تحت رئاسة عالم فذ وقور من علماء القرويين هذه العريضة، ويتشرف بالوقوف بين أيدي العاهل الشاب — وهو أول يوم يمثل فيه ممثلو الشعب بين يدي جلالته — فيلقي رئيس الوفد كلمة مؤثرة أمام جلالته ويعبر عن شكوى الشعب المغربي وألمه وحزنه واحتجاجه من السياسة الاستعمارية التي خطط لها الاستعماريون بصدور ذلك الظهير البربري المشؤوم ويطلب منه أن يقف جنبا إلى جنب للدفاع عن وحدته وعقيدته وتلبية المطالب التي أشرنا إليها من قبل ويلاحظ أعضاء الوفد جميعهم أن عيني جلالة العاهل الكريم تنهمران بالدموع وهو يستمع إلى كلمات الشيخ الوقور، متأثرا أيما تأثر من تلك الكلمات الصادقة المخلصة، ومؤكدا أنه سيبذل جهده وكل ما يستطيع لعرقلة تطبيق تلك السياسة الخرقاء، وكل ما من شأنه أن يضر بوحدة البلاد وعقيدتها، والشعب المغربي ومطامحه ومطالبه، وتتناقل الأفواه وتتحدث الألسن عن ذلك اللقاء التاريخي بين ملك مخلص شاب، وممثلي شعب تواق إلى الوحدة والعزة والكرامة والتحاكم بما أنزل الله، ونشعر نحن الشباب الوطني المتوثب إلى الحرية

والكرامة والمجد، ان جانبنا تقوى، ووحدتنا تحققت، ومستقبلنا قد ضمن، فما كان لحركة يرعاها ملك مخلص ومطالب يتجاوب معها عاهل شاب صادق، أن تفشل فلا تحقق ما تطمح إليه، وما كان للسياسة الاستعمارية المفرقة أن تنجح وقد وقف ضدها شعب متمسك بوحدته، وعرش حريص كل الحرص على الاستمساك بحقه وحقوق شعبه.

وتتوالى الأيام وتتبعها الشهور والأعوام ليزيد الالتحام والوثوق بين الحركة الوطنية وملكها الهمام ويتأكد للأعداء والخصوم، قبل الأصدقاء والأحباب ان هذا الشعب وضع يده في يد ملكه الشهم الهمام، وانه لا فرقة بينهما ولا خصام فهو تعلق ومحبة في الله ولله وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

لقد أصبح اسم الملك محمد بن يوسف أنشودة يتغنى بها الشعب والتعلق بالعرش مبدأ من مبادئ كل التزام وطني شريف وتغنى شاعر الشباب الوطني إذذاك المرحوم علال الفاسي قائلا :

يامليك المغرب
ياابن عدنان الأبي
نحن جند للفدا
نحمي هذا الملك
عرش مجد خالد
ماجد عن ماجد
قد بناه الأولون
في شموخ الفلك

وتغنى غيره من الشعراء ما تغنى به وأصبح اسم الملك والعرش ملء الأسماع والأبصار والقلوب وتساءل بعض اليساريين الأجانب لماذا هذا التعلق بالعرش ؟ والعروش ليست علامة على التطور والتقدم، واجبنا بأن العرش المغربي يختلف عن العروش فهو من الشعب وإلى الشعب، وبتلاحم الشعب مع العرش استطاع المغرب أن يطهر البلاد من الغزاة وان يصمد أمام المغامرين، والعرش العلوي بصفة خاصة لم يصمد ثلاثة قرون ونصف قرن إلا لخواص اختص بها دون بقية العروش فهو ضمان الوحدة الوطنية وهو رمز السيادة القومية وهو ضامن الدفاع عن وحدة التراب ووحدة العقيدة ووحدة اللغة وهو مع ذلك كله تشخيص لسلالة الرسول محمد عليه السلام رسول البشرية وهاديها إلى الطريق القويم والصراط المستقيم.

إننا نرى في العرش المغربي أمجاد ثلاثة قرون بل أمجاد ثلاثة عشر قرنا وإننا نرى في اعتلاء محمد ابن يوسف العرش المغربي، انبعاثا للأمجاد وانتعاشا للأرواح فلأمرٍ ما أرادت القدرة الآلهية أن يبتدئ الانبعاث الوطني أواخر العشرينات، وأوائل الثلاثينات، وان يسامتها في الوقت

نفسه مبايعة هذا الملك الشاب الذي سيكون إن شاء الله مجدد القرن ومحرر الشعب وان الله سيبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وانه هيأ لها من سيعمل على تحريرها.

وهكذا تجلى للأنظار ان ما كانت تخطط له السلطات الاستعمارية من تقليص نفوذ جلالة السلطان، ان هو الا تخطيط لعرقلة تقدم الشعب ومقاومة تجديد أمر دينه ودنياه، وهكذا قررت الحركة الوطنية الفتية أن تزيد من تشبثها بالعرش العلوي في شخص محمد الخامس، وهكذا صارت فكرة التحدي للاستعمار والتشبث بالعرش تزيد قوة ومناعة وهكذا بدأت تبرز فكرة الدعوة إلى اتخاذ يوم عيد جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه المقدسين عيدا وطنيا يبرز فيه تعلق الشعب بملكه، والتحام الملك مع شعبه.

لقد كان أول من كتب في هذا الموضوع الذي كان يشغل الأفكار حسب علمي المرحوم محمد حصار، ففي مقال كتبه بمجلة «المغرب» التي كان يصدرها السيد محمد صالح ميسه الجزائري تحت عنوان «الأعياد الاسلامية» طالب علنا في ختام مقاله اتخاذ يوم عيد جلوس الملك على عرش أسلافه عيدا وطنيا وعلقت المجلة على المقال محبذة ومؤيدة، لقد كان ذلك في أوائل سنة 1933 وما أن أقبل شهر نوفمبر سنة 1933 حتى تجند الشباب الوطني في كل من سلا والرباط وفاس ومراكش للاحتفال بهذه الذكرى، وهكذا تأسست لجان وطنية بهذه المدن، للدعوة إلى إقامة الحفلات بهذه المناسبة السعيدة، ففي «سلا» نشطت اللجنة الوطنية الموكول إليها تنظيم الاحتفال ودعت إلى اغلاق المدارس والادارات وإظهار معالم الزينة والأفراح، ووجهت البرقيات المتعددة من العلماء والأشراف والأعيان والشباب إلى صاحب الجلالة تهنئه بعيد جلوسه على العرش وتتمنى له الحياة السعيدة والعمر المديد.



إنني لا أنسى ذلك اليوم الأعز في حياتنا الوطنية، فلقد لبسنا ثيابنا الوطنية الجديدة وأخذنا تلامذة «المكتب الاسلامي» وهو مدرسة النهضة الآن إلى المكان الذي أعددناه للاحتفال وهم ينشدون الأناشيد الوطنية، ويتغنون بأمجاد العرش العلوي ومن جملة ما كانوا ينشدونه في ذلك اليوم نشيد كان وضعه الأستاذ الشهيد السيد محمد القري رحمة الله عليه ومن جملة أبياته التي أذكر :

أيها الشبان هبوا انكم روح النشاط
ولتحيوا في سرور وابتهاج واعتباط
ملكا يحيى البلاد
ملك الأوطان من هذا الشباب المستطاب



أخذت هذه الصورة بقيسارية «سلا» بمناسبة الاحتفال بذكرى أول عيد أقيم سنة 1933 لجلوس محمد الخامس على عرش أسلافه المكرمين، ويظهر في الصورة خاصة أول داع للاحتفال بعيد العرش المرحوم محمد حصار وبجانبه الأيمن : أبو بكر القادري، محمد البقالي، أبو بكر السماحي، محمد عواد وبجانبه الأيسر : عبد العزيز عواد كما يظهر في الصورة : محمد بن المكي القادري، عثمان الاحرش، عبد اللطيف بن الكبير، محمد معنينو، قاسم الزهيري، عبد القادر حجي وغيرهم.

وشباب الشعب منسوب إلى ذلك الجناب
فلتقولو في افتخار انما الشعب الشبـــاب
وهو ربـــان البـــلاد

وبعد انتهاء الحفل الوطني الأول من نوعه نظمت جموع الشباب التي كانت مجتمعة تظاهرة وطنية وقصدت منزل الباشا مطالبة بأن يصبح هذا اليوم عيدا رسميا تعطل فيه الأعمال وتظهر معالم الزينة والأفراح.

وبالاضافة إلى هذا الاحتفال تقرر توجيه جماعة من الشباب السلوي إلى الشباب الوطني الرباطي لتقديم التهاني، كما ورد على «سلا» وفد من الشباب الوطني الرباطي للتهنئة واظهار الالتحام، كما قرئت آيات من القرآن في المساجد ورتلت أمداح نبوية تجاوبا مع المحتفلين ودعاء لجلالة الملك بطول العمر. أما في فاس فقد أقيم احتفال بجنان أبي الجنود. أعطت وصفا له في ذلك الوقت جريدة «عمل الشعب» الأسبوعية، وأما في مراكش فقد زينت قيسارية السمارين بالأعلام ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين والعجزة[1].

ولقد كنت وجهت برقية إلى جلالة الملك باسم شباب سلا الوطني، نشرتها مجلة «المغرب» المذكورة وجاء فيها بالخصوص مايلي : ان شبان «سلا» ينتهزون فرصة عيد العرش السعيد ليرفعوا إلى جلالتكم ولاءهم واحترامهم الخالص ويعبرون لجلالتكم عن تمسكهم بجلالتكم وسمو الأمير مولاي الحسن ويرجون من رحمتكم العفو عن السجناء السياسيين.

عن شبان سلا : **أبو بكر القادري**

مضى يوم 18 نوفمبر 1933 في منتهى ما يكون من الروعة والجمال لم تر له البلاد نظيراً واقبلنا على أعمالنا في اليوم الموالي وأقبل الشعب على أشغاله وبينما أنا أعطي الدرس بأحد أقسام «المكتب الاسلامي» بالزاوية القادرية يوم 19 نوفمبر إذ أبصر من نافذة الفصل (مخزنيا) عونا من أعوان الباشا يدخل الزاوية باحثا عني، فأقول في نفسي : لعل الادارة الاستعمارية لم تطق صبرا على ما وقع بالأمس ولذلك تكون أوعزت للباشا باستدعائي لتهديدي أو محاكمتي، ويتقدم إلى «العون» المذكور ليقول لي : إن الباشا يستدعيك باستعجال فلم يسعني إلا أن أوقف الدرس الذي كنت أعطي، وأخبر بعض إخواني المعلمين بأني مدعو عند الباشا لغرض لست أدري عنه شيئا، وأقصد منزل الباشا صحبة العون، وكان مكتب الباشا الذي يستقبل فيه مدعويه ولربما يحكم عليهم فيه بجانب داره إذ كان الباشا ليس رئيس بلدية فحسب ولكنه حاكم أيضا ـــ أقول أقصد الباشا ليستقبلني لا في مكتبه أو محكمته كما جرت العادة ولكن ليستقبلني بإحدى قاعات منزله.

---

(1) راجع وصف هذه الاحتفالات في مجلة «المغرب» للصالح ميسة ونصوص البرقيات التي وجهت لجلالة الملك.

لقد وجدته جالسا وبجانبه أحد الأشخاص، وامام هذا «أواني الشاي» فسلمت عليه فرد السلام بأدب واحتشام، وطلب مني أن أجلس بجانبه، ثم خاطبني قبل أن يناولني الخادم، كأسا من الشاي قائلا : لقد اتصل بي الفقيه المعمري من القصر الملكي، وأمرني باسم صاحب الجلالة أن أبلغك وأصدقائك شكره ودعاءَهُ على ما قمتم به أمس من احتفال واحتفاء بمناسبة جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، ولقد وصلته البرقية التي وجهت إليه بهذه المناسبة وهو أعزه الله يشكرك عليها ويدعو لك بالتوفيق. وانتهت الجلسة بهذا التبليغ الملكي الكريم ورجعت إلى المدرسة لأبلغ إخواني وأصدقائي رضا جلالة الملك وشكره ودعاءه لنا بالتوفيق.

شعرنا بنشوة من الفرح ما عليها من مزيد، وتبادلنا التهاني مع بعضنا بعضا لقد حققنا ما كنا نطمح إليه، ولقد تجاوبنا مع ملكنا الشهم الشاب الهمام، فلنسر في طريق هذا التجاوب الصادق المتين والله سبحانه كفيل بتحقيق الأماني إذا ما حسنت النيات.

لقد اندهش الاستعماريون من هذه المبادرة الشعبية التي لم يكونوا ينتظرونها والمفاجأة التي لم يكونوا يتوقعونها، ففكروا وقدروا، ولكن لم ينفعهم تفكير ولا تقدير، لقد تحطمت أحلامهم في فصل الملك عن شعبه، ولقد ذهبت مخططاتهم ادراج الرياح وهم يعملون على التنقيص من نفوذ جلالته وارتباط شعبه به فلقد زادت مكانة هذا الملك الشاب في نفوس الشعب وأصبح الشباب الوطني يتغنى به ويهتف باسمه ويعلق الآمال الكبيرة عليه، لقد قررت كتلة العمل الوطني تقديم المطالب الأساسية لجلالة الملك وللسلطان وكان في طليعتها مايلي : اعتبار يوم تتويج جلالة السلطان يوم عيد رسمي للدولة المغربية ووجوب ذكر اسم جلالة السلطان في خطب الجمعة والأعياد بسائر أنحاء المغرب حواضر وبوادي.

وتمضي الأيام سراعًا ويأتي شهر أكتوبر من سنة 1934 ليشعر المسؤولون ان نوفمبر على الأبواب وسوف لا يتركه الشباب الوطني يمر دون أن يكرروا ما فعلوه في نوفمبر 1933 ولربما سيكون بصورة أقوى، فلقد بلغتهم أخبار بأن الشباب الوطني يستعد كل الاستعداد للقيام بمهرجانات بمناسبة الذكرى، وان الشعراء والخطباء تحركت مشاعرهم وانتفضت قرائحهم فهم في غمرة من النشاط والاستعداد لقد قدم شاعرهم الفذ علال الفاسي إلى المطبعة قصيدة حول العرش المغربي تزيد أبياتها على المائة والستين ولقد طبعوا الأناشيد الصغيرة والكبيرة وصاروا يوزعونها على الأطفال والشبان في المدارس والنوادي وحتى في الأسواق فلا مناص أمام هذه الموجة من الاستعدادات أن يعملوا على إصدار قرار ينظم الاحتفال ويعترف بالأمر الواقع، وهكذا صدر قرار وزيري من ثلاثة فصول، ينظم كيفية الاحتفال بذكرى 18 نوفمبر ويعتبر ذلك اليوم عيدا رسميا، تحتفل فيه المدن وتتزين الأسواق وتعطل فيه الأعمال، ويتقبل باشا المدينة تهاني الأعيان، أما في العاصمة فيتركب وفد من أعيان المدينة وباشاها ليقدم التهاني إلى جلالة الملك وينص أحد الفصول على أن الاحتفال لا يتعدى يوما واحدا، وان لا تلقى فيه خطب ولا قصائد ولا يرد على المحتفلين وفود من غيرهم.

لقد صدر هذا القرار الذي وقعه الصدر الأعظم الحاج محمد المقري ووافق عليه المقيم الفرنسي العام مسيو بونصو بتاريخ 16 رجب 1353 الموافق لـ 26 أكتوبر 1934.

وهكذا اضطرت السلطات الاستعمارية للموافقة على قرار اتخذه الشعب بنفسه، باعتبار يوم جلوس جلالة ملك المغرب على عرش أسلافه المقدسين عيدا وطنيا رسميا.

ومنذ ذلك اليوم والشعب المغربي يحتفل بذلك اليوم الأغر، ويعتبره من أعياده الوطنية الكبرى وأيامه الخالدة التي يحيى فيها أمجاده، ويستعيد ذكريات أبطاله الميامين ليواصل سيره إلى الأمام ويستفيد من ماضيه ما يساعده ويقوي جهوده في بناء المستقبل.



صورة المرحوم محمد حصار
أول من كتب مطالباً بالاحتفال
بذكرى جلوس محمد الخامس على
عرش أسلافه الميامين

علاقاتنا مع المشرق العربي

لقد عم نشاطنا مختلف الميادين، وصرنا نتطلع إلى تنظيم العلاقات مع إخواننا في المشرق العربي، وفي هذا الظرف بالذات أي سنة 1932 صدرت بمصر مجلة «الرسالة» التي كان يديرها ويترأس تحريرها المرحوم أحمد حسن الزيات، فصرنا نتلقفها وننهل من أبحاثها، ونستفيد من مثقفيها وكتابها، ونعمل على تعميم نشرها بين الشباب، كما عملنا على نشر كثير من المجلات والصحف الاسلامية التي كانت ترد علينا من القاهرة ودمشق مثل مجلة «الاسلام» الأسبوعية ومجلة «الرابطة الاسلامية» بدمشق، ومجلة «العرفان» بصيدا زيادة على المجلات الأدبية والثقافية مثل الهلال والسياسة الأسبوعية والمقتطف ومجلة «الشبان المسلمين» ومجلة «الأزهر» التي كانت تسمى بنور الاسلام الخ.

وكنا نتتبع باهتمام ما ينشر في تلك المجلات، ولربما لاحظنا على بعض ما ينشر فيها، وأذكر أن الأخ محمد حصار كتب في «الرسالة» مقالا تحت عنوان : «تجديد التقليد» ناقش فيه بعض الأفكار الواردة لدى أحد الكتاب، والتي تنم عن تقليد مشين لبعض الأفكار. كما أن مجلة «الاسلام» كانت نشرت مقالا للشيخ الدجوى أحد علماء الأزهر، هاجم فيه الشيخ رشيد رضا رحمه الله هجوما عنيفا ورد بعض أفكاره، فكتبت مقالا أو رسالة لمدير المجلة اعتب فيها عليه مناصرته للشيخ الدجوى دون فسح المجال للشيخ رشيد رضى ليعقب عليه، فكتب إلى الخطاب الآتي :

مصر في 20 ذي الحجة سنة 1951

حضرة الأخ الوفي السيد أبو بكر القادري

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد، تلقينا بيد السرور والاريحية رسالتكم الخالدة التي توجت بها أعناقنا ببعض ما وهبكم الله من علم ونبل وخلق ودين، ولعمر الحق أننا لو استوحينا هضاب «سرنديب» ان تفيض آبارا تكون تبرا، حتى يسوغ لنا صوغ الثناء، لما وفيناكم حق التمداح، ولكنه العجز عن الشكر، والعجز عن الشكر، شكر. ويافرحتاه بما انطبع على محياكم من الأخلاق والبشاشة حتى أطلق السرور بمجرد وقوع خلسة عليه، حقا لقد أجمع الله بمنه وكرمه كل ما هو جدير بالثناء على القدرة العلية على محياكم وما انطبع عليه، فطوبى لتلك النفس العالية، وشكرا لذلك الشعور الحي.

REVUE
AL ESLAM

DIRECTEUR
AMIN ABD EL-RAHMAN
141, Rue Mohamed Ali - Le Caire
Téléph. 53313
B. P. 1573

مجلة الإسلام
صحيفة إسلامية أسبوعية جامعة
صاحبها : أمين عبد الرحمن
الإدارة : بشارع محمد علي رقم ١٤١
تليفون ٥٣٣١٣
صندوق بوستة رقم ١٥٧٣



نمرة الكوبيا ٨١٨
نمرة القيد ٢ ب

عدد المرفقات

مصر في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٥١

حضرة الأخ العلوي السيد ابوبكر احمد [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبعد: تلقينا بيد السرور والأريحية
رسالتكم الخالدة التي توجبت على أعناقنا بعض ما وهبكم الله من علم ونبل
وخلق ودين — ولعمر الحق إنا لو استوهبنا هضاب سرنديب أن تنقض
آثاراً تتوسم تبراً حتى يسوغ لنا صوغ الثناء لما وفيناكم حقه التام
ولكن العجز عن الشكر — والعجز عن الشكر شكر

ولقد فرحنا بما اطلع على محياكم من الإخلاص والبشاشة حتى أطلعه
السرور بمجرد وقوع [illegible] عليه وهنا لقد أعجز الا [illegible] ماهو
جدير الثناء للغيرة الحقة على محياكم وما اطلع عليه [illegible]

أخي ! ما تعودنا والحق رائدنا أن ننصر فريقا على فريق، نحن معشر المسلمين، والمساواة ديددنا، وجل الأمر أن فضيلة الشيخ الدجوى أراد أن ينشر حقائق على بعض أوجه الاختلافات التي وقعت بينه وبين الأستاذ الشيخ رشيد رضا. فلما للموضوع ولأهميته العلمية رأينا أن ننشر كل ما يبعثه إلينا كل من الفريقين خصوصا وقد اجتمع فريق كبير من أفاضل العلماء للوفاق بينهما فلم يظفروا ببغيتهم، وازداد النضال بينهما، فأردنا أن نطلع جمهور القراء لأبداء حكمه على الفريقين، فيكون حكما صارما للمخطئ، وأدعو الله أن يوفق رجالنا العاملين لطرق أبواب الوعظ الذي من شأنه تغذية عقول السلف (لعلها الخلف) الصالح دون الخوض في الجدال الذي من شأنه ضياع كيان الاسلام، والذي من شأنه اكتساب نواحيه، (كذا في الأصل) أعدائنا. فهو كالسلاح المحطم لنهضتنا، والهاضم لحقوقنا. وقد أكثرنا الرجاء لحضرة الشيخ رشيد رضا أن يرسل إلينا برأيه لنشره على صفحات المجلة لوضع حد حاسم، ولتخفيف هذا العناد إن لم يكن بمحوه، كما فعل قبلنا السادة العلماء، وإن شاء الله، بفضل اخلاص العاملين، سينال الوسطاء في أمر الوفاق بين الشيخ رشيد والشيخ الدجوى بمآربهم، ومادام العبد يوجه عمله وقلبه لله وحده فالله ناصره.

كما وأنني كتب كتبت رسالة إلى هذا المدير نفسه في شأن ما نشره عن عبد الحي الكتاني عندما زار القاهرة في طريق ذهابه إلى الديار المقدسة وطلبت منه أن لا يبقى منخدعا لذلك الدجال، فكتب إلي يقول : تسلمنا خطابكم الأخير، وعليه اعتذرنا بنشر كلمة عن هذه الاحتجاجات التي وردت علينا، ولقد انخدعنا في نفسيته وانقطعنا عن نشر أي مقال بخصوصه.

عبد الحي الكتاني في الشرق العربي

وعلى ذكر الشيخ عبد الحي الكتاني نسجل هنا أننا اهتممنا اهتماما كبيرا بقضية سفره، حيث كنا ندرك خطورة اتصالاته بقادة الفكر الاسلامي ورجال السياسة، ولقد علمنا أنه عرج في طريقه إلى الديار المقدسة على سويسرا واتصل بالأمير شكيب أرسلان راجيا أن يزوده ببعض التوصيات لشخصيات إسلامية وسياسية في بعض الأقطار العربية التي سيمر منها، فاستطاع بدهائه أن يؤثر على الأمير رحمه الله، ويعطيه فعلا توصيات إلى بعض قادة الفكر الاسلامي بمصر أمثال الشيخ رشيد رضا والسيد محب الدين الخطيب والزعيم عبد العزيز الثعالبي وغيرهم، ولذلك كتبنا إلى إخواننا بمصر وسوريا وفلسطين نحذرهم مغبة اتصالات هذا الشيخ برجال الفكر الاسلامي، كما أن أخانا المرحوم الحاج أحمد الشرقاوي صادف الحال أنه ذهب إلى الديار المقدسة في نفس السنة معرجا على القاهرة، فلما بلغه خبر وصول عبد الحي إلى القاهرة قام بواجبه الوطني في التشهير بهذه الشخصية التي باعت نفسها للاستعمار، وأكثر من الاتصالات برجال مصر الأبرار فكانت اتصالاته مفيدة ومؤثرة، وعرف بواسطة السيد محب الدين الخطيب صاحب جريدة «الفتح» انه توجد رسائل وتوصيات لدى عبد الحي الكتاني من الأمير شكيب أرسلان حسبما ذكرت سابقا وبعد ما عرف الشرقاوي محب الدين

الخطيب بحقيقة عبد الحي الكتاني اتصل بالطلبة المغاربة الموجودين بالقاهرة، وألح عليهم في ضرورة مقاومة هذه الشخصية السائرة في الخط الاستعماري.

وإني أثبت نص رسالة كتبها الأستاذ محمد عزيمان إلى السعيد حجي الذي كان إذذاك بدمشق يشرح فيها قصة وصول عبد الحي الكتاني إلى القاهرة والتي اطلعنا عليها «السعيد» بعد ذلك.

تقول الرسالة المؤرخة بـ 33/3/9 قبل وصول الشيخ عبد الحي الكتاني إلى مصر، وصل السيد أحمد الشرقاوي الرباطي، ولاشك أنكم تعلمون عنه الشيء الكثير، فهو ممن خدم القضية البربرية بإخلاص، وأوذوا في سبيلها وعذبوا، وقد جاء موطنا النفس على فضح عبد الحي وكشف خباياه وإظهاره على حقيقته، وقد نفذ عزمه هذا فعلا، وأعطى كل الذين اتصل بهم من كبار المصريين صورة تمثل عبد الحي على حقيقته، وقد اتفق مع الشيخ رشيد رضا والسيد محب الدين الخطيب أن يفضحوا هذا الرجل حين يصل مصر، ووصل عبد الحي إلى مصر في حاشية من الأتباع بعد أن أمضى مدة في فرنسا وأخرى في إيطاليا حظي فيها بمقابلة البابا مقابلة خاصة ؟ وبعد يومين من وصول عبد الحي، جاءنا السيد الشرقاوي ممتقع اللون وسألناه ماذا جرى ؟ فأخبرنا أنه كان مع محب الدين الخطيب، فأطلعه هذا على رسالة جاءته من الأمير شكيب أرسلان، يوصيه بعبد الحي خيرا، ويعلمه أن عبد الحي زاره في سويسرا وشكا إليه ما يعامله به الشبان في المغرب من المعاملة القاسية وما يلصقون به من تهم وشكا إليه تأثر رجال الاسلام الكبار بأقوال هؤلاء الشبان، وتحاملهم عليه كلما ذكروا عنه شيئا، وقال انه يحمل من الغيرة على الاسلام أكثر مما يحملون وإنه يسعى لخيره بكل ما يملك من قوة، وانه إذا كان يتظاهر بمشايعة فرنسا فهو انما يفعل ذلك ليستغلَّ بواسطته الخير للمسلمين، لأنه يرى أن سياسة اللين والتفاهم، أجدى من سياسة العنف والشدة وليحافظ على زواياه المنتشرة بالبربر، لأن بقاءها كفيل بحفظ الاسلام في تلك البقاع، وذكر له أنه مبرهنا على صحة دعاويه انه طرد ابنه من منزله حين أمره بالانقطاع عن الكتابة في «المغرب» الجريدة الحكومية الخائنة فلم يمتثل، وقال الأمير بعد أن ذكر هذا كله، ان هذا الرجل قد يكون صادقا في أقواله، وقد يكون حقيقة حسن النية في أفعاله، ثم رجا محب الدين الخطيب أن لا يقسو عليه إذا زار مصر، وان يقابله مقابلة حسنة إذا جاء لزيارته. أخبرنا الشرقاوي برسالة الأمير شكيب هذه، فرأيناها قاضية على أعمالنا، وذهبت معه إلى الشيخ رشيد رضا لنخبره بما جد في الأمر، فوجدنا رسالة الأمير قد وصلته هو أيضا، ولكنه لم يتأثر بها كثيرا، وعدَّ الأمير مسرفا في حسن الظن بهذا الرجل، رأينا عمل الأمير هذا معطلا لكل عمل نحاول القيام به في البلاد الاسلامية لفضح الرجل ولم نشك انه كتب له رسائل توصية أخرى إلى كبار الزعماء في فلسطين وسوريا والحجاز والعراق والهند وكل البلاد التي ينوي زيارتها، فكتبنا للأمير نعرب له عن تخوفنا من أن يكون هذا الرجل قد أراد استغلال مكانة الأمير في البلاد الاسلامية، لانجاح الأغراض

التي بعثته فرنسا لأجلها، وأبدينا له تخوفنا من أن تكسب ثقة الأمير به، ثقة المغاربة أنفسهم، فيستفحل بذلك شره ويقوي خطره، ورجوناه أن يستدرك الأمر بحكمته، ويوقف هذا الخائن عند حده، ثم كتبنا البيان الذي وزعناه على الصحف، ولم ينشر إلى وقت كتابة هذه السطور في غير جريدة «الوادي» وما رأيكم في أن رسالة الأمير بلغ تأثيرها على محب الدين الخطيب إلى حد أنه امتنع عن نشر البيان في «الفتح» وبعد لأي قبل أن ينشره إذا رآه منشورا في الجرائد. ثم تقول الرسالة بعد الحديث عن بعض الزيارات التي قام بها عبد الحي لبعض الشخصيات علمنا اليوم أن الأمير شكيب، بعث إلى محب الدين الخطيب رسالة طويلة عريضة، وكلفه أن يدفعها للشيخ عبد الحي يقول له فيها : انه بعد سفرك انهالت علي الرسائل من كل جهة، تحذرني منك، وتكشف لي عن أعمالك وأنا أطلب منك الآن أن تقيم لي براهين قوية على صحة دعاويك التي ادعيتها أمامي، وإلّا تفعلْ، فسأعرف كيف أنتقم ممن يحاول استغفالي ومخادعتي، وانني وقد نصبت نفسي لمحاربة امبراطوريات بأكملها لن أعجز عن سحقك والقضاء عليك.

وبالمناسبة أود أن أذكر هنا أن عبد الحي كان قد طلب من صاحب مجلة الجهاد المرحوم محمد علي الطاهر أن يكتب عنه كلمة ثناء في مجلته، فأجابه رحمه الله بكلمة قال فيها : لقد تأكدت من خيانة فضيلتكم ولهذا لا أستطيع أن أنشر عنكم خبرا، ثم كتب مقالة في الجهاد جعل عنوانها : «ابن غبريط الثاني».

نشاطنا الوطني في الشرق العربي

لقد اغتنمنا وجود إخواننا : السعيد حجي وعبد الكريم حجي بدمشق والقاهرة لننظم معهم القيام بالدعاية للقضية الوطنية في الشرق العربي، ولقد كان الأخوان المذكوران اتصلا اتصالا وثيقا بطلبة تطوان الذين كانوا يدرسون هم أيضا بنابلس أو بالقاهرة ونظموا معهم العمل الوطني، خصوصا لدى بعض المناسبات المهمة مثل ذكرى 16 ماي من كل سنة.

لقد اتفقنا مع الأخ السعيد على أن نراسله باستمرار نزوده بالمقالات والأبحاث التي تفضح السياسة الفرنسية بالمغرب كي يعمل على نشرها أو يستمد منها في كتابته هو وإخوانه ورفقاؤه.

ومن المعلوم أن بعض الجرائد والمجلات المصرية مثل «الفتح» و«المنار» كانت قامت بنشاط هام لمناصرتنا أثناء كفاحنا ضد السياسة البربرية، ولكنا وفقا لبرنامجنا أردنا أن لا تكون

الحمد لله

القاهرة 4 مايو 1933

حضرات الإخوان الأعزاء بعد التحية وصلنا كتابكم الأول المؤرخ بـ 24 إبريل وطيه أربع جنيهات مرسلة من حضرتكم. ثم وصلنا اليوم كتابكم الثاني المؤرخ بـ 1 مايو ومعه المقالات التي بعثتم. ونحن نعتذر لكم أولا عن تأخرنا بالكتابة إلى هذا الحين فإن اشتغالنا الدائم في هذه الأيام كثيرة مرهقة

1 سألتمونا عن المنشور الذي بلغكم أننا سنقوم بطبعه وبالفعل قد تم طبعه اليوم وقد أرسلنا لكم كمية منه لتقوموا بتوزيعه بين المغاربة الفلسطينيين سوريا. وقد كان الأخ الحسن بوعياد كتب لنا قبل ورود كتابكم وعين لنا بعض عناوين في باريز ولندن والجواب لنرسل كمية من هذا المنشور إليها [illegible] وقد أرسلنا لها فعلا ورأينا أن نكتفي بل عن إرسال كمية أخرى بالعناوين التي تبعثونها لنا — وصلنا منشور الإخوان في نابلس وأذعناه بين الصحف ونشرته منقطعا وقد أرسلنا لكم بعضا من الصحف التي نشرته — تريدون أن نبعث لكم بكل ما ينشر عن المغرب كي تبعثوه إلى بدوركم إلى البلاد وسنفعل غير أننا نود أن تعينوا لنا كم عددا من الجرائد التي تنشر شيئا من المغرب تريدون أن نرسله إليكم — نشرنا خبر المصادمة بين اليهود والمسلمين في الجديدة [illegible]

وصلتنا المقالات التي ردتها العرب إليكم وبما أن المواد التي نريد أن نصدر بها العدد الخاص من الفتح لم تصل إلينا بعد فقد احتفظنا بهذه المقالات منتظرين ورود مواد الفتح وعندما يجتمع الكل لدينا نختار منها ما نملأ به العدد الخاص من الفتح وننشر الباقي في غيره من الجرائد ونحن نرى أن هذه الطريقة أفيد من أن تجمع في الفتح كل شيء ونقتصر عليه. هذا هو رأينا في الذي لم نبته في هذا الموضوع برأي نهائي ولهذا فلسنا نريد أن تبعثوا إلينا شيئا من المال لهذا الغرض الآن

وعدنا الدكتور عبد الرحمن شهبندر بأنه سيكتب لنا مقالا بمناسبة يوم الذكرى في إحدى المجلات المشهورة الكبرى الهلال أو المقتطف أو المعرض — كما أننا سنكتب إلى بعض الجمعيات في بلاد الجاوة نطلب منها أن تحتفل بيوم الذكرى — جاءتنا رسالة من مكة من الأخ الشرقاوي ذكر لنا فيها الحكاية وتعقدت مع الإخوان عبد الحي وأنهم [illegible] يريدون الاعتذار عليه [illegible] منهم بأجوبة وقد أرسل إلينا مقالة بمناسبة لننشرها — سنوافيكم بكل ما يجد [illegible]

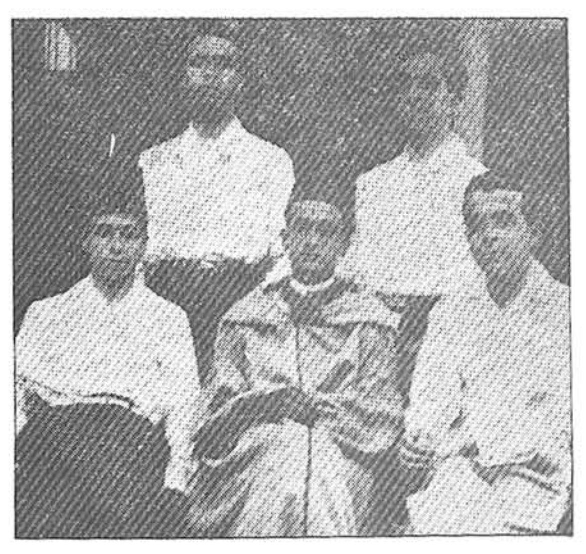
صورة خطية لرسالة كتبها أحد الإخوة بالشرق العربي ولعله الأستاذ محمد عزيمان



الجالسون من اليسار : السيد محمد بن عبد الوهاب والسيد محمد الخطيب.
الواقفون من اليسار : الأستاذ محمد عزيمان وعبد الكريم حجي والمرحوم محمد الفاسي الحلفاوي والمرحوم سعيد حجي. أخذت هذه الصورة في القاهرة.

مناصرة إخواننا لنا خاصة بالقضية البربرية بل يجب أن تكون مناصرة عامة، وتضامنا مطلقا معنا في كفاحنا ضد الوجود الاستعماري، وإذا كانت مناسبة 16 ماي من كل سنة هي المناسبة المعروفة فإن التعريف بقضية المغرب وما يقاسيه من أهوال في ظل الاستعمار يجب أن يكون باستمرار.

لقد اغتنمنا فرصة قرب حلول ذكرى 16 ماي سنة 1933، فهيأنا عدة مقالات وأبحاث في مواضيع مختلفة : أخطار السياسة البربرية الحالة التعليمية بالمغرب، الحالة الاقتصادية والفلاحية ــ الوضع السياسي بالمغرب وهلم جرا، وبعثنا بجميع ذلك إلى السعيد على أمل أن يصدر عدد خاص من مجلة «العرب» التي كان يصدرها المرحوم عجاج نويهض، وبالفعل كان السعيد اتفق مع نويهض على إصدار العدد الخاص المذكور، ولكن الأستاذ نوهيض بعدما



من اليسار :
الجالسون : المرحوم سعيد حجي فالسيد محمد الخياط من عكا بفلسطين فعبد الكريم حجي.
الواقفان : المرحوم عبد الهادي زنيبر فعبد المجيد حجي. أخذت هذه الصورة في بيروت.

وصلته المقالات والأبحاث التي بعثنا بها أو التي حررها السعيد وأخوانه استعظم الأمر، وخشى على مجلته من المنع. ولقد كتب لي السعيد في هذا الموضوع قائلا : وعدتكم أن صحيفة «العرب» ستصدر عددا ممتازا بمناسبة اليوم المعهود، وهذا ما كنا متفقين عليه معها، منذ شهرين ونصف، فهيأنا المواد، وهي تنيف على 18 مقالة من أحسن ما كتب عن المغرب في مواضيع مختلفة توضح الحالة المغربية لاخواننا الشرقيين بغاية الوضوح، وقبل اليوم المعهود بشهر وأربعة أيام حسب الاتفاق الذي كان بيننا وبينها، أرسلنا تلك المواد لكي يصدر العدد قبل 16 ماي بنحو عشرين يوما ليرسل إليكم فلما وصلت المقالات لصاحب «العرب» وتيقن

العدد ٢٠

السنة الاولى



١٣٥١

القدس الشريف (السبت) ١١ رمضان ١٣٥١ - ٧ كانون الثاني ١٩٣٣

الجرائد الانكليزية تعنى بالخط الحجازي

* * *

الخديوي وجريدة «العرب»

* * *

عجائب رمضان ووحدة الصوم!

* * *

أسود في الصحراء جياع

* * *

مشروعات الخديوي

* * *

رئيس برلمان بوتاتيت وداعية الخديوي

* * *

نجد والحجاز وشرق الاردن

رسائل بلاد العرب * انتقام * النجمة الخماسية البيضاء * من النافذة * نظرات سائح في الصحف

أن مجلته سوف تمنع إذا ما أصدرت هذا العدد، وهي اليوم تبيع كمية لابأس بها بالمغرب، اعتذر عن النشر وإصدار العدد باعذار لا قيمة لها بتاتا، وأخيرا قال لنا : لخصوا هذه المقالات في مقالة أو مقالتين، واستكتبوا عظيما من عظماء الاسلام مقالة، وأصدر لكم ملحقا في ثماني صفحات أو أكثر من «العرب» ونحن كتبنا إلى الأمير شكيب أرسلان في أن يكتب لنا مقالة، فاعتذر أن الفرنسيين يتهمونه أنه محرك حركتنا المغربية فمن المصلحة لنا أن يكف عن الكتابة في القضية المغربية أو البربرية وهو عذر أو هي من بيت العنكبوت كما يقولون، ثم تحدثت رسالته عن الحركة الوطنية في الشرق فقالت : إني أكتب إليكم هذه الكلمات يوم 16 ماي وسأخبركم بنما يكون، على أن الصحافة المصرية والفلسطينية منذ أسبوع وهي تنشر الفصول الطوال عن القضية، أما في سوريا فإن الحركة ضعيفة، نظرا للضغط الذي يوجد، ويكفي أن تعلموا أنه وزع على الصحافة السورية وعلى جل الأفراد، منشوران، ولم تنشر إلا صحيفة واحدة منشورا واحدا، اما في العراق فإننا وزعنا على صحافتها ورجالاتها مناشير مختلفة في القضية، وسنرى ماذا سيكون وسنرسله لكم أو نأتي به معنا إذا ما رجعنا إلى المغرب.

وإن الاتصال الوثيق المنظم بيننا وبين السعيد وأخيه عبد الكريم، والاتصال الوثيق بين السعيد في دمشق والطلبة الذين يدرسون بنابلس أو القاهرة، جعل الحلقة محكمة والعمل عظيما والدعاية للمغرب مستمرة.

هذه رسالة من البعثة المغربية في نابلس مؤرخةٌ بـ 1933/4/20 تقول : (قابل الأخ عبد السلام (ابن جلون) البارحة الأستاذ عجاج نويهض، فسأله عن رسائلكم، فأجاب بأنه يتعب كثيرا فيها، إذ أنه لا يعرف أن يقرأ خطكم بسهولة، كما أنه ينسخ الرسالة مرة ثانية، ليتمكن المصفف من قراءتها، فنرجوكم أن تجربوا الكتابة بأحسن خط ممكن، أو تدبروا من أصدقائكم السوريين من تؤمنونه فينسخ لكم تلك المقالات بخط جميل شرقي سهل القراءة، ثم تقول الرسالة : نحن نعمل جهدنا في جعل المجلس الاسلامي الأعلى يوزع يوم الجمعة قبل 16 ماي خطابا على جميع خطباء مساجد فلسطين ليبينوا للشعب فيه مظالم فرنسا في المغرب، فنطلب منكم أن تجربوا تدبير بعض خطباء تلك الجهات (كذا) ليعملوا مثل هذا ولا نظنه ممنوعا هنالك، إذ أننا سمعنا ورأينا بأم أعيننا خطيب المسجد الأموي يخطب للناس في هذا الموضوع نفسه حين كنا في الشام منذ ثلاث سنوات، وإذا قدرتم، فجربوا أن تقنعوا أصحابكم الذين في تركيا بذلك، كما نرجوكم أن تجربوا ذلك في العراق وأنحاء سوريا إذا قدرتم، وسنطلب من إخواننا أفراد البعثة بمصر ذلك أيضا) وهذه رسالة أخرى مؤرخة بـ 1352/10/28 وهي بتوقيع (الخطيب) يخاطب (السعيد) ولقد جاء فيها : (كان مقصودنا من تنبيهكم على إرسال المناشير إلى الحجاز، هو اغتنام فرصة وجود تلك الآلاف من الناس، وبث روح العطف فيهم على المغاربة وتفهيمهم قضيتنا وهم مجتمعون في تلك البقعة المباركة، ولاشك أن قلوبهم ستعطف علينا، وإذا قمتم بهذه المهمة فإننا سنقوم بنشر مناشير أخرى في

الشرق، وإخواننا الذين هم في مصر، متعهدون بإرسال مناشير للمغرب، ويكون الشغل موزعا بنظام) وهذه رسالة من القاهرة مؤرخة بـ 4 مايو 1933 تقول : (وصلتنا المقالات التي ردتها (العرب) إليكم، وبما أن المواد التي نريد أن نصدر بها العدد الخاص من الفتح، لم تصل إلينا بعد، فقد احتفظنا بهذه المقالات منتظرين ورود مواد «الفتح» وعندما يجتمع الكل لدينا، نختار منها ما نملأ به العدد الخاص من «الفتح» وننشر الباقي في غيرها من الجرائد، ونحن نرى أن هذه الطريقة أفيد من أن نجمع في «الفتح» كل شيء، ونقتصر عليها وحدها على أننا إلى الآن لم نبت في هذا الموضوع برأي نهائي، ولهذا فلسنا نريد أن تبعثوا إلينا بشيء من المال لهذا الغرض إلى الآن. ثم تقول الرسالة : وعدنا الدكتور عبد الرحمان شهبندر بأنه سيكتب لنا مقالا بمناسبة يوم الذكرى في إحدى المجلات الشهرية الكبرى : الهلال أو المقتطف أو المعرفة كما أننا سنكتب إلى بعض الجمعيات في جاوا نطلب منها أن تحتفل بيوم الذكرى، جاءتنا رسالة من مكة من الأخ الشرقاوي (حَ احمد) ذكر لنا فيها حكاية وقعت له مع أعوان عبد الحي (الكتاني) وأنهم كانوا يريدون الاعتداء عليه، فنجا منهم بأعجوبة، وقد أرسل إلينا مقالة بإمضائه لننشرها).

هذه نماذج من الرسائل التي كان يتبادلها طلبتنا في الشرق العربي. وهي تبرهن على الاهتمامات التي يعطونها لقضية بلادهم، وبالأخص القضية البربرية، والتشهير بالمخطط الذي وضعته فرنسا لتقسيم الشعب المغربي وتفريقه.

اللجنة المغربية في الشرق العربي

إن الاتصالات التي كانوا يقومون بها، جعلتهم يدركون أن المغرب العربي : المغرب — الجزائر — تونس — طرابلس الغرب رغم ما يقومون به من دعاية وتعريف، لازال مجهولا ولازالت قضيته غير معروفة المعرفة الكافية، ولذلك فإنهم فكروا في تأسيس لجنة عليا تكون مهمتها التعريف بالمغرب، وإذاعة أخباره، وربط العلاقة بينه وبين إخوانه وهكذا كونوا لجنة اسموها : (اللجنة المغربية في الشرق العربي) وضعوا لها وثيقة تبين أهداف هذه اللجنة وغايتها وطريقة عملها، وجاء في تمهيد هذه الوثيقة التي جررها طلبتنا من الشمال مايلي : بالنظر لأن إخواننا العرب في هذه الديار يجهلون أحوال بلادنا المغربية جهلا تاما أدى بطبيعة الحال إلى اعتقادهم أن صورة تلك البلاد أحط مما هي عليه بكثير، وحيث أن المغاربة المهاجرين من بلادهم، قد قطعت تقريبا بينهم وبين بلادهم أية صلة وحيث أن الواجب الوطني يقضي على المرء أن يقوم بدعاية لبلاده، ووصلها بالبلدان التي تربطها معها وحدة المعتقد واللغة والجنس، فقد أحببنا نحن الموقعين أسفله أن نسعى في رَبْط بلادنا المغربية : (طرابلس، تونس، الجزائر،

مراكش) بهذا الوسط العربي فتعاقدنا على هذه الوثيقة، واتخذناها دستور عملنا وصورة عن فكرتنا، متخذين الكتمان شعارا لنا.

غايتنا : والغاية الوحيدة التي نصبو إليها، أن نحسن سمعة بلادنا المغربية ونقوم بإذاعة أخبارها الصحيحة، وحوادثها بصورة توافق الواقع، وتنير لاخواننا الشرقيين ما يجول في خلد إخوانهم أبناء المغرب، وأن نسعى سعيا جديا لحمل المغاربة المهاجرين أن يتذكروا بلادهم، ويعملوا لصلاحها ونهضتها، وأن نبذل أيضا مجهوداتنا لتعريف أبناء بلادنا بهذه النهضة التي عمت كل مظاهر الحياة في بلدان الشرق العربي وأن نربط الصلات الودية بين المغاربة المهاجرين في هذه الديار.

عملنا : يختص كل منا بدراسة قطر من الأقطار المغربية الأربعة من سائر النواحي، ويقدم خلاصة درسه لاخوانه الذين لا يقلون عنه اهتماما بما درس، وبعد المناقشة في ذلك التقرير تقرر الهيأة العامة مصيره، فاما أن ينشر، وإما أن يطبع ليوزع حسبما يترجح عمله، وتحفظ نسخة من كل ما يدرس لدى الكاتب العام الذي يعين بعد الامضاء على هذه الوثيقة، والذي يحتفظ بكل ما ينشر عن البلاد المغربية، وعندما يقرر أمر بصورة نهائية، يوضع بصورة مواد، ويمضي عليه كل الحاضرين في الجلسة.

هذا ما أمكنني الاحتفاظ به من هذا الميثاق، ويظهر أن ورقة منه ضاعت، ولذلك لا تعتبر هذه الوثيقة كاملة، والوثيقة مؤرخة بـ 30 أبريل 1933.

ويجب أن يلاحظ هنا أن طلبتنا على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم كانوا يشعرون بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقهم رغم صغر سنهم وان بلدانهم تتطلب منهم التعريف بها والدعاية لها ولقضاياها وانهم لكي يصلوا لتحقيق هذه الغاية لابد لهم من التكتل والعمل الموحد لا بالنسبة لطلبة المغرب الأقصى فحسب ولكن بالنسبة لكل طلبة المغرب العربي، وان المغرب العربي لا يشمل الأقطار الثلاثة فحسب ولكنه يشمل طرابلس الغرب (ليبيا) أيضا ويتراآى لي أخيرا أن هذا الموضوع كان يشغل بالهم مدة من الزمان وأنهم تذاكروا فيه الآونة بعد الأخرى، وكل فرد أو جماعة أبدى رأيه قبل أن يصلوا لوضع الميثاق المذكور، فهذه اقتراحات أخرى عثرت عليها في هذا الموضوع الوحدوي، وتعتبر متممة لما جاء في الميثاق من أفكار، وتقول الورقة :

1) تأليف هيأة من أقطار شمال افريقيا (طرابلس الغرب، تونس، الجزائر، مراكش) تعمل لرفع شأن بلادها في البلدان العربية، من كل وجه ومن كل ناحية.

2) لا تتظاهر الهيأة ويبقى المشروع والأسماء بينهم.

3) اعتبارها مؤسسة «لجمعية شبان مسلمي افريقيا الشمالية».

4) الاتصال بقدر الامكان بجمعيات شمالي افريقيا والنوادي والمؤسسات على اختلاف مبادئها وتنوع عملها.

5) الاتصال بأرباب الصحف والمجلات والمؤلفين والأدباء والشعراء والسياسيين والعاملين في سبيل المصلحة العامة.

6) استجلاب الصحف والمجلات والمؤلفات القيمة على اختلاف مواضيعها.

7) كل فرد من أفراد الهيأة يقوم بما يعهد إليه من الأعمال المتعلقة بوطنه، على أن يقدم للهيأة تقريرا في نهاية كل شهر عن أعماله وجهوده.

8) كل فرد من أفراد الهيأة، يقوم بالمصاريف العائدة لبلاده، والمصاريف العامة، تقوم بها الهيأة بالاشتراك.

9) إيجاد صحيفة في دمشق أو في بيروت، وأخرى بعيدة عن النفوذ الفرنسي، تقوم بنشر ما يقرر نشره وتكون الكتابة مهملة من التوقيع مهما كان نوعها، على أن يكتفي بنسبة الكاتب إلى قطره في موضع الامضاء.

10) انتخاب رئيس للهيأة وكاتب ومحاسب.

11) يبدأ العمل بنشر فصول عن جغرافية هذه الأقطار وتاريخها بصورة مجملة، وتتفرع الكتابات تبعا للظروف والطوارئ.

12) بذل قصارى الجهود لربط هذه الأقطار بسائر البلاد العربية، وبالعكس — أدبيا.

13) الاعتناء بنوع خاص بإحياء ذكريات هذه الأقطار كذكرى الاحتلال وغيره.

ويتلخص من جميع ما ذكر أن نظرة الحركة الوطنية في بداية تكوينها كانت نظرة شمولية، وأنها كانت تعتبر أن الحركة داخل الوطن لا تستغني عن الحركة خارج الوطن، وأن فكرة الوحدة المغربية والوحدة العربية، كانت متغلغلة في النفوس، وأن الجميع كان يشعر أنه مسؤول عن تحقيقها، باعتبار أننا شعب واحد عقيدة ولغة وجنسا، وباعتبار أن مواجهة العدو لا تثمر إلا بالعمل الجماعي، وانه إذا لم يكن لحركتنا برنامج مفصل مضبوط أوائل الثلاثينات، فإنها مع توالي الشهور والأعوام وتعدد النشاطات أصبح برنامجها يوحد، وتوجهاتها تتضح، لا في المجال السياسي فحسب، ولكن في المجال الاجتماعي والاقتصادي أيضا، وسنتحدث في الفصول الآتية عن نظرتنا الوطنية لكل القضايا التي تهم بلادنا، والتي يثبت أنها كانت واضحة كل الوضوح في أعيننا على اختلاف المشارب والمدارس.

القرآن الركيزة الأساسية لبناء نهضتنا

بعد أحداث الظهير البربري، وجدت نفسي مضطرا تحت عوامل متعددة لدراسة اللغة الفرنسية، وهكذا رغم فوات السن المطلوب انخرطت في سلك تلامذة مدرسة كانت تسمى مدرسة أبناء الأعيان، ولكن لم تمض على وجودي بتلك المدرسة بضعة أشهر حتى طردت منها لأسباب تحدثت عنها في كتابي «قصة النهضة» وما أن طردت حتى ارتجت المدرسة بتلامذتها، وحصلت فيها خلخلة، وصار التلاميذ يطلبون مطالب لم يسبق أن طالبوا بمثلها، كالاهتمام بحصة القرآن، وإحداث مسجد للصلاة، وشراء سجاجيد ليؤدي التلاميذ صلواتهم عليها وضاق المسؤولون عن المدرسة من هذا التحرك الذي تحركه التلاميذ واعتبروه بإشارة مني، فصاروا يطردون بعض التلاميذ الذي رأووا فيهم نشاطا متزايدا، وكان من جملتهم الاخوة : محمد البقالي والمرحوم محمد بن المكي القادري والمرحوم عبد السلام بن جّ محمد بنسعيد.

زارني هؤلاء الاخوة الثلاثة، عشية اليوم الذي طردوا فيه وهو يوم 26 ذي الحجة عام 1351هـ/1932م فتحادثت معهم حول الموضوع الذي طردوا من أجله، وسألتهم هل لديهم الاستعداد الكافي اللازم للقيام بنهضة قرآنية تنطلق من المسجد، كما بدأت أول يوم من المسجد، ونلتقي فيها مع شبابنا وأبنائنا وطبقات مجتمعنا حول الكتاب الذي جعله الله تبيانا لكل شيء، واشترطت عليهم شرطا واحدا، هو الوفاء بالالتزام فأكدوا ثلاثتهم أنهم على استعداد تام كامل للمساهمة في هذا العمل المبرور. وهكذا اتفقنا على أن نلتقي جميعا بالمسجد الأعظم بعد صلاة المغرب مباشرة، وان ندعو من يمكننا أن ندعوه من الشباب للحضور معنا.

كان ذلك يوم 26 ذي الحجة 1351هـ/1932م(1)، وكانت قراءة القرآن كما هي العادة في المغرب ــ تقع بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الصبح ولكنها قراءة خالية من كل روح، ومن كل تدبر، وتقرأ بصيغ مريضة خالية من النغم ومن التحبير كما قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

لقد قصدنا المسجد في الوقت المحدد، وما أن أدينا صلاة المغرب، حتى فاجأنا الحاضرين بإحداث تنظيم جديد على أسلوب الجلوس، إذ رتبنا الحاضرين ترتيبا محكما وكأنهم جالسون بالمدرسة الأمر الذي لفت أنظار الحاضرين لهذا التجديد، وانتظرنا أن يفتح الامام «الحزب» وما هي إلا هنيئة، حتى نطق بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم : (لقد رضي الله

(1) لتأكيد ما ذكرته طالع في اليسار نص كلمة كتبها المرحوم الأخ محمد حصار بخط يده. ومن المعلوم أن الأخ حصار توفي عام 1936.

218

يوم القرآن الكريم

بتاريخ يوم 9 ذو الحجة سنة 1351 شرعت [illegible] سنة
قراءة القرآن جماعة يوم الجمعة قبل الصلاة بعد أن كان
كل واحد يقرأه منفردا على حدة. وهذه سنة [illegible]
لفتت إليها الشبيبة الإسلامية [illegible] كل [illegible]
من جميع أجزاء [illegible] الا و اسطا المغربية الإسلامية
وكلل الله سعيها بالنجاح الذي جعله [illegible] لأصحاب
البصائر [illegible] من عباده المخلصين الذين يستشهدون
ضمائرهم فيجيبون نداء الدين والوطن.
واحتفالا بذكرى اليوم [illegible] وبعد ختم القرآن الكريم وصلاة الجمعة قام
الأخ أبو بكر القادري وألقى خطبة جامعة أتى فيها على
تاريخ هذه المرحلة الأولى التي قطعت وعالج جميع الأسباب
[illegible] الإسلام إذ
[illegible] وفارق [illegible] سنة الهجرة [illegible] النبوية.
ولقد كان لخطبته تأثير أي تأثير
[illegible] لأنه خرج من القلب مصحوبا بالإخلاص.
وكانت آخر الخطبة نداء إلى الشعب لتأسيس جمعية
المحافظة على القرآن " استقبل بكل فرح وانشراح.
ثم أعقبه الأخ أحمد معنينو بخطبة ثانية لا تقل
عن الأولى تأثيرا وإخلاصا خصوصا معنى الحفاظ على القرآن
[illegible] أننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان [illegible]
الدموع.

عن المومنين اذيبا يعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا) فأخذت المبادرة، وغيرت الصيغة التي افتتح بها إلى صيغة أخرى ذات نغم جديد، وصار معي الاخوة الشبان الحاضرون، فاهتز المسجد اهتزازا قويا بالأصوات الشبانية، وزاد اهتزازه عندما وصلنا إلى قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رُحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا).

كانت تلك البداية الأولى واليوم الأول الذي انطلق فيه شباب «سلا» معتصما بكتاب الله العظيم، وتوالت التلاوة على نفس الشكل والطريقة وصار الشباب المدرسي يتوارد على المسجد بالعشرات ان لم نقل بالمآت، وأقبل المواطنون على اختلاف طبقاتهم يقصدون المسجد الأعظم، حتى أصبح يغصُّ بالمصلين والتالين، وكأننا في يوم جمعة. وكانت العادة يوم الجمعة عندما يقصد المصلون المسجد لأداء صلاة الجمعة، يأخذ كل واحد في التلاوة وحده، رافعا صوته، محدثا ضجيجا في المسجد وكأنَّ الناس في سوق، أصوات منكرة، واختلافات في القراءة، ووقفت بعدما كان بجانبي بعض الشبان، وفي طليعتهم المذكورون ارفع صوتي بتوحيد التلاوة، وأطوف أطراف المسجد وأركانه لتوزيع المصاحف، واقناع الحاضرين باللين من القول، بضرورة توحيد القراءة مع إخوانهم، حتى لا يبقى نشاز في التلاوة، وحتى نستشعر في نفوسنا أن القرآن عامل وحدة، وليس عامل تفريق.

وهكذا استطعنا والحق يقال، بعد فترة وجيزة، ان نوحد التلاوة القرآنية، ونجعل الجميع يستأنس بها، وبعد ذلك بقليل عندما فتحنا مدرسة قرآنية كنت أدرب التلاميذ فيها على مختلف الأنغام، وأحضرهم معي ومع المعلمين الذين معي صفوفا متراصة يوم الجمعة إلى المسجد، ليرفعوا أصواتهم بالتلاوة القرآنية، طبق المنهج الجديد الذي أحدثناه، والصيغ المبتكرة، التي لا تخلو من أنغام حلوة، دون أن تخل بشروط وقواعد التلاوة والتجديد.

ويجب أن أنوه هنا بالمساعدة والتأييد اللذين لقيناهما من امام المسجد بالنيابة، أخونا الفقيه العالم الشهيد السيد حّ محمد بن حّ علي عواد، فقد كان رحمه الله ينوب عن والده في الامامة والخطبة، وكان نعم العون لنا والمؤيد والنصير. كما لا يمكنني أن أنسى الدور الذي قام به بعض الاخوة الجنود المجهولون الذين ساهموا المساهمة العملية في إنجاح تنظيم التلاوة بالمسجد الأعظم والذين لا أستطيع أن أذكر بعضهم دون الآخرين حتى لا أجحف أحدا منهم، وانا أسجل هذه الفترة من تاريخ نهضتنا القرآنية، فلقد قام هؤلاء بحملة واسعة لشراء المصاحف القرآنية وإحضارها والدعوة إلى تحبيسها حتى يجد القارئون والتالون المتكاثرون مع الأيام، ما يشجعهم على التلاوة القرآنية، وينمي فيهم روح التعلق بالقرآن. ولا أنسى أيضا إخواني الأساسيين الذين كانوا عضد الجمعية التي ستنشأ بعد سنة ومسيريها وفي طليعتهم الأخ حّ احمد معنينو والأخ احمد بن اليمني والأخ محمد عواد والأخ قاسم الزهيري والأخ بنعاشر بنعبد

النبي والأخ عبد اللطيف الأحرش والأخ عثمان الأحرش والأخ محمد حصار والأخ عبد الله حجي والأخ محمد البقالي والمرحوم محمد بن المكي القادري والأخ عبد العزيز عواد والمرحوم محمد بلحسن والأخ محمد اشماعو والأخ عبد الرحمان بن عبد النبي وغيرهم كثير.

سرنا في طريقنا سنة كاملة، أصبحت نهضتنا القرآنية فيها حديث المجالس لا في سلا فحسب، ولكن في مختلف المدن المغربية، وانني لا أنسى أن كثيرا من إخواننا الوطنيين كانوا عندما تتيح لهم الظروف زيارة «سلا» يهتمون أول ما يهتمون به أداء صلاة المغرب بالمسجد الأعظم والمشاركة في تلاوة القرآن، وأذكر من هؤلاء وعلى سبيل المثال لا غير أخانا المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل الذي رأيته ذات يوم بين الصفوف وهو حامل لكتاب الله، مُتجه إلى القبلة يتلو ويتدبر ويقرأ ويتفكر.

كما أسجل هنا بمنتهى التقدير والفخر والشكر لله ان جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه عندما بلغه خبر هذا النشاط القرآني، كان يحضر للمسجد متنكرا كل التنكر، وانه لما عزم على ادخال ابنه وفلذة كبده وولي عهده مولاي الحسن إلى الكتاب القرآني داخل القصر السعيد أقام حفلا دينيا دعا إليه نخبة من العلماء والمقرئين وكانت جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا من جملة هؤلاء المدعوين فكانت ساعة كلها نور وإيمان وإعلاء لشأن القرآن.

لقد أصبح توحيد التلاوة بالمساجد مثالا يحتذي، وكانت «سلا» السباقة في هذا الميدان، كما كان مسجد «الاوداية» الذي كان يخطب فيه الفقيه السيد الصديق الشدادي من السباقين في توحيد القراءة يوم الجمعة.

مضت سنة كاملة علينا ونحن سائرون في خطنا القرآني غير مبالين بالمتقولين، ولا بالمستهزئين، وبمناسبة مرور سنة على تنظيم التلاوة بالمسجد الأعظم، قررنا الاحتفاء بذكرى مرور سنة على تنظيم التلاوة، وبينا الغرض من هذه التنظيم، ولقد كتب عما قمنا به أخونا المرحوم محمد حصار مراسلة في بعض الصحف، هذا نصها كما هو مكتوب بخطه رحمه الله وذلك تحت عنوان : «يوم القرآن الكريم» في 26 ذي الحجة سنة 1351هـ شرعت «سلا» في قراءة القرآن بالمسجد الأعظم جماعة يوم الجمعة، قبل الصلاة، بعد أن كان كل واحد يقرأه منفردا على حدة. وها قد مرت سنة على ذلك، لقيت طيلتها الشبيبة الاسلامية كل تشجيع من جميع أفراد الأوساط المغربية، وكلل الله سعيها بالنجاح الذي جعله حظا لأصحاب اليقين القوي من عباده المخلصين الذين يستهدون ضمائرهم، فيجيبون نداء الدين والوطن. واحتفالا بذكرى اليوم، وبعد ختم القرآن الكريم وصلاة الجمعة، قام الأخ أبو بكر القادري وألقى خطبة جامعة. أتى فيها على تاريخ هذه المرحلة الأولى التي قطعت وعالج فيها أسباب الضعف فينا وإهمالنا لقرآننا، وقارن ما بين حالة المسلمين سنة الهجرة وحالتهم اليوم.

ولقد كان لخطبته تأثير لا يوتي إلا لكل كلام يخرج من القلب، مدفوعا بالاخلاص. وكان آخر الخطبة نداء إلى الشعب، لتأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم استقبل بكل فرح وابتهاج، ثم أعقبه الأخ احمد معنينو بخطبة ثانية لا تقل عن الأولى تأثيرا وإخلاصا، ختمها معه الحاضرون بـ : (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) الآية بصوت تخنقه الدموع.

ولقد وجدت بين أوراقي المبعثرة، الجزء الأخير من الخطاب الذي كنتب ألقيته بتلك المناسبة بالمسجد الأعظم، والذي أشار إليه المرحوم محمد حصار، أثبته هنا تسجيلا لمرحلة مررنا بها ونحن نضع الأسس الثابتة الأولى لحركتنا الوطنية والأفكار التي كانت تشغل بالنا والأهداف التي كنا نعمل لتحقيقها. وها هو ما وجدته من الخطاب :

أيها الاخوان، لقد أصبح المسلمون اليوم وهم كما ترون، لا كلمة تجمعهم، ولا رادع يردعهم، شراذم متفرقة، وطوائف مختلفة، وأحزاب متضاربة، كل هذا وكتاب الله يناديهم أن اتحدوا، وسنة رسوله تدعوهم أن بي اعملوا، وبحبل الله اعتصموا، بعد أن كانوا في عصر النبوة، والعصور القريبة منه، متحدين، متحابين، وكان الاسلام بلغ غايته وانتشر، وظهر على سائر الأديان، فلا حكم إلا حكم القرآن ولا جند إلا جند الاسلام، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، فباءوا بالخسران المبين، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

إخواني ! ان ديننا يدعو إلى الاتحاد، يدعو إلى العمل، يدعو إلى التحابب، يدعو إلى التعاون، يدعو إلى التآخي. ولكننا افترقنا وقعدنا وتباغضنا، ولم نتعاون إلّا على المنكر، ولم نتآخ إلّا مع الارذال، فلنرجع إلى ديننا، ولنعمل بمقتضى ما يأمرنا به. يجب علينا أن نتناسى كل الاختلافات التي بيننا، ونتضم لبعضنا انضماماً مخلصاً لا رائحة فيه لسوء الظن، ونكوّن من أنفُسنا وحدة تقدر ما يراد بنا قدره، ونعمل عمل المستميت على نصر الاسلام وأهله، كما ألحُّ عليكم أن تتناسوا كل الاحقاد المستولية على القلوب، فليست مع الاخوان تكون الاحقاد، وليس هذا وقت التخالف والافتراق والتطاحن.

هذا ونبشركم بأننا سنكون جمعية للمحافظة على القرآن الكريم بمدينة «سلا» ومقصودها تعليم كتاب الله المجيد، وتوفير حفظته، والعمل على نشره بين طبقات الأمة، خصوصاً في هذا الزمن الذي قل فيه حفاظه، حتى صار الانسان يتلمس طائفة من النشء تكون حافظة للقرآن، فلا يجدها، الأمر الذي يحزن فؤاد المسلم، ويُدمى كل قلب عامر بالإيمان.

وستكوّن هذه الجمعية من سائر الطلبة العاملين المداومين على قراءة القرآن، كما سيكون فيها أعضاء شرفيون من العلماء وذوي الغيرة الدينية من سائر الطبقات.

فنبشر بهذا، المسلمين الذين يهمهم أمر كتابهم ودينهم، ونامل من كل غيور على دينه، محب لرفع مناره، حريص على المحافظة على دعائمه وبنيانه، أن يكون خير معين لهذه

الجمعية على هذا العمل النافع المجيد، لنتمكن من المحافظة على أعز عزيز لدينا، ويكثر حفاظه، وتتشبع قلوبهم بحب الشريعة الاسلامية، ليكونوا عاملين أقوياء، لنشر الدين بين الطبقات، ونرى فيهم نشأ صالحاً متمسكاً بدينه، محافظا على قوميته، وما ذلك على الله بعزيز.

كما أخبركم بأننا عزمنا على إقامة نزهة عظيمة، فرحاً بهذا الختم، وتنشيطاً للحركة، وكل شخص من الحاضرين، يمكنه أن يشترك في هذه النزهة، بعد أن يجتمع مع اللجنة المكلفة بذلك.

إخواني،

بعد يومين لا غير، نودع هذا العام المبارك، ونستقبل عاماً آخر جديداً، فندعو الله أن يجعله على المومنين سعيداً، حتى يعود لهم مجدهم الأول.

وإننا نذكر بقدومه هجرة المصطفى ﷺ، فنذكر معها مجداً تالداً، وعزاً خالداً، حيث كانت سبباً في نصرة الاسلام، وتآخي المهاجرين والأنصار، نذكر هذا فنفرح ونفخر، ثم ننظر في حال الاسلام والمسلمين الآن، فتمتلئ قلوبنا حسرة، إذ نجد المسلمين، أذلاء، مضيعين لاهين لاعبين، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم تركوا الدين الحقيقي، واتبعوا أهواءهم، فباءوا بالخسران المبين، فتوبوا إلى ربكم وأنيبوا إليه، واسألوهُ أن يصلح حالنا وحال المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يعيننا على نصرة دينه الحنيف، ويوفقنا لما فيه صلاح الاسلام والمسلمين.

كانت تجربة ناجحة لجمع الشباب حول القرآن الكريم لتلاوته وتدبره، ثم خطونا خطوة جديدة للاعتناء بسنة رسول الله، وهكذا قررنا أن نتدارس مع شبابنا الأربعين حديثا النووية، باعتبارها تحيط تقريبا بمبادئ الدين الأساسية في الاسلام والإيمان والاحسان وباعتبارها توجه الشباب في حياته العقائدية والسلوكية مع الله ومع العباد. وهكذا صار الشباب يتدارس تلك الأحاديث مرة في كل يوم خميس إثر التلاوة القرآنية، وكان يختمون قراءتهم دائما بثلاثة أبيات من قصيدة الشيخ الناصري دفين تامكروت :

يارب وافتح فتحك المبينا	لمن تولى وأعز الدينا
وانصره ياذا الطول وانصر حزبه	واملأ بما يرضيك عنه قلبه
يارب وانصر ديننا المحمدي	واجعل ختام عزه كما بدي

لقد كانت ترتج أساطين المسجد وجوانبه بأصوات هؤلاء الشبان الصغار، راجية منه سبحانه أن يوفق هذه الزمرة من المومنين التي صارت تعمل لاعلاء شأن الاسلام والمسلمين وان يفتح الفتح المبين لأمير البلاد الشاب المومن سيدي محمد بن يوسف الذي ولاه الله في تلك الظروف، ليأخذ بيد أمته، ويعلي شأنها ويعز دينها وقرآنها ولغتها.

ثم تطورت الظروف فصار الشبان يقرأون قصيدة «الناصري كلها وفيها أبيات، كلها دعاء على الأعداء بالهزيمة والاندحار مثل قوله :

وأبدل اللهم حال العُسر باليُسْر وامدُدنا بريح النّصر
واجعل لنا على البغاة الغلَبة واقصُر أذى الشر على من طلبه
واقْهَر عِدانا ياعزيز قَهْرا يفصِم حَبلهم ويُصفي الظّهرا
واعكِسْ مرادهم وخيِّب سعيهم واهزِم جيوشهم وأفسِد رأيهم
وعجّل اللهم فيهم نِقمَتك فإنهم لا يُعجزون قُدرتَك

وهكذا صارت أفكار الشباب، تتطلع لشيء آخر، غير التلاوة المجردة، وهكذا أسسنا «جمعية المحافظة على القرآن الكريم» التي جعلنا شعارها قول الله تعالى : (ان القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) لقد أسسنا الجمعية دون إذن رسمي من السلطات الاستعمارية متحدين القوانين المعمول بها، فصرنا نجتمع أسبوعيا بأحد المنازل لنوجه الشباب وندربه على الكتابة والخطابة ولنلقي عليه المحاضرات والأحاديث المتنوعة، ولنهيئه عمليا لتحمل مسؤولياته الدينية والوطنية إزاء بلاده وأمته.

كانت الاجتماعات الأسبوعية حية بالمناقشات والأحاديث والتوجيهات والأناشيد الوطنية الحماسية والقصائد الاسلامية الموجهة. مثل نشيد المرحوم مصطفى صادق الرافعي الذي يقول فيه :

ربنا إياك ندعو ربنا آتنا النصر الذي وعدتنا
اننا نبغي رضاك إننا ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
أنفُساً طاهرةً طهر الحرم تملأ التاريخ مجدا وكرم
وافيات بالعهود والذمم راقيات للمعالي والهمم
العلا ان العلا واجبات المسلم خير عالم خلا كان فينا ينتمي
للعلا فاننا أمة التقدم للعلا وهاأنا بحياتي ودَمي

إلى أن يقول :

ياشباب العالم المحمدي ينقص الكون شباب مهتدي
فأروه دينكم ليقتدي دين عقل وضمير ويد
ياشباب العزمات المبرمة عرفوا الكون العلا والمكرمة
عرفوا الكون الهدى والمرحمة عرفوا الكون النفوس المسلمة

* * *

في ضميري دائما صوت النبي آمرا جاهِدْ وكابد واتعب

صائحا غالب وطالـب واذأب | صارخا كن أباد حرا أبـي
كن سواء ما اختفى وما علـن | كن قويا بالضمير والبـدن
كن عزيزا بالعشير والوطـن | كن عظيما في الشعوب والزمن

جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المركز العام - بالقاهرة
٤٠ شارع مجلس النواب

القاهرة في أول مايو سنة ١٩٣٤

٤٠

حضرة الأستاذ الجليل أبوبكر القادري بالمكتب الإسلامي بسلا المغرب
السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقت الجمعية خطابكم بمزيد السرور والذي تبشرونه
عزمكم على إنشاء جمعية للمحافظة على القرآن الكريم ببلدكم وإنا نسأل الله تعالى
أن يسدد خطاكم وينجح مساعيكم ويجعل التوفيق رائدكم في جميع أعمالكم ومع هذا
نسخة من قانون الجمعية ومثلها من البرنامج لتتبع بمراسلتها
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
الرئيس العام
[illegible]

ولقد تقرر أن يعتبر هذا النشيد نشيدا رسميا للجمعية ومثل نشيد أحمد شوقي :

أعيـدوا مجدنـا دنيـا ودينـــا | وذودوا عن ثـرات المسلميـــن

ومثل نشيد :

في ثنايا العجاج | والتحام السيوف | بينما الجوداج | والمنايا تطوف
يتهادى نسيم | فيه أزكى سلام | نحو عبد الكريم | الأمير الهمام
ريفنا كالعرين | نحن فيه الأسود | ريفنا نحميه
طالما استعبدوا | وأذلوا الرقاب | ايها الأيد | جاء يوم الحساب
فليذوقوا الزعاف | بالربى والاسل | وليعل الهتاف | بالأمير البطل
ريفنا كالعرين | الـــخ.......

ومثل نشيد المرحوم علال الفاسي في المولد النبوي :

أيها المسلم فخرا بالنبي المصطفى | كلما احييت ذكراه حُبيت الشرفا

إلى غير ذلك من الأناشيد الوطنية الحماسية والاسلامية الموجهة : وتنويعا في أسلوب التوجيه والتحبيب والتآلف كنا نقيم «نزهات» بمناسبة فصل الربيع أو الصيف، تكون هي بدورها أسواقا أدبية وتجمعات ثقافية وطنية، ويزورنا أحيانا إخواننا في الرباط مثل الأخ اليزيدي وصحبه وغيرهم.

سرنا في طريقنا على هذه الوتيرة سنة .كاملة، ثم رأينا أن نخطو خطوة جديدة في التنظيم والأحكام فقررنا أن نضع قوانين لجمعيتنا ونمتن علاقاتها مع أخواتها في الشرق العربي وبالأخص في القاهرة وهكذا كتبت رسالة لرئيس الجمعية بالقاهرة الأستاذ علي بك حسن المهندس أخبره فيه بتأسيسنا للجمعية، وأطلب منه أن يمدنا بقوانين جمعيتهم وبرامج أعمالها لنستنير بها، وهكذا تلقيت منه الجواب الآتي : القاهرة في أول مايو 1934.

حضرة الأستاذ الجليل أبو بكر القادري بالمكتب الاسلامي بسلا المغرب، السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد تلقت الجمعية خطابكم بمزيد السرور، والذي بينتم فيه عزمكم على إنشاء جمعية للمحافظة على القرآن الكريم ببلدكم، وانا نسأل الله تعالى أن يسدد خطاكم، وينجح مسعاكم ويجعل التوفيق رائدكم في جميع أعمالكم، ومع هذا نسخة من قانون الجمعية، ومثلها من البرنامج المتبع بمدارسها.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام. رئيس الجمعية علي بك حسن المهندس. تزايد الاقبال على الانخراط في الجمعية، وكان لا يقبل أي عضو جديد حتى يتدارس طلبه المجلس الاداري المسؤول. وهكذا عم صيتها مدينة «سلا» وصار يقبل على الانخراط فيها بعض شباب الرباط، فانخرط فيها عمليا السيد محمد ملين والسيد محمد الرجراجي والسيد المهدي بن بركة والسيد العربي ملين والسيد عبد الله ملين وأبناء البحراوي وغيرهم من الشباب الرباطي المتيقظ والذي لعب دوره في الحياة الثقافية والسياسية في المستقبل. وكانت تحت يدي الرسالة التي وجهها لي الشاب المهدي بن بركة يطلب فيها الانخراط في الجمعية وجاء في توقيعها : المهدي بن بركة خديم الاسلام والمسلمين.

لقد كان تسيير الجمعية يسير بطريقة ديموقراطية، ففي الجلسة الأولى النظامية اقترحنا أن يتولى رئاسة الجمعية شرفياً الشهيد الفقيه الخطيب الحاج محمد عواد باعتباره إماما للمسجد وخطيبا له .ولكن لم تطل مدة رئاسته لظروفه الخاصة، فتكون المكتب الجديد على الشكل التالي :

الرئيس : أبو بكر القادري

خليفة الرئيس : ج احمد معنينو

الكاتب : محمد اشماعو

خليفة الكاتب : محمد البقالي

الأمين : أبو بكر السماحي

خليفته : عثمان الاحرش

قيم الخزانة : عبد العزيز عواد

نائبه : بنعاشر بنعبد النبي

العضوان المستشاران : محمد عواد وقاسم الزهيري

ولكن هذا المكتب لم يدم طويلا فأعيد الانتخاب مرة أخرى، وكانت النتيجة الانتخابية كمايلي :

الرئيس : أبو بكر القادري

خليفته : محمد اشماعو

الكاتب : محمد البقالي

خليفته : قاسم الزهيري

الأمين : أبو بكر السماحي

خليفته : عثمان الاحرش

قيم الخزانة : عبد العزيز عواد

خليفته : بنعاشر بنعبد النبي

مستشار : عبد الرحمان بن عبد النبي

وبمناسبة انتخاب المجلس الاداري الجديد ومرور ثلاث سنوات على تنظيم تلاوة القرآن بالمسجد، قررنا إقامة حفل ثقافي هام نستدعي له زيادة على المتعاطفين مع الجمعية من السلويين، نخبة من الوطنيين من مختلف المدن المغربية، وهكذا انتخبت لجنة للتهيئ لهذا الحفل كان أفرادها خمسة هم : أبو بكر القادري ــ محمد شماعو سعيد حجي ــ أبو بكر السماحي. عثمان الاحرش ــ وترأس اللجنة المرحوم سعيد حجي، فتقرر أن تقام هذه الحفلة بمكان يسمى ظهر الخندق بسلا يوم الأحد 28 ذي الحجة 1354 وتكلف بعض الأعضاء بإلقاء كلمات في الموضوع، وكتبت اللجنة التحضيرية للشخصيات المدعوة من سلا وغيرها من المدن، ووقع التحضير لاستقبال المدعوين من مختلف المدن المغربية، ووصلت عدة كلمات كانت ستلقى في الاحتفال.

وهكذا لم يصل الموعد المقرر حتى كان المكان المعد للاحتفال مهيأ أحسن تهيىء، وصرنا ننتظر وصول المدعوين الضيوف ولكن الادارة الاستعمارية كانت لنا بالمرصاد، فلقد ارتاعت أعظم ارتياع من هذا التهيىء، خصوصا عندما علمت باستدعاء شخصيات وطنية من مختلف أنحاء المغرب، وهكذا استدعاني باشا المدينة. كما استدعى الاخوة : محمد اشماعو وسعيد حجي واحمد معنينو وخاطبنا قائلا : ماذا أنتم عازمون عليه ؟ فأجبته بأنه بمناسبة مرور ثلاث سنوات على تنظيم تلاوة القرآن بالمسجد الأعظم قررنا أن نقيم حفلا استدعينا له بعض اخواننا المتعاطفين معنا في هذا العمل المشكور، فخاطبني قائلا : ان الحفل ممنوع، وليس لكم الحق في إقامته، فأجبته : ليس من حق أي أحد أن يمنعنا من الاحتفال بالقرآن الكريم، وافترقنا على هذا بعدما أكدنا أننا نتحمل مسؤولية كل ما يقع. ونفس الكلام واجه به الاخوة الآخرين الذين استدعاهم.

لقد كنا متحمسين أكبر حماس لحفلنا الذي أسميناه «نزهة» ولذلك لم نرضخ للعراقيل التي أرادت، الادارة الاستعمارية أن تجعلها أمامنا بمنعنا من الاحتفال، ولذلك سرنا في طريقنا غير مبالين بتهديد الباشا، فاستدعاني للمرة الثانية، فأجبته بأن القضية إسلامية والاحتفال ديني، وليس من حق الادارة أن تتدخل في شؤوننا الدينية بمقتضى معاهدة الحماية نفسها، وانني أغتنم هذه الفرصة لاستدعائه للمشاركة معنا في هذا الحفل الديني.

مضينا نحن في طريقنا والادارة تضرب الأخماس في الأسداس، قصدنا ظهر الخندق حيث كانت سرادقات متسعة مضروبة هناك مطلة على وادي أبي رقراق. وهكذا صار الأعضاء يتواردون جماعات ووحدانا، وابتداء من الساعة الثانية بعد الزوال صار الضيوف يصلون من مختلف المدن المغربية : الرباط ـــ فاس ـــ مكناس ـــ الدارالبيضاء ـــ القنيطرة ـــ الجديدة ـــ وقلعة السراغنة، وبلغتنا اعتذارات من مولاي بوشعيب وتطوان، وبعد الغداء للضيوف ابتدئت الحفلة على الساعة الرابعة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تلاها الأخ محمد البقالي ثم أخذت الكلمة بعده لالقاء كلمة الأخ المرحوم علال الفاسي في موضوع القرآن الكريم، فكانت الكلمة تقاطع بالتكبير والتصفيق، واكتفينا بكلمة علال نظرا لأسباب سأتحدث عنها ثم صار الشباب يردد الأناشيد الوطنية أعقبها الجوق الموسيقي تحت رئاسة الفنان البارودي يشنف الاسماع بنغماته.

حضر هذا الاحتفال نحو أربعمائة شخص، وكان من جملة الحاضرين الاخوة : علال الفاسي واحمد بلافريج ومحمد اليزيدي، كما كان من المفروض أن تلقى عدة كلمات سواء من أعضاء الجمعية أو من الضيوف الذين لبوا دعوتنا وحضروا كلماتهم معهم. ولكن الظروف التي جدت في ذلك اليوم بالذات جعلت إخواننا علال وبلافريج واليزيدي يقترحون علينا أن لا نوتر الموقف لدرجة الانفجار، فلقد صادف الحال أنه في ذلك اليوم وقعت مناوشات خطيرة بين بعض الفرنسيين ولعلها ان لم تخنِّي الذاكرة الحوادث التي أعقبت حوادث 5 فبراير التي وقعت فيها مصادمات بين حزب الصليب النازي وأحزاب اليسار الفرنسي، فكانت الادارة منزعجة، وأحضرت بعض قواتها لمحاصرتنا خشية أن تقع أحداث، وبلغ إخواننا أنه توجد بعض القوات قريبة منا توشك أن تتدخل إذا زاد الموقف توَتُّرا ولذلك ينبغي أن نختصر ما أمكن حتى لا نعطيهم حجة للفتك بالناس، وتفريقنا بالقوة.

لم يسعنا بعد المناقشة مع الاخوان الّا أن نخضع لرأيهم. وهكذا اكتفينا بإلقاء كلمة «الأخ علال» وحدها وألقيتها بالنيابة عنه، معتذرين بعد ذلك للاخوان الذين تكبدوا مشاق السفر، ولم يلقوا كلماتهم، وكيفما كان الأمر، فلقد نجحنا بعض النجاح ان لم يكن النجاح كله، فلقد كان هم الادارة الفرنسية أن تمنعنا من إقامة الحفل كلية، ولكننا تحديناها وان لم نكمل تحدينا.

والواقع أنه كان أول اجتماع من نوعه أيضا، لا من حيث روحُه ودوافعه وتنظيمه، ولكن من حيث الشخصيات الحاضرة فيه والفكرة التي كان يرمز إليها أيضا.

لقد بلغنا ونحن في الاجتماع أن الادارة استدعت أرباب الحرف والمقدمين وأنذرتهم إن شاركوا معنا في احتفالنا، وكلفت الأمناء والمقدمين أن يطوفوا على الناس لينذروهم ويخوفوهم ان شاركوا معنا، ولكنا مع ذلك انتصرنا عليهم، وإن لم نحقق كل ما نطمح إليه، وما أعددنا له عدتنا.

وفاة العضو الأخ محمد حصار

من الفواجع الهامة التي أصيبت بها الجمعية فقدانها لعضو من أعضائها النشيطين الأبرار الشاب الوطني الشهم السيد محمد حصار فلقد انتقل هذا العضو إلى جوار ربه يوم سابع جمادى الثانية 1355 الموافق ليوليوز 1936 بعد مرض عضال لم ينفع فيه علاج، فكان موته خسارة كبرى لا للجمعية فحسب ولكن للوطن كله.

لقد كان حصار رمزا للعمل والحركة والشجاعة والاقدام، ومثالا لطيبوبة القلب ونكران الذات، وأذكر أنه أثناء زيارتنا الأخيرة له وهو على فراش الموت، طلب مني أن نتلو عليه قول الرب سبحانه في محكم كتابه : (الله نور السماوات والأرض) الآية : كما أنه رحمه الله، دعا والده إليه وهو في ساعة الاحتضار وأوصاه بأربع وصايا رجاه أن لا يخالفها.

الوصية الأولى : أنه إذا قضى الله بانقضاء أجله، فالذين يسهرون على تجهيز جنازته جميعها إلى أن يحشر في قبره هم إخوانه الوطنيون وحدهم دون تدخل من العائلة أو غيرها.

الوصية الثانية : ان يكفن في ثياب وطنية، نسجت بأيد مغربية وأن يجعل في تابوت خشبي ليس فيه ولا مسمار أجنبي.

الوصية الثالثة : أن تشيع جنازته صامتة، طبقا للسنة النبوية.

الوصية الرابعة : أن يدفن في المقبرة العمومية ضمن جماهير المسلمين.

ولقد طبقنا وصيته بالحرف، وشيعت جنازته صامتة إلى مقبرة باب «معلقة» حيث دفن قريبا من ضريح سيدي أبي المجراد السلوي صاحب «الجمل» بضم الجيم)، واشارة لهذه الوصايا أشار الشاعر العلامة المختار السوسي في قصيدته التي رثاه بها فقال :

فأوصيت لكن لست توصي بثروة	وهل يسر الانفاق في الله من ذخر
وعند الوصايا يدرك الناس ما الذي	يسر ووقت النزع مفتضح السر
فأعلنت أن لا نسج ترضاه حلة	تلاقى بها الأملاك في الحلل الخضر
سوى مغربي النسج والنول والسدى	جلته الأكف المغربية بالقصر



الأخ محمد حصار في آخر مرضه بمكناس.
الجالسون من اليمين : الحاج أحمد معنينو، محمد حصار، أبو بكر القادري.
الواقفون من اليمين : محمد عواد، محمد معنينو، عمر بن سعيد.

وان لا يرى التابوت من غير سرحة نما جذلها في تربة المغرب الحر
وما لمست إلا يدا وطنيـــــة لدى النشر والتسمير والخرط والنجر
وان يجعل التجهيز من جيب فتية دروا لك بين الناس مالك من قدر
فلا خير في تجهيز أهلين قابلــــوا جهادك ياحصار في الله بالكفر
وان لا يسير النعش إلا وفاق مـــا يسير زمان المصطفى وأبي بكر
بلا جلبات صوتها بلغ السمـــا كما تجار الأطيار يدعون بالنسر
وان لا يكون الرمس إلا بمدفـــن تساوي لديه ذو الثراء وذو الفقر

ولقد أبَّنه على القبر كل من الأستاذ عبد الرحمان حجي باسم الأدباء الذين كان من جملة أفرادهم، والأستاذ ﺗ احمد معننو باسم الجمعية والأستاذ المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل باسم كتلة العمل الوطني التي كانت تعتبره من الشباب الوطني الذي قدم خدمات لصالح بلاده.

وبعد مضي أربعين يوما على وفاته، أقامت الجمعية حفلة تأبينية خاصة للفقيد أبنه فيها الاخوة : أبو بكر القادري، محمد البقالي قاسم الزهيري، عبد العزيز عواد، عثمان الأحرش، محمد الزيزي، أبو بكر السماحي، عمر بنسعيد، عبد الرحمان بنعبد النبي، احمد شماعو، محمد العزوزي، سعيد حجي.

ثم قررت الجمعية بتلك المناسبة أن تمنح الفقيد العزيز وساما، دعته «وسام الفخار» وها نصه :

تعترف جمعية المحافظة على القرآن الكريم لفقيدها المرحوم محمد حصار :

أولا : بالبطولة والزعامة الخالدتين

ثانيا : بالوطنية الصادقة والثبات على المبدأ القويم

ثالثا : بالاخلاص لاخوانه والتفاني في خدمة صالحهم

رابعا : بالجرأة والمواقف الحازمة

فهي تشكره ميتا على هذه الخصال جميعها من أعماق فؤادها، وتطلب منه تعالى أن يجدد عليه الرحمات، ويسكنه فسيح جناته والسلام.

ومما يجب أن يسجل هنا أن المراقبة المدنية الفرنسية رفضت السماح بإقامة حفل تأبيني عام للفقيد كما هددت والد الفقيد وأخاه بأنهما إذا ساعدا أو شاركا في هذه الحفلة فإنهما يعتبران خارجين عن النظام. ولقد استطعت الحصول على الرسالة التي بعث بها المراقب الفرنسي إلى باشا المدينة. هذا نصها بالحرف :

إلى المحترم الأجل الفقيه العلامة المبجَّل الباشا الوجيه الأفضل السيد ﺗ محمد الصبيحي،

بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته، فتبعا للمذاكرة التي سلفت بيننا في شأن الموكب الذي يريدون إقامته أناس (معروفين) بحركتهم السياسية ضد الدولة الفرنسوية وذلك بمناسبة مرور الأربعين يوما على وفاة السيد محمد حصار، وذلك بتاريخ رابع شتنبر المقبل، أتشرف بإعلامكم بأنه حسب الاستعملامات التي حصلت عليها فإن اللجنة التي أسست لذلك تتركب من السيد أبي بكر القادري رئيسا والسيد سعيد حجي كاتبا، والسيد محمد اشماعو والحاج احمد معنينو والسيد محمد البقالي والسيد عبد العزيز عواد أعضاء لها.

وقد وقعت المخابرة مع جناب رئيس الناحية بأن لا تقع مظاهرات سياسية على الذي وقع أخيرا بمناسبة مرور السنة على المحافظين على القرآن الكريم، واجتنابا لجميع المخالفات التي تنشأ من سوء عاقبة من يهمه ذلك، فاني أطلب منكم أن تتمشوا حسبما يأتي وهو ان تستدعوا الأناس (المذكورون) آنفا لمحكمتكم بمحضري وتخبرهم بأنه ممنوع منعا كليا أي مظاهرة كانت، كإلقاء الخطب والتجمهر والاستظهار بالاعلام، ولا يرخص إلا لموكب النعي حسب العادة المألوفة التي تقتصر على قراءة القرآن وتوزيع الصدقة على الفقراء، كما نطلب منكم أن تستدعوا مع من ذكر الناظر وابنه الذين هم والد وأخ المتوفى ومستخدمي الحكومة لنعرفهما بأن وقوفهما وهيأتهما يدلان على موافقتهما لذلك، والحال ان ذلك ليس هو في الحقيقة تأبين المتوفى ولكنه استظهار بأفكار سياسية.

وفي الختام أرغب من جنابكم، تعريفي بالتاريخ والساعة التي تجمع فيها هذا الجمع والسلام[1].

في : 19 غشت سنة 1936 ثم الطابع وبداخله العدلية الشريفة والتوقيع (أبادي) وهو المراقب المدني الفرنسي.

ومن الأحداث التي وقعت في هذه السنة استقالة بعض الأعضاء الأساسيين منها، لخلافات كانت تقع بينهم، وأحيانا لدواعي خارجة عن الجمعية، ومنهم الحاج أحمد معنينو والسيد محمد اشماعو الذي شرع منذ ذلك التاريخ، يخط سياسة خاصة به سواء في المجال السياسي أو غيره، ولقد جاء في استقالته مايلي بالحرف : محمد اشماعو يعترف بأن الجمعية شخص مستقل محترم، باعتبار كونه جماعة حرة نيابية، ومحمد اشماعو كان عضوا من أعضائها عندما كانت تسمح له حالته الشخصية بذلك. وحيث أن محمد اشماعو قد اختار شخصية أخرى لحياته العملية، فهو يرى أن هذه الشخصية لا تسمح له بالبقاء في عضوية الجمعية.

---

(1) للتعرف على شخصية المرحوم حصار راجع ما كتبته عنه في مؤلف خاص جعلت عنوانه : محمد حصار : ترجمته ـــ إنتاجه ـــ ما قيل في رثائه.

EMPIRE CHÉRIFIEN

PROTECTORAT FRANÇAIS

CONTROLE CIVIL

DE SALÉ

الإيالة الشريفة

الحماية الفرنساوية

المراقبة المدنية

بسلا

عدد 4 الحمد لله وحده

إلى المحترم الأجل الفقيه العلامة المبجل الباشا الوجيه
الأفضل السيد الحاج محمد الصبيحي بعد السلام التام
عليكم ورحمة الله وبركاته فتبعا للمذاكرة التي سلفت بيننا في شأن الموكب الذي يريدون أن يقيمه أناس
معروفون بحركتهم السياسية ضد الدولة الفرنسوية وذلك بمناسبة مرور الأربعين يوما على وفاة
السيد محمد حصار وذلك بتاريخ رابع شتنبر المقبل. أتشرف بإشعاركم بأن حسب الاستعلامات التي حصلت
عليها أن اللجنة التي أسست لذلك تتركب من السيد أبو بكر القادري رئيسا والسيد سعيد حجي كاتبا.
والسيد محمد اشماعو. والحاج أحمد معنينو. والسيد محمد الجفالي. والسيد عبد العزيز عواد أعضاء لها
وقد وقعت المذاكرة مع جناب رئيس الناحية بأن لا تقع مظاهرة سياسية على الشكل الذي وقع أخيرا بمناسبة
مرور السنة على المحافظين على القرآن واعتبارا بجميع المخالفات التي تنشأ من سوء عاقبة من أجل ذلك
جئنا نطلب منكم أن تستدعوا حسبما يأتي وهو أن تستدعوا الأناس المذكورين أعلاه لمحكمتكم بقصد
وتخبرهم بأنه ممنوع منعا كليا أي مظاهرة كانت كإلقاء الخطب والتجمهر والاستظهار بالأعلام ولا
يخرج الموكب إلا حسب العادة المألوفة التي تقتصر على قراءة القرآن وتوزيع الصدقة على الفقراء كما
نطلب منكم أن تستدعوا مع من ذكر الفاطمي وابنه الذين هما والدا المتوفى ومستفيدين من الحكومة لتعرفوهما
بأن وظيفتهما وحياتهما تتوقف على موافقتهما الآن والحالة أن ذلك ليس هو في الحقيقة تأبين المتوفى وإنما
استظهار بأفكار سياسية وفي الختام أرغب من جنابكم تعريفي بالتدابير الصارمة التي تتخذونها في هذا الجمع
والسلام في 19 غشت سنة 1936

قوانين الجمعية

يجب أن أسجل هنا أن جمعيتنا لم تتقدم أبدا للسلطات العامة بالاعتراف بها، لأننا كنا سلفا مومنين بأن طلبنا ستكون نتيجته الرفض، ولذلك كنا نجتمع متحدين للقوانين، متذرعين بأن الجمعية دينية، وليس من حق السلطات أن تتدخل في الشؤون الدينية ولكنا مع ذلك، وبعد اتصالنا بجمعية المحافظة على القرآن الكريم بمصر وضعنا قوانين للجمعية، سرنا على ضوئها، منتظرين الوقت المناسب لتقديمها للسلطات المختصة أو إذا ما دعت الضرورة لذلك.

وها هي بعض الفصول من القوانين التي وضعنا وهي مقتبسة من قوانين جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة.

الفصل الأول : الجمعية ومقاصدها.

المادة الأولى : أسست (بسلا) بالمغرب الأقصى جمعية باسم جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

المادة الثانية : الغرض من هذه الجمعية هو الدفاع عن كتاب الله الكريم، والقيام بتعليمه حفظا وتجويدا، وذلك :

أ) بإنشاء مدارس

ب) بالسعي لدى مندوبية المعارف ووزارة الأوقاف، ولدى المعاهد الدينية وولاة الأمور وهيآت التعليم الاسلامية في جعل القرآن الكريم مادة أساسية في مناهج التعليم بالمدارس وفي الامتحانات العامة المغربية.

ج) باتخاذ الوسائل المؤدية إلى تحبيب الشعب وترغيبه في حفظ القرآن الكريم والمحافظة عليه.

د) ومن أغراض الجمعية هذه أيضا، بث الآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة، والسعي لانارة الأفكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر.

المادة الثالثة : مركز الجمعية موقتا : منزل الرئيس.

المادة الرابعة : الجمعية دينية إسلامية محضة، ولا يجوز تحويل صبغتها إلى غرض سياسي أو إلى أي غرض آخر.

الفصل الثاني : أعضاء الجمعية

المادة الخامسة : تتألف الجمعية من أعضاء عاملين، وأعضاء مؤازرين.

المادة السادسة : يشترط في العضو العامل أن يكون مسلما حسن السيرة، طيب السمعة، بالغا سن الرشد، والا فيلزمه الاستظهار بإذن مكتوب من والديه أو المقدم عليه.

المادة السابعة : يجب فيمن يطلب الانضمام إلى الجمعية أن يزكيه اثنان على الأقل من أعضائها، ويبقى مع ذلك لمجلس الادارة الحق في قبوله، أو رفضه، وطلب الانضمام في سلك الجمعية يقدم إلى رئيسها، مبين فيه اسم الطالب ومحل إقامته ووظيفته أو حالته المشهور بها، ونوع العضوية التي يريدها.

المادة الثامنة : تفقد العضوية :

أ) باستعفاء العضو.

ب) بحكم مجلس الادارة بإسقاط العضو من الجمعية.

ت) بحكم الجلسة العمومية بطلب من مجلس الادارة على العضو بالطرد، لصدور حوادث خطيرة منه، بعد استدعائه ودفاعه عن نفسه شفاهيا وكتابة.

المادة التاسعة : الاستعفاء والاسقاط والطرد، لا يخول العضو استرجاع أي مبلغ كان من الدراهيم التي أداها للجمعية من قبل.

الجمعيـــة العموميـــة

المادة العاشرة : تتألف الجمعية العمومية من جملة الأعضاء العاملين وتنعقد في خلال الأسبوع الأول من شهر محرم في كل عام، أو في غير هذا الميعاد، إذا اقتضت الحال انعقادها.

المادة الحادية عشرة : تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة نافذة إذا تكامل في أول اجتماع لها ــ بعد دعوتها إليه ــ ثلثا الأعضاء فإذا لم يتكامل هذا العدد، تأجل انعقادها أسبوعين، وعلى رئيس مجلس الادارة أن يجدد الدعوة إلى هذا الاجتماع الثاني قبل ميعاده بأسبوع على الأقل، وحينئذ تكون كل قراراتها صحيحة نافذة مهما كان عدد الحاضرين من الأعضاء.

ويتحدث الفصل الرابع عن مجلس الادارة وعدد أفراده وكيفية انتخابه وشرعية قراراته ومهمة الرئيس وبقية الأعضاء.

ويتحدث الفصل الخامس عن مالية الجمعية وعن مواردها وعن كيفية التصرف في الأموال التي في ملك الجمعية.

أما الفصل السادس فيتحدث عن النظام الداخلي للجمعية وكيفية تكوين لجانها المختصة إلى آخره.

حيـــاة الجمعيـــة

لقد استمر نشاط الجمعية منذ تكوينها إلى حدود سنة 1357 حيث وقع اعتقالنا إثر أحداث سنة 1937، ومنذ ذلك الحين بقي عملها مقتصرا على تنظيم القراءة بالمسجد، ولازال أفراد منها يؤدون دورهم إلى الآن، ولا تزال بعض محاضر جلساتها موجودة تحت يدي في الدفتر الذي كنا خصصناه لذلك.

وآخر مجلس إداري للجمعية وقع انتخابه كان على الشكل الآتي :

الرئيس : أبو بكر القادري

خليفته : عبد العزيز عواد

الكاتب : محمد البقالي

خليفته : عبد الرحمان بن عبد النبي

أمين الصندوق : أبو بكر السماحي

خليفته : عثمان الأحرش

أمين الخزانة القرآنية : بنعاشر بنعبد النبي

أمين الخزانة العلمية : محمد عواد

العضوان المستشاران : قاسم الزهيري وعبد الله معنينو

ولقد سجل الكاتب بالنيابة المرحوم عبد الرحمان بن عبد النبي هذه الكلمات لدى شروعه في كتابة محاضر الجلسات بالدفتر العام، أثبتها كما هي مثبتة بخطه رحمه الله : قال : الفلك يدور وتنتهي السنة، ويستمر المحافظون[1].

(دأب المحافظة أن تحافظ على دينها ووطنها وقوميتها) وبعد أن يتحدث على نشاط الجمعية في الماضي والاهتمام بتسييرها يقول : وفكرة تسيير الجمعية الأدبي كان يشغل بالهم (أي المسؤولين) كثيرا، فطالما كان هذا الحديث مثارا لهم طيلة الجلسة، إلا أنه ويالأسف — كان الحديث ينتهي في شيء من القلق، لأنهم كانوا يرون كثيرا من الأعضاء لا يهتمون بالحضور، لذا كان الحديث ينتهي في شيء من القلق والقنوط، وخصوصا الرئيس، فإنه كان يلقي هؤلاء المتهاونين ويلومهم بلطافة، ولكن رغما عن ذلك، كان كأنه ينفخ في رماد، وفي

---

(1) انظر نص ما كتبه المرحوم ابن عبد النبي بخطه في دفتر محضر جلسات الجمعية.

أعضاء مكتب جمعية المحافظة على القرآن الكريم :
الجالسون من اليمين : قاسم الزهيري، أبو بكر القادري، محمد البقالي
الواقفون : عثمان الاحرش، عبد العزيز عواد، أبو بكر السماحي، محمد عواد.

آخر السنة أظهر المجلس وخصوصا الرئيس استياءه لهذه القضية حتى اضطر أن لا يقبل عودته إلى منصب الرئاسة في الانتخابات وفعلا لدى الشروع في الانتخابات، قام وامتنع أن يحل في هذا المنصب قال : إن الظروف الحالية لا تسمح لي بالبقاء رئيسا على المحافظة على القرآن الكريم، هنا وقف الأعضاء حيارى، لأن الموقف حرج جدا، خصوصا وعندهم الثقة بالأخ المذكور، لأنهم لم يمنحوه ذلك حتى عرفوا فيه كل شيء، وازداد دهشهم، حينما رأووا أن الرئيس يتكلم عن عقيدة وعن شيء يغضبه في الجماعة ثم يقول : وبعدما أكد لهم الرئيس أنه لا يستطيع أن يترأس على أعضاء لا يقومون بواجبهم، ولا يريد أن يتحمل مسؤولية أفراد متهاونين، صرح جميع الأعضاء أنهم كانوا متهاونين لكنهم أعلنوا أمامه وإليه طبعا أنهم من الآن سيقومون بالواجب ولا يتغيبون وأظهروا إلحاحهم أن لا يقبلوا رئيسا، آخر، وأنهم وضعوا فيه ثقتهم. ثم يقول : هذا التأثر الذي ظهر على الأعضاء، وهذه الوعود التي وعدوا بها الرئيس، جعلت الأخ يتخلى عن رأيه فقبل، ولما علم الأعضاء قبوله، خرجوا فرحين مسرورين).

وقفة تقييمية

لابد قبل المضي في تسجيل الأحداث الوطنية التي عشناها أو شاركنا في صنعها، لغاية سنة 1933 لابد من وقفة قصيرة، نلقي فيها نظرة على مواقف بعض الاخوة الوطنيين من الأحداث في تلك الظروف فبعد رجوع المنفيين الذين نفوا إثر حوادث ظهير 16 ماي 30 صارت الاتصالات تتوالى بين قادة الحركة الوطنية في كل من الرباط وسلا وفاس، للدفع بالحركة إلى الأمام، وللقيام بأعمال إيجابية لصالح القضية الوطنية بصفة عامة فكانت فكرة إصدار جريدة «العمل» التي اقترحها أولا عبد اللطيف الصبيحي، وتقدم بطلب الاذن بإصدارها هو والأخ محمد اليزيدي ولكن الادارة الفرنسية مانعت في السماح بها، فاقترح الصبيحي أن يذهب إلى فرنسا للاتصال هناك واقناع المسؤولين الفرنسيين بضرورة السماح بالصحافة، ولكن أصدقاءه لم يوافقوا على اقتراحه مؤكدين أن وجود الاخوة بباريس وفي طليعتهم بلافريج كاف في ترداد الصدى، والقيام بالاتصالات اللازمة. ولكن الذي تجلى لي في الواقع أن اتجاهات عبد اللطيف الصبيحي وطريقة تفكيره تختلف كل الاختلاف عن اتجاهات أصدقائه وانه يندفع في تفكيره بعض الاندفاع، ويريد أن يفرض رأيه بطريقة أو أخرى الأمر الذي لا يستسيغه أصدقاؤه بمن فيهم السلاويون، كما أنني وقد كنت أتصل باستمرار بالأخ اليزيدي ـــ ألاحظ وحدة تفكيره مع الاخوة الفاسيين، وتحفظه الشديد في اتخاذ القرارات دون أخذ رأيهم، الأمر الذي كان يدلني

على أن هناك وحدة عمل فيما بينهم، اما نحن بسلا، فكنا نتخذ قراراتنا داخل جماعتنا إن كان الأمر يتعلق بقضايا جزئية، أما في القضايا العامة فقد كنا لا نأنف من التضامن والتشجيع والتأييد لأخواننا وهكذا عندما صدرت جريدة «عمل الشعب» كنا من المتحمسين لتأييدها، وعندما دعينا لعقد اجتماع بمناسبة ذكرى «مغرب» لبينا دون تردد. لقد كنا نشعر أننا جزء من كل، وان حركتنا لابد أن تسير في طريق الوحدة والاندماج، خصوصا وقد كانت «فاس» إذذاك المركز الحيوي للعمل الوطني باعتبار من فيها من الشباب الحي المتيقظ، وباعتبار من فيها من المساندين المتمولين الذين لابد من مساندتهم ومعونتهم لدى القيام بأي مشروع وطني، كمشروع إصدار مجلة أو جريدة مثلا، لقد صار الفكر الوطني يخطو، وصرنا نشعر أن مهمتنا كوطنيين شبان، ليس محصورة في القيام بمناهضة السياسة البربرية فحسب، ولكنها تتعدى ذلك إلى مناهضة الاستعمار من حيث هو، سواء في مجال التعليم أو الفلاحة أو السياسة العامة أو القضاء أو الادارة أو غير ذلك، وهذا يقتضي منا وحدة فكرية ستتلاقى شيئا فشيئا. أما عبد اللطيف ومن على شاكلته فقد كان يسبح في مجالات أخرى لم نكن نستطيع أن نتبين كنهها والواقع أن عبد اللطيف الصبيحي تجلت زعامته دون ريب في مكافحة السياسة البربرية، ولكنه ــ نظرا لطبيعته ــ لم يكن مهيأ للاستمرار في قيادة السفينة الوطنية مستقبلا نظرا لنزعته للفردية أولا وعدم استعداده للسير قدما مع آراء غيره ثانيا، ولاندفاعاته في بعض الآراء التي لا يوافقه عليها غيره ثالثا، وهذا ما خبره فيه من عملوا معه في ميدان التمثيل عندما كان رئيسا للجوق التمثيلي السلوي، وهو ما لاحظته فيه رحمه الله، بعدما تعرفت إليه عن قرب بعد رجوعه من المنفى، ان شخصيته القوية، وثقافته الواسعة وطبيعته التي خلقه الله عليها، كل ذلك جعل منه شخصا خلق ليعمل بمفرده، عندما يرى بنفسه داعيا يدعوه إلى العمل، ولذلك فإنه لم ينضم في يوم من الأيام لجماعتنا السلوية، كما لم ينضم للجماعة الوطنية الكبرى، في فاس والرباط، لقد كانت علاقتنا معه طيبة للغاية، ولكنها دائما في حد محدود.

كنا نجتمع باستمرار للمذاكرة والمناقشة في القضايا الوطنية وكنا متصلين باستمرار كذلك بالسعيد حجي في الشرق العربي الذي كان ممثلا لجماعتنا، ورافعا لصوتنا هناك، فكنا نزوده بالمعلومات عن الحالة بالمغرب، ونعهد إليه بالقيام بالدعاية للقضية الوطنية بالكتابة في الصحف والمجلات وفضح ما يقوم به الاستعمار الفرنسي من مخازي في بلادنا، كما كنا نزوده ببعض ما يتيسر لنا جمعه من مال، حتى يستطيع أن يواجه المصاريف التي يتطلبها القيام بالدعاية للقضية الوطنية وان الرسائل المتبادلة فيما بيننا خلال الفترة : 1932ــ1933 تثبت أن مجال تفكيرنا تطور تطورا محسوسا، وان اهتماماتنا صارت مسلطة على كثير من القضايا التي تهم مستقبل البلاد. وهذه رسالة وردت علي من «السعيد» مؤرخة بـ 4 فبراير 1933 تعطي صورة ولو مختصرة عن اهتماماتنا في تلك الظروف قال السعيد :

أخي العزيز القادري

سلاما وتحية. وصلني كتابك المؤرخ في 16 من الشهر الماضي وقرأته بإمعان تام واستفدت منه كثيرا.

1) تجد للأخ الحاج رسالة مفصلة باسمه. فصلت له فيها كل المسائل المهمة، فلتقرأه معه، بل لتدرساه باعتناء واهتمام، ولتعملا بمقتضاه.

2) أما المشروع الذي كنت عازما على عرضه على الأخوان بمصر فقد تأخر الآن، وهو عبارة عن أن أرسل إليك كل ما ينشر عن المغرب، وأنت تقوم بجمعه وترتيبه إلى حين رجوعنا، وعلى كل فإن اعداد الجامعة الاسلامية التي فيها رسالة المغرب، سيصلكم عددان منها. أما بقية ما ينشر عن المغرب، فسأسعى كثيرا لكي أرسل لك ما أستطيع وكذلك أرسل إليكم مجلة «العرب» أسبوعيا.

3) أما التقرير الذي أكتبه، فهو طويل الذيل، يتناول المسائل الآتية :

1) تمهيد.

2) تطورات الروح الوطنية في المغرب.

3) القضية البربرية ــ مفرعة إلى ستة أقسام.

4) السياسة التجهيلية ــ يتفرع إلى سبعة أقسام.

5) سياسة الافقار أي المسائل الفلاحية ومصائب الفلاح المغربي وغير ذلك مما يطول شرحه.

6) حرية الرأي والاجتماع.

7) سياسة الظلم وفقدان العدالة.

8) سياسة الاستيلاء وأخطارها.

9) خلاصة ما هو مصير المغرب ؟

هذه مواضيع التقرير الذي بوبته وفصلت سائر نقطه. على أني لم أتممه بعد، نظرا لطوله، فهو يقع في نحو مائتي صفحة على الأقل إلى آخره) ويجب أن ألاحظ هنا أن جميع المواضيع التي أشار إليها في تقريره كنا نوجه له المعلومات المستفيضة عنها، وتتحدث الرسالة بعد ذلك قائلة : تجدون طيه رسالة للأخ اليزيدي، فلتدفعها إليه، وقد ذكرت له فيها مسألة الذكرى (ذكرى الظهير البربري) ومحاولاتنا نحوها، ينبغي لكم أن تدفعوها إليه في ساعة تكونان منفردين فيها، إذ ربما يتحدث إليكم عما فيها، إذا أحب ذلك. ثم تتحدث الرسالة في موضوع سياسي آخر، فتقول : ذكرتم أن المعلومين (الفرنسيين) يريدون تغيير برنامج التصرف في المغرب بأن يجعلوا زمام الحكم لبرلمان يكون فيه أعضاء فرنسيون، يتصرفون في المغرب

كما يشاؤون، ولا تبقى سلطة لا لمقيم ولا لأمير، وتسألني عن رأيي ؟ وأنا لا أستطيع الحكم في هذه المسألة بهذه الصورة المختصرة، فاكتبوا لنا بما يدور في المسألة، ولتبحثوا الاخوان المطلعين على الخبايا وبعد ذلك نستطيع الحكم بعد دراسة الموضوع، على أنني أستطيع أن أخبركم بما عندي نحو هذه المسألة المهمة، وذلك انه بعد حدوث حوادث القضية البربرية، أدركت السلطة الفرنسية، في باريس سوء تصرف المقيم العام فيها وأخطاءه، وتذاكرت طويلا مع أفراد فرنسيين ذوي خبرة، فاستنتجت أن من الخطأ أن تبقى يد المقيم حرة في تصرفها بالمغرب دون مراقبة فعلية عليه، ولم يقتصر الأمر على المغرب، بل شمل أيضا تونس والجزائر، وفعلا فكرت الوزارة الفرنسية منذ سنة ونصف أن تؤلف مجلسا عاما يشرف على إدارة هذه البلدان الثلاث، وبعد ذلك قدم نواب فرنسيون يزيد عددهم على مائة، اقتراحا إلى الحكومة الفرنسية بباريس، بوضع هذا النظام موضع التنفيذ، لكن حدث على إثر ذلك أزمات وزارية تنوسي فيها الأمر، خصوصا بعد الانتخابات الفرنسية أخيرا التي جرت قبل الصيف الماضية، ولعل المسألة قد استيقظت من جديد لكن لا نعلم أي اتجاه ستأخذ بعد ذلك، وعلى كل أخبروني لنقوم بدرس المسألة مع الاخوان في أوروبا.

رجع إلى قضية «عمل الشعب»

لقد قلت أن صدور جريدة عمل الشعب لقي التشجيع والتأييد من طرف أغلبية الاخوة العاملين، باعتبار أنها أصبحت اللسان المعبر عن مطامح الشعب المغربي وآلامه ومظالمه، ولكن بعض الاخوة ومنهم السعيد حجي، كانوا يرون أن الحركة الوطنية يجب أن لا تتجه اتجاها سلبيا فحسب، ولابد من الاتجاه لتأسيس مشروعات ضرورية لحياة الأمة كتأسيس المدارس والجمعيات وتوجيه البعثات الطلابية إلى الخارج، ومن أجل ذلك فلابد من خلق مرونة سياسية بين العاملين ليستطيعوا «إفهام المسؤولين نواياهم على وجهها الواضح، ويستغلوا الحماس الشعبي لهذا الاتجاه».

لقد كتب السعيد يقول : ينبغي تطوير حركتنا من اتجاهها السياسي السلبي المعارض إلى اتجاه مصلح يخدم الأمة في ضروريتها الأولى وان المغرب ليس بالبلاد الجافة التربة التي تتوقف على أوليات الاصلاح، فإن في جماعاته استعدادا قويا للنهضة إذا فهمنا حق الفهم نفسية هاته الجماعات. فماذا يتوقف عليه المغرب ؟ جمعيات ونوادي اليس في الطرق والزوايا صورة تعاونية صادقة لما يجب أن يكون بين طبقات الأمة من تعاون وارتباط ؟ أليس في هذه العصبية الاسلامية التي تجمع المغاربة على قلب رجل واحد وطنية حقة ونخوة متحمسة ؟ إنها تتجلى في المغاربة في مناسبات وتختفي بحكم الظروف التي يوجد فيها المغرب الآن حتى تتصور معدومة، إذن يجب علينا نحن الوطنيين ألا نقلد الغير في اتجاهاتنا، بل علينا أن نسعى كل السعي، في فهم وسطنا حق الفهم. أولا : لتكون نهضتنا سريعة الخطى، كما كانت سريعتها

في جميع مراحل التاريخ المغربي، فيوسف ابن تاشفين وابن تومرت والمنصور السعدي ومولاي علي الشريف لم يكونوا إلا من هؤلاء الموهوبين الذين قد رأوا في النفس المغربية من قوى واستعداد خارق، فسرعان ما اثمرت مجهوداتهم وسرعان ما خرج التاريخ المغربي من مرحلة إلى أخرى).

مناقشة وحوار مع عبد اللطيف الصبيحي

بعد امتناع الادارة الفرنسية من السماح بإصدار جريدة «العمل» اتصلت شخصيا بعبد اللطيف الصبيحي متسائلا عما يفكر فيه بعد عدم حصوله على الاذن بإصدار الجريدة التي كان يحرص على إصدارها، فكان بيني وبينه الحوار التالي، قال عبد اللطيف ما مضمنه : لقد اتصلت بمسيو سيكو مدير الديوان المقيمي، وتذاكرت معه في قضية الجريدة والقضية البربرية، فأخبرني بأن الحكومة لا يمكنها أن تسمح بإصدار جريدة مادام الجوّ مكفهراً، ومادامت الاحتجاجات متكاثرة في الخارج، كما أخبرني ـــ بطريقة غير رسمية ـــ بأن الادارة والمقيم العام يفكران في تحوير الظهير البربري في شكل يرضي المغاربة ولكن لا يمكنها أن تقدم على أي عمل تحت الضغط ولذلك فإن واجبكم أن لا تكثروا من الاحتجاجات والاعتراضات وكثرة الضجيج (كذا) ولقد أجبته يقول عبد اللطيف : بأننا مستعدون لايقاف حركة الاحتجاج إذا كنتم ستفتحون معنا باب المفاهمة، كما أننا نوقف الاحتجاجات التي يمكن أن تقع بمناسبة الذكرى الثانية لصدور الظهير البربري ريثما ننظر في مواقفكم معنا، وهكذا ـــ يقول عبد اللطيف ـــ يلزمنا أن نوقف حركة الاحتجاجات التي كنا نستعد لها حتى ننظر ما سيكون، كما يلزمنا أن نقوم بدعاية واسعة لايقاف كل عمل مناهض للحكومة بمناسبة 16 ماي هذه السنة وان اقتضت المصلحة أن نطبع منشورات نوقع عليها بأسمائنا ونحض الشعب على عدم القيام بحركات احتجاجية خلال هذه السنة، لأن المقيم العام وعدنا بأن سياسته الحالية تدعوه لتغيير الظهير البربري بشكل يرضي المغاربة. ولقد أجبته حينا بأنني غير متفق معه كليا، فيما يرى من رأي، وان الإقدام على أي عمل من هذا النوع الذي يدعو له. يعتبر نكسة للحركة الوطنية ورجعا بها إلى الوراء، خصوصا وان ما ذكره من تغيير للظهير البربري ووعد بحرية الصحافة لم يعلن رسميا ولا يمكن أن يعتبر في نظر الوطنيين إلا مجرد كلام يقصد به تهدئة الأفكار، واختبار من الادارة حول مقدار ثباتنا في مواقفنا، وزدته قائلا : لو فرضنا أن الادارة أشعرتنا بطريقة رسمية بعزمها على تغيير بعض فصول الظهير فإن حركتنا يجب أن تبقى مستمرة، لأننا الآن لا نعمل لمحو بعض فصول ظهير 16 ماي، وإنما أصبحنا نعمل لتحقيق مطامح الشعب المغربي في مختلف المجالات التي من جملتها التراجع عن السياسة البربرية، فأجابني قائلا : إن حديث م «سيكو» معي إن كان بصفة غير رسمية، فإننا يمكن أن نأخذ منه هذا التصريح بصفة رسمية، بأن نطلب منه أن يستدعي المقيم العام بعد

الشخصيات الوطنية بمناسبة عيد من الأعياد مثلا، ويصرح أمامهم علنا بأنه عازم على تغيير ظهير 16 ماي وفق ما يرتضيه المغاربة. وأمّا القضية الثانية التي أشرت إليها من أن حركتنا لم تبق مقتصرة على مكافحة الظهير البربري فحسب، فإنني في هذه الساعة لا أسعى إلا للقضاء على السياسة البربرية وتغيير الظهير البربري، فإذا ما تغير هذا الظهير، فإني سأشق طريقي طبق رغباتي، ويمكن أن أرجع لوظيفتي التي كنت أشغلها من قبل أو لغيرها. وهنا أدركت أن اتجاهاتنا مختلفة تمام الاختلاف، فأجبته حالا وبكل احترام : ان آراءنا مختلفة، ورسالتي التي أشعر بها الآن تفرض على أن أصارحك بأن الخط التي ترتضيه لنفسك لا أرتضيه لنفسي، فأنا الآن مصمم إن شاء الله على مواصلة العمل لمكافحة السياسة البربرية وغيرها من أساليب الاستعمار ولو تغيرت بعض فصول الظهير البربري، وافترقنا على أن نجتمع مرة أخرى، وصار عبد اللطيف بعد افتراقي ومذاكراتي معه يتصل ببعض الاخوة يعرض عليهم أفكاره ومخططاته ولكنه لم يجد آذانا صاغية من أي فرد، ولقد ازددت يقينا بأن السير مع عبد اللطيف لا يمكن أن يدوم، والعمل معه لا يقع إلا في بعض الظروف الخاصة، والحركة الوطنية إن كنا ننظر إليها نظرة مستقبلية فلابد لها من التخطيط والاستمرار والمواظبة والدوام وذاك ما عملت مع إخواني في سلا والرباط وفاس على تحقيقه.

دروس شاعر الشباب علال الفاسي بالقرويين

خلال سنة 1932 وفي نطاق التعريف بالغايات والأهداف التي تسعى لها الحركة الوطنية، قام الأستاذ علال الفاسي بإلقاء دروس ليلية بجامع القرويين في موضوع السيرة النبوية.

لقد ابتدأت هذه الدروس بضريح سيدي عبد القادر الفاسي، ثم بعد الاقبال عليها، انتقل علال إلى القرويين، حيث كان يحضرها جمهور من الطلبة سواء منهم طلبة القرويين أو تلامذة المدارس الثانوية العربية الفرنسية بالاضافة إلى الجمهور الذي أصبح يتكاثر يوما فيوما إلى أن أصبحت القرويين تغصّ بقاصديها من مختلف الأعمار ومختلف الحيثيات.

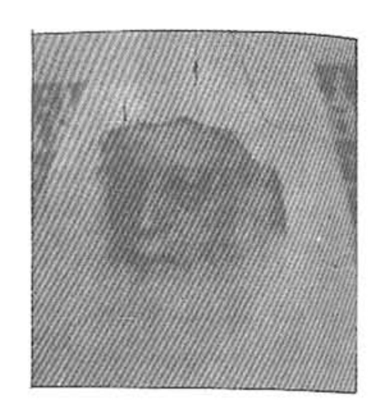
وتحدث الناس بفاس وغير فاس عن هذه الدروس التجديدية في السيرة النبوية، حيث كان رحمه الله يأخذ حدثا من السيرة ليحلله التحليل الشافي ويقارن بين حالة المجتمع الاسلامي في العهد النبوي وحالته في العهد الذي تعيشه الأمة الاسلامية في الظرف الحاضر، ضاربا الأمثال، مستنهضا الهمم، رافعا عقيرته بالرجوع إلى حقيقة الاسلام. داعيا إلى التكتل حول الأفكار والمبادئ التي جاء بها، والتي تكافح الوطنية المغربية من أجل تثبيتها في النفوس، والسير على منهاجها في الحياة.

إن الطريقة التجديدية التي سار عليها في دروسه لفتت إليه الأنظار، فصار الجمهور الفاسي على اختلاف طبقاته من مثقفين وأعيان وتجار وصناع يتسابقون إلى القرويين قبل وقت الدرس حتى يضمنوا محلاتهم للانصات إلى الدرس، والاستفادة من التوجيهات التي يقدمها ولقد أوتي علال في دروسه بلاغة نادرة، وشروحا وتحليلات في منتهى الابداع، الأمر الذي جعل علماء القرويين أنفسهم يشهدون له بالباع الطويل، والقدرة على التبليغ، ويعترف الكثيرون منهم أنه فاقهم معرفة وحسن أداء.

إن هذه الدروس العلالية، خلقت جوا جديدا في فاس وأكسبته قداسة واعتبارا لم يظفر بهما غيره، فصار اسمه يرن في الآذان، والتفت الجماهير حوله، التفاتا لفت الأنظار، وأصبح الشخصية الأولى دون منازع، في مجال الدعوة الوطنية، وبالأحرى صار الزعيم المشار إليه بالبنان.

لقد كان يبلغنا الصدى عن هذه الدروس، فصار الكثيرون يقصدون (فاس) من أجل الانصات لدروس علال، وصار الكثيرون يتشوفون إلى أن ينتقل إلى مدنهم الآونة بعد الأخرى لالقاء درس من دروسه.

وبالفعل لقد طلبنا منه أن يزور «سلا» لالقاء درس في المسجد الأعظم، ولكن الأقدار لم تشأ أن تحقق هذه الرغبة، فلدى مجيئه إلى «سلا» أصيب بوعكة صحية فلم يستطع أن يلقي الدرس، ولكنه أناب عنه إذذاك صديقه الحاج الحسن بوعياد الذي ألقى درسا على ما أذكر في موضوع : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان) الحديث. إن هذه الدروس العلالية أزعجت الادارة الفرنسية، واعتبرتها دروسا سياسية توجيهية يومية، وخشيت إن استمر في إلقائها أن تزيد عليه الجماهير التفافا، ويفلت من بين أيديهم الزمام. ولذلك فإنهم فكروا في منعها مباشرة بأمر من مسؤوليهم، ولكنهم خشوا أن يتهموا بأنهم يتدخلون في الشؤون الدينية. ففكروا أن يوعزوا لجلالة الملك ليصدر المنع منه باعتباره أمير المؤمنين، ولكنهم أدركوا أن رغبتهم لا يمكن أن ينفذها لهم، فهم يشعرون أنه متعاطف مع الأفكار التي يدعو إليها علال، ولا يمكنه أن يقاومها وأخيرا اهتدوا إلى الطرق التي ستعملها إدارة الاستعلامات فأوعزوا إلى بعض اذنابهم أن يكتبوا عرائض (رسائل) يستنكرون فيها هذه الدروس ويقولون إنها تتعرض للصالحين والأولياء والطرق الصوفية بما لا يليق من الكلام. ولكن داعية السلفية الأول، ومكون الأجيال الصادقة في القرويين الفقيه العلامة الشيخ محمد بن العربي العلوي وقف وقفة إيمانية صادقة عندما عرض الأمر على المجلس العلمي، فتعرض لما يبيته الخصوم لعلال، ودافع عنه الدفاع المجيد، ولم يترك المجلس العلمي يتخذ أي قرار بمنع هذه الدروس. وهكذا استمر علال في إلقاء دروسه في السيرة، وتضاعف المنصتون لها والمهتمون بها، الأمر الذي جعل حتى بعض رجال الحركة الوطنية ينفسون عليه



شيخ الاسلام العلامة السيد
محمد بن العربي العلوي



الزعيم علال الفاسي

هذا الاقبال الذي جعله بحق لا عالما من العلماء أو شاعرا من الشعراء، ولكنه استطاع أن يأخذ زعامة الوطنيين بفاس دون منازع رغم بعض المنافسين من إخوانه وأصدقائه، سواء منهم بعض علماء الشباب أو غيرهم من القادة الآخرين، وسنعرض لهذا الموضوع عند حديثنا على التصدع الذي وقع في كتلة العمل الوطني إثر العزم على تنظيم الحركة، والبروز بالحزب الوطني بصفة علنية.

أول اتصال بجلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس

بويع الملك محمد الخامس نور الله ضريحه سنة 1927 وكان سنه إذذاك ثماني عشرة سنة، ولقد ألقى تصريحا لدى جلوسه على العرش قال فيه : (إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنضمن له تطورا فكريا يكون متلائما مع عقيدته، ويدفعه ليرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة) وجاءت سنة 1930 لنلاحظ فيه التجاوب التام، والتعاطف الكامل، والغيرة الصادقة على قضايا شعبه فصار حديثنا عنه رحمه الله حديث المباهي بملك شاب مومن صادق الايمان، وزاد تعلقنا به ونحن نلتقط أخباره من هنا وهناك وخصوصا من جلاسه والمتقربين منه، فنحس في قرارة أنفسنا أن هذا الملك الشاب لابد أن يقوم بدوره لانقاذ شعبه، ونشعر بانجذاب كبير إليه، وتعلق بشخصه، رغم السدود التي جعلها الاستعمار بيننا وبينه.

لقد كانت المناسبات الوحيدة للاتصال به والسلام عليه إذذاك هي مناسبة الأعياد الدينية، حيث يستدعى بعض الأعيان الخاصين تحت قيادة باشا المدينة ليقدموا له التهاني بهذه المناسبات، لم نكن من الأعيان، ولا من المرضى عنهم من طرف الادارة، ولذلك فلا يتصور أن نكون في قائمة المدعوين ولكنا مع ذلك ورغما عن ذلك لا نريد أن نبقى بعيدين عن ملكنا، ولا غير مقدمين له أنفسنا كشباب وطني يريد أن يجعل يده في يد ملكه ليسير تحت قيادته وزعامته لبناء المغرب والرفع من مكانته، وتحريره من ربقة الاستعمار، ان الاستعمار يعمل ليبني سورا سميكاً بيننا وبين ملكنا حتى يسير هو في طريق، ونسير نحن في طريق آخر، وهكذا لا تنشأ تلك اللحمة الموحدة بين العرش والشعب. ان قلوبنا منجذبة إلى ملكنا (والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) فلابد أن قلبه منجذب إلينا، مُتجاوب معنا، فلنحطم إذاً هذه الأسوار السميكة، ولندخل بيتنا، ولنسلم على سيدنا، ولنعاهده على السير معه لانقاذ المغرب من الهوان، والعمل تحت ظله لتحقيق الاستقلال ولكن ما هي الطريق ؟ وكيف نصل لتحقيق ما نطمح إليه، لقد تذاكرنا مع بعضها نحن المسؤولين عن الحركة الوطنية بمدينة «سلا» فاهتدينا إلى طريقة أولى تحطم بها هذه الموانع والعوائق والأسوار.

كان ذلك خلال عيد من أعياد سنة 1932 عندما قررنا أن نقصد القصر الملكي ضمن المدعويين من الأعيان، وما أن جاء يوم العيد حتى تجلببنا بالجلاليب البيضاء والسلاهيم البيضاء، وقصدنا القصر الملكي العامر حيث وقفنا في ساحة القصر ريثما نودي على المهنئين بالصعود أمام قاعة العرش، وبعد النداء اختلطنا مع بقية المدعوين ووقفنا بجانب أعيان سلا الذين يتقدمهم الباشا الذي لاحظنا بشيء من الاستغراب، ولكنه لا يستطيع أن يتخذ أي قرار في ذلك المكان إذ لا سلطة له عليه، ونودي على الوفود تلو الوفود حتى وصل دور وفد أعيان «سلا» فتقدم الباشا يتبعه الأعيان للسلام على جلالة السلطان وتحيته وبقينا واقفين لم ندخل معهم، ولدى مغادرة الأعيان قاعة العرش سألنا قائد المشور من أنتم ؟ فقلنا : الشبان المسلمون الوطنيون، فنادى بأعلى صوته قائلا : الشبان المسلمون الله يبارك في عمر سيدي، فتقدمنا إلى قاعة العرش، متواجهين مع الباشا والأعيان وهم خارجون فامتقع وجه سعادة الباشا ولم ينبس ببنت شفة ولم يدر ما يفعل. دخلنا إلى قاعة العرش، حيث وجدنا جلالة محمد الخامس جالسا على أريكة عرشه، فبايعنا حسب التقاليد المتبعة وسلمنا عليه وجلسنا هنيئة قمت بعدها مخاطبا جلالته. قائلا ما مضمنه : جئنا نحن شباب سلا الوطني يامولاي لنقدم لجلالتكم تهانيئنا الصادقة بهذا العيد السعيد، ولنؤكد لكم تعلقنا بأعتابكم، والتفافنا حول عرشكم، وأملنا بأن يحقق الله في عهدكم وعلى يدكم ما يطمح إليه المغرب من عزة وكرامة ورقي أو كلاما هذا معناه. فانشرح صاحب الجلالة رحمه الله لهذه الكلمات الخارجة من الأعماق، ودعا لنا بالتوفيق، وودعنا بابتسامة مشرقة ورضى كامل فخرجنا مسرورين مبتهجين

داعين لجلالته بطول العمر والتوفيق فيما يقوم به من أعمال لصالح أمته ووطنه، لم يكن العرف الجاري به العمل لدى استقبال جلالة الملك للمهنئين أن يتقدم واحد منهم أو أكثر بالكلام أمامه، وإنما كان العرف أن المهنئين يدخلون القاعة برئاسة الباشا، فيسلمون ويجلسون، ويتكلم قائد المشور من بعيد قائلا : ان سيدنا يرضى عنكم ويدعو لكم، ولكنا لم نكتف بهذا وأردنا أن يكون خطابنا لملكنا دون واسطة وهكذا كان، وهكذا سننا سنة حميدة في الاستقبالات الملكية وهكذا حطمنا الحواجز التي وضعها الاستعمار للتفريق بين الملك والشباب الوطني.

الاتصال الأول بوطنيي الشمال


صورة المرحوم عبد الخالق الطريس ممهرة بإمضائه

لم يتح لي أن أقوم بزيارة لشمال المغرب الذي كان يدعى بالمنطقة الاسبانية (وكنا نسميه بالمنطقة الخليفية)، إلا سنة 1934، ولربما كان ذلك أواسط السنة المذكورة، وأذكر انه في فاتح مارس من السنة نفسها، كان المرحوم الزعيم عبد الخالق الطريس، أصدر جريدة أسماها : (الحياة) وما أن وردت علينا الأعداد الأولى من تلك الجريدة، حتى قمنا بحملة واسعة للدعاية لها وجمع اشتراكات لصالحها، وأذكر أن افتتاحيتها التي كتبها «الطريس» هزتني وأثرت في تأثيرا عميقا، فلقد كان عنوانها : (من ضمير إلى ضمير) وكانت معبرة التعبير العميق الصادق عن الروح التي يحملها المرحوم الطريس وهو لازال في ميعة الشباب، روح الشاب الوطني المومن المتوثب، روح الشاب المفكر الذي عرف طريقه وخطط أهدافه، وتبين سبيله، وعاهد الله على أن يؤدي واجبه الوطني بصدق ويقين ــ لقد افتتح كلمته بهاته الفقرات : (اللهم باسمك الميمون الجليل نبتدئ الصفحة الأولى من جريدة «الحياة» فمنك التوفيق، وعليك نتوكل، اللهم اذ هديتنا، فصن طريقنا عن العبث، ونزه قلوبنا عن الباطل، ومتعنا بحبك وتقديسك، اللهم كما خلقت فأنعم بإمدادك، ووفق من يراك على الدوام مصدرا للنعمة والخير والهداية اللهم يارب القوة والعفو، اجعل من «الحياة» لسان حق لا ينطق ببهتان، وقلب شعب لا ينبض بغير رغائبه، ولا يميل إلا لحياة العزة والمجد والفضيلة) ثم يقول بعدما يتحدث عن نفسه وما تتوق إليه من خير، ومحبة وصدق : ((سيكون «انا» في نفسه صريحا لا ترده رغبة ولا رهبة عن ذكر ما يرتئيه حقا ووفيا على عادته لمبادئه الأساسية التي عرف بها ماضيه، ومجددا لا تغريه طفرة ولا يخيفه جمود، أما فيما بينه وبين ربه، فهو سيعمل على تفهيم مبادئ

الاسلام وزرع روحه الفياضة في قلوب المواطنين، ويرغم قدر مستطاعه كل من يحاول الاعتداء عليه، أو محو أساس من أسسه، وقد كان يرى ولايزال على رأيه، ان الدين الاسلامي أصلح نظام لمجتمعنا، وأن ثلم هذا النظام، أفظع جناية يجنيها فرد أو هيأة على كيان هذه الأمة، وعلى هذا الضوء سيسير، عسى أن يلقى من ربه الرضى والثواب. وفي الجهاد الوطني ؟ له مبدأ وأي مبدأ ؟ للمغرب تاريخ عريض، كله عزة واباء، فلابد أن يحافظ على تراثه، والمغرب وحدة لا تتجزأ، ولا تفرقها الأهواء ولا المصالح ولا بسيط الاختلاف، والمغرب له حكومته ودينه ولغته وتقاليده، فلا يمكن بحال من الأحوال خرق جبهة من هذه الجباه) هذه الكلمات الصادقات، وهذه المبادئ الواضحة، الناصعة، وهذا الاخلاص الثابت لله والدين والوطن، جعلتني أزيد تطلعا وشوقا لاخوان لي — في طليعتهم الطريس تربطني وإياهم رابطة الاخوة الدينية، والصدق في الوطنية، والوفاء الكامل للوطن الحبيب.

ثلاث شخصيات بالخصوص في منطقة الشمال كنت أسمع عنها في ذلك الظرف، فأتشوف إلى الاتصال بها والتعرف عليها، وربط العلاقات معها : (1) الحاج عبد السلام بنونة (2) الفقيه محمد داود و(3) عبد الخالق الطريس، زيادة على إخوان آخرين تعرفت عليهم بعد ذلك.

ان اتصالي الروحي بهؤلاء الاخوة، ابتدأ قبل قراءتي لمقال الطريس وجريدته، فلقد تعرفت على الفقيه محمد داود من خلال مجلة «السلام» التي أصدرها رحمه الله قبل جريدة الحياة، ثم من خلال مجلة «المغرب الجديد» التي كان يصدرها الشيخ محمد المكي الناصري، ولكن انجذابا خاصا لاخواني الوطنيين في المنطقة الخليفية تقوى بعد صدور جريدة «الحياة» فقررت السفر إلى تطوان، وقوي عزمي على ذلك رغم الصعوبات التي كنا نعانيها من أجل الحصول على تأشيرة الدخول إلى المنطقة، فلقد كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تمانع في إعطاء التأشيرات للوطنيين، ولا يحصلون عليها إلا بعد اللتي واللتيا. وكم بذلت من جهد، وحصلت لي من عراقيل للحصول على التأشيرة، فلقد كانت المراقبة المدنية تريد أن تتدخل حتى في المهنة التي عندي، والتي تكتب عادة في الجواز، لقد كنت كتبت في الاستمارة التي تملأ عادة عندما يطلب الانسان جواز السفر : اسمي واسم والدي ونسبي ومهنتي وسني، فكتبت إذذاك، مدير «المكتب الاسلامي» وهو ما أصبح بعد ذلك (مدرسة النهضة) لأن الادارة الفرنسية كانت لا تسمح لنا بإطلاق اسم (مدرسة) على المدارس الحرة التي كنا ننشئها، وحتى لا تتعرض المدرسة التي كنت أديرها للاغلاق جعلت اسمها : (المكتب الاسلامي) أقول بعدما قدمت الاستمارة المذكورة رفض المسؤول في المراقبة المدنية أن يسجل في الجواز مهنتي كمدير للمكتب الاسلامي ووقع بينه وبينه حوار أو جدال كاد يؤدي إلى منعي من السفر، والسبب يرجع إلى أن الادارة لا تريد الاعتراف بالمدرسة كمؤسسة حرة غير خاضعة لمراقبة إدارة التعليم الفرنسية وأخيرا حصلت على الجواز وعلى التأشيرة، وأخذت

الحافلة التي ستقلني إلى تطوان، وفي الحدود الواقعة في عرباوة، خضعت لتفتيش دقيق جدا، فلقد ادخلوني إلى بيت صغير، حيث فتشوا حقيبتي، ثم فتشوا الملابس التي على جسمي، وحتى الحذاء الذي في رجلي لعلهم يعثرون داخله على ممنوعات أو رسائل مهربة، ولم يطلق سراحي، ويسمح لي بوضع رجلي في المنطقة المشمولة بالحماية الاسبانية إلا بعد جهد جهيد، أحكي هذا وأسجله لأعطي صورة تقريبية عن بعض ما كنا نعانيه في عهد الحماية الفرنسية حتى في التنقل داخل بلادنا.

ووصلت إلى تطوان وكأنني أطلقت من عقال، وبعد استراحة خفيفة في الفندق الذي حللت به، وكان قريبا من ساحة، كانت تسمى ساحة «الفدان» خرجت أبحث عن إدارة جريدة «الحياة» التي لم يسبق لي أن تعرفت على صاحبها، إلا من خلال السَّماع، لقد كانت إدارة جريدة الحياة في «الفدان» نفسه وفي شقة أو بيت صغير متواضع جدا على ما أذكر، وقريبا من الادارة المذكورة، وفي نفس الساحة لقيت عبد الخالق الطريس لأول مرة، ولم يكن يعرفني ولم أكن أعرفه قبل ذلك، ونسيت من قدمني له في تلك الساعة وما أن سمع اسمي حتى ارتمى علي يعانقني ويرحب بي، وهو في منتهى الاستبشار، وكان حديث خفيف ودعوة إلى تناول العشاء عنده، وكانت لحظة من لحظات الحياة السعيدة التي يكسب الانسان فيها أخا في العقيدة والمبدأ ويشعر بارتياح نفسي، وسعادة روحية، واطمئنان صادق.

لا أذكر ما راج بيننا من حديث، وإنما أذكر أنني كنت مرتاحا غاية الارتياح للتعرف لهذا الأخ الذي كان اسمه يرن في الاسماع، وصيته تعدى الحدود، ولقد لاحظت في الساعات الأولى التي تلاقيت معه أنه محاط بنخبة من الشباب التطواني لا تكاد تفارقه، وأنه في المساء يخرج إلى الشارع الرئيسي في تطوان، وحواريوه عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وهو يذهب ويجئ في ذلك الشارع الساعة والساعتين، وصوته مرتفع بالحديث، وضحكاته تتعالى الآونة بعد الأخرى.

لقد كان عبد الخالق الطريس إذذاك في الرابعة أو الخامسة والعشرين من عمره، رجع من دراسته في مصر أولا وفي باريس ثانيا قبل عامين (1932) واهتم من جملة ما اهتم به، بتكوين جمعية للطلبة، كانت النواة الأولى لحزب الاصلاح الوطني الذي لعب دورا هاما في تنظيم الحركة الوطنية بالشمال، وكان اللسان المعبر عن أماني الوطنيين الأحرار، وتطلعاتهم إلى الاستقلال والوحدة، لقد كان الطريس شعلة من الذكاء والفطنة وقوة الادراك، حتى أن الزعيم الوطني الأول بتطوان المرحوم الحاج عبد السلام بنونة لم يكن يصفه إلا بالشاب النابغة، وحتى ان المرحوم سيدي التهامي الوزاني يقول عنه في مذكراته : انه كان الأول في كل شيء[1] لم

(1) انظر كتاب ابن عزوز عن أبي الوطنية عبد السلام بنونة ص 313.

يكن الجو فارغا لدى رجوع الطريس من دراسته، وإنما كانت بتطوان شخصية وطنية نادرة المثال في عطائها واهتماماتها وإخلاصها وصدق وطنيتها، هي شخصية الحاج عبد السلام بنونة، فهذا الزعيم بذل من الجهد والبذل والتضحية في سبيل عقيدته ووطنه ماعز نظيره، فلقد قاد السفينة في ظرف كانت الوطنية بمفهومها العصري الجديد، لازالت في بدايتها، واستطاع أن يلف حوله جماعة من الصادقين، وأن يقوم بأعمال في مختلف المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية والتوجيهية ما سيبقى اسمه مسجلا في تاريخ السابقين الأولين، ولكن الطريس بعد رجوعه استطاع بحنكته وحيوية شبابه أن يقفز بالحركة الوطنية في الشمال قفزة شبابية لفتت إليها الأنظار حتى من الخصوم الاستعماريين الاسبانيين أنفسهم، وصار يقودها بما كان يتوفر عليه من قوة شخصية، ودهاء، وذكاء، وما بذله من تضحية وبلاء، والحق أنه وجد في الذين سبقوه بالايمان معونة وتقديرا، ووجد في اللاحقين من الشباب، قبولا واندفاعا وامتثالا، يقول ابن عزوز حكيم في كتابه عن الحاج عبد السلام بنونة : (ان بنونة هو الذي سلم مقاليد الزعامة الوطنية في الشمال إلى الأستاذ الطريس بمجرد رجوع هذا الأخير من باريس، ثم ظل يعمل معه، جنبا لجنب في انسجام تام ومستمر إلى أن وافته المنية يوم 9 يناير 1935)[2].

لقد قلت أن الطريس اهتم أولا بتأسيس جمعية للطلبة، وبعد اتصالات ومذكرات للسلطات الاستعمارية الاسبانية، استطاع أن يتغلب على الصعوبات، ويخرج الفكرة من حيز النظر إلى حيز التطبيق، فتأسست (جمعية الطالب المغربية) ووقع الاعتراف بها رسميا وكانت تهدف حسبما جاء في قوانينها إلى : (أ) الدفاع عن حقوق الطالب (ب) ارشاده أثناء الدراسة (ج) تهيئة العمل له عند الانتهاء من حياة الطلب بشكل مع ما تسنه الحكومة (د) إيجاد رابطة قوية بين طلبة المدارس على اختلاف أنواعها ومتخرجي هذه المدارس (هـ) إنشاء ناد للتسامر ومكتبة للاطلاع والاستعانة في البحوث (و) توسيع ثقافة الطالب وتنوير ذهنه.

لقد كان تأسيس هذه الجمعية في 2 أبريل سنة 1932، ولكن الاعتراف بها من طرف السلطات الاسبانية تأخر إلى أكتوبر سنته حيث وقع انتخاب للمجلس الاداري الذي كون كمايلي : الرئيس : عبد الخالق الطريس (2) الوكيل : سيدي التهامي الوزاني (3) أمين المال : السيد محمد الناصر (4) الكاتب العام : السيد محمد باغوز (5) الكاتب المساعد : سيدي عبد السلام بن عجيبة، الأعضاء : (6) السيد عبد السلام الحاج (7) السيد محمد اعميار (8) السيد محمد بن اللبار (9) السيد محمد الدليرو، ويلاحظ أن تاريخ تأسيس هذه الجمعية متقارب مع تأسيسنا لجمعية المحافظة على القرآن الكريم، والتي وإن كان هدفهما مختلفا حسب قوانينهما فإن غايتهما الحقيقية كانت متشابهة، حيث أنهما يرميان إلى تكوين جيل جديد يعمل لصالح بلاده وعقيدته، ويتلاقى مع أهداف سامية تحقق

(2) انظر كتاب ابن عزوز عن أبي الوطنية عبد السلام بنونة ص 314.

للبلاد عزتها وكرامتها والفارق الوحيد بينهما يرجع إلى أن السلطات الفرنسية لم تعترف مطلقا بجمعيتنا السلاوية وأن نشاطنا الديني والثقافي والاجتماعي كان تحديا صارخا لما تفرضه القوانين الفرنسية اما جمعية الطالب المغربية، فقد وقع الاعتراف بها رغم تلكؤ الادارة الاسبانية وتباطئها. لقد أتيح لي أثناء زيارتي هذه لتطوان أن أزور مركز هذه الجمعية الواقع بباب الرموز وأشاهد نشاطها الأدبي والترفيهي، وأتصل ببعض الشباب المنخرطين فيها، وأربط معهم علاقات صداقة وأخوة وتعاون على الصالح العام.

ومن خلال هذه الجمعية الطلابية، ومن خلال الرعيل الأول الذي كان يتعاون مع الحاج عبد السلام بنونة، تقوت الحركة الوطنية السياسية التي صارت تسمي نفسها بكتلة العمل الوطني بشمال المغرب اقتداء بكتلة العمل الوطني في الجنوب التي تكونت في دجنبر 1934 ثم بعد ذلك صارت تدعى بحزب الاصلاح الوطني الذي حمل المشعل وصار يقوم بواجبه دفاعا عن البلاد ومقدساتها، ويقوى اتصالاته وتنسيق أعماله مع الحزب الوطني في الجنوب بحيث أننا هنا في الجنوب كنا نعتبر حزب الاصلاح الوطني امتدادا لنا، هو جزء منا ونحن جزء منه، وبقينا على تلك الحال إلى أن فرض «فرانكو» سيطرته المطلقة على المنطقة الشمالية وصار الخط السياسي لحزب الاصلاح، يتكيف مع الظروف السياسية الجديدة التي تختلف الاختلاف الكلي مع الظروف السياسية في الجنوب، باعتبار أن السياسة الفرنسية إذذاك التي كانت تسيرها حكومة الواجهة الشعبية، كانت مختلفة كل الاختلاف مع سياسة «فرانكو» ونظامه، وكان التنسيق بين الحزب الوطني في الجنوب وحزب الاصلاح في الشمال شبه مستحيل، فتقرر أن يقع الاتفاق على الثوابت التي لا يقع التزحزح عنها، ويسير كل حزب في منطقته، حسب ما يرى فيه المصلحة للبلاد، وهكذا تقرر عندنا أن يكتب الحاج عمر بن عبد الجليل رسالة إلى الكاتب العام لحزب الاصلاح يحدد فيها الأهداف والغايات للحزبين، ويترك الاختيار لكل واحد من الحزبين في الطريقة والأسلوب الذي عليه أن يسلكه، ولقد جاء في رسالة الحاج عمر بن عبد الجليل مايلي :

الحمد لله وحده   9 يناير 1937

الأخ الأعز المحترم سيدي عبد السلام بن جلون

تحية طيبة وبعد، فقد اقترح إخواننا أن نحدد بكيفية نهائية، الصلة التي يجب أن تكون بين الوطنيين في المنطقتين السلطانية والخليفية، ونظرا لاختلاف الأساليب الحكومية بالمنطقتين، فلا يمكن لنا أن نتفق في كل الوسائل التي نستعملها، ولا أن نتضامن في كل الأحوال، وغاية ما في الإمكان، هو أن نحدد أسسا عامة للوطنية المغربية، نتفق عليها جميعا ونترك لكل منطقة الحرية التامة في اختيار أساليبها الخاصة، لخدمة المبادئ الوطنية العامة، أما هذه المبادئ العامة، فهي تحرير المغرب، الوحدة المغربية، سيادة السلطان على التراب المغربي ــ حماية

العروبة والاسلام، وبهذه الكيفية لا يمكن أن نتحمل بهذه المنطقة مسؤولية كل ما يقع بتلك المنطقة، ولا أن تتحملوا بتلك المنطقة مسؤولية كل ما يقع هنا. هذا ودمت لأخيك : (عمر بن عبد الجليل)، ولقد تلقى الحاج عمر رسالة جوابية من الكاتب العام لحزب الاصلاح إذذاك المرحوم الطيب بنونة جاء فيها : الله أكبر ـــ الأخ العزيز الوطني السيد عمر بن عبد الجليل، أحييكم تحية ود وإخلاص، وبعد، فقد وصل كتابكم باسم كتلة العمل الوطني الموقرة المؤرخ في 9 يناير 1937 وعرض على اللجنة التنفيذية للحزب، فكان له الوقع الحسن في سائر القلوب، وابتهج الجميع بهذا العهد الجديد، عهد التضامن والاتفاق والاتحاد على غايات واحدة، ومبادئ سامية، بين هيأتين تعملان لسعادة المغرب وخير المغاربة، وانها لبادرة تبشر بكل نجاح وانتصار، خصوصا وأننا بعثنا إليكم رسالة في نفس الموضوع، في الوقت الذي أرسلتم فيه رسالتكم.

قرأت لجنتنا كتابكم الكبير في معناه بكل تمعن، ودرست نقطه دراسة إخلاص وصفاء وكان قرارها بإجماع في جلستها المنعقدة بتاريخ 5 ذي القعدة 1355هـ موافقتكم على سائر ماجاء في كتابكم من تحديد الغايات المشتركة بيننا، وحصر مبادئنا الوطنية العامة، مع ترك الحرية التامة لكل هيأة في اختيار الخطط والأساليب الخاصة التي تراها مناسبة لمنطقتها وظروفها السياسية، واننا نتفق معكم في الغايات التي رسمتم لنا، وهي تحرير المغرب، الوحدة المغربية ـــ سيادة السلطان على التراب المغربي ـــ حماية العروبة والاسلام، لأنها لا تختلف في شيء عن الغايات الأربع التي وضعناها لحزبنا، وهي : (1) حرية المغرب واستقلاله (2) الوحدة المغربية سياسيا ولغويا (3) ارجاع الحقوق الضائعة، (4) إيصال المغرب لمكانة راقية من الحضارة والقوة، وان سيادة السلطان على التراب المغربي لغاية من غاياتنا، واننا ندخلها تحت الغاية الثانية، فقصدنا من الوحدة، هو ضم سائر أجزاء المغرب إلى الحكومة المغربية، والتمسك بسلطة السلطان، ويصلكم مع هذا نسخة من البيان الأول الذي أذاعه الحزب، والقانون الاجمالي للحزب، والوصايا العشر، ومن مجموعها تكونون فكرة تامة عن غايات حزبنا وعن خططنا ووسائلنا في العمل لتحقيق تلك الغايات إلى أن تقول الرسالة : وقد كلفتني اللجنة التنفيذية أن أبلغ كتلة العمل الوطني قرارها مع زيادة التأكيد على وجوب اتصالنا الدائم ببعضنا، واستمرار المراسلة بيننا، وشرح الخطط التي نسير عليها، والأساليب التي نتبعها في العمل الوطني لنصحح بعضنا ونلاحظ على الاغلاط، ونكون على بينة بالحركات الوطنية في وطننا العزيز، ونستغل الظروف حسبما تقتضيه المصلحة بالتعاون مع بعضنا العلني تارة، والسري تارة أخرى وهكذا. والرسالة الجوابية مؤرخة بفاتح ذي القعدة عام 1355 هجرية.

إن المواقف التي وقفتها الحركة الوطنية بالشمال مع شقيقتها بالجنوب تجلت في مختلف الظروف والأوقات، سواء في أوقات الشدة أو أوقات الرخاء، سواء قبل ثورة «فرانكو» أو بعدها، لقد بقيت المنطقة الشمالية متنفسا للحركة الوطنية في الجنوب سواء في الصحف والمجلات

التي كانت تصدر بتطوان أو بحركات التضامن الفعلي معنا أمام الأحداث التي كانت تقع في الجنوب، ومن جملتها تضامنها معنا في الأحداث التي وقعت في أكتوبر 1937 كما أشرت إلى ذلك من قبل.

إنني لا أدعي مطلقا أنني أؤرخ للحركة الوطنية في الشمال وإنما أثبت بعض الملامح التي عشتها بنفسي، في فترة الثلاثينات. سواء وأنا خارج السجن أو داخل السجن لقد قلت أنني تعرفت على الأستاذ عبد الخالق الطريس لأول مرة أثناء زيارتي الأولى لتطوان سنة 1934، كما أنني تعرفت معرفة سطحية على المرحوم الحاج عبد السلام بنونة، حيث استدعاني لتناول طعام العشاء عنده، ولكن كثافة الحاضرين منعتني من الحديث إليه، والاستفادة من تجاربه، وكم أسفت عظيم الأسف، عندما ما لم أتمكن من الاتصال به مرة أخرى خلال الزيارات المتتالية بعد ذلك لتطوان حيث وافته المنون رحمه الله عليه في يناير 1935 أي بعد زيارتي لتطوان ببضعة أشهر لا غير، ولكنني تعرفت على أبنائه البررة بعد ذلك السادة الطيب وادريس والمهدي، وكانوا جميعهم يتّقدون غيرة وطنية، كما أنني تعرفت على أخ الجميع الأستاذ المرحوم الحاج مّحمد بنونة خلال زياراتي المتوالية لتطوان بعد سنة 1934.

أما الشخصية الثالثة التي كانت تملأ العين وتتحدث عنها كل الألسن في ذلك الابان، فهي شخصية العلامة المؤرخ والوطني المسلم الغيور السيد محمد داود رحمه الله، فلقد كان استدعاني لتناول الغداء عنده، وكنت أعلم عنه الكثير وأسمع عنه الكثير لا من خلال مجلة «السلام» التي كان يصدرها سنة 1933 فحسب ولكن من خلال نضاله وجهاده الطويلين في مجال التعليم والتثقيف والدفاع عن قضايا ومطالب الشعب المغربي سواء في المنطقة الشمالية أو المنطقة الجنوبية أو مّن خلال مساهماته المتعددة في مجال البحث والتاريخ، وأذكر أني وجدت فيه صفات العالم الوطني المثالي، فهو بشوش وضحوك لا تكاد الابتسامة المشرقة تفارق وجهه، وهو متواضع أقوى ما يكون تواضع العلماء وهو غيور على وطنه ودينه وتقاليده وحضارته لدرجة الهيام، وهو يتعامل معك بطهارة ضمير وكأنه تعرف إليك منذ زمن بعيد.

وهكذا كانت الزيارة الأولى لتطوان، فيها من المتعة والمعرفة وكسب الأحباب والاخوان ما يود أن يدركه الانسان في كل الأزمان، كانت تطوان إذذاك تفيض وطنية وإخلاصا، وكان شبابها الوطني ورجالاتها الأحرار يملأون العين والقلب والوجدان وسنرى في حلقات أخرى من الكتاب إن شاء الله، المساهمات العظيمة التي قامت بها مدينة تطوان بالخصوص في ميادين الكفاح والنضال، ما جعلها مركز الثقل في الكفاح الوطني لتحرير المغرب من ربقة الاستعمار.

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا جزءاً من حديث صحفي كان أجراه الزعيم عبد الخالق الطريس رحمه الله مع جريدة (الدنيا وكل شيء) المصرية العدد 676 المؤرّخ بـ 19 أكتوبر 1938 أثناء زيارته للقاهرة للمشاركة في المؤتمر البرلماني العربي في شهر أكتوبر سنة 1938،

فلقد أجاب عن سؤال وجه إليه من طرف الجريدة المذكورة عن قوام الحركة الوطنية في المغرب الأقصى إذذاك قائلا : قوام الحركة الوطنية في المغرب الأقصى حزبان رئيسيان، هما الحزب الوطني في جنوب المغرب، ورئيسه الأستاذ علال الفاسي المنفى الآن في جابون، وحزب الاصلاح الوطني الذي أتشرف برئاسته. وعن سؤال آخر يتعلق بنظام فرق القمصان الملونة الذي كان نظمه حزب الاصلاح الوطني قال : لهذه الفرق نظام خاص من أنظمة الحزب الرئيسية، ومجلس أعلى يشرف عليها ويدير شؤونها، وهي تتكون من فيالق تشمل فرقاً متعددة، وهذه الفرق، تطلق عليها أسماء الشخصيات العظيمة في تاريخنا الحافل، كاسم المولى إدريس فاتح المغرب للاسلام ومؤسس أول دولة مغربية، وهو الذي شيد مدينة فاس أول عاصمة للاسلام في المغرب، واسم المنصور الذهبي الذي قضى على الأمبراطورية البرتغالية في معركة وادي المخازن التاريخية، ومُدخل بلاد السودان والصحراء إلى الامبراطورية المغربية واسم الخضر غيلان الذي حارب الانجليز عندما حاولوا الاستيلاء على شمال المغرب والذي يُعدّ من أعلام رجال الثورة في المغرب الخ. ولهذه الفرق صفوف من الضباط والرؤساء فيهم من يشرف على الفآت، وفيهم من يدير الأقسام، وفيهم من يترأس الفرق والفيالق، وللفتيان لباس كله أخضر مع طربوش مستطيل أبيض وأسود، وتعطى لهذه الفرق جميع التمرينات العسكرية اللازمة وتشمل عدداً كبيراً من الفرق المرياضية لمختلف الألعاب، وسنبدأ في القريب العاجل في تأسيس المعسكرات المركزية والقروية، ولهؤلاء لمفتيان مهام كثيرة، منها الاشراف على النظام في حفلات الحزب، والقيام ببيع جميع صحفه ونشراتة والاستعداد لحماية الحزب والدفاع عن كيان البلاد في أوقات الخطر، إلى أن يقول : والغرض من تنظيم هذه الفرق أيضاً، إعداد الشباب للشعور بالواجب المقدس، وللإيمان بنجاح خطة الحزب المرسومة، وإقامة عماد النجاح والفضيلة وغرس الروح الدينية في نفوس أفرادها، وإشعارهم بأن إنقاذ البلاد رسالة خاصة بالفتيان، يلزم أن تؤدى في يوم من الأيام على أتم وجه وأكمله.

ومن جهة أخرى فإن منع انعقاد مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمون بالمغرب في أكتوبر 1936 دفع اخواننا أعضاء جمعية الطالب المغربية أن يدعوا إلى انعقاده بتطوان، وهكذا وجهوا دعوة موقعة من طرف الزعيم عبد الخالق الطريس هذا نصها : حضرة الأخ المحترم : إن منع مؤتمر طلبة شمال افريقيا أحدث في نفوسنا أثرا سيئا، إذ فوت علينا فرصة من أهم الفرص لتمتين الروابط بين أهالي الشمال الافريقي، وتقوية علاقاتهم، وتوحيد ثقافتهم، وما إلى ذلك من الغايات التي سيكون لها في المستقبل من النتائج الطيبة الشيء الكثير، فخوفا من ضياع فرصة نادرة كهذه، ونظرا لتيسر انعقاد المؤتمر في تطوان، عاصمة المنطقة الخليفية بالمغرب، بحرية تامة قررنا عقده على شكل أوسع في الموضوعات، وجمع الأعضاء الذين تمكنهم المشاركة فيه، فاخترنا الموضوعات الآتية : وهي معروفة الأهمية :

1) رفع المستوى الفكري بالشمال الافريقي.

2) تقوية العلاقات المختلفة بين الأقطار الثلاثة : تونس والجزائر والمغرب، وربط الصلات بين هذه الأقطار والشعوب العربية والاسلامية على العموم.

3) توحيد مناهج التعليم في الأقطار الثلاثة.

4) بحث الأمراض الاجتماعية في الأقطار الثلاثة وتبيين علاجاتها.

5) تحقيق مشروع التاريخ المشترك بين الأقطار الثلاثة، ومشروع (موسوعة الشمال الافريقي).

6) استقلال الأحباس الاسلامية لمصلحة النهضة الجديدة في الأقطار الثلاثة، ويشترط في أعضاء المؤتمر أن يكونوا من المثقفين، ورجال الفكر، وممثلي الهيآت، وسيبتدئ المؤتمر عمله حسب البرنامج الملحق بهذه الدعوة يوم الأربعاء 21 أكتوبر سنة 1936 فالمؤمل من جنابكم تلبية هذا النداء بحضوركم، فإن لم يتيسر فبكتابة تقارير في الموضوعات السابقة الذكر، ولكم جزيل الشكر، تطوان 20 سبتمبر 1936 ثم التوقيع :

رئيس الجمعية واللجنة المنظمة

عبد الخالق الطريس

الاحتفال بمرور سنة على إصدار «مغرب»

في أحد اللقاءات التي كنت أنظمها مع الأخ محمد اليزيدي، وبعد تعاليق على الأخبار والأحداث الوقتية، خرجت واياه راجلين، وبينما نحن في طريق «الجزاء» في الرباط توجه إلي بالسؤال التالي : هل في إمكانكم أن تهيئوا لنا منزلا نعقد فيه اجتماعا موسعا بمناسبة مرور سنة على صدور مجلة «مغرب» فإن الاخوان بفاس لم يتيسر لهم الحصول على منزل صالح نظرا لظروفهم الخاصة، وأنا لم أستطع الحصول على منزل متسع في الرباط ؟ فأجبته قائلا : قبل إعطائك جوابا صريحا لابد من الاتصال بمن أرى فيهم الاستعداد لاعارتنا منزلهم، فانتظر إلى الغد، لأطلعك على نتيجة اتصالاتي، وهكذا بمجرد ما عدت إلى «سلا» اتصلت بإخواني المسؤولين بسلا ومن جملتهم الأخ عبد الكريم حجي، فعرضنا عليه الفكرة، واستفهمناه هل في استطاعة والده أن يعيرنا منزله الواسع لعقد هذا الاجتماع، فأجابنا حالا ودون تردد أن ذلك ممكن وسيخبر والده للزيادة في التأكيد، وهكذا بعد اتصاله بوالده وموافقته على عقد الاجتماع بمنزله عقدنا اجتماعاً نحن المسؤولين في سلا وتذاكرنا في الموضوع ثم خبرت الأخ اليزيدي بأن منزل سيدي احمد بن الحارثي حجي مستعد لضيافتنا.



يظهر في الصورة بعض الذين شاركوا في الاحتفال بذكرى مرور سنة على إصدار مجلة «مغرب» باللغة الفرنسية.

الجالسون من اليمين : عبد الهادي الشرايبي، ابن زاكور، عبد العزيز الدكالي، عمر بن عبد الجليل، محمد حسن الوزاني، علال الفاسي، محمد اشماعو، الحسن بوعياد، الهاشمي الفلالي، ادريس البنيوري.

والجالسون على المقاعد : حَ محمد عواد، الفقيه أبو بكر زنيبر، زين العابدين ابن اعبود، ادريس الشدادي.

والواقفون : عثمان الاحرش بناصر عواد، أبو بكر القادري، أبو بكر حجي، حَ الطالبي، محمد القادري، محمد البقالي، عبد السلام بنسعيد، عبد الرحمان الدكالي (يخطب) وغيرهم.

توارد على منزل سيدي احمد حجي عشية يوم الأحد 8 يوليوز 1933 جماعات من الوطنيين من سلا والرباط وفاس، كان من جملتهم وفي طليعتهم الاخوة : علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، عمر ابن عبد الجليل، الحاج الحسن بوعياد، الهاشمي الفيلالي، حميد الصفريوي محمد اليزيدي، ادريس البنيوري، عبد الرحمان الدكالي، عبد العزيز الدكالي، ابن زاكور، عبد الرزاق بن احساين الفقيه ابو بكر زنيبر الفقيه زين العابدين بن اعبود، الفقيه الحاج محمد عواد، ادريس الشدادي الحاج محمد الطالبي، محمد حصار، رب البيت سيدي احمد

حجي، عبد الكريم حجي، أبو بكر حجي، أبو بكر بنسعيد محمد البقالي عمر بن الأمين عبد السلام بنسعيد، محمد القادري، أبو بكر القادري ج احمد معنينو ومحمد اشماعو وعبد الهادي الشرايبي وغيرهم من الذين غابت عني أسماؤهم.

ولازلت أذكر أن الأخ المرحوم علال الفاسي عندما حضر، لم يجد من بين الحاضرين : محمد اشماعو، فاستفسرني عن سبب عدم حضوره ولما اطلعته بأن ذلك ناشئ عن نزاع وقع بينه وبين بعض الاخوان ألح علي أن أذهب واياه إلى بيت اشماعو لنقنعه بضرورة الحضور وهكذا قصدنا منزل «اشماعو» بسانية حصار، حيث اقنعه الأخ علال بضرورة الحضور والمشاركة، فحضر فعلا وشارك في الاجتماع.

خطاب ابن الحسن الوزاني



محمد بن الحسن الوزاني

لقد كان الخطاب الأساسي الذي ألقي في هذا الاجتماع هو خطاب المرحوم محمد بن الحسن الوزاني والذي استهله بقوله : ان كانت للأمة المغربية أيام وسويعات يتحتم أن تجدد فيها الذكرى لويلات ومصائب ينفطر لها القلب الطاهر حزنا وكدرا، وتنزع لهولها النفس الكريمة حدادا وألما، فإن لها أياما وسويعات أقل ما يجب في حقها أنها من أسعد الأوقات في عمر هذه الأمة العزيزة، ومن أبيض الصفحات في تاريخ جهادها الخصب المجيد. ثم قال : وان كان بين جلائل الأعمال التي نالها العاملون من الأمة المغربية. بفضل هذه الأمة نفسها وعطفها المبرور، شيء يستحق التخليد، ويستوجب التقدير من لدن جميع أفراد الأمة بلا تخصيص ولا استثناء، فهو تأسيس مجلة «مغرب» بباريس منذ سنة كاملة، فمجلة «مغرب» الباريسية كانت نتيجة عظيمة لمجهودات متظافرة قامت بها نخبة من الفرنسيين الوجهاء، في ميدان السياسة، الغيورين على مصلحة أمتهم الحقة، وسمعة بلادهم الطيبة، تلك المصلحة وهذه السمعة اللتان لا تثبتان إلا مع نصرة الحق، وصيانة العدالة في الحدود الطبيعية للتعهدات والضمانات وفي دائرة كرامة الانسان أيا كان جنسه ولغته وعقيدته، وكانت أيضا نتيجة للتآزر الذي ظفر به هؤلاء الفرنسيون الأحرار عند المغاربة الذين قدروا المشروع حق قدره، فاندفعوا إليهم بعامل حسن الانفعال، وبباعث العضد والتنشيط، وحب الخير الشديد لكافة أفراد الشعب المغربي الكريم، وإنا لنجد هذا مبينا بقلم رئيس تحرير المجلة الأستاذ روبير لونكي الذي يقول بعد تعداد ما وقع عليه بصره، واختبره بنفسه أثناء تجواله بالمغرب، أو بحكم مباشرة أعمال مهنته، من (فقدان هيأة يكون في إمكاني الرجوع إليها، ويكون في إمكان ضحايا مثل هذه المظالم الأشقياء الكثيرين أن يلجأوا إليها استنجاداً واستغاثة، ولم يكن وقتئذ من وسيلة لذلك إلا الالتجاء إلى الرأي العام البصير، وإلى نوابنا البرلمانيين، ولهذا قد اعتزمت منذ سنة، تأسيس

مجلة علمية، ففاتحت بعض الأصدقاء من أبناء الاسلام المخلصين الذين أيدوني وأعطوني الوعود بعضدهم ومساعدتهم، وقد كللت أعمالنا المتضافرة بالنجاح، حيث نستطيع اليوم أن نقوم بواجب التحية لبروز مجلة «مغرب» لعالم الوجود) وبعدما يتحدث عن الفوائد التي نتجت عن صدور «مغرب» والوقع الذي أحدثته سواء لدى المؤيدين لها أو من لدن الناقمين عليها وبعدما يؤكد أنها ستواصل أداء رسالتها بنشر الوقائع الصحيحة وتزييف الأراجيف التي يدعيها خصومها، وبعدما يتحدث عن بعض الشخصيات والنشرات التي ناصرتها يقول : أما ما يرجع لمحرري المجلة من المغاربة الذين لا يعبرون في الحقيقة إلا عن أفكار مواطنيهم ولا يعربون في الواقع إلا عن العقلية السائدة في الأوساط المغربية بلا قيد، فإنه من الجنون أن يرموا بالعداوة لفرنسا، إذ في الحقيقة إنما هم مغاربة مخلصون في وطنيتهم مجاهدون بقلمهم وفكرهم في سبيل نصرة قضية بلادهم ضمن حقوقها الطبيعية، وفي دائرة حسن التفاهم مع الأمة الفرنسية الحرة العادلة المحترمة للعهود، الوفية بالوعود الثابتة على تأدية رسالة النصح والارشاد، ثم بعد استدلاله على أقواله السالفة يَمضي فيقول : ويسوءنا كثيرا أن نرى أن مجهوداتنا لا تكلل إلا بنوع جديد من اللوم وسوء الفهم، حيث أخذ بعض الناس ينعون علينا حتى الوطنية، وفاتهم اننا بشر مثلهم، نحب وطننا حبا متينا طاهرا، وبعدما يرفض الوطنية، بمفهومها الأوروبي يقول : أما وطنيتنا فهي الواجبة على جميع البشر نحو القطر الذي نشأوا فيه جيلا بعد جيل، وهي بحكم التعاليم الاسلامية وطنية إنسانية محمودة، لأن الاسلام كما يشهد المستشرق الايطالي الدكتور انسباطو : (يتوغل في كل الحياة، ويتجلى في أطراف ميدانها، فهو قاعدتها وخلاصتها، وفيه تجتمع التقاليد ومنه يستلهم البشر سيرتهم وميولهم، فالاسلام يقتضي في آن واحد وطنية جديدة، وجامعية صريحة، تنحدران منه وإليه، وانه ليتعهدها بلا وهن ولا تردد، وانه ليضع الوطن في قلب الانسان، ويجعله هكذا يشعر بالوطنية حيثما توجه، وارتحل، فالاسلام هو الشيء الوحيد في العالم الذي يكون أشد قدرة من جميع أنواع الوراثات) فالوطنية المغربية والانسانية لا تتنافيان، والوطنيون المغاربة بحكم التعاليم الاسلامية، ليسوا بطبيعة الحال أعداء لغيرهم من الفرنسيين وغيرهم وبعد توضيح أن الوطنيين لا يبتغون من وراء وطنيتهم مصالح شخصية يَمضي فيقول : وإلى متى يتجاهل من يهمهم الأمر قضيتنا التي استنارت بما ألقيناه عليها من النور، وبما أحاط بها من الصراحة والوضوح، ويتحدث عن مطالب الوطنية المغربية فيقول انها : ترمي إلى اصلاح شؤون الأمة المغربية إصلاحا يفي بحاجاتها، ويخطو بها خطوة سريعة في نهج التطور والتقدم، ثم يقول : إننا لا نرغب في الاصلاح الأبتر، ولا في الاصلاح الذي يؤدي إلى احداث ما لا يجب احداثه، وبعد كلام عن الاصلاح المطلوب وان تحقيقه هو الذي يبدد السحب، ويفتح عصر التوادد والتحابب يرجع إلى الحديث عن مجلة «مغرب» مبينا أهدافها ومراميها منوها بمن ساعدها من أحرار الفرنسيين قائلا : ان مجلة «مغرب» في باريس منبر القضية المغربية، وترجمان السياسة الرشيدة الصادق، واننا لا ننسى فضلها العظيم على القضية الشعبية، ولا نغمطها حقها في الفوز الذي ظهر والنتيجة التي حصلت، وكل هذا

يزيدنا يقينا بأن عملها مثمر وصالح، وان مؤازرتها تجب بقدر ما نريده من خير لقضيتنا العامة، وما ننتظره من فلاح في حياتنا الوطنية الكريمة[1].

لقد كان هذا الخطاب الذي ألقاه الأستاذ الوزاني ربما أول خطاب من نوعه يلقى في جمهور لابأس به من الوطنيين في مختلف المدن المغربية كما كان الاجتماع بدار حجي أول اجتماع من نوعه يتلاقى فيه الشباب الوطني من الرباط وسلا وفاس، لبجدوا أنفسهم متفقين ومتجاوبين التجاوب الكلي فيما طرحه خطاب الوزاني من أفكار، ولذلك فإنه لاقي التحبيذ والتأييد والتصفيق. وبعد هذا الخطاب القيم قام المرحوم السيد عبد الرحمان بن الشيخ بوشعيب الدكالي فألقى كلمة تأييدية حماسية ارتجلها تحت عامل الجو الوطني السليم الذي ساد الاجتماع، وبعد إنهائه خطابه قام المرحوم الأخ عمر بن عبد الجليل وتوجه إلى الحاضرين بابتسامته الحلوة الطاهرة فقال : ما معناه اننا ونحن نحتفل بذكرى مرور سنة على صدور مجلة «مغرب» نود أن ننهي إلى مسامعكم أن «مجلة مغرب» ستضع مولودا سعيدا بعد بضعة أيام، وهذا المولود السعيد، هو جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية، قرر إخوانكم إصدارها لتدعم مجلة «مغرب» وتزيد تعريفا بقضيتنا الوطنية، وهذه الجريدة هي : (عمل الشعب) (L’action du peuple) فانتظروا قريبا صدورها بحول الله.

واثر هذا وزعت المشروبات والحلويات على الحاضرين، وتبادلنا التهاني بنجاح هذا الجمع الوطني الذي كان أول اجتماع من نوعه ثم التقينا نحن المنظمين لهذا الاجتماع لنقرر إرسال ثلاث برقيات إلى كل من رئيس الحكومة الفرنسية السابق مسيو هيريو والي السيد روبيرجان لونكي المسؤول عن المجلة وإلى هيأة التحرير ولقد تقرر أن توقع البرقيات من طرف الاخوة الآتية أسماؤهم :

1) محمد اليزيدي 2) علال الفاسي 3) محمد الوزاني 4) أبو بكر القادري.

وها نص البرقيات الثلاث (إلى المسيو هيريو)

1) إن أصدقاء «مغرب» الوافدين من جميع أنحاء المغرب لتخليد ذكرى «المجلة» يصادقون بدون تحفظ على الخطاب الذي ألقاه الوزاني باسمهم، ويذكرون لكم تفضلكم برفعكم المنع عن المجلة، ويقدرون دائما التفاتتكم العادلة النبيلة التي برهنت بإعجاب على روح الحرية لفرنسا الحقيقية، ويتشرفون جميعا بالاعراب لكم عن عميق امتنانهم مع قوى الرجاء في أن يدشن عهد جديد في علائق البلدين ويلتمسون منكم قبول عواطف الاحترام.

لجنة التنظيم : القادري — الوزاني — الفاسي — اليزيدي.

2) إلى المسيو روبير جان لونكي

إن أصدقاء «مغرب» الوافدين من جميع أنحاء المغرب، لتخليد ذكرى المجلة، يؤكدون

---

(1) انظر نص الخطاب بكامله في مجلة «السلام» التطوانية.

كل التأكيد الخطاب الذي ألقاه الوزاني باسمهم، ويتضامنون معكم في المعركة التي تخوضونها، بصفتكم مناضلا صادقا وفرنسيا حقيقيا في سبيل قضية عادلة، ويعربون لكم عن عطفهم البليغ وذكرهم الجميل.

نفس التوقيعات.

إلى هيأة التحرير مجلة «مغرب» باريس

3) إن إصدقاء مغرب الوافدين من جميع أنحاء المغرب لتخليد ذكرى المجلة، يلتزمون بدون تحفظ بالخطاب الذي ألقاه الوزاني باسمهم ويسعدهم أن يعبروا لكم عن امتنانهم لما تبذلونه دائما من مساعدة فعلية ومعنوية، تفوق كل تقدير، وتخصون بها. كرما منكم وفضلا مجلة «مغرب» في كفاحها الوفي، لنصرة الحقيقة نصرا حقا عادلا ملتمسين منكم قبول احترامهم العميق، (نفس الامضاءات).

لقد كان النجاح الذي لقيه هذا الاجتماع مزدوجا، فمن جهة وجد الشباب الوطني من مختلف المدن المغربية نفسه موحد الرأي حيث أن الخطاب الذي ألقاه الوزاني بلور الأفكار التي يشعر بها كل الشباب الوطني، ووضح معالم طريق الوطنية المغربية وأهدافها النبيلة التي تسعى لتحقيقها. ومن جهة ثانية صرنا نشعر أننا قوة فاعلة متضامنة على الصالح العام لهذه البلاد، وإذا كنا لتلك الآونة لم نؤسس حزبا موحدا، ولم نحدد برامج مدققة، فإن الروح الوطنية الشريفة. كانت تتفاعل في نفوسنا جميعا لدرجة أننا لم نكن نحس بفوارق فيما بيننا، لم تبرز لغاية تلك الساعة بروزا كبيرا أية شخصية يمكن اعتبارها شخصية الزعيم القائد، وان كان اسم علال والوزاني وبلافريج كان يطنّ في الآذان، ويلاحظ أن بلافريج لم يشارك في هذا الاجتماع، ولست أتذكر هل السبب هو أنه لم يكن موجودا بالمغرب ساعة الاجتماع أو كان هناك مانع آخر، كما يلاحظ أن التوقيع على البرقيات كان من طرف علال والوزاني وهما جميعا من فاس، أكان ذلك مقصودا لأنهما كانا إذذاك فرسَى رهان، أم كان ذلك عفوا ؟ انني لا أريد أن أتجنى على الحقيقة، ولا أن أسبق الأحداث، وفيما يتعلق بتوقيعي أنا أريد أن أسجل هنا بكل تواضع أن إخوانا في «سلا» كانوا أسبق مني في ميدان العمل الوطني، ولو وقع واحد منهم بالنيابة ما وجدت غضاضة، ولا شعرت بمنافسة، ولكن الذي وقع أن جماعتنا الوطنية كلها اتفقت على أن أكون أنا الموقع بالنيابة عنها فكان أول تشريف وتكليف لي من طرف إخواني، سيستمر بعد ذلك لدى تقديم مطالب الشعب المغربي، وإلى ما شاء الله[2].

إن النجاح الذي لقيه احتفالنا بذكرى «مغرب» خلق في حركتنا جوا من النشاط، وجعلنا نعمل على تقوية صفوفنا، وتنويع أعمالنا، ونتفاءل خيرا بمستقبل نهضتنا.

---

(2) لا أريد أن أدخل في لجاج فأرد على ما كتبه بعض أصحاب المذكرات في مثل هذه الموضوعات.

لقد حصلت نكسة قبل هذا الاجتماع بقليل، حيث أن الادارة الاستعمارية، استطاعت أن تبتكر من الدسائس ما يمكنها من منع «مغرب» من التداول، وهكذا أصدرت أمرا بمنعها من الدخول إلى المغرب وتداولها فيما بين المناضلين، ولكن الموقف الحازم الذي وقفه اخواننا، والظروف التي كانت مواتية، حيث كان يترأس الحكومة الفرنسية شخصية معروفة بتعاطفها مع الأفكار الحرة، هي شخصية «الرئيس» هيريو، وتضامن الأحرار الفرنسيين الذين كانوا من وراء صدور المجلة كل ذلك جعل الادارة الفرنسية بالمغرب تخسر الصفقة، وتتراجع مكرهة عن منع المجلة من الدخول إلى المغرب وتداولها بين المخلصين.

إن رد فعل الحركة الوطنية كان قويا إزاء منع «مغرب» من التداول داخل المغرب، فقدمت الاحتجاجات إلى حكومة فرنسا وكان من جملتها رسالة طويلة وجهت إلى رئيس حكومة فرنسا باسم (الأمة الفاسية) (كذا) ووقعت من كثير من الشخصيات جاء فيها : نتأسف كثيرا ياسعادة الرئيس حيث نرفع إليكم رسالتنا هذه، ولكن لا لبيان الآمال والأماني التي يراها الشعب المغربي في فرنسا الفخيمة، ولا لبيان ما يقوم به ممثلوا دولتكم، وفي مقدمتهم المقيم العام «سان» من الأعمال النافعة والمشاريع العظيمة التي تعود على العنصرين بالخير والنفع، بل نرفعها احتجاجا واستصراخا ضد الحملة العنيفة التي قام بها المقيم العام ومعاونوه من الموظفين ضد دين البلاد ولغتها ووحدتها، هذه النقط المحترمة في سائر العهود والمواثيق بين الدولتين، وضد هذا الضغط الشديد والارهاق المميت الذي يظهر بأجلى مظاهره في المظالم والفظائع التي تلحق المغربي الأهلي، صباح مساء. وتمضي الرسالة بعد كلام طويل وتعداد للفظائع المرتكبة فتقول : ولم يقف الأمر عند هذا بل أغرى الحكوميون جماعة من الصحف الماجورة التي لا غاية لها سوى المصلحة الذاتية فقاموا ضد المجلة ومحرريها الأحرار والأمة الفاسية شيوخا وشبانا، وألزموا نواب الأمة الفاسية، بالمجلس البلدي على أن يقدموا احتجاجا باسم الأمة الفاسية يطلبون إيقاف المجلة ومنع دخولها إلى المغرب ثم تقول الرسالة. فالمجلة ياسعادة الرئيس هي لسان المغرب الناطق والقائمون بها هم المدافعون عنه والمبينون لرغائبه والمظهرون للاستبداد الذي يقاسيه ويتجرع مرارته. ولنا الأمل العظيم في عطف فرنسا على المغرب، نرجو أن تكونوا أنتم من محققيه في تدارك هذه الحالة، وجعل حد لاستبداد المستبدين وظلم الظالمين والرسالة مؤرخة بـ 4 شتنبر 1932.

النادي الأدبي الاسلامي بسلا

أشرت سابقا إلى أننا جعلنا من برنامج عملنا الاتصال بالجمعيات التي سمحت لها الادارة الرسمية ببعض النشاطات الأدبية، وذلك قصد الاستفادة من وجودها لبث الوعي الوطني من جهة، وللاستفادة من مراكزها للتنشيط الثقافي والأدبي من جهة أخرى.



ح أبو بكر الصبيحي

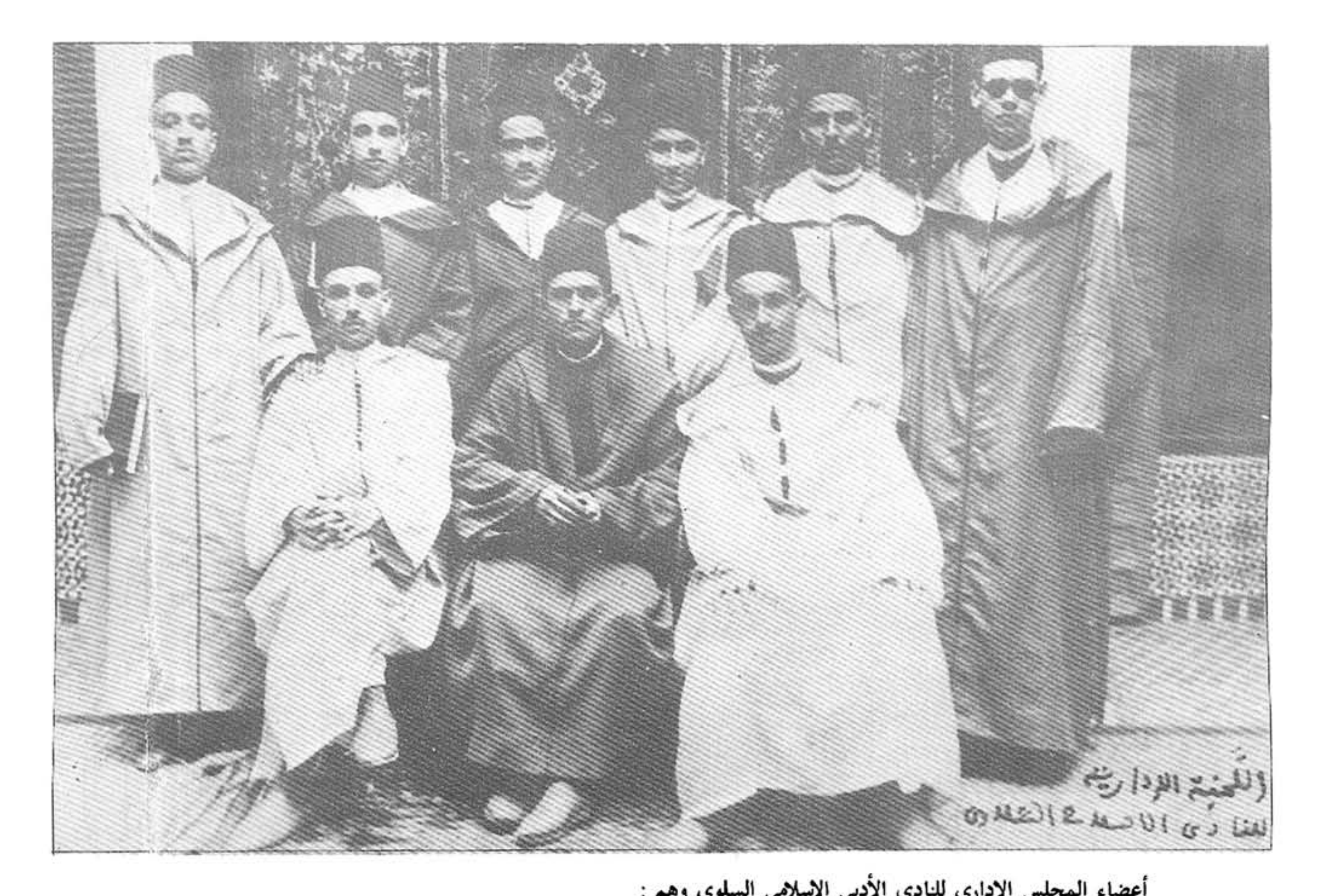
ولقد كان يوجد بمدينة «سلا» نادي أدبي يحاكي جمعيات قدماء التلاميذ التي كانت موجودة ببعض المدن الكبرى كفاس والبيضاء والرباط، وان كان يختلف عنها في بعض الجوانب، إذ كانت فكرة تأسيسه أتت من شخصية وطنية، هي شخصية أخينا المرحوم الحاج أبي بكر الصبيحي عضو حزب الاستقلال وأحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال. ولقد أشارت البطاقة التي وزعت لعقد أول اجتماع له، توضح الغاية من إنشائه، فلقد جاء في هذه البطاقة مايلي بعد الحمدلة جناب الفاضل الأديب......

تحية وسلاما، وبعد، فإن بعض التلاميذ السلاويين ممن حركتهم عواطف الروابط الودادية، والغيرة الأدبية، تاقت نفوسهم إلى تأسيس ناد أدبي، الغرض منه بث روح العلم والتعليم من نشر أفكار علمية، وإلقاء مسامرات أدبية، لهذا تلتمس الجمعية من جنابكم أن تشرفوا مدرسة أبناء الأعيان بسلا، يوم الجمعة تاريخ 5 ربيع النبوي 1346 — 2 شتنبر 1927 على الساعة الثالثة مساء، ولكم الشكر والسلام.

لقد شارك في هذا الاجتماع نخبة من الأعيان والفقهاء والعلماء والمثقفين والطلبة، وبعد التآم الجمع قام أحد الطلبة إذذاك هو الأستاذ السيد عمر بن عبد الله عواد فألقى كلمة وضح فيها الغاية من الاجتماع ثم أعقبه المرحوم السيد احمد حصار شقيق المرحوم الوطني الغيور الشاب السيد محمد حصار بكلمة ثانية ثم أعطيت رئاسة تسيير الجلسة لأخينا المرحوم الفقيه العدل الشريف مولاي ادريس الجعيدي، وفتح باب الترشيح لانتخاب مجلس إداري فكانت النتيجة كمايلي : الحاج بوبكر الصبيحي رئيسا، والسيد ادريس بن الحاج علي عواد خليفة للرئيس،



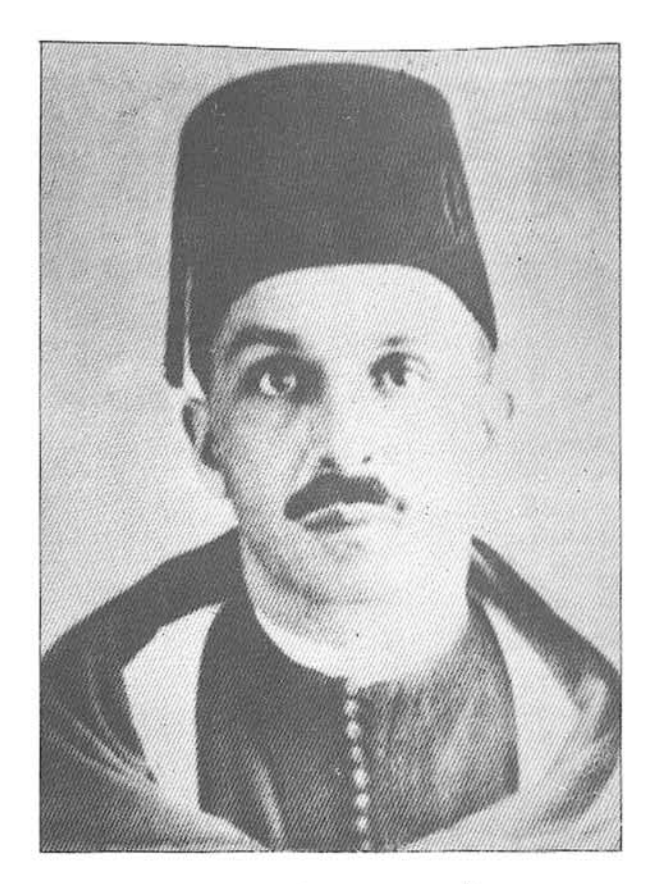
مولاي ادريس الجعيدي



أعضاء المجلس الإداري للنادي الأدبي الإسلامي السلوي وهم :

الجالسون من اليمين : ادريس عواد، أبو بكر-الصبيحي، عمر عواد.

الواقفون من اليمين : عبد الرحمان عواد، المكي عواد، عبد الكريم بوعلو، محمد الزمزمي الجعيدي، أحمد حصار، محمد اشماعو.



الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حجي

والسيد عمر بن عبد الله عواد كاتبا، والسيد محمد بن الحاج الطيب عواد خليفة للكاتب والسيد احمد حصار أمينا للصندوق والسيد محمد اشماعو قيما للخزانة، وانتخب الباشا الحاج محمد الصبيحي رئيسا شرفيا.

وبعد إجراء عملية الانتخاب وتكوين المجلس الاداري المسير للنادي الأدبي الاسلامي، قام الشاعر الفحل الأستاذ السيد عبد الرحمان حجي شقيق المرحوم السعيد حجي فألقى قصيدة جاء فيها :

أيها الشبان قوموا	فلكم أجر عظيم
شيدوا أركان مجد	وابتغوا ذكرا يدوم
واكرعوا في حوض علم	حوله الناس تحوم
واسلكوا نهج وداد	فهو خط مستقيم

واتركوا كل فـــــراغ	فهو الداء الوخيـــم
ليس يدري المرء فيـــه	أين يسعى أو يقيـــم
وعلى نيل المعالـــــي	أو ثقوا العهد ودومـــوا
شمروا عن ساق جـــد	كي تنالوا ما ترومـــوا
انـــه فـــوز مبيـــن	انه ربـــح جسيـــــم
وانبذوا الخلـــــف وراء	انـــه شـــيء عقيـــم
وتحاموا كل جهـــــل	انـــه ليـــل بهيـــم

ولكن الذي وقع بعد هذا الاجتماع أن السلطة الفرنسية رفضت اللائحة المقدمة إليها بأعضاء المجلس الاداري المنتخب، واشترطت أن لا يقع بالنادي اعتراف رسمي إلا إذا كان جميع أعضاء المجلس من قدماء تلامذة مدرسة أبناء الأعيان، فعارض المؤسسون هذا الشرط وبالأخص الذين لم يسبق لهم أن درسوا بالمدرسة المذكورة ولكن النادي بقي يؤدي رسالته رغم اعتراض السلطة حتى مرت سنتان فوقع تجديد المجلس الاداري بتاريخ 13 أكتوبر 1929 وضم بين صفوفه ثلاثة أو أربعة أفراد كانوا حاصلين على شهادة الدبلوم النهائية (الباكالوريا).

لقد لعب هذا النادي دورا هاما في تنشيط الحركة الأدبية ابتداء من يوم تأسيسه إلى الأربعينات، وتسربنا إليه تسربا كليا في الثلاثينات، فصار أداة من الأدوات التي كنا نشتغل من خلالها لتوجيه الطلبة ومساعدتهم، ولالقاء المحاضرات واستدعاء المحاضرين من مختلف المدن والجهات، كما كان له دور هام في توطيد العلاقات مع شباب الرباط وفاس والدار البيضاء، خصوصا بعد اهتماماته بالتمثيل العربي وتكوين جوق تمثيلي كان يشرف عليه الأستاذ المرحوم عبد اللطيف الصبيحي في الوقت الذي كان يشرف على جوق التمثيل الرباطي الأخ الأستاذ محمد اليزيدي وبالمناسبة أثبت هنا نص خطاب كان ألقاه الأخ اليزيدي على إخوانه في النادي الأدبي الاسلامي كما وجدته في أوراق أخينا المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي الموجودة بالخزانة الصبيحية :

إخواني وأعزائي أعضاء النادي الأدبي الاسلامي السلوي

إليكم أرفع على لسان أفراد الجوق المغربي (الرباطي) أزكى التحيات وأجزل التشكرات على مبادرتكم إلى تلبية دعوتنا كي توفوا وإيانا بميثاق أخذناه جميعا على أنفسنا منذ سنة، وذلك الميثاق هو كما تعلمون، إحياء ليلة، عمدت فيها ملائكة الرحمة ببنان من حنان، وبألسنة من صفاء إلى قلوب الشبيبة السلاوية، وأختها الرباطية، فصفتها وألفت فيما بينها.

وكأني بكم تستغربون مني هذا الشكل، مستبدلين باعطائكم الواجب حقه، وباستعدادكم لادراك اللذة والاطمئنان، اللذين يجدهما الضمير، بعد أن يؤدي دينا أثقل كاهله، وعاقه عن

التنفس، بيد أن استغرابكم يضمحل، عندما تعلمون أن ثنائي انما هو متوجه إلى مجهودات استنجدتم بها على كبح ألسنة القديم، وقد كانت تشير بتأجيل ربط العلائق معنا إلى يوم تنقلب فيه الرمل زبيبا ويستحيل الماء حليبا، ولقد نصحت لنا أيضا بمثل ذلك، وأدلت بحجج كان من حظها أن أصبحت هباء منثورا، لما عرضناها على ميزان النقد والفحص، فلنهنأ إذا كلنا بهذا الانتصار، ولنذكر بكل خشوع، تلك الليلة التي نلناه فيها ليلة الرشيد والبرامكة، وما لنا لا نذكرها بخشوع، وأملنا أن يجني المغرب منها ثمارا شهية، وما لنا لا نحييها وما زلنا حتى الآن، نتلذذ برنينها ونود لو تباع ساعة منها بأيام من حياتنا، إننا لو غفلنا عن إحيائها لنبهتنا إلى ذلك، الصخور المشرفة على أبي رقراق، والتي ما زالت محتفظة بصدى أناشيدنا وتصفيقنا، بل لنبهنا الوادي نفسه لما تبادلنا على شاطئه من قبل المحبَّة الصادقة الدائمة، ونجوم السماء التي كانت تلاحظ حركاتنا وترسمها بأشعتها الفضية على قلب كل وطني غيور.

ولكن، نحن أدرى من الطبيعة الخرساء بتقدير واجبنا لأننا متى شئنا، أحفظ منها عهدا، وأوفى وعدا. لذلك ترانا اليوم مجتمعين حول ذكريات مرت لنا أثناء هذه السنة. فيا ما أحلاها من ذكريات ويا ما أنصع صفاء حدها، ولئن كانت سحائب سمائنا تحاول من آن إلى آخر أن تتلبد ببعض نواحيه، لولا أن ريح الوطنية تهب عليها وتبددها أيما تبديد.

من لي بأن يكون ذلك نصيب كل سحابة تريد أن تعم هذا الجد، وكل ريح تسعى في تكدير صفائه، أرى من بينكم من يستطيعون ذلك إن إرادوا، لأنهم يقدرون غايتنا، ويعلمون أنها أسمى من أن تقف دونها أمام صفاصف (لعلها سفاسف) وتلفيقات لا يكون لها روجان إلا في مملكة الصبيان.

فعلى هذا الفريق أن يؤدي وظيفته، فيرشد إخوانه ويحضهم أن لا يبخلوا بأسمائهم عن تلك القلاقل، وأن يضحوا بكل عزيز وغال في سبيل بغيتها، ألا وهي التأليف ما بين الشبيبة المغربية عموما، وشبان الضفتين خصوصا، لأن الحزم يقضي على المرء أن يتحد مع جاره، قبل أن يربط أية علاقة مع من هو أبعد منه دارا، وذلك أن الجار يحمي بيته إذا غاب، ويساعده على أعماله إذا حضر.

إذا كانت هذه نوايانا، ونحن على باب العام الثاني من تعارفنا، فلنبشر بأن توادنا سيزداد تمكنا، وبأن ثقتنا ببعضنا، ستأخذ حظها من المتانة، ولأن قلوبنا ستتطهر من أضرار الكبرياء والحقد، وعندها يحلو لنا أن نشارك في أي عمل كان، تحت ظل سماء هادئ طيب. تلكم أماني وفي استطاعتكم أن تحققوها.

الرباط في 29 ذي الحجة 1347هـ 8 يونيه 1929

إمضاء :

محمد اليزيدي

إن هذه الرسالة المؤثرة والمعبرة، تدل على رغبة جامحة في ارتباط الشباب المغربي عموما والشباب الرباطي السلاوي على الخصوص لخدمة الأهداف النبيلة التي يسعى إليها ويعمل لها الشباب المغربي، كما تبرهن على الدور الهام والتأثير العميق الذي كان لتمثيل رواية الرشيد والبرامكة والتي مثلتها فرقة سلاوية تضاهي أختها في الرباط.

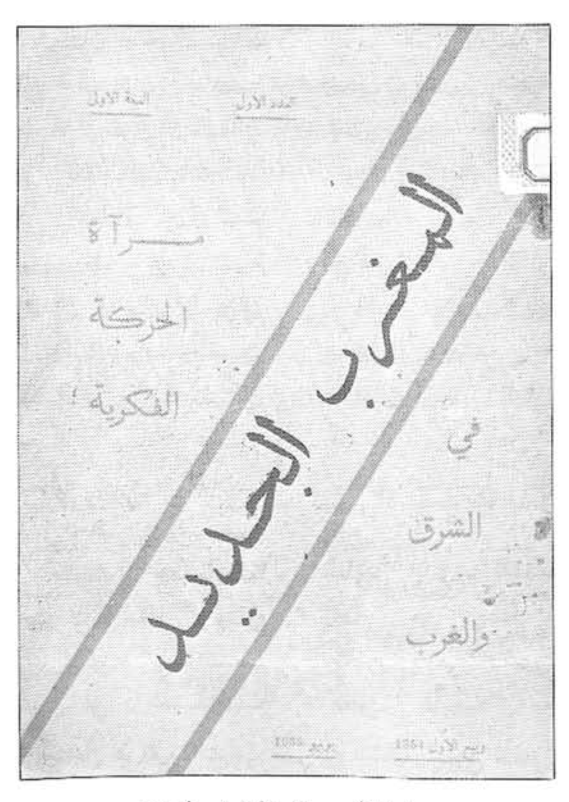
وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، وإذا كان الأخ محمد اليزيدي وجه رسالته المؤثرة والصادقة إلى إخوانه أعضاء النادي الأدبي الاسلامي بمناسبة مرور سنة على توثيق عرى المحبة والتعاون والوئام بين الشباب الرباطي والشبان السلاويين، فلا ثبت هنا كذلك قصيدة شعرية ألقاها الشاعر عبد الرحمان حجي في الحفلة التي أقيمت بتلك المناسبة بتاريخ ذي الحجة 1347 قال الشاعر حجي :

سلام من سليم الصدر يهدي	إلى الشبان والنشء المفدي
إلى النفر الأولى اتحدوا ابتغاء	لوجه الله اخلاصا وقصدا
ومن يلك عنده الاخلاص دينا	يرف الدانبات ويوت رشدا
ولم يظفر بحاجته سوى من	يؤلف وحدة ما اسطاع جهدا
يؤلفها من الشبان جيشا	يرى أن يدرك الغايات جدا
يسير بهم إلى الميدان صفا	يخال لدى احتدام البأس شدا
فما هذى الحياة سوى عراك	يفوز به الشباب إذا استعدا
وليس يليق بالفتيان الا	سباق للعلا جمعا وفردا
ومن يسعى إلى العلياء إن لم	تكونوا أنتم للشعب جندا ؟
انرضى بالخمول لنا قرينا	ونرجو أن نرى عزا ومجدا
ونحن على شفا جرف انحطاط	وحالتنا تشير بأن سنردى
قد انفصلت عرانا واضمحلت	بسيل مفعم حسدا وحقدا
انبقى في شقاق وانخذال	وقد كادت لنا الأعداء كيدا
ومن يرد الحياة حياة عز	فليس يرى من الاقدام بدا
إذا قمتم فسوف نرى انقلابا	يبدل نحسنا بالعلم سعدا
هنالك شعبنا يحظى بفوز	ولو كانت له الأعداء لدا
إذا ما أمة طلبت حقوقا	على أيدي الشباب فلا مردا
وان سلك الشباب سبيل عزم	ينل من منبع العرفان وردا
قرائحكم إذا سقيت بعلم	يجئن جني شهى الطعم شهدا
وينبتن الأزاهر في شذاها	تفوق تأرجا مسكا وندا

كما يجب أن أسجل أن فقيد الشباب المرحوم السعيد حجي سجل في الجريدة الخطية

التي كان يصدرها في العدد 68 وهو العدد الممتاز الذي أصدره بمناسبة النهضة التمثيلية في الرباط أقول سجل ما شاهده ولاحظه في الرواية التي مثلها جوق الرباط والتي كان عنوانها (مصارعة العواطف) ذاكرا أن الشباب السلاوي عندما تلقى دعوة من إخوانه الشبان الرباطيين لحضور في هذه الرواية التمثيلية قام على ساق الجد، وحض على شراء التذاكر وباع تذاكر كثيرة ولم يكتف بذلك بل اكترى حافلة كبيرة حملت الشبان السلويين إلى الرباط وساروا مجتمعين ينشدون الأناشيد الوطنية الحماسية ويعبرون عن سعادتهم وفرحتهم بهذا التلاحم بين الشبيبتين الرباطية والسلوية لبناء النهضة المرجوة لا في الميدان الأدبي والتمثيلي فحسب، ولكن في جميع الميادين الداعية للتعاون والتكاتف.

لقد صدر العدد المذكور من جريدة السعيد بتاريخ 7 مايو 1929 أي قبل صدور ظهير 16 ماي 1930 بسنة واحدة. وهذا يدل على أن كلا من الشباب الرباطي والسلاوي كان متلاحما متعاونا قبل حوادث القضية البربرية، ولذلك فإنهم لم يعلموا بما دبره الاستعماريون من مخططات، حتى قاموا قومة رجل واحد، يحتجون ويستنكرون ويتظاهرون كما أشرنا إلى ذلك في غير هذا المكان.



صورة غلاف مجلة «المغرب الجديد»

لقد اهتم الشباب المغربي عموما بفن التمثيل سواء في سلا والرباط أو فاس أو الدار البيضاء أو طنجة، ويظهر أن مدينة طنجة كانت السباقة في هذا المجال الأدبي فلقد كان لها جوق تمثيلي يسمى جمعية المغرب قام بتمثيل عدة روايات، منها رواية الوليد ابن عبد الملك وشارك في تمثيلها نخبة من الشبان الطنجيين فيهم محمد بن الجيلالي وعبد السلام القصري ومحمد المرير ومصطفى بن الفقيه والطيب بن العربي والطاهر بن داود ومحمد الحداد. كما كانت بطنجة جمعية أخرى تسمى جمعية الهلال التي مثلت رواية صلاح الدين ومن الذين كانوا يهتمون بالحركة التمثيلية نجد اسم السيد محمد المرير وآخرين، أما فاس فلقد كانت من السابقين أيضا لمجال حركة التمثيل فكانت لها فرقة تابعة لجمعية قدماء تلامذة مدرسة مولاي ادريس كما كانت لها فرقة تمثيلية أخرى مثلت بالرباط.

أما شباب الرباط فقد مثلوا رواية صلاح الدين وقام بتمثيل الدور الأساسي السيد محمد بن عبد الله والسيد السيتل العيساوي كما مثلوا رواية مصارعة العواطف كما أشرت إلى ذلك من قبل.



ــ من أعضاء النادي الأدبي بسلا
ابراهيم بلفقيه الجريري، عبد الرحمان عواد
عبد السلام عواد



ــ من أعضاء النادي الأدبي بسلا
عبد الكريم حجي، محمد حصار، عمر عواد

لقد كانت السنوات الأخيرة من العشرينات سنوات نهضة تمثيلية أدبية عمت كثيرا من المدن المغربية، ولذلك فإننا نعتبرها من الارهاصات التي نشأت عنها الحركة الوطنية نشأتها الكبرى في عام 1930. ان الأفكار تنبهت، والوعي استيقظ، والاشمئزاز من الواقع المتخلف تكاثر، والشباب المتفتح لم يبق راضيا بواقعه المتردي، ولكن ما هي الطريق ؟ لقد جاءت حوادث الظهير البربري لتشق الطريق إلى العمل المجدي، إلى مقاومة المخططات الاستعمارية كما بينا ذلك في موضعه.

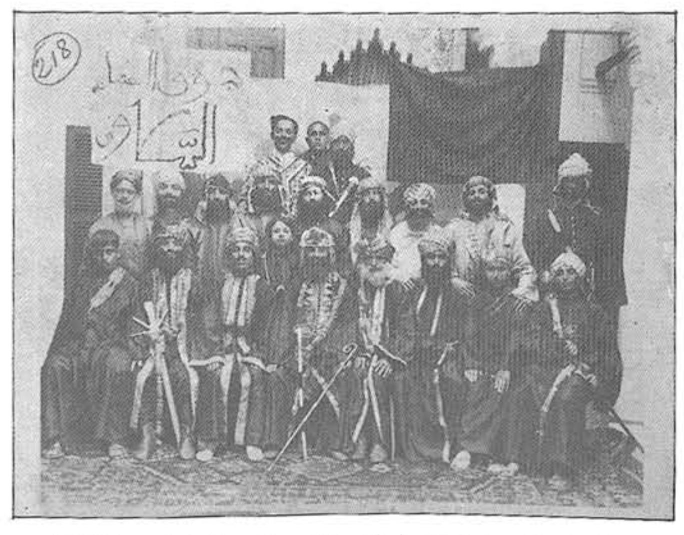
الاهتمام بفن التمثيل في العشرينات

كما أشرت لذلك من قبل، قامت حركة تمثيلية في بعض المدن المغربية مثل طنجة وفاس والدار البيضاء والرباط، وكان الذي يرعى ويسير هذه الحركة نخبة من الشباب المثقف، وفي مدينة «سلا» تأسست لجنة من أعضاء النادي الأدبي الاسلامي تحت إشراف الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي وكانت مؤلفة من السادة عبد الرحمان بن الطيب عواد وإبراهيم الجريري والعربي بن الطالب معنينو وادريس بن الحاج علي عواد وسهرت أولا على تمثيل رواية الرشيد والبرامكة بمسرح النهضة بالرباط، وذلك يوم الثلاثاء 5 يونيه سنة 1928 الموافق لـ 16 ذي الحجة 1346 فنالت نجاحا كبيرا ورجا شباب البيضاء أن يعاد تمثيلها بالدار البيضاء فمثلت يوم 18 محرم 1347 حيث نجحت أيضا نجاحا قل نظيره، الأمر الذي دفع بأحد الشخصيات الأدبية إلى إهداء هدايا إلى كل واحد من الذين ساهموا في التمثيل مع إهداء كتب أخرى لخزانة النادي الأدبي الاسلامي وبعد النجاح الذي لقيه تمثيل رواية الرشيد والبرامكة قامت اللجنة المذكورة بتمثيل رواية (في سبيل التاج) وذلك يوم السبت 17 ربيع الثاني 1347هـ الموافق 21 شتنبر سنة 1929 وذلك بمسرح النهضة أيضا.

لقد شارك في تشخيص هاتين الروايتين نخبة هامة من شباب «سلا» كان من جملتهم السيد عمر بن عبد الله عواد وعمر الدكالي وعبد الرحمان عواد وعبد الكريم حجي والعربي معنينو وعبد الكريم الصابونجي ومحمد المريني ومحمد شماعو والمهدي زنيبر وعبد القادر بوزيد ومحمد الزمزمي الجعيدي وقاسم حصار ومحمد حصار ومحمد املاح ومحمد القادري وعمر زنيبر وعبد الكريم بوعلو ومحمد حصار وغيرهم من الذين لم أستحضر أسماءهم، وكانت رواية الرشيد والبرامكة تشتمل على خمسة فصول، أما الفصل الأول فيشتمل على أحد عشر مشهدا، ويمثل ليلة طرب من منازل البرامكة وقد حضرها أعلياؤهم وكبراؤهم وأمراء الدولة العباسية وشعراؤها. أما الفصل الثاني ففيه سبعة مشاهد ويمثل في قصر الرشيد حيث يبايع ابنه المامون بالبردة النبوية



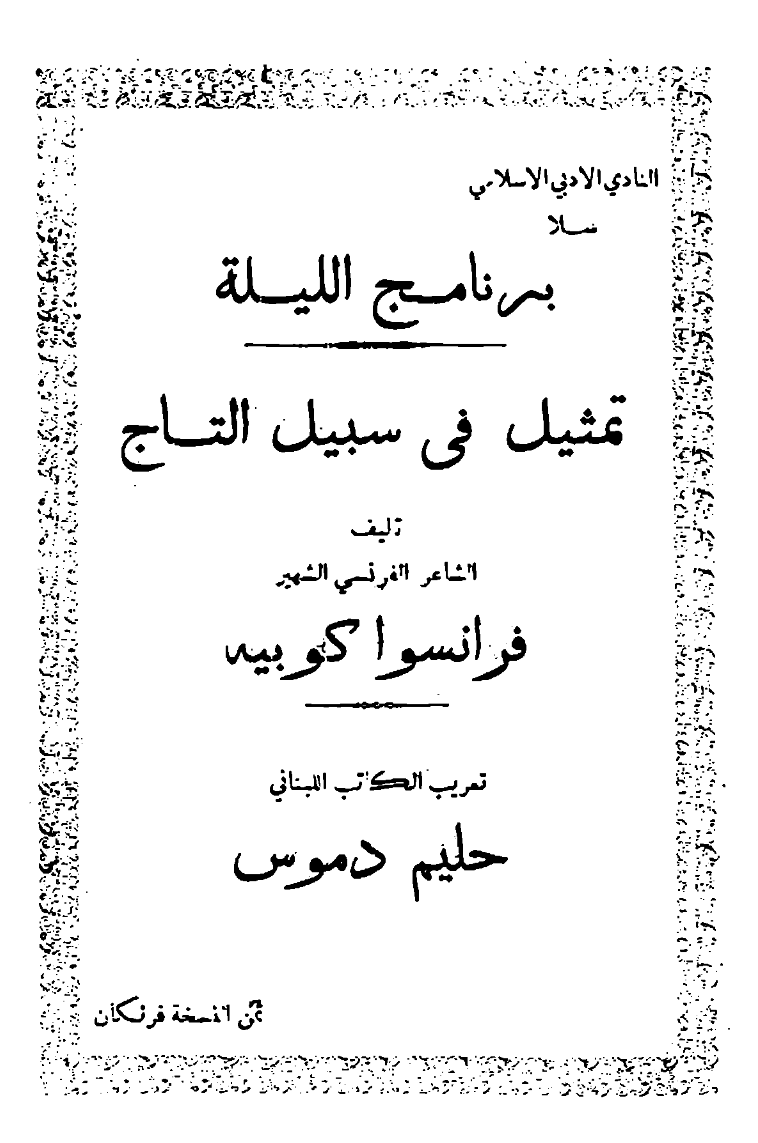
والقضيب والخاتم، ثم إرسال الوفد العباسي إلى شارلمان ملك الفرنجة مع تحف وهدايا واما الفصل الثالث ففيه تسعة مشاهد ويمثل الخيانة والغدر حيث يغير الفضل ابن الربيع صدر الرشيد على البرامكة لسببين : أولا : لاطلاقهم سبيل العلوي (سجين الرشيد) وثانيا : لعلاقة جعفر مع العباسة أخت الرشيد، أما الفصل الرابع ففيه سبعة مشاهد تمثل إلقاء القبض على



تمثل هذه الصورة الجوق السلوي الذي مثل رواية الرشيد والبرامكة

البرامكة، ومحاجة الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي وإصدار أوامر الرشيد بحجز أموال البرامكة وإبادتهم عن آخرهم. وأما الفصل الخامس وفيه ثمانية مشاهد تمثل ندم الرشيد على ما فعل وخرائب دور البرامكة.

وهي كما نرى رواية تراجيديا (ماساوية) كانت خاتمتها ندم وحسرة وألم وحزن ولقد جاء في التقديم الذي قدمت به الرواية الأبيات الآتية :



النادي الادبي الاسلامي

سلا

برنامج الليلة

تمثيل فى سبيل التاج

تأليف

الشاعر الفرنسي الشهير

فرانسوا كوبيه

تعريب الكاتب اللبناني

حليم دموس

ثمن النسخة فرنكان

غلاف مسرحية في سبيل التاج

ملخص رواية

اليتيم المهمل والمثري العظيم

لمؤلفها

[illegible]ي وفقه الله

باقتراح [illegible] [illegible]شاوي في الموضوع [illegible] الله به

كل شيء بالمال يوتى فان كنـ * ـت غنيا بلغت كل منا كا

أو تكن معدما فدع عنك آما * لا عظاما تأوى لمثر سواكا

{ م٠ق }

نشيد الترحيب

شَرَّفَ اللهُ كراماً * شَرَّفُونَا بِالْحُضُورِ

فَلْيَدُومُوا كُلَّ يَوْمٍ * في هنـاءٍ وَسُرُورِ

سادَتِي إِنْ نَحْنُ جِئْنَا * بِصَوَابٍ وهُوَفَرْضٌ

فاقْبَلُوا وَالْفَضْلُ منكُمْ * لا يَكُنْ منكُمْ رَفْضٌ

وإِذْ انَحْنُ أَسَأْنَا * فَاصْفَحُوا عَنَّا وَغُضُّوا

سادَتِي وَفَّرَ رَبِّي * جَمْعَكُمْ مَدَّ الْعُصُورِ

ولْتَدُومُوا كُلَّ يَوْمٍ * في هَنَـاءٍ وسُرُورِ

(وَأَمَانٍ وَسَلَامٍ)

الله أكبر أيها العظماء والحكماء فاعتبروا بهذه الداهية
فإذا حكمتم فاحكموا بالعدل لا تبغوا فعقبى البغى نار حامية
وبصالح الأعمال لا بالظلم تـدخرون في الدارين نعمى سامية

وفي سنة 1930 مثلت بالرباط رواية اليتيم المهمل والمثرى العظيم وهي من تاليف الشهيد الشاعر السيد محمد القرى وضعها باقتراح من السيد عبد الواحد الشاوي، ولقد جاء في طليعة الرواية البيتان الآتيان :

كل شيء بالمال يوتي فان كنت غنيا بلغت كل مناكا
أو تكنْ معدما فدع عنك آما لا عظاما تاوى لمثر سواكا

ومن جملة الذين مثلوا فيها السادة : الحسن الحجوي ومحمد الحجوي ومحمد عبابو ومحمد البلغيثي والمهدي بن سليمان وعبد الواحد الشاوي.

لقد أتيح لي وأنا شاب في مقتبل العمر أن أحضر وأشاهد روايتي في سبيل التاج واليتيم المهمل، وكم كان حماسي شديدا لدى مشاهدة المشاهد التي أتت في رواية في سبيل التاج حيث كانت تتجلى الروح الوطنية في أجلى مظاهرها وحيث كنت أتابع تلك المشاهد بحماس وانفعال، أما رواية اليتيم المهمل فكانت تمثل مأساة اجتماعية تركت أثرها في نفسي حيث رأيت يتيمين رمت بهما الأقدار في بسيط من الأرض قفر، وهما يبكيان وينوحان على يتمهما ومعاكسة الدهر لهما، يستعطفان التجار والموسرين فلا يلاقيان منهم إلا الانتهار والعبوس والخيبة، ثم يعتمدان على نفسهما فيشقان طريق حياتهما رغم الأتعاب والصعاب حتى يصل أحدهما إلى درجة عليا في المعرفة فيصبح محاميا مرموقا يحتاجه أولئك الأغنياء الموسرون الذين كان يطلب مساعدتهم فلا يساعدونه للدفاع عن قضاياهم ودعاواهم، فينفذ رغبتهم ولا يعاملهم بمثل ما عاملوه به، أما اليتيم الآخر فكان حظه مثل حظ أخيه، ونجح مثل نجاحه، وهكذا يرفع العلم حامليه، وينجحهم في مساعيهم ويرفع مكانتهم. لقد لقيت الرواية الثالثة نجاحاً كبيراً في ذلك الظرف والتي مثلها جوق التمثيل السلوي وهي من تأليف الأديب الفرنسي «كربيه» المولود سنة 1842 والمتوفى سنة 1908 وهي مأساة تمثيلية أراد مؤلفها أن يجاري بها عميديَ الشعر التمثيلي في القرن 17 «كورني» و«راسين» قال عنها الأستاذ جول لومتر العضو بالمجمع العلمي الفرنسي : انها من صنع فتى قدير وشاعر عظيم ورجل ذي ضمير حيّ وقلب كبير، وهي تتحدث عن الوقائع الحربية التي وقعت بين الدولة العثمانية والشعوب البلقانية والمواقف البطولية التي وقفها البلقانيون للدفاع عن بلادهم والذوذ عن أوطانهم طوال سنين متعددة.

لقد كنا نشحذ أذهاننا ونحن شبان صغار بمثل هذه المشاهد فتتقوى وطنيتنا، ويتضاعف اهتمامنا بقضايا الوطن والمواطنين.



الممثلة الشهيرة السيدة
فاطمة رشدي



الأديب العربي معنينو

وفي صيف سنة 1932 زارت المغرب فرقة تمثيلية مصرية تترأسها ممثلة شهيرة هي السيدة فاطمة رشدي، فمثلت بمدينة فاس عدة روايات ثم قصدت الرباط وسلا حيث استقبلت بغاية التكريم والترحيب، وأقيمت لها عدة احتفالات كان من جملتها الاحتفال الذي أقامه النادي الأدبي الاسلامي بروض آل حصار بحومة الطالعة، وشارك فيه نخبة من مثقفي وأعيان الرباط وسلا، وكانت الموسيقى الأندلسية المغربية برئاسة الفنان الموهوب المرحوم السيد محمد البارودي تشنف الاسماع بأهازيجها الحلوة وأغانيها الممتعة، وألقيت فيها كلمات وقصائد كان من جملتها قطعة شعرية ألقاها الشاعر الرقيق المرحوم السيد العربي بن الطالب معنينو، فكان لها تأثير عميق في نفوس الحاضرين، وتأثرت لها السيدة فاطمة رشدي بدورها ايما تأثر قال معنينو في قطعته الشعرية :

هو المغرب الأقصى يزيد تشرفـــا
فأعظـم بـه جوقـا أتـاه مشرفـــا

هو الجوق من مصر الحضارة قد أتى
لاحيـاء فـن كـاد يقضـى تلهفـا

علـى قـدر وافـاه ترأسـه التـــي
بهـا الفـن لا يـزداد الا تعرفـــا

افـاطـــم مـاالتمثيـــل إلا صحيفــــة
تخبرنـا عمـا مضـــى وتصرفـــــا

أفاطـــم مـاالتمثيـــل إلا جرائـــــد
ترينـا بصـوت مـا علينـا قـد اختفـى

افاطـــم مـاالتمثيـــل إلا نطاســـــى
بحكمتـــه بنــت العروبـة. تشتفـــى

أمـا هـذه مصـر العزيـزة أنجبـــت
لنا من بنيها ما يرينا عين الصفـــا

نحيى في شخص بنتِها اليوم عطفها
علينا بها كي من حياضها نرشفـــا

فنحن وهـم إخـوان جنس وملـــــة
ظللنـا واياهـم إلـى العلـم نهتفـــا

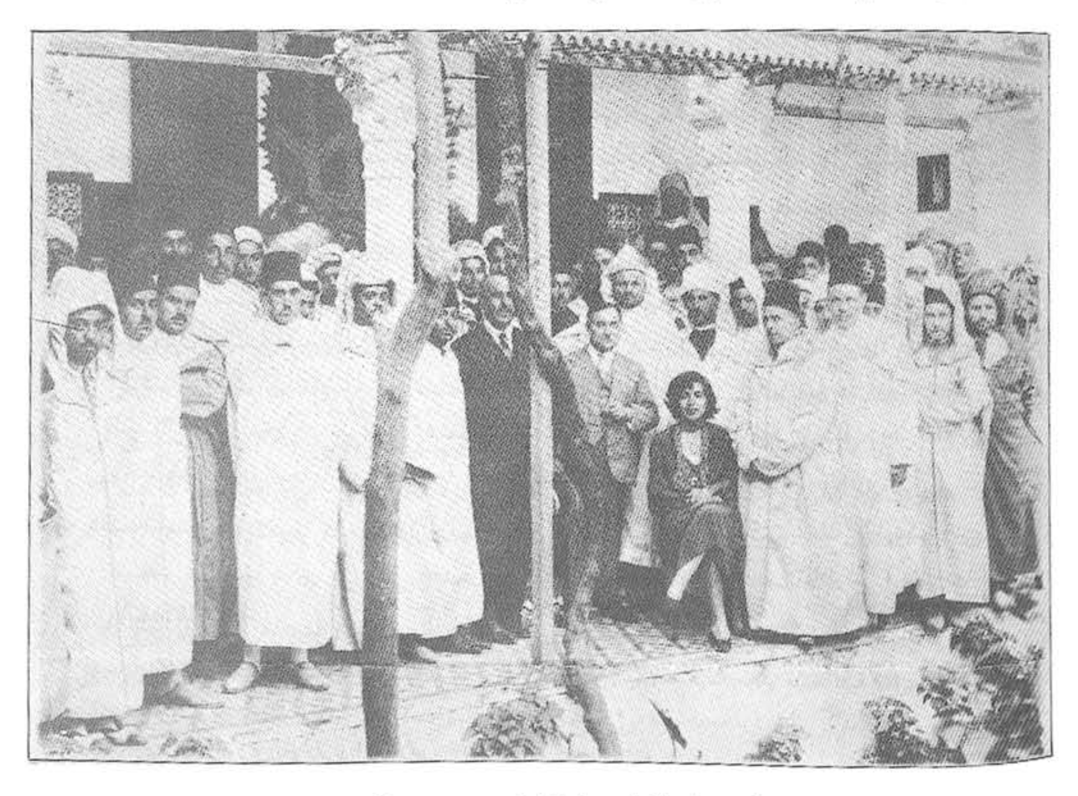
وياقطرنا الميمون سر تحت ظل مـــن
به الدهر بعد الشيب عاد مهفهفـــا

خليفـة ربـي فـي البـلاد محمـــد
سليل الملوك الصيد خير ابن المصطفى

لقد كنت من جملة الذين حضروا الاحتفال الذي أقيم للسيدة فاطمة رشدي، وكم كان إعجابي يومئذ عظيما وتقديرا كبيرا عندما قامت هي بدورها لتلقي كلمتها مجيبة ومحيية المرحبين بها. لقد انبهرت إذذاك لفصاحة لسانها وصدق تعبيرها وحلاوة لغتها، فلأول مرة في حياتي أستمع لامرأة عربية تتحدث بلغة عربية سليمة، وترتجل خطابا بليغا تجلى إذذاك وكأنه فصاحة سحبان فتساءلت مع نفسي متى يقبل بنات شعبي وأمتي على التعليم، وينخرطن في سلك المدارس، ليصبحن بدورهن متعلمات ومثقفات وخطيبات لم تكن إذذاك امرأة واحدة في بلادي واتاها الحظ فاستطاعت أخذ قسط من الثقافة والتعليم تستطيع معه وبه أن تقف موقف هذه المرأة الممثلة التي وردت علينا من بلاد الكنانة، لا لتمثيل أدوار تمثيلية فحسب، ولكن لتشعرنا ان طريق النهضة الصحيحة سيبقى بعيدا إذا لم نفسح المجال للبنت المغربية كي

ترتوي من معين المعرفة، وتلج باب المدرسة، وتتعلم مثل ما يتعلم الولد سواء بسواء، فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقبل الاحتفال الذي أقامه النادي الأدبي بسلا لفاطمة رشدي استضافها الشاعر الفحل السيد عبد الرحمان حجي بمنزله فرحب بها قائلا : «إلى السيدة الأديبة فاطمة رشدي وفرقتها الفتية، سادتي، انا نحييكم ونرحب بكم باسم الأدب على لسان الشباب السلوي، ونشكركم على شرف عواطفكم التي أبديتموها بنقل خطاكم، تشريفا لنا واعتناء بالأدب الذي يربط بيننا، والذي نستظل بظله الوافر، ونستنشق من أريجه الطيب (وإذا الأديب مع الأديب تلاقيا كانا من الآداب في بستان)، وبعد، فإن للقرابة الأدبية لحقوقا كحقوق قرابة الرحم، والمحافظة عليها كالمحافظة على تلك، بل يجب الاهتمام بها أكثر من سواها، لأنها قرابة روحية وتلك قرابة جسمية، وشتان بين الأرواح والأجسام، ولست اخال أن فردا منكم ينكر هذا الرأي أو يعد فيه مبالغة أو غلوا وافراطا، وهَبْ انه يوجد من يقول بذلك، فكيف يعمل عند ظهور النتيجة، إذ القرابة الجسمية تربط أفرادا قليلي العدد. تضمهم لحمة النسب والمنشأ والصهرية، وهذه أسباب قصيرة المدى محصورة الكمية والعدد، وهنا أقف».



في حفلة تكريم الممثلة المصرية فاطمة رشدي بروض آل حصار بسلا

لاشك أن فاطمة رشدي بزيارتها للمغرب، واتصالها بنخبة من الشباب والمثقفين في كل من فاس والرباط وسلا والدار البيضاء حملت إلى بلادها مصر، انطباعا طيبا على أن الحركة الأدبية في انبعاث وأن الشباب المغربي متطلع كل التطلع إلى الارتواء من معين المعرفة والأدب والفن، مرتبط كل الارتباط بإخوانه في بلاد العروبة والاسلام خصوصا مصر الشقيقة، قلب بلاد العروبة والاسلام ومركز الاشعاع الثقافي الذي تعم أنواره البلاد العربية من المحيط إلى الخليج.

تقوية الاتصال بالنادي الأدبي الاسلامي

بقيت متصلا بالنادي الأدبي الاتصال الوثيق باعتبار أنه المؤسسة الوحيدة المعترف بها قانونيا كجمعية أدبية ثقافية، وبعد انتخاب المرحوم السيد عبد الكريم بوعلو وكان من أوائل الذين نالوا الشهادة الديبلوم (الباكالوريا) في مدينة سلا، وعرف باستقامته ونزاهته وعطفه من بعيد على حركتنا الوطنية، وكنت من جملة المنتخبين في المجلس الاداري بعد انتخاب بوعلو رئيسا للنادي المذكور، وجهت له الرسالة الآتية مع بعض المقترحات :

حضرة الأخ الكريم الأستاذ عبد الكريم بوعلو رئيس النادي الأدبي الاسلامي السلوي.

السلام عليك ورحمة الله.

وبعد، فلقد رأيت من الواجب علي وأنا عضو من أعضاء النادي أن أتوجه إليكم بمقترحات، أرجو أن تجدوا فيها ما تصبو إليه نفسكم من وسائل النهوض بالنادي ورفع مستواه.

ولست ادعى ان هذه المقترحات وحي يوحي، لا يمكن أن يدخل عليها تحوير أو تبديل كما أنني لست أدعي أن لا أكون قد اغفلت بعض النقط التي يجب الاهتمام بها والتي ترون فيها صلاح النادي، وإنما أردت أن أساهم معكم في هذا البناء الذي تعهدتم بالاحتفاظ به وطوقتم أعناقكم بمسؤولياته، فألقيت دلوى مع دلائكم، وكتبت إليكم شارحا أهمية بعض المسائل التي ينبغي أن تسترعي اهتمامكم وعنايتكم، معترفاً بأنني جزء من كل، وان المومن ياخذ بيد أخيه، متعاونا معه على ما فيه فائدة للمجموع.

فرجائي أن تتقبلوا هذه المقترحات بصدر رحب كما هو شأنكم، معلنا لاخوتكم أنني مستعد لأن أساعدكم في كل قضية ترون من مصلحة النادي أن أشاطركم فيها جهد الاستطاعة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

مهمة النادي الأدبي الاسلامي

أرى أن مهمة المجلس الاداري للنادي الأدبي الاسلامي يجب أن تنحصر أولا في أربع نقط :

1) مساعدة الطلبة مساعدة مالية مهمة.

2) تنظيم محاضرات وأحاديث.

3) مراقبة الطلبة النجباء والاعتناء بهم وتوجيههم في حياتهم توجيها صالحا.

4) العمل على توثيق العلاقات بين مختلف الأعضاء والوصول إلى ذلك بمختلف الوسائل.

فأما مساعدة الطلبة فلا تنجح إلا إذا خصص النادي ميزانية معينة يعمل على تحصيلها بكل الوسائل الممكنة وعندي اقتراحات لجمع المال الخصها فيمايلي :

أ) الحزم في قبض أداء الاشتراكات من الأعضاء وعدم التهاون في ذلك.

وبما أن كثيرا من أعضاء النادي لا يقيمون دائما بسلا فينبغي إحضار قائمة بهؤلاء الأعضاء المسافرين ثم مطالبتهم بأداء واجب سنوي قدره ستون فرنكا بدل أن يؤدوا خمس فرنكات في شهر، كما ينبغي أن يقرر تقسيم أعضاء النادي إلى من يؤدي واجب اشتراكه عن السنة دفعة واحدة وبين من يؤديه عن ستة أشهر وبين من يؤديه عن ثلاثة أشهر وبين من يؤديه شهريا.

ب) إحضار قائمة بأعضاء شرفيين جدد وعرض العضوية عليهم وينبغي أن تكتب رسالة لمن يمكنه أن يساعد النادي بعضويته الشرفية والاتصال به ولو بسفر بعض الأعضاء خصيصا لهذه المسألة. كما ينبغي اغتنام فرصة الأعياد وحضور بعض الشخصيات المهمة للرباط باستدعائهم وإقامة حفلة شاي لهم ثم عرض العضوية الشرفية عليهم وينبغي كذلك أن تنتهز فرصة العطل فيسافر عضوان مثلا من المجلس الاداري لبعض الجهات ويتصلوا ببعض الشخصيات لأجل الغاية نفسها ولا بأس من أن يتخذ النادي قراراً بتخصيص قسط من المال للقيام بهذه السفريات التي تعود بالنفع على هذه المؤسسة الوحيدة.

ج) السعي في قبض تبرعات من المحسنين وكذلك الزكوات والاستعانة للوصول إلى ذلك بكل عضو يرى المجلس الاداري فائدة في الاستعانة به.

د) إقامة حفلات بمركز النادي أو بمسرح سلا ويمكن للمجلس الاداري أن يستعين في هذه النقطة بتلامذة المدرسة القرآنية (مدرسة النهضة) فيطلب من مديرها أن يهيىء له برنامجا يقره المجلس الاداري ثم تتكلف المدرسة بتهيىء ذلك البرنامج في الوقت المناسب المتفق عليه، وربع هذه الحفلات يخصص للطلبة.

وأما القيام بالمحاضرات والأحاديث فأرى أن يتعهد بعض أعضاء المجلس الاداري بمساعدة من يرون فيه أهلية وشخصية محترمة بطلب بعض الشخصيات العلمية الهامة مغربية وفرنسية أن يلقوا بمركز النادي محاضرة في موضوع من المواضيع التي تهم المغرب ويستفيد منها الشباب ولابد أن تلقى محاضرة من هذا النوع في كل شهر مرة على الأقل وينبغي الوصول إلى

ذلك بكتابة رسائل لهؤلاء المحاضرين ثم الاتصال بهم من طرف الأعضاء الذي يتحملون مسؤولية هذه المحاضرات والتأكيد عليهم وتعيين الوقت الذي ستلقى فيه محاضراتهم، وإذا طلب المحاضر أن يعين له موضوع يحاضر فيه فينبغي أن تهيأ عدة مواضيع يختار منها واحدا، واما الأشخاص الذين يرجى أن يستفيد منهم النادي بمحاضراتهم فستجدون ورقة ببعض من أظن أنهم يستطيعون ذلك.

أما الأحاديث فأرى أن تختار قائمة من أعضاء النادي الذين في استطاعتهم أن يحادثونا في موضوع من المواضيع وبالخصوص منها ما يتصل بالمغرب ويعقد المجلس الاداري معهم اجتماعا يستدعيهم إليه ثم يشرح لهم فائدة الأحاديث في النوادي الأدبية وما تجلبه من فائدة تعود على الطلاب بالفائدة الكبيرة ثم يقترح عليهم أن يقوم كل واحد منهم بحديث في هذه السنة، ولست أظن أنه يصعب على الشاب المطالع أن يهيىء حديثا واحدا في سنة كاملة ولست أظن أنه لا يقبل ذلك وبالخصوص إذا عرف المجلس من أين توكل الكتف.

3) وأما مراقبة الطلبة النجباء والاعتناء بهم فأعتقد أنه يوجد عندنا طلبة أذكياء ذووا نوايا طيبة ويمكن أن يكون لهم مستقبل تعلق عليه كثير من الآمال ولكن الوسط والتيار الجارف الذي يدفع الشاب إلى كل ما هو قبيح يقفان أمامه ويجعلانه في مهب الرياح فينتهي به الأمر إلى أن يسقط صريعاً فلا يتقدم به العمر إلا ليرجع إلى الوراء فتتحطم آماله إن كانت لديه آمال ويضاف لسلك الكثيرين من الشباب الذي لا يفيد ولا يستفيد وأرى أن يعطي المجلس الاداري لهذه النقطة ما تستحقه من العناية والاهتمام فمستقبل النادي وبالأحرى مستقبل البلاد لا يمكن أن يضمن خيره وصلاحه إلا إذا وجد أفراد أكفاء لهم ثقافة واسعة وخلق متين يقبضون على زمام الأمر ويحسنون تسيير دفة الأمور. ومعلوم أن هؤلاء الأفراد يكونون دائما قليلين ولكننا يجب أن نعترف أننا بإهمالنا نزيد في الطين بلة فنخسر حتى ما يمكننا أن نربحه ونبقى دائما أمام أزمة لا نجد لها حلا. فتذهب كل المجهودات سدى ونخسر الصفقة ونرجع إلى الوراء بعد أن كنا نطمع في التقدم إلى الأمام. والوسيلة إلى تدارك هذا الأمر ان يعقد المجلس الاداري جلسة خاصة بهذه القضية فيستعرض أسماء الطلبة الذين لا زالوا يدرسون أو الذين تخلوا عن دراستهم لمانع من الموانع وفي إمكانهم أن يتمموا ما بدأوا وينظر في الصالح منهم الذي يعد فقده خسارة ثم يحضر قائمة وان لم يكن بها سوى خمسة أشخاص مثلا فيقرر الاعتناء بهم والاهتمام بسائر شؤونهم ومراقبتهم في جميع أحوالهم فيساعد من يحتاج للمساعدة وينصح من هو في حاجة إلى النصح ويكتب لآبائهم ان اقتضى الحال مبينا لهم ما هم مفتقرون إليه وكيف ينبغي أن يسيروا في معاملاتهم. والحاصل أن المجلس الاداري يجعل نفسه كأنه قد تبناهم فيطبق عليهم كل ما يطبقه أب عاقل محب لولده على أبنائه.

4) وأما العمل على توثيق العلاقات بين الأعضاء فمعلوم أن النادي أصبح اليوم يغمره كثير من النزعات والأهواء الصبيانية فيجب تطهيرهُ من ذلك، وخلق روح جديدة تسري في نفوس

الشباب وتجعل منهم رفقاء أحبابا يحنون لبعضهم بعضا ويعطفون على بعضهم وأرى أن يتوصل المجلس الاداري إلى ذلك بدراسة نفسية الأعضاء فيتجنب كل ما من شأنه أن يثير الحزازات في نفوس البعض ويتلطف في تبليغ المقررات التي قد يتصورونها مجحفة أو مضرة كما يجب أن يكون أعضاء المجلس مثالا يحتذى فلا يتحدثون عن بعضهم إلا بالجميل ولا يظهرون أمام بقية الأعضاء المتضامنين مؤيدين لبعضهم في كل عمل يودُّ النادي القيام به.

وإن مسؤولية الرئيس في هذه النقطة صعبة وعسيرة فهو الذي يتعين عليه أن يلف الأعضاء حوله، وهو الذي يلزمه أن ينفخ فيهم من روحه فينبغي أن يقدر مسؤوليته حق قدرها ويلزمه أن يؤدي واجبه بإخلاص وطمأنينة وصبر، فلا يظهر أي انزعاج إذا ما رأى من البعض خروجا عن الجادة بل يكون حازما في أموره وفي تنفيذ القوانين.

وهناك نقط أخرى ينبغي الاهتمام بها من المجلس الاداري ولكنها ثانوية بالنسبة لما قبلها ويستدعي تفصيلها طولا في هذا التقرير الذي أرجو أن يكون عمليا والذي راعيت ما لا يعسر تنفيذه ولكني أذكرها مجملة فيمايلي :

1) الاهتمام بقضية التمثيل والبحث عن روايات تمثيلية.

2) تنظيم بعض الدروس التي يفتقر إليها من يريد من الأعضاء ويلاحظ هنا أن كثيرا من الشباب أصبحوا لا يهتمون بلغتهم العربية فينبغي تنبيههم لذلك ومساعدة الضعيف منهم في أي مادة من المواد.

3) احداث ألعاب بريئة داخل مركز النادي تبعث النشاط في الأعضاء وينبغي أن يكون ذلك في حدود معينة.

4) تشجيع المطالعة ومطالبة المحافظ بالاتيان بتقرير على رأس كل شهر عن سير الخزانة الأدبي.

5) احداث قائمة من الأعضاء المحترمين واستدعاؤهم المرة تلو الأخرى والمذاكرة معهم في المسائل التي تهم النادي وأخذ آرائهم.

6) زبر قائمة الأعضاء بعد استدعائهم واحداث قائمة منقحة لأعضاء عاملين يشعرون بمسؤوليتهم إزاء الجمعية.

7) ايجاد قائمة بالتلاميذ المعوزين المفتقرين للمساعدة والسير في ذلك تدريجيا وبكتمان.

8) يهيىء محافظه الخزانة قائمة بالكتب التي تتعين مطالعتها ويرشد الأعضاء للمهم منها والتي تناسب كل واحد منهم على حسبه.

9) اعطاء سلطة المراقبة على النادي للسيد عمر بن علي والتضامن معه في تقرير يرفعه للمجلس عن بعض الأعضاء الذين لا يحسنون السلوك.

10) تجديد ورقة العضوية لكل عضو عامل في النادي واحداث ورقة خاصة بالأعضاء الشرفيين.

الحركة السلفية بالمغرب

لا يمكن لمؤرخ لتاريخ الحركة الوطنية المغربية أن يغفل الحديث عن الحركة السلفية التي قامت ببعض المدن المغربية في العشرينات، والتي اعتبرت ارهاصا لبروز وعي ديني سياسي سليم، وقبل أن أعطي نظرة ولو مختصرة عن هذه الحركة السلفية الناشئة : أسبابها، دوافعها، القائمون بها، نتائجها، لابد أن أسجل أن مجتمعنا المغربي، كان متشبثا كل التشبث بالعقيدة الاشعرية والمذهب المالكي وطريقة الجنيد في التصوف.

لقد كان العلماء المغاربة متشبثين كل التشبث، بل متعصبين كل التعصب للمنابع الثلاثة المذكورة : الأشعرية، والمالكية، وطريقة الجنيد.

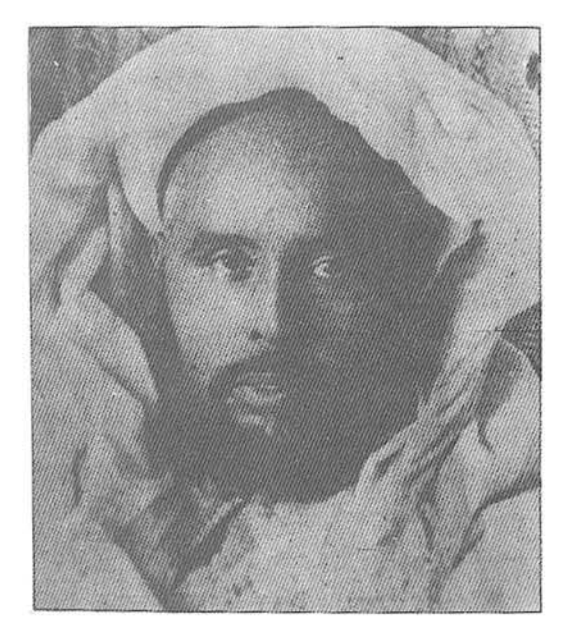
والتكوين الذي يتكون على أساسه الطلبة، سواء في القرويين أو المساجد والمعاهد السائرة على نهجها، لا يخرج عن تلك المنابع فجميع الدراسات التوحيدية خاضعة لعقد الأشعري، وجميع الدراسات الفقهية لا تتعدى ـــ إلا قليلا جدا ـــ المذهب المالكي وبكتب المتأخرين من المالكية لا المتقدمين ودراسة التربية الصوفية على طريقة الجنيد. وفي ذلك يقول صاحب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ذاكرا المنابع التي يستمد منها :

في عقد الأشعري وفقه مالك — وفي طريقة الجنيد السالك

كان الفكر مقفلا عن غير هذه المنابع المذكورة، وحتى دراسة التفسير والحديث، كانت بقصد الاستطلاع والتبرك لا بقصد الاتباع، فلا يصوغ لك أن تناقش شيخك الفقيه، وأنت تدرس عليه صحيح البخاري مثلا، إذا ما وقفت على حديث نبوي صحيح يتعارض مع نص فقهي ورد في الشيخ خليل، فالفقْه يتبع، وان عارضه الحديث الصحيح ونحن خليليون، إن ضلّ ضللنا، وإن اهتدى اهتدينا، لقد كنا نتضايق أحيانا من بعض الفقهاء الذي لا يسمحون لنا ولو بالتساؤل والتوقف في بعض المسائل، قائلين لنا في لهجة حازمة قاطعة : الفقه يُتَّبع. ولم نكن من المتعنتين، ولا من الذين يعترضون لمجرد الاعتراض، ولكننا كنا نود أن نفهم وندرك الأسباب والدوافع التي جعلت بعض النصوص الفقهية، تتعارض مع صريح الأحاديث النبوية ومع ذلك لم يكن هؤلاء يسمحون لنا حتى بمجرد التساؤل كي ندرك أسباب الخلاف.

لم يكن كل الفقهاء ـــ والحق يقال ـــ هكذا، ولكن أغلبيتهم كان يغلب عليها التحجر والجمود، وشاءت الأقدار أن يرجع إلى المغرب عالم مغربي درس بمصر والحجاز، واكتسب معرفة بالحديث النبوي عز نظيرها، زيادة على اطلاعه الواسع في الفقه والتفسير وغيرهما من

علوم الآلة، وآتاه الله طلاوة في اللسان، وحلاوة في التعبير، وطاقة في الحفظ، واستحضارا للاستدلالات، وشجاعة في التعبير، فصار يلقي دروسا في الحديث النبوي ببعض مساجد الرباط أولا، ثم بفاس وغيرها من المدن ثانيا، فبهر الطلبة والعلماء، بحسن بيانه، وقوة حافظته، وحلاوة أسلوبه، وجدة أفكاره، وتأثير منطقه، وتحرر أفكاره، ونصاعة حجته واختلافه مع غيره من الفقهاء في طريقة عرضه وفهمه، ذلكم هو شيخ المحدثين بالمغرب العلامة السلفي، الشيخ أبو شعيب الدكالي، لقد كان رجوع هذا الشيخ من المشرق إلى المغرب، وتعاطيه لمهمة التدريس ظاهرة من أبرز الظواهر التي برزت سنة 1913 ميلادية ـــ 1332 هجرية، يقول عنها الكاتب الشاعر المبدع المرحوم محمد الجزولي مايلي : «كانت دروس التوعية والايقاظ، المستخلصة من هدي القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ صرخة أيقظت من في القبور. فإنني لما



الداعية السلفي العلامة الشيخ شعيب الدكالي

حضرت أول مجلس، واستمعت إلى مايلقي، وكيف يلقي، سحرت ودهشت، وارتبطت بذلك ارتباطا لا انفصام له، وتالله لقد كنت أستطول النهار، كما يستطوله الصائم في الصيف، تشوقا إلى وصول وقت الدرس، لنستمتع بما لم نستمتع به من أي شيخ حضرنا مجالسهم من قبل، لما كنا نجده عنده من تغذية للنفس، وتصفية للروح، وتوجيه للنافع المفيد وكشف عن مواقف التضليل والزلق، مع النكتة البارعة، والتشنيع على المبتدعين في قالب سخرية لطيف، يفعل

فيهم ما لا يفعله القول الصريح، والتقريع الذريع، ثم يقول الجزولي : ان هذا الرجل العظيم قد خدم المغرب في مجالسه هذه، وأحسن إليه الاحسان الذي لا قبله ولا بعده، فلقد أيقظ فيه المعرفة والعلم، ووجه أهله لمدارسة الحديث، وتفهم معانيه ومقاصده، عوض أن يتلى للتبرك بتلاوته، وجرأهم على التفسير وعلوم القرآن، وأحيا فيهم الواقعية، ودفعهم للصعود بالأمة إلى مراقي العز والكرامة، ثم وضع ثقله كله على محاربة البدعة التي كانت متفشية في جميع نواحي المغرب، فقصمها وحسمها، ولكن بأي سلاح ؟ فإنه لم يجفل عليها بخيل ولا سلاح، وإنما بالكلمة الطيبة، والجملة المقنعة، والحجة القاطعة، والآية الصريحة والحديث الصحيح»[1].

ويقول عنه الأستاذ محمد علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي» بعدما تحدث عن الحركة السلفية في المغرب وقابلية المغاربة لها، وصدى الحركة الوهابية في المغرب وتقبل المغاربة لأفكار محمد عبده، واستجابتهم لنشر الكتب السلفية ثم يقول : ولكن هذا كله لم يكن له من الأثر ما أحدثه رجوع المصلح الكبير الشيخ أبي شعيب الدكالي، فقد عاد وكله رغبة في الدعوة لهذه العقيدة، والعمل على نشرها والتف حوله جماعة من الشباب النابغ يوزعون الكتب التي يطبعها السلفيون بمصر، ويطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها والأحجار المعتقد فيها»[2].

لقد صار الشيخ بوشعيب الدكالي يبشر بأفكار جديدة، تدعو إلى دراسة الحديث النبوي الشريف دراسة واعية متقنة، والاستمداد من الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعدم الاقتصار على الفقهيات التي يتناولها الفقهاء بالدراسة والتمحيص، وعدم إبقاء كتب الحديث والتفسير مجرد مراجع يتبرك بها وفي الوقت نفسه قاوم مقاومة لا هوادة فيها البدع المستحدثه بلسانه ويده وطالب بالرجوع لاتجاهات السلف الصالح من الأمة، معتقدا أنه لا يصلح آخر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها، كما قال إمامنا مالك رحمه الله.

لقد أحدثت دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي في نفوس الشباب الذي كان يتحلق عليه في دروسه، ما لم تحدثه أي دروس أخرى، فنشطت الحركة الداعية إلى السنة ومقاومة البدعة، وأقبل كثير من الشباب يقاوم الطرق والطرقيين، وخصوصا منها الطرق التي انحرفت عن جادة الشرع، وأحدثت بدعا ما أنزل الله بها من سلطان، وكتبت رسائل في الموضوع، ووقعت محاورات ومساجلات كان لها صداها في العدوتين وغيرهما[3].

---

(1) ذكريات من ربيع الحياة للجزولي ص 27 و29.

(2) الحركات الاستقلالية ص 133.

(3) منها كتاب إظهار الحقيقة للشيخ محمد المكي الناصري.



يظهر في الصورة العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي وعن يمينه أبو بكر القادري وعن يساره الحاج أحمد بلافريج ثم الفقيه محمد غازي وبعدهما الفقيه أبو بكر زنيبر والفقيه محمد التطواني وجماعة من الشباب الوطني السلاوي.

وثاني شخصية كان لها الأثر الكبير في تغيير الاتجاه الفكري الديني للشباب هي شخصية المصلح الكبير الداعية السلفي الشهير الفقيه السيد محمد بن العربي العلوي، فلقد برز هذا العالم الذي كان يتميز بالاقدام والشجاعة في بث أفكاره السلفية الداعية إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة في عقيدتها ومذهبها وتربيتها مقاوما لكل البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان، محاربا للطرق الصوفية والطرقيين، معتبرا أن ما يدعون إليه يعتبر من البدع المنكرة في الدين، داعيا إلى الاستمساك بالسنة النبوية الطاهرة وما صح عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، رافعا صوته في الدروس التي كان يلقيها بجامعة القرويين بفاس أولا ثم بالرباط وسلا وغيرهما من المدن ثانيا ان انفضوا عنكم أيها الشباب غبار الخرافات والأوهام والاعتقاد في الصالحين، وقاوموا كل الأفكار الضالة، والعقائد المنحرفة، والتعلق بالأموات، والتمسح بالقبور، لقد كان الفقيه ابن العربي شجاعا وقويا في بث أفكاره التي يدعو إليها، متأثرا أكبر تأثر بأفكار وعقائد شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، ولربما كان في حدّة طبعه وهو يناهض الطرق والطرقيين يحاكى طبع ابن تيمية رحمه الله لقد التف كثير من طلبة القرويين حول الفقيه ابن العربي وتشربوا أفكاره، وصاروا يدعون لما يدعو إليه من الرجوع لما كان عليه السلف اعتقادا وسلوكا وهكذا صارت المفاهيم تتغير، والأفكار تتبدل، والحركة السلفية تنمو وتتقدم والمومنون بالأفكار السلفية سواء من طلبة القرويين أو حتى من تلامذة مدرسة مولاي ادريس الثانوية، يتزايد عددهم، وتتكاثر دعوتهم.

وهكذا يتجلى ويتضح ان الحركة السلفية التي معناها الحقيقي الرجوع إلى ماكان عليه سلف هذه الأمة في الاعتقاد والسلوك، والاهتداء بهدى السنة الطاهرة، ومحاربة البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ظهرت بالرباط بسبب وجود الشيخ شعيب الدكالي ثم برزت أكثر ما يكون البروز بفاس بدعوة الفقيه ابن العربي أما بقية المدن المغربية فلم تكن هذه الدعوة حامية الوطيس فيها بالرغم عن وجود أفراد هنا وهناك كانوا مومنين كل الايمان بالأفكار السلفية متشبثين بتعاليم السنة النبوية.

والواقع أن الدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح ترجع إلى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الديار النجدية، ونشر أفكاره في كثير من الأقطار الاسلامية فمن المعلوم أن ابن عبد الوهاب كان من أتباع الامام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكان متشددا في محاربة البدعة، وتطهير العقيدة من كل شائبة، مقاوماً المقاومة العنيفة التوسل بالأنبياء والصالحين وزيارة قبور الأنبياء والأولياء والدعاء أمامها، متشددا في عدم البناء على القبور والذبح عند أضرحة الأولياء، إلى غير ذلك من التوجيهات والتحذيرات التي كان الكثير من علماء المغرب لا يقرونها حيث لا يعتبرونها مخلة بحقيقة التوحيد، بينما يرى الوهابيون انها قريبة من الشرك ان لم تكن الشرك كله.

وعندما وصلت هذه الأفكار الوهابية إلى المغرب في عهد الملك سيدي محمد بن عبد الله ثم في عهد الملك المولى سليمان، أثارت ضجّة كبيرة سواء لدى العامة أو لدى العلماء رغما من أن الملك سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله كان متشبعا بأفكار الامام أحمد بن حنبل، وخصوصا في مجال العقيدة، فكان يقول انه حنبلي العقيدة، مالكي المذهب ويقول : طريقة الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأهام موافقه لاعتقاد الأئمة ولكن أغلبية العلماء لم يسايروه في نهجه وبقوا متشبثين بعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم المالكي، أما المولى سليمان فكان له تعاطف كبير مع آراء الوهابيين المستمدة من مذهب ابن حنبل ولذلك نراه يوجه خطبته الشهيرة في الانتصار للسنة ومقاومة البدعة والتي يقول عنها صاحب كتاب الاستقصاء الشيخ أحمد الناصري رحمه الله : (وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها بعض آداب زيارة الأولياء، وحذر من تغالى العوام في ذلك، وأغلظ فيها، مبالغاً، في النصح للمسلمين) ثم يقول الناصري : (ومن هنا أيضا كان السلطان المولى سليمان قد أبطل بدعة المواسم بالمغرب، وهي لعمري جديرة بالأبطال).

وبالمناسبة أشير إلى أن عبد الله بن سعود أمير الوهابية وناصرها كان كتب رسالة إلى أمراء ورؤساء العراق والشام ومصر والمغرب، يدعو فيها إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته، ولما وصل كتابه إلى علماء فاس تصدى له العلماء بالدراسة والتمحيص بأمر من المولى سليمان، ثم قرر المولى سليمان أن يبعث أحد أولاده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وحمله رسالة جوابية إلى ابن سعود.

قال صاحب الاستقصاء نقلا عن صاحب الجيش، حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة (1226) انهم ما رأوا من ذلك السلطان (ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة، والقيام بشعائر الاسلام، من صلاة وطهارة وصيام، ونهي عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير، وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا لباس، ولا مركوب وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم (ابن المولى سليمان) أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحاق إبراهيم الزداغي، فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : ان الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى، فقال لهم معاذ الله انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا لا، وبمثل هذا نقول نحن أيضا، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما

سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه، وقال : معاذ الله، إنما نقول انه ﷺ حي في قبره، وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء، ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته ﷺ وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها، فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا. وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون، كيفيتها وآدابها، وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية، ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة، ويستشفع به إلى الله تعالى، ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق أن يستشفع به، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى، منعناهم سدا للذريعة، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر ؟

إن ذهاب الركب الأميري إلى الديار المقدسة، ومحاورة علماء المغرب في شخص القاضي الزداغي لابن سعود يؤكد الاهتمام الكبير الذي أظهره المولى سليمان للدعوة التي قامت بالجزيرة العربية بزعامة ابن عبدالوهاب وابن سعود، والتي دعيت بالحركة الوهابية، ويزيد تأكيدا لهذا الاهتمام ما كتبه ثلاثة علماء أجلاء بتكليف من المولى سليمان وهم العلامة الطيب بن كيران والعلامة حمدون بن الحاج والعلامة سليمان الحوات، فلقد ناقشوا كل بطريقته الأفكار التي كان يدعو إليها ابن سعود، وحرروا أجوبتهم عنها، ويقول الباحث الأستاذ محمد المنصور الأستاذ بجامعة محمد الخامس «إن الأجوبة الصادرة عن هؤلاء الثلاثة تحتوي على نفس العناصر التي يمكن تصنيفها إلى قسمين : أولا : الاشادة بالطابع الاصلاحي للحركة الوهابية والذي يتجلى في محاربة البدع، وإخلاص التوحيد لله، ومحاولة الرجوع بالدين إلى نقائه الأصلي، ثانيا : انتقاد آراء الوهابيين بخصوص بعض المعتقدات، ودعوتهم إلى سلوك طريق الحوار والتسامح مع خصومهم الذين لا يشاركونهم الرأي[3].

لقد تأثر المولى سليمان ببعض الأفكار الايجابية التي أتت بها الدعوة الوهابية واعتنقها ودافع عنها وعمل على تطبيقها، ولكنه بعد مراجعته لعلماء وقته تحفظ حول الكثير منها، خصوصا قضية التكفير التي اشتط الوهابيون فيها، فلقد جاء جواب كتبه ابن كيران في مسألة الكسب انه : (لا يجوز تكفير أهل القبلة وعلماء الملة لأن التكفير أمر عظيم، وهو الحكم على الشخص بأنه مخلد في النار يوم القيامة، لا يغفر له، وهذا لا يحكم به إلا على الكافر الذي لا شبهة فيه) (والغلط بترك ألف كافر، أهون من الغلط بسفك محجمة دم امرئ مسلم)[4] ونفس

---

(3) راجع البحث الذي كتبه الأستاذ محمد المنصور في كتاب : (الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر) ص 187 ومابعدها.

(4) رسالة مولاي سليمان إلى ابن سعود نقلا عن بحث محمد المنصور.

التحفظ أبداه في مسألة التمييز بين المحرم والمكروه وفي تسرع الوهابيين وتطرفهم في تكفير خصومهم الذين لا يشاطرونهم آراءهم.

والواقع أن علماء الوهابيين كانوا ولازال العديدون منهم لحد كتابة هذه السطور يتعصبون لآرائهم التعصب الأعمى، وينظرون إلى الذين يخالفونهم في آرائهم وكأنهم خارجون عن الدين.

إن استعراض التاريخ المغربي حول ضرورة الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح يثبت أن المغاربة رغم تشبث فقهائهم بالمذهب المالكي، كان فيهم من يستطيع أن يناقش آراء مخالفيهم في الرأي فيقبلون ما يستحق القبول ويرفضون ما لا يتلاءم مع ما يدينون له ويعتقدونه ويدل على هذا ما جاء في جواب المولى سليمان عن رسالة ابن سعود فالرسالة تقول : لقد سرنا ما بلغنا عنكم من سيرتكم وشيمتكم وأحوالكم في الزهد في الدنيا وإحياء رسوم الدين والحض على طريق السلف الصالح وسنن المهتدين، والحمل على إخلاص التوحيد لرب العالمين، وقطع البدع والضلالات التي هي منشأ زيغ العقائد وكثرة الجهالات، وما برحنا نسمع عنكم ما قد أصبتم فيه كل الاصابة، ووافقتم فيه كتب العلماء ومذاهب السلف والصحابة[5].

حقا إن المواقف التي وقفها المولى سليمان وقبله المولى محمد بن عبد الله من بعض الأفكار التي يدعو إليها الوهابيون (السلفيون) وجدت معارضة من كثير من الفقهاء وبالأخص ما يتعلق بقضية التوسل وزيارة قبور الأنبياء والأولياء والدعاء عندها وقراءة دلائل الخيرات، ولكن ذلك لم يمنع المولى سليمان من أن يقف الموقف الواجب في منع العامة الاقدام على كل ما من شأنه أن يوقعهم في المكروه وذلك سدا للذرائع، ومحافظة على سلامة العقيدة، ولقد سايره على آرائه كثير من العلماء المتأخرين أمثال الشيخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء، فلقد جاء فيما كتب وهو يتحدث عن مواقف المولى سليمان فيما يتعلق بزيارة القبور مايلي : (واما الأولياء فالقول بمنع زيارتهم (أي عامة الناس) سدا للذريعة مع بيان العلة. واشهارها بين الناس، حتى لا يلتبس عليهم المقصود، قول وجيه، لا تأباه قواعد الشريعة، بل تقتضيه والله أعلم)[6] ثم حكى ان هذا القول هو الذي رآه الشيخ الفقيه الصوفي أبو العباس احمد التيجاني رحمه الله حتى نهى أصحابه عن زيارة الأولياء.

تجاوب الطلبة الشباب مع كل هذه الأفكار التي تزعمها كل من الشيخ شعيب الدكالي والفقيه المصلح السيد محمد بن العربي العلوي، وان كانت لغة خطابهما مختلفة، فالشيخ شعيب الدكالي كان يلمح ويعرض دون أن يصرح، والفقيه ابن العربي كان يهاجم ويخاصم ويشتد دون تحفظ.

---

(5) رسالة مولاي سليمان إلى ابن سعود نقلا عن بحث محمد المنصور ص 188.

(6) الاستقصاء جزء 8 ص 123.

وهذا ما جعل الكثيرين من الفقهاء المتزمتين يناصبون ابن العربي العداء ولا يتعرضون للشيخ شعيب الدكالي بمقالة سوء.

ولقد أتيح لي وأنا في عنفوان شبابي أن أحضر بعض الدروس التي كان يلقيها كل من الشيخين المصلحين في مدينة «سلا» والتي كانت تجد إقبالا كبيراً من مختلف الطبقات وكانت ملاحظتي إذذاك أن الشيخ شعيب يغلب على دروسه الاهتمام بشرح الحديث وسنده واستنباط الحكم منه مع الاشارة الخفيفة للبدع وضرورة مقاومتها والكر عليها، أما الفقيه ابن العربي فكان يتصيد كل شاذة وفاذة ليكر على الطرق والطرقيين، والسخرية من بعض معتقداتهم والتبرء منها تصريحا لا تلويحا.

تجاوب الطلبة ــ كما ذكرت ــ مع آراء وأفكار شيخيهم في مقاومة البدع والانتصار للسنة ومهاجمة أصحاب الطرق الضالة، وزاد من حجتهم ما قام به بعض المشايخ من تعاون وثيق مع الاستعمار، أمثال عبد الحي الكتاني الذي رأى في هذه الحركة السلفية الا صلاحية قضاء على نفوذه وهيمنته، وأمثال ابن الشيخ الدرقاوي الذي ناصب الحركة التحريرية التي قام بها البطل ابن عبد الكريم الخطابي، العداء فحاربه الأمير ابن عبد الكريم بدوره، وهاجمه الهجوم العنيف.

وزاد في تأجيج معركة مقاومة الطرقيين، ما كانت تنشره بعض الصحف الجزائرية التي كانت تصدرها جمعية العلماء بالجزائر برئاسة منشئها المصلح الكبير السيد عبد الحميد بن باديس رحمه الله من مقالات وكتابات كانت ترد عليها من المغرب، وكان يحررها جماعة من الطلبة الذين كانوا يتقدون حماسا وغيرة على دينهم ووطنهم أمثال الفقيه محمد غازي وعلال الفاسي والفقيه التطواني وغيرهم وكذلك المقالات التي تنشر في بعض الجرائد التونسية.

وذكر الأستاذ علال الفاسي أن الادارة الفرنسية كانت تستدعي الكتاب الذين يكتبون في تلك الجرائد وتهددهم بالاعتقال ان هم استمروا في كتابتهم، وأكد لي ذلك مشافهة المرحوم الفقيه التطواني الذي كان إذذاك طالبا بالقرويين والذي هدد هو بدوره، ولعل الفقيه محمد غازي كان أبرز الذين يشار إليهم بالبنان في ذلك الظرف، ولذلك كان أول من ألقي عليه القبض ونفي من فاس.

ويلاحظ أن البعض من هؤلاء الطلبة، بقي متشبثا كل التشبث بأفكاره ضد الطرق والطرقيين، والبعض الآخر صارت تفتر حدته، وتضعف مقاومته بعد أن تخطّى مرحلة الشباب، ودخل في مرحلة الكهولة والشيخوخة.

إن المعركة التي خاضها الطلبة ضد البدع والطرق الضالة وتطهير الدين من الخرافات التي ألصقت به وجدت مساندة قوية من طرف ملك البلاد الشاب سيدي محمد يوسف رحمه

الله، فأعطى تعاليمه بمنع المواسم التي كانت ترتكب فيها كثير من المنكرات مثل شدخ الرؤوس وأكل اللحوم النيئة إلى غير ذلك من الأمور المنكرة التي لا يقرها عقل ولا شرع.

لم يكن رأي جميع الشباب مقاومة الطرق والطرقيين بتلك الحدة التي كانت بفاس أساسا، ولكن البعض من الشباب كان يقسم الطرق إلى ضالة وغير ضالة، فالضالة وهي التي انحرفت عن الخط الاسلامي السليم باتباع بدع وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان تجب مقاومتها وبالأخص التي يسيطر عليها شيوخ مستغلون متعاونون مع الاستعمار أما الطرق الأخرى التي تربي اتباعها على الفضيلة والدين والأخلاق فيجوز التعامل معها وتوعيتها وتوجيهها والاستفادة من تجمعاتها، والعمل على إزالة البدع الملصقة بها، خصوصا وأنها تقوم بدور اجتماعي تربوي لا يمكن الاستغناء عنه ويكفي أنها قامت وتقوم في كثير من الأقطار الافريقية وغير الافريقية بصد هجوم الصليبية والتمسيح، ويقولون أيضا : ان الدور الذي كانت تقوم به الطرقية في المغرب، هو الدور الذي تقوم به الأحزاب الوطنية في العصر الحاضر، من حيث التجميع والتوجيه والحصانة الخلقية التي هي أساس كل مجتمع مدني، وإذا كانت الطرق فقدت حيويتها ونشاطها السليم، فلنسلط عليها جهودنا ولنعمل على توجيهها التوجيه الوطني الديني السليم، حتى تبقى قوة فعالة في بناء المغرب الحديث، والمحافظة على الشخصية المغربية، ولننتشلها من قبضة المشعوذين المستغلين الذين كانوا يوجهونها التوجيه التواكلي الانهزامي الذي يتنافى كل التنافي مع دعوة الاسلام.

لقد أصبح الفكر السلفي يتطور في المغرب لدى قراءة الكتب والمجلات والصحف التي ترد من الشرق العربي، وبالأخص كتب الامام محمد عبده وشكيب أرسلان والكواكبي ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب والأفغاني وطنطاوي جوهري وفريد وجدي وغيرهم، كل ذلك كان يعمل عمله في تطوير الفكر السلفي ليدفع به إلى فاعلية تجديدية وكانت الأحداث التحررية التي تقع في المشرق العربي سواء في مصر أو سوريا أو الحجاز (ابن سعود) أو في تركيا والهند أو غيرهما يكون لها صدى وأي صدى لدى الشباب المغربي يدفع به إلى اعتناق أفكار تحررية مثل ما تقوم به الحركات التحررية الأخرى في كثير من أنحاء العالم.

هذه العوالم جميعها والتي أتت متعاقبة ابتداء من سنة 1919 أي لدى افتتاح دروس الشيخ شعيب الدكالي وإثر المظاهرة التي قامت في الرباط وسلا للاحتجاج على ضريبة «الكياب» والتي كان للشيخ شعيب الدكالي يد فيها حسبما علمت من وثائق السيد عبد الله بنسعيد الذي نفي إلى وجدة بسببها، هذه العوامل أحدثت انتفاضة نفسية وفتحت الأعين على كثير من الحقائق، وجعلت الشباب الحي يتساءل إلى أين نسير ؟ وما هي طريق الخلاص ؟ لقد استيقظت الأفكار، وزالت الغشاوة عن الأعين، وصارت فكرة التواكل تنمحي، وتغني الشعراء بالأمجاد، وجئنا بعدهم بسنوات عشر، لنتغنى معهم بنشيد الشباب الذي وضعه الشاعر المرحوم محمد الجزولي سنة 1919 والذي جاء فيه :



الشاعر الكبير محمد الجزولي

زمان المجد هل لك ان تعودا — وتنشر فوق مغربنا بنــــودا
نمجد في تحيتها الجــدودا — بآيات نخلدهــا نشيــــدا
عجيب أن ننام ولا نئــــن — ومنحرنا به ظفر وســـــن
ونصل في الحشاشة مستكن — ونحن في مضاجعنا رقــودا
أبعد العز هل ترضـــون ذلا — وهل ترضون بعد العلم جهلا
فهلا ياشباب الغرب هـــلا — خلقتم منكم نشأ جديـــدا
أبعد جلالنا نرضى الهوانــــا — أينعم في أراضينا سوانــــا
أيعلو بالمعارف من عدانــــا — ونبقى في جهالتنا خمــودا
حنانك ياشباب الغرب هبا — فإن رجاءنا فيك استتبــــا
فأيقظ من سبات النوم شعبا — يكاد الجهل يجعله جميدا
منار العلم في الظلماء بــادى — فسر بالشعب في نهج الرشاد
وعوده الثبات على الجــلاد — عسى ماضي السيادة ان يعودا
فياوطنا على الأوطان يعلـــو — إذا يوما بنوك بك استقلــوا
وكلهم برايــتك استظلــــــوا — بكون لغربنا يوما سعيــــدا

كما تغنينا بالنشيد الوطني الذي وضعه الشاعر المرحوم الحاج محمد بن اليمني الناصري دفين البقيع بالمدينة المنورة والذي جاء فيه :

هـو المغـرب ثـرى طيـب وقـوم حبـوا بحـب الوطـن
لنا في العـلا أجـل الحلـي ومجـد الأولـى استقلـوا القنـن
لـمغربنـا اعتـزاز بنـا انشكـو الونـى ونهـوى الوسـن

ونحن أسود الوغى في العريـن نخوض المعامع فوق الحـرب
وليس لنا في الكماة قريـن يرى الجود بالنفس نفس الصواب
لنـا الأطلـس أب أشـوش لـه يسلـس قيـاد الزمـن
انخشـى المنـون ونحـن البنـون تتيـه السنـون بنا في المحـن
نصـون الحمـى بيـأس حمـى يقيـم الدمـى مقـام الجنـن
ونصبـح فيهـا كأسلافنـا نـذل مـن المعتديـن الرقـاب
ونرفـع عنـه بأكتافنـا من العسف والخسف كل نقـاب
لنـا دولـة لهـا صولـة إذا جولـة عـدت لـم تهـن
لنـا رايـة لهـا آيـة إذا غـايـة بـدت لا وهـن
بـدا مجدنـا بكـل الدنـا وذا خلدنـا يزيـح الشجـن
فكم وقعة كان فيها لنـا مواقع نصر بماضي الذبـاب
وأصبح فيها الـذي اغتالنـا يطير فرارا ولا كالذبـاب
فقومـوا بنـا لرفـع البنـا بنـا شعبنـا بأغلـى ثمـن
بـأرواحـنـا بـأشبـاحـنـا بألحـاننـا لمحـو الـدرن
بهمتنـا بذمتنـا بأمتنـا بـعـزم درن
فنحـن الأولـى عـز تاريخنـا فأجرى الحياة بنفس الشبـاب
فطابـت بـذاك شمارخنـا وشمس الحقيقة تجلو الضبـاب

لم تبق الأفكار منحصرة في مقاومة الشعوذة والمشعوذين ومحاصرة الطرق والطرقيين، لقد تطورت الأفكار بعدما تطهرت من الجمود والخرافات والتواكل، وتعرفت إلى حقيقة الاسلام الذي يدعو إلى العزة والكرامة ومقاومة الاستبداء والاستعباد، (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).


العالم الأديب الشاعر
ج محمد اليمني الناصري

عقلية جديدة تولدت لدى طائفة من الشباب من أفكارهم السلفية، فالسلفية لم تدفعهم إلى الركود والاستسلام والارتباط بالماضي، ولكنها أحيت فيهم الروح الاسلامية المندفعة التواقة إلى إعادة مجد الماضي بحيويته وإيمانه وتحرره من الرواسب الجاهلية المتخلفة، مع اعتناق كل الأفكار التجديدية،

والحفاظ على الشخصية المغربية بكل مقوماتها الأساسية المرتبطة بالدين والعروبة والمغربية.

والسلفية دفعت الشباب إلى أن يبحث عن الأسباب التي جعلت البلاد المغربية وغيرها من البلدان الاسلامية ترزح في مهاوي التخلف والانحدار حتى تقع بين أنياب الاستعمار، والسلفية صهرت الفكرة الوطنية وأعطتها مدلولات سامية منزهة عن أفكار العنصرية والتمايز، ووجهت الشباب إلى سلوك منهج في الحياة يستطيعون معه أن يقوموا بواجباتهم الفردية والاجتماعية، مهتدين بهدى أسلافهم في السمو الأخلاقي والدفاع عن الكرامة الانسانية، والسلفية غذت الشباب بأفكار ومبادئ سامية، جعلته يعتقد أن أمته جزء لا يتجزأ من الأمة الاسلامية وان من واجبه الدفاع عن الاسلام كدين وعقيدة وحضارة، وانه مرتبط ارتباطا وثيقا لا تنفصم عراه مع أمته الاسلامية، والسلفية حركت في الشباب روح النضال والكفاح ليعمل لسعادة أمته وسعادة الانسانية جمعاء. والسلفية كما قال الأستاذ علال الفاسي (عملت في تسيير آلتنا النفسية وتوجيه تفكيرنا نحو هذا التجدد المنشود في جميع مظاهر حياتنا، ونحو هذا التحرر الذي ظل طابع حركتنا وصوب هذه الوحدة العربية التي لم تزل مطمح آمالنا، ونحو الروح الديموقراطية التي تسيطر علينا).

فقوموا بنا لرفع البنا بنا شعبنا بأغلى ثمن
بأرواحنا بأشباحنا بألحاننا لمحو الدرن
بهمتنا بذمتنا بأمتنا بعزم درن
فنحن الأولى عز تاريخنا فأجرى الحياة بنفس الشباب
فطابت بذاك شمارخنا وشمس الحقيقة تجلو الضباب



جمال الدين الأفغاني



الإمام محمد عبده

الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وآثاره في الفكر السلفي بالمغرب

لا يمكننا ونحن نؤرخ للفكر السلفي بالمغرب أن نغفل الآثار الكبرى والتغييرات العظمى التي أحدثتها كتابات الداعية الثائر جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في أفكار الشباب الوطني المغربي فمما لا جدال فيه أن صيحات محمد عبده ارتفعت في أنحاء العالم الاسلامي جميعه من شرقه إلى مغربه، داعية إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة السلف قائلا : (يجب تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، والنظر إلى العقل باعتباره قوة من أفضل القوى الانسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة).

لقد رفع محمد عبده صوته مدوياً، ان علة العلل التي أصابت المسلمين فأدت بهم إلى التأخر والانحطاط، هي بعدهم عن حقيقة دينهم، وهجرانهم للكتاب المنزل على رسولهم، واتباعهم للمشعوذين من الشيوخ الجامدين، أو المدعين للولاية والكرامات الذين نصبوا أنفسهم موجهين ومعلمين، وانه لا أمل في النجاح، ولارجاء في الاصلاح، إلا بالرجوع إلى المنبع الأول الذي هو كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإلى سنة الرسول محمد ﷺ الذي قال : تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وإلى استعمال العقل الذي أعلى الله شأنه في كتابه المنزل من السماء (فالعقل قوة من أفضل القوى الانسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة) واللّه قد أطلق للعقل البشري أن يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد.

لقد انكب الشباب الوطني على دراسة ما يرد من مصر من كتب الأستاذ الامام محمد عبده ككتابه الصغير الحجم العظيم الفائدة حول الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، وكتابه المعنون بالاسلام والرد على منتقديه، وكتابه : «رسالة التوحيد» ودروسه التفسيرية التي كانت

تصدر بمجلة «المنار» ثم جمعها تلميذه وصفيه الصادق الشيخ محمد رشيد رضا في مجلدات أطلق عليها تفسير المنار، وتعاليقه وتصحيحاته لبعض الكتب القيمة كدلائل الاعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني وفتاواه وأحاديثه التي كانت تنشرها مجلة «المنار» إلى غير ذلك من الكتابات التي كان لها الأثر الفعال في تجديد الفكر الديني لدى الشباب المغربي، مثل ماكان لها نفس الأثر لدى الشباب في جميع أنحاء العالم الاسلامي بما فيه بلاد أندونيسيا والهند وغيرهما من الأقطار.

وبمطالعة كتب الأستاذ محمد عبده ووارث سره من بعهد الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله الذي يعتبر بحق المعرف الحقيقي بأفكار وتعاليم محمد عبده بعد وفاته، والذي اضطلع كما قال الشيخ محمد البشير الابراهيمي (بعد موته بحمل أعباء الاصلاح، حين نكل عن حملها أقوام، وضعف عن حملها أقوام، واستقل بتسيير سفينته، فكان الربان الماهر، وأقام على مبادئ أستاذه، وفيا لها وله، فتمادى على إصدار التفسير على منهاج الامام، من حيث وقف الامام، وجمع تاريخ حياة الامام، فكان أضخم عمل استقل به فرد) أقول بمطالعة كتب الأستاذ الامام والشيخ رشيد رضا تلاحمت الأفكار، وتجددت المفاهيم، وتنورت الأذهان، وتقوى ما



السيد محمد رشيد رضا سنة 1351

كان يدعو إليه مجدد الفكر الديني بالمغرب الشيخ شعيب الدكالي والعلامة السلفي الصادق سيدي محمد بن العربي العلوي.

لقد كنا نطالع كتب محمد عبده ورشيد رضا بمنتهى ما يكون من الرغبة والاشتياق، وكانت الموضوعات التي تعالجها كتابتهم تلقى منا تجاوبا كبيرا وفهما عميقا، وكنا نجد فيها أجوبة على كثير من التساؤلات التي ترد على أفكارنا، وردودا على الشبهات التي يضعها خصوم الاسلام المتعددون ضدا على الاسلام.

وأذكر أنني لما طلعت وأنا في مبعة الشباب (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) كنت في منتهى الغبطة والانشراح، لا من حيث المعلومات التي استفدتها منه فحسب ولكن من حيث تفتح فكري على كثير من الحقائق، وتطلعي إلى الزيادة في المعرفة، والاقبال على المطالعات المتعددة والمتنوعة، كما أذكر أنني تشوقت لمطالعة تفسير المنار الذي لم تكن لديّ استطاعة لشرائه، عندما رأيت صديقي المرحوم السيد مصطفى الغربي الرباطي منكبا على مطالعته وذلك سنة 1933 بالضبط، ولم أطالع بعض أجزائه إلا بعد ذلك بقليل لقد أسدى الامام محمد عبده خيرا كبيرا لنا، فلقد كان مصلحا كبيرا، وموجها صادقا، وفيلسوفا إسلاميا مومنا، ومفكرا عبقريا خطيرا، أعطى كما قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : (التفكير النظري كل حقه، ولكنه أخذ منه حق العمل على الاصلاح الرشيد المستنير، واستخلص منه العقيدة الاسلامية خالصة من عقبات الجمود والخرافة التي تصدها عن التقدم، وتقعد بها عن مسايرة الزمن، والتأهب للحياة بأهمية العقل البصير، والضمير الحر، والكفاية الخلقية والمادية لمناهضة القوة المستطيلة عليها بسلاح العلم والمال).

السلطان المولى سليمان
يحارب البدع وينتصر للسنة

وإتماماً للفائدة نثبت هنا نص الخطبة التي حررها وكتبها السلطان المولى سليمان وأمر بإلقائها في مختلف مساجد المغرب والتي يحُض فيها على مقاومة البدع والضلالات والطرق الضالة، وينتصر للسنة التي جاءت من عند سيد المرسلين ﷺ.

نص الخطبة :

الحمد لله الذي تعبدنا بالسمع والطاعة. وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة. وحفظ ملة نبيه الكريم. وصفيه الرؤوف الرحيم. من الاضاعة. إلى قيام الساعة. وجعل التأسي به أنفع الوسائل النافعة أحمده حمدا ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه. وأشكره شكرا يقصر عنه لسان البراعة. واستمد معونته بلسان المذلة والضراعة. وأصلي على محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة. أما بعد فأيها الناس شرح الله لقبول النصيحة صدوركم. وأصلح بعنايته أموركم واستعمل فيما يرضيه أمركم وماموركم. فإن الله قد استرعانا جماعتكم وأوجب لنا طاعتكم. وحذرنا اضاعتكم) (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). سيما فيما أمر الله به ورسوله. أو هو محرم بالكتاب والسنة النبوية. واجماع الأمة المحمدية (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر). ولهذا نرثي

لغفلتكم أو عدم إحساسكم ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم، فألقوا لأمر الله آذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم. وطهروا من دنس البدَع إيمانكم، واخلصوا لله إسراركم وإعلانكم، واعلموا أن الله بفضله أوضح لكم طرق السنة لتسلكوها. وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها، وكلفكم لينظر عملكم فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه. واعرفوا فضله عليكم وعوه. **واتركوا عنكم بدع** المواسم التي أنتم بها **متلبسُونَ، والبدع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسون. واقترفوا أوزاعا وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعا فيما هو حرام كتابا وسنة وإجماعا وتسموا فقراء وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرا** (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) **وكل ذلك بدعة شنيعة. وفعلة فظيعة. وسبة وضيعة. وسنة مخالفة لأحكام الشريعة. وتلبيس وضلال. وتدليس شيطاني وخبال زينه الشيطان لأوليائه فوقتوا له أوقاتا وانفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهم وأقواتاً وتصدى له أهل البدع من عيساوة وجلالة وغيرهم من ذوي البدع والضلالة والحماقة والجهالة، وصاروا يترقبون للهوهم الساعات وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات وكل ذلك حرام ممنوع والانفاق فيه انفاق في غير مشروع.** فأنشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله ﷺ لعمه سيد الشهداء موسما وهل تصدى لذلك أحد من التابعين رضي الله عنهم أجمعين. ثم أنشدكم الله هل زخرفت على عهد رسول الله المساجد. أم زوقت أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع. حسبنا الاقتداء والاتباع (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على أثارهم مقتدون). وهذه المقالة قالها الجاحدون، هيهات هيهات لما توعدون. وقد رد الله مقالهم. ووبخهم وما أقالهم فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين. وأهل الصلاح والدين. (خير القرون قرنى الحديث)[1] وبالضرورة انه لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها. فقد قبض رسول الله ﷺ وعقد الدين قد سجل. ووعد الله باكماله قد عجل. (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة رضي الله عنهم : أيها الناس : قد سننت لكم السنن، وفرضت الفرائض وتركتكم على الجادة، فلا تميلوا بالناس يمينا ولا شمالا، فليس **في دين الله ولا فيما شرع نبي الله، ان يتقرب بغناء ولا شطح.** والذكر الذي أمر الله به، وحث عليه، ومدح الذاكرين به، هو على الوجه الذي كان يفعله ﷺ، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد. فهذه سنة السلف. وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يسمع ومن يسلك غير سبيلهم فلا يتبع (ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا). (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان

---

(1) متفق عليه.

الله، وما أنا من المشركين). فما لكم ياعباد الله ولهذه البدع ؟ أآمنا من مكر الله ؟ أم تلبيسا على عباد الله ؟ أم منابذة لمن النواصي بيديه ؟ أم غروراً لمن الرجوع يعد إليه ؟ فتوبوا واعتبروا وغيروا المناكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور لما أغضوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع ما بين العاصي والمداهن المطيع أفزين لكم الشيطان وكتاب الله بأيديكم ؟ أم كيف يضلكم وسنة نبيكم تناديكم ؟ فتوبوا إلى رب الأرباب، (وانيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل أن ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون)، ومن أراد منكم التقرب بصدقة، أو وفق لمعروف أو إطعام أو نفقة، فعلى من ذكر الله في كتابه، ووعدكم فيهم بجزيل ثوابه، كذوي الضرورة الغير الخافية والمرضى الذين لستم بأولى منهم بالعافية ففي مثل هذا تسد الذرائع، وفيه تمتثل أوامر الشرائع. (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله). **ولا يتقرب إلى مالك النواصي. بالبدع والمعاصي**، بل بما يتقرب به الأولياء والصالحون، والأتقياء المفلحون : أكل الحلال وقيام الليال، ومجاهدة النفس في حفظ الأحوال، بالأقوال والأفعال، البطن وما حوى، والرأس وما وعي، وآيات تتلى، وسلوك الطريقة المثلى، وحج وجهاد، ورعاية السنة في المواسم والأعياد، ونصيحة تهتدى، وأمانة تودَّى، وخلق على خلق القرآن يحدى، وصلاة وصيام، واجتناب مواقع الاثام، وبيع النفس والمال. من الله، (ان الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)، الآية، (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)، الصراط المستقيم كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وليس **الصراط المستقيم كثرة الرايات : والاجتماع للبيات، وحضور النساء والأحداث. وتغيير الأحكام الشرعية بالبدع والأحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص....** ؟ (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) عن المقداد[2] بن معد يكرب رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجاء بالرجل يوم القيامة وبين يديه راية يحملها، وأناس يتبعونها، فيسأل عنهم ويسألون عنه... ؟ (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين ابتعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا...) **فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا من السلطان والخلائف أن يمنعوا هؤلاء الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يومن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم.** فإياكم ثم إياكم والبدع فإنها تترك مراسم الدين **خالية خاوية : والسكوت عن المنكر يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية :**

فمن المنقول عن الملل، والمشهور في الأواخر والأول، ان المناكر والبدع إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم

---

(2) لعله المقداد بن الأسود.

المثلاث، وشحت السماء، وحلت النقماء، وغيض الماء، واستولت الأعداء : وانتشر الداء، وجفت الضروع، ونقعت بركة الزروع، لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طرق الفوائد، والأدب مع الله ثلاثة : حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع، ورعاية السنة **من غير اخلال ولا** ابتداع ومراعاتها في الضيق والاتساع، **لا ما يفعله هؤلاء الفقراء**، فكل ذلك كذب على الله وافتراء (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)، وعن العرباض[3] بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقام إليه رجل فقال يارسول الله، كان هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ أو قال : أوصنا فقال : أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة لمن ولي عليكم وان عبداً حبشيا، فإنه من يعش بعدي فسيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وها نحن عباد الله أرشدناكم وحذرناكم وأنذرناكم، **فمن ذهب بعد لهذه المواسم أو أحدث بدعة في شريعة نبيه أبي القاسم، فقد سعى في هلاك نفسه، وجر الوبال عليه وعلى أبناء جنسه، وتله الشيطان للجبين وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.** (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بحركتنا الوطنية

لا نزاع في أن الحركة الاصلاحية بالجزائر الشقيقة يرجع الفضل فيها إلى المصلح الكبير السلفي الصالح الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ورضي عنه، فلقد أحدثت دروس هذا المصلح ثورة فكرية إسلامية في نفوس الذين كانوا يحضرون دروسه، ويستمدون من تعاليمه وتوجيهاته، فأنار الله قلوبهم بنور الايمان، وتغذت أرواحهم باليقين الصادق، وتهيأوا لأداء رسالتهم في الحياة، يقول الامام الشيخ البشير الابراهيمي عن هؤلاء التلاميذ الذين كانوا يواظبون على دروس ابن باديس : (فما كادت تنقضي مدة، حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيحة وعقول نيرة، ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة، وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس، هي طلائع العهد الجديد الزاهر إلى أن يقول : (فكان من مجموعها ومما تخرج بعدها من تلاميذ الأستاذ ومن تلاميذ جامع الزيتونة، جنود الاصلاح اليوم وقادته وألويته المرفرفة وأسلحته النافذة).

---

(3) أخرجه الامام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك باختلاف يسير.

لقد وهب ابن باديس نفسه للدفاع عن الجزائر والحفاظ على شخصيتها وذاتيتها، وزاد من اهتمامه بقضية شعبه ما رآه من تآمر الاستعمار على الشعب الجزائري والقضاء على شخصيته الاسلامية العربية فبمناسبة مرور قرن كامل على استعمار الجزائر أي سنة 1930 قررت فرنسا أن تقيم احتفالات كبرى، دعت إليها شخصيات من مختلف أنحاء العالم، كان في طليعتهم قساوسة ورجال الدين المسيحيون من شتى البلاد الأوروبية الذين ألقى فيهم كبير أساقفة الجزائر خطابا حماسيا قال فيه : إننا لا نحتفل اليوم بمرور مائة سنة على احتلال فرنسا للجزائر، ولكننا نحتفل بدخول المسيحية من جديد إلى افريقيا الشمالية.

ولقد أنفقت من الأموال الشيء الكثير لتكون الاحتفالات في مستوى ما تهدف إليه من اقرار الاحتلال، وما يرمز إليه من وجود دائم، واستقرار مستمر، وكان الجيش الفرنسي متحليا بملابس تماثل الملابس التي كان يلبسها المحتلون في سنة 1830 وكانت الموسيقى التي تعزف الأنغام، تعزف نفس النغمات التي كانت ترددها سنة 1830 كما شارك في هذه الاحتفالات وترأسها رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه، كانت مظاهر استفزازية للشعب الجزائري المسلم، أشعرته بالمهانة والذل وفقدان الشخصية، وأكدت له أن هؤلاء الفرنسيين سائرون في خططهم الاستعمارية الصليبية المقيتة لمحو الوجود الاسلامي العربي الجزائري، ولالحاق هذا الشعب الأبي نهائيا وإدماجه في فرنسا.


صورة الأستاذ الطيب العقبي

وفي هذا الجو المليء بالحسرة والألم، قرر المصلح ابن باديس تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من صفوة علماء الجزائر المنتمين إلى مدرسة التجديد الاسلامي السلفية والتي كونها وأسسها هو نفسه والتي ساعده في تكوينها جماعة من أعلام العلماء يأتي في طليعتهم الشيخ محمد البشير الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي والشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك الميلي والشيخ محمد خير الدين، ولقد كان تأسيسها عمليا في شهر ماي سنة 1931 رغم أنه كان يفكر في تأسيسها أواسط العشرينات كما أكد ذلك الشيخ الابراهيمي، ومبادئ هذه الجمعية تتلخص فيمايلي : الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا، أما مبادئها التفصيلية فلقد لخصها مقال كتبه الشيخ البشير الابراهيمي في مقال كتبه في جريدة البصائر، خاطب فيه الاستعمار بصراحة قائلا : «ياحضرة الاستعمار، ان جمعية العلماء تعمل للاسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه واحياء آدابه وتاريخه، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها، وتطالبك باستقلال قضائه، وتسمى عدوانك على الاسلام ولسانه ومعابده وقضائه عدوانا بصريح اللفظ وتطالبك بحرية التعليم العربي، وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والاسلام مجتمعين في وطن، وتعمل لاحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها في موطن عربي وبين قوم من العرب، وتعمل

لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين اخوة الاسلام العامة بين المسلمين كلهم، وتذكر المسلمين الذي يبلغهم صوتها بحقائق دينهم، وسير أعلامهم، وأمجاد تاريخهم وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي، لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب.

وجاء في الأسس والأصول التي وضعها ابن باديس للجمعية مايلي : (1) (الاسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي بعده (2) الاسلام هو دين البشرية التي لا تسعد إلا به، وذلك لأنه : أولا : كما يدعو إلى الاخوة الاسلامية بين جميع المسلمين، يذكر بالاخوة الانسانية بين البشر أجمعين، ثانيا : يسوى في الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع الأجناس والألوان، ثالثا : لأنه يفرض العدل فرضا عاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز، رابعا : يدعو إلى الاحسان العام خامسا : يحرم الظلم بجميع وجوهه، وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من الناس، سادسا : يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير، سابعا : ينشر دعوته بالحجة والاقناع، لا بالختل والاكراه، ثامنا : يترك لأهل كل دين يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون تاسعا : شرَّك الفقراء مع الأغنياء في الأموال، وشرَّع مثل القراض والمزارعة والمغارسة، مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال، عاشرا : يدعو إلى رحمة الضعيف، فيكفي العاجز، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال، ويعان المضطر، ويغاث الملهوف، وينصر المظلوم، ويوخذ على يد الظالم، حادي عشر : يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه ثاني عشر : يجعل الحكم شوري ليس فيه استبداد، ولو لأعدل الناس (3) القرآن الكريم هو كتاب الاسلام، (4) السنة : القولية والفعلية «الصحيحة، تفسير وبيان للقرآن (5) سلوك السلف الصالح (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين) تطبيق صحيح لهدى الاسلام، (6) فهوم أئمة السلف الصالح، أصدق الفهوم لحقائق الاسلام، ونصوص الكتاب والسنة (7) البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة، ولم يثبت عن النبي ﷺ وسلم فعله، وكل بدعة ضلالة (8) المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم، وضبط شؤونهم، وتقدم عمرانهم، مما تقره أصول الشريعة (9) أفضل الخلق هو محمد ﷺ !

ثم يتحدث بعد توضيح هذه الأسس التي بني عليها تعاليمه عن حقيقة التوحيد وعن الأوضاع الطرقية التي ما أنزل الله بها من سلطان، وانه يدعو إلى ما دعا إليه الاسلام ويذكر في البند العشرين الذي ختم به الحديث عن الأصول التي وضعها لدعوته مايلي : (20) عند المصلحة العامة من مصالح الأمة، يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة، ويصدع الوحدة، ويوجد للشر الثغرة، ويتحتم التآزر والتكاثف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ثم بقوة الحق، وادراع الصبر، وسلاح العلم والعمل والحكمة.

إن الذين يتتبعون قضية الاصلاح الديني بالجزائر، يلاحظ أنها بدأت في العشرينات ولكن

جمع شتات العلماء المصلحين لم يقع إلا أوائل الثلاثينات عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد كانت آراء هؤلاء العلماء يتجاذبها رأيان، الأول وكان يمثله الشيخ البشير الابراهيمي، كان يدعو أولا وقبل كل شيء إلى القيام بنهضة تعليمية صحيحة، تكون الشباب الجزائري التكوين المتين وتدربه على أساليب الدعوة الاسلامية والخطابة العربية والكتابة القوية المتينة، ليستطيع مواجهة الخرافيين والملاحدة مواجهة صحيحة، معتمدة على الأدلة والبراهين المقنعة.

أما الرأي الثاني فكان يرى مهاجمة المبطلين والخرافيين من أول يوم، ويقاوم البدع والمنكرات، حتى تتضح معالم الطريق من أول يوم، خصوصا وان الطرقية كانت منتشرة أيما انتشار، ومؤثرة في الشعب أيما تأثير، وعاملة على بث الأفكار المنذرة بسوء المصير، وداعية إلى الانصياع إلى ما يقوله الأشياخ دون بحث أو تمحيص (فاعتقدْ وَلَا تنتقد) كما يقولون.

وكان يمثل هذا الرأي الثاني عبد الحميد بن باديس الذي بدأ نشاطه في الدعوة بمهاجمة أشياخ الطرق مهاجمة عنيفة فانشأ أوّلا جريدة «المنتقد» التي كانت تحررها أقلام كانت كما يقول الابراهيمي ترسل شواظا من نار على الباطل والمبطلين، ولم يصدر من هذه الجريدة إلا ثمانية عشر عددا حيث عطلتها السلطات الفرنسية، فأصدر بعد تعطيلها جريدة «الشهاب» التي كانت أسبوعية أولا، ثم أصبحت مجلة شهرية.

ومن خلال «الشهاب» تلاقت أقلام المغاربة مع إخوانهم الجزائريين فكان يكتب فيها المرحومون الفقيه محمد غازي والرئيس علال الفاسي والفقيه محمد التطواني وغيرهم من الشبان السلفيين في ذلك الوقت.

لقد أصبحت «الشهاب» تحتل مركزا هاما في الدعوة إلى الاصلاح ومحاربة المبطلين والخرافيين والمتعاونين مع الاستعمار من الطرقيين، سواء في الجزائر أو المغرب، ويقول الابراهيمي رحمه الله عن مجلة «الشهاب» (لم تهن لها في حرب الباطل وأهله عزيمة، ولم تفل لها شباة، وكم لها من مواقف شريفة في خدمة الحركة الاصلاحية، وكم لها على النهضة العلمية والأدبية من أياد).

لقد كانت مجلة «الشهاب» هي الرابطة بين الحركة السلفية في الجزائر والحركة السلفية في المغرب، فمنذ أن تلاقت أقلام المغاربة والجزائريين على صفحات «الشهاب» أصبحت الحركة السلفية في المغرب والجزائر متجاوبة، وأصبح السلفيون في الجزائر والسلفيون الوطنيون في المغرب، متعاونين، وبقي هذا التعارف قويا متينا طوال الثلاثينات والأربعينات والخمسينات سواء في أيام الشدة أو أيام الرخاء، فصارت الزيارات متبادلة في مختلف المناسبات، وكانت مناسبة انعقاد المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمركزها العام بنادي الترقي بالجزائر في جمادى الثانية عام 1354 الموافق لشتنبر سنة 1933م من المناسبات

التي بعثت كتلة العمل الوطني اخانا المجاهد العلامة سيدي إبراهيم الكتاني ليمثلها في المؤتمر، وليؤكد تجاوب الحركة الوطنية المغربية مع حركة جمعية العلماء الجزائريين فيما تهدف إليه الحركتان من اصلاح وانعتاق، ولقد ألقى الأخ إبراهيم الكتاني كلمة في المؤتمر جاء فيها : (تعرفت بكبار رجال الجمعية الذين كنت أسمع بهم وبجهادهم الشريف، فإذا بي أمام جهود جبارة، وأعمال منظمة، ومساع موفقة، ورجال يعلمون تمام العلم، عظم المسؤولية الملقاة على كواهلكم أمام الله وأمام الاسلام الناهض المتحفز وأمام الأجيال البشرية المقبلة) إلى أن يقول : (ولهذا فكل أمل في حياة هذه الأمة، والرقي بها إلى مراقي العز والسعادة، هو معقود على هذه الجمعية، إذا أيدتها الأمة، ونفذت برامجها عن عقيدة واخلاص، وساعدتها على القيام بالمأمورية العظيمة التي أخذت على عاتقها القيام بها).

أشرت في السابق إلى أن الامام ابن باديس استعان بالصحافة على أفكاره الاصلاحية فأصدر جريدة «المنتقد» سنة 1925 وبعد تعطيلها أصدر جريدة «الشهاب» التي أصبحت مجلة أسلامية تضاهي في بعض الجوانب مجلة «المنار» التي كان يصدرها العلامة السلفي الشيخ محمد رشيد رضا.

وبعد تأسيس جمعية العلماء الجزائريين سنة 1931 صدرت جريدة «السنة» وكان يشرف عليها ابن باديس نفسه ويرأس تحريرها الأستاذان : الطيب العقبي والسعيد الزاهري، ولكن صدورها لم يطل، فخلفتها جريدة «الشريعة» وكانت هي أيضا تحت إشراف ابن باديس وتحرير العقبي والزاهري وكل من الجريدتين المذكورتين صدر سنة 1933 ثم بعد توقيفهما أصدر ابن باديس جريدة «الصراط» ولم يطل صدورها كثيرا فتوقفت هي بدورها بأمر من السلطات الفرنسية.

لقد كانت هذه الجرائد ترد علينا، وكنا نعمل على توزيعها ونشرها وبيعها حتى صدر أمر استعماري بتوقيفها، وفي دسمبر سنة 1935 صدرت جريدة «البصائر» وبقيت تصدر إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاودت «البصائر» الصدور، وكان الذي تولى الاشراف عليها العلامة محمد البشير الابراهيمي الذي كانت له جولات وصولات في افتتاحياتها القوية البليغة التي كانت تحرر في مواضيع مختلفة وتعالج قضايا متنوعة، ومن جملتها المقالات النارية التي دبجها يراعه دفاعا عن المغرب، وانتصارا لقضاياه، ومهاجمة للاستعمار، وتنويها بمواقف الملك الصالح محمد الخامس نور الله ضريحه، إلى غير ذلك من المقالات التحليلية التي كان يحررها المرحوم توفيق المدني وغيره من أقلام الأحرار.

لقد بقيت «البصائر» تصدر مدة عشر سنوات من سنة 1947 إلى سنة 1956 ولم تتوقف إلا بأمر من جبهة التحرير الجزائرية.

(موقف جمعية العلماء الجزائريين بعد الاعتداء على العرش المغربي)

وبالمناسبة اثبت هنا موقفا شريفا وقفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لدى اعتداء السلطات الاستعمارية الفرنسية على رمز المغرب وملكه المفدى جلالة المرحوم محمد الخامس نور الله ضريحه، بخلعه عن عرش المغرب، وإبعاده عن وطنه، وتولية عميل من العملاء المسمى (بابن عرفة) عرش المملكة المغربية، فلقد أصدرت جمعية العلماء فتوى دينية تؤكد أن الملك الشرعي للمغرب هو محمد الخامس، وان ما يسمى (بابن عرفة) لا تصح إمامته، ولا تقبل توليته من الوجهة الشرعية، وفيمايلي نص الفتوى :

«بسم الله الرحمن الرحيم : ان العلماء الجزائريين، بعد دراسة عميقة لحوادث المغرب الأقصى المزعجة، وبعد عرض القضية على لجنة الافتاء المختصة بدراسة القضايا من حيث وجهتها الدينية الصرفة يفتون :

1) باستمرار إمامة سيدي محمد بن يوسف ولزوم طاعته لجميع المغاربة.

2) بطلان إمامة (السلطان المفروض محمد بن عرفة).

3) بمروق العصابة الكلاوية والكتانية من الدين، وتبرئ الاسلام منهم لخيانتهم ونكثهم العهد ورفعهم السلاح في وجه إمامهم الشرعي.

4) ويستنكرون موقف الحكومة الفرنسية المخالف لتعهداتها، ويعتبرون عملها يوم اجتماع المسلمين في مناسك الحج بمكة، احتقارا لعواطف المسلمين ومحاربة للاسلام».

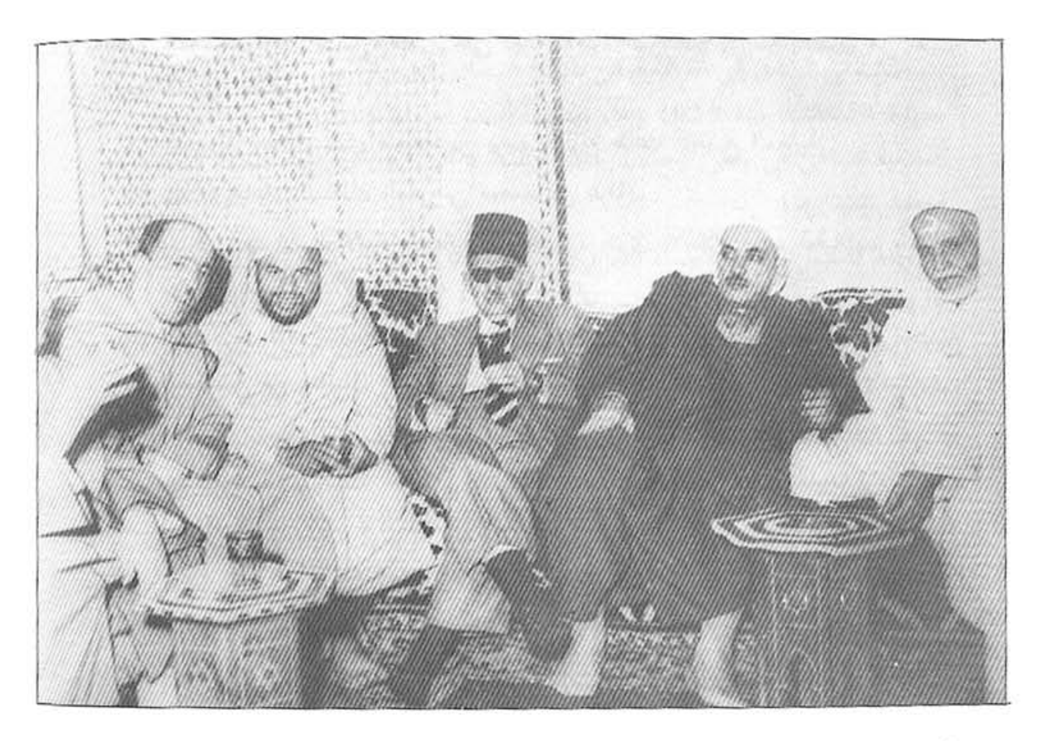
اقدمت العصابة القلاوية المفسدة على تنفيذ مؤامرتها الدنيئة تحت إشراف السلطة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة، وبواسطة حرابها، وكان من جملة افتراءاتهم، انهم ينفذون إرادة أغلبية الشعب، ويدافعون عن الشرع الاسلامي، ويخلعون سلطانا لم يبق له حق في ولاية الدين، أو سلطة الدنيا، وكل هذا افتراء على الدين، وتزوير للحقائق الثابتة.

ولجنة الافتاء تعلن باسم علماء الجزائر المسلمين مايلي :

1) إن إمامة سيدي محمد بن يوسف الدينية والدنيوية إمامة شرعية، وطاعته تلزم كل مسلم مغربي أنى يوجد، وهذه الامامة والطاعة مستمرتان رغم ما فعله المبطلون.

2) ان إمامته كانت بمبايعة علماء المغرب وإجماعهم على تنصيبه، والاجماع من مصادر التشريع الأربعة عند المسلمين، ومن المعلوم أن العلماء، هم أولوا الاختصاص في هذا الشأن، لقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وأولوا الأمر من المسلمين، هم الأمراء الشرعيون، والعلماء الصالحون، كما قرره الامام مالك عندما سأله خالد بن نزار عن أولي الأمر منهم ؟ فأشار إلى العلماء، وكانوا هم الحاضرين مجلسه فالعلماء المسلمون في النظام الاسلامي، لهم من سلطة اختيار الامام للمسلمين دينا ودنيا، ما للجمعية

الوطنية الفرنسية المؤلفة من أعضاء مجلس النواب والشيوخ، فإذا انتخب الامام من مجموع علماء المسلمين في وطن ما، صار الامام الشرعي للمسلمين، وصار أميرا لرسول الله ﷺ، كأنه هو الذي سماه وعينه، وصارت سلطته من سلطة الله ورسوله، كما قال ﷺ : (من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى أميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله) وبهذا وجب على الأمة السمع والطاعة للامام المنتخب، وحرم على فرد من أفراد الأمة، نكث العهد والخروج على الطاعة.



أخذت هذه الصورة في شهر نونبر 1955 وهي تمثل من اليمين إلى اليسار :
الفقيه أبو بكر زنيبر، الشيخ خير الدين، الأستاذ توفيق المدني، الشريف القاضي مولاي سعيد العلوي، أبو بكر القادري.

إن إمامة سيدي محمد بن يوسف، يقل مثلها في الصحة والشرعية بين آمراء المسلمين اليوم لمطابقتها تمام المطابقة لنصوص الشرع، ورضاء جميع المذاهب الاسلامية عنها، وكل فرد خرج على الامام — بعد عقد البيعة له من أولي الأمر — فللامام ان يؤخذه بجريمته، مجتهدا في عقوبته ما لم يرفع سلاحا، أو يؤلف عصابة للفتنة والفساد، فإن هو فعل ذلك، فهذا نص على عقوبته القرآن الكريم، وليس للامام اجتهاد إلا في اختيار نوع العقوبة التي خيره الله في واحدة منها، لقوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقد قال علماء الاسلام : إذا امتنعوا عن الامام العدل، المقيم للشرع، وعثوا فسادا في الأرض أي مفسدين لما صلح من أمور الناس، كان جزاؤهم ما ذكر في الآية، بنص قوله تعالى : (ويسعون في الأرض فسادا) ويتحقق الفساد، ولو لم يصحبه حمل السلاح.

فالعصابة القلاوية، بامتناعها عن الامام، وحملها السلاح في وجه الامام العدل الشرعي، قد سعت في الفتنة، وأفسدت ما صلح من أمور المسلمين، فجزاؤها هو ما ذكر في الآية.

ولو فرضنا أن أفراد هذه العصابة مسلمون صالحون، لكانوا غير ذوي اختصاص في أمر التولية والعزل للامام، لأنهم وكلاء عنه أمناء على مهمتهم، فإن غدروا وخانوا، فهم معزولون عن وكالتهم، وقد غدر كل منهم وخان امامه بمجرد اشتراكه في المؤامرة ولولا مظاهرة السلطة الاستعمارية لهم، وتسخيرها إياهم، لنفذ فيهم العزل، وأقيم عليم الحد.

على أن هذه العصابة القلاوية والكتانية قد تولت الكافرين واتبعت غير سبيل المومنين، وكما ناصرت الظهير البربري الذي أعلنته السلطة الفرنسية لتنصير المغرب سابقا، وضعت نفسها الآن، كآلة في يد السلطة الاستعمارية لخلع أمير المومنين الذي ضحى بعرشه في سبيل الدفاع عن بيضة الاسلام، (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم، وساءت مصيرا) (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) هذه نصوص، خص بها أعداء الاسلام، ومن شايعهم من الخونة المسلمين.

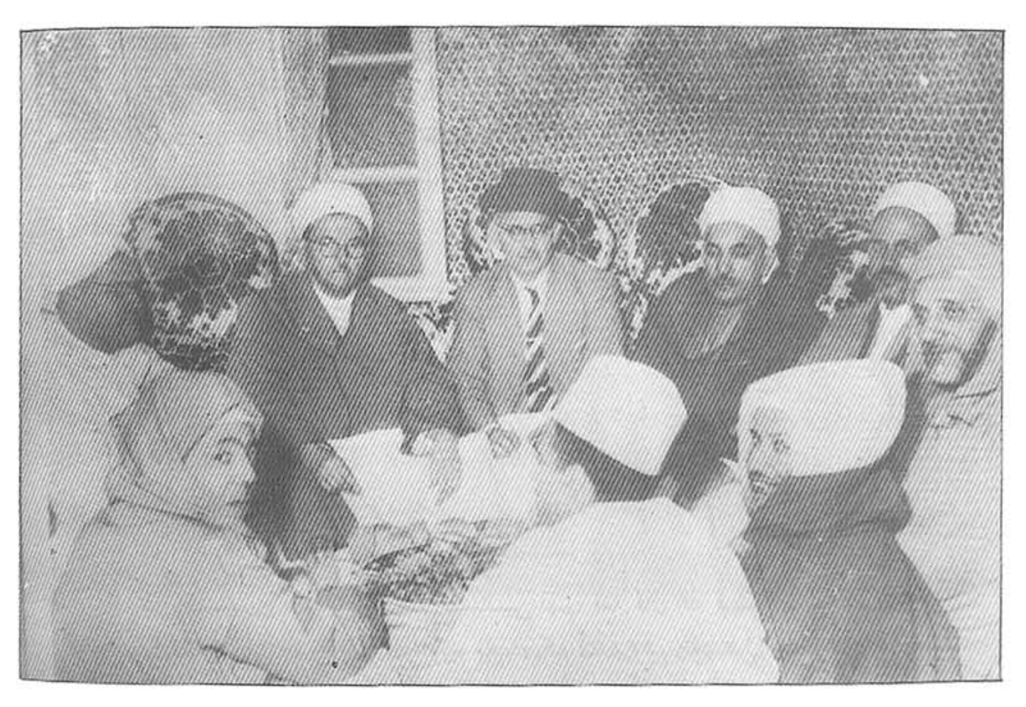
أما غير المسلمين من أهل الأديان المسالمين لهم، فقد قال الله فيهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، ان الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم).

ولذا فإننا نقر علماء المغرب على فتواهم، ونعتبر العصابة القلاوية والكتانية مارقة من الاسلام، يجري عليهم من الأحكام ما يجري على المارقين، وليس لهم من صفة تخولهم الكلام باسم الأمة التي نبذتهم.

ونعلن أن الولاية الوحيدة الصحيحة المستمرة، إنما هي ولاية سيدي محمد بن يوسف وان طاعته مستمر لزومها لكل مسلم مغربي يومن بالله ورسوله، وان كل ولاية في المغرب باطلة، ما لم تكن مستمدة من ولايته.

كما نقرر أن كل فعل أو قول يصدر عن أي إنسان في المغرب تحت الضغط والتهديد والاكراه باطل، لا يلزمه ولا يلزم الأمة المغربية، كما قرر الاسلام : (ان كل أفعال المكره لا تلزمه).

كما نقرر أن كل ما يفعل باسم الامام المفروض الجديد، باطل غير شرعي، لأن ولايته باطلة، وإنما هو آلة مسخرة في يد عصابة الفساد والاستعمار.



يظهر في هذه الصورة من اليسار إلى اليمين : (1) أبو بكر القادري، المرحوم محمد الفاسي، الشيخ العربي التبسي، الأستاذ توفيق المدني، الشيخ خير الدين، الفقيه محمد غازي، الفقيه محمد التطواني.

ونحن نعلم اليوم كما يعلم العالم أجمع، انه لا سلطة، اليوم بالمغرب إلا للادارة الفرنسية الاستعمارية، فهي التي تعمل وحدها باسم المغاربة وباسم فرنسا، وهي الخصم والحكم، وكان فعلها في خلع الامام الشرعي يوم العيد، احتقارا لعواطف المسلمين ومحاربة للاسلام، وإننا لنحيي في أمير المومنين وإمام المسلمين سيدي محمد بن يوسف، العزة الاسلامية، والشهامة العربية، فقد قاوم الضغط والاكراه، واختار ما يختاره كل بطل شهم غيور، فلم يطأطئ الرأس، ولم يذل أمته ولا دينه، فله من الله النصر والتأييد.

عن لجنة الافتاء وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

نائب الرئيس : **محمد خير الدين**

وحرر يوم 13 ذي الحجة 1373هـ

إن هذا التعاطف والتكاثف بين المغرب والجزائر، وخصوصا مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجلى في كل المناسبات وخصوصا لدى أوقات الشدة، فلقد شغلت الأحداث الوطنية التي كانت تقع بالمغرب إخواننا في الجزائر سواء منهم العلماء أو رجال الحركة الوطنية المشخصة آنذاك في حزب الشعب الجزائري برئاسة الزعيم مصالي الحاج والذي أصبح يدعى بحزب انتصار الحريات الديموقراطية كما أن الحركة الوطنية المغربية تجاوبت التجاوب الكلي مع كفاح الشعب الجزائري في فترات نضالاته وكفاحاته للحفاظ على شخصيته العربية الاسلامية والتي كان هم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أولا وأخيرا الدفاع عن هذه الشخصية والاحتفاظ بعروبتها وإسلامها المنزهين عن الاندماج والتحريف والتزييف. فالشخصية الجزائرية في نظر علماء الجزائر يجب أن تحتفظ بكل مقوماتها الحضارية المستمدة من العقيدة الاسلامية والحضارة العربية، فلقد نشرت مجلة «الشهاب» مقالا في شهر أبريل 1936 جاء فيه بالحرف :

(إننا نرى أن الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض، وهي لا تزال حية، ولم تزل، ولهذه الأمة تاريخها اللامع، ووحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والقبيحة كمثل سائر أمم الدنيا، وهذه الأمة ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح هي فرنسا، ومن المستحيل أن تصبح هي فرنسا حتى ولو حبسوها.

والطريق الذي سلكته جمعية العلماء للاحتفاظ بالشخصية الجزائرية العربية المسلمة هو طريق الدعوة والتعليم والصحافة ونشر الأفكار الاسلامية السلفية النابذة لكل تبعية للأجنبي لا في عقيدته ولا في ثقافته ولا في حضارته العلمانية معتقدة أن الحفاظ على الشخصية يقتضي تطهير العقيدة من الخرافات واحياء اللغة العربية والاستمساك بالتعاليم الاسلامية.

ومن أجل الحفاظ على الشخصية الجزائرية دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى عقد مؤتمر إسلامي يثبت هذا الاتجاه العربي الاسلامي ويعمل على توحيد الأفكار بين مختلف التيارات السياسية المتواجدة في الساحة وفي الاجتماع الممهد للمؤتمر الاسلامي المذكور تكلم ابن باديس قائلا : (نظرا لتدهور الحالة العامة في الجزائر، والبلبلة السياسية السائدة، واختلاف الأحزاب والهيآت الوطنية وتشتتها، رأيت أن أدعو إلى مؤتمر إسلامي جزائري عام، يجمع الشمل ويوحد الصف، ويحدد الهدف، لأن المرجع في أمور الأمة، يعود إلى الأمة، والواسطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التي تفحص فيها الأمور، وتحصحص النتائج، والاجماع أصل من أصول تشريعنا الاسلامي، فلماذا لا نعمل به في السياسة ؟ وكتب الأستاذ البشير الابراهيمي مقالا ممتعا يؤيد فيه فكرة انعقاد المؤتمر الاسلامي الجزائري، ولقد جاء في هذا المقال المتحدث بلسان الجزائر :

أي أبنائي، إني أنا الأم الولود المنجبة
للطرف الغر الحسان المعجبـــــــــــة
(فلم غدت محاسني محجبـــــــــــة

ولدت الغر الميامين من آبائكم الأولين، فأوسعوني برا وتكرمة، وكافؤوني وفاء وإحسانا، وفَد عليَّ الاسلام، فكنت له حصنا، ووفدت معه اللغة العربية، فقلت لهما حسنا، ثم اتخذتهما بين سحري ونحري، وأقسمت أن أتلقب بهما طول عمري، ألّا لَستم لي حتى ترعوا عهدي، برعاية عهْدهما، وتحققوا وعدي، بالاستماتة في سبيلهما، أنا الأم، ومن حق الأم أن تسمي ولدها، وقد سميتكم العرب المسلمين، وأشهدت التاريخ فسجل، فلستم مني إن عققتموني بتبديل الاسم، أو تفريق المسمى، إني قريرة العين بيومكم هذا، إذ وسمتموه بوسمي، وسميتموه باسمي، وشرفتموه بالاسلام، وزنتموه بالعربية).

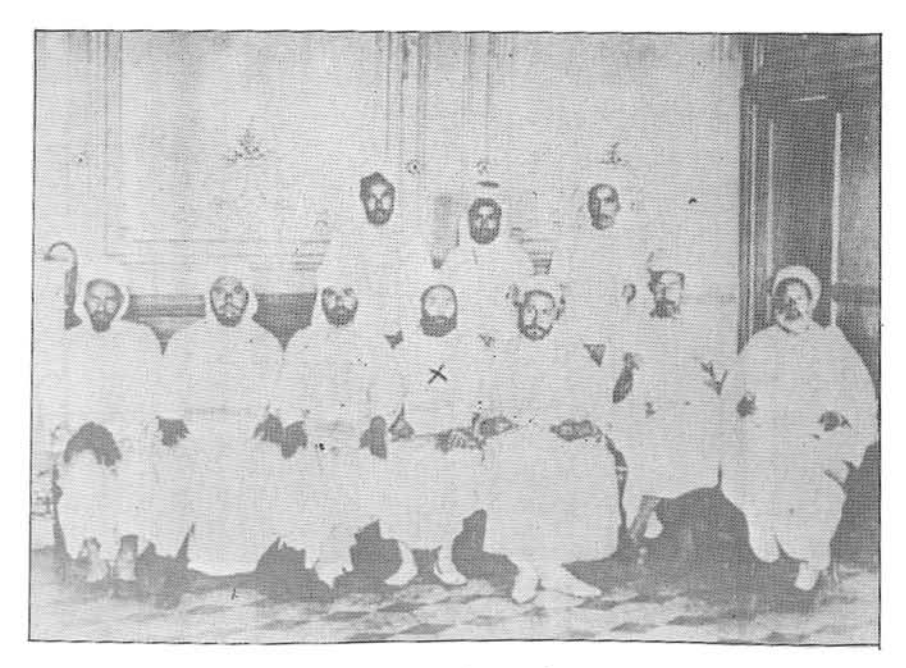
استجابت المنظمات الوطنية لنداء الشيخ عبد الحميد بن باديس فانعقد المؤتمر الاسلامي بعاصمة الجزائر بتاريخ 7 ربيع الأول 1355هـ الموافق ليوم 7 جوان 1936، وشارك فيه كل الطبقات الشعبية بمن فيهم العلماء المصلحون ورجال الطرق وممثلوا الأحزاب السياسية والفلاحون والعمال فتدارسوا الأوضاع العامة في الجزائر، وكان من جملة المتكلمين الزعيم فرحات عباس الصيدلي والدكتور صالح بن جلون الذي ترأس المؤتمر وأعلن أن الجميع يطالب بالحقوق السياسية على أساس المساواة والمحافظة على الذاتية الجزائرية الاسلامية ثم تكلم الشيخ ابن باديس واقترح اقرار مطالب جوهرية، من جملتها اعتبار اللغة العربية لغة رسمية مثل الفرنسية، ومنها تأسيس كليات لعلوم الدين واللغة العربية لتخريج الأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين والمؤذنين ومنها تنظيم القضاء الشرعي ووضع مجلة أحكام شرعية وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم.

إن هذه التحركات تبرهن على أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان همها وشغلها الشاغل الابقاء على الشخصية الجزائرية شخصية عربية إسلامية، وذاك ما نجحت فيه، وذاك ما جعل الشعب الجزائري يكافح أثناء حرب الاستقلال وبعد الاستقلال للسير في المنهاج في حياته، ويعمم نشر التعليم العربي في كل مدارسه ولازال الشبان الجزائريون يرددون النشيد الوطني الذي وضعه ابن باديس فيقولون :

شعب الجزائر مسلم	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا له	رام المحال من الطلب

وقال في قصيدة أخرى :

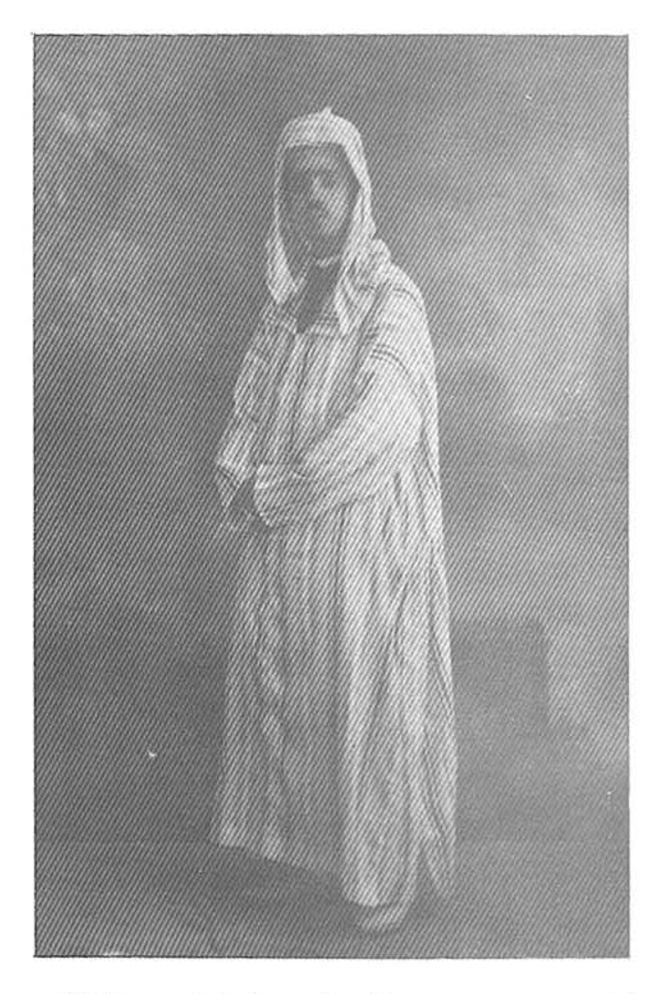
اشعب الجزائر روحي الفدا	لما فيك من عزة عربية
بنيت على الدين أركانها	فكانت سلاما على البشرية
خلدتم بها وبكم خلدت	بهذي الديار على الأبدية
فدوموا على العهد حتى الفنا	وحتى تنالوا الحقوق السنية
تنالونها بسواعدكم	وإيمانكم والنفوس الأبية
فضحوا وها أنا ذا بينكم	بذاتي وروحي عليكم ضحية



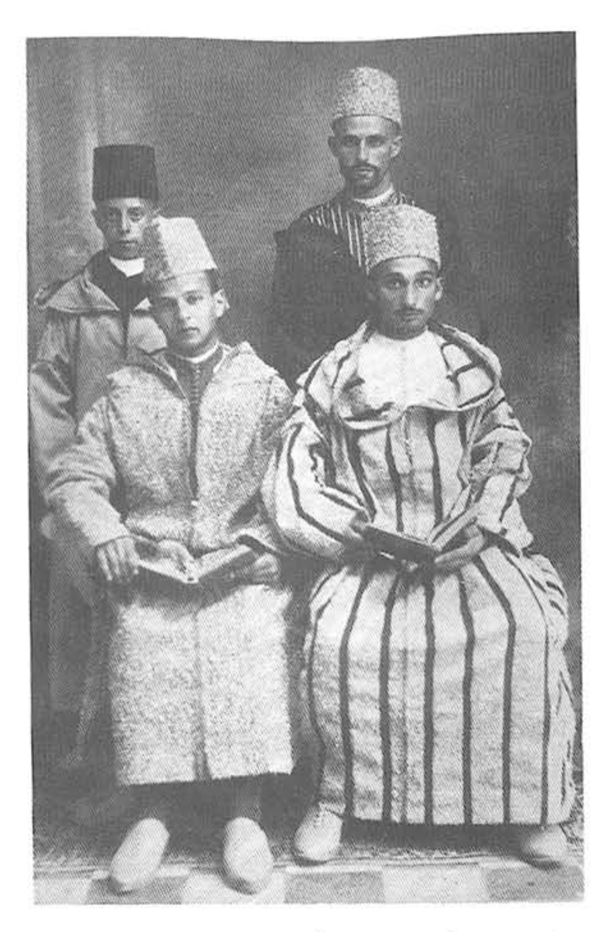
مجلس إدارة جمعية علماء الجزائر وفي الوسط الشيخ عبد الحميد بن باديس

سلاح المقاطعة

اتجهت الحركة الوطنية في بدايتها إلى مقاومة الاستعمار بجميع الوسائل التي يمكن التأثير بها، ولقد كنا نتتبع الأحداث التي تقع في الشرق العربي وفي غيره من بلدان العالم الثالث التي منها «الهند» لقد كان «غاندي» حاملا راية العصيان المدني داعيا إلى مقاطعة الانجليز.



أخذت هذه الصورة بمناسبة القرار الذي اتخذه الوطنيون بمقاطعة الثياب الأجنبية والصورة تمثل أبا بكر القادري باللباس الوطني الخالص.



الجالسان : المكي السدراتي وأحمد بن احساين النجار.
الواقفان : ج أحمد معنينو، محمد معنينو والجميع باللباس الوطني

كما دبت حركة المقاطعة في بعض الأقطار العربية، ولقد تأثرت حركتنا بهذا الاتجاه العملي فبدأت فكرة المقاطعة أثناء مقاومة الظهير البربري، حيث اتخذ الشباب الوطني طرابيش من ثوب صوفي مصنوع بصنع محلي، ثم صارت الفكرة تتطور شيئا فشيئا إلى أن عمت فكرة المقاطعة الثياب الأجنبية والدخان والسكر والأتاي وصرنا نشجع الصناعات الوطنية التي أصبحت كاسدة، وهكذا شجعنا في «سلا» المعامل الصوفية والقطنية القديمة التي كانت تصنع ثوبا يسمى «بالملحم» وهو مخصص للقمصان الجيدة وكان السلاويون يهدون كمية منه لدار المخزن في المناسبات العيدية أما في فاس فقد نشطت حركة المقاطعة للثياب الأجنبية وتأسيس معامل لصنع الثياب على اختلافها، نشاطا لفت الأنظار.

لقد كان مظهرا وطنيا عظيما يظهر به الشباب الوطني، وهو مرتد الثياب الوطنية الصرفة، لا يوجد ضمنها أية قطعة أجنبية، سواء القميص أو الجلباب أو الحذاء أو الجوارب.

مقاطعـــة الدخـــان

وعلى ذكر المقاطعة أشير إلى الحركة التي قامت بفاس من الدعوة إلى مقاطعة شرب الذخان، وإبراز ما في التدخين من أضرار، فخلال حفلة عرس اشتد أحد الشبان الوطنيين هو السيد عبد السلام بن مسعود (اللفت) في الدعاية ضد الدخان والتدخين بصورة علنية مكشوفة، فتأثرت الادارة الفرنسية من هذه الحملة، واستاءت من هذه الدعاية، فأمرت بإلقاء القبض على الشاب (اللفت) وزجت به في السجن، وما أن علم الشباب الوطني بفاس بإلقاء القبض على «اللفت» حتى قصد محكمة الباشا معلنا تضامنه معه، مطالبا بسراحه، وبلغنا الخبر نحن الشباب الوطني السلاوي فعقدنا اجتماعا استثنائيا قررنا فيه القيام بحركة تضامنية مع المعتقل «اللفت» ووجهنا برقيات التضامن واستنكار إلقاء القبض عليه والمطالبة بسراحه، وهكذا تطورت الحركة، فتجاوب الشباب الوطني في مختلف المدن المغربية، وأصبحت فكرة المقاطعة تعمل عملها في توجيه الأفكار، بالاكتفاء الذاتي، وتطوير الصناعة الوطنية التي كانت أوشكت على الانقراض، نتيجة زحف المصنوعات الأجنبية، ومن الحق أن نقول أن فكرة المقاطعة وتطبيقها وتشجيع الصناعات الوطنية لقيت نجاحا كبيرا في المنقطة الشمالية وعاصمتها تطوان، وان الفضل في ذلك يرجع لفقيد الوطنية المغربية السيد الحاج عبد السلام بنونة الذي أبلى البلاء الحسن في تشجيع الصناعة الوطنية وتأسيس المعامل المنتجة للثياب الوطنية، كما أسس مع جماعة من إخوانه معملا للكهرباء، صار يزود تطوان بما تحتاجه من إنارة وينافس المعامل الأجنبية، وكانت الشركة التي عمل على تكوينها تسمى : الشركة التعاونية الكهربائية، ولما شعرت السلطة الاسبانية بخطر هذه الشركة استدعى المقيم للعلم الاسباني



عبد السلام بن مسعود اللفت
الذي تزعم حركة المقاطعة بفاس



صورة المرحوم الحاج عبد السلام بنونة

كلا من الحاج عبد السلام بنونة ورئيس الشركة الاسبانية، ورجا منهما أن يندمجا مع بعضهم حتى لا تقع مضاربة بين الشريكتين ولكن المساهمين في الشركة المغربية رفضوا هذا الاندماج، واعتبروه حيلة للقضاء على شركتهم.

ويجب أن أسجل هنا ماكان يدعو إليه أمير البيان شكيب أرسلان من اتخاذ سلاح المقاطعة، سلاحا باترا ضد الاستعمار الأجنبي، وانه كان يوصي بذلك كل أبنائه وأحبابه من رجال الحركة الوطنية المغربية.

فلقد جاء في رسالة كتبها إلى صديقه الوطني الكبير الحاج عبد السلام بنونة مايلي[1] :

مقاطعة البضائع الفرنساوية يجب أن تعمّ المغرب والمشرق، ولا توجد أمة أشد اهتماماً بالاقتصاد والكسب من هذه الأمّة، فلو عملت حساباً أنه نقص 20 في المائة من صادراتها إلى بلاد الاسلام، لهالها الأمر.

أفيحزم المسلمون ويثبتون ويحققون هذا الأمر بالفعل ؟ إن أمكنهم ذلك، فهو أمضى سيف في يدهم. تلزم هذه الدعاية جداً في كل محلّ، فاليوم الحرب إنما هي بالمال وفي رسالة أخرى كتبها لبنونة أيضاً قال :

(كم سررت بقولكم أنكم أنشأتم بتطوان معملا لتحسين الثياب الوطنية. لم يبق لنا يا أخي في الوقت الحاضر إلا هذا السلاح : العمل في إصلاح أمورنا الاقتصادية، حتى نضارع بها المستعمرين، فهذا يكون له نتيجتان عظيمتان : إحداهما : تخلصنا من الفقر الذي نحن فيه، لأن الأمة الاسلامية من حيث المجموع فقيرة جدا، والنتيجة الثانية هي أن المستعمر عندما يرى بضائعه كاسدة يزهد في الاستعمار، ويقل فيه هذا التكالب على امتصاص جميع خيراتنا، واستئصال جميع قوانا، فلا تيأسوا واشتغلوا وواظبوا، وانها وان كانت النتائج في البداية ضئيلة، فمع الوقت تزداد، وما من شجرة ارتفعت إلى السماء، إلا كان أصلها حبة).

لم تقتصر المقاطعة على الدخان والثياب، ولكنها امتدت إلى السكر الذي كان إنتاجه من فرنسا أو من معامل فرنسية، فصار بعض الوطنيين لا يتناولونه بالمرة، وطلقوا بسببه شرب الشاي، ولقد رأيت بعض الوطنيين افتقدت في منازلهم أواني السكر والشاي ورأيت آخرين يتناولون القهوة ممزوجة بالعسل بدل السكر[2].



الوطني الغيور الحاج محمد الطالبي

---

(1) من رسالة كتبها الأمير إلى بنونة بتاريخ 14 أكتوبر 1930 وهي منشورة في كتاب : (نضالنا القومي) للطيب بنونة ص 125.

(2) من جملة الذين كانوا ملتزمين بمقاطعة السكر المرحوم حَ محمد الطالبي.

لقد كانت حركة مباركة تحمس لها الشباب الوطني المغربي ولو أتيح لها أن تستمر وتقوم على أساس صحيح، ولو تبناها بعض المتمولين الذين كان في إمكانهم أن يؤسسوا معامل ويكونوا شركات مثل ما فعل الحاج عبد السلام بنونة في تطوان لتطورت الحركة، وسارت في تحرير اقتصادي سليم وصحيح، ولكن أرباب رؤوس الأموال لم يفعلوا ولذلك لم تدم المقاطعة إلا سنوات قليلات، ثم صارت تضعف حتى تلاشت بالمرة.

جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا

نهج رولان عدد ١٦ بـاريس (٥)

النشرة السنوية

لعـــام ١٩٣٣

جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريز

في نطاق العمل الوطني الموحد، تأسست سنة 1928 بباريز جمعية ضمت طلبة المغرب العربي : تونس، الجزائر، المغرب، وكان يترأسها كل سنة واحد من أحد الأقطار الثلاثة. وهي جمعية ثقافية تهتم أولا وقبل كل شيء بقضية التعليم والثقافة وتعقد مؤتمرات سنوية للنظر في موضوعات تعليمية وثقافية تهم الأقطار الثلاثة المذكورة، وتطرق مؤتمرها الأول الذي انعقد بتونس سنة 1931 إلى مايلي :

1) حالة التعليم العربي بشمال افريقيا 2) التعليم العالي 3) التعليم الصناعي 4) تعليم المرأة. أما مؤتمرها الثاني الذي انعقد بالجزائر سنة 1932 فقد عالج المواضيع الآتية : 1) تعليم العربية بشمال افريقيا 2) تعليم التاريخ بشمال افريقيا 3) التربية بشمال افريقيا 4) الأبواب المفتوحة في وجوه الطلبة بعد إنهاء دراستهم، وقامت الجمعية بنشاطات أخرى ثقافية فأحيت الذكرى الالفية للرازي، ونظمت عدة محاضرات في مواضيع مختلفة منها : دولة الموحدين وأثرها في الفلسفة الاسلامية وعائلة الأطباء الصقليين ــ موقعة وادي المخازن الحاسمة ــ المجتمع التونسي على عهد الحفصيين ــ الجزائر المسلمة في نظر شبيبتنا ــ اسبانيا على عهد العرب وبعدهم ــ القرصان والنصارى ــ مولاي الحسن أبو النهضة المغربية ــ المرأة عند العرب وفي الاسلام ــ القرآن والعلم ــ ابن بطوطة ورحلته، ومما يمكن أن يلاحظ أن عدد الطلبة الموجودين إذذاك بفرنسا كان كمايلي : 119 من تونس و21 من الجزائر و11 لا غير من المغرب.



الفقيه السيد محمد بن عبد الله

ولقد شارك في المؤتمر الأول (1931) الذي يعتبر أول مؤتمر للجمعية باسم المغرب المرحوم الفقيه السيد محمد بن عبد الله الذي كان إذذاك طالبا بالقسم النهائي بالقرويين كما أن المرحوم علال الفاسي وجه للمؤتمر تقريرا ضافياً عن الدراسة في القرويين والمعاهد الدينية بالمغرب، وأرسل كذلك المرحوم محمد بن الحسن الوزاني تقريرا حول موضوع التمييز العنصري الذي سارت فيه السياسة الفرنسية في المغرب سواء في تعامل الحماية الفرنسية مع الطلبة المغاربة أو الطلبة الفرنسيين، وفي غشت من السنة التالية 1932 انعقد المؤتمر الثاني بعاصمة الجزائر وشارك فيه كل من الاخوة : عبد الخالق الطريس وعبد الهادي الشرايبي ومحمد الكامل الكتاني وألقى فيه الأستاذ الشرايبي محاضرة حول موضوع : وحدة الشمال الافريقي وحدة لا تنفصم لأنها

مرتكزة على اللغة والدين والعوائد والأخلاق والتاريخ كما أن المرحوم الحاج محمد بنونة أرسل إلى المؤتمر تقريرا عن دراسة التاريخ بالمغرب، ولقد تقرر أن ينعقد المؤتمر الثالث بالمغرب بفاس، وهكذا تأسست لجنة تحضيرية للمؤتمر تحت رئاسة الزعيم علال الفاسي، وكانت تضم السادة الآتية أسماؤهم : الهاشمي الفيلالي الذي أسندت له مهمة الكتابة، وعمر بن عبد الجليل ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي وعبد الهادي الشرايبي ومحمد بن عبد الله وإبراهيم الكتاني وعبد القادر بن جلون ومحمد الفاسي ومحمد قاسم الدكالي وعبد القادر التازي وعبد العزيز بن ادريس والحاج الحسن بوعياد والمهدي المنيعي وعبد القادر برادة والحسن بن جلون ومحمد الزغاري واحمد مكوار.

وحين وصول الوقت المقرر لانعقاد المؤتمر بفاس صارت ترد بعض الشخصيات التي ستشارك في جلساته ومن جملتها المرحوم الصادق المقدم من تونس ولكن إدارة الحماية قررت منع انعقاده بفاس وتوصلت اللجنة التحضيرية بقرار المنع فقررت اللجنة المذكورة انعقاده بباريس وهكذا تأخر انعقاده في الوقت المقرر أولا وتأخر إلى شهر دجنبر 1933 حيث انعقد بتاريخ 26 من الشهر المذكور برئاسة أخينا الأستاذ محمد الفاسي الذي انتخب رئيسا للجمعية.

وبمناسبة منع انعقاد المؤتمر بفاس اجتمعنا نحن أعضاء الهيأة الوطنية بسلا وقررنا الاحتجاج على هذا المنع ورفعنا برقية إلى الجمعية، نعلن فيها تضامننا معها واحتجاجنا ضد المنع الذي وقع، وها هو نص البرقية مع التوقيعات وهي بخط المرحوم محمد حصار.

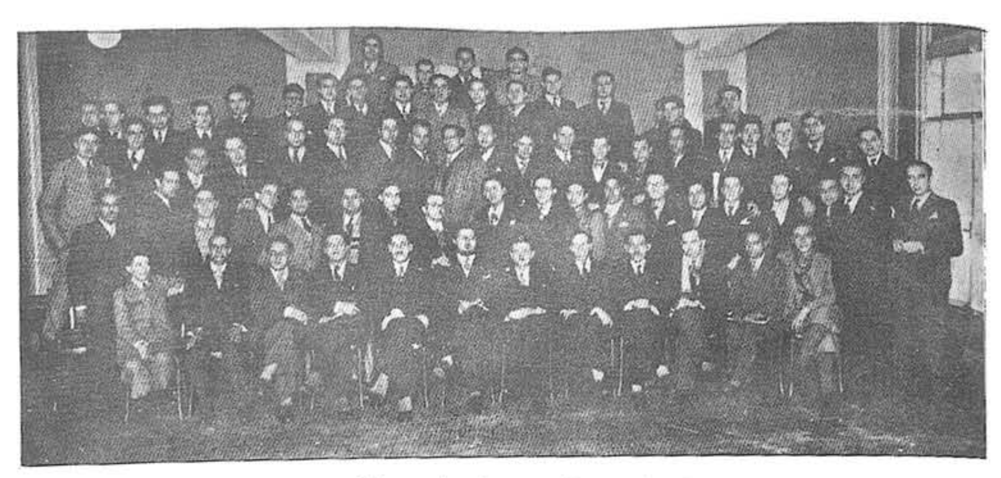
جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين

16 زنقة رولان باريس

شبان «سلا المسلمون يتأسفون لمنع انعقاد المؤتمر الثالث لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بأرض المغرب ينتهزون فرصة انعقاده بباريس ليكرروا احتجاجاتهم، ويعبرون لكم عن تضامنهم مع جمعيتكم، ويتمنون لمؤتمركم كبير النجاح عن شبان سلا المسلمين (أبو بكر القادري، محمد شماعو، احمد معنينو محمد حصار) ولقد تلقينا من الأستاذ الفاسي رسالة جوابية هذا نصها :

باريس في : 9 شوال 1352

الأخ العزيز الشاب العامل السيد محمد حصار وكافة الشبان السلويين الناهضين، بعد التحية والسلام، أرجوكم المعذرة عن تأخير الكتابة إلى اليوم لما كان عندنا من كثرة الأشغال الناتجة عن المؤتمر الثالث، والراجعة لتشكيل المجلس الجديد لجمعيتنا.



صورة تمثل بعض الحاضرين في المؤتمر الثالث
لطلبة شمال افريقيا المسلمين المنعقد بباريز

إخواني، قد كان لبرقيتكم أحسن وقع على المؤتمرين لما تضمنته من عبارات الاحتجاج على منع المؤتمر بالمغرب، والتضامن معنا في جهادنا لنشر العلم، بقطرنا الافريقي العزيز، ولأنها كانت ثاني برقية وردت على المؤتمر من افريقيا الشمالية، واني بلسان كافة المؤتمرين أشكركم على اهتمامكم وتعضيدكم لهذا المشروع القيم، وأنتهز هذه الفرصة، لأتقدم إليكم بالرجاء في العمل على بيع الصور المبعوثة لكم، وثمنها فرنك واحد للواحدة. وفي الختام تقبلوا فائق تحياتي والسلام.

الرئيس : **محمد الفاسي**

جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين

16 [illegible] باريس 5

شبان سلا المسلمين يحتجون لمنع انعقاد المؤتمر الثالث لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بالمغرب ويستبشرون بصحة انعقاده بباريس ويكررون احتجاجاتهم ويعبرون لكم عن تضامنهم مع جمعيتكم ويتمنون لمؤتمركم كبير النجاح

عن شبان سلا المسلمين

ابوبكر القادري - محمد الشماعو - احمد معنينو

محمد حصار

لقد ذهب إلى باريس الأستاذ السيد عبد اللطيف الصبيحي في ذلك الظرف فشارك في جلسات المؤتمر كما حضره من الدار البيضاء السيد عبد الكريم الديوري ومن مراكش المرحوم السيد محمد الملاخ، أما الأستاذ المرحوم علال الفاسي الذي وجده الحال بباريز إذذاك، حيث قصد باريز بعد ما قضى فترة في المنطقة الشمالية (تطوان) وبعدما بلغه إخوانه عندما كان بطنجة أن السلطة الاستعمارية قررت إلقاء القبض عليه ونفيه بمجرد رجوعه، وأن إخوانه يقترحون عليه أن يذهب إلى باريس ريثما يتغير الموقف، أقول إن علالا ساهم مساهمة قوية في نجاح المؤتمر الثالث لطلبة شمال افريقيا وكان لمساهمته الأثر الكبير في نفوس جميع المؤتمرين ولقد تلقيت من الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي رسالة من باريز مؤرخة بـ 22 رمضان 1352 جاء فيها بعد التحية : تم المؤتمر فوق ماكان منتظرا أن يأتي به من فوز كبير، وقد لعب فيه الأخ سيدي علال دورا هاما. سواء في أثناء جلساته الداخلية، أو في جلستي الافتتاح أو الاختتام، وحقيقة، كل الآمال معلقة على تصويت الشعب على مقررات المؤتمر ومناصرتها بحول الله. وجاء في طرة الرسالة المذكورة هذه الفقرات التي كتبها الزعيم علال الفاسي بخط يده : عزيزي القادري : أنتهز فرصة كتابة الأخ عبد اللطيف هذه الرسالة إليكم، فأرفع إليكم، وأرجوكم أنتم بدوركم أن ترفعوا عني لجميع أصدقائي السلويين، تحياتي القلبية، وعواطفي النامية وإخلاصي المستمر على الدوام.

أخوكم : **محمد علال الفاسي**

ومما يلاحظ أن أغلبية التقارير التي ألقيت في المؤتمر كانت تتعلق بقضايا التعليم على مختلف المستويات فلقد ألقى المرحوم الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي بالنيابة عن المرحوم الحاج عمر بنعبد الجليل تقريرا يتعلق بالمعلمين والمعلمات بالمغرب كما أن الأستاذ محمد الفاسي ألقى تقريرين : أولهما يتعلق بطلبة التعليم العالي بالمغرب وبالخارج وثانيهما : يتعلق بالكتاتيب القرآنية في المغرب، أما الأستاذ علال الفاسي فقد ألقى بدوره تقريرين اثنين، أولهما عن حالة جامعة القرويين، وثانيهما حول التعليم الابتدائي العتيق بالمغرب كما ألقى علال الفاسي بالنيابة عن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني تقريرا عن التعليم الحديث للبنات، وفي الجلسة الختامية للمؤتمر ألقى كل من الأستاذ فرحات عباس والأستاذ عبد اللطيف الصبيحي والأستاذ صالح بن يوسف والأستاذ علال الفاسي والزعيم مصالي الحاج كلمات تحيات وتأييد لمقررات المؤتمر، كما أن المؤتمر تلقى عدة برقيات تأييدية من مختلف الجهات والأقطار سواء منها بلدان المغرب العربي أو غيرها، فزيادة على البرقية التي أشرت إليها سابقا والتي وجهناها من «سلا» وصلت إلى المؤتمر برقيات من النادي الأدبي الاسلامي بسلا ومن قدماء تلاميذ شمال افريقيا المسلمين بالجزائر ومن جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ومن قدماء تلامذة مدرسة مولاي يوسف بالرباط ومن طلبة جامعة القرويين ومن تطوان ومراكش ومن الجمعية السورية العربية بباريس ومن الأستاذ مالك بن نبي وغيرهم.

Sbihi, Abdellatif
18, rue de la Sorbonne
à Paris.

صورة رسالة الأستاذ عبد اللطيف الصبيحي بخط يده
مع تحية من الأستاذ علال الفاسي بخط يده أيضاً

لقد كان الشغل الشاغل لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين هو قضية التعليم ونشره وتعميمه وتطويره، باعتبار أن النهضة التي لا ترتكز على الثقافة والتعليم يكون مآلها الخيبة والخسران، ويلاحظ أن الذين تقدموا بتقاريرهم في المؤتمر كلهم تقريبا لعبوا أدوارهم في الدفاع عن كيان بلادهم وثقافتها وحضارتها، وساهموا المساهمة العملية في قيادة الحركة الوطنية السياسية أثناء فترات الكفاح الوطني، كما يلاحظ أن ربط العلاقات مع شباب الشرق العربي سواء في سوريا أو غيرها كان وثيقا أثناء تلك المرحلة.

لقد نجح المؤتمر الثالث نجاحا طيبا للغاية، وتقرر أن ينعقد المؤتمر الرابع بتونس ولكنه لم يكن في المستوى الذي كان فيه المؤتمر الثالث فلم يشارك فيه أي فرد من المغرب ولعل ذلك راجع إلى أسباب وموانع سياسية ومالية، وأما المؤتمر الخامس فقد انعقد بتلمسان بتاريخ سادس شتنبر 1935 وشارك فيه باسم الحركة الوطنية المغربية الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني وترأسه الأستاذ الحبيب ثامر من تونس الذي ألقى خطابا قال فيه : (إن فكرة إنشاء مؤتمر سنوي لطلبة الشمال الافريقي قد ظهرت منذ عهد غير بعيد حينما أفاقت طلبتنا من غشيتها وسباتها، فشاهدت ما يهدد وطنها من الخطر الجسيم، رأت جهلا مظلما فاشيا سمه القاتل في سائر طبقات الشعب، رأت فقرا مدقعا مخيما على أكمل البلاد، رأت عوائد وأخلاقا إسلامية ذاهبة إلى الاضمحلال والتلاشي، رأت دينا حقيقيا تهتك حرمته ولا يراعي جانبه، رأت لغة آبائها وأجدادها دخلت في طيات النسيان، شاهدت طلبة الشمال الافريقي كل ذلك، فبادرت إلى جمع كلمتها، وتوحيد جهودها، وتنظيم صفوفها للدفاع والمقاومة وسيكون النصر حليفها، فتبلغ آمالها، طال الزمان أو قصر، وهاته الوحدة التي تسعى وراءها شبيبتنا : وحدة الشمال الافريقي، قد أيدها التاريخ، وشهدت بها العصور الغابرة فغفلنا عنها حينا من الزمن، فلنرجعها اليوم أقوى وأمتن من ذي قبل، وما نحن إلا أبناء بلد واحد، ووطن واحد، طباعنا واحدة، وعوائدنا واحدة، وأمزجتنا مستندة من تراب واحد، وطقس واحد، جمعتنا راية العروبة، وعلم الدين الاسلامي، وتجمعنا اليوم آمال واحدة، وإيمان راسخ في مستقبل زاهر لبلادنا، وسنجتمع غدا في وطن واحد، وطننا الشمال الافريقي.

ومن المضحك والمفزع في آن واحد أن رئيس بلدية تلمسان الفرنسي مسيو «فلور» لما ترجم له الخطاب الذي ألقاه الحبيب ثامر، تار وغضب وقام فألقى خطابا كله تهجم على الوحدة التي تعرض إليها الحبيب ثامر قائلا : إن فرنسا هي التي وحدت الشمال الافريقي لا غيرها، ولقد رد عليه في الحين الأستاذ علي البهلوان، مفندا ما جاء في ذلك الخطاب من ادعاءات ومنتقدا السلوك السياسي الذي تسلكه السلطات الفرنسية في الجزائر، وسياسة الميز التي تعامل بها الجزائريون وبالخصوص في ميدان التعليم.

ولقد ألقى الأستاذ محمد البشير الابراهيمي كلمة تحية للمؤتمر وتعرض لتاريخ تلمسان ووحدة الشمال الافريقي في الماضي والحاضر والمستقبل حاضا على التمسك بالعروة الوثقى

باريس في [illegible] ١٩٣[illegible]

جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا

نهج رولان عدد ١٦ باريس (٥)

16, RUE ROLLIN = PARIS 5

أيها الأخ المحترم

تحية [illegible]

[illegible] جمعيتنا [illegible] اللجنة التحضيرية [illegible] المؤتمر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

1) [illegible] وطلبة الشمال الافريقي
2) التعليم العربي بشمال افريقيا
3) اصلاح التعليم بالمدارس الثانوية بالمغرب الاقصى والمدارس [illegible]
4) [illegible] التعليم البربري [illegible]
5) اصلاح التعليم بالكلية الزيتونية

هذا وان المجلس الاداري لجمعيتنا [illegible] صالح الشمال الافريقي

والسلام [illegible] كاتب الجمعية

ولغة الآباء والأجداد ثم تكلم الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني باسم طلبة القرويين حاملا تحيتهم ومبينا عواطفهم نحو بقية إخوانهم طلبة الزيتونة وطلبة الكليات الأوروبية واقترح في آخر كلمته القيام لقراءة الفاتحة على روح فقيد الأمة الاسلامية الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان وافاه الأجل المحتوم في ذلك الابان.

لقد ذكر الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني أن رئيس بلدية تلمسان الفرنسي كان قد طلب أن يترأس بنفسه جلسات المؤتمر ولكنه أجيب بأن قانون المؤتمر لا يسمح بذلك حيث أن الجلسات لابد أن تدار باللغة العربية عكس ماكان يريده رئيس البلدية المذكور.

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا أن جماعتنا الوطنية وجهت مساعدة مالية إلى المؤتمر كما أن النادي الأدبي الاسلامي بسلا بدوره ساعد مساعدة مالية، ولقد تحدثت عما راج في المؤتمر بعض الصحف الفرنسية الصادرة بالمغرب، مثل (لابريس) و(لوسوار) لقد كنا نتابع نشاط جمعية طلبة شمال افريقيا ونساندها بكل ما نستطيع الأمر الذي جعلها في شخصية رئيسها إذذاك الأستاذ محمد الفاسي تعهد إلى كاتب هذه السطور بتمثيلها والنيابة عنها في المغرب وها نص التوكيل الذي وصلني حينه من الأستاذ الفاسي اثبته للتاريخ : (أنا الممضي أسفله، محمد الفاسي الساكن بباريز، زنقة «فريان» رقم 8 الدائرة 14، رئيس جمعية طلبة شمال افريقيا بباريس أعيّن باسم الجمعية وباتفاق معها يوم 15 فبراير 1934 السيد أبو بكر القادري الساكن بسلا لتمثيل جمعيتنا أمام السلطات وأمام المواطنين. (باريس 14 مارس 1934). الرئيس : محمد الفاسي. وهذا التوكيل صودق عليه يوم 17 مارس من طرف كوميسارية باريس.

ومن جهة أخرى فلقد كانت الجمعية عازمة على عقد مؤتمرها بالمغرب ولكن الاقامة الفرنسية العامة اشترطت بعض الشروط لعقد المؤتمر لم يقبلها المؤتمرون ولذلك اكتفينا بعقد اجتماعات مصغرة مع المنظمين للمؤتمر وفي طليعتهم الأستاذ المرحوم منجي سليم التونسي، ومن جملة تلك الاجتماعات، اجتماع عقدناه بمنزل جد المرحوم سعيد حجي، ألقيت فيه كلمة ترحيبية وفي هذا الاجتماع كان منجي سليم يدربنا على التغني بنشيد :

حيـوا افريقيـا ياعبـاد شمالها يبغي الاتحـاد اشبالها تأبى الاضطهاد
أيـن رومـا وقواهـا واستعمارهـا الشديـد أين اسبانيا ودهاهـا
وصليبهـا الحقـود قد حطمنا أغلالهـا واستقلت منها البلاد

إلى آخر النشيد.

وعندما قررت الجمعية عقد مؤتمرها السابع بالرباط تلقيت رسالة كاتبها العام مؤرخة بسابع جوان 1937 جاء فيها : أيها الأخ المحترم — تحية وسلاماً — أما بعد، فإن المجلس الاداري لجمعيتنا قد عينكم عضوا في اللجنة التحضيرية للمؤتمر السابع الذي سينعقد بالرباط، ابتداء

من اليوم السادس من شهر سبتمبر، وسيرأس هذه اللجنة السيد أحمد الشرقاوي وسيتصل بكم عن قريب لتجتمعوا معه مع بقية أعضاء اللجنة، وتشرعوا في العمل لتحضير ذلك المؤتمر الذي نعلق عليه آمالا جساماً والذي سيكون له بلاشك نجاح باهر بفضل المجهودات التي ستبذلونها في سبيله. وإليكم المسائل التي ستطرح على بساط البحث في هذا المؤتمر : (1) الاعانات الحكومية وطلبة الشمال الافريقي (2) التعليم الفني بشمال افريقيا (3) إصلاح التعليم بالمدارس الثانوية بالمغرب الأقصى والمدارس الجزائرية الثلاث (4) مشروع التعليم البدوي الابتدائي بتونس (5) إصلاح التعليم بالكلية الزيتونية.

هذا وإن المجلس الاداري لجمعيتنا واثق بكم وبحزمكم وإخلاصكم في خدمة صالح الشمال الافريقي.

والسلام من أخيكم : كاتب الجمعية



أخذت هذه الصورة أمام نادي جمعية طلبة شمال افريقيا بباريس وتمثل طلبة شمال افريقيا يحتفلون بالدكتور أحمد بن ميلاد بمناسبة نيله الدكتورة. ويظهر وسط الصورة المحتفى به والأستاذ محمد الفاسي رئيس الجمعية إذذاك.

ASSOCIATION DES ÉTUDIANTS
MUSULMANS NORD-AFRICAINS
EN FRANCE
16, RUE ROLLIN, PARIS V°

PARIS, LE

282
283

Je soussigné Mohammed El Fasi, demeurant à Paris, 8 Rue Friant I4e, Président de l'Association des Etudiants Musulmans Nord-Africains en France, délègue au nom du Comité Directeur de notre Association et après décision de celui-ci en date du quinze Février I934, Monsieur Abou Baker El Kaderi demeurant à Salé à représenter notre Association auprès des Autorités et de la population.

Fait à Paris le I4Mars193[illegible]

Le Président

El Fasi

Vu pour certification matérielle
de la signature de M. Fassi
Paris, le 17-3-1934
Le Commissaire de Police.

الأحرار الفرنسيون يزورون المغرب ويتعرفون إلى حقائق الأحوال

بقيت الحالة السياسية الحقيقية بالمغرب غامضة في أعين العالم الخارجي إلى أن صدر الظهير البربري 1930، حيث بدأت تتضح نوايا الاستعماريين، وعندما أشرف الأخ الحاج أحمد بلافريج على إصدار مجلة «مغرب» بتكليف واتفاق مع إخوانه ومساعدة ومؤازرة من بعض أحرار الاشتراكيين الفرنسيين والاسبانيين، صارت تتضح بعض الجوانب، وتفضح المخازي التي يقوم بها الاستعمار ببلادنا ولقد كان للجنة الرعاية لمجلة «مغرب» وفي طليعتها (السيد روبير جان لونكي) الذي كانت تصدر مجلة «مغرب» باسمه حيث أن القانون الفرنسي لا يسمح لمغربي بإصدار مجلة بفرنسا أقول لقد كان لهؤلاء دور هام في الدفاع عن القضية المغربية والتشهير بالمظالم التي يقوم بها رجال الحماية بالمغرب، خصوصا السيد «لونكي» هذا ووالده (جان) الذي كان عضوا بالبرلمان الفرنسي، والذي كانت تربطه بالأمير شكيب أرسلان روابط صداقة بالاضافة إلى أنه كان يعتبر وريث جده (كارل ماركس) في الدفاع عن الأفكار الحرة. لقد كان «روبير جان لونكي» يشتغل محاميا بباريز، ولما وقعت حادثة اعتداء بالقتل، بالمغرب ورفعت إلى المحكمة الفرنسية بالرباط، كلف بالدفاع عن المتهم بالقتل فأتى إلى الرباط من أجل هذه الغاية، واغتنمها فرصة لسبر أغوار الحقائق بالمغرب، وكان بمعيته خلال هذه الزيارة صديقه الحميم الأخ بلافريج، وإني أترك الحديث عن هذه الزيارة التي قام بها لونكي للمغرب للأخ الهاشمي الفيلالي الذي كتب عنها في حينها إلى الأخ السعيد حجي الذي كان موجودا إذذاك بدمشق والرسالة مؤرخة بـ 24 ذو القعدة 1351هـ (1932م).

أخي العزيز السعيد

وصلني كتابك الكريم وتأخرت في الجواب لأن يوم وصوله إلينا وصل الأخ أحمد بلافريج والمسيو لونكي مدير مجله «المغرب» والمحامي، بقصد أخذ التفاصيل عن قضية السيد المتهم بقتل يهودي والمحكوم عليه من قبل المحكمة الفرنساوية بعامين سجنا و50.000 فرنك دية، لأن القضية وقعت في التراب البربري وبناء على الظهير تدخل للمحكمة الفرنساوية، وان كان الجاني والمجني عليه مغربيين، وقد كنا نود أن نقيم لهما احتفالا فخما لاستقبالهما، ولكن وزارة الخارجية لم تأذن للمسيو «لونكي» بالدخول إلا على شرط أن لا يحدث شيء من هذا. ولكن وإن لم يقع له استقبال رسمي، فمنذ دخوله لفاس، والاحتفالات به متوالية. وفي

الجمعة قبل هذا أقمنا له نزهة حضرها عدد من الشبان، كان لها وقع كبير في نفسه، ربما سأوجه لك صورها، ومما زاد في إقبال الناس عليه، تواضعه، الكبير وأخلاقه اللطيفة، وعطفه العظيم على كل فرد فرد، حتى انه ليحاول إبداء عواطفه بالاشارة، لأنه لا يتكلم إلا بالفرنسية، واستحسانه كل عوائد المغرب، وتفضيلها على عوائدهم، وقيامه بها، فهو ياكل معنا على طاولة واحدة بيده بدون ملعقة ولا آلة، وينزع السباط (الحذاء) من رجله، ويجلس كما نجلس، وبإيجاز يقدر عواطفنا وكل شيء آخر من شبابنا نحن المثقفين وسنقدم له هدية ثمينة للغاية من الآثار المغربية الفنية، وقد أبدت الحكومة احتياطات كبيرة، ومراقبة عظيمة، لمن يقابله أو يجتمع به أو يتذاكر معه ولكن لم يؤثر شيء من ذلك، نعم كان له أثر في نفسه، فأبدى سخطا كبيرا، واستياء من الأعمال العسكرية مثل هذه، فإنه كان يمر ليلاً من محل إلى محل، فيجد الأبواب موصدة والحراس يراقبون كل غاد ورائح بدقة، ومنهم المسلح علنا. (انتهت رسالة الفلالي).

بعد إقامة «لونكي» بفاس جاء إلى الرباط ونزل ضيفا على بلافريج وتهافت على بيت بلافريج جمهور غفير من الرباطيين والسلاويين، ولقد زرته ببيت بلافريج وتحادثت معه مليا وكان المترجم بيننا هو الأخ اليزيدي ولقد استضافه الكثيرون كان من جملتهم أبناء الشيخ بوشعيب الدّكالي كما أننا استدعيناه (لسلا) وأقمنا له حفل غداء بمنزل سيدي احمد حجي وحضر معه ابن الحسن الوزاني وبلافريج واليزيدي والفقيه غازي كما استدعينا للغذاء عبد اللطيف الصبيحي، وبعد الغداء قدمنا له هدية رمزية وهي عبارة عن إزار طويل مطروز بيد مغربية كما أن الاخوان بالرباط قدموا له هدايا.

لقد تعددت زيارة «لونكي» للمغرب وفي الغالب يكون المرافق له هو بلافريج، ويستضيفه الاخوان الحاج احمد مكوار ومحمد بن الحسن الوزاني وغيرهما، وتحت يدي بطاقة من المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل يحدد لنا موعدا «بلونكي» عندما يزورنا في الرباط[1].

---

(1) وتقول الرسالة : أخانا العزيز ــ تحية طيبة، وبعد فنخبرك بأننا بغاية الأسف لا يمكن لنا أن نأتي يومه للموعد المتفق عليه بعد الزوال حيث تجتمع اللجنة التحضيرية لحفلة الأربعين ولا لموعد العشاء لأسباب قاهرة، وإذا تقرر اجتماع آخر للجنة، بعد هذا الاجتماع التمهيدي، فنحن مستعدون للحضور، كما نحن مستعدون لتنفيذ ما نكلف به، ومن جهة أخرى فقد طلبنا من فاس الأخ مكوار يوم الثلاثاء بمجرد ما فارقتنا وأخبرنا بوصول روبير لونكي مع الطيار من باريز فتوجهنا حالا لفاس لتحيته، فوجدناه مع زوجته ومع صحافية يسارية مشهورة بالدفاع عن المستعمرات وعن الحبشة «Mme Les Varraires» جاؤوا بصفة شبيهة بالرسمية للبحث عن الحالة بالمغرب، وقد رجعنا البارحة مساء للرباط بعد أن قضينا شطرا من اليوم معهم، وبعد أن وعدوا بالمجيئ للرباط، وفي أول فرصة نجتمع فيها ننظم لهم معك بعض الاقتبالات بالرباط وسلا، أما بفاس فهم في ضيافة الاخوان أكلا ومسكنا الخ...

وأهمية هذه الزيارة في ذلك الظرف أن باب المغرب كان مقفلا، في وجه الأحرار، وإذا ما زاره أجنبي فإنه يحاط بالرقابة حتى لا يمكنه أن يطلع على أية حقيقة من الحقائق التي تجري في البلاد وتسجيل هذا الحدث أيضا يعطي الدليل على العناية التي كنا نعطيها لمن يزورنا من الأحرار، ليتعرفوا على حقيقة الحالة بالمغرب كما يعطي الدليل على أن إخواننا الطلبة الذين كانوا يدرسون بفرنسا وعلى رأسهم الأستاذ بلافريج والأستاذ الوزاني والحاج عمر بن عبد الجليل والأستاذ الفاسي هم الذين شقوا الطريق وفتحوا أعين كثير من الأحرار في فرنسا ليدافعوا عن القضية المغربية، وليكونوا بجانب الحركة الوطنية المغربية ورجالها الأبرار، خلافا لما يدعيه البعض من أن ذلك تأخر لأواخر الأربعينات. فبالاضافة إلى إصدار مجلة «مغرب» الفرنسية ومشاركة أحرار الفرنسيين في تحريرها كان إخواننا يقيمون بعض الندوات يستدعون لها بعض هؤلاء الأحرار، خصوصا لدى مناسبة ذكرى صدور ظهير 16 ماي 1930 وبالمناسبة أود أن أثبت هنا ماراج في اجتماع عقد بفرنسا باسم «مغرب» دعا إليه إخواننا جمهورا من النواب والشيوخ الفرنسيين للاحتجاج، ضد السياسة البربرية وإيضاح الموقف الوطني المغربي منها، ولقد كان من جملة الذين وقع استدعاؤهم ولبوا الدعوة. النائب البرلماني عضو لجنة الجيش ومقرر ميزاينة الطيران بالبرلمان الفرنسي المسيو (موني) الذي اغتنم فرصة وجوده فألقى كلمة ضافية هاجم فيها السياسة الاستعمارية ودعا الشباب المغربي للانخراط في الحزب الاشتراكي الفرنسي حتى يتمكن من خلاله أن يشهر بالسياسة الاستعمارية ولقد تصدى لمناقشة المسيو (موني) في عرضه الانخراط في الحزب الاشتراكي الفرنسي، أخونا الحاج أحمد بلافريج في مقال كتبه بالفرنسية في مجلة «مغرب» وترجمه المرحوم محمد حصار قال : بلافريج :

اشتراكيون أم رجعيون !

أشار صديقنا «موني» في خطبته التي ألقاها في «مغرب» إلى حملة الاستعماريين على الحركة الوطنية المغربية، واتهامهم إياها، بأنها حركة رجعية، وان القائمين بها رجعيون ذووا أطماع شخصية فدعانا م «موني» إلى الانخراط في الحزب الاشتراكي، لاجتناب هذا النقد، وللدفاع عن حقوقنا دفاعا أقوى وأنفع.

إننا نعرف أن الاستعمار ليس وليد الاشتراكية، وانه نتيجة رأسمالية جامحة تبحث عن الثروة لتستغلها وعن أسواق لصرف ورواج منتوجاتها ان الرأسمالية والاستعمار مرتبطان ارتباطا متينا، ومن واجب الاشتراكية محاربتهما معا، ولكن هل من المستحسن أن ننخرط نحن في الحزب الاشتراكي ؟ وهل من المستحسن أن يكون لشعب مستعبد، فكرة سياسيّة كيفما كانت، غير فكرة تحريره، حتى يصبح رجاله ذووا كرامة متساوية مع كرامة كل إنسان. أليس

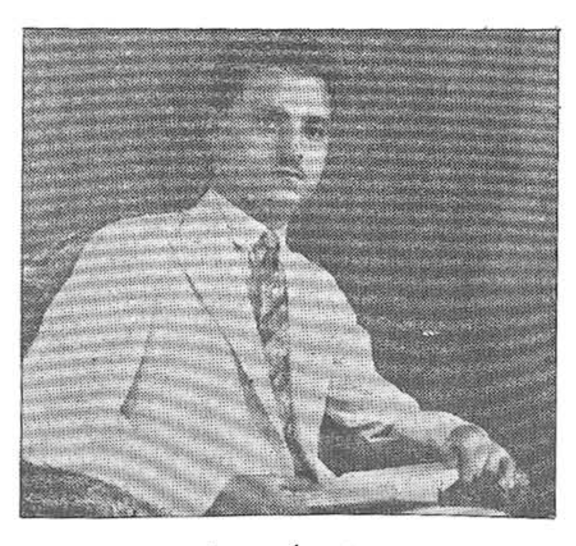
الانخراط في الحزب الاشتراكي بفرنسا نوع من الاندماج الذي نقاوم أي نوع من أنواعه، إن الوسائل لا تعنينا كثيرا، وشعور الفرد لا يرتقي إلى الشعور بالدولية والانسانية، إلا متى شعر بكرامته أولا كفرد حي، فنحن إذا انخرطنا في هذه الحركات الاشتراكية الدولية، لن ننخرط إلا بصفتنا مغاربة قبل كل شيء، وبعد كل شيء، أما إيقاظ نار الحرب والنزاع بين الطبقات بعضها ضد بعض في وسط مستعبد، ونشر فكرة الاشتراكية في بلاد لا يزال الشعور الوطني يتولد ويقوم فيها، معناه إبقاء البلاد في استعباد مستمر، وحل أواصر شخصيتها، واندماجها في عنصر قاهرها والمسيطر عليها، ان كلمات الصعالكة والطبقة الوسطى (البورجوازيون) والرأسماليين، ألفاظ دخيلة بالنسبة إلينا، لا معنى لها في أذهان المغاربة. ان البورجوازية لا تكاد توجد ببلادنا التي هي بلاد صناع صغار، وفلاحين ضعفاء، إن أساليب استعماركم هي التي تصعلك اليوم الشعب المغربي وبضاعتكم الأوربية الرديئة، قد قتلت قتلا ذريعا صغار صناعنا الذين يعملون لحسابهم الخاص، وكان مستقبلهم مضمونا لهم، وقد صير نزع ملكية سكان البوادي الضعفاء الذين كانوا يملكون بالأمس قطعة أرض، عبيدا تحت تصرف معمريكم، لا تتميز بالمغرب طبقة على طبقة، ولكن هناك عنصران : لأحدهما الامتيازات والمنافع كلها، والآخر مستعبد، يئن تحت الأعباء كلها، وليس للأوصاف والنعوت السياسية أدنى قيمة، والفرنسيون الاشتراكيون بالمغرب، ليسوا بأقل حرصا على منافعهم وامتيازاتهم من أي فرنسي ملكي المذهب، وهو يتقدم بطيب خاطر، ويرشح نفسه لنيل إحدى قطع الأرض المرصدة للاستعمار، بدون أن يفكر ولو قليلا في الوسائل التي استعملتها السلطة لاقتنائها، وان كان موظفا يدافع عن مختلف تعويضاته العديدة بدون أن يفكر في مشروعية ذلك أو عدمه.

ولهذا فإن جهادنا ليس جهاد طبقات، بعضها ضد بعض، بل جهاد أمة مقهورة، تتألم وتعمل وترى أمة أخرى ممتازة، تحتكر بدون ضمير وازع، مجهودات أعمالها، وتجبرها على أن تبقى منغمسة في الجهل، وتمنعها حتى من حقوق الانسان الضرورية، وربما تقول : إن بالمغرب اقطاعيات وقوادا كبارا، لا يختلف عملهم عن عمل الشعب القاهر، نعم، ولكن هذه الاقطاعيات، ان لم يكن قد خلقها الشعب القاهر، فعلى الأقل قواها وعاضدها، وليس الرؤساء الأهليون، سوى آلات تعذيب وتنفيذ بين يد الاستعمار الفرنسي، وهو مسرور ان يجد فيهم خداما يسهلون عمله، ويمدغون له طعامه، انزعوا من أيدي هؤلاء الرؤساء السلطة والقوة اللتين منحهم إياهما الاستعمار الفرنسي وانظروا ماذا يصيرون ؟ وهل من الضروري اثبات سوء نية هؤلاء الذين يتهمون الشباب الذي يترأس الحركة الوطنية بالرجعية والطمع ؟ فالكل يعلم أن هؤلاء الشبان يمثلون أكثر عناصر البلاد رقيا، وأشدهم هياما بتقدم سريع للشعب، ولكنهم يجدون دائما متعرضا أمامهم : جمود ممثلي فرنسا الذين يشخصون الرجعية العمياء، ويريدون ترك الشعب المغربي جامدا في قالب أفرغ منذ القدم.

إن خصومنا يتخذون تمسكنا بلغتنا ومدنيتنا حجة، ليرمونا بالجمود والرجعية. **ان الاسلام**

هو باب خلاصنا، اننا تائهون أمام قوة مادية تفوقنا وتريد سحقنا، فاقدون لكل حقوق ولكل سلطة سياسية في نفس بلادنا، **لا نرى لنا مخرجا ممَّا نحن فيه، الا بتمسكنا بالاسلام، فهو شخصيتنا**، وهو ماضينا، وكما أننا متمسكون بتقاليد قديمة، فسنتمسك بالتي نقتنيها الآن، وإننا نعلم أن الحياة حركة دائمة، وان الجمود موقت، وسياسة آبائنا الجامدة، هي التي قادتنا إلى تلك الطامة الكبرى، طامة الحماية (والمومن لا يلدغ من جُحر مرتين).

إننا شبان، ولنا ككل شباب العالم قوة تدفعنا إلى الحركة والعمل، إن الظلم يثيرنا، واتهامات الانتفاعيين الذين يمتصون دماءنا، ويريدون أن نبقى خاضعين فوق ما هو لازم من الزمان لرقينا لا تعنينا كثيراً، إننا نرجو من جميع الفرنسيين ــ هنا في فرنسا ــ هؤلاء الذين لا يسرهم الطمع في السيادة والامتيازات، ذلك السرور الكاذب المجرم ــ ان يساعدونا على استرجاع حريتنا، **لا لأننا اشتراكيون** بل لأننا أناس ذوو كرامة، يريد الاستعماريون أن يسلبونا إياها باسمهم. إن الذين يتهموننا بالطمع، لا يجهلون التضحية التي يتطلبها موقفنا، ويعلمون من هو الخصم الذي نحارب، كما يعلمون أن الاستعماريين على أتم استعداد ليمنحونا أكبر الثروات، وأعظم الامتيازات التي يمرحون فيها هم أنفسهم على أن نعينهم في عملهم، وعلى أن نكون بين أيديهم المجرمة آلات تعذيب لشعبنا، ويعلمون أيضا أننا إن عطفنا على أمتنا وعزمنا على انتشالها من البؤس لا نريد بذلك استغلالها كما يفعلون، ولكن لنمد لها يد المساعدة وننقذها مما هي فيه، ويعلمون أخيرا أن ليست الأغراض الشخصية هي التي تحرضنا على العمل، بل إخلاصنا لغاية سامية، هي خدمة مجتمعنا وتحريره ورفعه من المستوى السيء الذي يريد الاستعماريون أن يتركوه فيه، فيصبح غدا قادرا على المشاركة في مثل الانسانية العليا العامة مشاركة نافعة.



الحاج أحمد بلافريج

مطالب الشعب المغربي

لقد تحدث الكثيرون عن المطالب التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني كيف نشأت فكرتها ؟ وماهي أسباب تقديمها ؟ وكيف حررت ومن حررها ؟ وهل حررت أولا بالعربية أو الفرنسية ؟ إلى آخر الأسئلة. وسأحاول أن أسجل بأمانة وصدق، كيف وصلتني الفكرة، وكيف قررناها نحن الشباب الوطني في سلا.

بعد ذهاب المقيم العام الفرنسي «لوسيان سان» الذي امتاز عهده بصدور ظهير 16 ماي 1930 السالف الذكر. أقول بعد اقالة «لوسيان سان» تعين على رأس الاقامة العامة رجل يختلف عنه، هو مسيو «بونصو» وكان هذا المقيم العام من الأشخاص الذين اكتسبوا تجربة في معالجة الشؤون الأهلية «حيث كان مندوبا ساميا بسوريا، وأتيح له فيها التعرف على مطامح الشعب السوري ومطالبه، واستطاع أن يتعرف إلى بعض رجال الحركة الوطنية بسوريا، ويسبر أغوار أمانيهم في الحرية والاستقلال وبمجيئه إلى المغرب كانت الحركة الوطنية في بداية نشأتها وكنا نحن الشباب الوطني نوالي اجتماعاتنا مع بعضنا بعضا، نناقش الموضوعات التي نرى ضرورة الاهتمام بها، ونعمل على لم شتاتنا وكسب الأنصار وتنظيم الأعمال، وفضح السياسة الاستعمارية في بلادنا بتزويد إخواننا الموجودين في الشرق العربي ببعض الدراسات والمقالات التي تتعلق بما يعانيه شعبنا من عنت وقهر وحرمان من جميع الحقوق والحريات كيفما كان شأنها.

لقد نظمنا اتصالنا بإخواننا بالرباط وفاس، خصوصاً بعد رجوع المنفيين في حركة الظهير البربري من منافيهم، ولكن اتصالنا بهؤلاء الاخوة لم يفقدنا استقلال قراراتنا وأعمالنا، فلم يكن إذذاك حزب وطني منظم، وحتى ما سمي بعد ذلك بكتلة العمل الوطني أو لجنة العمل المغربية لم تكن وجدت، كنا نشتغل في مختلف الواجهات السياسية والثقافية والاجتماعية، وإحقاقا للحق، وتسجيلا للتاريخ، أؤكد أن جماعتنا الوطنية، كان يسودها روح التعاون والتآخي والتضامن ونكران الذات، ما ينبغي أن يسجل بمداد الفخر، لقد كانت جماعتنا تبذل ما تستطيع، وكنت بالأخص مع الاخوة في سلا ! سعيد حجي وعبد الكريم حجي وحّ احمد معنينو ومحمد حصار نتابع الأحداث، ونسهر على أداء ما نستطيع القيام به لصالح بلادنا. لقد كان سعيد وأخوه عبد الكريم يقضيان معنا عطلة الصيف ثم يسافران لاتمام دراستهما بالشرق العربي، فكنت أنا والأخ معنينو نتبادل معهما الرسائل والمكاتبات أسبوعيا، ونزودهما بالمعلومات والأحداث التي تقع في المغرب حدثا حدَثا، وهكذا استطاع السعيد أن يراسل

كثيرا من الجرائد في فلسطين ومصر باخبار المغرب، وان يصبح مراسلا رسميا لبعضها مثل جريدة (العرب) التي كان يصدرها الأستاذ عجاج نويهض وجريدة الجهاد وغيرهما من الجرائد وكنا نغتنم فرص ذكرى 16 ماي بالخصوص لنعمل على إصدار أعداد ممتازة من تلك الجرائد حول القضية البربرية والسياسة الاستعمارية في المغرب.

لقد بدأت تظهر ملامح حركة وطنية منظمة متجاوبة مع بعضها، وتعم مدنا متعددة، ولم تبق حركتنا مقتصرة على الاعتراض على الظهير البربري أو على السياسة البربرية بل صارت تهتم بجميع القضايا والمشاكل التي يُعاني منها الشعب المغربي كفقدان الحريات العامة وقضايا التعليم وتسلط رجال السلطة على المواطنين ومشاكل الفلاح المغربي إلى آخر القائمة.

والواقع أن صدور الجرائد المغربية «عمل الشعب» و«مغرب» و«الحياة» أحدث انقلابا في الأفكار، وتغييرا في المواقف فلم يبق الانتقاد والتشكي في الخفاء وبين الجدران، بل صارت الصحافة الوطنية، تشهر بالاستعمار والمستعمرين والقواد والحكام الظالمين، وتفضح الا عيبهم ومظالمهم وتنشر تشكيات المواطنين.

هذه الظواهر الجديدة التي صارت تظهر للعيان، ارعبت الادارة الاستعمارية، فصارت تشيع أن هؤلاء الشبان الذين يدعون أنفسهم بالوطنيين، لا غرض لهم الا التشويش وإثارة الأفكار، والانتقاد الهدام، فما هي مطالبهم ؟ وما هو برنامجهم ؟ وإلى أي شيء يهدفون ؟

في هذا الجو الذي أصبحنا نعيش فيه، وفي هذا الحماس الوطني الذي كان يغمرنا ونحن نبحث عن طريقنا ونخطط لمستقبلنا، وبينما نحن مجتمعون ذات يوم من أيام شهر جوان سنة 1933 تقدم إلينا الأخ المرحوم الشاب محمد حصار بوثيقة تشتمل على عدة نقط، اقترح أن يكون برنامجا واضحا لعملنا الوطني، وأهدافا عملية نسعى لتحقيقها قائلا : إن الادارة الفرنسية تتهمنا بأننا لا برنامج وطنيا لنا، وليست لنا مطالب نسعى إلى تحقيقها، وإنما غرضنا التشويش وإثارة الأفكار، ولذلك يقول حصار فقد فكرت في وضع هذه النقط، لأقدمها لكم قصد دراستها وجعلها أساسا لمطالب وطنية، وبرنامجا نسعى لتحقيقه، وبعد دراستنا لتلك النقط، وتعميق النظر فيها اتفقنا على أن نتقدم بها لاخواننا بالرباط وفاس كي يدرسوها هم بدورهم، فيضيفوا لها ما يشاءون، ونجعل منها برنامجا لحركتنا الوطنية ثم وجهنا نسخا منها لبعض المدن الأخرى كفاس ومكناس ومراكش لينظروا فيها هم بدورهم، وهكذا تكلفت أنا والأخ عبد الكريم حجي بالاتصال بالأخ محمد اليزيدي لعرض المشروع عليه، وتكلف الأخ معنينو بالذهاب إلى فاس لعرض المشروع على الاخوة هناك، كما كتبت للسعيد حجي بدمشق أخبره بما قر عليه العزم من وضع مشروع للاصلاحات التي يجب أن تتظافر الجهود على تحقيقها، فأجابني محبذا الفكرة وسجل في مذكرته بعد رجوعه في عطلة الصيف أنه تلقى مني ومن الأخ حصار رسالة في الموضوع.

ولدى اتصالنا بإخوننا في الرباط وفاس أجابونا بأنهم هم بدورهم يفكرون في نفس الموضوع، ويرون ضرورة القيام بتهييء برنامج للاصلاحات والمطالب فحمدنا الله على وحدة الأفكار، وبعد رجوع السعيد من دمشق «يوليوز» 1933 اتصل بنا وبالأخ اليزيدي وتحادث معه في الموضوع، فاقترح عليه أن ينضم له وللأخ حّ عمر بن عبد الجليل لوضع مشروع كامل لمطالب الشعب المغربي، وهنا أدع الكلام للمرحوم السعيد حجي (في أوائل صيف سنة 1933 كتب لنا الأخ محمد حصار في رسالة والأخ أبو بكر القادري في رسالة أخرى بدمشق، يعلنان فيهما اقتراح الأخ محمد حصار في تكوين برنامج عام للحركة الوطنية، يجمع المطالب المغربية، وعندما رجعت للرباط في صيف تلك السنة، اطلعني القادري على مشروع الأخ حصار في هذا الشأن، وعلمت أن وفدا من «سلا» قدم هذا المشروع للأخ محمد اليزيدي أخبرني اليزيدي بالمشروع وقال لي : إن الاخوان الفاسيين كانوا يفكرون أيضا في ذلك، وإنهم يحبذون أساس المشروع، ويريدون درسه درسا وافيا، غير أنهم يريدون أن يكون ذلك في جو من الكتمان التام ولأجل تحقيق هذا الكتمان، ونظرا لما يتصف به الأخ...... من عدم حفظ الأسرار وكذلك...... ماعدا...... فإنهم يرشحونني للانضمام إلى اللجنة التي ستدرس هذا المشروع، وإنها تتألف من الاخوان : الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد اليزيدي والحاج الحسن بوعياد وأنا (السعيد) المجتمعين في الرباط وباستشارة الأخ علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني واستشارة (غازي) عندما يحضر من آسفي إلى الرباط في بعض الأحيان، وفعلا شرعت هذه اللجنة تجتمع مرتين في اليوم بدار اليزيدي من الساعة التاسعة صباحا إلى الثانية عشرة، ومن الساعة الثانية إلى السابعة مساء، وظلت اجتماعاتنا أربعين يوماً متوالية ثم يقول : اجتماعاتنا كانت مثمرة ومفيدة للغاية، حيث استطعنا درس جميع النواحي المفتقرة إلى الاصلاح بالمغرب، وتوسعنا في درس جزئيات، واحتجنا إلى مطالعات كثيرة، ومناقشات عديدة، ومشاورة عدد آخر، دون أن يطلعوا على غايتنا ـــ من الأفراد الذين لهم معرفة بالشؤون المغربية.

وما كادت تمر هاته الأربعون يوما حتى كانت المطالب المغربية قد وجدت في مجموعها، وإن كانت لازالت محتاجة إلى التنقيح وإعادة النظر في كثير من المسائل وعندما انتهت الصيف توقف درس المطالب، ولم يجدد النظر فيها إلا عندما وقعت صدمة ماي عام 1934 (يقصد زيارة جلالة محمد الخامس إلى فاس وما وقع فيها من أحداث) ثم يقول السعيد : ولما رجعت من سوريا عام 1934 أخبرني الأخ محمد اليزيدي بأن المطالب التي درسناها في الصيف الماضية، قد اطلعوا عليها الأخ الناصري على اعتبار أنها لم تدرس، وإنما هي اقتراح تعاون على إيجاده الأخ محمد اليزيدي والأخ عمر لئلا يغضب من عدم اطلاعه على كيفية درسها وعدم انخراطه في لجنتها، ولقد جد الناصري في درس تلك المطالب، وأضاف إليها مواد جديدة، ونقح شيئا منها مما جعلها أكثر انسجاما، وأنضج تكوينا.



الوفد الذي قدم المطالب لجلالة محمد الخامس
الجالس في الوسط : الفقيه محمد غازي
الواقفون من اليمين إلى اليسار : عبد العزيز بن ادريس، أبو بكر القادري
أحمد الشرقاوي

وخلال اجتماعي به مرة، أخبرني بالمشروع، مظهرا لي قيمة العمل، ومفتخرا به، فتظاهرت بعدم علمي به، وأظهرت إعجابي).

لقد قصدت أن أحكي قصة وضع المطالب المغربية كما حكاها المرحوم سعيد حجي الذي توفي في مارس سنة 1942 لأضع النقط على الحروف فيما يتعلق بهذا الموضوع الذي كثرت فيه الأقاويل وتعددت الروايات.

والواقع أن كل الأعمال السرية التي لا يطلع عليها إلا القليلون تتعدد فيها الروايات، والكل ينسبها لنفسه وحده ومن الانصاف ان لا نبخس أحدا حقه، ومن الحق أن لا نتنكر للأموات من إخواننا الذين بذلوا مجهودات وطنية وقاموا بأعمال مشكورة، مهما كانت الأفكار مختلفة والاتجاهات السياسية متباينة. وأرى أن الذين كتبوا في هذا الموضوع، كتبوه بمنظارهم الخاص، ولربما غفلوا عن تسجيل بعض الوقائع كما وقعت، وكيفما كان الأمر فإني أسجل

الأحداث كما عشتها أو شاركت في صنعها من قريب أو بعيد، والله يجازي كل مخلص على مقدار ما بذل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إثر توقيف جريدة «عمل الشعب» والجرائد الوطنية الأخرى عكف الأخوان على مراجعة ما حرر من قبل من مطالب الشعب المغربي أو برنامج الاصلاحات المغربية، وبعد إنهائهم من التحرير، تقرر أن تقدم لجلالة الملك سيدي محمد الخامس بن يوسف وللمقيم الفرنسي العام، ولوزارة الشؤون الخارجية بفرنسا، ولقد قرر الأخوان في غيبة مني أن أكون أحد العشرة الذي يتحملون مسؤولية تقديمها ثم تكونت ثلاثة وفود : الوفد الأول قدمها لجلالة السلطان وكان إذذاك بالدارالبيضاء، وكان مركبا من المرحوم محمد غازي والمرحوم عبد العزيز بن ادريس والمرحوم احمد الشرقاوي وأبي بكر القادري، والوفد الثاني قدمها للاقامة العامة، وكان متركبا من المرحوم علال الفاسي والمرحوم محمد الديوري والمرحوم محمد اليزيدي أما الوفد الثالث فقدمها لوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية وكان متركبا من المرحوم محمد بن الحسن الوزاني والمرحوم ج عمر بن عبد الجليل ولقد كان تقديمها في يوم واحد وهو اليوم الأول من شهر دجنبر 1934 على الساعة الرابعة عشية. وأذكر أننا لدى تقديمنا نسخة المطالب للصدر الأعظم الحاج محمد المقري، صار يسأل عنا، وعمن نمثل، فأجابه الفقيه غازي رحمه الله بأن سيدي عبد العزيز بن ادريس يمثل (فاسا) وسيدي احمد الشرقاوي يمثل (الرباط) وأبو بكر القادري يمثل (سلا) ثم سكت فقال المقري : وأنت تمثل الجميع، فتبسمنا ورجونا منه أن يبلغ سيدنا المنصور بالله ولاءنا له، وتعلقنا به، واعتمادنا عليه بعد الله للعمل على تحقيق مطالب شعبه.

لقد حررت هذه المطالب بالعربية، ثم ترجمت بعد ذلك إلى الفرنسية، وهذا أمر لاشك فيه عندي ولاريب وإني وان لم أشارك في تحريرها فإني كنت أتابع العمل فيها وأقرأ التصحيحات والمراجعات التي أدخلت عليها.

نعم لا أنكر أن الأخوين محمد بن الحسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل راجعا بعض الفصول من حيث ترتيبها وتنسيقها وصياغتها صياغة فرنسية، ولكن الأصل كان هو العربية ولدى ترجمتها كان المرحومان : مسعود الشيكر وعبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي من المساعدين الأساسيين كما أن المرحوم عبد الله الركراكي كان من الذين يبحثون عن المراجع في المكتبة العامة باعتباره موظفا فيها، ويزود بها الاخوان المحررين، وأشير هنا إلى أن المرحومين : مسعود الشيكر وعبد الله الركراكي كانا من أعضاء الجماعة السرية المسماة بالطائفة أما عبد الكبير الفاسي فكان من أصدقائنا الموثوق بهم، وان لم ينخرط في الطائفة.

لقد قدمت مطالب الشعب المغربي باسم كتلة العمل الوطني وهو ترجمة للتعبير الفرنسي «Comité d'action marocaine» ولم يكن هذا الاسم يطلق على الحركة الوطنية حتى

قدمت المطالب، فأصبحت الحركة الوطنية بأجمعها تدعى بكتلة العمل الوطني، ولم يبق هذا الاسم يطلق على اللجنة التي قدمت المطالب وحدها.

ولدي تقديم المطالب المغربية إلى الحكومة الفرنسية، تكونت بسعي من الوزاني وابن عبد الجليل لجنة من الأحرار الفرنسيين سميت بلجنة الرعاية، كان من جملتهم (جان لونكي) عضو مجلس النواب، ونائب رئيس لجنة الشؤون الخارجية (وبيير رونديل) عضو مجلس النواب ورئيس حزب فرنسا الاشتراكي و(دوطيسان) عضو البرلمان ووزير سابق و(جان بيو) النائب البرلماني ورئيس تحرير (لوفر) وعضو لجنة الشؤون الخارجية وغيرهم كما هو مثبت في النسخة الفرنسية لبرنامج الاصلاحات المغربية.

لقد طبعت هذه المطالب المحررة بالفرنسية في فرنسا أما النسخة الأصلية العربية فقد طبعت بالقاهرة بمطبعة الاخوان المسلمين، وكان المشرف على طبعها وتصحيحها المرحوم عبد القادر الرياحي الذي كان إذذاك طالبا بالقاهرة. لقد أثار تقديم المطالب هزة عنيفة في مختلف المدن المغربية، فصارت توجه البرقيات والرسائل لتأييدها، وصارت العرائض تحرر ويوقع عليها المواطنون من مختلف الطبقات لمناصرتها، الأمر الذي هال الادارة الفرنسية، فلم تدر ماذا تفعل أمام هذا الانتصار الذي حققته الحركة الوطنية الفتية التي صارت تدعى (بكتلة العمل الوطني).

ولقد كانت مدينة «سلا» في مقدمة من أعلن تضامنه مع مطالب الشعب المغربي فرفعت البرقيات والمذكرات والعرائض إلى جلالة الملك المعظم وإلى المقيم الفرنسي وإلى وزير خارجية فرنسا.

وها نص البرقية التي رفعها سكان «سلا» :

جلالة السلطان الرباط

نحن رعاياكم المخلصين سكان مدينة «سلا» نرجو من جلالتكم الشريفة أن تعتبروا دفتر المطالب المغربية التي رفعها باسم شعبكم يوم فاتح دجنبر 1934 لسدة جلالتكم العالية، أفراد من الكتلة الوطنية العاملة، والتي قدمتها أيضا لسعادة وزير خارجية فرنسا، بواسطة أفراد من لجنة رعايتها، ولحضرة المقيم العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب بواسطة أفراد من الكتلة نفسها.

صادرا عن إرادة شعبكم المخلص لكم، والذي له تمام الثقة في أفراد الكتلة الوطنية العاملة المخلصة لكم.

اننا واثقون يا مولانا، بأن جلالتكم الشريفة، قد اهتمت كل الاهتمام بمطالبنا المذكورة، لما نعلم عنها من العطف على رعيتها، وحب الخير لها، والعمل الدائم على إسعادها.

جلالة السلطان — الرباط

نحن رعاياكم المخلصين سكان مدينة سلا نرجو من جلالتكم الشريفة ان تعتبر
دفتر المطالب المغربية التي رفعها باسم شعبكم يوم فاتح دجنبر سنة 1934،
لسدة جلالتكم العالية افراد من الكتلة الوطنية العاملة والتي قدمتها
ايضا لسعادة وزير خارجية فرنسا بواسطة افراد من لجنة رعايتها ولحضرة المقيم
العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب بواسطة افراد من الكتلة نفسها صادرا
عن ارادة شعبكم المخلص لكم والذي له تمام الثقة في افراد
الكتلة الوطنية العاملة.

اننا واثقون يا مولانا بان جلالتكم الشريفة قد اهتمت كل الاهتمام
بمطالبنا المذكورة لما نعلم عنها من العطف على شعبها وحب
الخير لها والعمل الدائم على اسعادها حفظكم الله لها ولرعاياكم بعنايته
وعززكم بنصره وجعلكم دائما ملاذ شعبكم المتمسك بأذيال عرشكم
المتفاني في الدفاع عنكم وعن عائلتكم الكريمة.

سعادة وزير الخارجية — باريس

نحن سكان سلا بالمغرب نرجو من سعادتكم ان تعتبر دفتر المطالب
المغربية التي قدمتها لسعادتكم يوم فاتح دجنبر سنة 1934 باسم الشعب المغربي الكتلة الوطنية
العاملة بواسطة افراد من لجنة رعايتها والتي قدمتها ايضا لجلالة
مولانا السلطان ولحضرة المقيم العام للجمهورية الفرنسية
بالمغرب افراد من الكتلة نفسها صادرا عن ارادة الشعب
المغربي الذي له تمام الثقة في افراد الكتلة الوطنية العاملة
وفي اعضائها.

اننا واثقون ان سعادتكم قد اهتمت كل الاهتمام بمطالبنا المذكورة
وانها قد استحقت كل مجهوداتها للسعي في تنفيذها.
وتكرموا يا سعادة الوزير بقبول فائق احترامنا.

سعادة المقيم العام — بالرباط

نحن سكان سلا نرجو من سعادتكم ان تعتبر دفتر المطالب المغربية
التي قدمها يوم فاتح دجنبر سنة 1934 لسعادتكم افراد من الكتلة الوطنية

أصول البرقيات المرفوعة إلى السلطات العليا وهي
بخط المرحوم محمد حصار المتوفى سنة 1936

حفظكم الله ورعاكم بعنايته، وعززكم بنصره، وجعلكم دائما ملاذ شعبكم المتمسك بأذيال عرشكم، المتفاني في الدفاع عنكم وعن عائلتكم الكريمة.

نص البرقية الموجهة إلى وزير خارجية فرنسا :

سعادة وزير الخارجية «باريس»

نحن سكان «سلا» بالمغرب نرجو من سعادتكم أن تعتبروا دفتر المطالب المغربية التي قدمتها لسعادتكم يوم فاتح دجنبر سنة 1934 الكتلة الوطنية العاملة، بواسطة أفراد من لجنة رعايتها، والتي قدمها أيضا باسم الشعب المغربي لجلالة مولانا السلطان ولحضرة المقيم العام للجمهورية الفرنسية أفراد من الكتلة نفسها، صادرا عن إرادة الشعب المغربي الذي له تمام الثقة في أفراد الكتلة الوطنية العاملة وفي أعمالها.

إننا واثقون أن سعادتكم قد اهتمت كل الاهتمام بمطالبنا المذكورة وانها قد استعملت كل نفوذها للسعي في تنفيذها.

وتكرموا ياسعادة الوزير بقبول خالص احترامنا.

نص البرقية الموجهة إلى المقيم العام

سعادة المقيم العام «الرباط»

نحن سكان «سلا» نرجو من سعادتكم أن تعتبر دفتر المطالب التي قدمها يوم فاتح دجنبر سنة 1934 باسم الشعب المغربي لسعادتكم أفراد من الكتلة الوطنية العاملة والتي قدمها أيضا بواسطة أفراد منها لجلالة مولانا السلطان وبواسطة أفراد لجنة رعايتها لسعادة وزير الخارجية بباريس، صادرا عن إرادة الشعب المغربي الذي له تمام الثقة في أفراد الكتلة الوطنية العاملة وفي أعمالها.

إننا واثقون بأن سعادتكم قد اهتمت كل الاهتمام بمطالبنا المذكورة، وإنها قد استعملت كل نفوذها للسعي في تنفيذها وتكرموا ياسعادة المقيم العام بقبول خالص احترامنا.

وللحقيقة والتاريخ أسجل أن تحرير المطالب بتلك الطريقة السرية التي حررت بها، وإخفاء ذلك عن الكثيرين من إخواننا، أثار كثيرا من الانتقاد، خصوصا من الأخ المرحوم محمد حصار الذي كان له السبق في اقتراحها علينا نحن الجماعة الوطنية في سلا، ومن السيد محمد شماعو الذي كان متطلعا إلى أن يكون ضمن الوفد الذي قدمها، ولكن الجماعة الوطنية المسؤولة كانت لها وجهة نظر أخرى في كل من حصار واشماعو باعتبار أن حصار في نظرها لا يكتم الأسرار، وباعتبار أن اشماعو يفكر تفكيرا يختلف عن تفكير الجماعة على أن الذي تحمل المسؤولية كلها والتبعات بأجمعها في هذا هو المرحوم سعيد حجي الذي شارك في التحرير والذي كان يعتبر إذذاك المنسق بيننا وبين الاخوان، فلقد اتصل السعيد بكل

واحد من هؤلاء الاخوة على حدة، وشرح له الظروف التي كانت تهيأ فيها المطالب، والقرار الذي اتخذه الاخوان ليكون عملهم في طي الكتمان الشديد، على أن الكثيرين من هؤلاء اطلعوا على الحقيقة قبل تقديم المطالب بمدة، وطلب منهم أن يدرسوها ويبدوا نظرهم فيها فكانوا يعقدون الجلسات المتتابعة لقراءتها ودراستها، وأود أن أسجل هنا أيضا أن موقف الأخ حصار كان موقفا وطنيا رائعا، فرغما عن انتقاداته الشديدة، واحتجاجاته المتكررة ـــ والحق معه ـــ لأنه لم يخبر قبل ذلك، فإنه ابت عليه وطنيته وغيرته إلا أن يكون من المؤيدين والمناصرين والمحررين لبرقيات التأييد التي رفعت للمسؤولين، فرحم الله حصار، فلقد كان ذا قلب كبير، وتسامح عظيم.

لقد كان لتقديم المطالب صدى لدى الدوائر الرسمية الفرنسية، وتساءل الكثيرون هل تستطيع تلك الجماعة من الشبان الوطنيين أن يحرروا ذلك البرنامج المتقن والمحكم من الاصلاحات ولكنهم تأكدوا أن نظرتهم إلى الشباب الوطني وإلى الشعب المغربي يجب أن تتغير، فلقد بدلت الأرض غير الأرض، ولقد تفتحت الأفكار والأذهان، وصار الجيل الجديد الذي كرع من منابع المعرفة على اختلاف أشكالها ومشاربها يتوق إلى التغيير وإلى أن يسير الشعب المغربي في طريق النهوض الحق والبناء الجدي المستقيم، وإن إبقاء ماكان على ماكان، لا يرضي أية طبقة من طبقات الشعب، وإن الوسيلة الوحيدة لطمأنة النفوس وإراحة الأفكار هي تغيير اتجاه رجال الادارة الفرنسية والعمل على تطبيق الاصلاحات الضرورية التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني.

لقد اهتمت الادارة الفرنسية بدراسة المطالب التي تقدمنا بها، لا بقصد تطبيق ما يمكنه التطبيق في نظرها، ولكن بقصد الاطلاع ومعرفة ما يجري في الأفكار، ولقد قال المقيم العام بونصو بعدما اطلع عليها، انها اطروحة ممتازة للدكتورة، وقال جيرار دان المستشار السابق في إدارة الأمور الشريفة للزعيم علال أثناء حديث معه : (ان مطالبكم تشتمل على ثلاثة أقسام : قسم يمكن تنفيذه من الآن، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين، اما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء عن المغرب من تلقاء أنفسنا) ولكن مقولة ذلك المستشار كانت عبارة عن مجاملة فارغة، فلم يقبل الفرنسيون ولم يريدوا أن يلبوا أي مطلب من المطالب كيفما كان نوعها.

مطالب الشعب المغربي

لا أريد أن أثبت هنا النص الكامل لبرنامج الاصلاحات المغربية أو مطالب الشعب المغربي، فهي مطبوعة على حدة ويمكن الحصول عليها لمن أرادها، ولكنني اتماما للفائدة أعطي فكرة عنها ولوجد مختصرة، معتمدا على النص العربي الذي بين يدي الآن : والذي طبع بمطبعة الاخوان المسلمين بمصر سنة 1934، ثم أعادت طبعه المطبعة الملكية بآلات الاوفست سنة 1979 تبتدئ المطالب بتقديم عن الحماية الفرنسية بالمغرب : نظريتها وشروطها ومهمتها مستدلة بتصريحات المقيم العام ليوطي الذي طالما أكد بأن أي إصلاح لابد أن يقع في دائرة الاحترام الكامل لتقاليد البلاد ودينها، وان احترام حقوق الملك للسلطان أمر لازم باعتباره الضمان الأساسي لكل الأشياء وأنه بمقتضى نظام الحماية فإن المغرب دولة مستقلة تقوم فرنسا بحمايتها تحت سيادة السلطان.

ثم يأتي بعد التقديم المقدمة وهي عبارة عن عرض تاريخي عن الماضي المغربي وكيف أنه حرص على استقلاله طوال الأحقاب، وان فرض الحماية على المغرب لم يفقده سيادته التي تتشخص في سيادة الملك على سائر أصقاع المملكة، وان وظيفة الحماية تدريب الحكومة المغربية ومساعدتها من أجل إجراء الاصلاحات التي تحتاج إليها البلاد، ثم تتحدث المقدمة على أن الحماية لم تقم بواجبها في إدخال الاصلاحات التي تتطلبها البلاد، وإنها تطبق سياسة الميز العنصري وتحدث أنظمة شاذة يرفضها المغرب رفضا قاطعا ثم تتحدث عن الاصلاحات في الميدان الاداري وجعله مبنيا على أساس المعاهدات الدولية، وإلغاء كل التشريعات التي أحدثت على أساس الادارة المباشرة، والمحافظة على الشخصية المغربية المتمثلة في جلالة السلطان، وتتعرض لقضية الحدود المغربية والحفاظ عليها ثم تتحدث عن الحكومة المغربية وكيف تؤلف وتشكل وعن الادارة وكيف تكون وعن الموظفين وشروط التوظيف وعن مجالس البلديات وطريقة تكوينها وممن تكون وعن الغرف الاقتصادية وتأسيس مجلس وطني وكيف ينتخب الخ... ثم تتحدث عن الحريات الشخصية والعامة فتطالب بكفالة التعبير عن الأفكار والآراء بكل الوسائل القانونية، والتمتع بحرية الاجتماع وتأسيس الجمعيات وإسقاط جوازات السفر بين مناطق المغرب الثلاثة وبعدما تعقد فصلا عن الجنسية المغربية والحالة المدنية، تتحدث عن الاصلاحات العدلية باحداث نظام للعدلية والقانون المغربي الذي يستمد من الفقه الاسلامي وما جرى به العمل، وإنشاء محاكم وتقسيمها وتوضيح اختصاصاتها ومسطرتها

القضائية وضرورة فصل السلطات وحماية القضاة من التدخلات الادارية وتكوين القضاة والمحامين والوكلاء، كما تتحدث عن نظام السجون والاعتناء بها في الحواضر والبوادي وعن السجن السياسي وكيف يكون إلى آخره.

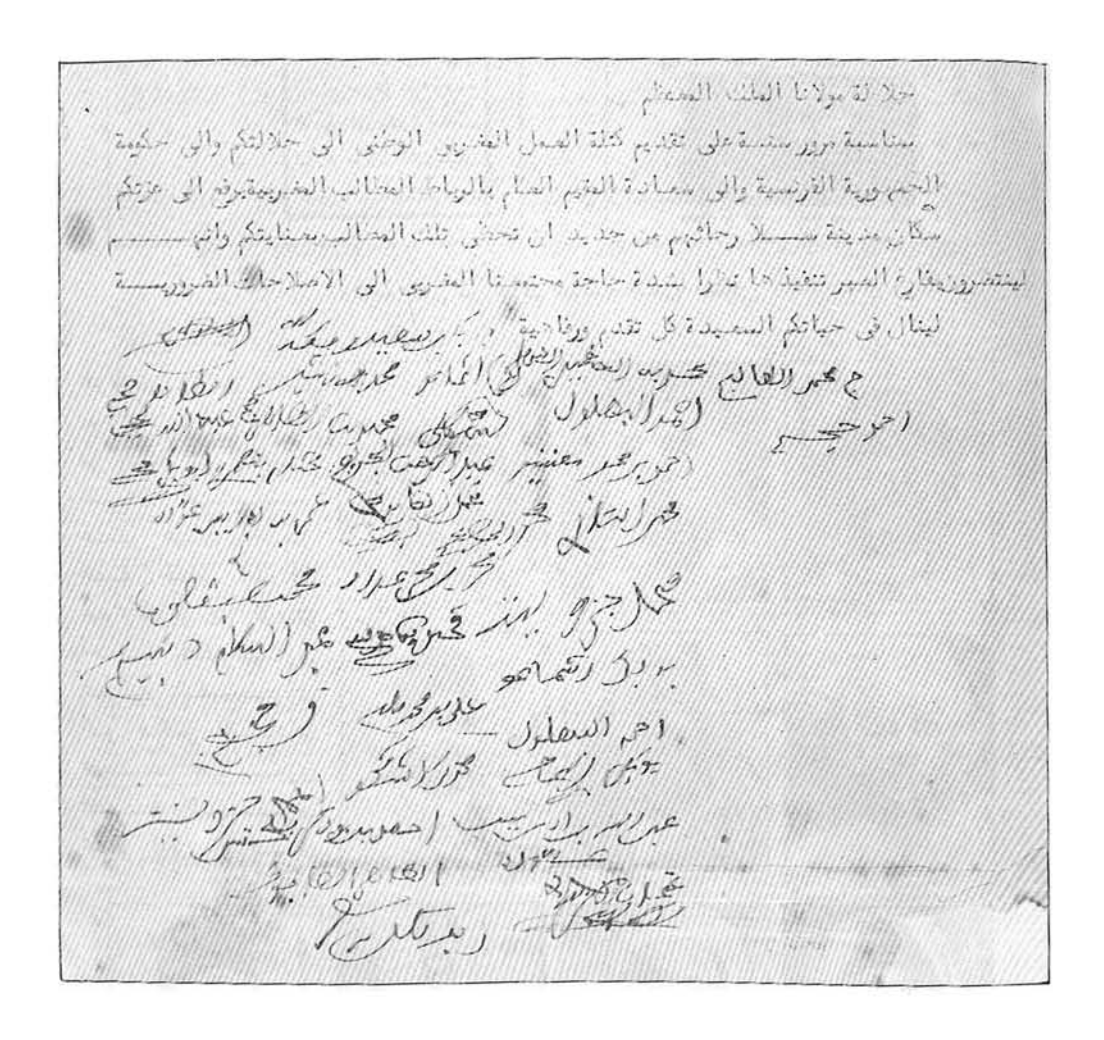
أما الفصل الخامس فيتحدث عن الاصلاحات الاجتماعية كالتعليم بأقسامه وتنوعه وتوحيد برامجه وتطالب بالتعليم الفلاحي والتجاري والصناعي والعسكري وضرورة الاعتناء بالتعليم الديني وعن المعلمين وتكوينهم والتعليم الحر وإزالة العراقيل من طريقه إلى آخره، ثم تحدث عن الأحباس الاسلامية وتأسيس المجلس الحبسي الأعلى والمحافظة على ثروة الأحباس الخ... وفي مجال الصحة العامة والاسعاف الاجتماعي تطالب بإنشاء مستشفيات ومصحات ودور للولادة وملاجئ ومقاومة البغاء السري والعلني وتحريم القمار واقفال الحانات الخ... وتتعرض لقضية العمال وتطبيق الاتفاقات الدولية المتعلقة بالعمل على العمال المغاربة وحصر مدة العمل اليومي في ثماني ساعات والسماح بتأسيس نقابات مغربية للدفاع عن مصالح العمال ثم تتحدث عن الاصلاحات الاقتصادية وعن السياسة الاقتصادية كما تتحدث عن الاستعمار والفلاحة المغربية وتطالب بإلغاء التشريع القاضي بنزع الملكية من أجل ما يسمى بالمصلحة العامة وتكوين مرشدين فلاحيين مغاربة وحماية الفلاحين من الربا والضرب على أيدي المرابين والمحافظة على حقوق القبائل في استعمال الغابات المجاورة لها الخ... وحول النظام العقاري تطالب بإنشاء مجلس مغربي لشؤون أراضي الجماعات وتوزيع الأراضي الموات على فقراء الفلاحين وعدم تفويت الأملاك المخزنية، ثم تتحدث عن الضرائب فتطالب بعدم تكليف المغاربة بتأدية أي شيء إلا ما حدده القانون والتخفيف من الضرائب غير المباشرة، وفي باب «اصلاحات متفرقة» تطالب بالتراجع عن تطبيق السياسة البربرية ومنع التبشير المسيحي بين المسلمين واعتبار اللغة العربية لغة المغرب الرسمية في الادارات والمنشورات والأبناك والتقارير وفي الفصل الأخير تطالب باحترام الراية المغربية والأعياد الاسلامية واعتبار يوم تتويج جلالة السلطان يوم عيد رسمي للدولة.

مرور سنة على تقديم المطالب

مضت سنة كاملة على تقديم مطالب الشعب المغربي فلم ينفذ منها أي مطلب، وهكذا قررنا أن نواصل الكرة ونبعث ببرقيات إلى كل من جلالة الملك المعظم والمقيم العام الفرنسي، ووزارة الشؤون الخارجية، نذكر فيها بمطالب الشعب، ونستحث على ضرورة التطبيق ولقد بعثنا ببرقية وقع عليها جمهور من إخواننا بسلا هذا نصها :

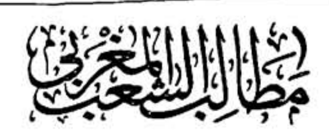
جلالة مولانا الملك المعظم

بمناسبة مرور سنة على تقديم كتلة العمل الوطني المغربي إلى جلالتكم، وإلى حكومة الجمهورية الفرنسية وإلى سعادة المقيم العام بالرباط المطالب المغربية، يرفع إلى عزتكم سكان مدينة «سلا» رجاءهم من جديد أن تحظى تلك المطالب بعنايتكم، وانهم لينتظرون بفارغ الصبر تنفيذها، نظرا لشدة حاجة مجتمعنا المغربي إلى الاصلاحات الضرورية، لينال في حياتكم السعيدة كل تقدم ورفاهية (ثم التوقيعات).



جلالة مولانا الملك المعظم

بمناسبة مرور سنة على تقديم كتلة العمل المغربي الوطني الى جلالتكم والى حكومة الجمهورية الفرنسية والى سعادة المقيم العام بالرباط المطالب المغربية يرفع الى عزتكم سكان مدينة سلا رجاءهم من جديد ان تحظى تلك المطالب بعنايتكم وانهم لينتظرون بفارغ الصبر تنفيذها نظرا لشدة حاجة مجتمعنا المغربي الى الاصلاحات الضرورية لينال في حياتكم السعيدة كل تقدم ورفاهية



هذه المطالب حضرتها
الكتلة العاملة الوطنية
في المغرب الأقصى باستشارة
كل من يهمهم الأمر من سائر
الأوساط
وقد قدمها باسم الشعب
المغربي مزوداً بثقته وفده
الأمين الى حضرة صاحب
الجلالة مولانا الملك سيدى
محمد بن يوسف أيده الله ونصره

١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م

PLAN
de
Réformes Marocaines

Élaboré et présenté à S. M. le Sultan
au Gouvernement de la République française
et à la Résidence Générale au Maroc par le

Comité d'Action Marocaine



Édition française 1934 — 1353 de l'Hégire

الوجه الأول من غلاف مطالب الشعب المغربي

الوطنيون الذين أمضوا
«برنامج الإصلاحات المغربية»
من اليسار إلى اليمين:
علال الفاسي
عمر عبد الجليل
محمد حسن الوزاني
عبد العزيز بن ادريس
أحمد الشرقاوي
محمد الديوري
أبو بكر القادري
محمد غازي
محمد اليزيدي
محمد المكي الناصري













مرور سنتين على تقديم المطالب

في 11 دجنبر 1936 الموافق لـ 26 رمضان 1355 مضى على تقديم المطالب إلى جلالة الملك المعظم والاقامة العامة والحكومة الفرنسية سنتان كاملتان، فقررنا نحن وطنيي «سلا» توجيه عريضة كبيرة أمضى عليها جماعات كثيرة من مختلف طبقات الشعب وهي تطالب وتؤكد على ضرورة تنفيذ مطالب الشعب المغربي، وها هو نص العريضة المقدمة إلى جلالة الملك :

إلى الامام الشريف العلوي السلطان الأعظم، والملاذ الأفخم، ياقوتة عقد الدولة العلوية الشريفة، ذي المكارم السنية، والمحاسن الخالدة، مولانا الملك المحبوب، سيدي محمد، أدام الله تأييده ونصره، وأحمد في الصالحات ذكره.

وبعد، فإن أهل مدينة «سلا» من سائر الطبقات، المخلصين لعرشكم، والمتفانين في خدمة تاج جلالتكم، يلتمسون من كرمكم، ويستعطفون الجناب العالي بالله أن يصدر أمره المطاع، لتعمل حكومة جلالته على درس وتنفيذ المطالب المغربية التي تشرفت بتقديمها إلى جلالتكم منذ سنتين، نخبة من أبنائنا ورجال يومنا عنوان الاخلاص لعرشكم المفدي، تلك الكتلة التي منحناها ثقتنا وفوضنا لها أن تجري باسمنا ما من شأنه أن يساعد على تحقيق رغبات رعاياكم، والمتعلقين بأذيال أريكتكم، وذلك لما رأيناه في مطالبها المغربية من موافقتها التامة لكتاب الله العظيم، فيما شرعه لنا، وانتهاجها الموفق لما أمر به الشارع صلى الله عليه وسلم من أعمال.

كما نرجو كريم فضلكم وعدالتكم النزيهة أن تأمروا بإطلاق سراح أعضاء كتلتنا هذه ومن اعتقل منهم في السجن بسبب الحوادث الأخيرة حتى تعود المياه إلى مجاريها ويصفو الجو.

وعلى خالص الطاعة والمحبة والامتثال والسلام.

في يوم الجمعة 26 رمضان عام 1355
موافق لـ 11 ديسمبر 1936
ثم التوقيعات

الصورة الأصلية لعريضة مدينة (سلا) المؤيدة لمطالب الشعب المغربي

مذكرة إلى حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية

وبعد قيام حكومة الجبهة الشعبية التي ترأسها «ليون بلوم» رفعت كتلة العمل الوطني مذكرة بطريق البرق إلى كل من رئيس الوزارة الفرنسية والمسيو دوطيسان برئاسة الوزارة، ووزير الشؤون الخارجية والمسيو «فيينو» بهذه الوزارة ووزير الفلاحة ووزير المستعمرات والكاتب العام للحزب الاشتراكي والنواب والمسيو «كاشان» زعيم الحزب الشيوعي والمسيو «كمباني» زعيم النواب الراديكاليين هذا نصها، وذلك بتاريخ 3 غشت 1936 :

إن كتلة العمل الوطني التي ما برحت تعلق آمالها على حكومة الجبهة الشعبية، ترى من حقها أن تلاحظ بعد مرور شهرين على تولي هذه الحكومة زمام الأمر بفرنسا، ان حالة الأمة المغربية لم يدخل عليها تحسن حقيقي، وانا لنعلم أنها ليست المسؤولة على إهمال شعبنا، بل التبعة كلها تقع على سياسة الاقامة العامة، لأن الشعوب التي إلى حماية فرنسا أو تحت انتدابها توصلت كلها إلى تحقيق قسط مهم من مطالبها، ماعدا المغرب فقد كادت تنتهي المفاوضات بالاتفاق بين فرنسا وسوريا كما أن الدستور اللبناني قد استونف العمل به وفتحت المفاوضات بين لبنان وفرنسا في شأن اتفاق نهائي، وحصل التونسيون بمناسبة 14 يوليه الفارط على حريات الصحافة والاجتماع وعلى تطبيق القوانين الاجتماعية التي تقررت أخيرا بفرنسا، أما المغرب فإنا لا نراه حصل من طول انتظاره الا على الخيبة حيث ان التدابير التي اتخذتها الاقامة لا يمكن أن يكون لها أثر بل نرى فيها خطرا على مصير البلاد. ومن تلك التدابير، تأسيس هيآت، أهمها اللجنة الدائمة للدفاع الاقتصادي، وان إنشاء هذه اللجنة وتركيبها ووظيفتها، مُخالف كل ذلك لمبدأ الحماية ولا يمكن للمغاربة أن يروا في أعضائها الأهلية للدفاع عن مصالحهم ثم ان من جملة القرارات الجائرة اعطاء (46) مليون للمعمرين لكي يؤدوا ما عليهم من الديون، ويأخذوا تعويضا عن الخمور البائرة عندهم، وكذلك تأجيل الديون التي على المعمرين المفلسين. كل هذا والفلاحة المغاربة الذين يعدون بالملايين لم يصيبوا إلا الاهمال الكلي، والصناع المعوزين لم ينالوا إلا خمسين ألف فرنك، اما الظهائر (المراسيم) التي استصدرتها الاقامة في شأن العملة، كحصر مدة العمل اليومي في ثماني ساعات وكجعل أجرة العامل لا تقل عن 4 فرنكات لليوم، فإنها وإن كانت غير كافية ــ لا تطبق، وإنما المقصود منها نشر الدعاية. فالمغربي مايزال محروما من حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية النقابة، ولا يمكنه أن يتوصل إلى رخصة لاصدار جريدة عربية، رغم العراقيل الشديدة الموجودة في سبيلها، كالحصول على إذن من الادارة قبل إصدار الجريدة، والحق

الذي للادارة في سحب هذا الاذن بدون محاكمة عدلية، واختصاص المحاكم العسكرية بالنظر في شؤون الصحافة العربية.

وبعد هذا البيان نؤمل من حكومة الجبهة الشعبية أن تتخذ من أجل أمتنا التدابير الناجعة، وان تنظر في اصلاحات أساسية تدخلها على حالتنا، حتى تتحقق فيها آمالنا، وتبرر رسالة فرنسا بالمغرب، وانا لنطالب باستعجال للجائعين بالخبز، وللطبقات العاملة بالشغل، وبتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية، ولعموم الشعب بالمدارس، وبحرية الصحافة وحرية الاجتماع.

الكتلة تبعث وفدا إلى فرنسا للمطالبة بتحقيق المطالب

وقبل رفع هذه المذكرة كانت الكتلة وجهت وفدا متركبا من الأستاذين : محمد بن الحسن الوزاني والحاج عمر بن عبد الجليل ليقوما بالاتصالات اللازمة مع المسؤولين في حكومة الجبهة الشعبية، ويشرحا لهم الحالة في المغرب، ويستحثانهم على الوفاء بالعهود التي كانوا يعدون بها قبل أن ينجحوا في الانتخابات ويتولوا أمر تسيير بلادهم ولكن الوعود قبل الوصول إلى الكراسي شيء، وتحقيقها بعد الوصول إليها شيء آخر، فلقد بقيت دار لقمان على حالها، ولم يتحقق شيء من مطالبنا. وهكذا دعت الكتلة إلى عقد مؤتمر مصغر لدراسة الأوضاع واتخاذ ما يجب اتخاذه من مقررات.

المؤتمر الأول لكتلة العمل الوطني

انعقد هذا المؤتمر الأول بمنزل الوطني الغيور المرحوم سيدي الحفيان الشرقاوي الكائن بحومة «مارسة» بالرباط وحضره مندوبون عن مختلف فروع الكتلة بتاريخ 25 أكتوبر 1936 الموافق 8 شعبان 1355 ودرس الأوضاع بعد الاستماع لمختلف التدخلات، طبق ما أذاعته الكتلة في حينه ونصه بالحرف :

حضرة الأخ الكريم.

إن كتلة العمل الوطني التي ما فتئت تجاهد في سبيل القضية المغربية بكل ما أوتيته من قوة، وما ملكته من جهد، رأت من الواجب عليها نظرا للظروف الحاضرة أن تسن عقد مؤتمر يحضره ممثلوا الجهات المغربية الذين يتشرفون بالعمل الوطني لتبادل الرأي، وتقليب أوجه النظر، ويكون فتحا جديدا في منهاج الحركة المغربية التي تخطو بها كل يوم إلى الأمام وقد أذاعت الدعوة للحضور في مؤتمرها الأول الذي قررت عقده بالرباط يوم الأحد 8 شعبان (1355) الحالي.

حضر الاجتماع في الوقت المعين تسعون مندوبا من مختلف أنحاء البلاد من الشرق إلى الجنوب، وانضم إليهم ممثلو العدوتين وكان هؤلاء المندوبون يمثلون سائر الطبقات الاجتماعية في المغرب من علماء وعدول وتجار وصناع وفلاحين وعملة وشيوخ وشبان. وفي الساعة التاسعة ونصف افتتح المؤتمر أخونا علال الفاسي بخطاب رنان عرض فيه سياسة الكتلة طيلة المدة السالفة، معرجا على بعض ما قامت به من أعمال، وما وصلت إليه من نتائج، وتكلم على أنه لم يبق عذر للحكومة في تحجير المغاربة وحرمانهم من الحرية، وأشار إلى السياسة التي تتبعها الكتلة في الموقف الحاضر، واضعا ثقته في حكومة الواجهة الشعبية وممثلها أمام جلالة السلطان، وحكومته الشريفة ثم أعطى الكلمة لأخينا محمد اليزيدي فألقى على مسامع المؤتمرين نص التصريح الذي يحدد سياسة الكتلة وموقفها إزاء الظروف القائمة وكان كل من الخطاب والتصريح يقاطع بالتصفيق الحاد، والهتاف المتواصل، وبعد ذلك، أعطى الكلمة لمن أرادها من رجال الوفود المختلفة، فتكلم الاخوان الأساتذة، محمد بن عبد الله من فاس، فمصطفى الغرباوي من البيضاء فالحاج احمد معنينو من سلا، فعبد الله ابراهيم من مراكش والجيلالي المزواري من مكناس، وكلهم أيدوا مواقف الكتلة وحبذوا الخطط المتبعة، من إلفات النظر لبعض الملاحظات القيمة، وبعد ذلك أجاب أخونا علال الخطباء فشكرهم على حسن نيتهم وكريم عطفهم، وأجاب على تلك الملاحظات بما أقنع الكل، واطمأن له الجميع، ثم سرد على الحاضرين مشروع المطالب المعجلة التي نود البداءة بتنفيذها ريثما تساعد الحكومة على تكوين لجنة من الفرنسيين والمغاربة لدراسة مطالبنا العامة والبحث عن الأسلوب التدريجي الذي يجبُ أن تحقق على مقتضاه وكان يلقي فقرة فقرة من المشروع ويعطي المناقشة فيها لمن طلبها. وهنالك ظهرت حيوية المغاربة ونضوجهم شباناً وشيوخا، وهنالك ظهر استعدادهم للبحث والمناقشة، وقدرتهم على إبداء الملاحظات القيمة والاقتراحات المفيدة، فقد شارك الحاضرون جميعا في دراسة المشروع والاهتمام بمواده، وكانت بعض الفقرات المهمة تستغرق زمنا طويلا، وفي مقدمتها الفقرة المتعلقة بالقرويين التي استمرت المناقشة فيها أكثر من ساعة واحدة، مما يدل على اهتمام الشعب بجامعته الدينية الكبرى.

وبعد اتمام المناقشة، وإقرار الصيغة النهائية للمطالب المعجلة عرضت على الحاضرين نصوص برقيات توجه لمولانا الملك نصرهُ الله ولسعادة المقيم ولحكومة الواجهة الشعبية، ثم عين الحاضرون الأخوين الحاج عبد العزيز القباج من الرباط ومحمد بن عبد الواحد بن جلون من الدار البيضاء لامضائها عنهم وبعثها، وبعد ذلك عرض الأخ علال صيغة التصريح الذي يعلن به المؤتمر مقرراته وهو الآتي :

مقررات مؤتمر العمل الوطني

إن الوفود المجتمعة بالرباط بدار الوجيه سيدي الحفيان الشرقاوي مساء الأحد 8 شعبان 1355 (25 اكتوبر 1936) من وجدة، فاس، مكناس، القنيطرة، سلا، الرباط، الدار البيضاء،

آسفي مراكش، الممثلة لمختلف الطبقات الاجتماعية لدرس الموقف الحاضر، وتقرير الخطة المناسبة للظروف الحالية وإعلان المطالب المستعجلة المستمدة من برنامج الاصلاحات المغربية، بعدما استمعت إلى البيانات التي أفضت إليها الكتلة بها، عن سياستها الماضية، والتصريح المحدد لسياستها المقبلة، وبعد المناقشة في ذلك وفي مشروع المطالب المستعجلة قررت مايأتي :

أولا : الموافقة على الخطة التي يتضمنها البيان والتصريح.

ثانيا : صيغة المطالب المستعجلة لرفعها للمراجع العليا.

ثالثا : إرسال برقيات لجلالة السلطان وسعادة المقيم لتأييد المطالب، والأمل في تدشين عهد جديد، وأخرى لتحية الواجهة الشعبية وتأييد مبعوثي العمل المغربي بباريز[1].

رابعا : وضع الثقة في لجنة العمل المغربي (الكتلة الوطنية) واعتمادها لاتخاذ الأساليب التي من شأنها تحقيق الرغبات المغربية ــ انتهى.

إن هذا الاجتماع أو المؤتمر الوطني الأول يعتبر أول عمل جماعي قامت به الكتلة من حيث أخذ رأي ممثلي مختلف الفروع في مختلف المدن، ولذلك فإنه هو الذي خطط للاتجاه الديموقراطي الذي يجب أن يسير عليه كل تنظيم وطني كيفما كان شأنه وهكذا شعر جميع الوطنيين ان لهم مسؤوليات لابد لهم من تحملها، ولهم مطالب أساسية لابد لهم من النضال في سبيلها والاستماتة في سبيل تحقيقها.

لقد قفزت الحركة الوطنية قفزة هامة ابتداء من 25 اكتوبر 1936 لا من حيث تحديد الأهداف وتوضيحها فحسب ولكن من حيث تنظيم القوى الوطنية المنبثة في أنحاء البلاد.

وهكذا تقرر تعميم هذا الوعي الوطني، والتعبير للسلطات الفرنسية أن الكتلة الوطنية ليست عبارة عن أشخاص معدودين يطالبونها بتحقيق بعض المطالب، ولكنها حركة وطنية منظمة منبثة في أنحاء البلاد ولها برنامجها المحدد، ومطامحها المشروعة فلابد من الاستجابة لمطالبها التي هي مطالب الشعب بأجمعه وهكذا قررنا أن نشرع في تنظيم مهرجانات شعبية لتأييد المطالب الشعبية المستعجلة في مختلف المدن المغربية.

مهرجان تضامني بفاس

لقد كان أول مهرجان تضامني لتأييد مقررات المؤتمر الوطني الأول هو المهرجان الذي أقيم بمنزل السيد ادريس بن زاكور بفاس والذي شارك فيه زيادة على الوطنيين المدعوين بعض

---

(1) مبعوثا الكتلة : هما : محمد بن الحسن الوزاني، والحاج عمر بن عبد الجليل.

رجال الصحافة الفرنسية التي كانت تصدر بالمغرب والتي كانت تتعاطف بعض الشيء مع مطالبنا. وهنا اثبت بالحرف البيان الذي صدر عن هذا المهرجان الوطني الأول بجميع ما راج فيه :

في مساء الأحد فاتح نونبر الجاري (1936)، كان موعد المهرجان الذي أذاعت الدعوة إليه كتلة العمل الوطني بفاس، لعرض مقررات مؤتمرها الأول على العموم، وقد حضر الاجتماع أكثر من ثلاثة آلاف شخص عدا الذين ضاقت عنهم دار السيد ادريس بن زاكور، فرجعوا وهم مآت، وفي الساعة الثامنة، افتتح الاجتماع بالأناشيد الوطنية ثم ارتجل الأخ علال الفاسي كلمة حيا فيها الحاضرين، وبين الغاية من جمعهم، وقدم لهم مبعوثي العمل الوطني اللذين رجعا من باريز، فوقف الأخ الوزاني وشكر الحاضرين وحياهم ثم وعدهم بعقد اجتماع لعرض أعمال الوفد بفرنسا، ثم ألقى الأخ علال خطابه القيم عن الوطنية المغربية ومبادئها وغاياتها ووسائلها، وشرح أنها حركة تحريرية للعقل والجسم، وعدائية لكل الوطنيات الضيقة المبنية على نظريات الجنس أو العنصر، وقد قوطع الخطاب بالتصفيق، وختم بالهتاف للوطنية المغربية ورجالها، ثم أعطى الكلمة للسادة الخطباء على الترتيب الآتي :

2) سعيد حجي : عن الحريات.

3) عبد العزيز بن ادريس : عن التعليم المغربي.

4) الهاشمي الفيلالي : عن العدلية المغربية.

5) عبد الهادي الشرايبي : عن الحالة العامة.

6) محمد بن عبد الله : عن الفلاح وبؤسه.

7) ابراهيم الوزاني : عن العمل والشغل.

وبعد ذلك تكلم السيد المكي العمراوي باسم الخرازين، فبين الأضرار اللاحقة بهم والاصلاحات التي يجب اتخاذها لفائدتهم، وكان موفقا في خطابه، فوقف الأخ علال وشكره على دفاعه عن المهنة وحيا في شخصه جميع الصناع المشتكين، وختمت الخطب بقصيدة ألقاها السيد أحمد بن ادريس الوزاني في تحية الكتلة ووجوب الالتفاف حولها.

ثم وقف الأخ علال وأعلن مقررات المؤتمر والمطالب المستعجلة وطلب من الحاضرين المصادقة عليها وعلى نصوص برقيات توجه إلى جلالة السلطان وحكومة الواجهة الشعبية وممثلها بالمغرب، للتحية ولتأييد مقررات المؤتمر والمطالب المستعجلة، فصادق الحاضرون عليها، وأمضى البرقيات عنهم السيدان محمد القباج والعربي الدسولي وأخيرا أعلن ختام المهرجان بعدما شكر الأخ علال الحاضرين، ووجه الخطاب للسادة الصحافيين الذين حضروا الاجتماع راجيا منهم ابلاغ الرأي العام الفرنسي ما شاهدوه بأعينهم من التفاف الأمة حول رجال العمل الوطني، وشارحا كيف أن هذا الشعب من دون سائر الأمم مجرد عن جميع الحريات

الحمد لله وحده

المؤتمر الاول لكتلة العمل الوطني

حضرة الاخ الكريم .

ان كتلة العمل الوطني التى مافتئت تجاهد في سبيل القضية المغربية بكل ما اوتيته من قوة وما ملكته من جهد رأت من الواجب عليها نظرا للظروف الحاضرة ان تسن عقد مؤتمر يحضره ممثلو الجهات المغربية الذين يتشرفون بالعمل الوطني لتبادل الرأى وتقليب اوجه النظر ويكون ذلك فتحا جديدا في منهاج الحركة المغربية التى تخطوبها كل يوم الى الامام وقد اذاعت الدعوة للحضور في مؤتمرها الاول الذى قررت عقده بالرباط مساء يوم الاحد ٨ شعبان الحالي

حضر الاجتماع فى الوقت المعين تسعون مندوبا من مختلف انحاء البلاد من الشرق الى الجنوب وانضم اليهم ممثلو العدوتين وكان هاؤلاء المندوبون يمثلون سائر الطبقات الاجتماعية في المغرب من علماء وعدول وتجار وصناع وفلاحين وعملة وشيوخ وشبان وفي الساعة التاسعة ونصف افتتح المؤتمر اخونا علال الفاسى بخطاب رنان عرض فيه سياسة الكتلة طيلة المدة السالفة معرجا على بعض ما قامت به من اعمال وما وصلت اليه من نتائج وتكلم على انه لم يبق عذر للحكومة فى تحجير المغاربة وحرمانهم من الحرية واشار الى السياسة التى تتبعها الكتلة في الموقف الحاضر واضحا ثقته في حكومة الواجهة الشعبية وممثلها امام جلالة السلطان وحكومته الشريفة . ثم اعطى الكلمة لأخينا محمد اليزيدى فالقى على مسامع المؤتمرين نص التصريح الذى يحدد سياسة الكتلة وموقفها ازاء الظروف القائمة . وكان كل من الخطاب والتصريح يقاطع بالتصفيق الحاد والهتاف المتواصل . وبعد ذلك اعطى الكلمة لمن اراد ها من رجال الوفود المختلفة . فتكلم الاخوان الاساتذة . محمد ابن عبد الله من فاس . فمصطفى الغرباوى من البيضاء فالحاج احمد معنينو من سلا فعبد الله ابراهيم من مراكش . والجيلاني المزوارى من مكناس . وكلهم ايدوا مواقف الكتلة وحبذوا الخطط المتبعة مع الفات النظر لبعض الملاحظات القيمة وبعد ذلك اجاب اخونا علال الخطباء فشكرهم على حسن نيتهم وكريم عطفهم واجاب على تلك الملاحظات بما اقنع الكل واطمأن له الجميع . ثم سرد على الحاضرين مشروع المطالب المعجلة التى نود البداءة بتنفيذها ريثما تساعد الحكومة على تكوين لجنة من الفرنسيين والمغاربة لدراسة مطالبنا العامة والبحث عن الاسلوب التدريجي الذى يجب ان تحقق على مقتضاه . وكان يلقى فقرة فقرة من المشروع ويعطى المناقشة فيها لمن طلبها . وهنالك ظهرت حيوية المغاربة ونضوجهم شبانا وشيوخا وهنالك ظهر استعدادهم للبحث والمناقشة وقدرتهم على ابداء الملاحظات القيمة والاقتراحات المفيدة فقد شارك الحاضرون جميعا في دراسة المشروع والاهتمام بمواده . وكانت بعض الفقرات المهمة تستغرق زمنا طويلا وفي مقدمتها الفقرة المتعلقة بالقرويين التى استمرت المناقشة فيها اكثر من ساعة واحدة مما يدل على اهتمام الشعب بجامعته الدينية الكبرى .

وبعد اتمام المناقشة واقرار الصيغة النهائية للمطالب المعجلة عرضت على الحاضرين نصوص برقيات توجه لمولانا الملك نصره الله ولسعادة المقيم ولحكومة الواجهة الشعبية . ثم عين الحاضرون الاخوين

الديموقراطية وبالأخص الصحافة العربية. وبذلك ختم الاجتماع، حيث خرج الكل في اطمئنان وهدوء).

المهرجان الثاني لكتلة العمل الوطني «بسلا»

بعد مضي عشرة أيام عن مهرجان فاس الوطني انعقد مهرجان ثان لا يقل عنه أهمية وذلك بدار آل الأحرش بسلا بتاريخ 10 نونبر 1936 ولقد صدر عن مهرجان (سلا) البيان التالي :

حضرة الأخ المحترم.

سلام عليك، كانت دار آل الاحرش بسلا يوم الجمعة الفارط (10 نونبر 1936) موعدا لعقد مهرجان كتلتنا الثاني، ولم تدق الساعة الثامنة مساء حتى غص المحل على اتساعه بالحضور، وصارت جدرانه تردد صدى الأناشيد الوطنية الصادرة عن عزم وثبات، وبعد نصف ساعة، دخل أعضاء الكتلة وأخذوا لهم مقاعد حول منصة الخطابة بين التصفيق والهتاف ولما استقر بهم المجلس، انبرى من بينهم الأخ أبو بكر القادري وافتتح الجلسة بالترحيب بالحاضرين، وببسط الغاية من ذلك الجمع، ثم سلم الكلام للأخ علال الفاسي فألقى خطابه القيم في الوطنية المغربية، وقام يشرح مبادئها وغاياتها ويبين وسائلها بدقة وصراحة، لا يبقى معها ريب ولا التباس، وبودي أن أدرج تلك الكلمة كاملة في هذا البيان، ولكن حجمه لا يسمح بذلك، فسأكتفي باقتباس بعض الفقرات منه : (الوطنية المغربية في بنايتها قائمة على ثلاثة دعائم متينة هي : الاسلام والعروبة والمغربية، الاسلام الصحيح الذي لا يعرف الخرافات، والعروبة المتينة التي تربطنا بحضارتنا بلغتها وثقافتها والتي تربطنا بمنبع النور، والمغربية المجيدة التي تبعث في نفوسنا ذكريات المجد وروح العظمة، والوطنية المغربية حركة تحريرية عظيمة، تحرر الفكر المغربي من الخرافات المضرة، والتقاليد السيئة، التي ألصقتها بها أفكار دخيلة وتحرر الطبقات الاجتماعية من فلاحين وصناع وعملة من سلطة جماعات كثيرة، طالما استنزفت جهودهم، وابتزت أموالهم وسخرتهم لها عبيدا مسترقين.. أما وسائل تحقيق هذه الغاية السامية فهي المدرسة والمعمل والصحيفة، وبعد هذا أخذ الأخ يفند أقوال المرجفين الذين يسمون حركتنا بما ليس فيها، أو يستخفون بها، وختم الكلام بوجوب العمل لنيل ما تنتظره البلاد، ثم توالي بعده الاخوان : سعيد حجي والهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس واحمد معنينو فتناولوا هذه المواضيع بأتم بيان وأبلغ عبارة : الحريات العامة، التعليم، العدلية المغربية، حالة الطبقات العامة. وأخيرا قام الأخ القادري من جديد وتلا على الحاضرين نص مقررات المؤتمر الأول. وفيها المطالب المستعجلة ثم طلب منهم أن يصادقوا على نصوص برقيات موجهة لجلالة السلطان ولسعادة المقيم العام ولسعادة الوزير «فيينو» بقصد تأييد المطالب المستعجلة والإلحاح في إعطاء حرية الصحافة في الحين، فوقعت المصادقة على تلك البرقيات، وختمت الجلسة بين الهتاف والأناشيد الحماسية.

في 10 نونبر 1936 (كاتب الجلسة)

في المهرجان الوطني الثاني الذي انعقد بسلا بتاريخ 10 نونبر 1936

وكنت قد ألقيت في افتتاح هذا المهرجان كلمة قلت فيها بالحرف :

بسم الله الرحمن الرحيم أفتتح هذا المهرجان الشعبي المبارك الذي يعد الثاني من نوعه، وباسم الوحدة الدينية، والرابطة الوطنية، أرحب بكم أجمل ترحيب، وأحييكم أحسن تحية.

سادتي الكرام ! إخواني الأعزاء

لقد دعت كتلة العمل الوطني لعقد أول مؤتمر شعبي يدرس ما تتوقف عليه حالة الأمة المغربية من الاصلاحات المستعجلة، ويطالب بتنفيذها بكل إلحاح وبكل ما لديه من قوة، كحق واجب، لا يمكن أن يبقى مسلوبا منه.

نعم ! منذ أسبوعين انعقد المؤتمر الوطني الأول بالرباط، ومثلت فيه سائر طبقات المغاربة من سائر المدن المغربية، فنظر المؤتمرون في شؤون البلاد من جميع نواحيها، ودرسوا حاجياتها المستعجلة وقرروا مطالبة الحكومة بضرورة تنفيذها.

ولقد اتخذت القرارات بإجماع، وكان من جملتها التضامن التام، والتكاثف الدائم، مع كتلة العمل الوطني، والعمل ضمن دائرتها، وتحبيذ خطتها المستقبلية.

لقد انعقد المؤتمر الأول وتعاهد المؤتمرون على العمل لتحقيق المطالب المستعجلة والسعي الحثيث لادراكها، واستعمال كل الوسائل المشروعة لنيلها.

ولقد كان المؤتمرون مصيبين كل الصواب حين أكدوا على ضرورة توحيد الجبهة وتنظيم الصفوف للمطالبة بالحقوق المقدسة، وبرهنوا على أن الشعب المغربي لا يمكن أن يتنازل عن المطالبة بحقوقه وأنه يريد أن يعيش مثل ما تعيش الأمم الحية الظافرة بجميع حقوقها، وأكدوا أن الحركة الوطنية المغربية حركة شعبية، تضم الشباب والكهول والشيوخ، إذ كان المؤتمر ممثلا بكل الفآت المذكورة، وكان الجميع يبدي رأيه بكامل الحرية، وبعزيمة راسخة وإيمان صادق.

لقد كان المؤتمرون يعتبرون أنفسهم نوابا عن الشعب المغربي المهضوم الحقوق فاستعرضوا كل الاصلاحات التي هو مفتقر إليها، وقرروا المطالبة بها حتى ينال الفلاح والصانع والمتعلم كل حقوقه، وحتى يتمتع الجميع بالحرية المسلوبة منه، وحتى يشعر الكل أنه لم يبق مسلوب الحقوق، محروماً من المساعدات وبعد انفضاض المؤتمر قررت الكتلة أن تقام مهرجانات شعبية في أهم المدن المغربية، تعرض فيها مقررات المؤتمر على مختلف طبقات الشعب المغربي، لِكي يتحقق الخاص والعام ان هذا المقررات هي مقررات شعب كامل، وان هذه المطالب، مطالب أمة بأسرها.

وفعلا انعقد أول مهرجان بعاصمة المغرب العلمية، فاس، فكان مظهره القوي، دليلا قاطعا على يقظة وشعور عام، حيث كان الاقبال عليه فوق المنتظر، والحاضرون يعدون بالآلاف، والكل سعيد بانضمامه لصفوف العاملين، وبعد الاستماع للكلمات، وتوضيح الاتجاهات، وسرد المطالب المستعجلة التي ستستمعون إليها بعد حين، أعلن الجميع تضامنهم وتأييدهم لمقررات المؤتمر ولرجال الكتلة العاملين، بأصواتهم المرتفعة لعنان السماء، وإمضائهم لعرائض التأييد، واعترافهم بأن رجال الكتلة هم نوابهم الشرعيون، ولسانهم الناطق المعبر عن آمالهم وآلامهم.

وها نحن اليوم ينتظم عقد مهرجاننا الثاني بمدينة «سلا» ها أنتم مجتمعون بهذا المنزل الفسيح لدراسة مطالبكم المستعجلة، وللتعبير عن تضامنكم مع الكتلة، والاستماتة معها في مطالبها الشرعية، وما مطالبها إلا مطالبكم، وما الكتلة إلا أنتم، ها أنتم تجتمعون اليوم للدفاع عن أنفسكم، فلا صحافة تدافع عن حقوقكم المغصوبة، وتنشر مقترحاتكم، وتعبر عن آمالكم وآلامكم، لا مدارس تعلم أبناءكم وتهذب فلذات أكبادكم، والموجود منها على قلته، خال من التعليم الحقيقي الحري بأبنائكم، حيث لا عربية تدرس فيها، ولا التهذيب الأخلاقي معنى به داخلها، فكيف يكون مستقبل أبناء لا يدرسون لغتهم ومبادئ دينهم وقويم أخلاقهم ؟ لا حرية لكم في تأسيس جمعيات تنمي روح التعاون والتضامن فيما بينكم، لا مساعدات تسد عوزكم، وتعينكم في الملمات لنيل قسط من ضروريات الحياة، لا محاكم تفصل في قضاياكم بالعدل وتأخذ حق ضعيفكم من قويكم، ومظلومكم من ظالمكم، لا مستشفيات ولا ملاجئ تعتني بمرضاكم، وتكافح الأدواء والأمراض التي تصيبكم، لا مقاومة للفساد المنتشر بين ظهرانيكم، وعلى مرأى ومسمع من كبيركم وصغيركم، ها أنتم تجتمعون اليوم لتعلنوا وتصرحوا انه لا يمكن أن تعدوا موجودين ولا صحيفة عندكم ! ها أنتم مجتمعون اليوم فزعين متحسرين على ضياع مستقبل أبنائكم لعدم وجود المدارس، متألمين من العراقيل التي توضع لمن يريد إنشاءها، ها أنتم تعلنون أنكم محتاجون لتكوين جمعيات تعاونية إصلاحية، محتاجون لمحاكم منظمة، وحكام نزيهين يعدلون بينكم، ولا يسلبون حقوقكم، ولا يميزون بين غنيكم وفقيركم، وفي التالي ها أنتم تصرخون وتصيحون قائلين : إننا موجودون فلا يمكن أن نحسب في صفوف الأموات.

سادتي أخواني ! إن شعبنا المغربي يريد أن يساهم في هذه الحياة، ويقوم بنصيبه في خدمة الإنسانية وحماية الحضارة، فهو لا يرضى أن يعيش على الهامش، ويبقى مضغوطا عليه، معتدى على حقوقه وكرامته فهو شعب له تاريخ مجيد مملوء بالمفاخر، وهو يريد أن يربط ماضيه بحاضره، ويخطو في سبيل الرقي والنهوض خطوات متوالية فاصلة تجعله في صفوف الأمم المتمدنة، ذا مكانة لائقة بمركزه وماضيه المجيد، وإن حالته الحاضرة، والمعاملة التي يعامل بها، لمما يجعله في حيز الشعوب الضعيفة المعدومة المفقودة الكرامة، إننا نريد أن نرجع شعبنا

إلى عصره الذهبي، ونعلن للعالم أجمع أنه شعب عزيز أشم، فعال بإذن الله لما يريد، وان له قوة تسخر من الحادثات، وتعلو على الملمات، ولا تخشى الصعوبات، إننا نريد أن نحيى كما تحيى الشعوب في سائر أطراف المعمور، فتنفذ مطالبنا، وتعطي لنا حقوقنا، ونعيش أحرارا في بلادنا فهل أنتم مؤيدون لخطتنا هاته التي سمعتم مجملها ؟ (تصفيق) وهل أنتم سائرون معنا متضامنون إلى النهاية ؟ (تصفيق) إذاً زال الريب، وذهب الشك، وشدت أفواه المرجفين، وخاب ظن الخائنين، وسقطت أقوال المتنطعين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا) (وقل جاءَ الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

أيها المواطنون الأعزاء

لقد تبين لكم أن الغاية من هذا الاجتماع، غاية شريفة مقدسة، وان قصد الداعين له وغرضهم الوحيد، هو السعي في إصلاح حالة الشعب المغربي من سائر نواحيه الاجتماعية والادارية والسياسية وغيرها، هو المحافظة على كيان هذه الأمة من الانهيار والسقوط والاضمحلال والفناء، هو الاحتفاظ بوحدته، بدينه، بلغته بسائر مميزاته، فإلى الأمام أيها الاخوان والسلام.

وبعد أن ألقي الاخوان الخطباء كلماتهم وبياناتهم وإيضاحاتهم للحالة العامة بالمغرب تناولت الكلمة مرة أخرى وكانت هي الكلمة الختامية للمهرجان فقلت :

سادتي ! لقد سمعتم من الاخوان العاملين بيانات وإيضاحات عن بعض أعمال ونشاط كتلة العمل الوطني ومقترحاتها، ولقد اتضح لكم مقدار ما قدمته كتلتكم من جهود وأعمال لصالح المغرب والمغاربة. نعم، سمعتم كل ذلك وسررتم به، ووافقتم عليه وأيدتموه بأصواتكم المرتفعة بالتحبيذ والتعضيد، وأسمعتم من يريد أن يسمع، انكم والكتلة يد واحدة في المطالبة بتعجيل ضروريات حياة الشعب المغربي، فعليكم بالثبات والمثابرة والسعي، لكي تحصلوا على مبتغياتكم، وتدركوا آمالكم، عليكم بالتضامن التام مع كتلة العمل الوطني وتأييدها بالأقوال والأفعال، عليكم بالتبشير بأعمالها والدعاية للانضمام إلى صفوفها، واعلموا أنكم مهما تضامنتم واتحدتم ووقفتم جبهة واحدة في المطالبة بحقوقكم، فإنكم لا محالة مدركون مآربكم، محصلون على مبتغياتكم، لأنكم تطلبون حقا، والحق يعلو ولا يعلى عليه.

وإنني أشكر كل الذين حضروا هذا الاجتماع بوازع من أنفسهم، ودافع من ضمائرهم، كما أشكر بالخصوص رجال الصحافة الأحرار من الفرنسيين الذين لبوا دعوتنا، راجين منهم تنوير الرأي العام، على لسان صحافتهم الحرة، إن الشعب المغربي هو الشعب الفاقد لكل مميزات حياته، وانه يطالب برفع القيود التي قيد بها، وان يعطي حرية تليق بمركزه وعظمته في التاريخ المجيد والسلام.

لقد كان الجو العام جواحماسيا، وكان جميع الحاضرين دون استثناء متجاوبين كل

التجاوب مع ما استمعوا إليه من أفكار، وما تلقوه من توجيهات، ولما عرض عليهم من نصوص البرقيات التضامنية التي سيوقعون عليها، تحمسوا كل الحماس، واعلنوا تضامنهم مع كتلتهم حتى تتحقق المطالب المستعجلة التي عرضت عليهم وها نص البرقية التي وقع عليها الجمهور :

برقية تضامنية مع الكتلة

ان الممضين أسفله يعلنون تضامنهم الدائم مع كتلة العمل الوطني ويعتبرونها لسانهم الوحيد المعبر عن أمانيهم القومية كلها، ويؤيدونها في مطالب الشعب المغربي والمذكرات والوثائق ولائحة المطالب المعجلة المرفوعة باسمها، ويفوضون للكتلة من أجل إجراء كل الوسائل والمخابرات مع المراجع الرسمية المختصة لتبليغ أماني الأمة المغربية وتحقيق مطالبها الوطنية).

المطالبة بالصحافة

من أقسى أنواع الحرمان الذي عشناه ونحن في بداية نهضتنا الوطنية أوائل الثلاثينات، حرماننا من وجود صحافة وطنية عربية كيفما كان شأنها أو موضوعها، حتى ولو كانت أدبية محضة، لقد كنت شخصيا أغتاظ وأنا لم أبلغ العشرين من عمري، عندما أرى صحفا فرنسية يومية وأسبوعية تصدرها الجالية الفرنسية المقيمة في المغرب، والمغاربة محرومون من هذا الحق باستثناء جريدة يومية كانت تصدرها إدارة الأمور الأهلية وتسمى (السعادة) وكانت اهتماماتها الأساسية بما تقوم به سلطات الحماية الفرنسية، وإعطاء اخبار تحركات المقيم الفرنسي العام، ومراسلات مختلفة من المدن، تتعلق بالأخبار بالمآدب والحفلات والأعراس وما شاكل ذلك.

وبعد رجوع الاخوان المنفيين في قضية الظهير البربري سنة 1932 وقع الاتفاق على أن يُصدر كل من الأخوين المرحومين : محمد اليزيدي وعبد اللطيف الصبيحي جريدة تسمى (العمل) ولكن الادارة الفرنسية امتنعت كل الامتناع من السماح لها بالصدور، وفي نفس السنة أصدر السيد محمد الصالح ميبسه الجزائري الجنسية (مجلة المغرب الشهرية) باللغة العربية التي كان لها اتجاه خاص بها، فكانت لا تهتم بالشؤون السياسية، بل كانت كما جاء في صفحتها الأولى، (تثقيفية — عمرانية — أدبية) وبالرغم عن طابعها الخاص فإن كثيرا من المثقفين الوطنيين كانوا يكتبون فيها أبحاثا قيمة، ومنهم الأستاذ المرحوم محمد الفاسي والأستاذ المرحوم محمد بن العباس القباج والأستاذ المرحوم عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي والشاب الوطني المرحوم محمد حصار والأستاذ المرحوم سعيد حجي ومن الذين كتبوا فيها المرحوم الأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل كما أنها نشرت بحثا قيما للمرحوم الأستاذ الحاج

أحمد بلافريج وغيرهم ممن لم تحضرني أسماؤهم، على أن بعض الاخوة لم يكونوا مرتضين النشر فيها، نظرا لاتجاهاتها التي كانت لا تتفق مع الاتجاهات الوطنية، وبعد رجوع المرحوم سعيد حجي من الشرق العربي حاول إصدار مجلة ثقافية اسمها : (مراكش) ولكنه لم يظفر بالاذن المطلوب، فكتب خطابا إلى المقيم الفرنسي العام إذذاك مسيو (بونصو) جاء فيها : أتشرف بإحاطة سعادة السفير علما بأنني قدمت في تاريخ جوان 1935 إلى سعادة الصدر الأعظم بواسطة إدارة الأمور الأهلية بالرباط طلبا للاذن لي بإصدار صحيفة أسبوعية عربية تحت اسم (مراكش) تقتصرُ على الأبحاث الأدبية والعلمية، وقد بلغتني الحكومة أن طلبي قد رفض، وانها لا تسمح بإصدار هذه الصحيفة العلمية الخ...[1] وقبل هذا التاريخ أصدر الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني جريدة بالفرنسية اسمها (عمل الشعب) كانت تعبر عن مطامح الشعب المغربي ومن جملة المحررين الأساسيين فيها المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، وفي سنة (1934) أصدر الأستاذ المرحوم عبد الخالق الطريس جريدة (الحياة) فكانت بدورها المعبر الأمين عن مطامح الشعب المغربي، كما سبقها إلى الصدور مجلة (السلام) التي كان يصدرها المرحوم العلامة السيد محمد داود، وكانت مجلة ثقافية محضة، ولكن لم تمض إلا مدة يسيرة على إصدار هذه الجرائد والمجلات حتى منعتها السلطات الفرنسية من الصدور أو من الروجان وفي يونيه 1935 أصدر الشيخ محمد المكي الناصري مجلة (المغرب الجديد) بتطوان وهي (مجلة علمية لخدمة الثقافة المغربية) وكان مديرها المسؤول : السيد محمد بن العربي بن جلون، وكانت في أول أمرها شهرية، ثم أصبحت أسبوعية عندما اتفق الشيخ المكي الناصري مع المرحوم سعيد حجي على أن يكون هذا الأخير وكيلا لها بالمنطقة السلطانية، ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلا، فتوقفت عن الصدور.

لقد كانت الحريات العامة هي الشغل الشاغل للحركة الوطنية وبالأخص حرية الصحافة، وكانت كتلة العمل الوطني ترى نفسها، مكبلة، وليس لها من سبيل للدفاع عن أفكارها وفضح المظالم التي يعاني منها الشعب المغربي، إلا بإصدار صحف وطنية حرة، وهكذا قررت تكوين لجنة خاصة تكون مهمتها استعمال جميع الوسائل المشروعة حتى لا يبقى الباب مقفلا أمام من يريد إنشاء صحيفة عربية، ولقد أذاعت اللجنة النداء التالي، وهو محرر بخط المرحوم محمد اليزيدي : (في سبيل الحصول على صحافة عربية بالمغرب الأقصى) : في العالم اليوم دولة ليست لها جريدة حرة واحدة تنشر بلغة أهل البلاد، تلك هي دولة المغرب الأقصى الموضوعة تحت الحماية الفرنسية، وقد رفعت مطالب متعددة للسلطة المختصة من أجل الحصول على صحافة عربية، ولكن الجواب على تلك المطالب كان دائما بالرفض، على أنه يوجد بهذه الديار، قانون لتنظيم الصحافة العربية منذ سنة 1914 وذلك القانون من أشد ما

---

(1) انظر نص هذا الخطاب في كتابي عن سعيد حجي جزء أول ص 28.

وضع في هذا الباب حيث ان اصدار الجريدة لابد له من رخصة، وان تلك الرخصة يمكن سحبها بمجرد قرار إداري، وان النظر في الجنح الراجعة للصحافة العربية هو من اختصاصات المحاكم العسكرية، وبالرغم عن وجود هذه العراقيل كلها، لبث هذا القانون من دون أن يطبق ولو مرة واحدة، لهذا تأسست لجنة للمطالبة بهذا الحق المقدس حتى يتسنى للمظلوم أن يرفع شكواه، وللمفكر أن يذيع آراءه، وللواعظ أن يصل إلى الصدور، وستتبع اللجنة جميع الطرق المشروعة المتيسرة حتى تصل إلى غايتها وانها لتوجه نداءها إلى كريم عواطفكم، لكي تمدوا لها يد المساعدة بما في وسعكم، حتى يفك الشعب المغربي من القيد الذي طالما عقله — كاتب اللجنة : سعيد حجي، كما أذاعت هذه اللجنة منشورا على الشعب المغربي هذا نصه : منذ دخل المغرب في طوره الجديد، وأبناؤه في كل فرصة ومناسبة يطالبون بصحافة عربية، تساعدهم على فهم المرحلة التي ينتقلون إليها، وتعبر عن الرأي العام إزاء ما يجري من حوادث، ويتولى من ظروف، فبالرغم عن الطلبات العديدة التي قدمت طبقا لقانون الصحافة، لم تسمح السلطة لحد الآن بإنشاء صحافة عربية مغربية، بل رفضت كل طلب بتأسيس جريدة كيفما كان اتجاهها، سواء سياسيا أو إخباريا أو أدبيا أو ثقافيا، وهكذا ظلت جميع النواحي المغربية بطيئة التطور، لا تساير الحضارة في أي مظهر من مظاهرها، وظل الشعب المغربي لا يستفيد من أنظمة تطوره الجديد إلا عرضا وبمقدار يسير، فالصحافة اليوم هي الوسيلة الوحيدة لربط علاقات الفرد بالمجتمع، وإيضاح الصلات بين الأمة والسلطة لأنها تساعد على إيجاد جو تفهم منه الجماعات اتجاهات الحكومة، وتدرك الحكومة أماني الشعب، فأمام رفض الحكومة لكل تلك المطالب الفردية التي تواترت عليها، خصوصا في المدة الأخيرة رأينا من الضروري أن نوحد الجهود الفردية، ونؤلف لجنة ممن سبق لهم أن سعوا في رخصة لانشاء صحيفة عربية بالمغرب، وستعمل هذه اللجنة بكل الوسائل المشروعة على فتح باب الصحافة بهذه البلاد، حتى يحرز أهلها على نصيبهم من الحرية التي هم جديرون بها، تحت ظل النظام والعدالة، معتمدة في عملها على الشعب المغربي الذي يقدر أهمية الصحافة في مجتمعنا الحاضر، والذي ما فتئ منذ سنوات ينشدها لتؤدي مهمتها في هدوء ومثابرة والسلام.

في متم جمادى الثانية 1355هـ موافق لـ 17 شتنبر 1936.

ابراهيم الكتاني — سعيد حجي — محمد اليزيدي

وأمام إصرار النظام الاداري على عدم إعطاء حرية الصحافة والحريات العامة الأخرى قررت الكتلة تنظيم مهرجانات خطابية في بعض المدن المغربية للمطالبة بالاصلاحات المستعجلة التي من جملتها إعطاء حرية الصحافة وجاءت سنة 1937 ليسمح لنا بإصدار صحف وطنية فصدرت «الأطلس» و«الدفاع» و«المغرب» و«مجلة المغرب اليومية» و«عمل الشعب» وغيرها من الصحف التي لم تدم إلا مدة يسيرة ثم صارت تراقب فتخرج كثير من صحافتها مبتورة ثم منعت بالكلية إثر حوادث أكتوبر 1937.

الحمد لله وحده

مذكرة في شأن حرية الصحافة بالمغرب

(رفعت لجلالة ملك [illegible] ولسعادة المقيم العام وسعادة وزير الخارجية ولجنة الأمور الخارجية بالبرلمان)

يوم ٢٢ شوال عام 1354 ـ 17 ايناير 1936

الصحافة من جملة المواضيع التي خصصت بنظام مستوفى منذ أوائل عهد الحماية. فقد صدر بشأنها ظهير تاريخه 27/4/1914 وأهم مقتضياته والتي العمل [illegible] والذي ينص على أن إصدار جريدة لا يحتاج لإذن خاص وإنما يشترط فيه ما يأتي:

وضع تصريح بإدارة الجريدة [illegible]:

التصريح لدى [illegible] بفرنسية ولدى الدولة الشريفة إذا كانت الجريدة عربية باسم الجريدة واسم مديرها المسؤول وجنسيته واسم المطبعة التي ستطبع بها وبيان اللغة التي ستكتب بها.—

وإذا دافعت الحكومة إذ ذاك بوضع نظام للصحافة بهذه البلاد فذلك لأنها تقدر أهمية [illegible] التي تقوم بها الجرائد في تثقيف الشعوب. فهي التي تروج [illegible] ومكنتهم من إعلان حاجياتهم و[illegible]. كما أنها تيسر لهم وسيلة التعريف بشكاياتهم والدفاع عن حقوقهم ومصالحهم. وهكذا يصبح للحكومة أكبر عامل تعلم منه مباشرة اتجاهات الشعب وحاجياته [illegible].—

[illegible] الحرية التي [illegible] الظهير المذكور [illegible] ولكن ما كادت [illegible] حتى ظهرت محاولات في هذا الميدان وكادت تظهر للوجود لولا أن الجريدة الرسمية فاجأتنا بظهير 29 نوفمبر 1920 الذي نص على أنه لا يمكن إنشاء وإصدار جريدة عربية أو عبرانية [illegible] إلا بعد الحصول على إذن بقرار وزيري من سعادة الصدر الأعظم. وزاد [illegible] من ذلك الظهير بأن سحب هذا الإذن جائز في كل وقت.— ورغما عن هذا القيد [illegible] المغاربة عن السعي في إنشاء صحافة [illegible] عمدت إلى أساليب التهديد والتخويف وإلى استصدار [illegible] من الجنرال الحاكم العام للجيوش الفرنسية بالمغرب في 2 أبريل [illegible] تضمن أن كل مخالفة لمقتضيات الظهير الصادر بتاريخ 29/11/1920 [illegible] ظهير الصحافة المؤرخ 27/4/1914 يرجع النظر فيها للمحاكم العسكرية. [illegible] أن مجرد إصدار صحيفة ليس بجريمة حتى يخاف من العقاب عليها. ورغما عن كونهم فهموا أن الغرض من ذلك الأمر محض التهديد [illegible] إنشاء أي جريدة عربية فقد ظلوا إلى الآن يطالبون بصحف سياسية وعلمية واقتصادية وبتحرير [illegible] القيود التي لا معنى لها [illegible] الصحافة العربية بالقانون الخاص بالصحافة الفرنسية [illegible] العام الحقيقي ويحمي الناس من كل إذاية [illegible] أدبية [illegible] التي أسست عليها الجمهورية الفرنسية.— وكل طلب [illegible] من الإدارة الفرنسية.—

وكتلة العمل الوطني في طليعة الذين يطالبون بحرية الصحافة [illegible] وفي الآن تعلن للسلطة [illegible] السياسة التي لا تسمح للمغرب بجريدة [illegible] الاحتياطات المأخوذة منذ 15 عاما والقيود المفروضة على هذه الجريدة. [illegible] طلبات المغاربة [illegible] الصحافة من القانون المغربي ما تزال مهملة. أما وقد سمح للمغاربة بمقتضى ظهير أول بحرية التعبير [illegible] وقد [illegible] هذه الحرية وأحيطت بجميع أنواع الاحتياطات فلم يبق [illegible] لحرمانهم منها. [illegible] تتمتع بكامل الحرية في الصحافة [illegible] حرية التعبير.—

[illegible] الشعب يستطيع التعبير [illegible] لا يتحقق إلا بوضع تشريع جديد [illegible] حرية القول سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية دون [illegible] إلى [illegible] مسؤول فرنسي.—

وكتلة العمل الوطني تعتبر إعلان حرية القول للشعب المغربي مطلبا أساسيا وتود التعجيل [illegible] وقد سبق لها أن [illegible] في هذه القضية في الرسالة المرفوعة لسعادة وزير الأمور الخارجية مع برنامج الإصلاحات المغربية. وهي تعود في هذه المناسبة إلى هذه المسألة الخطيرة ورجاؤها أن [illegible] حلا عادلا في أجل قريب. والسلام.—

كتلة العمل الوطني بالمغرب

219

الحمد لله

تاسيس لجنة للمطالبة بالصحافة العربية في المغرب

حضرة الاخ الفاضل، عليك السلام.

منذ دخل المغرب في طوره الجديد وابناؤه يطالبون في كل فرصة ومناسبة بصحافة عربية تساعدهم على فهم المرحلة التي يشتغلون بها وتعبر عن الرأي العام ازاء ما يجري من حوادث ويتوالى من ظروف. فبالرغم من الطلبات العديدة التي قدمت منذ طبق قانون الصحافة لم تسمح السلطة لحد الآن بانشاء صحافة عربية مغربية بل رفضت كل طلب بتاسيس جريدة كيفما كان اتجاهها سواء سياسيا او اخباريا او ادبيا او ثقافيا. وهكذا اصطبغت جميع النواحي المغربية بطبيعة التطور لا تساير الحضارة في اي مظهر من مظاهرها وظل الشعب المغربي لا يستفيد من انظمة طوره الجديد الا عرضا وبمقدار يسير. فالصحافة اليوم هي الوسيلة الواحدة لربط علاقات الفرد بالمجتمع وايضاح الصلات بين الامة والسلطة، لانها تساعد على ايجاد جو تتفهم منه الجماعات اتجاهات الحكومة وتدرك الحكومة اماني الشعب.

فامام رفض الحكومة لكل تلك المطالب الفردية التي تواترت عليها خصوصا في المدة الاخيرة رأينا من الضروري ان نوحد الجهود الفردية ونؤلف لجنة ممن سبق لهم ان سعوا في رخصة لانشاء صحيفة عربية بالمغرب. وستعمل هذه اللجنة بكل الوسائل المشروعة على فتح باب الصحافة بهذه البلاد حتى يحرز اهلها على نصيبهم من الحرية التي هم جديرون بها تحت ظل النظام والعدالة، معتمدة في عملها على الشعب المغربي الذي يقدر اهمية الصحافة في مجتمعنا الحاضر والذي ما فتئ منذ سنوات ينشدها ويؤدي مهمتها في هدوء ومثابرة والسلام

في منتصف جمادى 2 1355 - في 17 شتنبر 1936

ابراهيم الكتاني - سعيد حجي - محمد اليزيدي

في سبيل الحصول على صحافة حرة
بالمغرب الأقصى

الحمد لله وحده

من الرباط في ....

في العالم أجمع دولة ليست لها جريدة حرة واحدة تنشر بلغة أهل البلاد
تلك هي دولة المغرب الأقصى الموضوعة تحت الحماية الفرنسية. وقد رفعت
مطالب متعددة للسلطة المختصة من أجل الحصول على صحافة حرة
ولكن الجواب على تلك المطالب كان دائما بالرفض. [illegible]
على أنه يوجد بهذه الديار قانون لتنظيم الصحافة العربية منذ سنة
1939 ولكن القانون من أشد ما وضع في هذا الباب حيث أن إصدار
الجريدة لا بد له من رخصة وأن تلك الرخصة يمكن سحبها بمجرد
قرار إداري وأن النظر في الجنح الراجعة للصحافة العربية هو من
اختصاصات المحاكم العسكرية. وبالرغم من وجود هذه العراقيل كلها
لبث هذا القانون من دون أن يطبق ولو مرة واحدة!
لهذا تأسست لجنة للمطالبة بهذا الحق المقدس [illegible] حتى يتسنى
للمطبوع أن يرفع شكواه وللمفكر أن يذيع آراءه وللواعظ أن يصل إلى
الصدور. وستتبع اللجنة جميع الطرق المشروعة المتيسرة حتى تصل
إلى غايتها. وإنها لتوجه نداءها إلى [illegible] كريم عواطفكم لكي تمدوا
لها يد المساعدة بمادة وسعيكم حتى [illegible] لسان الشعب المغربي
من القيد الذي [illegible] طالما عطله.

كاتب اللجنة
سعيد حجي

321

المطالب المستعجلة

الحريات الديموقراطية :

منح حريات الصحافة والطبع والاجتماع والجمعيات والتعليم والتمثيل وتأسيس النقابات والتجول داخل المغرب والسفر إلى الخارج.

الاعتراف بحق التظلم

إصدار العفو على سائر المبعدين والمنفيين والمسجونين السياسيين منذ ابتداء الحماية.

التعليـــم :

ــ توحيد البرامج في جميع أنحاء المغرب.

ــ تكثير المدارس الابتدائية.

ــ تنظيم بعثات مدرسية لفرنسا والشرق.

ــ منح مساعدات وقروض شرفية لمن يريد التخصص في التعليم العالي.

ــ احداث مدارس لتخريج المعلمين والمعلمات.

ــ تطبيق الاصلاحآت التي يحتوي عليها البرنامج المنظم للتعليم بالقرويين.

ــ احداث مدارس فلاحية.

العدليـــة :

ريثما يتم اصلاح العدلية المغربية بإنشاء قانون مدوَّن وبتخريج القضاة، يجب تعيين القضاة والقواد وأعوانهم بطريق المباراة.

تعيين مرتبات كافية من ميزانية الدولة لهؤلاء الموظفين، لا من كيس محكوميهم.

الفصل بين السلطات الادارية والتنفيذية، والقضائية، وضمانة استقلال القضاء أمام السلطة.

توحيد العدلية المغربية في كافة المدن والبوادي.

إنشاء محاكم إدارية ولجنة تأديبية، يرافع أمامها القضاة المغاربة، إسقاط النظام المعروف بسياسة القواد الكبار.

الفلاحـــة :

إلغاء الاستعمار الرسمي وإبطال التشريع الذي يجعل نزع الملكية لفائدة المعمرين من باب المصلحة العامة.

إحداث ملكي عائلي لا يفوت باستعمال أراضي المخزن والجماعات

توسيع القروض المعدة للفلاح.

التسوية التامة بين الفلاح والمعمر في الحقوق والواجبات.

مقاومة الربا والضرب على يد المرابين.

حماية الفلاح من اعتداءات المعمرين ورجال السلطة وموظفي إدارة الضرائب.

العملة والصناع

تطبيق التشريع الاجتماعي الفرنساوي على العملة المغاربة.

تجديد الصناعة المغربية وحمايتها من المزاحمة الأجنبية.

الرجوع بنظام النقل إلى ما كان عليه قبل سنة 1932.

مساعدة البطالين.

الضرائـــب :

التخفيف من الضرائب والتسوية في أدائها بين المغاربة والفرنسيين.

إسقاط المكس المعروف بحقوق الباب وحقوق السوق، وحقوق المرعى في الغاب.

الصحة العامة :

تكثير عدد المؤسسات الصحية والزيادة في قدر الأدوية التي توزع مجانا على المحتاجين.

المحاربة المستمرة للمساكن المُخلة بشروط الصحة بالمدن والقرى، محاربة البغاء السري والعلني والخمور والمخدرات.

إنشاء عدد كاف من الملاجئ للشيوخ والعجزة المحتاجين وإعطاء مساعدات كافية للمؤسسات المغربية التي تقوم بالاسعاف العام.

كتلة العمل الوطني

بالمغرب الاقصى

المطالب المستعجلة

التي اقرها المؤتمر الاول لكتلة العمل الوطني

المنعقد بتاريخ 25 اكتوبر سنة 1936

والتي قدمت من بعد لجلالة الملك ولسعادة المقيم العام.



صورة غلاف مطبوع المطالب المستعجلة

منع المهرجان الثالث بالدار البيضاء

بعد النجاح الذي لقيه المهرجانان اللذان انعقدا بكل من فاس وسلا تقرر أن ينعقد المهرجان الثالث بالدار البيضاء، وهكذا ما حل يوم 17 نونبر 1936 حتى قصد آلاف الوطنيين المناصرين لكتلة العمل الوطني الدار الفسيحة التي تهيأت لاستقبال المجتمعين، ولكنهم فوجؤوا بوجود قوات بوليسية بباب المنزل وعلى جوانبه ومعهم بعض رجال السلطة برئاسة خليفة باشا الدار البيضاء الذي ما إن رأى زعماء الكتلة قادمين حتى تقدم إليهم مخبرا بأنّ السلطة تمانع عقد الاجتماع ولا تسمح أبدا بانعقاده، فهاج الجمهور الحاضر من الشباب الوطني وأخذ ينشد الأناشيد الوطنية ويهتفون بحياة الحرية، وحملوا الزعيم علال الفاسي على الأكتاف ليلقي كلمة حماسية يندد فيها بالضغط على الحريات ويطلب من الجمهور أن يتفرق بانتظام حتى إشعار آخر.

إلقاء القبض على الزعماء الثلاثة

ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى ألقي القبض على ثلاثة زعماء كانوا ضمن المشاركين هم : السادة، علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي.

لقد كان من المقرر أن يعقب المهرجان الوطني الثالث ندوة صحافية يحضرها مراسلوا الصحف الأجنبية الذين سيشاركون في المهرجان وبالفعل دعي الصحفيون للمشاركة في المؤتمر الصحفي الذي انعقد صبيحة اليوم الموالي حيث ترأسه المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، فأعطى المعلومات الكافية عن الغاية من انعقاد المهرجان وهي توضيح المطالب التي تطالب بها الكتلة وبالأخص الحريات العامة التي منها حرية الصحافة واحتج، على موقف الادارة في المهرجان وإلقاء القبض على الزعماء ولقد تكلم في هذا الاجتماع بعض الصحفيين الأحرار، فنددوا بسياسته القمع وخنق الحريات. وما أن انفض عقد هذا الاجتماع حتى قصد المرحوم ابن عبد الجليل ميناء الدار البيضاء حيث امتطى ظهر باخرة أقلته إلى الديار الفرنسية حتى لا يلقي عليه القبض هو بدوره وفي باريس اتصل حّ عمر بكثير من المسؤولين في الحكومة الفرنسية وعرفهم والرأي العام الفرنسي بحقيقة الحالة في المغرب، وأصدر بمعونة بعض أصدقائه الفرنسيين نشرة خاصة أسماها (المخبر المغربي) كانت تعطي المعلومات الكافية عما يجرى في المغرب من اضطهاد كما اتصل بالخصوص بأحد المسؤولين في وزارة الخارجية

الفرنسية الذي كان يتعاطف مع القضية المغربية هو المسيو فيينو وكيل وزارة الخارجية لشؤون الشمال الافريقي.

لقد كانت لهذه الاتصالات والاحتجاجات اثرها على الحكومة الفرنسية التي كانت إذذاك هي حكومة الواجهة الشعبية برئاسة «ليون بلوم» والتي كانت تعلق عليها الآمال لتحقيق بعض مطالب الشعب المغربي، ولكن الأحداث التي وقعت والاعتقالات التي تبعتها أثبتت أن السياسة الفرنسية المتبعة لا زالت على حالتها وأن الوعود التي أعطى المقيم العام الفرنسي «نوكيس» وعود عرقوبية.

المظاهرات والاحتجاجات في كثير من المدن المغربية

ما إن شاع خبر إلقاء القبض على الزعماء الثلاثة : علال والوزاني واليزيدي، حتى قامت مظاهرات في كل من الدار البيضاء وفاس والرباط وسلا ووجدة وتازة وغيرها.

ففي «سلا» ما بلغنا خبر إلقاء القبض على الاخوة الثلاثة حتى قررنا في اجتماع عقدناه على عجل القيام بمظاهرة احتجاجية تضامنية فكان الانطلاق من منزل الأخ محمد البقالي بباب اجساين حيث خرجنا جماعات نهتف بالمطالبة بالحرية، وإطلاق سراح المعتقلين وفي الطرق المؤدية إلى السويقة كانت تلتحق بنا الجماهير المتضامنة هاتفة معنا بالحرية وسقوط الظلم، وفي شارع السويقة المؤدى إلى مسجد سيدي احمد حجي كانت الجماهير تعد بآلاف، وكان رجال السلطة والمسؤولين الحكوميون ومعهم العدد العديد من رجال الأمن مرهوبين من هذه المظاهرة الشعبية التلقائية مرعوبين من نتائجها، وفي هذا الجو الحماسي التضامني ألقى المرحوم السعيد حجي كلمة تحدث فيها عن المقصود من هذه المظاهرة، وإنها مظاهرة سليمة تهدف إلى إعلان التضامن مع الزعماء الذين وقع اعتقالهم بالدار البيضاء، والمطالبة بإطلاق سراحهم، ثم قصد الجميع مسجد سيدي أحمد حجي.

وفي هذا المسجد ألقيت الخطاب الآتي : إنكم في هذا اليوم العظيم، أديتم حقوق ربكم وحقوق أمتكم. أثابكم الله وجزاكم خير الجزاء. أيها الاخوة لا يخفى عنكم أن كتلة العمل الوطني تدافع عن حقوقكم المهضومة وقد حضرتم بعض اجتماعاتها، وسمعتم مطالب المؤتمر المنعقد بالرباط التي يجب التعجيل بتنفيذها، فأيدتموها، وعاهدتم الله أن تدافعوا عنها إلى النهاية، لأنها في مصلحتكم جميعا أيها الاخوة ! أنتم خبيرون بأن أهم مطلب يجب أن نحصل عليه هو حرية الصحافة، لأن الأمة التي لا صحف عندها، الموت أولى بها، إذ الصحافة لسان الضعيف، ولا أضعف من الأمة المغربية اليوم، فقد عمها الكساد، وانتشر الفساد،

وضاعت الحقوق، وتوالت المظالم بالمدن والبوادي، ولا من يعالج هذه الأمراض الفتاكة، التي إن دامت، ولم تتدارك السلطة هذا الشعب بإعطائه حرية الصحافة، فلسوف يتسع الخرق على الراقع، لهذا أيها الاخوان قررت الكتلة أن تنظم اجتماعا بالبيضاء للمطالبة بحرية الصحافة، وفعلا نفذت القرار، وحضر ممثلون من سائر أنحاء المغرب، ويقدر عدد المجتمعين بما يزيد على الخمسة آلاف نسمة، ولكن السلطة الاستعمارية منعت في الأخير ذلك الاجتماع، ففكر رجال الكتلة في الأمر، ودعوا المجتمعين إلى أن يفترقوا دون هيجان وتشويش ولكن السلطة الاستعمارية أبت إلا أن تعتقل ثلاثة أفراد من خيرة رجال الكتلة ورؤسائها وهم : محمد علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي، وقد قرر الوطنيون بكافة مدن المغرب أن يقوموا بمظاهرة سلمية للمطالبة بحرية الصحافة والتضامن مع الكتلة وإطلاق سراح الموقوفين وها نحن مجتمعون في هذه الساعة بهذا المسجد العظيم لنعلن تضامننا التام مع إخواننا العاملين ومطالبتنا بحرية الصحافة فيجب بعد الفراغ من هذا الخطاب أن تخرجوا معنا جميعا بهدوء وسكينة متظاهرين كي يعلم الخاص والعام اننا طلاب حقّ يجب أن نظفر به، وأن نتخذ في سبل الحصول عليه كل الوسائل المشروعة فالموت أهون علينا من الحياة بدون حرية الصحافة نحن نريد صحافة. نريد حرية، وليحيى جلالة الملك.

وما أن تفرقت المظاهرة بسلام حتى وقع اعتقال الاخوة : ج احمد معنينو ومحمد البقالي وأبو بكر القادري ومحمد بن احمد حجي ومحمد بن المكي القادري (وأبو بكر السماحي وعبد الله بن ادريس عواد) وعبد الله بن احمد حجي ورموا في سجن لعلو بالرباط، ونفس الشيء وقع في المدن الأخرى السالفة الذكر.

كان لهذه المظاهرات التضامنية أثرها على الدوائر الحكومية بفرنسا حيث وقعت في ظروف كانت حكومة الواجهة الشعبية لا ترغب في أي حادث يشوه سمعتها باعتبارها حكومة يسارية تدعى أنها تتجاوب مع رغائب الشعوب التواقة إلى الحرية، ولذلك فإنها قررت إطفاء الغضب، والبحث عن حلول تهدئ الخواطر وتعيد الثقة إلى النفوس.

لقد طلب م. فيينو وكيل وزارة الخارجية الفرنسية من الأخ ج عمر ابن عبد الجليل أن يرجع إلى المغرب ليهدئ الأفكار والخواطر، ولكنه اشترط أن لا يعود حتى يطلق سراح المعتقلين، فوقع الاتصال بالمقيم العام الفرنسي «نوكيس» وأعطيت التعاليم لتهدئة الأفكار وإطلاق سراح المعتقلين.

كان الشهر الذي ألقي علينا القبض فيه هو شهر رمضان المعظم (نونبر 1936) فاعتبرناه شهر عبادة مزدوجة : عبادة الصيام وعبادة السجن في سبيل نيل الحقوق والدفاع عن الكرامة.

لم يطل مقامنا في السجن إلا ما يقرب من الشهر، وذات يوم وهو 23 رمضان 1355 موافق 28 دجنبر 1936 دعينا إلى محكمة باشا مدينة «سلا» حيث خبرنا كما قال حسب



المعتقلون من مدينة «سلا» اثر مظاهرة سنة 1936 للمطالبة بالحريات العامة. وهم :
الجالسون من اليمين : محمد بن أحمد حجي، أبو بكر القادري، محمد البقالي، ج أحمد معنينو.
الواقفون من اليمين : محمد بن المكي القادري، أبو بكر السماحي، عبد الله عواد، عبد الله حجي، عثمان الأحرش، وهذا الأخير لم يسجن وإنما حكم عليه بذعيرة.



الباشا الفقيه السيد محمد بن الطيب الصبيحي

تعبيره : بأن الجلالة الشريفة قررت قبول الشفاعة التي قدمها لدي جلالته الوفد الفاسي على شرط أن نتعهد أن لا نحدث أي عمل من شأنه اقلاق الراحة والاخلال بنظام الأمن العام. فأجبناه بأننا طلاب حقوق، ولسنا بمشوشين، ولا نقلق راحة أحد، فنحن نريد حريتنا : حرية الصحافة، حرية الاجتماع، ونحن نطالب بإطلاق سراح إخواننا المعتقلين.

وهنا أثبت نص التقرير الذي كتبه الباشا الحاج محمد الصبيحي بخط يده حول موضوع استدعائنا والمذاكرة معنا، استطعت الحصول عليه بعد فترة السجن بمدة يقول التقرير :

الحمد لله.

في يوم الثلاثاء الفارط تاريخ 23 رمضان عام 1355هـ موافق 28 دجنبر 1936. على أمر الجلالة الشريفة أعزها الله الذي أبلغنا إياه سعادة وزير الصدارة العظمى الفقيه المحترم سيدي الحاج محمد المقري أحضرنا الأشخاص السلويين المعتقلين، وهم سيدي بوبكر القادري والحاج احمد معنينو وسيدي محمد البقالي وسيدي عبد الله حجي وسيدي محمد أخوه وسيدي محمد بن المكي القادري، وأخبرناهم بأن الجلالة الشريفة أسماها الله أمرتنا بأن نبلغهم قبولها الشفاعة فيهم، التي قدمها لدى جلالته الوفد الفاسي على شرط أن يتعهدوا بأن لا يحدثوا أي عمل من شأنه اقلاق الراحة، واخلال بنظام الأمن العام. فأجابوا بقولهم، اننا سامعون مطيعون لأمر الجلالة الشريفة دام عزها، وإننا ما فكرنا قط ولن نفكر في أن نخرج عن طاعتها أبدا، كما أننا لا نضمر سوء ولا عداء للدولة الفرنسوية الفخيمة ورجال حكومتها، غاية أمرنا أن كتلتنا الوطنية قد ارتأت أن ترفع مطالب تعود بالنفع على عموم الايالة الشريفة ماديا وأدبيا للجلالة الشريفة وللدولة الحامية، وقد استعملت كل الوسائل لأن تحظى بقبولها كلها أو

الحمد لله

في يوم الثلاثاء المبارك تاريخ 23 رمضان عام 1355 الموافق 8 دجنبر سنة 1936

بناء على أمر الجلالة الشريفة أعز الله أمره ... سعادة وزير الشؤون العظمى الفقيه المحترم سيدي الحاج محمد المقري

[illegible]

صورة التقرير الذي كتبه باشا سلا بخط يده

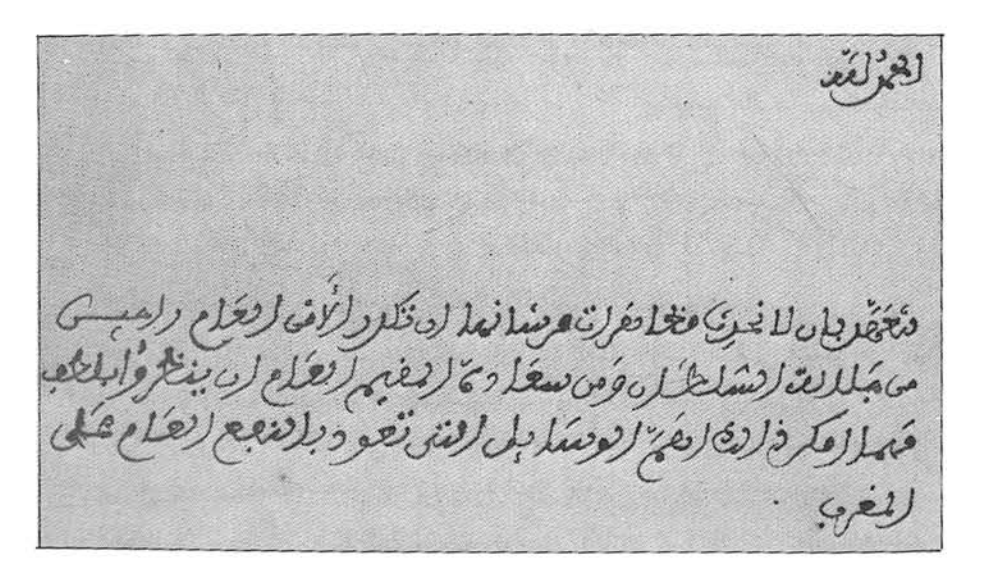
بعضها، ثم بعد تسمية سعادة المقيم العام الحالي، اختصرت مطالبها المذكورة واقتصرت فيها على ما تمس الحاجة إليه أكثر، رغبة في تلبية الطلب والحصول على البغية، فقدمت لجنابه ذلك، فأظهر لها حينئذ عطفه على المغرب وسعيه القوي في مصالحه العائدة عليه بالنفع التي من جملتها مطالبها المذكورة، فارتاحت لذلك نفوسها، واطمأنت خواطرها. ثم بعد أن زار جنابه مدينة فاس ألقى فيها خطبة استشعروا من بعض فقراتها أنه اعتبر تلك المطالب، مطالب أفراد، لا مطالب الأمة المغربية عامة، وربما كان ذلك بتأثير ما على فكر سعادته، فاتفق رأيهم على أن يبرهنوا لجنابه على أنها مطالب عامة الشعب، فعقدوا اجتماعات بالرباط وسلا وفاس، بعد التزامهم فيما بينهم التمشي في ذلك على نهج القوانين غير المخلة بنظام الأمن والراحة، وبالفعل نهجوا في ذلك على النهج المذكور حذو النَّعل بالنَّعل وحينما عزموا على الاجتماع الرابع بالدار البيضاء صدر منعهم من ذلك في آخر ساعة، بينما كان جمعهم الحفيل محتشدا الأمر الذي استاءت له القلوب، وقلقت منه الخواطر، حتى كادت تنشأ عنه مصادمات دموية، ومع ذلك سكن الهياج وهدأت النفوس بإشارة أعيانهم وكبارهم وأمرهم بملازمة الهدوء والسكينة، وتفرق ذلك الجمع الغفير بسكينة ووقار، ذهب الكل لحال سبيله، فكانت النتيجة أن اعتقل هناك ثلاثة أشخاص منهم، هم عيون أعيانهم، فاتفق رأيهم على أن يقوموا بمظاهرة سلمية لا تخل بقوانين النظام، ليرفعوا صوتهم للجلالة الشريفة والحكومة الحامية، وفعلا قاموا بذلك وفق ما تعهدوا من مراعاة النظام والقوانين. فلاحظنا عليهم بأن سعادة المقيم العام قد أظهر لهم وده وعطفه واهتمامه بالنظر في مطالبهم، فكان اللائق بكم أن لا تتسارعوا إلى مثل هذه الأعمال كيفما كانت صبغتها، فأجابوا بأن عملهم هذا لم يحدث أي اخلال بالأمن والراحة، على أنه إن كانت هناك مسؤولية فهي في الواقع راجعة إلى ولاة الدار البيضاء حيث كانوا هم السبب فيها، وإلا فهم براء ومع ذلك وقع اعتقالهم. وهم تحت طاعة أمر الجلالة الشريفة مستعدون للتعهد الذي به أمرتهم به جلالته الكريمة مهما صادفت مطالبهم أو بعضها منه قبولا، وزادوا أنهم عندئذ يكونون أوفى مخلص للمخزن الشريف (وحكومة الحماية).

ثم من الغد مكننا سعادة الوزير الصدر الأعظم حفظه الله من صورة التعهد الذي طلب من المعتقلين المذكورين عن الأمر الشريف فأحضرناهم ثانيا وأمرناهم بالتوقيع عليها، فأجابوا بمثل جوابهم الأول واعتذروا عن عدم إمكانهم (التوقيع).

ونص التعهد الذي طلب منا أن نوقعه : (نتعهد بأن لا نحدث مظاهرات من شأنها أن تكدر الأمن العام، راجين من جلالة السلطان ومن سعادة المقيم العام أن ينظروا بلطف مهما أمكن ذلك أهمّ الوسائل التي تعود بالنفع العام على المغرب).

إن التقرير الذي حرره باشا سلا حول المقابلتين اللتين قابلناه يؤكد على حقيقتين اثنتين : أولاهما : ان حركتنا الوطنية سواء في «فاس» أو «الرباط» أو «سلا» التي لم يشر إليها الأستاذ

علال عن سهو في كتابته عن هذه الحوادث، قفزت قفزة مهمة إلى الأمام وان المظاهرات التي وقعت لم يكن المقصود منها الاحتجاج على إلقاء القبض على الزعماء الثلاثة فحسب، ولكنها كما أشار لذلك التقرير وضعت القضية في نطاقها الصحيح وهو المطالبة بتحقيق المطالب المستعجلة والاحتجاج الضمني ضد المقيم العام. «نوكيس» بأن المطالب تهم جماعة وطنية فحسب ولا تهم الشعب المغربي قاطبة وثانية الحقيقتين أن الادارة الفرنسية بالمغرب أمام هزيمتها وضعف حجتها وانتقادها من قبلْ حكومتها في فرنسا أرادت أن تحتفظ بما تسميه بقضية النفوذ المعنوي، فعمدت إلى سلوك السياسة الأهلية، بالايعاز إلى بعض الأعيان بفاس ليتقدموا بطلب العفو عن المسجونين إذا ما تعهدوا بعدم الاخلال بالأمن العام، ولكنها فشلت الفشل الذريع، ولم تجد في صفوف الوطنيين من يقبل هذا التعهد، فلم ينفعها والحالة هذه إلا أن تخضع للتعاليم التي وردت عليها من فرنسا وتطلق جميع المعتقلين بمن فيهم الزعماء الثلاثة. فلم نمكث في السجن إلا نحو الشهر تقريباً.



الحمد لله

نتعهد بأن لا نحرك مظاهرات مهما كان ذلك لأن الأمن العام والهدوء
من قبل الدولة الشريفة ومن سعادة المقيم العام أن ينظر وأن يحكم
فيهما الفكرة الذي الحق للوسائل التي تعود بالنفع العام على
المغرب.

صورة التعهد الذي طلب منا الباشا الصبيحي أن نتعهد به مقابل اطلاق سراحنا وهو بخط الباشا نفسه

مذكرات احتجاجية

منذ تقديم برنامج الاصلاحات المغربية (مطالب الشعب المغربي) وكتلتنا تتابع الأحداث يوما بيوم وساعة بساعة، فما من حدث يقع أو قرار يتخذ إلا وتعلن الكتلة فيه رأيها وبالأخص القرارات التي ترى فيها اعتداء على السيادة المغربية أو إجحافاً بحقوق الشعب المغربي، وحيث أن الكتلة لم يكن لها صوت تعلن بواسطته رأيها، فلم تكن لنا جريدة لا بالعربية ولا بالفرنسية، فإننا كنا نكتب نشرات نوزعها على الشعب بطرقنا الخاصة، نتعرض فيها للأحداث التي تقع وننبه الشعب لاخطارها ان كانت فيها اخطار، ولما عزمت الادارة الفرنسية على تعديل النظام الديواني بالمغرب، وعلى احداث ضريبة على المواريث الاسلامية، وعلى نقل رفاة المارشال ليوطي ليدفن في المغرب، رفعت الكتلة هذه المذكرة إلى صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف وإلى المقيم العام الفرنسي وإلى كل من رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسيين تحتج فيها على القرارات المتخذة، وتعارض تطبيقها.

وهذا نص المذكرة المرفوعة إلى جلالة الملك في الموضوعات المذكورة :

بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى صاحب الجلالة والاكبار، والمكانة والاعتبار، السلطان الأفخم، والملك الأكرم، الشريف العلوي الهمام، ناشر الوية السلام، وخفاق البنود والاعلام، سيدي محمد بن مولاي يوسف نصره الله وأطال مدته، وأحيا بمنه على طول الدهر دولته، آمين.

مولانا صاحب الجلالة

غير خاف على شريف علم جلالتكم، ان كتلة العمل الوطني المغربي قدمت في فاتح دجنبر سنة 1934، لحكومة جلالتكم المؤيدة بالله، وللاقامة العامة بالرباط، ولوزارة الخارجية الفرنسية بباريز، دفتر المطالب التي تراها ضرورية لاصلاح حالة البلاد، وقد أرادت بتقديمه القيام بعمل بناء إيجابي، يساعد على اتباع سياسة انجاز وتعاون بين فرنسا والمغرب.

والكتلة لا تجهل أن دراسة المطالب وقع الاعتناء بها، وان هذه الدراسة تتطلب ردحاً من الزمان، ترجو أن لا يطول كثيرا، وإنما كانت تؤمل أن لا تكرهها الظروف على رفع صوتها في هذه المدة بتشكيات جديدة.

ولكن تلبد بعض الغيوم في جو السياسة المغربية، بسبب المشاريع التي تحضرها الحكومة لتعديل نظام الديوانة ونقل رفاة الماريشال، «ليوطي» للمغرب، وبسبب الاشاعات المحلية

الرائجة في شأن إحداث ضريبة على المواريث الاسلامية، فرض على الكتلة، تنبيه الحكومة إلى خطر تلك المشاريع، ان حققتها كلها أو بعضها.

ولذلك نرفع إلى جلالتكم هذه المذكرة التي تبين رأينا في الموضوع بجلاء، وننهي إلى شريف علم مولانا، اننا رفعنا شبيها من هذا لسعادة المقيم العام، ولوزير الخارجية ورئيس الوزارة الفرنسية ولنا اليقين التام في أن وجهة نظر الكتلة المخلصة، ستحل لدى جلالتكم محل الاعتبار، وستكون عند حكومتكم موضعا للقبول.

أدام الله وجود مولانا الامام، وبارك في شريف عمره، على الدوام وعلى خالص الخدمة والطاعة والسلام.

(أ) مشروع تعديل النظام الديواني بالمغرب

خلاصـــة المشـــروع

ان هذا المشروع يتلخص في أربع نقط :

1) توحيد نظام الديوانة في الحدود البرية والبحرية.

2) إسقاط حق الجالبين في أداء واجبات الديوانة من جنس البضائع المجلوبة، واحداث محكمة لتقويم البضائع المعشرة.

3) تحديد المقادير التي يسمح بإدخالها للمغرب من بعض السلع كالسكر والمنسوجات والخيوط، وقصر حق إصدارها على بعض الدول بنسبة المعدل السنوي لما أصدرته للمغرب بين سنة 1927 و1933 وجعل هذا التوزيع لمدّة ثلاث أو خمس سنوات.

4) رفع واجبات الديوانة، بنسبة ضعيفة على البضائع المحدود جلبها، وبنسبة أقوى على باقي البضائع.

وكتلة العمل الوطني ترى أن التعديل غير عادل ولا مرغوب فيه، وتطالب بإبقاء ما كان على ما كان.

فالحكومة عارفة بأن نظام الديوانة الحالي (الجمرك) تقرر بالمؤتمر الدولي الذي انعقد بالجزيرة (الجزيرة الخضراء) سنة 1906 باستدعاء من الحكومة المغربية، فوقع فيه ضبط نظام المغرب الدولي في ميدان السياسة والاقتصاد.

ولهذا لا يمكن قبول فكرة أصحاب المشروع من الرسميين وغيرهم بدون استدعاء مؤتمر جديد، مؤلف من الدول التي أمضت عقد الجزيرة وزيادة على هذا الاعتراض المبدئي، فهنالك أسباب اقتصادية جوهرية يجب على الحماية أن تراعيها اذهي وحدها كافية لرفض هذا المشروع.

إن إسقاط حق الجالبين في أداء واجبات الديوانة، من جنس البضائع المجلوبة يكلهم في تقويم بضائعهم، إلى إرادة الادارة وكثيرا ما يكون تقويمها جائرا.

أما احداث محكمة لتقويم السلع المجلوبة، فسيزيد في صوائر الميزانية العامة، ويعرقل سير عمليات الديوانة، ولا يعطي ضمانة للجالبين فالمحكمة تقرر بأغلبية أصوات أعضائها، وتلك الأغلبية فكرية من موظفين حكوميين، من شأنهم أن يرجحُوا نظرية إدارة الديوانة على نظرية الجالبين، وربما أدى تحاملهم على بعض المصدرين إلى تكليفهم بأداءات باهضة تبعدهم عن الأسواق المغربية بالمرة.

أما تحديد مقادير السكر والمنسوجات والخيوط المقبولة بالمغرب، وقصر إصدارها على بعض الدول بنسبة المعدل السنوي بما أصدرته بين سنة 1927 و1933 فله عواقب وخيمة الأثر على جمهور المستهلكين من المغاربة، وخصوصا العاملين الضعاف، فنظام الباب المفتوح يمكنهم من اقتناء ما يحتاجونه من المنتوجات الأجنبية بأرخص الأثمان الممكنة، أما هذا التحديد، فتسقط به المزاحمة الدولية، ويؤدي جبرا إلى غلاء المعيشة.

وستجد نفسها بعض الدول التي تبيع بضائعها للمغرب بأثمان مناسبة، في وضعية جديدة، فترفع أسعارها نظرا لعدم امكان ترويج قدر من بضائعها، زائد على نسبتها من التوزيع، مهما خفضت تلك الأسعار.

كما أن بعض الدول التي لم تكن لها علاقة تجارية مع المغرب بين سنة 1927 و1933، سيحرم المغرب من الاتجار معها في المستقبل مهما كانت اسعار وجودة بضائعها، مادام تحديد الواردات، سيقصيها سلفا عن الديوانة المغربية.

وسيصبح من الهيّن على الجالبين لبضاعة معينة، ان يتفقوا على إعلاء سعرها لعدم خشيتهم من المزاحمة، فسوف لا يقف ثمن البضائع عند أعلى سعر لها الآن، ولكن يزيد بنسبة ما، حيث تختلف حسب أجناسها وحسب الاتفاقات التي ستعقد بين أربابها، خصوصا إذا تحقق ما يرمي إليه بعض الجالبين من قصر استيراد البضائع على الأفراد الذين كانوا يستوردونها بين سنة 1927 و1933.

ولا ينبغي للحكومة أن تغفل عن كون قسم ضئيل من سكان البلاد، هو الذي يستطيع وحده أن يتحمل — مضطرا — زيادة مثل هذه في ثمن المعيشة.

أما أغلبية المستهلكين من المغاربة من فلاحين وصناع وعمال وتجار صغار ومتوسطين، فمقدرتهم على الشراء ضعيفة جدا، وهم في ضيق شديد ويؤدون القسم الكبير من الميزانية، وفيها مآت الملايين من الضرائب الغير مباشرة، فهم لا يستطيعون احتمال غلاء المعيشة، ولا قبول أي زيادة مهما كانت قليلة في أثمان بعض حاجياتهم الضرورية كالمنسوجات والسكر.

وتحقيق هذا المشروع ــ ان أصرت عليه الحكومة ــ سيدفعهم إلى السقوط الذي يصعب انتشالهم منه، وهكذا ستسقط مقدرتهم الجبائية، فتشتد أزمة الخلل الواقع في الميزانية عوض أن تنفرج.

على أننا حين نطالب بإبقاء ما كان من نظام الديوانة على ما كان، نستغيث بحكومة جلالتكم، لاتخاذ جميع الوسائل الممكنة، لمقاومة الأزمة التي تهدد يوما فيوما كيان المغاربة الضعاف.

فمن واجب الحكومة السعي لرفع المستوى المعاشي للمغاربة حتى تنمو مقدرتهم على الشراء وعلى الاستهلاك.

ومن واجبها الاهتمام باستثمار المشاريع العامة، والمقدرات الطبيعية، وبالأخص الثروة المعدنية، ونظام الباب المفتوح يساعد على ذلك أحسن مساعدة، إذ يضمن رخاء المعيشة داخل البلاد، وهذا الرخاء يضمن رخص اليد العاملة، ومن المعلوم أن أقدر الدول على إصدار منتوجاتها القومية، هي الدول التي تتمتع صناعتها بيد عاملة رخيصة.

ومن الواجب على الحكومة أيضا حماية المنتوجات المغربية بمنع البضائع التي تجانسها أو تقلدها من الدخول إلى المغرب أيا كان مصدرها، وإيجاد أسواق لترويجها في الخارج، ونلاحظ ان العدالة التجارية تقضي بتخصيص المغاربة الذين يستهلكون أعظم قسط من الواردات الفرنسية، بحق إصدار قسط وافر من منتوجاتهم الخاصة للأسواق الفرنسية.

كما يجب عليها أن تتمم هذه التدابير بتسهيل المبادلات بين مختلف جهات القطر المغربي، وذلك بإلغاء ضرائب الصنك والمكس وبتوحيد السياسة الاقتصادية المتبعة في مناطق المغرب الثلاث.

هذا ما تعتقده الكتلة في تعديل مشروع الديوانة الذي يرى فيه بعض الناس العلاج الناجع اللازم.

أما إذا كان الأصل في المشروع، هو تنمية الموارد الجبائية لضمان التوازن بين داخل وخارج الميزانية العامة، فالأولى ان توجه الحكومة همتها للتخفيف من مصاريفها بمقاومة التبذير، وحذف الادارات الزائدة، والنقص من عدد الوظائف ومن أجور وتعويضات الموظفين، خصوصا الكبار منهم، وإدخال أكبر عدد ممكن من الموظفين المغاربة في سائر الادارات، كما أن استغلال الدولة المغربية للمشاريع العامة والمقدرات الطبيعية، وبالأخص الثروة المعدنية سيزيد في مداخلها.

وإذا كان لابد من إدخال واردات جديدة من الديوانة المغربية، رغما عما سيحدثه ذلك من غلاء في المعيشة فالأيسر رفع القدر المئوي الذي يؤدي على البضائع بنسبة ضعيفة ــ كيفما

كانت مصادر تلك البضائع ـــ فيرتفع ثمن المعيشة بنسبة ما سيزاد في ذلك القدر المئوي عوض ان يرتفع ـــ إذا تحقق المشروع الحالي ـــ ارتفاعا فاحشا والحال أن أعظم من هذه الزيادة، لا تنتفع به الدولة، بل يذهب لفائدة التجار المصدرين، ويخسره ضعاف المستهلكين المغاربة الذين يكونون الأغلبية الساحقة من سكان هذه البلاد.

والحقيقة أن هذا المشروع، إنما لوحظت فيه الفائدة الجبائية والأغراض الاقتصادية لبعض الدول الأجنبية دون أن ينظر إلى عاقبة ما يؤول إليه أمر المغرب والمغاربة.

(ب) مشروع نقل رفاة الماريشال ليوطي بالمغرب

إن موقف المغاربة في هذه القضية الخطيرة معروف من الجميع وعلى الأخص من الأوساط الرسمية.

فلو أن الماريشال ليوطي توفي بالمغرب، لما رأى المغاربة من بأس في أن يقبر بالأرض المغربية، ولكنه توفي بفرنسا بعد أن غادر المغرب سنين عديدة.

وليس القصد هنا نقد سياسته وبيان نتائجها، إنما القصد تنبيه الحكومة إلى ما أحدثه في النفوس من استياء، هذا المشروع، وما يتوقع من مشاكل عظيمة إذا تحقق، في وقت يجب أن تتلافى فيه الحكومة كل الأسباب التي تؤدي إلى سوء التفاهم، أو اشتداد الاستياء العام.

والمغاربة لا يقصدون شخص الماريشال، ولكنهم يعتبرون مغزى نقله من فرنسا إلى المغرب، إذ سيكون رمزا لزمن تاريخي ليس من السياسة التذكير به بمهرجانات غير مرغوب فيها في بلاد كالمغرب، دينها الاسلام، ونظامها نظام حماية يتنافى كل التنافي مع الاحتلال.

وينبغي للحكومة أن تتنبه لما سيحدثه نقل رفاة الماريشال من الاستياء الشديد في سائر العالم الاسلامي لما يراه فيه من مساس بعواطف المسلمين.

ثم إن تنفيذ المشروع، سيكون باعثا على القيام باحتفالات دينية كاثوليكية مهولة، ينبغي لفرنسا أن تتلافاها في بلاد تعهدت بالمحافظة فيها على الروح والمظاهر الاسلامية حتى لا تقع في نفس الأغلاط الفادحة التي ارتكبت بسبب المؤتمر الافخارستي المنعقد بقرطاجنة، والمؤتمر الكاثوليكي المنعقد بفاس سنة 1934 والتي تركت أثرا سيئا في نفوس المسلمين.

وفي الأخير نلفت نظر الحكومة إلى حيثية الماريشال السياسية ستجعل من قبره مزارا تقع فيه مظاهرات مخلة بالأمن العام خصوصا إذا أثارت مظاهرات أخرى من طبقة خاصة من الفرنسيين أو من المغاربة أنفسهم.

على أننا إذا بحثنا عن العلل التي اعتبرت في هذا المشروع لم نجدها تخرج عن اثنين :

1) أما ان المغرب بلاد محتلة، يراد تخليد الماريشال كفاتح لها ونقل رفاته إليها كرمز

لذلك الفتح، ونعترض على هذه النظرية بكون المغرب بلاد حماية، لا يمكن بوجه من الوجوه اعتباره كبلاد احتلال، والقيام ببسط الأمن، وقع فيه طبقا لتعهدات سياسية من المغرب والدول.

وبهذه المناسبة ينبغي التذكير بأن الماريشال ليوطي كان مدى حياته من أشد الخصوم وأصلبهم لتلك النظرية التي تدمج الحماية في سياسة الفتح، فتشكل بهذا ليس فقط انتهاكا خطيرا للمعاهدات الرابطة بين فرنسا في المغرب، وبين الدول الأخرى، بل كذلك لروح المتوفى.

2) الرغبة فقط في تنفيذ وصية الميت، ويمكننا أن نعارض هذا بأنه يجب على الحكومة أن تضع مصلحة فرنسا، فوق المصالح الخاصة مهما كان شأنها، وان لا تترك نفسها تتأثر لدى اتخاذ القرارات الكبرى بالتدبيرات الطائفية أو بالمطامع العائلية.

ومع ما للارادة الأخيرة للميت من احترام واعتبار، فإننا نرى من اللائق أن نشير إلى أن الحكومة الفرنسية لم تعتبر من واجبها أن تحترم الارادة الأخيرة لموتى آخرين.

فيجب على الحكومة الفرنسية أن تتخلى عن نقل رفاة الماريشال خصوصا وان هذا المشروع بالاضافة إلى أنه غير ضروري، مخالف لكل سياسة، وليس من شأنه إلا أن يخل بالنظام العام ويقلق سكينة روح الميت.

(ج) احداث ضريبة على المواريث الاسلامية

أما المشروع الثالث المتعلق بإحداث ضريبة على المواريث الاسلامية والذي احتجت عليه كتلة العمل الوطني فلقد ضاع لي نص الاحتجاج ضمن ما ضاع لي من أوراق في أوقات المحنة، ولذلك فإني أكتفي الآن بالاشارة إليه، وأشير أيضا إلى مراجعة مطالب الشعب المغربي المقدمة للمراجع العليا مغربية وفرنسية، عندما تحدثت عن الضرائب والترتيب طالبت بعدم إحداث أية ضريبة على مواريث المسلمين.

مذكرة احتجاج

رفعتها كتلة العمل الوطني الى صاحب الجلالة مولانا محمد، والى سعادة المقيم العام الفرنسي ووزير الخارجية ورئيس الوزراء على مشروع (تعديل النظام الديواني بالمغرب) ومشروع (نقل رفاة المارشال ليوطي للمغرب) وعلى احداث ضريبة على المواريث الاسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الجلالة والاكبار والمكانة والاعتبار السلطان الافخم والملك الاكرم الشريف العلوي الهمام ناشر الوية السلام وخفاق البنود والاعلام سيدي محمد بن مولاي يوسف نصره الله واطال مدته، واحيا بمنه على طول الدهر دولته آمين.

مولانا صاحب الجلالة :

غير خاف على شريف علم جلالتكم ان كتلة العمل الوطني المغربي قدمت في فاتح شهر دجنبر سنة 1934 لحكومة جلالتكم المؤيدة بالله وللاقامة العامة بالرباط ولوزارة الخارجية الفرنسية بباريز، دفتر المطالب التي تراها ضرورية لإصلاح حالة البلاد، وقد ارادت بتقديمه القيام بعمل بناء ايجابي يساعد على اتباع سياسة انجاز وتعاون بين فرنسا والمغرب.

أصل المذكرة المطبوعة إذذاك

الاحتجاج ضد الاحتفال بالذكرى الثانية للماريشال اليوطي

رغم احتجاج الكتلة على نقل رفاة الماريشال ليوطي فقد أبت الاقامة العامة الفرنسية إلى أن تشيد لمدفنه مكانا قرب الاقامة العامة جعلت له قبة خضراء على الطراز المغربي تشبه القبب التي تبنى للصالحين والأولياء ليقصدها الزوار من الفرنسيين وغيرهم، وبعد مرور سنتين على وفاته قررت الاقامة العامة إقامة ذكرى عظيمة يشارك فيها رجال المخزن والموظفون المغاربة وغيرهم، كما قررت أن تقام احتفالات بهذه المناسبة في مختلف نواحي المغرب.

وما أن علمت كتلة العمل الوطني بما عزمت عليه الاقامة العامة حتى رفعت إلى جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف مذكرة تستنكر فيها إقامة هذه الذكرى وتطالب بمنعها منعا كليا وهذا نص المذكرة المقدَّمة في 24 يوليه 1936 :

مولاي صاحب الجلالة

لقد نشرت الاقامة العامة بلاغا تعلن فيه أنها قررت إقامة ذكرى عظيمة بمناسبة مرور سنتين على وفاة الماريشال ليوطي بالمغرب، وتقول انها رغبة في تشريك المغاربة في هذا المهرجان الكبير، قررت حضور ممثلي المخزن الشريف والموظفين المغاربة كما أوعزت إلى حكام النواحي، ليقوموا باحتفالات في جهات المغرب كلها.

وجلالتكم تعلمون أن هذه المظاهرات التي يريدون إقامتها باسم الماريشال، هي ماسة بكرامة الأمة المغربية ومقدساتها، جارحة لعواطف الشعب المغربي الذي لا يوافق أبدا على أن تكون بلاده مجالا للمظاهرات الاستعمارية الكنيسية.

إن العناصر التي تسعى في هذه الاحتفالات لا تمثل الفكر الفرنسي الحر، وإنما تمثل جماعة من المستعمرين الذين لا يتركون فرصة تمر، دون أن يسيئوا لعواطف سكان البلاد الشرعيين، ويبعثوا في نفوسهم ذكريات لا محل لاثارتها، وجماعة من رجال الكنيسة الذين يريدون استغلال الظروف، في إقامة مظاهرات مسيحية في هذه البلاد الاسلامية، وكل من هؤلاء وأولئك يسيئون للماريشال «ليوطي» وذكراه حيث يخلقون حول اسمه كثيرا من الاعتبارات والرموز التي لا يمكن للأمة المغربية أن تعترف بوجودها.

الحمد لله وحده

24 يوليه 1936

سيدي الاخ الكريم. السلام عليك.

هذا نص المذكرة التي رفعتها «الكتلة» لجلالة مولانا الملك ايده الله بمناسبة احياء الذكرى الثانية للماريشال ليوطي بالمغرب.

مولاي

لقد نشرت الاقامة العامة بلاغا تعلن فيه انها قررت اقامة ذكرى عظيمة بمناسبة مرور سنتين على وفاة الماريشال ليوطي بالمغرب. وتقول انها رغبة في تشريك المغاربة في هذا المهرجان الكبير، قررت حضور ممثلي المخزن الشريف والموظفين المغاربة، كما اوعزت الى حكام النواحي ليقوموا باحتفالات في جهات المغرب كلها.

وجلالتكم تعلمون ان هذه المظاهرات التي يريدون اقامتها باسم الماريشال هي ماسة بكرامة الامة المغربية ومقدساتها، وجارحة لعواطف الشعب المغربي الذي لا يوافق ابدا على أن تكون بلاده مجالا للمظاهرات الاستعمارية الكنيسية.

ان العناصر التي تسعى في هذه الاحتفالات لا تمثل الفكر الفرنسي الحر وانما تمثل جماعة من المستعمرين الذين لا يتركون فرصة تمر دون ان يسيئوا لعواطف سكان البلاد الشرعيين ويحشوا في نفوسهم ذكريات لا تحمل [illegible] وجماعة من رجال الكنيسة الذين يريدون استغلال الظروف في اقامة مظاهرات مسيحية في هذه البلاد الاسلامية. وكل من هؤلاء واولئك يسيئون للماريشال ليوطي وذكراه حيث يخلقون حول اسمه كثيرا من الاعتبارات والرموز التي لا يمكن للامة المغربية ان تعترف بوجودها.

لقد عرفت كتلتنا التدبير الذي يقصد من نقل رفات الماريشال ليوطي للتراب المغربي فاعربت في الاوان المناسب عن احتجاجها الشديد على هذا النقل. وذكرت بالتشويهات التي نراها مكتنفة به. ثم نقل الماريشال واعلن الوزراء الرسميون الذين خطبوا امام جثته ان هذا النقل انما هو [illegible] لوطنه الفقيد وانه ليس وراءه مقصد مسيء. ولكننا اليوم نشهد بعد [illegible] الذي يناقض تلك التصريحات كما يناقض غيرها من العهود والالتزامات الفرنسية [illegible] ان المغرب بلاد اسلامية وقد التزمت فرنسا بمعاهدة الحماية بالمحافظة على مظاهرها الاسلامية. لكن هذا القرار [illegible] العهد الفرنسي خرقا جديدا ويسمح ان تقام في المغرب مظاهرات [illegible] استعمارية ومسيحية ايضا. لقد كان من واجب مولانا [illegible]

أصل المذكرة مكتوبٌ بخط المرحوم محمد اليزيدي

لقد عرفت كتلتنا المدى الذي يقصد من نقل رفاة الماريشال «ليوطي» للتراب المغربي، فأعربت في الابان المناسب عن احتجاجها الشديد على هذا النقل، وذكرت بالتخوفات التي تراها مكتنفة به، ثم نقل الماريشال، وأعلن الوزراء الرسميون الذين خطبوا أمام جثته أن هذا النقل إنما هو تنفيذ لوصية الفقيد وأنه ليس وراءه مقصد مسيء، ولكنا اليوم نشده بهذا القرار المقيمي الذي يناقض تلك التصريحات كما يناقض غيرها من العهود والالتزامات الفرنسية.

إن المغرب بلاد إسلامية، وقد التزمت فرنسا في معاهدة الحماية بالمحافظة على مظاهرها الاسلامية، ولكن هذا القرار، يخرق هذا التعهد الفرنسي خرقا جديدا ويسمح أن تقام في المغرب، مظاهر كاثوليكية، ورموز استعمارية ومسيحية أيضا. لقد كان من واجب هؤلاء المقررين أن يحفظوا على الأقل عواطف المسلمين، وان لا يطلبوا من الموظفين المغاربة مشاركتهم في مثل هذه المواقف التي يعرف الجميع أنه لا يمكن لمغربي ولا لمسلم أن يشارك فيها مخلصا من قلبه، ولكنهم يابون إلا أن يحرجوا موقف الرؤساء المغاربة، حيث يحضرونهم في هذه الاحتفالات ويشهدونهم بما فيهم من قضاة وقواد ووزراء وعلماء الاسلام، صلوات القس في الكنائس، فإذا امتنعوا من الحضور، اتهموا بالعداء للدولة الحامية ورجالها، بل يتجاوزون ذلك إلى التهجم على مقام جلالتكم، إذ يطلبون منكم بعث ممثليكم، ويقدمون لكم في مناسبات غير لائقة الكاردينال فرديي في طريقه إلى السودان، حيث يقوم بتدشين كنيسة جامعة.

إن هذا الموسم الذي سيقام للماريشال في المغرب كله وفي عاصمة ملككم السعيد بصفة ممتازة، لا يسمح بإقامة مثله لواحد من أبطال المغرب ولا لرجله العظيم المولى ادريس الأكبر، وانه سيكون من أكبر الصدمات التي يصدم بها المسلمون في بلادهم، إذ سيكون عنوانا على ما يكنه أصحابه من نوايا للاسلام، ومضارة لأبطاله في هذه الديار.

وفوق هذا فإن هذه الحفلات، ستجعل المغرب مجالا للمناورات بين الأحزاب الفرنسية، إذ أن أكثرية الممثلين بالبرلمان الفرنسي، لا يقبلون السكوت على هذه الاجراءات الرجعية المسيحية، ولا يوافقون على إعطاء هذه الصبغة من القداسة لقبر الماريشال، وربما يؤدي ذلك إلى حدوث وقائع لا مصلحة للمغرب في وجودها، لما فيها من الضرر بالأمن العام الذي كانت المنازعات الحزبية الاسبانية سببا في إصابتها بالمنطقة الخليفية من مملكتكم الشريفة.

وأيضا فإن السلطة ستلزم الكثيرين من أبناء البادية الحضور في الاحتفالات بخيولهم، ومع ما في هذا من جرح العواطف، واثارة النفوس، فإنه سيرغم هؤلاء المساكين على ترك التصفية لمحصولهم الفلاحي في هذا الوقت العصيب الذي تتوالى على شعبكم فيه النكبات الاقتصادية والروحية.

وبناء على هذه الاعتبارات ورعيا لارادة الأمة، فإن كتلة العمل الوطني تتشرف بأن ترفع إلى

سدتكم العلية تخوفاتها الآنفة، طالبة باسم الأمة المغربية من جلالتكم أن تقنعوا الاقامة العامة بتوقيف احتفالها الغير المشروع، وتصدروا أوامركم المطاعة لرجال حكومتكم الشريفة وممثلي جلالتكم في جميع الأنحاء المغربية بالتخلي عن الحضور في هذا الموسم، وعدم العودة للمشاركة في كل ما يمس بكرامة المغرب، ويسيء لشعبكم الكريم، ومقامكم العالي. وتفضلوا يامولاي بقبول أسمى مراسم الطاعة والمحبة لعرشكم المنيف والسلام. (كتلة العمل الوطني)

من هو الماريشال ليوطي ؟



صورة «ليوطي»

يعتبر الماريشال ليوطي المخطط الأول للسياسة الأهلية بالمغرب فلقد درس الحالة بالمغرب دراسة متقنة، واتبع أسلوبا في سياسته نحو الأهالي ماكرا، جعل أغلبية المقيمين الذين تولوا تمثيل فرنسا في المغرب يحاذونه وينسجون على منواله، لقد كان ذكيا أقصى ما يكون الذكاء، واكتسب خبرة في المراكز التي تقلب فيها قبل أن يرد إلى المغرب.

تخرج من مدرسة (سان سير) الحربية الشهيرة والتحق بمدرسة أركان الحربية التي تخرج منها برتبة «ليوتنان» وهناك التحق بالقطر الجزائري الشقيق ليمارس أول نشاطه السياسي والعسكري حيث ترقى إلى رتبة «قبطان» وبعد قضاء فترة بفرنسا التحق ببلاد الهند الصينية بصفته خليفة لرئيس أركان حربية جيش الاحتلال وهناك صارت تظهر مواهبه في مقاومة الحركات التحررية وانتقل بعد ذلك إلى جزيرة مدغسكار حيث قام بأعمال منكرة لقمع الثورة التي قامت ضد الوجود الاستعماري ولوضع مخطط لبسط النفوذ الفرنسي، فاستحق من دولته أن يرتقي إلى رتبة كولونيل.

ولما اشتدت وطأة المقاومة في جنوب عمالة وهران في الجزائر الشقيقة، وخصوصا في «تاريت» و«منقار» استنجد به والي الجزائر الفرنسي «جونار» فالتحق بالجزائر وأسندت له قيادة تراب عين الصفراء، فصار يقوم بالحملات المتوالية ضد المقاومين الذين يدافعون عن حوزة بلادهم، متقدما في اصقاع الصحراء المغربية الجزائرية حتى وصل إلى بشار وإلى أعالي وادي جير وأشرف على منحدر نهر ملوية من الجهة الشرقية، الأمر الذي استحق به من طرف دولته الاستعمارية رتبة «جنرال» ثم في سنة 1906 عين حاكما بالمنطقة العسكرية في مدينة «وهران».

وإثر الأحداث التي وقعت بمدينة «وجدة» واغتيال الطبيب «موشان» وذلك في شهر

مارس عام 1907 أمرته حكومته باختراق التراب المغربي والاستيلاء على مدينة «وجدة» ومنها قصد مدينة الرباط حيث اتصل بالسلطان المولى عبد العزيز، وسلمه رسالة من الحكومة الفرنسية ثم قفل راجعا إلى مدينة «وجدة» حيث قام بهجومات عسكرية قاسية ضد إخواننا اليزناسينيين الذين كانوا اشعلوها حرباً طاحنة ضد الوجود الاستعماري في الحدود المغربية الجزائرية، ولم يستطع اخماد تلك الثورة الوطنية إلا بعد شهور متعددة، وتعين اثر ذلك مفوضا ساميا من الحكومة الفرنسية، في أول نقطة احتلتها فرنسا في ترابنا المغربي، وصار يتابع حملاته الاستعمارية العسكرية في منطقة المغرب الشرقي حتى وصل إلى نهر ملوية نفسه في سنة 1910م وبعد أحداث الدار البيضاء سنة 1907 توجه بأمر من حكومته إلى البيضاء ليساعد الجنرال «داماد» على تثبيت مركز القوة الاستعمارية في بلاد الشاوية.

وعندما قامت مدينة «فاس» بثورتها المشهورة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1912 اختارته حكومته وعينته أول مقيم عام بالمغرب حيث صار يخطط للقضاء على الثورات الوطنية التي اشتعلت في كثير من أنحاء البلاد ضدا على الاحتلال الأجنبي، مثل ما يخطط للسياسة الماكرة التي تضمن الوجود الفرنسي الدائم ببلادنا المغربية.

وهكذا برز اسمه لدى الدوائر العليا بفرنسا، فنال التنويه تلو التنويه من رؤسائه المدنيين والعسكريين وتحدثت عنه الصحافة الفرنسية، كبطل مغوار، وسياسي محنك، وعسكري ماهر.

ولقد كتب عنه مسيو «لوى بارتو» أحد رؤساء الوزارة الفرنسية سابقا في المقدمة التي وضعها للكتاب الذي ألفه مسيو «دورفيل» عن «ليوطي» فكان من جملة ما قال في تلك المقدمة حسب ما نشرته جريدة «الفيغارو» ونقله عنها السيد علي الطرابلسي في كتابه عن «ليوطي» الذي سماه : (سمط اللآلي في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي) والذي نشر فيه كثيرا من خطب ليوطي وتصريحاته في مناسبات مختلفة، والذي أخذنا عنه كثيرا من المعلومات.

قال المسيو «لوى بارتو» : «ان ما لسعادة المشير «ليوطي» من الذكر الخالد، قد اكتسبه من المغرب، أكثر مما اكتسبه من المجمع العلمي الذي هو عضو فيه، لأن الخلود المكتسب من هذا المجمع، إنما هو من المجاز اللفظي فقط، أما خلود البطل الذي ألف هذا الكتاب فيه، فهو حقيقي لا مجازي، والفخر الذي لا يمكن أن ينازعه فيه منازع، هو أن الفوز ما برح حليفا له منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة كرس خلالها نفسه قلبا وقالبا على إنجاز العمل العظيم الذي شرع فيه وعلى تنمية وحماية الايالة الشريفة التي كان ومازال قائما فيها بوظيفة الجندي الباسل، والسياسي الماهر، والاداري المحنك، والمالي المدقق، والمهندس البارع، والمحافظ الأمين، بجميع ما في هذه العبارات من معناها الفني).

هذا المقيم الفرنسي الأول الذي نال كل هذا الثناء هو الذي وطد كما قلنا أركان الاستعمار

الفرنسي ببلادنا بدهائه السياسي من جهة، وبالجيوش الجرارة المزودة بالحديد والنار من جهة أخرى.

لقد كانوا يسمونه بقائد التهدئة، وبالمتوغل الماهر، هاجم المقاومين بقوة الحديد والنار، والمدافع والرشاشات، والمصفحات والطائرات والغازات ثم خاطبهم قائلا في بعض خطبه : «وإني لا علم أن لكم الثقة بعدالتنا وباحترامنا لتقاليدكم وعوائدكم وطرقكم الدينية» ثم زاد قائلا : «إنكم ترون بأعينكم عظيم احترامنا لمساجدكم وشعائركم الدينية، أقول ما أقول لكم الآن. فليبلغ الحاضرون منكم الغائبين، ولاسيما سكان الجبال، الذين ننصحهم ان لا يعيروا أذنا صاغية لأرباب الخوض، وان لا يخدعوا بالاشاعات الكاذبة» ثم يقول في نفس الخطبة : «قد شاهدتمونا نقوم بجلائل الأعمال في ابانها، فها نحن قد طردنا «الهيبة» من مراكش ودخلت جنودنا ظافرة لتادلة وتازة وأخرجنا الزعيم الزياني من خنيفرة، ورغما عن هذا كله، فإن الحرب التي نقابلها بأروبا لم تضعف قوانا أبدا.

ويقول في خطاب آخر : «والوظيفة التي أقوم بها في المغرب، هي : إعانة جلالة السلطان المعظم في المحافظة على ثلاثة أمور : وهي :

1) بناء أساس النظام الذي كان في الاضمحلال.

2) وإصلاح الأمور المتلاشية التي تراكمت على هذه المملكة منذ أجيال.

3) والمواظبة على صيانة الشعائر الدينية، وهذا يتطلب الأمن في كل الأنحاء، والأمن يستدعي القوة التي تحمي سياجه من العتاة والعابثين».

إن الدهاء والمكر وشراء الضمائر الذي سار عليه «ليوطي» في سياسته، جعل بعض الكتاب في ذلك العهد ومنهم علي الطرابلسي رئيس تحرير جريدة السعادة يكتب عن بعض رجال السياسة الفرنسية ومنهم «ليوطي» فيقول : «إن فرنسا أصبحت دولة إسلامية عظيمة يستظل برايتها عدد كثير من المسلمين الذين عرفوا بالتجربة والمعاشرة وطول المخالطة، ان الدولة الفرنسوية الفخيمة، أكثر الدول الأوروبية عطفا على الاسلام وبنيه، وأشدهن حرصا على الاهتمام بمصالح الشعوب الاسلامية المرتبطة بها، برابط الحماية أو بغيره من الروابط السياسية والأدبية) ويقول أيضا : (لا نكون مبالغين إذا قلنا أن سعادة المشير «ليوطي» قد جعل لنفسه شخصية بارزة ممتازة بين جميع أولئك العظماء وذلك بفضل ما أوتيه من المواهب العقلية والمدارك السامية التي مكنته خلال إقامته الطويلة في الأقطار الاسلامية من الوقوف والاطلاع التام على نفسية المسلمين).

لقد كانت السياسة التي سلكها «ليوطي» وجعلت أمثال علي الطرابلسي يصف فرنسا بأنها دولة إسلامية وأكثر الدول عطفا على الاسلام والمسلمين و«ليوطي» بأنه حبيب المسلمين هي سياسة الابتسامة وسياسة كأس الشاي وسياسة وجهوا لي القناطير من السكر أضمن لكم

الآلاف من الجنود وكما كان يقال : إنها سياسة من حديد في قفاز من حرير «لقد اكتسب «ليوطي» حقيقة معرفة بنفسية الشعب المغربي، فاحترم التقاليد المغربية، وتودد للأعيان المغاربة، وخاطب السلطان بما يليق بمقامه من الاحترام وعمل على أن يلم حوله طائفة ولو كانت قليلة — إذذاك من الشباب الذي تلقى تعليمه بالمدارس الفرنسية، وصار يسمع الثناء من الكثيرين الأمر الذي جعله يعتقد أنه صانع المغرب الحديث، وأن مقامه أصبح يضاهي مقام العظماء الفاتحين، ولذلك نراه قبل وفاته — رغم أنه كان مستقرا ببلاده : «فرنسا» — يوصي بأن يدفن بالمغرب، وأن يبنى له ضريح على الشكل والطراز المغربي مثل ما يبنى للصالحين والأولياء والعظماء وأن يكون مكان هذا الضريح بالاقامة العامة التي كان يصدر منها تعاليمه، ويخطط لسياسيته الأهلية، ولقد استجابت السلطات الاستعمارية بفرنسا والمغرب لما وصى به، فقررت نقل جثمانه بعد وفاته إلى المغرب، ودفنه في الضريح الذي أعدوه له، ورغما عن احتجاج الكتلة ضد هذا الدفن الذي يرمز إلى تخليد فاتح استعماري بغيض، فإن الادارة الفرنسية نقلته إلى المغرب ودفنته في المكان المعد لدفنه ولم ينقل جثمانه من المغرب ليدفن بفرنسا إلا بعد ذلك بكثير.

كتلة العمل الوطني تواجه طغيان الجالية الفرنسية

لعل أهم حادث سياسي وقع بعد صدور الظهير البربري (16 ماي 30) هو محاولة الجالية الفرنسية تركيز نفوذها السياسي والاجتماعي والاقتصادي باستيلائها على مقدرات البلاد الاقتصادية، سواء منها في المجال الفلاحي أو التجاري أو الصناعي، وَتحكمها في تقرير السياسة الاقتصادية والاجتماعية، ومراقبتها لميزانية الدولة، كأنها هي صاحبة البلاد.

وإذا كان الأروبيون البيض في افريقيا الجنوبية، متحكمين كل التحكم فيها، غير عابئين بالأغلبية الساحقة من السكان السود أصحاب البلاد الحقيقيين الشرعيين، فإن الجالية الفرنسية بالمغرب أرادت أن تحذو حذو أولئك الأوروبيين في افريقيا الجنوبية، فتتحكم التحكم المطلق في سياسة المغرب الاقتصادية والاجتماعية، وتسخر كل الامكانيات لصالحها وحدها غير آبهة بالمغاربة أصحاب البلاد، والواقع أن مخطط استيلاء الفرنسيين على مقدرات المغرب، وضع منذ بدء الحماية، ولكنه كان يطبق بتدرج، وكانت السياسة الاستعمارية تعمل على تركيز الوجود الفرنسي بكل الوسائل والطرق التي تتيحها لها الظروف، فلقد غمرت المغرب بكثير من الموظفين حتى ارهقوا ميزانية المغرب، فأصبحت الأجور والعلاوات التي يتقاضونها تستغرق أكثر من نصف ميزانية الدولة، الأمر الذي جعل كتلة العمل الوطني تثير مشكل هؤلاء

الموظفين وكثرتهم وانهاكهم لميزانية المغرب في برنامج الاصلاحات المغربية (مطالب الشعب المغربي) وتطالب بإصلاح إداري حقيقي عميق يستغني عن كثرة الموظفين ويقلص اعدادهم لقد كانوا يخلقون الوظيفة من أجل الشخص لا العكس، وأصبحت بلادنا وكأنها مزرعة للموظفين الفرنسيين الذين تجاوز عددهم كل تصور.

ففي تقرير رفعته الكتلة إلى المسؤولين ورد أن عدد سكان المغرب سنة 1930 لا يتجاوز خمسة ملايين نسمة وان عدد الموظفين بلغ ستة عشر ألفا وخمسمائة وواحدا وخمسين موظفا، بينما بلغ في الهند الصينية ستة آلاف موظف، وعدد السكان عشرون مليون نسمة.

هذه الكثرة الكثيرة من الموظفين الفرنسيين، والتي كانت تعتبر من أكبر المشاكل التي ترهق ميزانية المغرب، جعلت المقيم العام الفرنسي (بونصو) وقد كان يختلف عن المقيمين العامين السابقين : (ستيغ، ولوسيان سان) جعلته يقدر خطورة الوضع فيقرر سياسة تخفيض الأجور، لعله يتغلب على الارهاق التي تعاني منه ميزانية المغرب، فثارت ثائرة الموظفين ضده، وأقاموا عليه الدنيا ولم يقعدوها كما سنتحدث عنه.

وبالاضافة إلى كثرة الموظفين الذين كانت تتكون منهم الجالية الفرنسية كان هناك المعمرون الذي استولوا بكل الطرق على الأراضي الخصبة وصاروا يستغلونها لصالحهم وحدهم، كما كان هناك أرباب رؤوس الأموال من التجار وأرباب المعامل الصناعية الذين استحوذوا كل الاستحواذ على مقدرات بلادنا الصناعية والتجارية.

وكل هؤلاء الفرنسيين كانت لهم تنظيمات سياسية واقتصادية، فلقد كانوا منخرطين في أحزاب سياسية فرنسية تشد أزرهم، وتدافع عن مصالحهم، وكانت لهم غرف فلاحية وتجارية وصناعية تدافع بدورها عن مصالحهم، وكانت لهم جرائد يعبرون من خلالها عن آرائهم ومطالبهم، وبالاضافة إلى ذلك كله كان لهم مجلس شوري أطلق عليه مجلس شوري الحكومة، وكنا نطلق عليه مجلس شوري المقيم، وهذا المجلس الشوري كان يمثل الجالية الفرنسية بأجمعها على الصعيد المركزي، وكان الذي أنشأه هو المقيم العام الفرنسي الأول (ليوطي) سنة 1919، وكان المقصود من إنشائه ظاهريا هو استشارة أعضائه، وبالأخص في القضايا المهنية والاقتصادية. وعمليا إعطاؤه صلاحيات التقرير والتوجيه في نفس القضايا.

كان هذا المجلس يمثل ثلاثة أعمدة : عمود الفلاحين (المعمرين) وعمود أرباب التجارة والصناعة (الفرنسيين) والعمود الثالث أو الكتلة الثالثة، هم الفرنسيون الذين لا تمثيل لهم لا في الفلاحة ولا في التجارة والصناعة.

من هؤلاء الأقسام الثلاثة كان يتكون مجلس شوري الحكومة (المقيم) والذي كان أعضاؤه ينتخبون انتخابا حرا، سواء منهم الفلاحون أو غيرهم.

دام اجتماع هذا المجلس الشوري منذ تكون سنة 1919، وكان أعضاؤه يستمعون إلى التقارير التي تلقى عليهم من طرف المسؤولين الفرنسيين في كل قطاعات الدولة ليناقشوها ويوجهوها حسب مصالحهم، غير معيرين للمصالح المغربية أي اهتمام، وكانت تطول اجتماعاته الأيام العديدة المتوالية، حتى إذا أنهى أشغاله واتخذ القرارات النهائية هناك يدعى مجلس مغربي كان ملحقا به ويحضره بعض المغاربة الذين يعينون من طرف الاقامة العامة الفرنسية ليصادق على ما قرره الفرنسيون ولا يدوم اجتماعه إلا يوما واحداً.

خلاف بين المقيم العام «بونصو» وبين أعضاء مجلس شورى المقيم



المقيم العام هنري بونصو

في شهر دجنبر 1935 وبعد مضي عام كامل على تقديمنا لبرنامج الاصلاحات المغربية (مطالب الشعب المغربي) حدث خلاف بين أعضاء مجلس شوري المقيم وبين المقيم العام الفرنسي (بونصو) وذلك لدى اجتماع لجنة الميزانية التي ترأسها الكاتب العام للحماية وابتدأ الخلاف لدى مناقشة مشروع الميزانية (ميزانية 1936) حيث احتج ممثلوا الغرف الفلاحية والتجارية على صدور مراسيم تتعلق بمسائل النقل والضرائب على السيارات ثم قام ممثلوا القسم الثالث ليعلنوا رفضهم المطلق لتقرير الميزانية ويطالبوا بالحقوق الديموقراطية مؤكدين رفضهم للتعاون مع الاقامة العامة التي تتخذ قرارات تتعلق بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية دون أن يعطوا رأيهم ويقرروها معا، مطالبين بمايلي :

أولا : جمع المجالس العليا للتجارة والفلاحة وعرض كل مشروع تشريعي له علاقة بالتجارة والفلاحة عليها.

ثانيا : احداث مجلس أعلى للقسم الثالث الانتخابي مثل ما هو واقع في التجارة والفلاحة وإعطاؤه الصلاحية التي للقسمين الآخرين.

ثالثا : أن تعرض على مجلس شوري المقيم جميع التشريعات التي لا تتعلق بالسياسة العامة والسيادة وكذلك جميع القضايا التي أخرت المجالس العليا درسها.

رابعا : (وهو المهم) إعطاء مجلس الشوري (الفرنسي) بدل حق الاستشارة الذي كانت له، حق التقرير في كل ما يتعلق بالميزانية باستثناء بعض الفصول المتعلقة بالمصروفات السياسية والسيادة.

لقد اهتمت الصحافة الفرنسية المعبرة عن رأي الجالية الفرنسية بهذا الخلاف الذي حدث بين الاقامة العامة الفرنسية وبين أعضاء الجالية الفرنسية الممثلين في مجلس شوري المقيم، وكتبت التعاليق في موضوع الخلاف، وكان أعضاء كتلة العمل الوطني يتابعون هذه القضية بكل اهتمام ليستنتجوا أن الجالية الفرنسية تعتبر نفسها صاحبة البلاد، وكأن المغاربة أصحاب البلاد الشرعيين لا وجود لهم، ولا اعتبار لرأيهم سواء منهم الممثلون ولو اسميا فيما يسمى بمجلس الشوري أو غيرهم بل حتى رجال المخزن الذين يجتمعون تحت رئاسة الصدر الأعظم يعتبرون كمية مهملة لاصلاحية لها ولا حاجة لاستشارتها وأخذ رأيها.

تابعت الكتلة دراسة الموقف في جلسات متتابعة، وقررت أن تتحمل مسؤوليتها في الدفاع عن مصالح المغرب العليا، ومناهضة السياسة الاستعمارية التي يود أعضاء الجالية الفرنسية تثبيتها وفرضها، ولما كان المغرب والمغاربة محرومين من حرية الصحافة ـــ بعد منع جريدة «عمل الشعب» و«الحياة» و«مغرب» فقد لجأت الكتلة إلى وسيلة البيانات والنشرات والبرقيات والمذاكرات لترفع عقيرتها بالاحتجاج ضد هذه السياسة التي تهدف إليها الجالية الفرنسية، وضد إعطاء أي حق للجالية الفرنسية لتقرر في السياسة الاقتصادية أو غيرها كما تشاء.

ومن جملة البرقيات والمذاكرات التي رفعتها الكتلة في الموضوع البرقية التالية : (إن كتلة العمل الوطني : حيث ان الشعب المغربي يعاني استياء عميقا ماديا ومعنويا، وحيث ان دوائر الاقامة تبرهن على قصور وعجز إزاء احتياجات هذا الشعب مع إرهاقها له بأثقال من الضرائب وحيث ان الممثلين بمجلس شوري الحكومة الذين لا ينوبون في الحقيقة إلا عن أقلية أوروبية ضئيلة، ليس لهم أي حق في التحدث باسم الشعب المغربي، وحيث ان العنصر الأوروبي في بلاد الحماية يجب في أي حال من الأحوال أن لا يشارك في تدبير الشؤون العامة، وإنما يترك للإقامة العامة وحدها مهمة السهر على مصالحه بطريقة إدرية لا غير، فإنها تعبر عن الملتمس الآتي :

1) ان يلغي تماما مجلس شوري الحكومة الراهن.

2) ان يعطي الشعب المغربي حق انتخاب نوابه للدفاع عن مصالحهم وقضيته.

وقررت الكتلة ان ترفع جميع فروعها مذكرات وبرقيات في نفس الموضوع. وهكذا رفعنا من مدينة «سلا» هذه المذكرة إلى جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس بعدما وقع عليها جمهور السكان العريض. وهذه المذكرة مكتوبة بخط الفقيه العلامة المفتي السيد أبو بكر زنيبر ومن إنشائه وهذا نصها :

مذكرة مدينة «سلا» في المطالبة بحل مجلس شوري المقيم

سيدنا الامام، حامل راية الاسلام، وفخر الملوك العظام، تاج المفرق، وحجة المغرب على

صورة العريضة المقدمة إلى جلالة سيدي محمد بن يوسف والتي يطالب سكان مدينة «سلا» بحل مجالس الهيآت الفرنسية الممثلة في مجلس ماكان يسمى بمجلس شورى الحكومة.

المشرق، السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان سيدي محمد، أعلى الله مقامه ونصر راياته واعلامه، وسلام كريم، طيب برعميم يخص الجناب العالي بالله.

سيدي، نحن خدّام أعتابكم، واللائذين بجنابكم، سكان مدينة «سلا» أهل الطاعة والمحبة لسدتكم العلية، علماء وأشرافا وأعيانا، نرفع لمقامكم العالي بالله، ما ألم بنا من القلق والانزعاج، مما يحاوله الطماعون الأجانب، أعضاء الهيأة الاستشارية الفرنسية الذين يرمون بحركتهم إلى التنقيص من نفوذ جلالتكم ونقل التقرير والتشريع والمراقبة من يد أصحابها، والاستئثار بها لأنفسهم.

ولما في ذلك من الخطر العظيم على حقوق عرشكم المفدي ورعيتكم، فإننا نرجو من مولانا الامام أدام الله عزه، ان يعمل على تحقيق رغبة رعيته، المتفانية في محبته، بأن يأمر بحل تلك الهيآت الممثلة في مجلس شوري الحكومة، والاستعاضة عنها بمجالس شورية مغربية، مستمدة من مطالبنا التي نؤكد بهذه المناسبة شدة تعلقنا بها، وتشوقنا إلى إجراء العمل بها، وإنا ياصاحب الجلالة والسمو، لنا الرغبة والأمل في إرادتكم السنية، وعلى كامل الطاعة والمحبة والتعلق بأذيالكم.

والسلام

ثم التوقيعات

وحرصا من كتلة العمل الوطني على أن تطلع مختلف طبقات الشعب المغربي على ما يجري ضد مصالحه من طرف الجالية الفرنسية، قررت أن تصدر بيانات متتباعة، توضح فيها ما تطمح إليه الجالية المذكورة من غصْب لحقوق المغرب وتقرير في شؤونه، واضعاف لسيادته.

لقد كانت هذه البيانات تكتب وتحرر بمنزل الأخ محمد اليزيدي الكائن بزنقة سيدي قاسم ببوقرون بالرباط، ثم يخرج منها بواسطة المكررة العدد العديد من النسخ، وكان الذي يشرف عليها وعلى إخراجها هو المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل وكنت آخذ القدر الذي نحتاجه من النسخ من يد الأخ محمد اليزيدي لنوزعه، على بعض الأعضاء والعاطفين على حركتنا من الشيوخ والشباب، وفي طليعة الذين كان نمكنهم من هذه البيانات العلامة السيد أبو بكر زنيبر المذكور سالفا ومؤرخ الدولة الكبير السيد محمد بن علي الدكالي ورئيس النادي الأدبي الاسلامي إذذاك السيد عبد الكريم بوعلو وغيرهم.

وحتى لا تقع علينا مسؤولية توزيع نشرات بدون إذن إداري كانت البيانات توضع في صورة رسائل موجهة إلى إخوة خاصين، وتبتدئ هكذا : أيها الأخ الكريم :

لقد بلغ عدد البيانات المتعلقة بهذا الموضوع سبعة بيانات لازالت أحتفظ بها جميعها بدوري مثل ما احتفظ بها غيري من الاخوة.

وحتى أعطي فكرة عن هذه البيانات، اثبت هنا ملخصا مقتضبا عنها نظرا لطولها.

«البيان الأول»

فالبيان الأول يشير إلى (أن الغرف التجارية والفلاحية وأعضاء القسم الانتخابي الثالث قرروا بالإجماع عدم التعاون مع الحكومة (حكومة المقيم العام) معلنين احتجاجهم على سياسة الميزانية وسياسة الادارة نحوهم، فهم يقولون : ان اتخاذ الحكومة لقرارات مهمة تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية دون عرض سابق عليهم يدل على أنها تنوي الاستغناء عن مشاركتهم في اللجان والمجالس ولذلك هم يطلبون :

أولا : جمع المجالس العليا (الفرنسية) للتجارة والفلاحة في أوقات معينة، وعرض كل مشروع تشريعي له علاقة بالتجارة والفلاحة على الهيأة المختصة. .

ثانيا : إحداث مجلس أعلى للقسم الانتخابي الثالث مثلما هو واقع للتجارة والفلاحة مع إعطائه ما لغيره من الحقوق والاختصاصات.

ثالثا : أن يحتمع مجلس شوري الحكومة، مرة في كل ثلاثة أشهر بعد اجتماعات المجالس العليا، وان تعرض على المجلس جميع المشروعات التشريعية التي لا تتعلق بالسياسة الغامة والسيادة وكذلك جميع القضايا التي أخرت المجالس العليا درسها.

رابعا : إعطاء مجلس شوري الحكومة (الفرنسي) بدل حق الاستشارة الذي له الآن، حق التقرير في كل ما يتعلق بالميزانية باستثناء بعض الفصول المتعلقة بمصاريف السياسة والسيادة مع إصلاح كبير لقواعد التمثيل داخل المجلس.

وغير خاف أن وجود هذه المجالس التي يستقل بالعمل فيها الفرنسيون متناسين وجود سكان البلاد الأصليين وحقوقهم، غير قانوني ولا يتفق مع روح الحماية، ولا مع المعاهدات والالتزامات الصريحة التي سجلتها حكومة الجمهورية الفرنسية على نفسها، ثم يقول البيان الأول :

لكل ذلك رأينا من الواجب أن نرفع للدوائر الرسمية هنا وفي باريس صوت الشعب المغربي، مستنكرين سلوك هؤلاء الخارجين عن جادة الانصاف، فرفعنا عدة برقيات ورسائل لكل من جلالة مولانا الملك وسعادة المقيم العام وفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية وسعادة وزير الخارجية (الفرنسي) ورئيسي لجنتي الأمور الخارجية في مجلس الشيوخ والنواب، تتضمن احتجاج الكتلة باسم الشعب المغربي على الحركة الباطلة التي يقوم بها أولئك المنشقون والتي من شأنها أن تقوي السياسة العنصرية المتبعة في البلاد، تلك السياسة التي تهمل الشعب

المغربي وهو يؤدي أعظم قسط من الميزانية، دُون أن يستفيد من ورائها إلا بكيفية ضعيفة أو بصفة غير مباشرة، كما طلبت الكتلة في تلك المكاتيب، ابطال المجالس المشار لها، وتكليف الادارة الفرنسية بحماية المصالح المشروعة التي للجالية الأوروبية بكيفية تتفق مع المعاهدات ومبادئ الحماية القانونية الصرفة، واقترحت تزويد الشعب المغربي بنظام استشاري من سائر الدرجات.

«البيـــان الثانـــي»

وجاء في البيان الثاني : نشرت الصحف بتاريخ 15 يناير الجاري كتابا من الاقامة العامة يحتوي على عرض المسائل الخلافية في وضعيتها الحاضرة، مع تذكير المحتجين بالأعمال التي قامت بها الادارة خلال 1935 في سبيل الجالية الفرنسية، ثم خاطبهم سعادة المقيم العام قائلا : بأن المسائل التي أثيرت حول وسائل العمل والتعاون، كإعطائهم حق التقرير والاستشارة السابقة في قضايا التشريع، لا يمكن أن تكون هي أساس مطالبهم، إذ سبب هذا الخلاف هو عدم سماع الايضاحات المتعلقة بأعمال الحكومة، ثم زاد قائلا : ان تطور الاقتصاد المغربي يجب أن يكون منظما على أساس اعتبار أن في البلاد عنصرين، كلاهما جدير بالاحترام، لكنهما لا يسيران بخطى واحدة. ثم يقول تقرير المقيم : انه لا يمكن في الظروف الحاضرة، ونظرا للحالة التي وصل إليها المغرب من حيث النمو الاقتصادي والاجتماعي التفكير في أي تغيير عميق لنظام المجالس، خصوصا بإعطائها حق التقرير والاستشارة الاجبارية في مادتي التشريع والتنظيم لأن هذا الأمر لا يتفق الآن مع الشروط اللازمة لسير الحماية وقال التقرير : ان الاقامة العامة ترغب في تحقيق العدالة مع الجميع كما أنها ترغب في أن لا تقدم لجلالة السلطان من أجل الموافقة الا ظهائر (مراسيم) تامة الدراسة، لوحظت فيها جميع المصالح وليست تلك المصالح كلها ممثلة الآن في المجالس الحكومية، ثم عرض جناب المقيم العام كل ما يقترحه من تعديلات على سير المجالس الفرنسية فيما يرجع لاختصاصاتها ومواعد اجتماعاتها، وتلك المجالس هي : (مجلس شوري الحكومة) لجنة الميزانية، اللجنة المالية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية، والمجالس الادارية لمكتب العائلات العديدة، ومكتب قدماء المحاربين، والاتحاد النقابي للمعادن، والمجلس الأعلى للاسعاف الخاص والاحسان، والمجالس العليا للفلاحة والتجارة، ولجنة الترتيب، والمجالس الادارية للفوسفاط، ومكتب المعادن.

ولقد علق بيان الكتلة على كل هذا بقوله : ورغما عن كون الاقامة أقرت هذه المجالس المخالفة لروح الحماية، والتي لا يسمع فيها صوت للشعب المغربي ورغما عن كونها عرضت على النواب المنسحبين الرجوع إلى التعاون معها، ووعدتهم بوعود طائلة، فإن هؤلاء النواب أعرضوا عن دعوتها وكتبوا الجواب الذي نشرته الصحف بتاريخ 17 الجاري.

«البيـــان الثالـــث»

وجاء في البيان الثالث المؤرخ بـ 13 ذي القعدة 1354 الموافق لـ 7 يبراير 1936 مايلي : بعد أن أعلن المندوبون انسحابهم من مجلس الحكومة أخذ أعضاء الغرف التجارية والفلاحية يستعفون من وظيفتهم، الجماعة بعد الأخرى بطريقة منظمة، كأنهم كانوا متفقين مع مندوبيهم على خطة مقررة، ولاشك أن غرض جميعهم من هذه المظاهرات هو التأثير على حكومتي المغرب وباريز وعلى الرأي العام، لكي ينالوا بغيتهم، وبغيتهم كما قلنا في بياننا السابق، هي الاستئثار بخيرات المغرب دون أهله، هي التصرف في مالية المغرب، وفرض الضرائب وتوزيع مداخيلها حسب مصالحهم وشهواتهم، هي تقرير للظهائر والقرارات المخزنية حتى لا يبقى للسلطان والصدر الأعظم إلا الامضاء، وهم يعملون بحزم ونشاط داخل المغرب وخارجه لهذه الغاية.

أما في باريز فإن لجنة المستعمرات التي كنا أشرنا إليها في بيان آخر قد اجتمعت يوم 22 يناير، واستمعت للنائب «رولان» الذي طالما دافع عن نظرية المحتجين أمام لجنة الأمور الخارجية بمجلس النواب وقد أدلى أخيرا في مصلحتهم بحجة يخجل لسماعها كل عاقل، فقال : يجب أن ترضى الجالية الفرنسية بالمغرب لكي يزول الخلاف الذي بينها وبين الاقامة العامة، لأن في هذا الخلاف مظهرا غير لائق، أمام السلطان والمخزن وأمام المغاربة والجاليات الأجنبية الأخرى، ثم يقول البيان : وأما كتلتنا فقد رفعت إلى اللجان المختصة بمجلس الشيوخ والنواب، رسالة أجملت فيها بيان الموقف الحاضر، وأوضحت فيها الحالة التي وصل إليها المغاربة من البؤس والشقاء، مستدلة بأمثلة عديدة، وشواهد لا تقبل التكذيب، وذكرت كيف أن كثيراً من الصناع والعملة والفلاحين المغاربة، أصبحوا لا يستطيعون إيجاد ما يتعيشون به، في حين أنهم يؤدون القسط الأعظم من الضرائب الحكومية التي لا يستشارون في وضعها، ولا يعتبر لهم صوت في صرفها، ثم فندت الكتلة النيابية التي يزعمها هؤلاء لأنفسهم عن المغرب...

وبالجملة فقد عرفت الكتلة لتلك اللجان كيف أنهُ لا يمكن أن تجمع الجالية الفرنسية بالمغرب بين الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون في بلادهم، وبين الحقوق التي هي من قبيل الامتيازات الخاصة بالجنسية المغربية، ثم ذكرت أخيرا أن اللجاج والتهديد لا يقبلان كحجة لسلب الأمة المغربية أي حق من حقوقها الطبيعية.

«البيـــان الرابـــع»

وتحدث البيان الرابع عن الاجتماع الذي عقده المحاربون المنتسبون للجمهورية والذي طالبوا

فيه بقلب نظام مجلس شوري الحكومة وإعطاء الجالية الفرنسية حق الانتخاب الحر الموحد، وإحداث صندوق للعاطلين الفرنسيين من أجل اسعافهم.

كما تحدث عن مؤتمر الحزب الراديكالي الفرنسي بالمغرب الذي قرر مساندة البرنامج الذي وضعته الجالية الفرنسية قائلا : إن ذلك أقل ما يمكن أن تطالب به الجالية الفرنسية في هذه البلاد.

وأمام هذا التكتل الذي وقفه الفرنسيون على اختلاف طبقاتهم رفعت الكتلة برقية للمقيم العام ورئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ورؤساء اللجان المختصة بمجلس النواب والشيوخ جاء فيها :

«بمناسبة تأليف الوزارة الجديدة وحلول المقيم العام بباريز مع النواب الثلاثة عن الهيآت الممثلة في المجالس ترى كتلة العمل الوطني واجبا عليها أن تعيد التأكيد بجميع وثائقها التي تعرض نظر الشعب المغربي إزاء الخلاف القائم بين الادارة وتلك المجالس، وبما أنها ترى في إنشاء مجالس فرنسية منتخبة، مخالفة صريحة لنص معاهدة (الحماية) لفظا ومعنى، فهي تطالب بابطال تلك المجالس وإحداث نظام شوري يعطي للمغاربة حق المشاركة في تدبير شؤون بلادهم الخاصة.

والكتلة ترى من المناسب أن توجه نظركم إلى أن إعطاء حق التقرير والاستشارة التشريعية الاجبارية لمجلس شوري الحكومة الفرنسي سيزيد في خطورة النظام التمثيلي الموجود، وسيعتبره الشعب المغربي، أشأم من السياسة البربرية التي ترجع لتطبيق بعض الظهائر، في حين أن تلك المطالب الفرنسية ترمي إلى نقل السلطة التشريعية والمراقبة الدائمة في تسيير الشؤون العامة وإعطائها للجالية الفرنسية».

ثم إن كتلتنا لم تقف عند هذا الحد من إرسال البرقيات والمذكرات بل قررت أن ترفع لجلالة الملك رسالة مستفيضة في الموضوع فاجتمع أعضاؤها بالرباط يوم الجمعة 13 ذي القعدة، وقصدوا القصر السلطاني العامر قبيل الزوال، فاقتبلهم سعادة الصدر الأعظم اقتبالا لائقا، وسمح لهم بعد أن استلم الكتاب ـــ ببسط القضية أمامه وهكذا استطاع أعضاء الكتلة أن يبلغوه مخاوفهم من هذه الحركة التي ترمي إلى تقليم نفوذ العرش المغربي، وإلى مس الحقوق التي تحفظها معاهدات «الحماية» للأمة المغربية، إذ أن بلادنا ليست مستعمرة حتى تكون السيادة فيها لغير أهلها بل إنها بلاد حماية، تحتفظ بسيادتها وبحق تدبير شؤونها، ولا يجوز للجالية الفرنسية أن تتولى فيها التشريع والتقرير بوجه من الوجوه.

رسالة إلى جلالة الملك محمد الخامس

إلى صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس نصره الله وخلد ملكه، مولانا !
ان جلالتكم تعلمون الغاية التي يرمي إليها نواب السكان الفرنسيين (مجلس شوري الحكومة) حين فكروا في الانسحاب من المجلس، والقيام بدعاية واسعة النطاق، لتحقيق مالهم من مطامح ومطامع، انهم لم يكتفوا بما هم عليه من الاستئثار دون المغاربة بالاستشارة في الشؤون العامة، بل أرادوا أن يصبح لهم حق التقرير والمراقبة في جميع الشؤون الحيوية في البلاد، بمعنى أنهم يعملون لأن تكون لهم مجالس ذات صبغة برلمانية، يعطون فيها حق الاقتراح والمناقشة والتقرير، ثم فرض مقرراتهم على الحكومة الشريفة، ورعاياها، المغاربة، كما يخول لهم فيها حق الاستشارة السابقة من طرف الحكومة ورؤساء مصالحها مع اعتبار الكلمة النهائية لهم في جميع المعروضات.

وجلالتكم عارفة يامولاي، ان هذه الحالة الشاذة التي يطلبونها تخرج بالمغرب عن نظامه الذاتي، وتعرض حقوقنا ومصالحنا القومية وما للعرش المغربي الكريم من اختصاص بالنفوذ إلى خطر كبير، فهي تعطي لهذه الفئة من الفرنسيين الساكنين بالمغرب الحق في أن يحكموا أبناءه وذويه حكما مباشرا لا معقب له، وهذا كله مناقض كامل المناقضة لشروط الحماية ومهمتها.

إن الحماية كعقد من طرف جلالة الملك مع الحكومة الفرنسية يلتزم فيه الطرف الثاني صراحة بمساعدة المغرب على تسيير شؤونه، تجعل علاقة هذه الحماية مع الحكومة المغربية مقصورة في الحكومة الفرنسية بواسطة ممثليها.

وبناء على هذا فكل تشكيل نيابي يخص الجالية الفرنسية أو يعمها وغيرها، هو مناف تمام المنافاة للحماية.

لذلك رأت كتلة العمل الوطني أن تعلن في مطالب الشعب المغربي مستندة على أعظم العهود والالتزامات الناتجة عن المعاهدات وعن تصريحات الحكومة الفرنسية وممثليها الرسميين في المغرب، ضرورة إلغاء المجالس الفرنسية، والسماح بتكوين مجالس وطنية، خاصة بالرعايا المغاربة، مسلمين وإسرائليين.

ولما قام نواب الفرنسيين بحركتهم الاحتجاجية، أدركت كتلتنا سريعا كل مدى أعمالهم، فأرسلت يوم 14 و18 دجنبر (1935) عدة برقيات لجلالتكم وللمقيم العام ولرئاستي الجمهورية والوزارة، ووزارة الخارجية الفرنسية، وللجنتي الأمور الخارجية بالبرلمان، تحتج فيها على ما جرى وتطالب بتشكيل لجنة مركبة من مغاربة وبعض رجال الادارة لدراسة وسائل تطبيق

مطالب الشعب المغربي، ثم رفعت يوم 8 يناير 1936 للمسيو (كوندي) الذي قدم للمغرب كمفتش للحركة التي يقوم بها أولئك النواب ــ ملفا من جملة ما اشتمل عليه تقرير ضاف يرد الحقيقة إلى نصابها، وقد اسمعت الكتلة صوت المغرب في برقية رفعتها في 17 يناير لكل الهيآت البرلمانية التي اجتمعت لدراسة الموضوع، ولما أعلن أولئك المحتجون برنامجهم الاقتصادي والاجتماعي، درسته الكتلة بعناية واهتمام، ولاحظت كل ما ينم عنه من رغبة في استيلاء أصحابه على زمام الشؤون المغربية، مع ما فيه من عبث بحقوق المغرب وتجاهل لأبنائه البائسين، ثم أعقبت تلك البرقية في 27 منه بكتاب مجمل للحالة التي وصل إليها المغاربة في البؤس والشقاء، قدمته للجنتي الأمور الخارجية بمجلسي النواب والشيوخ، ولجنة المستعمرات وبلاد الحماية بالبرلمان، وهكذا وجهت النداء للضمير الفرنسي شارحة كيف أن مطامح هؤلاء النواب، ترمي إلى احتكار التدبير والسيادة لفائدة طائفة تعمل على استغلال الضعفاء، واستنزاف مالية الشعب المغربي المسكين، وقد طلبت الكتلة من جديد، ايفاد لجنة برلمانية للبحث في حقيقة الحال، وقبول نوابنا ليعبروا عن النظر الذي يتشبث بها الشعب المغربي إزاء المسألة القائمة، وكتلة العمل الوطني ترفع لجلالتكم مخاوفها على حقوق وطننا المغربي، وحقوق جلالتكم في المهاجمة من طرف هذه الفئة التي ما فتئت تثير الأفكار بأعمالها.

وهي توجه نظر جلالتكم إلى أن الأمة المغربية أخذت تعتبر تنفيذ مطامع المحتجين الفرنسيين مسألة أشد خطورة من القضية البربرية ذلك لأن تلك نتجت عن تطبيق بعض الظهائر، وهذه المطالب ترمي إلى تمليك الجالية الفرنسية، حق وضع الظهائر والقرارات والتصرف في جميع الميسائل المغربية.

وإنا لنلتمس من جلالتكم ــ باسم الشعب المغربي ــ ان تحافظوا على كامل حقوق المغرب وعرشه الشريف، وان تأمروا بوضع حد لهذه المهاجمات التي لا مبرر لها، وذلك بالعمل على حل المجالس الغير المشروعة، وإعطاء الشعب المغربي مجالس وطنية، ذات نظام مستمد من مطالبه التي قدمناها منذ أكثر من أربعة عشر شهرا.

لازلتم ذخرا للمغرب، وحرزا أمينا لحقوقه وعلى الطاعة الدائمة والسلام.

في 15 ذي القعدة 1354 ــ 7 يبراير 1936

(كتلة العمل الوطني)

«البيـــان الخامـــس»

وزع البيان الخامس في 24 ذي القعدة عام 1354هـ فبراير 1936 وهو مكتوب بخط الأخ محمد اليزيدي، ويتعرض إلى الاجتماع الذي عقده قدماء الجالية الفرنسية الذي يسمون أنفسهم «قدماء المغاربة» والنداء الذي وجهوه إلى الحكومة الفرنسية محتجين على تصرف الاقامة العامة معهم، مطالبين بتغيير السياسة المغربية تغييرا كليا وانهم عازمون على الدفاع عن نفوذ فرنسا وتراثها (كذا) في المغرب سائلين من الحكومة الفرنسية أن تتولى الدفاع عن هذا النفوذ في الاقتصاد وغيره، حتى ترتكز مكانة الجالية الفرنسية، لأن الفرنسيين هم الذين فتحوا المغرب بجهودهم، وفي نيتهم أن يخلفوه ميراثا لأبنائهم.

كما يتعرض البيان للاجتماع الذي عقده اتحاد غرف النقابات المشتمل على ستة وثلاثين نقابة تعاونية لمختلف أصحاب المهن الفرنسية والذي قرروا فيه الاحتجاج على عدم إرْضائهم فيما يطلبون، مطالبين بتنظيم العلاقات التعاونية بين الحكومة وبين النقابات الاقتصادية والصناعية، ولقد كانت الصحافة الفرنسية بالمغرب تؤيد التأييد المطلق ما يطالب به هؤلاء وأولئك.

ويتعرض البيان لمواقف الدوائر الفرنسية بباريز لما يقوم به هؤلاء من نشاط، فيشير إلى اجتماع لجنة افريقيا الشمالية التي هي فرع عن لجنة المستعمرات وبلاد الحماية والذي استمعت فيه إلى مبعوثي الهيآت الممثلة في المجالس بالمغرب وهم : رئيس الغرفة التجارية الفرنسية بالقنيطرة ورئيس الغرفة الفلاحية الفرنسية بالدارالبيضاء ورئيس الأتحاد الراديكالي الاشتراكي بالدارالبيضاء أيضا، وبعد أن استمعت اللجنة لبياناتهم قررت أن ترفع بذلك تقريرا للجنة العليا.

وفي يوم 11 منه (فبراير) اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب وحضر فيها وزير الخارجية، فأجاب عن عدة أسئلة وجهت إليه من أفراد كثيرين من بينهم صديقنا المسيو دوطيسان وصديقنا المسيو جان لونكي. ثم قام النائب رولان الذي يدافع عن نظرية المحتجين الفرنسيين وطلب من الوزير أن يعرف اللجنة بالموقف الذي اتخذته الحكومة الفرنسية إزاء الخلاف القائم منذ شهرين ونصف، فأجابه الوزير بأنه ليس في استطاعته أن يجيب عن هذا السؤال، لأنه يفكر في ربط حوادث المغرب وحوادث سوريا بالحلول التي ستعطي لمشاكل افريقيا الشمالية والبحر المتوسط.

وفي يوم 13 منه اجتمعت لجنة المستعمرات وبلاد الحماية، وكان من جملة الحاضرين فيها المقيم العام (بونصو) الذي تكلم مدّة ساعتين عرض فيهما الحالة الاقتصادية والسياسية وشرح الحجج التي تستند إليها الاقامة العامة في مواقفها إزاء مطالب المجالس الفرنسية،

ويقول البلاغ الرسمي الصادر عن هذا الاجتماع أن عدة صعوبات ومشاكل تعترض المغرب في طريقه، وكل هذه المشاكل ناتجة عن الأزمة الشديدة فيه، خصوصا وان فرنسا لم تساعد المغرب في مطالبه الاقتصادية، ثم أبدى المقيم أسفه على حدوث هذا الخلاف بينه وبين ممثلي الجالية الفرنسية وعلى كونه تفاحش حتى وصل إلى البرلمان، الأمر الذي صعب عليه مهمته في بلاد الحماية التي يجب أن يعتبر فيها رأي الأوساط الوطنية إلى أكبر حد ممكن، وتكلم اثر المقيم النائب رولان فكان من جملة ماقال، تساؤل عن الأعمال التي تقوم بها كتلة العمل الوطنيّ، ولما أخذ المقيم الكلام، ثانيا : قال انه لا يمكنه أن يقوم بأي عمل جديد مادام هؤلاء النواب في دعاياتهم الباطلة ثم غادر قاعة الاجتماع حيث دخل المبعوثون الفرنسيون الثلاثة فعرضوا آراءهم ومطالبهم السالفة. وبعد خروجهم قرر أعضاء اللجنة ادماج مشكلة المجالس في جدول أعمالهم لدراستها وتختم الكتلة بيانها الخامس بمايلي :

وان كتلتنا لمتتبعة مجرى الحوادث بغاية التيقظ، مستعملة كل مجهوداتها لاقناع الأوساط الفرنسية الرسمية بضرورة المحافظة على حق الأمة المغربية في التقرير والاشراف على شؤون بلادنا الخاصة.

«البيـــان الســـادس»

لقد بقيت كتلة العمل الوطني متتبعة بكل حزم ونشاط تحركات المبعوثين الفرنسيين الثلاثة إلى باريز الذين لم يستطيعوا أن يؤثروا لا على اللجان البرلمانية في فرنسا ولا على غيرهم بل إن مبعوث لجنة الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ المسيو كرنيدي خاطبهم بصراحة قائلا : إن كثيرا من الفرنسيين ينسوّن أن المغرب ليس بميدان للمصارعة في الانتخابات الفرنسية، وانه من الواجب علينا أن نحسب للمغاربة حسابهم، لأنهم الأكثرية، ولأن لهم حقوقا سيحترمها البرلمان.

ولقد شرح البيان السادس للكتلة كل ما ذكر، وتعرض إلى الاجتماع التي ستعقده لجنة المستعمرات وبلاد الحماية لدراسة الموضوع السالف بسبب الاتفاق المبرم بين الحكومتين : الفرنسية والاسبانية.

ولدى انعقاد اجتماع اللجنة المذكورة، وجهت الكتلة البرقية التالية إليها : «نغتنم فرصة اجتماع لجنتكم للنظر في الخلاف الحاضر، فنذكر بوجهة نظرنا مع الاعراب عن رغبتنا في أن يعتبر أعضاء اللجنة جانب رأينا في مقرراتهم وهو بكل تأكيد : ان مزاعم النواب الفرنسيين المحتجين ترمي إلى إنشاء نظام إداري مبني على الحكم المباشر، يجعل المغرب مجرد مستعمرة، وانا لنحتج بكل صراحة على هذه المزاعم، ونعلن بأن مجلس شوري الحكومة الحالي القائم على الحكم المباشر، يجب على الحكومة أن تبطله.

ونظرا للثقة بروح العدالة التي تمثلونها، فإننا نؤمل أن تحفظوا حقوق المغرب الشرعية، وذلك بالوفاء لما تقتضيه العهود التي التزمت بها فرنسا».

ولدى انعقاد المجلس الأعلى للبحر المتوسط الذي ينظر في المسألة المغربية وعرض الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبلدان الشمال الافريقي وبلاد سوريا، وللنظر في الحوادث السياسية في الشرق الاسلامي ومبلغ تأثيرها على الأوساط المغربية، والذي شارك فيه المستشار السلطاني المسيو جيرار دان، والذي مهد له باجتماع المقيم المسيو «بونصو» مع وزير الخارجية المسيو فلاندان وجهت كتلتنا البرقية التالية لكل من رئيس الوزارة الخارجية والمقيم العام والكاتب الأعلى للبحر المتوسط :

«بمناسبة انعقاد المجلس الأعلى للبحر المتوسط نجدد تذكير الحكومة بوجهة نظرنا الخاصة بالخلاف، وننبهها للبؤس الشديد الذي يقاسيه المغاربة، وما في ذلك من الأخطار، وما يستدعيه من التدابير المستعجلة لانقاذ العناصر المغربية المهددة بالجوع، وتحسين حالة المعيشة والشغل، ثم نعلن بكل تأكيد أن بوادر الاستياء المغربي، أخذت تظهر بين أرباب الحرف والعملة المغاربة في فاس ومكناس والرباط، وذلك بإضرابهم عن الشغل، وتقديمهم للولاة مطالب تستحق كل العناية، ونوضح لكم أن انقاذ الطبقة العاملة لا يتم بمجرد رفض مطالبها، ولا بتدابير وهمية أو الترحيل من موطن لآخر حسب خطة مدبرة، ولكن بالنظر في الحالة وتطبيق برنامج إصلاحي موافق لرغبات الأمة التي وقع عرضها في مطالب الشعب المغربي، ومن بين تلك التدابير المستعجلة نذكر بكل تأكيد نظام الضرائب، لأنه مشط وجائر في طرق استخلاصه، ووجوب المقاومة العنيفة للاستغلال الذي يلاقيه الشعب من رجال الادارة والشركات والأفراد، ونلح كذلك في نشر التعليم وإصلاح العدلية المغربية وتبديل السياسة الحاضرة، بسياسة عادلة حرة، تسمح للمغاربة المحرومين من كل تمثيل ووسيلة للتعبير عن رأيهم، بالمشاركة في تدبير شؤون بلادهم الخاصة والتمتع بما للعناصر الأوروبية واليهودية من الحريات».

فاتح ذي الحجة 1354 ــ 24 يبراير 1936.

(كتلة العمل الوطني)

البيان السابع في مشكلة المجالس

يتعرض البيان السابع الذي أصدرته كتلة العمل الوطني بتاريخ سابع ذي الحجة عام 1354 – فاتح مارس 1936 إلى التصريح الذي كان ألقاه المقيم العام المسيو بونصو أمام لجنة المستعمرات وبلاد الحماية بتاريخ 13 يبراير 1936، والذي لم تشر البيانات السابقة إلا إلى جزء منه، ونظرا لأن الكتلة استطاعت التوصل إلى أجزاء أخرى من ذلك التصريح، فلقد رأت من واجبها اطلاع الجمهور المغربي على ما لم يطلع عليه منه : يقول المقيم العام :

«يجب علينا أن نهتم اهتماما جديا للحالة السياسية في المغرب، خصوصا وان حوادث الشرق العربي توجه نظرنا إلى البلاد الاسلامية التي لها ارتباط بفرنسا، ثم تساءل ؟ ماهي السياسة التي يجب أن نتبعها في المستقبل إزاء المغاربة ؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عنه سريعا، لأنه من المغالطة لأنفسنا أن نظل متمسكين بنفس السياسة التي اتبعناها منذ خمسة عشر سنة، وبعد أن تكلم على سير الحوادث، وتطور رجال المغرب، قال : من الواجب، علينا أن نوفق بين سلوكنا وبين تطور المغاربة ؟ ثم أخذ يشرح بعض الأعمال التي قامت بها الادارة في المغرب، وقال : انه يجب أن لا نقف عند هذه المرحلة، ان مثال البلاد الاسلامية المجاورة يجب أن يدفعنا إلى العمل وعدم الاكتفاء بما بذلناه من الوعود المبهمة في الماضي، لأن تغيير سياستنا على هذا المثال، هو الثمن الذي يجب بذله في سبيل المحافظة على سلطتنا واحترامها».

ويتعرض البيان بعد ذلك إلى اجتماع المجلس الأعلى للبحر المتوسط تحت رئاسة المسيو «سارو» رئيس الوزارة الفرنسية بمحضر وزراء الخارجية والمستعمرات والحربية والوالي العام للجزائر ونائب المندوب السامي بسوريا والمقيمين العامين لتونس والمغرب، والذي تكلم فيه مسيو دوسان كانتان نائبا عن المندوب السامي بسوريا حيث شرح الحوادث الواقعة في تلك البلاد، ثم تحدث وإلى الجزائر والمقيمين العامين بالمغرب وتونس شارحين الوضعية السياسية في الأقطار التي عهد إليهم بالاشراف على سياستها ملمحين إلى اثر الحوادث التي تقع في مصر وسوريا في أقطار المغرب العربي وقد توالت اجتماعات اللجنة المذكورة بعد ذلك دارسين القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مستعرضين المشاكل التي يجب أن تكون محلا للدراسة، والوسائل التي يرونها ناجعة لتنفيذ المقررات، ونظرا للسرية التي سارت فيها الاجتماعات فإن رجال الكتلة لم يستطيعوا التعرف على ما قرر حول المغرب، ولكنهم كما يقول البيان : (نستطيع أن نتبيَّن من خلاصة التصريح المقيمي الذي لخصناه في صدر هذا البيان، الفكر الأساسي الذي عرضه مسيو بونصو فيما يخص الحالة السياسية في المغرب، كما نستطيع أن نفهم الروح التي بثها المجلس في مقرراته من التغير الفجائي الذي ظهر في سياسة المندوب السامي ببلاد سوريا، فإن الوزارة هناك أعفيت ووكل بتشكيلها لجماعة من

(3) الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

نسخة من الرسالة المرفوعة لجلالة مولانا الملك
في شأن حركة الهيئات الاستشارية الفرنسية

إلى صاحب الجلالة المعظم سيدي محمد نصره الله وخلد ملكه:

مولاي:

إن جلالتكم تعلمون الغاية التي رمى إليها نواب السكان الفرنسيين بمجلس شورى الحكومة حينما فكروا في الانسحاب من المجلس والقيام بدعاية واسعة النطاق لتحقيق ما لهم من مطامع وأطماع. إنهم لم يكتفوا بما هم عليه من الاستئثار دون المغاربة بالاستشارة في الشؤون العامة، بل أرادوا أن يصبح لهم حق التقرير والمراقبة في جميع الشؤون الحيوية في البلاد، بمعنى أنهم يعملون لأن تكون لهم مجالس ذات صبغة برلمانية يختصون فيها بحق الاقتراح والمناقشة والتقرير، ثم فرض مقرراتهم على الحكومة الشريفة ورعاياها المغاربة، كما تخول لهم فيها حق الاستشارة السابقة من طرف الحكومة ورؤساء مصالحها مع اعتبار الكلمة النهائية لهم في جميع المعروضات.

وجلالتكم عارفة - يا مولاي - أن هذه الحالة الشاذة التي يطلبونها تخرج بالمغرب عن نظامه الذاتي، وتعرض حقوقنا ومصالحنا القومية وما للعرش المغربي الكريم من اختصاص بالنفوذ إلى خطر كبير، فهي تعطي لهذه الفئة من الفرنسيين الساكنين بالمغرب الحق في أن تحكم أبناءه ودونه حكما مباشرا لا تعقيب له. وهذا كله مناقض كامل المناقضة لشروط الحماية وقيمتها.

إن الحماية - كعقد من طرف جلالة الملك مع الحكومة الفرنسية يلتزم فيه الطرف الثاني بمساعدة المغرب على تسيير شؤونه - تجعل علاقة هذه الحماية مع الحكومة المغربية منحصرة في الحكومة الفرنسية بواسطة ممثليها.

وبناء على هذا كله نتساءل ببيان حق الجالية الفرنسية أو جمعها وغيرها هو مناف تمام المنافاة للحماية.

لذلك أرادت كتلة العمل الوطني أن تعلن في مطالب الشعب المغربي مستندة على أعظم العهود والالتزامات الناتجة من المعاهدات ومن تصريحات الحكومة الفرنسية وممثليها الرسميين في المغرب، ضرورة إلغاء المجالس الفرنسية والسماح بتكوين مجالس وطنية خاصة بالرعايا المغاربة مسلمين وإسرائيليين.

الحمد لله وحده

البيان رقم 3 في شأن حركة الهيئات الاستشارية الفرنسية

حضرة الأخ الكريم:

بلغتك مفعول الحركات الاحتجاجية التي يقوم بها المندوبون الفرنسيون بمجلس الحكومة
أن ظهر في الأوساط الاقتصادية الفرنسية بالمغرب من وجدة إلى مراكش. فبعد أن
أعلن المندوبون انسحابهم من مجلس الحكومة أخذ أعضاء الغرف التجارية والفلاحية يستعفون
من وظيفتهم الجماعة بعد الأخرى بطريقة منظمة كأنهم كانوا متفقين مع منذ وبينهم
على خطة مقررة. ولا شك أن غرض جميعهم من هذه المظاهرات هو التأثير على
حكومتي المغرب وباريز وعلى الرأي العام لكي ينالوا بغيتهم. وبغيتهم كما قلنا في
بياننا السابق هي الاستئثار بخيرات المغرب دون أهله، أو التصرف في مالية
المغرب وفرض الضرائب وتوزيع مداخيلها حسب مصالحهم وشهواتهم، أو
تقرير الظهائر والقرارات المخزنية حتى لا يبقى للسلطان والصدر الأعظم
إلا الإمضاء.

وهم يعملون بحزم ونشاط داخل المغرب وخارجه لهذه الغاية.

أما في باريز فلأن الجمعية المستعمرات التي كنا أشرنا إليها في بيان آخر
فقد اجتمعت يوم 22 يناير واستمعت للنائب روكلان الذي تكلم دافع
عن نظرية المحتجين أمام لجنة الأمور الخارجية بمجلس النواب. ولم يقتصر
أثناء هذه الجلسة أيضا في الدفاع عن مطالبهم وفي المطالبة بإرضائهم
وقد أدلى أخيرا في مصلحتهم بحجة تخجل لسماعها كل عاقل. فقال:
يجب أن نرضي الجالية الفرنسية بالمغرب لكي يزول الخلاف الذي بينها
وبين الإقامة العامة. لأن في هذا الخلاف مظهرا غير لائق أمام
السلطان والمخزن وأمام المغاربة والجاليات الأجنبية الأخرى. فبمثل
هذه الحجج يريد النائب روكلان أن يسلب المغاربة حقوقهم فضلا
عما يربط حكومة بلاده مع حكومة المغرب من العقود والمواثيق. ثم
تكلم بعده أعضاء آخرون وفي الختام قررت اللجنة درس الحالة
السياسية والاقتصادية للمغرب في جلسة مقبلة.

وأما كتلتنا فقد بعثت إلى اللجان المختصة بمجلسي الشيوخ
والنواب رسالة أجملت فيها بيان الموقف الحاضر وأوضحت فيها
الحالة التي وصل إليها المغاربة من البؤس والشقاء مستدلة
بأمثلة عديدة وشواهد لا تقبل التكذيب وذكرت كيف أن

أصل البيان الثالث كما وزع على الجمهور

الوطنيين تحت رئاسة السيد عطا الأيوبي وقد كتب له مسيو دومرتيل رسالة يظهر فيها استعداده لتأييد سوريا في مطالبها الشرعية، وإعادة الوحدة القومية، والحالة النيابية إليها، ثم مفاوضتها لنيل استقلالها على أساس المعاهدة العراقية الانجليزية، والدخول لجمعية الشعوب، وفيها أيضا يعلم بأنه سيسرح جميع المعتقلين والمبعدين السياسيين «ثم يقول البيان 7 : وفي يوم الأربعاء 26 يبراير اجتمعت لجنة الأمور الخارجية بمجلس النواب وبعد أن عرض على الحاضرين مسيو رولان خلاصة الحديث الذي دار بينه وبين مسيو دوسانكانتان في مشكلة الخلاف، عرض رئيس اللجنة الوثائق والحجج التي أدلى بها كل من الاقامة العامة بالمغرب والوطنيين ونواب المستعمرين ثم تصدي صديقنا مسيو جان لونكي الذي تكلف بالدفاع عن وجهة النظر التي تدلى بها الكتلة في الصحافة على حقوق الشعب المغربي وبعد أن بسط النظرية، شرح بالخصوص الحالة المتضعضعة والبؤس الشديد الذي تقاسيه الطبقات المغربية الفقيرة من صناع وفلاحين وعملة، وشارك في المناقشة بعض الأعضاء من بينهم صديقنا مسيو «موتي» فانتقد سلوك الادارة إزاء المغاربة ثم قررت اللجنة استدعاء وزير الخارجية ليعرض عليها رأيه في المسألة المغربية والحوادث السورية يوم الأربعاء الآتي.

ومن جهة أخرى فقد اجتمعت في نفس اليوم (26 يبراير) لجنة المستعمرات وبلاد الحماية، وبعد أن عاود النائب رولان عرض بياناته استمع الحاضرون لممثل اللجنة المركزية للنقابات التعاونية الفرنسية بالمغرب، الذي تكلم باسم الصناع الفرنسيين، وشرح الأزمة الحاضرة ثم طلب إلحاق تغيير بالمجالس التي تمثل مصالحهم لدى الحكومة، واقترح إنشاء غرفة صناعية للفرنسيين أيضا، أما عن الخلاف القائم، فقال انه لا يهتم به كثيرا، وذلك ما يدل على أن الجالية الفرنسية ليست كلها متفقة على ما يزعمه نواب المجالس وما يدعيه المبعوثون.

وفي الأخير قررت اللجنة معاودة النظر في جلساتها المقبلة، وينتظر ان تعقد جلسة مهمة يوم الأربعاء الآتي، وانا لمنتظرون.

تعقيـــب :

هذه هي البيانات السبع التي أصدرتها كتلة العمل الوطني بمناسبة الأطماع الكبرى التي دعت الجالية الفرنسية، بالمغرب إلى أن تطالب بأن تكون لها الصلاحيات المطلقة في تقرير ميزانية المغرب، والرقابة المطلقة على السياسة الاقتصادية والاجتماعية، واحتكار شؤون التدبير والسيادة، كأنها هي صاحبة البلاد، وكان المغاربة غير موجودين، وليس لهم أي رأي في تدبير ومراقبة شؤون بلادهم لقد بلغت الوقاحة ببعض هؤلاء أن يقولوا : انهم فتحوا المغرب ليتصرفوا فيه تصرف المالك في ملكه، وانه ثرات من ثراتهم ينبغي أن يتركوه لأبنائهم وذرياتهم يتصرفون فيه كما تشاء أهواؤهم ومصالحهم.

ويتجلى من خلال مواقفهم وغطرستهم انهم كانوا عازمين العزم كله على حكم المغرب حكما مباشرا دون اعتبار للمعاهدات والاتفاقيات التي تفرق بين أوضاع البلاد المحمية وبين البلاد المستعمرة.

والشيء الذي يجب أن أسجله هنا أن من جملة الدوافع التي دفعت الجالية الفرنسية لاتخاذ تلك المواقف، والشطط في تلك المطالب هو شعورها بأن الحالة في المغرب لم تبق كما كانت عليه قبل عام 1930، وان وعيا سياسيا أصبح يتزايد سنة بعد أخرى، وان الشباب الوطني صار يشعر بمسؤولياته إزاء وطنه، ولم يبق راضيا ولا مطمئنا للسياسة التي تطبق في المغرب، وان كتلة العمل الوطني عندما تقدمت، بمطالب الشعب المغربي في دجنبر 1934 صارت تعمل على تغيير الأوضاع السياسية في جميع المجالات، سواء منها المجال السياسي والاداري أو الاقتصادي أو الاجتماعي، الأمر الذي سيسد عليها الطريق، ويحرمها من استغلال هذه البقرة الحلوب، ذلك الاستغلال البشع الذي لا يبقى ولا يذر.

لقد وجدت نخبة من الوطنيين الشباب صارت تتطلع إلى إصلاحات أساسية، ان طبقت في يوم من الأيام، فسوف لا يبقى للمستعمرين أي وجود، وسوف يحرمون كل الحرمان مما يتمتعون به من حقوق ومصالح مغصوبة يودون أن يتركوها لأبنائهم وأحفادهم تراثا دائما وحتى لا يستفحل الأمر، ويزيد هؤلاء الوطنيون قوة ومكانة، فلتقم الجالية الفرنسية قومة رجل واحد، لاثبات وجودهم والدفاع عن مصالحهم، وإقرار ما ليس لهم، واغتصاب ما هو حق لغيرهم.

إن السلطة كلها كانت بيد هذه الجالية، فرجال الادارة الفرنسيون الذين يستخلصون من ميزانية المغرب أزيد من خمسين في المائة، كلهم متشبثون بالحكم المباشر، متضامنون كل التضامن مع مطالب الاقطاعيين والمعمرين ورجال الأعمال الفرنسيين الممثلين في المجالس التي كونها الاستعمار في بلادنا، والمعمرون الفرنسيون المسيطرون على الأراضي الفلاحية في مختلف أنحاء المغرب، يستغلونها كما يشاؤون ويستعبدون أصحابها ومالكيها الشرعيين، ويسخرونهم للخدمة في تلك الأراضي كما يشاؤون وتشاء أهواؤهم ومصالحهم، ورجال الأعمال من أرباب التجارة والصناعة، أصبحت التجارة كلها في قبضة أيديهم، والمعامل الكبرى والصغرى مع عمالها خاضعة لنفوذهم وسيطرتهم، والشركات الكبرى والصغرى هم أصحابها وذووها.

هذا النفوذ الكبير الاقتصادي والسياسي والاداري أصبحوا يخشون عليه، عندما رأووا انبعاث حركة وطنية جديدة لم يكن لهم عهد بوجودها، أصبحت تنتقد علانية سلوكهم وتصرفاتهم، وتطالب بمطالب ان نفذت أو نفذ البعض منها فسيتقلص نفوذهم، ويفقدوا ما ألفوا أن يتحكموا فيه، ولربما سيتجرأ عليهم حتى أولئك الفلاحون الذين يمثلون أغلبية سكان المغرب، والذين كانوا زيادة في اذلالهم والتحكم فيهم، يلزمونهم بالوقوف ورفع أيديهم بالتحية إذ ما كانوا

سائرين في الطريق، أو مرت أمامهم سيارة من سيارات أحد أفراد تلك الجالية المتحكمة، سواء كان موظفا كبيرا أو صغيرا أو معمرا مغتصبا متغطرساً، وفيما يتعلق بهؤلاء المعمرين، لقد كانت لهم السيطرة المطلقة في القبائل التي توجد فيها أراضيهم الفلاحية التي اغتصبوها، فكانوا زيادة على تسخير البدويين للخدمة، يسجنونهم وقد يضربونهم، وكان المراقبون العسكريون والمدنيون الموجودون في منطقة أولئك المعمرين يشدون عضدهم، وينفذون رغباتهم، ويساعدونهم كل المساعدة لفرض سيطرتهم، وإخضاع أولئك المساكين المعذبين لهم.

والذين عايشوا تلك الفترة القاسية التي كان إخواننا يعانون فيها الشدائد والأهوال، كان يتضاعف المهم عندما يرون بأم أعينهم القواد الأهالي وخلفاءهم، والأشياخ ومساعديهم، ينفذون بدورهم ما يطلبه المعمرون، ويساعدونهم على قهر إخوانهم، والتنكيل بهم.

لقد كنا محرومين وممنوعين من زيارة الكثرة الكثيرة من أطراف البادية المغربية، وخصوصا النواحي التي فرضت فيها الأحكام العسكرية، وعين لتسييرها ضباط عسكريون، فلقد كانت في الطريق المؤدية إليها سلاسل حديدية تقفل الطريق ولا يسمح برفعها لجوازاي من المارين، إلا إذا كان حاصلا على إذن من السلطات الفرنسية، وحتى الأسواق الأسبوعية البدوية التي يقصدها عادة تجار المدن لعرض بضائعهم كانت تراقب مراقبة صارمة من طرف العيون والجواسيس والشيوخ حتى لا يتسرب إلى سكان البادية أي خبر، وحتى لا يدب في السكان أي وعي سياسي أو وطني.

المعمرون هم أصحاب البلاد والمتحكمون فيها في البادية، ورجال الأعمال هم المتحكمون في الاقتصاد، ورجال الادارة من مدنيين وعسكريين من وراء أولئك وأولئك يساندونهم ويقوون من شكيمتهم، والمواطنون المساكين وبالأخص سكان البادية محرومون من كل حق لا يستطيعون حتى رفع أصواتهم بالتشكي والاستنكار، ولا يمكنهم أن يظفروا بأي حق من حقوقهم المغتصبة.

هذه هي الحالة التي كان عليها المغرب، عندما تقدمنا بمطالب الشعب المغربي، وتحقيق الاصلاحات الضرورية في مختلف ميادين الحياة سواء منها الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الاداري أو القضائي وهذه هي الحالة التي كانت الجالية الفرنسية بالمغرب تود أن تبقى مستمرة، حتى تبقى سيطرتها مستمرة، ونفوذها ثابتا، وهذا ما دفعها لأن تطالب بحق التقرير والمراقبة في تسيير شؤون المغرب، الأمر الذي جعلها تقف في وجه المقيم العام الفرنسي «بونصو» الذي رغم أنه كان حريصا على تثبيت النفوذ الفرنسي ببلادنا مهتديا بهدى اسلافه المقيمين السابقين وفي طليعتهم «اليوطي» المركز الأول للاستعمار، والعامل الفعال لتركيز أركانه، فإنه كان ينظر نظرة تختلف عن نظرة الجالية الفرنسية.

لقد عارض «بونصو» المطالب التي تقدمت بها الجالية الفرنسية، واشتد الخلاف بينه وبينها وطال هذا الخلاف مدة أشهر، وعرض على الدوائر العليا في باريز كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وتدخلت كتلتنا في الموضوع وعبرت بوضوح عن موقف المغرب من المطامح والمطامع التي تتطلع إليها الجالية الفرنسية، وكانت النتيجة بعد هذا الصراع أن تقرر تغيير المقيم « بونصو» وتعيين مقيم فرنسي آخر كان بتونس هو المقيم «بيرتون».

احتجاج ضد تغيير «بونصو»

عندما قررت الحكومة الفرنسية إعفاء م. بونصو من منصبه لأنه لم يساير مطامح الجالية الفرنسية رفعنا برقيتين إلى كل من جلالة الملك ورئيس وزراء فرنسا هذا نصهما :

1) جلالة الملك المعظم إن سكان «سلا» المغاربة يجعلون ثقتهم في جلالتكم لتحتجوا على القرار غير الشرعي الذي يضم المغرب إلى وزارة فرنسا ما وراء البحار ويرجون من جلالتكم ان تحتجوا باسم شعبها على التعامل بالمغرب والكيفية التي عومل بها للأغراض الحزبية، وان تبلغوا الحكومة الفرنسية عدم رضائنا على معاملتها للمسيو «بونصو» في الحين الذي هو أحوج ما يكون فيه لثقة الحكومة ليساعد جلالتكم على تنفيذ برنامج الاصلاح بالمغرب.

2) رئيس الوزراء — باريز —

إن سكان «سلا» المغاربة يحتجون على السهولة والخفة التي لعبت بها الحكومة الفرنسية إزاء المغرب لأغراض سياسية رديئة وتستهجن الأمر الذي يؤدي بالمسيو «بونصو» إلى مغادرة المغرب في الحين الذي يظهر أنه سيشرع فيه في تنفيذ برنامج الاصلاح السياسي والاقتصادي الذي تحتاجه البلاد احتياجاً كبيرا وقد جعلت الأمة المغربية ثقتها في المسيو «بونصو» لتنفيذه.

وقد أمضى هاتان البرقيتان :

حجي، زنيبر، القادري، اشماعو، عواد، حصار، معنينو.

تعريف بشخصية المقيم بونصو

لا بأس أن أعطي فكرة ولو جد مختصرة عن شخصية المقيم «بونصو» الذي بقي على رأس الاقامة العامة نحواً من أربعة أعوام.

لقد كان «بونصو» قبل تعيينه بالمغرب مندوبا ساميا بسوريا وخلال مقامه ببلاد الشام، استطاع ان يتعرف إلى الطموحات التي كان يتطلع إليها الشعب السوري بقيادة الكتلة الوطنية،

ولاشك انه اتصل بكثير من رجالات الحركة الوطنية الذين كانوا في طليعة العاملين لتحرير بلادهم من السيطرة الفرنسية، وعندما عين مقيما عاما بالمغرب، كان المغرب في هيجان من جراء السياسة التي نهجها سلفه «لوسيان سان» والتي أتى بها الظهير البربري (16 ماي 1930) ولاشك أنه درس الأوضاع في المغرب من جميع جوانبها، وعرف بصفة خاصة الوضع القانوني الدولي الذي يربط المغرب بفرنسا نتيجة معاهدة الحماية المفروضة على المغرب، كما أن تجربته السياسية بسوريا واتصاله بحركتها الوطنية، جعله يقيس الحركة الوطنية بالمغرب مع الحركة الوطنية بسوريا، ولذلك فلا يمكنه أن يغفل مطلقا جانب هذه الحركة التي كيفما كان أمرها، فإنها تعمل لاثبات الوجود المغربي والدفاع عن حقوق الشعب المغربي، فالسير في خطى ما ترغب فيه الجالية الفرنسية لا يمكن أن يؤدي إلى النتيجة المتوخاة، وهي اثبات وتمكين الوجود الفرنسي، والشطط في المطالبة بالحقوق مثل ما تقوم به الجالية الفرنسية لا يضمن تركيز المصالح الفرنسية، فلابد في نظره من سياسة متوازنة بعض الشيء لقد صرح «بونصو» بعدما اطلع على ما تكتبه الصحافة المغربية وبعدما تعرف على حقيقة ما تطمح إليه الحركة الوطنية، صرح قائلا : «منذ جئت لباريس، سجلت مرارا التأكد المكرر على ضرورة قيام علائق مستمرة وودية مع الشعب المغربي، وإني لا شاطر تماما وجهة النظر هذه، وأضيف أننا إذا لم نطبق سياسة مغربية حسنة ومفيدة، فإن عملنا في المغرب سيكون معرضا للاندثار، فيجب أن نمنح المسلمين في المغرب ما هو حق لهم، ويلزم في هذا المجال اتخاذ حلول مرضية بتوافق وانسجام، كما يتحتم أن تعاد الثقة بفرنسا في سائر الأوساط المغربية».

لقد كان «بونصو» يعمل أساسا لصالح بلاده «فرنسا» ولكنه كان يدرك أن التطرف في المطامح الفرنسية، ستكون له عواقب وخيمة، على المصالح الفرنسية، فالمهم في نظره هو تثبيت الوجود الفرنسي، والحفاظ على المصالح الفرنسية، وهذا لا يتحقق إلا بالاعتدال والتوازن وعدم نسيان انه يوجد بالمغرب شعب مغربي وحركة وطنية مغربية لا يمكنهما أن يتخليا عن حقوقهما ومطالبهما، ولكن الذي تجلى بعد ذلك أن قوة ونفوذ الجالية الفرنسية وإدارة الاستعلامات في طليعتها كانا فوق قوة ونفوذ «بونصو» إذْ كانت النتيجة بعد عراكه الطويل مع الجالية الفرنسية، نقله إلى وظيفة أخرى بباريز» واعفاءه من رئاسة الاقامة العامة بالمغرب، وتعيين «مرسيل بيرتون» مكانه.

تعيين «مرسيل بيرتون» مقيما عاما بالمغرب وموقف كتلة العمل الوطني

انصاعت الحكومة الفرنسية لاحتجاجات جاليتها بالمغرب فقررت كما ذكرنا اعفاء المقيم «بونصو» من منصب الاقامة العامة، وتعيين «مرسيل بيرتون» مكانه، و«بيروتون» هذا كان على رأس الاقامة العامة بتونس، فقام بأعمال وتصرفات منكرة، وقاوم مقاومة عنيفة الحركة الوطنية التونسية الممثلة في حزب الدستور، وكان مشهورا بالنزق والطيش والاندفاع والغرور والكراهية المطلقة لكل حركة وطنية.

ولما وقع تعيينه بالمغرب على رأس الاقامة العامة وذلك أواخر شهر مارس 1936 صفقت له الجالية الفرنسية على اختلاف طبقاتها، واعتبرت تعيينه نصرا لها واندحارا للحركة الوطنية المغربية، وحتى ينجح في مخططاته ويكون على اطلاع بما جريات الحالة في المغرب، سافر إلى تونس مدير الأهلية الاستعماري المشهور مسيو بينازي وأعطاه عرضا كاملا عن مواقف الجالية الفرنسية بالمغرب وخلافها مع سلفه مسيو «بونصو» كما أعطاه دون شك معلومات كافية عن مواقف كتلة العمل الوطني ومطامحها ومطالبها، ونسق معه العمل لكبح جماح الحركة الوطنية، ومساعدة ومساندة الجالية الفرنسية في مطامحها غير المشروعة.

وفي طريقه إلى المغرب وقبل أن يضع اقدامه في التراب المغربي أدلى بتصريحات أبان فيها عن غروره وطيشه وسوء نيته، حيث أكد أنه قضى على الحركة الوطنية التونسية وقاومها المقاومة العنيفة، وانه سيسلك نفس المنهج مع الحركة الوطنية المغربية لأنه يعتقد أن القوة والعنف هما الطريقان الوحيدان اللذان يجب أن يتبعا في تسيير شؤون الأهالي سواء منهم التونسيون أو المغاربة.

وكانت الصحافة الاستعمارية بالمغرب تنتظر مثل هذه التصريحات لتبرزها عناوين كبيرة في مختلف الصحف، ولتؤكد أن الجالية الفرنسية ستحصل على مطامحها ومطالبها في عهد المقيم الجديد الذي يدرك مصلحة فرنسا ويدافع عنها، ويحمي مواطنيها.

لقد غضت كتلتنا الطرف عن هذه التصريحات التي أعطت صورة واضحة عن شخصية المقيم الجديد، وعن السياسة التي سيسلكها في تصرفاته مع المغاربة عموما ومع كتلة العمل الوطني بالخصوص، فلم يمض على وصوله عدة أيام حتى قررت أن تطلب مقابلته لتشرح له حقيقة الحالة بالمغرب، ولتعرفه بالمطالب التي تقدمت بها للدوائر الرسمية مغربية وفرنسية،

ولاشك أنه ودائرته السياسية فوجئا بهذا الطلب، فلم يسبق للمقيمين السابقين وحتى «بونصو» نفسه الذي كان يتعاطف بعض التعاطف مع المطالب المغربية، لم يسبق لهم أن استقبلوا ممثلين عن الحركة الوطنية ليستمعوا إلى مطامحها ومطالبها، ولكن «بيرتون» رغم عنجهيته وغطرسته أجاب بأنه مستعد لمقابلة أعضاء كتلة العمل الوطني، وحدد موعدا لهذا اللقاء، وهكذا رأت الكتلة أن لا تكتفي بعضو أو عضوين منها لمقابلته، بل قررت أن يكون وفدها متركبا من كل الأعضاء الموجودين، وهكذا قصدنا الاقامة العامة، حيث وجدناه ينتظرنا وبعد التحية الضرورية والسلام وتوضيح الغاية من زيارتنا له، وانها تهدف إلى شرح مطالبنا وضرورة التعجيل بتنفيذها، ولم يكد يسمع قضية المطالب حتى أخذ الكلمة وصار يتحدث عن نفسه وعما قام به في تونس، معرضا بالحركة الوطنية التونسية ورجالها الميامين. وشاتما لهم، ومصرحا بأنه قضى على حركتهم.

لقط طال حديثه ونحن ننصت إليه، ونزيد تعرفا إلى هذه الشخصية الشاذة النزقة التي عوضت مقيما قبله، لا يمكن أن يوصف بالنزق والعجرفة التي يوصف بها، وبعد فراغه من الحديث ودعناه ونحن مقتنعون كل الاقتناع بأن أي اصلاح لا يمكن أن يطبق في عهده وان مقاومته بكل الطرق والوسائل ضرورة حتمية.

وكان أول عمل قامت به كتلتنا ضد هذا المقيم الاخرق هو تسجيل كل ما فاه به أمامنا من حديث، وخصوصا طعنه في الأحزاب اليسارية الفرنسية التي تألفت منها الجبهة الشعبية، وسبَّه للحركة الوطنية التونسية، وتهديداته المتكررة إلى غير ذلك من التصريحات الحمقاء التي صرح بها، وبعد هذا التسجيل قررت الكتلة أن تذيعه في بعض الصحف الفرنسية الحرة، حتى يطلع البرلمانيون الفرنسيون المتعاطفون معنا على فحوى ما جرى بيننا وبينه من حديث، الأمر الذي كشف حقيقته من أول وهلة، ثم استطاعت الكتلة أن تكتشف غلطة ارتكبها «بيرتون» بإرساله برقية إلى مدير البنك المغربي بتطوان يأمره فيها بتسليم نصف مليون فرنك للحزب الفاشيستي الاسباني (الفلانج) الذي كان بطبيعته خصما للجبهة الشعبية الحاكمة بفرنسا فأذاعت الكتلة نص هذه البرقية ونددت التنديد الكبير بهذا المقيم الذي يؤيد الفاشية ويساعدها من ميزانية المغرب.

وهكذا دخلت الكتلة في عراك علني مكشوف ضد المقيم «بيرتون» مشهرة بتصرفاته الطائشة، واقفة بالمرصاد ضد كل مخططاته.

وحدث أثناء هذه الفترة أن جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين كانت قررت انعقاد مؤتمرها السنوي بالمغرب، فتكونت لجنة تحضيرية لهذا المؤتمر الذي كان سينعقد بفاس في شهر سبتمبر 1936 وكان رئيس الجمعية إذذاك هو المرحوم الأستاذ المنجي سليم التونسي الذي أتى إلى المغرب ليشرف بنفسه على تنظيم المؤتمر، لقد كنت من جملة أعضاء اللجنة

التحضيرية وكان الأستاذ ابراهيم الكتاني رئيسها وبعد الاجراءات الادارية التي اتخذناها لانعقاد المؤتمر طلب المقيم العام «بيرتون» أن يترأس الجلسة الافتتاحية ويلقي خطابا يشرح فيه البرنامج الذي يود تطبيقه في السياسة التعليمية بالمغرب فأدركت الكتلة أنه يود أن يستغل هذا المؤتمر لشرح أهدافه الاستعمارية وبرامجه المتعارضة التعارض الكلي مع مطالبنا في الاصلاح التعليمي، فاعتذرت اللجنة التحضيرية ورئيس المؤتمر نفسه بأن مؤتمر الجمعية مؤتمر خاص ثقافي تعليمي ولا يسمح قانونه بالتعرض للقضايا السياسية، وحيث ان شخصية المقيم شخصية سياسية بالدرجة الأولى فإن وجوده سيضفي على المؤتمر حلة غير حلته الطبيعية، وما أن وصلته رسالة اللجنة الرافضة لحضوره ومشاركته، حتى أعطى أمرا بمنع المؤتمر وعدم السماح بانعقاده. ورغما عن منع انعقاد المؤتمر بفاس فقد عقدنا عدة اجتماعات مع الذين وفدوا للمشاركة في المؤتمر وفي طليعتهم الأستاذ منجي سليم، ولقد عقدنا عدة اجتماعات مع هؤلاء الاخوان كان من جملتها اجتماع بسلا وحضره الأستاذ المنجي سليم الذي أذكر أنه دربنا فيه على التغني بنشيد (الشمال الافريقي) ونصه :

حيوا افريقيا ياعباد شمالها يبغي الاتحاد.
أشبالها تأبى الاضطهاد

أين روما وقواها واستعمارها الشديد
أين اسبانيا ودهاها وصليبها الحقود
قد مزقنا اغلالها واستقلت منها البلاد

حيوا افريقيا — حيوا افريقيا — حيوا افريقيا ياعباد الخ

كما أنني ألقيت خطابا ترحيبيا بهذه المناسبة.

لم يطل مقام «بيرتون» على رأس الاقامة العامة إلا حوالي ستة أشهر، حيث أن تصرفاته الطائشة الحمقاء جعلت حكومة الواجهة الشعبية تدرك غلطها في تعيينه، فقررت إعفاءه من منصبه وعينت الجنرال «نوجيس» مكانه.

المقيم الجديد الجنرال «نوكيس»

شخصية الجنرال «نوكيس» معروفة لدى المغاربة المتتبعين للأحداث فهو من تلامذة المشير «ليوطي» العارفين بالسياسة الأهلية، فتعيينه من طرف حكومة الواجهة الشعبية، كان ذا مغزى عميق، ومع ذلك رأت كتلة العمل الوطني أن تتعامل معه أولا وكأنها لا تعرف عن توجهاته شيئا. فبمجرد ما عين مقيما عاما بالمغرب وجهت إليه الكتلة دفتر المطالب المغربية

ومعه جميع الوثائق التي رفعت للحكومتين : المغربية والفرنسية وكان ذلك الملف مصحوبا بهذه الرسالة :

من الرباط في 17 شتنبر 1936

سعادة المقيم العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب

تتشرف كتلة العمل الوطني بأن تلتمس منكم باحترام، قبول تهنئتها الصادقة على ما خولتكم إياه حكومة الجمهورية من الثقة، حيث رشحتكم لهذا المنصب العالي، منصب المقيم العام بالمغرب، وانه ليسرنا أن نرى دواليب إدارة الحماية بين يدي رجل حريص على إنشاء روابط الصداقة بين فرنسا والمغرب، ونعتقد بأنه سوف لا يلبث أن يحارب البؤس الذي يحيق بالشعب المغربي من الناحيتين الأدبية والمادية، لهذا فإننا نقدم لكم بقصد الدرس الوثائق التي رفعناها للحكومة المغربية، وحكومة الجمهورية الفرنسية في مناسبات مختلفة، ومن أهم تلك الوثائق، مطالب واقتراحات، لاشك عندنا في أنكم ستعيرونها الاهتمام الذي تستحقه، وستعملون على تطبيقها كما تقتضيه الحالة، وانا لننتظر مقابلتكم للترحيب بكم مشافهة، كما ننتظر المشاركة في العمل مع دوائركم في جو تسود عليه الثقة المتبادلة من أجل تحقيق المطالب المغربية تحقيقا تدريجيا.

والآن نود منكم بكل وقار ان تتقبلوا ياسعادة المقيم العام دلائل اعتبارنا الفائق. (كتلة العمل الوطني).

ولقد أجاب المقيم العام عن هذه الرسالة من باريز برسالة مؤرخة بتاريخ 2 أكتوبر 1936 هذا نصها :

سيدي !

لقد حسن لديكم عندما رفعتم إلي في رسالتكم المؤرخة بـ 17 شتنبر، تهاني هيأتكم، أن تؤكدوا لي بأن كتلة العمل الوطني مسرورة بحسن اختيار الحكومة الجمهورية، حيث عينتني مقيما عاما بالمغرب، فلقد وقعت مني تهنئتكم موقع الارتياح واستحسنت ما تعبر عنه من ثقة، واني من جهتي لا يسعني إلا أن أؤكد لكم بأني سأطلع باهتمام على رغائبكم، وسأعطيها ما تقتضيه من عناية، وفي كل الظروف سأبذل جهدي لأدرس بعطف ما يمكن أن يطبق بصفة عملية من اقتراحاتكم، مع اعتبار ما يتطلبه التطور العام لكافة البلاد وأنتم تعلمون أنني مرتبط ارتباطا وثيقا منذ ما يقرب من ربع قرن بالمجهودات التي تبذلها فرنسا بالمملكة الشريفة لحمايتها ماديا وأدبيا.

والمرجو منكم ياسيدي أن تتقبلوا دلائل عواطفي الممتازة

الامضاء :

«نوجيس»

الحمد لله وحده

حضرة الاخ المحترم. سلام عليك

بعدما عُيِّن المقيم الجديد للمغرب نوجيس وجهت اليه كتلتنا دفتر المطالب المغربية ومعه جميع الوثائق التي رفعت بعده للحكومتين المغربية والفرنسية. وكان ذلك الملف مصحوبا بهذه الرسالة:

من الرباط في 17 شتنبر 1936

سعادة المقيم العام للجمهورية الفرنسية بالمغرب.

تتشرف كتلة العمل الوطني بان تلتمس منكم باحترام قبول تهنئتها الصادقة على ما خولتكم اياه حكومة الجمهورية من الثقة حيث رشحتكم لهذا المنصب العالي منصب المقيم العام بالمغرب. وانه ليسرنا ان نرى دواليب ادارة الحماية بين يدي رجل حريص على انشاء روابط الصداقة بين فرنسا والمغرب ونعتقد فيه بانه سوف لا يلبث ان يحارب البؤس الذي يحيق بالشعب المغربي من الناحيتين الادبية والمادية. لهذا فانا نقدم لكم بقصد الدرس الوثائق التي رفعناها للحكومة المغربية ولحكومة الجمهورية في مناسبات مختلفة. ومما في تلك الوثائق مطالب واقتراحات لاشك عندنا في انكم ستعيرونها الاهتمام الذي تستحقه وستعملون على تطبيقها كما تقتضيه الحالة.

وانا لنشكر مقابلتكم الترحيب بكم مشابهة كما ننتظر المشاركة في العمل مع دوائركم في جو تسود عليه الثقة المتبادلة من أجل تحقيق المطالب المغربية تحقيقا تدريجيا.

والآن نود منكم بكل وقار ان تقبلوا يا سعادة المقيم العام دلائل احترامنا الفائق

كتلة العمل الوطني.

فاجابنا المقيم العام من باريس بتاريخ 2 أكتوبر بهذا الكتاب:

سيدي: لقد حسن لديكم عندما رفعتم الي في رسالتكم المؤرخة بـ 17 شتنبر تهانيكم هيأتكم ان تؤكد لي بان كتلة العمل الوطني مسرورة بحسن اختيار الحكومة الجمهورية حيث عينتني مقيما عاما بالمغرب. فلقد وقعت مني تهنئتكم موقع الارتياح واستحسنت ما تعبر عنه من ثقة. واما من جهتي فلا تسعني الآن أن أؤكد لكم بانني سأطلع باهتمام على رغائبكم وساعطيها كلما تقتضيه من عناية. وفي كل الظروف سابذل جهدي لأدرس بعطف ما يمكن ان يطبق بصفة عملية من اقتراحاتكم مع اعتبار مصلحة المشكور العام لكافة البلاد. وانتم تعلمون انني مرتبط ارتباطا وثيقا منذ ما يقرب من ربع قرن بالمجهودات التي تبذلها فرنسا بالمملكة الشريفة في اسعادها ماديا وادبيا.

والمرجو منكم يا سيدي ان تقبلوا دلائل عواطفي الممتازة

(امضاء) نوجيس

صورة النسخة الأصلية التي وزعت على الجمهور المغربي

المغرب والجبهة الشعبية بفرنسا

عندما صدرت مجلة «مغرب» بفرنسا، والتي كان يشرف على تحريرها المرحوم الحاج أحمد بلافريج ويتحمل مسؤوليتها الادارية السيد روبيرجان لونكي الذي كان يتعاطف مع القضية المغربية تعاطفا حقيقيا، سعى الاخوة الموجودون إذذاك بباريز بمساعدة من الأمير شكيب أرسلان وروبير لونكي على تكوين لجنة رعاية للمجلة المذكورة، كانت مؤلفة من بعض الأحرار الفرنسيين، اشتراكيين وراديكاليين وغيرهم.

وعندما وضعت كتلتنا الوطنية، برنامج الاصلاحات المغربية أو مطالب الشعب المغربي قدمت للدوائر الفرنسية، وكانت مؤيدة أيضا من طرف هؤلاء الأحرار الفرنسيين، وهكذا بدأ الاتصال مع بعض رجال فرنسا الأحرار الذين كانوا ينظرون إلى القضية المغربية نظرة العطف والتأييد، والفضل يرجع في ربط هذه العلاقات والتعريف بالمشكل المغربي أمام الرأي العام الفرنسي إلى نخبة من الشباب الوطني كان يدرس إذذاك بالعاصمة الفرنسية ويأتي في طليعة هؤلاء الاخوة : احمد بلافريج ومحمد حسن الوزاني وحّ عمر بن عبد الجليل ومحمد الفاسي.

لقد بدأ الاتصال بهؤلاء الأحرار الذين كان بعضهم لا يكتفي بالتأييد المبدئي لحركتنا الوطنية، بل كان يساهم في تحرير بعض المقالات في مجلة «مغرب» ويساندنا في مطالبنا الأساسية وكان الجميع يظن أن هؤلاء اليساريين إذا ما أتيحت لهم الفرص وتولوا الحكم في فرنسا فإن السياسة الفرنسية بالنسبة للمغرب ستنقلب ظهرا على عقب، فيقع النظر بجد في مطالب الشعب المغربي، ويظفر المغاربة ببعض حقوقهم على الأقل وشاءت الأقدار — بعد صراع عنيف بين اليمين واليسار في فرنسا — أن ينتصر اليساريون الذين كانوا يتألفون من الاشتراكيين والراديكاليين، فيؤلفوا بينهم جبهة شعبية تولت الحكم في فرنسا بعد انتخابات مايو 1936.

وهكذا بعد استيلاء الجبهة الشعبية على الحكم، وأخذها زمام الأمور في توجيه السياسة الفرنسية داخلا وخارجا، قررت كتلة العمل الوطني أن تغتنم فرصة تولي الجبهة الفرنسية الحكم لتتصل بالمسؤولين الفرنسيين الجدد، وترفع إليهم مطالب الشعب المغربي التي طالما كانوا من المناصرين لها قبل توليهم الحكم.

وهكذا سافر الاخوان : محمد بن الحسن الوزاني وحّ عمر بن عبد الجليل إلى فرنسا ليتصلا وليطالبا بتحقيق الوعود التي طالما وعد بها الاشتراكيون قبل أن يتولوا تسيير الحكم في بلادهم.

لقد قام الاخوان بالدعاية اللازمة للقضية الوطنية، ورفعا بعض المذكرات التي تشرح الوضع في المغرب، ونظما كثيرا من الاتصالات مع المسؤولين، فكان الانصات، وكانت الوعود، ولم يتحقق شيء من المطالب.

وتأييدا لمطالبنا، نظمت الكتلة بعض التجمعات في كل من الرباط وفاس وسلا تدارست فيها مطالب الشعب المغربي على ضوء المستجدات التي وقعت وقررت المطالبة بتنفيذ المطالب المستعجلة التي أشرنا إليها وإلى التجمعات التي وقعت لتأييدها في ما سبق.

وقبل هذه التجمعات والاجتماعات رفعت الكتلة مذكرة إلى المسؤولين الفرنسيين الجدد ومن جملتهم الذين كانوا يساندوننا مساندة مبدئية أمثال السادة : دوطيسان برئاسة الجمهورية و«فيينو» نائب الوزير في الشؤون التونسية والمغربية و«جان كامبانكي» زعيم النواب الراديكاليين وغيرهم، ولقد وزعت هذه المذكرة على المناضلين الوطنيين كما كانت عادة كتلة العمل الوطني في كل عمل تقوم به، وها نص المذكرة كما وزعت على الشعب.

الحمد لله وحده

أيها الأخ الكريم، السلام عليك.

هذا نص المذكرة التي رفعتها كتلتنا بطريق البرق يوم 3 غشت 1936 لكل من أصحاب السعادة، رئيس الوزارة الفرنسية (ليون بلوم) والمسيو دوطيسان «برئاسة الوزارة ووزير الأمور الخارجية والمسيو «فيينو» بهذه الوزارة، ووزير الفلاحة ووزير المستعمرات والكاتب العام للحزب الاشتراكي ورئيس مجلس النواب ورئيس لجنتي الأمور الخارجية بمجلس الشيوخ والنواب والمسيو «كاشان» زعيم الحزب الشيوعي، والمسيو «كامبانكي» زعيم النواب الراديكاليين.

«ان كتلة العمل الوطني التي ما برحت تعلق آمالها على حكومة الجبهة الشعبية، ترى من حقها أن تلاحظ بعد مرور شهرين على تولي هذه الحكومة زمام الحكم بفرنسا، ان حالة الأمة المغربية لم يدخل عليها تحسن حقيقي، وانا لنعلم أنها ليست المسؤولة عن اهمال شعبنا، بل التبعة كلها تقع على سياسة الاقامة العامة «بيروتون» لأن الشعوب التي تنسب إلى «حماية» فرنسا أو التي تحت انتدابها توصلت كلها إلى تحقيق قسط مهم من مطالبها — ماعدا المغرب — فقد كادت تنتهي المفاوضات بالاتفاق بين فرنسا وسوريا، كما أن الدستور اللبناني قد استؤنف العمل به، وفتحت المفاوضات بين لبنان في شأن اتفاق نهائي، وحصل التونسيون بمناسبة 14 يوليه الفارط على حريات الصحافة والاجتماع وعلى تطبيق القوانين الاجتماعية التي تقررت أخيرا بفرنسا، أما المغرب فانا لا نراه حصل من طول انتظاره إلا على الخيبة، حيث ان التدابير التي اتخذتها الاقامة لا يمكن أن يكون لها أثر، بل نرى فيها خطرا على مصير البلاد. ومن تلك التدابير تأسيس هيآت، أهمها اللجنة الدائمة للدفاع الاقتصادي

«وان إنشاء هذه اللجنة وتركيبها وتوظيفها، مخالف كل ذلك لمبدأ «الحماية» ولا يمكن للمغاربة أن يروا في أعضائها الأهلية للدفاع عن مصالحهم، ثم إن من جملة القرارات الجائرة، إعطاء 46 مليونا للمعمرين لكي يؤدوا ما عليهم من الديون، ويأخذوا تعويضا عن الخمور البائرة عندهم، وكذلك تأجيل الديون التي على المعمرين المفلسين، كل هذا والفلاحة المغاربة الذين يعدون بالملايين لم يصيبوا إلا الاهمال الكلي، والصناع المعوزين لم ينالوا إلا خمسين ألف فرنك، أما الظهائر التي استصدرتها الاقامة في شأن العملة، كحصر مدة العمل في 8 ساعات، وكجعل أجرة العامل لا تقل عن 4 فرنكات لليوم، فإنها وإن كانت غير كافية، لا تطبق وإنما المقصود منها نشر الدعاية، فالمغربي ما يزال محروما من حرية الصحافة، وحرية النقابة، ولا يمكنه أن يتوصل إلى رخصة لاصدار جريدة عربية، رغم العراقيل الشديدة المجددة في سبيلها، كالحصول على إذن من الادارة قبل إصدار الجريدة، والحق الذي للادارة في سلب هذا الاذن بدون محاكمة عدلية، واختصاص المحاكم العسكرية بالنظر في شؤون الصحافة العربية.

وبعد هذا البيان نؤمل من حكومة الجبهة الشعبية ان تتخذ من أجل ذلك التدابير الناجعة، وان تنظر في اصلاحات أساسية، تدخلها على حالتنا حتى تتحقق فيها آمالنا، وتبرر «رسالة» فرنسا بالمغرب وإنا لنطالب باستعجال للجائعين بالخبز، وللطبقات العاملة بالشغل، وبتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية، ولعموم الشعب المغربي بالمدارس وبحرية الصحافة وحرية الاجتماع».

لقد كان المقيم العام ممثل فرنسا بالمغرب هو «بيرتون» وكان رجلا طائشا حقودا على كل حركة تحررية سواء بتونس التي كان مقيما عاما فيها قبل مجيئه إلى المغرب، أو بالمغرب الذي عين فيه مكان «بونصو» ولذلك فإن كل ما تقدمت به الكتلة كان يلقي المعارضة والحرب من طرف إدارة الأمور الأهلية، التي كانت هي بدورها لا تخدم الا مصالح الجالية الفرنسية والمعمرين الفرنسيين.

ولقد قامت الكتلة بواجبها إزاء هذا المقيم فقاومته بكل ما تستطيع من وسائل، الأمر الذي اضطر الحكومة الفرنسية إلى عزله من موقعه كمقيم عام وتعيين الجنرال نوغيس مكانهُ في الاقامة العامة.

والجنرال نوغيس «معروف» لدى الوطنيين، فهو كان من جملة تلاميذ «ليوطي» الذين تربوا في أحضان إدارة الأمور الأهلية، والذين يدعون أنهم خبراء في معرفة عقلية الشعب المغربي، ولقد كان تعيينه مقيما عاما بالمغرب بالرغم عن عدم انتمائه للخط اليساري التي تولى الحكم في فرنسا، كان تعيينه باعتباره عسكريا، تخويفا للجالية الفرنبسية التي طغت في المغرب خصوصا في عهد «بيرتون» الذي كان مناصرا مخلصا لها ولتوجهاتها، ولكن هذاالتعيين لم

يرض رجال الحركة الوطنية نظرا لما كان معروفا عنه، عندما كان في إدارة الأمور الأهلية، وبالرغم عن ذلك فلقد قررت الكتلة أن تغض الطرف عن ماضيه وعن شخصيته الأنانية المتصفة بالضعف والتردد اللذين يتجليان أعظم تنجل عندما يتولى زمام المسؤولية كمقيم عام بالمغرب، أقول قررت الكتلة أن تغض الطرف عن جميع ذلك، وتتعامل معه كمفوض مسؤول معين من طرف حكومة الجبهة الشعبية، وهكذا بمجرد تعيينه وجهت له رسالة مؤدبة مع ملف كامل عن حقيقة المشكل المغربي والمطالب التي يطالب بها الشعب المغربي، والتي تقدمت بها كتلة العمل الوطني للاقامة العامة وحكومة فرنسا. ولقد أجاب نوكيس الأخ محمد اليزيدي الذي وقع الرسالة بالنيابة عن الكتلة، واعدا بأنه سيدرس الملف دراسة واعية وكلف أحد أعوانه بدراسة الملف والاتصال ببعض القادة الوطنيين، ولقد سبق أن نشرنا في هذا الكتاب نص المذكرة التي بعثتها الكتلة إلى المقيم العام ونص جوابه.

ولقد استقبل «نوكيس» جماعة من رجال الكتلة، وتدارس معهم قضية المطالب التي يطالبون بها وفي طليعتها الحريات العامة، فوعد بأنه سيعمل على تلبية الممكن منها، وفي ضوء هذا الوعد صدرت جريدة «الأطلس» التي كانت لسان حال كتلة العمل الوطني وكان يديرها المرحوم محمد اليزيدي ثم صدرت جريدة «المغرب» اليومية التي كان يديرها المرحوم سعيد حجي وسرحت جريدة «عمل الشعب» من عقالها وكان يديرها المرحوم محمد بن الحسن الوزاني.

ولكن ما صدرت هذه الجرائد، وتنفس الناس الصعداء نتيجة هذا الانفراج الجزئي وإعطاء بعض الحريات، حتى عادت الألاعيب السياسية تأخذ مجراها، ودسائس إدارة الأمور الأهلية تعمل عملها، فانقلب نوكيس نفسه من خطة التعاون النزيه إلى الشدة والقساوة، ومعاكسة المطالب المغربية والضغط على الوطنيين الأحرار. ثم وقع في عهده المشؤوم انشقاق الكتلة وانسحاب الوزاني منها وتأسيسه للحركة القومية، كما شرحناه في موضعه.

صدور جريدة «الأطلس»

صدر أول عدد من جريدة «الأطلس» بتاريخ فاتح ذي الحجة عام 1355 هجرية الموافق لـ 12 فبراير عام 1937 وكان مديرها محمد اليزيدي عضو اللجنة التنفيذية للكتلة وكتب في واجهة صفحتهما الأولى : الأطلس لسان كتلة العمل الوطني وجاء في افتتاحيتها الموقعة باسم اللجنة التنفيذية مايلي : لنا عظيم الشرف وكبير السرور أن نكون أول من يقدم للشعب المغربي

صحيفة عربية وطنية، يهتدي بها المسترشد في سبيله، ويلتجئ إليها المظلوم في كربته، ويستنجد بها المناضل في عراكه.

قد علم الناس ما بذلته جماعتنا من الجهود لنيل هذا الحق، وما قدمته من التضحية للوصول لهذه النتيجة التي لا نراها إلا خطوة في سبيل الحرية الحقيقية، بل في باب الصحافة نفسها إلى أن تقول الافتتاحية : اما خطتنا فقد كانت وما تزال ترمي إلى رفع المستوى المغربي ماديا وأدبيا، وإلى الدفاع عن حقوق شعبنا ضد من يتطاول عليها، ومن أجل هذا سنعمل كل الوسائل المشروعة على تحقيق مطالبنا المستعجلة، ثم المطالب المغربية العامة التي قدمها حزبنا للحكومتين المغربية والفرنسية منذ سنتين، بعد أن قضى عاما كاملا في درسها وتحريرها، وأخذ رأي مختلف الطبقات فيها، إلى آخر ما جاء في الافتتاحية التي وضحت الغاية من إصدار هذه الصحيفة وهي الدفاع عن حقوق الشعب المغربي والعمل على تحقيق مطالبه المستعجلة والعامة لقد بقيت جريدة «الأطلس» تصدر لغاية 8 شعبان 1356هـ 14 أكتوبر 1937 وكان آخر عدد صدر منها هو العدد الخامس والثلاثون، حيث توقفت عن الصدور بعد محن قاستها من جراء الرقابة المفروضة عليها، والتي كانت بعض اعدادها تمنع كليا.

ولقد جاء في افتتاحية العدد الأخير الصادر منها افتتاحية بتوقيع الزعيم علال الفاسي قال فيها : (كل ما عاناه البشر في الأزمنة المظلمة، راجع إلى انتزاع الملك، واغتصاب الحق، وفقد الحرية، والرمي بالجوع، والانتهاك للأعراض، والاضطهاد من أجل العقيدة، والتفنن في التنكيل أثناء الاستنطاق، والامتهان لمظاهر الدين المقدس، والاكراه على الردة، وكل هذا وذاك قاساه المغاربة في سنين مضت، واشتد عليهم في هذا الشهر الحالي) وبعدما يعدد المقال المتاعب والأهوال والامتهانات التي يعاني منها المغاربة، سواء من لدن المراقبين أو من لدن القواد الأهالي أمثال الكلاوي في مراكش أو في زمور التي منعت الحكومة الناس من إقامة (موسم قرآني من عادتهم أن يقيموه سنويا الا بشرط عدم تلاوة القرآن وعدم الدعاء لجلالة السلطان — في وقت يسمحون فيه بإقامة أعظم موسم كنسي تبشيري في القبيلة نفسها) يختم المقال بمايلي : (ولماذا يعاقب الناس ؟ ولماذا يسامون بضروب العسف والاضطهاد ؟ لأنهم اتخذوا المبدأ الوطني عقيدة يومنون بها. فيجب أن يخرجوا عنها، ويجب أن يخرجوا عن كل روح إسلامية من شأنها أن تذكرهم بمجد الاسلاف، وتعيد فيهم ماضي الهمة، وتحيي موت العزيمة) ثمانية أشهر كانت كافية لترتاع الادارة الفرنسية من بروز الصحيفة الوطنية فتعمل على منعها وعدم السماح بصدورها بعد أن تجد الرقابة المفروضة عليها، لقد عالجت صحيفة «الأطلس» كثيرا من المواضيع التي تهم قضايا الشعب المغربي مدافعة عن حقوقه، رافعة صوتها في استنكار ما يقاسيه من مظالم وأهوال في جميع مجالات الحياة، سواء منها المجال العدلي أو المالي أو الاجتماعي أو السياسي أو التعليمي أو الثقافي أو اللغوي، وان إلقاء نظرة على المقالات والمراسلات التي كانت تنشرها الصحيفة تعطي الدليل على أنها كانت بالفعل لسان الشعب

المغربي لقد احتجت ضد الضرائب التي اثقلت كاهل المغاربة، وطالبت بإصلاح العدلية المغربية واهتمت بالصناعة المغربية وعالجت مشاكل التعليم، واهتمت بقضايا ومشاكل الطبقة العاملة، واستنكرت المظالم التي يعاني منها المغاربة، ورفعت صوتها دفاعا عن الذين لا يجدون الشغل وحاربت البؤس والظلم والجهل إلى غير ذلك من المواضيع التي كانت شغلها الشاغل.

ولقد برزت أسماء كانت تذبح مقالات ومراسلات تعالج المواضيع التي أشرنا إليها أمثال الزعيم علال ومحمد اليزيدي واحمد بلافريج والهاشمي الفيلالي والحسن بوعياد وعبد الهادي الشرايبي وعمر بن عبد الجليل والفقيه غازي الذي كان يمضي (بيوسف) وعبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن وغيرهم، ويلاحظ أن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني لم يكتب فيها ولو مقالا واحدا، رغم أنها كانت لسان كتلة العمل الوطني وكان هو عضوا بارزا فيها قبل أن ينسحب منها ويكون الحركة القومية. أما الأستاذ بلافريج فكانت أكثر كتاباته بتوقيع ألف باء. ويعالج فيها القضايا الدولية، كما كان يعالج موضوعات أخرى وأما الأستاذ اليزيدي فكان يمضي أحيانا باسمه الصريح وأحيانا بأخي مدين وأحيانا أخرى بجهينه، أو عبّو الريح، أما عمر بن عبد الجليل فكان اهتمامه أساسا بالقضايا الفلاحية والاقتصادية عموما، وأما الهاشمي الفيلالي فاهتمامه كان بقضايا إصلاح العدلية المغربية وإصلاح المحاكم في الغالب.

كان «للأطلس» مراسلون في أمهات المدن المغربية وكنت أراسلها من سلا، وأول مراسلة لي كانت حول اشتداد الأزمة وانتشار البطالة في سلا، وعدم إعطاء العناية للطبقة العاملة ومن جملتها صناعة الحصر التي كانت منتشرة في سلا وكان العمال الصغار يعانون منها معاناة قاسية، ولقد طالبت باسم هؤلاء العمال : (1) بتنظيم أوقات العمل (2) منع الصبيان من تعاطي هذه الحرفة (3) عدم احتكار خدمات الأحباس (4) مراقبة الصناعة مراقبة كافية والضرب على يد الغشاشين (5) ادخال تحسينات على هذه الصناعة (6) التعجيل بإعانة البطالين ومساعدة المستغلين لقلة أجورهم.

لقد بقيت «الأطلس» لسان كتلة العمل الوطني لغاية العدد الخامس الصادر بتاريخ 19 مارس 1937، ثم بعد حل كتلة العمل الوطني بقرار وزيري ــ كما سنتحدث عن أسباب هذا الحل لدى حديثنا عن كتلة العمل الوطني ــ صارت تصدر باسم «لسان الحركة الوطنية لتحقيق المطالب» وهو الاسم الذي أعطته الكتلة لنفسها قبل أن يعلن عن تأسيس الحزب الوطني.

ولقد كان لجريدة «الأطلس» اهتمام خاص بالناحية الأدبية، فكانت فيها صفحة أدبية، كان يساهم فيها الأستاذ علال ومن المواضيع التي عالجتها في هذه الصفحة الهامة مايلي : (1) هل للأدب شيوعية كشيوعية العلم (2) ثقافة الأديب (3) حاجاتنا للتخصص الأدبي، وقد كتب في هذه الصفحة أمير البيان شكيب أرسلان حول موضوع : دراسة الأدب العربي،

وصناعة الشعر وإبداع شوقي فيها وهو فصل من كتاب للأمير، اسمه : شوقي أو صداقة أربعين سنة، وهذا الكتاب قال عنه الأستاذ بلافريج (انه فتح جديد في النقد الأدبي، فهو لم يبعث ضياء على شعر شوقي فقط، بل على أدب لغتنا كله) ومن أهم المواضيع التي عالجتها الصفحة الأدبية موضوع الثقافة العربية والثقافة الفرنسية بافريقيا الشمالية وهذا الموضوع عالجه الأستاذ بلافريج في افتتاحية هامة من جملة ما جاء فيها : (أمّا تفضيل الثقافة الفرنسية على الثقافة الاسلامية، فمنشؤوه التعصب فقط، لأن الثقافة الفرنسية، ليست هي المثل الأعلى للانسانية، وليست مقياس الثقافات حتى ينبغي أن تعد ناقصة كل ثقافة لا تشبهها) إلى أن يقول : (اننا نحذر من الذين يعملون في الجهر والسر للقضاء على لغتنا وثقافتنا، ثم يطمئنوننا على وجودها، لأنهم إنما يريدون أن يعملوا عملهم بدون معارضة منا، فلنتيقظ لذلك ولنطالب بأن تكون للغتنا المكانة اللازمة في برامج التعليم[1] كما أن أمير البيان شكيب أرسلان أدلى بدلوه في هذا الموضوع بمقالين هامين ناقش فيه مناقشة موضوعية ما كتبه الفرنسي (بلجران) ختمه بقوله : ثم نجد هذا الرجل يدعو إلى اللغة العربية العامية، وهو مذهب قديم عند من يريدون أن يلعبوا بالعرب، ويشقوا الأمة بعضها عن بعض، وعند من يرى الوحدة القرآنية جبلا على صدورهم، فلذلك تراهم يتوسلون إلى صدع هذه الوحدة بجميع الوسائل، ونحن نسأل هؤلاء : ان اللغات الأوربية واللغة الفرنسية نفسها فيها عامي، كما في اللغة العربية، فلماذا يلزمون الناس ترك العامي منها والأخذ بالفصيح وحده، واننا نسأله أيضا سؤالا آخر، إذا كان الشرع الاسلامي غير واسع الصدر للمدنية الحديثة، وكانت اللغة العربية غير قادرة على القيام بثقافة عصرية، وكنا نريد أن نجعل ثقافة المسلمين في شمال افريقيا باللغة الانجليزية مثلا، وهي التي لا يقدر «بلجران» ان يزعم كون اللغة الفرنسية لغة علمية أكثر منها، أو نجعلها باللغة الألمانية أو اللغة الطليانية أيشير بذلك «بلجران» ؟ لا جرم أن الجواب يكون سلبا، إذا لمسألة مسألة سياسية لا مسألة علم»[2].

افتتاحيات «الأطلس»

عالجت افتتاحيات «الأطلس» المواضيع الآتية : (1) خمسة وعشرون عاما على بسط الحماية على المغرب (2) هل يوجد بالمغرب بطالون من بين المثقفين (3) البؤس بالمغرب (4) انا منتظرون وهو تعليق على خطاب ألقاه مسيو «فيينو» بعد زيارة قام بها لتونس (5) كتلة العمل الوطني تحل بقرار وزيري (6) حول تدشين مدرسة سيدي محمد بمراكش (7) اشتداد أزمة الصناع (8) بم تتمخض الظروف للمغرب ؟ وهو تعليق على تقرير ألقي في مؤتمر الحزب

---

(1) جريدة «الأطلس».
(2) الأطلس عدد 15.

الراديكالي المنعقد في الدار البيضاء وورد فيه : (ان فرنسا إذا جعلت من المغرب صديقا، جعلت منه حصنا منيعا لا تناله قوة (9) التطور المغربي أمر لابد منه، ويطالب المقال بتغيير السياسة المتبعة (10) هول المجاعة بالمغرب (11) حول الثقافة الفرنسية والثقافة الاسلامية (12) المغاربة يتذكرون دائما 16 ماي 1930 (13) وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (14) التعليم بالمغرب (15) تنمية دحض، لتتمة افتراء (16) سوريا تقتبل ابنيهما العظيمين الوفيين (17) مقاومة الأفكار أكبر داع لانتشارها (18) الرجولة : مهداة إلى شباب المغرب لعبد الله كنون، (19) تقرير خطير ترفعه الحركة الوطنية لحكومتي المغرب وباريز (20) القضية المغربية أمام مؤتمر مرسيليا (21) شيخنا أبو شعيب لعلال (22) مستقبل البلاد (23) إدارة المعارف تحارب المعارف (24) العنصرية والميز الجنسي (25) أين تنفيذ الوعود ؟ (26) تقدم، ولكن إلى الوراء (27) عظة من حوادث مكناس (28) حيرتهم، لبلافريج (29) الفوضى في أسواق القمح (30) المطالب المستعجلة بعد عام (31) عصورنا الوسطى لعلال.

انفصال الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني عن : كتلة العمل الوطني

أطلق اسم كتلة العمل الوطني على الحركة الوطنية بعد تقديم مطالب الشعب المغربي للدوائر المختصة في دجنبر 1934، واختيار هذا الاسم جاء نتيجة سببين، أولهما أن اسم الكتلة الوطنية كان متداولا معروفا في الشرق العربي وخصوصا بالشام حيث كانت الكتلة الوطنية برئاسة هاشم الاتاسي، هي الحركة الوطنية المرموقة التي كنا ونحن شباب نتتبع نشاطها وكفاحها الوطني ضد الاستعمار أو الانتداب الفرنسي، مثل ما كنا نتتبع نشاط الحركة الموازية لها برئاسة الزعيم عبد الرحمان شهبندر. أما السبب الثاني فإن الحركة الوطنية لما حررت مطالب الشعب المغربي وأرادت تقديمها إلى المراجع المختصة لم يكن لديها إذذاك اسم خاص تعرف به، وإنما كنا نعرف بالوطنيين، ويقول الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني في مذكراته انه هو الذي اقترح ان يطلق على الوفد الذي سيقدِّم المطالب اسم : (لجنة العمل المغربي).

واقترح أيضا أن يغير باسم كتلة العمل الوطني حتى يأتي مسبوكاً طليقا على الألسنة.

وكيفما كان الأمر فمنذ ذلك التاريخ أصبح الاسم المتداول على الألسنة والذي يعرف به الوطنيون، وتوقع به الوثائق والمذكرات والمناشير هو : (كتلة العمل الوطني).

لم يكن للكتلة نظام خاص أو قانون معروف، ولكن هذا الاسم أصبح التعبير الصحيح عن الوطنيين الذي تحملوا مسؤولية تقديم المطالب المغربية، كما أصبح التعبير عن جميع الوطنيين السائرين في النهج الوطني في مختلف المدن والنواحي المغربية، فالكتلة ليست حزبا وطنيا له قوانين معترف بها، وليست له تنظيماته الخاصة به، وتشكيلاته التي تميزه عن غيره، ولكنها حركة يتلاقى أفرادها حول أفكار ومبادئ معينة تهدف إلى مصلحة المغرب والدفاع عن قضاياه، والعمل على تحقيق مطامحه ومطالبه التي جاءت في برنامج الاصلاحات المغربية، والتي جعلت عنوانها : (مطالب الشعب المغربي).

لقد كنا نشتغل دون أية حساسيات مع بعضنا. ورغما من أن كثيرا من القرارات كانت تتخذ في غيبة عنا، حيث كنا نحن : (جماعة سلا) نشتغل مع بعضنا بعضا، ونراسل إخواننا في الشرق العربي لنزودهم بالمعلومات عن الوقائع والأحداث التي تقع في المغرب ونسير جماعاتنا المحلية طبق ما نقرره بأنفسنا، مثل ما كنا نتلقى ما يقرره إخواننا سواء بفاس أو بالرباط، ونعمل على تنفيذه بكل ارتياح، كانت الفكرة الوطنية هي السائدة، والتعاون والتآزر والثقة المتبادلة، هي المبادئ التي تسيرنا.

ويجب أن أسجل هنا أن جماعتنا السلوية الوطنية كانت جماعة متماسكة متآخية نشيطة بالرغم عن بعض الاحتكاكات البسيطة التي كانت تقع أحيانا بين أخوين خاصين، وبالنسبة لي شخصيا يجب أن أسجل أنه لم يقع بيني وبين أي من إخواني الوطنيين سواء في سلا أو في غيرها أي نزاع أو خصام والحمد لله، وان إخواني في سلا الذين شاءت الظروف والأقدار أن أكون ضمنهم وواحدا منهم، كنت أتعاون وإياهم تعاونا صادقا مخلصا، وان تعاوني بالخصوص مع الاخوين : سعيد حجي والحاج أحمد معنينو كان في منتهى الصدق والاخوة والطهر. وأذكر هذين الأخوين بالخصوص لأن الجهد الذي بذلناه ابتداء من سنة 1931 إلى سنة 1937 كان جهدا مضنيا، وان تعاوننا كان تعاونا وثيقا، واخوتنا كانت أخوة صادقة، فكنا نكثر من الاتصالات والاجتماعات، ونحكم الارتباطات والعلاقات وننظم المراسلات والمكاتبات، كل ذلك بطرق جماعية، وإحكام واتقان. فأعمالنا ونشاطاتنا لم تكن متباينة ولا متزاحمة، رغم اختلاف النفسيات والطبائع، وكنت والحمد لله أصبر وأصابر وأتحمل الكثير من المتاعب، نظرا لاختلاف طبائع بعض الاخوة، أو اختلاف وجهات نظرهم في بعض القضايا، حتى نتغلب على الصعوبات ونحافظ على وجودنا كجماعة وطنية متراصة مع بعضها ومع إخوانها واعترافا بالجميل وتقديرا لاخواني جميعهم، يجب أن أسجل أيضا أن نظرتهم لأخيهم كانت نظرة تقدير ومحبة ووفاء، وانهم رغم عدم امتيازي عليهم كانوا عهدوا إلي بتمثيلهم سواء لدى إخواني أعضاء كتلة العمل الوطني أو لدى الدوائر المسؤولة الحكومية، ومن أجل ما ذكر، كان اتصالي

محكما ومضبوطا مع الأخ محمد اليزيدي ومع الحاج عمر بن عبد الجليل كل يوم خميس، وكنت الواسطة بين إخواني السلويين وإخواني الرباطيين والفاسيين، وغير خاف أن الحركة الوطنية بفاس خصوصا كانت إذذاك قوية ونشيطة، بل كانت فاس تعتبر في تلك المرحلة التاريخية، القلب النابض، والجسم المتحرك، والانسان الفعال.

في هذا الجو النقي الطاهر المتجاوب، سواء في الميدان الوطني السياسي أو الميدان الثقافي أو الميدان التعليمي أو الميدان الاجتماعي حيث كانت اجتماعات منظمة، قرارات مدروسة، تجمعات شعبية ناجحة، لقاءات طلابية متواصلة، قراءات قرآنية مسجدية يومية — نزهات موسمية مريحة، مراسلات وكتابات منتظمة، إلى آخر النشاطات التي كنا نقوم بها. في هذا الجو الوطني السليم المريح، ترد علينا أخبار بأن انشقاقا وقع في فاس بين أعضاء كتلة العمل الوطني، وان الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني انفصل عن إخوانه وصار يدعو لحركة جديدة، ترى ما هي الأسباب والدواعي التي تسببت في هذا الانشقاق ؟ ما هو واجبنا كوطنيين مخلصين لبلادنا وإخواننا إزاء هذا الحدث العظيم الذي جد ؟ وتبادلنا الرأي مع بعضنا — أعني نحن وطنيي سلا — فقررنا أول ما قررنا أن نعمل كل ما نستطيع للقضاء على الخلاف، وان نعمل متكاثفين للحفاظ على وحدة الصف الوطني، وان لا نتحزب ضد أي فريق، ولا ننتصر لأي جناح، حتى يكون تدخلنا مجديا وناجحا وفعالا، وصرنا نبحث عن أسباب الخلاف، فنتلقى الأجوبة المختلفة، فكل طرف يشرح الموضوع على حسب منظوره الخاص، ولكن الطرفين معا كانا متفقين على أن المشكل نتج عن قرار اتخداه معا، يتعلق بالدفع بالحركة الوطنية إلى تنظيم حزبي علني، تخطو به الحركة الوطنية خطوة إلى الأمام، لتصبح حزبا وطنيا علنيا معترفا به من السلطات مثل بقية الأحزاب الوطنية السياسية في العالم جميعه.

وهنا أدع الكلام للأستاذ علال الفاسي الذي تحدث عن هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا الوطني في كتابه الحركات الاستقلالية قال علال في صفحة 191 من كتابه المذكور (الطبعة الرابعة).

(أصبحنا نعتقد في إمكانية تنظيم حركتنا على غرار الأحزاب المنظمة الكبرى، ولذلك عقدت الكتلة اجتماعا عاما بفاس، وقررت أن تفتح لها مكاتب، وتضع قانونا جديدا يمكن من مشاركة أنصار الحركة وأعضائها في اختيار المسيرين ومراقبة أعمالهم، ووكلت اللجنة لي وللوزاني وضع مشروع لقوانين الكتلة الجديدة، فاجتمعنا نحن الاثنين، ووضعنا الأصول التي نعتمد عليها في وضع القوانين، وتكلفت بتحريرها، وبعد أن انتهينا من مهمتنا عرضنا على الكتلة في اجتماع عام، ثانٍ مشروعنا، ودافعنا عنه مادة مادة، حتى أقره الجميع بصيغته النهائية، مع إدخال بعض التعديلات الخفيفة، وخلاصة القانون ان الكتلة تتركب من لجنة تنفيذية ومجلس وطني ولجان فنية وفروع، ولكل من هذه الهيآت لائحتها الداخلية الخاصة بها، وهي

حزب ديموقراطي ينتخب مسيروه بمقتضى التصويت السري في مؤتمر عام، يمثل الفروع والشعب على نسبة معينة.

وقد قررت الكتلة أن ننتخب لجنة تنفيذية موقتة، تشرف على فتح المكاتب، وتسجيل المنخرطين بصفة رسمية، وتستمر في عملها حتى تسمح لها الظروف بعقد المؤتمر العام الذي يقضي به القانون.

وفعلا اجتمعنا في يناير سنة 1937 بمقتضى ما اتفقنا عليه، ووفاقا للقوانين التي وضعناها بأنفسنا، خرجت نتيجة الاقتراع السري على تكوين اللجنة كمايلي :

علال الفاسي : رئيس

محمد حسن الوزاني : أمين عام

احمد مكوار : أمين الصندوق

محمد اليزيدي
عمر عبد الجليل
عبد العزيز ادريس
محمد غازي
أعضـــــاء

وبمجرد ما أعلنت النتيجة، أعلن الأستاذ الوزاني استعفاءه من الكتلة، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا الانشقاق الذي حدث، وما نتج عنه، وكل ما هنالك أن الأستاذ الوزاني أخذ يعمل لاكتساب أنصار جدد باسم (الحركة القومية) بينما استمر سائر الذين كانوا بالاجتماع العام في عملهم ضمن الكتلة) هذا كل ما كتبه الأستاذ علال في موضوع الانشقاق أما الأستاذ محمد حسن الوزاني فلقد تحدث في مذكراته «الجزء الخامس» ص 19 عن موضوع انشقاق الكتلة كمايلي : (نبعث فكرة الخروج بالكتلة من وضعها المألوف في عهد ما قبل تلك (الاطلالة) إلى وضع جديد، أي من السرية إلى العلانية، ومن التسيير الجماعي إلى التنظيم الحزبي، قدوة بالأحزاب في البلاد العربية كتونس، وبعد التداول في الأمر، تقرر انجاز الفكرة، فعهدت الكتلة إلي بإعداد مشروع الحزب الجديد، كما عينت لدراسته الأولى عضوين آخرين هما علال الفاسي وعمر بن عبد الجليل، فكنا نؤلف لجنة المشروع قبل عرضه للمناقشة والمصادقة، وقد وضعت فعلا مشروع قانون يكفل للحزب الجديد نظاما ديموقراطيا محكما بصفته حزبا عصريا على نسق الأحزاب السياسية الحرة المعروفة في الأمم الراقية بأوربا والشرق العربي، ثم عقدنا اجتماعا ثلاثيا ببيت «عمر» بسيدي الخياط بالدوح، وقد فوجئت بمشروع مضاد أتى به علال الفاسي الذي قال انه فكر من جهته في الأمر، وان لم يكن مكلفا بوضع أي مشروع، وإنما كانت مهمته مع عمر دراسة مشروعي قبل عرضه على الجماعة، وزاد قائلا : بأن تفكيره قاده إلى البحث عن قوانين حزبية، فوجد أن أصلحها، هو

قانون حزب الدستور الجديد المنشق من قَبل بقيادة الحبيب بورقيبة عن حزب الدستور التونسي المنتمي إلى الزعيم الكبير عبد العزيز الثعالبي، وسرعان ما لاحظت أن عمر هو الآخر كان على ذلك الرأي، فأخذني العجب مما سمعته، ولاحظت خلافا لما اتفقت عليه الجماعة، وهو تعيين لجنة ثلاثية، والعهد إلي فيها بإعداد مشروع قانون الحزب الجديد وأمام ما جد في الاجتماع، وبالرغم عما باغتني فيه، لم أرفض مبدئيا الاطلاع على ما في القانون الحزبي التونسي بقصد الاستفادة، ولكن بعدما ننتهي من دراسة المشروع الأساسي الذي أعددته، ولشد ما اندهشت حينما رأيت الرفيقين يفضلان اتخاذ قانون حزب الدستور التونسي البورقيبي قانونا لحزبنا، عملا بقوله تعالى : (وكفى الله المومنين القتال) وبعدما يتحدث الوزاني بتطويل على أنه حاول اقناع رفيقيه بعدم الأخذ من القانون التونسي لأنه حزب ديكتاتوري سافر، وانه يجعل من الرئاسة منصب تشريف لا تكليف، بينما يجعل من الكاتب العام القائد المسيطر المطلق، بعدما يشرح كل هذا يقول : انه أيقن أن وراء الأكمة ما وراءها، وان هناك أمرا دبر بليل، ثم قال وهكذا نشأ الاختلاف بين وجهات النظر في اللجنة الثلاثية، ثم ثبت لي فيما بعد أن الكتلة المتألفة في واقع أمرها من بضعة أعضاء كانت في مجموعها متحيزة لنظرية عضوي اللجنة الصغرى.

ثم يتحدث عن اجتماع الكتلة بفاس فيقول : ص (23) وكان موضوع الجمع الشروع في تطبيق القانون المقتبس من القانون الحزبي التونسي وذلك بانتخاب اللجنة التنفيذية التي ستتولى إخراج الحزب إلى حيز الوجود بتنظيم جهازه، وفتح مركزه ومكاتبه وتسجيل الانخراطات في سلكه، وتدبير شؤونه كلها، وتم هذا الجمع في يناير 1937 بدعوى التصويت في دائرته الضيقة، وفي كتمان تام عن الأغلبية الساحقة من العناصر الوطنية العاملة في فاس والمغرب أجمع، هذه الأغلبية التي لم يعترف لها بأي حق في الحضور بواسطة ممثليها. ثم يقول : فوزعت بطائق التصويت فورا، وسرعان ما جمعت لتكشف عن السر المكنون، وهو تصويت الحاضرين على أعضاء اللجنة التنفيذية وهم سبعة من بين التسعة الحاضرين ثم يقول : فكانت النتيجة المفتعلة هي : علال الفاسي : رئيس، محمد حسن الوزاني : أمين عام، أحمد مكوار : أمين الصندوق، محمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وعبد العزيز بن ادريس، ومحمد غازي، أعضاء، وأمام هذه اللعبة المفضوحة كان لابد أن أرفض الأمر الواقع، لأنه زيف وزيغ في حد ذاته).

لقد تحدث الوزاني بعد ذلك عن نتائج هذا التصويت، والأحداث التي وقعت بعدما ظهر الخلاف بينه وبين إخوانه والمحاولات التي وقعت لاصلاح ذات البين في صفحات متعددة. ويتراءى واضحا أن الانشقاق والخلاف اللذين وقعا، لم ينتجا عن خلاف في المبادئ ولا في البرامج ولا في المخططات، وإنما هو خلاف شكلي إداري توزيعي للمهمات، وإن الطرفين المختلفين سارا في تطبيق القانون الذي يقول الأستاذ علال انه وضع باتفاق بينه وبين الوزاني،

بينما يقول الوزاني : ان الذي وضعه هو علال وحده، وسواء أخذنا بما قاله علال أو بما قاله الوزاني فإن النتيجة واحدة، وهي أنهما عمليا شاركا في تطبيق القانون المعروض، وأعطيا أصواتهما وان الخلاف لم يقع حتى ظهرت النتيجة التي لم يختلفا في ذكرها.

لقد فوجئنا ــ نحن الجماعة الوطنية في سلا ــ بالخلاف الذي وقع، وعملنا لإصلاح ذات البين، ولكننا لم ننجح، مثل ما لم ينجح إخوان آخرون في رأب الصدع، والحفاظ على وحدة العمل الوطني، لقد كنت مؤمنا في ذلك الوقت أقوى ما يكون الايمان بضرورة التغلب على الصعوبات حتى تبقى كتلة العمل الوطني، كتلة متماسكة موحدة، خصوصا ونحن في بداية مرحلة جديدة من عملنا الوطني حيث استطعنا الحصول على بعض الحريات كحرية الصحافة والاجتماع الأمر الذي دعا إخواننا إلى التفكير في الخروج من مرحلة السرية إلى مرحلة العلنية، بإنشاء حزب وطني ديموقراطي يضاهي بقية الأحزاب السياسية الموجودة في الدنيا، ورغما من أن الفكرة في حد ذاتها، فكرة سديدة ووجيهة، إلا أنها كانت تنقصها بعض الشروط فالاعلان عن تكوين حزب وطني علني مغربي ووضع قوانين وتنظيمات له لا يصح ان ينبع من مدينة واحدة، ومن شخصيات وطنية معترف لها من الجميع بالوطنية الصادقة، ولكنها من مدينة واحدة أيضا باستثناء شخص واحد، خصوصا وانه كان للكتلة ممثلون في بعض المدن المغربية، وسبق لهم أن شاركوا وساهموا في قضايا وطنية واجتماعات وطنية آخرها التجمع العام الذي كان في الرباط من أجل المطالبة بالاصلاحات المستعجلة، والذي حضره جمهور غفير من الوطنيين في كل من فاس والرباط وسلا والدار البيضاء ومكناس وغيرها من المدن ثم المهرجانات التضامنية التي وقعت بعد ذلك في كل من فاس وسلا والبيضاء والتي على إثرها ألقى القبض على الزعماء الثلاثة : علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي، ثم المظاهرات التي وقعت بعد ذلك تضامنا مع هؤلاء الزعماء، ومطالبة بإعطاء الحريات العامة وتحقيق المطالب المستعجلة، وتعرض الكثيرين منا للسجن من أجل ذلك.

انه من الانصاف أن نقول ونسجل للحقيقة والتاريخ أن القرار الذي اتخذه الاخوان بفاس لتأسيس حزب وطني بتلك الطريقة التي ارتأوها جميعا. كان غلطاً فاحشاً، وان مسؤولية هذا الغلط يتحملها كل من الطرفين، لأنهما معاً اتخذا القرار المذكور ولم يعترض أي طرف على تكوين حزب في غيبة عن بقية الوطنيين سواء بفاس أو بغيرها من المدن بل بالعكس من ذلك صارا جميعا في أخذ الترتيبات، وتطبيق ما قرروه، ولو أنهما لم يكونا إلا تسعة أفراد كما يقول الأستاذ الوزاني فمسؤولياتهما في الاقدام على هذا التأسيس مسؤولية مشتركة والخلاف لم ينشأ بسبب عدم استدعاء بقية الوطنيين من فاس أو غيرها، وإنما نشأ حسب ما جاء فيما كتبه كل من الأستاذ علال والأستاذ الوزاني عندما أعلنت نتيجة الاقتراع فكان الرئيس هو علال الفاسي وكان الأمين العام هو محمد حسن الوزاني، فَمَا كَتَبَهُ المرحوم الوزاني في موضوع عدم استدعاء بقية الوطنيين يتحمل هو بدوره المسؤولية فيه إذا لو كان اشترط هذا الشرط في الأول

لما أمكنه أن يحرر هو القوانين التي تكلف بتحضيرها دون أن ينص فيها على ضرورة مشاركة كل الوطنيين الذين يجب أن يساهموا في تكوين الحزب الجديد حتى يكون حزبا ديموقراطيا حقا، ولما أمكنه بالأحرى أن يوافق ويبارك المشروع الذي حرره الأستاذ علال الفاسي بموافقته العملية على الشروع في تطبيقه، ويقدم نفسه للترشيح حتى إذا ظهرت النتيجة قال لا أقبل.

لقد تحدث الأستاذ الوزاني عن المشروع الذي تقدم به علال الفاسي كقانون للحزب الذي سيعلن فقال : في صفحة (21) من الجزء الخامس من مذكراته فقال : (وأكبر عيوب قانون الحزب التونسي (أي الذي أخذ عنه علال) انه يجعل من الرئاسة منصب تشريف لا تكليف، بينما يجعل من الكاتب العام القائد المسيطر المطلق على تسيير شؤون الحزب بما تجمع وتركز في يده من اختصاصات وتسلط ومسؤوليات عامة وخاصة) فهل كان علال وأصحابه يهدفون إلى إعطاء كل تلك الصلاحيات للوزاني عندما انتخبوه أمينا عاما للحزب الذي سيكون ؟ وهل كان القصد من انتخاب (علال) رئيسا أن يكون دوره تشريفيا لا غير ؟

والذي يتراءى أن الجو لم يكن صافيا بين الاخوة في فاس ولعل ذلك راجع لأسباب متعددة : منها اختلاف الطبائع، واختلاف التكوين، ولربما اختلاف التوجهات ولربما كانت هناك تشوفات، والبشرية تطغى أحيانا على الانسان مهما كان عظيما. وصدق الله العظيم : (كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا).

لقد أحْدث هذا التصدع في الكتلة ضجة في كثير من المدن المغربية، وتقبله الوطنيون الصادقون بامتعاض كبير، ورغما من الشروح التي كانت تعطى، والمبررات التي كانت تحاول إقناع الوطنيين بضرورة إعلان الخلاف، فلقد صار اليأس يتسرب إلى بعض النفوس، وصارت تبرز بعض الأفكار الهجينة التي ترفض فكرة الوحدة الوطنية، والعمل الوحدوي، فبرزت فكرة (البيضاء للبيضاويين) (وفاس للفاسيين) وهلمّ جراً، وصار الوطنيون الشباب يتأرجحون بين الانصات لهذا ولذاك، واندفع البعض في التصريحات الهوجاء، والنطق بالهجر من القول، وبث بذور البغضاء، والشحناء بين الاخوة والرفاق، وتساءلت مع نفسي ومع بعض إخواني ما هي الطريق ؟ وكيف العمل ؟ لقد بذلنا جهدنا بحكمة ولباقة، وأحيانا بسرية للقضاء على الخلاف، ولكنا وجدنا الجدران السميكة أمامنا، فلقد قضي الأمر وأعلن الأستاذ الوزاني عن تكوين حزب جديد أسماه بالحركة القومية، وصار ينخرط فيه من اقتنع بأطروحات الوزاني، أما الباقون فبقوا في مواقعهم في كتلة العمل الوطني دون انسياق مع هذا الانقسام الذي كانوا يعتبرونه ضررا كبيرا على البلاد، مؤكدين انه إذا كانت هناك بعض الانتقادات على كتلة فاس، فيجب أن تدرس في الدوائر المختصة بها حتى لا يكون لها دورٌ عكسي ليس في صالح الوطنية وكنت وجماعة من إخواني في هذا الجناح المحافظ على وحدة الصف، والمتمسك بكتلة العمل الوطني مع احتفاظي بالعلاقة الطيبة مع الاخوة الذين ارتأوا الانضمام للحركة القومية. إلا الذين أخرجوا أنفسهم من هذا الخط الأخوي.

لقد أخذت رأيي بعد تفكير عميق، ودراسة موضوعية ونظرة شفافة إلى المستقبل، وعزم صارم على أن لا أنزل إلى المهاترات والسب والطعن في الغير، فالجميع اخوتي، ولكن الرأي السليم الذي آمنت به إذذاك، ولازلت أو من به إلى اليوم، ان الخير كله في الوحدة، وانه لا يجوز لأي وطني أن يعلن الانشقاق والتصدع والانفصال مهما كانت المبررات، ومهما كانت الدوافع.

بقي أعضاء الكتلة المنتخبون سائرين في خطتهم، يستقطبون الجمهور المغربي، ويعملون على تنظيمه، ويؤسسون الفروع في مختلف المدن والقرى.

أما الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني فلقد أعلن عن تأسيس الحركة القومية، وصار بدوره يعمل على تأسيس الفروع وتكوين الجماعات من الذين ساروا في نهجه، واتبعوا سبيله. وخطت كتلة العمل الوطني خطوة جديدة بعملها على فتح مركز كبير لنشاطها بفاس، ففي يوم الجمعة 14 ذي الحجة 1355هـ الموافق لأواخر شهر يبراير 1937، فتح المركز العام لها بزنقة رحبة القيس بفاس، وهذا المركز كان قبل ذلك موطن البنك الانكليزي.

ففي ذلك اليوم قصد أعضاء الكتلة المنتخبون المركز المذكور ومعهم جماعات كثيرة من الأنصار والمحبين، فقام الزعيم علال الفاسي، بإلقاء خطاب حيا فيه الحاضرين وطلب منهم مساندة إخوانهم رجال الكتلة، والانضمام إليهم حتى يؤدي رجال الكتلة واجبهم نحو الدين والوطن، ثم أقسم أمامهم يمين الاخلاص للدين والوطن، وتبعه رجال الكتلة الحاضرون الذين أدوا بدورهم يمين الاخلاص ثم طلب من الجمهور الانخراط الرسمي في الكتلة وأخذ ورقة العضوية.

فكان حماسا عديم النظير، وكان الاقبال الكثير طوال اليوم والأيام التي تلته.

حل كتلة العمل الوطني بقرار وزيري

لم يمض عن انفصال الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني عن كتلة العمل الوطني شهران أو ثلاثة حتى اتخذت السلطات الاستعمارية قرارا بحل الكتلة، فلقد ضاقت من النشاط الذي تقوم به، والاقبال الهائل على الانخراط فيها من مختلف طبقات الشعب المغربي خصوصا بمدينة فاس التي فتحت فيه مركزا لنشاطاتها العلنية.

لقد سافر المقيم العام «نوكيس» إلى فرنسا في شهر مارس سنة 1937، وبعد رجوعه كان الجميع يظن أنه أتى بتعليمات جادة لتنفيذ مطالب الشعب المغربي في مختلف المجالات ولكنه بدلا من ذلك قصد مدينة فاس يوم الخميس خامس محرم 1356 الموافق لـ 18 مارس 1937 حيث استقبل بعض الأعيان وبعض العلماء وأعضاء المجلس البلدي والغرفة التجارية، ثم استدعى بعد ذلك بعض رجال الحركة الوطنية بحضور حاكم الناحية الجنرال «بلان» إلى

قصر البطحاء وبلغهم أن قرارا اتخذ يقضي بحل كتلة العمل المغربي واقفال مركزها العام وجميع فروعها، وان السبب في ذلك يرجع إلى أنها أي الكتلة خرجت على جلالة السلطان وصارت تعادي العداء المكشوف الحكومة الفرنسية وتعمل على انقلاب ثوري خطير. ثم زاد المقيم العام قائلا : ان العلماء خرجوا من عنده بعدما صرحوا له بأن ما تقوم به الكتلة من التنظيم والتأطير وأداء القسم، مناف للتعاليم الاسلامية، وان التقارير التي وصلت إليه تؤكد أن الكتلة متجهة اتجاها فاشيستيا، وانها تؤدي السلام مع بعضها بعضا برفع اليد مبسوطة مثل ما يفعل الفاشيستيون أنصار (موسوليني) ثم زاد فقال : ان الحكومة اتخذت الآن قرارا رسميا، لا يمكنها العدول عنه، وانه فضل أن يبلغه للكتلة بنفسه، حتى ينفذ دون أن يضطر لاستعمال القوة وهكذا وبهذه اللهجة خاطب «نوكيس» أصحابنا دون أن يتذكر انه بالأمس القريب وعد بأنه مهتم بمطالب الشعب المغربي، وانه سيعمل على تنفيذ ما يمكن منها، ورغما من أن الاخوان ناقشوه في كل ما قال مناقشة هادئة، وأكدوا له موقف الوطنية من العرش المغربي وانها مبنية على الوفاء والولاء والتعلق به، فلا مجال لاتهامها بالخروج عنه، فإنه أعطى تعاليمه للجيش الفرنسي أن يحتل المركز العام للكتلة لاقفاله واحتلاله.

واثر هذه المقابلة اجتمع رجال الكتلة، وتدارسوا موضوع حلّ الكتلة، واتخذوا القرار الآتي :

بما أن البلاد المغربية في ظروف شديدة من جهة البؤس والجوع والمطامح الروحية، وبما أن رجال السياسة المتبعة من طرف الادارة المغربية لم تصل لحد الآن لما يحل هذه المشكلات التي لا تزداد الا تعقدا، وبما أن بعض رجال هذه الادارة يريدون خلق اضطراب وقلاقل تستر السياسة المتبعة بالمغرب، وعجزها عن ارضاء الطموح المغربي، متذرعين لذلك بمختلف الوسائل، وبما أن سعادة المقيم مازال يصرح باستعداده للتعاون، ويخبر بأن له عزما قويا على تحقيق اصلاحات مهمة، وبما أن كتلة العمل الوطني هي فكرة ومبدأ، زيادة على كونها جماعة من الناس، بناء على ذلك كله، فقد اتفقت هذه الجماعة على هذه الخطة : (1) رفع احتجاج قوي وصريح للحكومتين المغربية والفرنسية على هذا التدبير المنافي للحريات، (2) فتح مخابرات مستمرة مع الحكومة في شأن رفع هذا القرار وبذل المساعي اللازمة لذلك، (3) مواصلة العمل بمختلف الوسائل المشروعة لتحقيق مثل الوطنية المغربية العليا، وإنجاز مطالبها العادلة، ثم رفعت اللجنة المكلفة من طرف الكتلة احتجاجا صريحا إلى كل من جلالة الملك أيده الله وللمقيم العام ولرئيس الوزارة الفرنسية ولنائب وزير الشؤون الخارجية الفرنسية المسيو «فيينو» هذا نصه :

(اننا ندحض بصفة قطعية الاتهامات الموجهة ضد «العمل الوطني» والتي تعطى لهذه الهيأة صبغة جمعية منافية لروح الاسلام، بتآمر أعضائها ضد نفوذ جلالة الملك وضد الحماية، ثم نحتج بشدة واستنكار، على حل هيأتنا، ونطالب ببحث عن نشاطنا السياسي.

ولقد تضامن مع الكتلة الحزب الحر الدستوري التونسي فبعث يحتج ضد حل الكتلة بالبرقية الآتية : (ان الحزب الحر الدستوري التونسي يحتج بكل قواه على حل «كتلة العمل المغربي» ويتأسف لكون حكومة الجبهة الشعبية، سمحت بهذا القرار الذي لا نرى له مبررا، والحزب يتمنى رجوع الحكومة المغربية عن هذا القرار) كما احتج حزب الشعب الجزائري ضد حل كتلة بالبرقية الآتية : (ان الفرع التلمساني لحزب الشعب الجزائري يحتج بكل قواه ضد حل (كتلة العمل الوطني) المؤسسة الوحيدة التي تعبر عن حاجات الشعب المغربي) وكتبت جريدة المغرب الاشتراكي التي كان يصدرها الاشتراكيون الفرنسيون بالمغرب مايلي : (يوم السبت الماضي أخبر مكتب الصحافة بأن حزب «العمل المغربي» حل بقرار وزيري، واستندت الحكومة لاتخاذ هذا القرار على ظهير مايو سنة 1914 في تنظيم الجمعيات، ونحن نقول لأصدقائنا المغاربة، ما لهم إلا أن يطالبوا بالمساواة أمام القانون، فيطلبون حل الحزب الاشتراكي الدولي والحزب الشيوعي والحزب الراديكالي وعصبة حقوق الانسان والجمعيات الماسونية والحزب الشعبي الفرنسي والحزب الوطني الخ... إذ لا يوجد بين هذه الأحزاب من تقيد بذلك الظهير الذي يطبق بكل دقة على المغاربة وقد استندوا أيضا على قسم المنخرطين في الحزب، وقالوا : في ذلك القسم مساس بنفوذ جلالة السلطان، وكل من يعرف العالم الاسلامي، يعد تلك الحجة مهزلة، فموظفوا الاقامة استعملوا هذه الحجة جهلا ونفاقا، وهم يكذبون عندما يقولون أن زعماء حزب العمل الوطني لم يحترموا تقاليد الاسلام، فكأنهم يجهلون العوائد الاسلامية.

ولكن مالنا وهذه البراهين الكاذبة، فلنتكلم عن الأسباب الحقيقية : ان الذين يستفيدون من حالة المغرب الحاضرة هالهم الأمر لما علموا ان المنخرطين في الحزب بفاس بلغوا عشرة آلاف وزاد هولهم لما علموا أن عددا من أهل البوادي تحمسوا لبرنامج الحزب الجديد وانخرطوا فيه، فأخذوا يدسون ويعملون كل في دائرته، البعض في دار المخزن والبعض في الاقامة، ولكن القضية لم تطو، واننا في صف إخواننا المغاربة، وسنعمل معهم ليحصلوا على حقهم، فلابد من تحقيق الوعود التي وإعدهم بها الحزب الاشتراكي من جهة، ووكيل وزارة الخارجية من جهة أخرى). الامضاء : «**شينيو**» وهو مدير الجريدة المذكورة.

ولم يكتف الاشتراكيون بما كتبته جريدتهم بإمضاء مديرها المسيو «شينيو» الذي كان له اتصال وثيق برجال الكتلة بل عقد المكتب الاداري لحزبهم اجتماعا، كتبوا أثره متضامنين مايلي : (ارفعوا البؤس عن المغرب، حاربوا الاعتداءات التي تتألم منها البلاد، ارجعوا المغاربة للأراضي التي اغتصبتموها لهم، اعطوهم تلك الحريات الأولية التي يتطلبونها، اجعلوا منهم رجالا أحرارا في بلادهم، اعطوهم الخبز والحرية، وحينئذ ترون هذا الشبح الذي يخيفكم وقد زال، ذلك الشبح، هو استياء المغاربة.

إن كتلة العمل المغربي تحل، وليس في هذا حل للمشاكل، فمادامت الأسباب التي أوجدت كتلة العمل المغربي موجودة، إلا وهذا الحل لا معنى له.

إن المطالب المستعجلة لكتلة العمل المغربي التي اتخذها الحزب الاشتراكي بالاجماع، وعضدها الحزب الشيوعي، وضعت أمام الحكومة مسألة تتطلب الجواب، وإذا كانت الحكومة تعتقد انها بحل الحزب، تزيل تلك المطالب من الطريق، فلتعلم أن أحزاب العملة بالمغرب، ستطالب بتطبيقها.

أعضاء حزبنا كلهم يعرفون الموقف الذي اتخذته الشعبة المغربية، فهي مدت يدها الأخوية للشعب المغربي، وهي لجانبه ومعه، ومن أجله ستجاهد لتطبيق مطالب (كتلة العمل المغربي).

التوقيع (المكتب الاداري للحزب الاشتراكي)

ويظهر أن السياسة الفرنسية بالمغرب، أرادت أن تغتنم فرصة التصدع الذي وقع في الكتلة بسبب انسحاب الأستاذ الوزاني منها لتخلق جوا من الارهاب في صف الحركة الوطنية وزيادة التصدع فيها، وتهديد رجالها ودفعهم إلى الارتماء في أحضان سياسة الاقامة العامة التي اكتفت بوعود معسوله فيما يتعلق بتحقيق مطالب الشعب المغربي في الحرية والعدالة، دون أن تلبي أي مطلب حقيقي من المطالب التي تقدمت بها الكتلة باسم الشعب المغربي، باستثناء الاذن بإصدار بعض الصحف الوطنية، ويظهر كذلك أن نمو الوعي الوطني في الحاضرة والبادية اخاف ادارة الأمور الأهلية الحريصة كل الحرص على أن يبقى الشعب المغربي مكبلا بالاغلال، منغلقا على كل تيار تحرري، ولذلك فإنها أخافت المقيم «نوكيس» الذي كان ضعيف الارادة أمامها وكان همه الوحيد أن يحافظ على مركزه، دون أن تثار من حوله مشاكل تفقده سمعته ومكانته مثل ما أفقدت سمعة ومكانة سلفه «بيروتون».

لقد تصور «نوكيس» أو صورت له إدارة الأمور الأهلية الخبيرة في الشؤون المغربية أن انسحاب الأستاذ الوزاني من الكتلة سيضعفها ويقلل من نشاطها، فأراد أن يضر بها قبل أن يبرد الدّم، ولكن تقديرات «نوكيس» كانت خاطئة، وآماله كانت حالمة، فإزاء حل الكتلة توالت اجتماعات قادتها، وقرروا مواصلة العمل مهما كانت الظروف معاكسة فبقيت الجرائد تصدر، وغيرت «الأطلس» التي كانت لسان الكتلة عنوانها فأصبحت تطلق على نفسها : (لسان الحركة الوطنية لتحقيق المطالب) ثم قررت مواصلة الاتصال مع الاقامة العامة الفرنسية والدوائر الفرنسية العليا لاقناعهما بأن الخطة الجديدة التي اتخذها الجنرال «نوكيس» خطة غير سليمة، وان التفاهم الحقيقي يقتضي التعامل مع الواقع المغربي الجديد، الذي أصبح يتطلع عمليا إلى تمتيعه بجميع أنواع الحريات التي منها حرية تكوين الأحزاب الوطنية، مثل ما يتمتع بها الفرنسيون أنفسهم داخل بلادنا المغربية. وفي هذا الاتجاه قررت الكتلة إيفاد مبعوثين اثنين إلى فرنسا هما الاخوان المرحومان : الحاج احمد بلافريج والحاج عمر بنعبد الجليل ليشرحا

للدوائر العليا هناك مواقف الكتلة من التطورات التي وقعت بعد اقدام المقيم العام على حل الكتلة، وما يمكن أن ينشأ عن هذه التطورات من أضرار، لا تزيد المشكلة المغربية الا تعقيدا، وهكذا سافر الوفد الوطني الذي قدم لوزارة الشؤون الخارجية تقريرا إضافيا حول الحالة بالمغرب وحول الوعود المعسولة التي أتى بها «نوكيس» والتي لم تطبق رغم مرور عشرة أشهر على تعيينه «نوكيس» مقيما عاما بالمغرب من طرف حكومة الواجهة الشعبية، ولقد نشر هذا التقرير بجريدة «الأطلس» بتاريخ 19 يوليوز 1937 وقدمت له الجريدة بالكلمة التالية :

(لقد قام الشعب المغربي بحركة عنيفة في شهر رمضان الفارط، لتأييد كتلة العمل الوطني في المطالب المعجلة التي في مقدمتها الحريات الديموقراطية، وقد خرج الزعماء والمعتقلون من السجون، وكلهم اطمئنان وثقة بالوعود المعسولة التي صرح بها سعادة المقيم العام الجنرال نوكيس، وأكدها سعادة الصدر الأعظم ثم جلالة الملك للوفد القادم من فاس، وظن الجميع ان عصر الارهاق والميز العنصري قد انقضى، واننا سندخل أو دخلنا في عهد التفاهم الحقيقي، والتعاون الصادق بين إدارة الحماية والحكومة المغربية من جهة، وبين الشعب المغربي والوطنيين من جهة أخرى ولكن عشرة أشهر مضت، عرفتنا ما في هذه الوعود من حقائق، وما في الدعوة للتعاون من دخائل، ولا نذيع سرا إذا قلنا أننا بكل اخلاص، آمنا بأن المهيمنين على الأمر في إدارة الحماية بالمغرب، ما يزالون من أولئك الرجعيين المتشبعين بروح الاستعباد، والذين يعتبرون أنفسهم في هذه المملكة بمثابة الفاتحين المسيطرين، وان وجود الحكومة الشعبية بفرنسا لم يزدهم الا تشبثا بأفكارهم وتعصبا لأساليبهم، وكأنهم يفدُون في المغرب ماضاع لهم (في نظرهم) بفرنسا، ثم هم لا يريدون أن يظهر للمغاربة من الصنع الجميل ما يكون أمامهم بمثابة الدعاية لأحزاب الواجهة الشعبية ومبادئها، لذلك فهم يعرقلون كل اصلاح، ويقاومون كل تطور، ويتخذون لذلك أساليب الاستغلال والخداع تارة، والدس والتآمر أخرى، ثم هم يعملون بكل قواهم ليعتقد المغاربة انهم لا ينالون من حقوقهم شيئا، وانهم اليوم كالأمس، لا يزالون تحت سيطر أسيادهم المستعمرين، لا يفلتهم منهم تطور محسوس، ولا مقاومة عنيفة، ولا مبادئ حرة.

إزاء ذلك فقد رأت الحركة الوطنية أن تعلن الحقيقة للناس، وتشرح الواقع لحكومة فرنسا وللشعب المغربي وجلالة ملكه المفدى، فكتبت تقريرا ضافياً عن ما قامت به إدارة الحماية برئاسة الجنرال «نوكيس» في العشرة أشهر السالفة، ثم بعثت وفدها الأمين ليقوم في جملة ما يقوم به من أعمال بتقديم ذلك التقرير لسعادة نائب الوزير المسيو «دوطيسان» الذي هو من لجنة الرعاية لمطالب الشعب المغربي، بل هو من الأفراد الثلاثة الذين تكلفوا بتبليغها لدولة المسيو «لافال» وفي يوم السابع من شهر أوت حظي وفدنا الأمين بمقابلة المسيو دوطيسان حيث لبثوا معه ساعة كاملة، سلموا له فيها التقرير، كما تذاكروا بتطويل عن المطالب وعدم تنفيذ شيء منها، ولازلنا لم نعرف تفاصيل الحديث، وكل ما علمنا أن سعادة الوزير واعد

بمباحثة الجنرال المقيم فيما يتضمنه التقرير، وان سعادته سيبذل كامل مجهوده لتحقيق المطالب المغربية.

وهنا في المغرب قدمنا نسخة من التقرير لدار المخزن العامرة وأخرى للاقامة العامة، وسيعلم إخواننا المغاربة من هذا التقرير كل ما يجب أن يعلموه عن الخطة السياسية التي لازالت الحماية متمسكة بها في بلادنا. كما أنهم سيومنون معنا بأن الضمير الوطني لا يسمح بالمشاركة في سياسة يقصد منها تخدير الشعب، وتحويل نظره عن مطالبه، وعسى أن يكون في اشعار الحكومة بيقظة الحركة الوطنية ورجالها واستعدادهم للتعاون الحقيقي، ما يحمل المسؤولين على الجد في العمل، والأخذ في تنفيذ الوعود الصريحة التي اقتطعوها لهذه الأمة ولازالوا يؤكدونها. انهم بذلك يقدمون للمغرب ولفرنسا أجل الخدمات، وحينئذ يمكن تدشين عهد جديد، هو عهد التفاهم الصريح، والتعاضد القوي، على ما فيه خير المغرب ومصلحة بنيه).

لجنة التحرير

ومن جملة الاتصالات التي أجراها مندوبا الكتلة بباريس، الاتصال بالمسيو «فيينو» نائب وزارة الخارجية في الشؤون التونسية والمغربية الذي كان مطلعا كل الاطلاع على التطورات التي سارت عليها حركتنا الوطنية، خصوصا أثناء حركة رمضان الاحتجاجية وبعدها والذي سبق له أن زار تونس واتصل بقادتها الوطنيين، وصرح تصريحات لصالح حركتها.

لقد اتصل الاخوان بالمسيو «فيينو» بدوره وشرحا له الحالة بالمغرب، وبالأخص ما يتعلق بموقف الاقامة العامة من كتلة العمل الوطني، وكان الظن أن يكون بجانب الحركة الوطنية، ولكن موقفه على ما يظهر كان متأثرا بتقارير الاقامة العامة، حيث اكتفى بأن اقترح على الأخوين تأسيس لجنة للدراسة والبحث، وتكون مكونة من بعض الأفراد الذين لهم اطلاع على الشؤون العامة، ويمكن لهذه اللجنة حسب رأيه مسايرة التطورات وتتبعها لصالح المغرب دون احتياج إلى تكوين حزب أو هيأة وطنية تضاهي الأحزاب والمنظمات الوطنية في العالم، وبمعنى أوضح انه لا يرى فائدة في تأسيس حزب وطني، أو اننا لم نصل بعد إلى النضج الذي يسمح لنا بتأسيس حزب مثل ما هو موجود في كل البلدان المتقدمة، وهي النظرية التي كان يومن بها (نوكيس) نفسه ولكن الاخوين افهماه أن تطور المغرب ونضج المغاربة يحتمان علينا أن نعمل على توسيع دائرة عملنا وتربية وتكوين أبناء شعبنا وذلك لا يكون إلا بتكوين حزب وطني مثل بقية الأحزاب الوطنية.


السنة الاولى - العدد 22 | عدد خاص - ثمنه 25 سنتيما | الاثنين 10 جمادى الاولى 1356 (19 - 7 - 1937)

ادارة الجريدة
بشارع عنوزو
بالرباط

تيلفون 22.36
شيك بوسطو رقم 1491

الاطلس

لسان الحركة الوطنية لتحقيق المطالب

تصدر يوم الخميس من كل اسبوع

جميع المراسلات توجه باسم
لجنة التحرير
صندوق البريد رقم 150
بالرباط

الاعلانات
يتفاهم فيها مع الادارة

ما فعلته الاقامة في عشرة اشهر

تقرير خطير ترفعه الحركة الوطنية لحكومتي المغرب وباريز

الوطنيون لا يرضون كل مشاركة وتعاون على أساس الميز والعنصرية

المطالب المعجلة هي الشرط الاساسي لكل تفاهم بين الشعب والحكومة

المسيو دوطيسان نائب وزير الخارجية يقول انه سيباحث الجنرال نوكيس في التقرير وانه لا بد ان تتحقق مطالب المغرب





لقد قام الشعب المغربي بحركة عنيفة في شهر [illegible] كتلة العمل الوطني في المطالب [illegible] التي في مقدمتها الحريات الديموقراطية ، وقد خرج الزعماء والمعتقلون من السجون [illegible]

[illegible]

تقرير خطير ترفعه الحركة الوطنية لحكومتي المغرب وباريز

كما أشرت إلى ذلك من قبل قدم الاخوان المرحومان الحاج أحمد بلافريج وحج عمر بن عبد الجليل هذا التقرير إلى حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية بتاريخ 10 جمادى عام 1356هـ 7 غشت 1937.

لقد قام المغرب بحركة عنيفة في شهر رمضان الفارط لتأييد كتلة العمل الوطني في المطالب المعجلة التي في مقدمتها الحريات الديموقراطية. وقد خرج الزعماء والمعتقلون من السجون وكلهم اطمئنان وثقة بالوعود المعسولة التي صرح بها سعادة المقيم العام الجنرال نوكيس وأكدها سعادة الصدر الأعظم ثم جلالة مولانا الملك للوفد القادم من فاس، وظن الجميع أن عصر الارهاق والميز العنصري قد انقضى، وأننا سندخل أو دخلنا في عهد التفاهم الحقيقي والتعاون الصادق بين إدارة الحماية والحكومة المغربية من جهة وبين الشعب المغربي والوطنيين من جهة أخرى، ولكن عشرة أشهر مضت عرفتنا ما في هذه الوعود من حقائق، وما في الدعوة للتعاون من دخائل، ولا نذيع سرا إذا قلنا إننا بكل إخلاص آمنا بأن المهيمنين على الأمر في إدارة الحماية بالمغرب ما يزالون من أولئك الرجعيين المتشبعين بروح الاستعباد والذين يعتبرون أنفسهم في هذه المملكة بمثابة الفاتحين المسيطرين. وان وجود الحكومة الشعبية بفرنسا لم يزدهم الا تشبثا بأفكارهم وتعصبا لأساليبهم وكأنهم يفدون في المغرب ما ضاع لهم (في نظرهم) بفرنسا. ثم هم لا يريدون أن يظهر للمغاربة من الصنع الجميل ما يكون أمامهم بمثابة الدعاية لأحزاب الواجهة الشعبية ومبادئها. لذلك فهم يعرقلون كل إصلاح ويقاومون كل تطور، يتخذون لذلك أساليب الاستغلال والخداع تارة، والدس والتآمر تارة أخرى، ثم هم يعملون بكل قواهم ليعتقد المغاربة أنهم لا ينالون من حقوقهم شيئا، وأنهم اليوم كالأمس، لا يزالون تحت سيطرة أسيادهم المستعمرين لا يفلتهم منهم تطور محسوس ولا مقاومة عنيفة ولا مبادئ حرة.

إزاء ذلك فقد، رأت الحركة الوطنية أن تعلن الحقيقة للناس وتشرح الواقع لحكومة فرنسا

وللشعب المغربي وجلالة ملكه المفدى فكتبت تقريرا ضافيا عن ما قامت به إدارة الحماية برئاسة الجنرال نوكيس في العشرة الشهر السالف، ثم بعثت وفدها الأمين ليقوم في جملة ما يقوم به من أعمال بتقديم ذلك التقرير لسعادة النائب الوزير المسيو دوطيسان الذي هو من لجنة الرعاية لمطالب الشعب المغربي بل هو من الأفراد الثلاثة الذين تكلفوا بتبليغها لدولة المسيو لافال، وفي اليوم السابع من شهر أوت حظي وفدنا الأمين بمقابلة المسيو دوطيسان حيث لبثوا معه ساعة كاملة سلموا له فيها التقرير وتذاكروا بتطويل عن المطالب وعدم تنفيذ شيء منها، ولقد واعد سعادة الوزير بمباحثة الجنرال المقيم في ما يتضمنه التقرير وان سعادته سيبذل كامل مجهوده لتحقيق المطالب المغربية.

الجنرال المقيم في ما يتضمنه التقرير وان سعادته سيبذل كامل مجهوده لتحقيق المطالب المغربية.

وهنا في المغرب قدمنا نسخة من التقرير لدار المخزن العامرة وأخرى للاقامة العامة. وسيعلم إخواننا المغاربة من هذا التقرير كل ما يجب أن يعلموه عن الخطة السياسية التي كانت الحماية متمسكة بها في بلادنا. كما أنهم سيومنون معنا أن الضمير الوطني كان لا يسمح بالمشاركة في سياسة يقصد منها تخدير الشعب وتحويل نظره عن مطالبه.

وعسى أن يكون في إشعار الحكومة بيقظة الحركة الوطنية ورجالها واستعدادهم للتعاون الحقيقي، ما يحمل المسؤولين على الجد في العمل والأخذ في تنفيذ الوعود الصريحة التي اقتطعوها لهذه الأمة ولا زالوا يؤكدونها.

إنهم بذلك كانوا يقدمون للمغرب ولفرنسا أجل الخدمات وحينئذ يمكن تدشين عهد جديد هو عهد التفاهم الصريح والتعاضد القوي على ما فيه خير المغرب ومصلحة بنيه.

نـــص التقريـــر

إلى صاحب الشوكة والعظمة جلالة مولانا الملك سيدي محمد الخامس نصره الله.

مولاي : مرت سنة كاملة على انتصار الجبهة الشعبية وتسلمها مقاليد الحكم بفرنسا، والمقيم العام الذي يمثلها بالمغرب منذ عشرة أشهر، يحظى بثقتها، لهذا ترى حركتنا الوطنية الوقت مناسبا لابداء حكم عادل على السياسة نحو المغاربة في هذه البرهة من الزمان.

ومن الواجب علينا أن نذكر بما كنا نقصده من المهرجانات التي حاول الولاة أن يبرروا بها مقاومتهم لنا في رمضان الماضي، فنحن لم نكن نريد اثارة الفتنة ولا الاخلال بالأمن، وإنما كنا نريد تنوير الفكر العام الفرنسي وجلب نظر حكومة الجبهة الشعبية وممثلها الجديد بالرباط لحالة الشعب المغربي الحقيقية، وما يختلج في صدره من الأماني الصادقة.

وقد سبق للمغاربة أن أفصحوا عن تلك الأماني التي مافتئت الادارة الاستعمارية الوضيعة تسعى لاخفائها أو تشويهها ـــ قاصدة بذلك استغلال استياء المغاربة ضد الجبهة الشعبية ـــ فلخصوها في دفتر المطالب المستعجلة الذي أقره المؤتمر الأول للعمل الوطني وقدمه رسميا للدوائر العليا بالرباط وباريز.

ولم تتوصل الادارة لبغيتها من حوادث رمضان بل ان تلك الحوادث برهنت للحكومة على التفاف المغاربة بسائر طبقاتهم حول مطالبهم وحرصهم الشديد على تنفيذها.

وبعد سراح الموقوفين والمعتقلين السياسيين اتصل بعض رجال حركتنا المسؤولين بسعادة المقيم العام فوعدهم بإصلاحات كثيرة، وقد برهن له رجال حركتنا على رغبتهم في التعاون معه فطلبوا منه تعيين موظف من مكتبه المدني يكون صلة الوصل بينهم وبينه فلبى سعادته طلبهم.

السياسة الاقتصادية

إن كثيرا من التصريحات التي فاه بها الجنرال نوكيس منذ وصوله للمغرب، كانت تدل على رغبته في توجيه سياسته نحو الاصلاحات الاقتصادية التي تعود بالخير العميم على الطبقات العاملة بالمغرب.

البؤس والفلاحة

إنّ فاجعة البؤس والجوع جديرة بأن تشغل المكان الأول من اهتمام الحكومة وان الجهود المبذولة لاطعام الجياع غير يسيرة ولكنها علاج وقتي ولا تكفي لحل المشكل.

والنواحي التي أضر بها الجفاف لا تتطلب وحدها العناية من الحكومة، بل عموم الفلاحين المغاربة في حالة لم يتقدم لها نظير من الشقاء.

والحكومة لم تعمد إلى وضع سياسة مفيدة لاستثمار موارد الماء وتسكين الفلاحين في أراضيهم، واحداث الملك العائلي الثابت، وتدريب المغاربة على الفلاحة الحديثة. ولكنها اكتفت باتخاذ تدابير غير كافية، وفي بعض الأحيان غير مجدية بالمرة.

وهكذا صارت تنفق الأموال المعدة لاعانة العاطلين ولتحسين حالة الأهالي، في مشاريع غير مثمرة ولا تدعو إليها أية حاجة.

وقد وزعت في بعض النواحي قروضا من الحبوب المعدة للبذر. ولكنها كانت من جنس غير جيد، فلم يتم، كما وزعت في بعض النواحي قروضا نقدية على بعض الفلاحين الممتازين، ولكن القدر الموزع كان ضئيلا ولم يكف حاجة الفلاحين. ومن جهة أخرى فإن إدارة الضرائب لم تراع ما يقاسيه الناس من صعوبات في هذه السنة فألزمتهم بأداء كثير من الضرائب والقروض المتأخرة منذ سنوات.

أما مكتب القمح فهو حري بأن يفيد الفلاحين غير أن نظامه متشعب جدا لا يدركه قوم لا يزالون على الفطرة، ولم تهتم الحكومة بتدريبهم على مشاكل الاقتصاد الحديث، ثم ان المكتب يسمح بإيثار المستعمرين على الفلاحين فيما يرجع لانتاج الفرينة بكيفية عامة. والفرينة المنتقاة بكيفية أخص.

الصناعة :

حالة الصناعة ليست بأحسن من حالة الفلاحة وقد وعدت الاقامة العامة مرارا عديدة بوضع برنامج عام لاعانة الصناع العاملين والمحتاجين، ولتطوير الصنائع حتى تصير منتوجاتها موافقة لحاجة الأسواق في الداخل والخارج.

إن الاعانات التي وزعت على الصناع المعوزين كانت غير كافية بل انها كانت ضئيلة جدا، وقد اكتفت الحكومة بتوزيع عشر فرنكات على طبقة من الصناع بفاس مرة في كل ثلاثة أسابيع، ووقع هذا التوزيع ثلاث مرات فقط. أما صناع المدن الأخرى فقد كانوا أقل حظاً من صناع فاس.

وقد أسس ظهير شريف القرض في هذه الأيام الأخيرة، ولكنه أغفل تنظيم الحناطي مع أن هذا التنظيم هو الأساس الضروري لاستغلال المقترض استغلالا صالحا، كما أنه الأساس لتطوير الصنائع بكيفية عامة.

الشركات والاحتكار :

وإذا بحثنا بكيفية عامة في السياسة التي تتبعها الحماية نجدها متجهة نحو مساعدة الشركات الممتازة مساعدة تؤدي لا محالة إلى الاحتكار.

أما اللجنة الدائمة لما يسمونه «الدفاع الاقتصادي» فهي لا تدافع إلا عن مصالح الشركات الرسمالية والاستعمار الأجنبي.

وهكذا أصدرت هذه اللجنة في ظرف بضعة شهور قوانين تسمح باحتكار النقل واحتكار الطواحين الكبرى لفائدة جماعة من الرأسماليين واحتكار إنتاج الفرينة المنتقاة لفائدة المستعمرين الأجانب.

ولا ننسى أن السلطة زادت في الضرائب الغير المباشرة التي تثقل كاهل صغار المستهلكين بكيفية لا تطاق.

الحريات العامة :

السماح بالصحافة : يجب أن نعترف بأن الاقامة العامة مكنتنا بوسيلة للتعبير عن أفكارنا

فسمحت بإصدار بعض الصحف العربية، وهذه خطوة مهمة غير أن أهميتها تتضاءل كثيرا في أعيننا حين نفكر في بقاء قانون الصحافة العربية على ما كان عليه في الماضي (فهو يفرض التحصيل على إذن الادارة في إصدار الجرائد ويجعل منع الصحف وتوقيفها في قبضة الادارة ويكل الصحافة العربية لاختصاص المحاكم العسكرية) وإذا قطعنا النظر عن هذا السماح بالصحافة سماحا لا يزال في كل حين عرضة للسلب وجدنا أن المغاربة لم يحصلوا على أية حرية عامة أو خاصة أثناء هذه السنة المنصرفة.

حل «كتلة العمل الوطني» :

بل نجد أن مؤسستنا السياسية التي سمحت بها الحكومة الرجعية أمرت الاقامة العامة الحالية بحلها، وقد اعتمدت لتبرير عملها هذا على أسباب واهية، والاتهامات الموجهة لنا في هذا الشأن ـــ ومن بينها المؤامرة ضد جلالة الملك ـــ تهم باطلة لا ترتكز على أي أساس متين، ونحن نكذبها ونرفضها، ونعلن اشمئزازنا منها، أما القسم الذي كنا نطلبه من المنخرطين ـــ مقلدين في ذلك سائر الأحزاب السياسة عند المسلمين ـــ فالتشبث به من الأمور الصبيانية، وقد عدلنا عن مطالبة المنخرطين بأدائه أياما عديدة قبل المنع بمجرد ما سمعنا بتخوف الادارة منه.

ان السبب الحقيقي في حل الكتلة هو ناتج عن تعصب وعماية إدارة الشؤون السياسية التي تدعي. تحريم الخوض في السياسة على سائر المغاربة بل يصل بها الأمر إلى اعتقال بعض من يساهم في حركتنا ولو بالاشتراك في جرائدنا، ونحن لا نظن الجبهة الشعبية تساعد على خنق هذه الحركة، وهي تسعى لتحرير الشعب دون أن تمس بنفوذ السلطة ولا أن تخل بالأمن العام.

الحريات النقابية والقوانين الاجتماعية :

لم يحصل العملة المغاربة المسلمون على أي تحسين لحالتهم في هاته السنة التي امتازت بتهيء وتنفيذ القوانين الاجتماعية بفرنسا، وقد صدر قانون يعترف بالحقوق النقابية بالمغرب، ولكنه يستثنى من التمتع بتلك الحقوق العملة المغاربة، ويتركهم رازحين تحت نير الاستعباد. ولنا من هذا حجة أخرى على أن السياسة التي تتبعها الحماية سياسة عنصرية لا نصيب فيها للعدالة والمساواة والانصاف.

وقد تأسست بفاس جمعية صناعية للدفاع عن حقوق سائقي السيارات المغاربة. وكان المقيم العام يعلن عطفه عليها أولا، فما لبثت أن حرمت من الاذن اللازم لتأسيسها، وعللت الاقامة هذا الرفض بمشابهة نظام هذه الجمعية لنظام النقابات.

ثم إن القوانين الاجتماعية التي حررها المسيو بروطون ـــ ومنها قانون العمل ثمان ساعات،

وقانون الأجور التي لا تنقص عن أربع فرنكات ـــ لم يجر العمل بها رغما عن كونها بسيطة ولا تؤدي لنتيجة مهمة، ومن جهة أخرى فإن المساعدات المعدة للعملة العاطلين تدفع للعملة الأجانب ولا تدفع للمغاربة، وقد قام بعض التجار المغاربة بتطبيق الظهير المتعلق بالعطلة الأسبوعية على أنفسهم ـــ عندما يئسوا عن مساعدة الادارة لهم على ذلك ـــ فلقوا ومازالوا يلاقون مقاومة غريبة في هذا السبيل.

حريات الجمعيات والاجتماع :

قد رفضت الادارة للمرة الرابعة طلبا قدمه تلامذة جامعة القرويين في الشهور الأخيرة لتأسيس جمعية لهم يحرمون فيها على أنفسهم التدخل في المسائل السياسية كما أنها رفضت الاذن في تأسيس ناد أدبي في مراكش ومن جملة ما رفضت في هذه الشهور الأخيرة الاذن في تأسيس جمعية «كشافة عبد المومن» بفاس، «والجمعية الرياضية للمعمورة» بالقنيطرة، وكشافة «يعقوب المنصور» بالرباط.

وقد منعت ناحية فاس في هذه الأيام الأخيرة تأسيس لجنة خيرية لاطعام البؤساء.

أما بمراكش فمنعت السلطة المحلية الحفلات المعدة لإحياء ذكرى مولد النبي ﷺ فأحدث ذلك المنع استياء عميقا في نفوس المسلمين أجمعين.

ومن هذا القبيل رفض الاقامة الاذن بتأسيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بفاس.

نفي الأستاذ المختار السوسي :

وفي شهر أبريل الماضي عمدت سلطة مراكش فنفت الأستاذ المختار السوسي من دون اتهام ولا حكم سابق ولازالت الادارة ترفض بيان الأسباب التي دعتها لاستعمال هذه التدابير الحرية بعهد الارهاق نحو عالم مقتصر على التدريس.

سياسة التعليم :

ان البون بعيد بيننا وبين الوقت الذي كان يصرح فيه سعادة الجنرال نوجيس لسعادة الوزير المسيو موتي عند مروره بالدار البيضاء قائلا : ان عملنا فيما يرجع للتعليم لا يكفي، ونحن نحتاج إلى مائة مليون لنشرع في عمل شيء يذكر في هذا الباب «وقد كرر هذه التصريحات سعادة الوزير لبعض رجال حركتنا. أثناء زيارتهم بباريز، فكانت هاته التصريحات باعثة للأمل في نفوسنا.

التعليم الرسمي :

وفي شهر نوفمبر من السنة الماضية تقرر برنامج لبناء المدارس وتقرر خمسة عشر ملايين لانجازه.

وقد صرح سعادة الجنرال نوجيس لبعض رجال حركتنا أن هذا القدر سينفق كله في هذه السنة لتشييد مدارس بالمدن والقرى، ولاحظ عليه أصدقاؤنا وجوب الاقتصاد في البناء وتحاشي التبذير حتى نحصل على أكثر عدد ممكن من الصفوف المدرسية بالمال المعد لذلك. فوعدهم سعادته بذلك وزاد قائلا : انه يريد تحضير الأساتذة لتلك المدارس التي ينوي إحداثها حتى تستطيع السير ابتداء من السنة المقبلة.

وقد طلب منه رجال حركتنا تطهير إدارة العلوم والمعارف وتنقيح برنامج التعليم لضمانة تعليم اللغة العربية فوعدهم بكل ذلك وعودا صريحة.

والآن وقد مرت بضعة شهور على وضع هذا البرنامج نرى أجزاءه تتفكك شيئا فشيئا.

نرى أن الادارة لا تستعد لانفاق الملايين الخمسة عشر في ظرف هذه السنة بل نراها خفضتها لعشرة ملايين ثم لخمسة حيث اقتصر برنامج البناء على هذا القدر.

ثم إن عددا من المدارس التي تقرر بناؤها في هذه السنة لم تستعد الادارة لبنائها كما أنها لم تستعد لتحضير المعلمين حسب وعد المقيم. أما تطهير إدارة العلوم والمعارف وتنقيح البرامج فلم تشرع فيهما الادارة لحد الآن.

ومن جهة أخرى فإن إدارة العلوم والمعارف تمتنع من دفع بعض الاعتمادات المالية البسيطة لزيادة صفوف مدرسية في مدارس ابتدائية ترفض كل سنة مئات من الغلمان.

وفي نفس الوقت تصرف 540.000 في شراء الأرض اللازمة لمدرسة البنات المسلمات بالدوح وستصرف على البناء مئات الآلاف من الفرنك أيضا. بينما الواجب يقضي بالاقتصاد، وبأن لا يصرف على هذه المدرسة إلا قسط من المال يتناسب مع أهميتها في السنين التي تتبع إنشاءها.

التعليم الديني :

هذا ما يخص التعليم الرسمي وليست حالة التعليم الديني بأحسن منه، فإن الدروس الحرة لازالت تمنع بوسائل إدارية صرفة. دون أن تعرض حتى على المجلس التأديبي الذي أحدثه الظهير لمحاكمة أصحابها (من قبيل ذلك درس الأستاذ عبد السلام الوزاني بوجدة).

أما المطالب العادلة التي قدمها طلبة جامعة القرويين فإنها لم تحظ لحد الآن بجواب مقنع وقد اكتفت الادارة بالوعد بترميم بعض المدارس وأمرت ببناء مكتبة للطالب.

العدلية الاسلامية :

ليست للعدلية المخصصة للمسلمين ميزانية ولا محاكم ولا قوانين ولا اختصاصيون. وهي لا

تتمتع بالاستقلال اللازم للقضاء، ولا توجد تفرقة بين السلطة القضائية والسلطات الادارية والتنفيذية والسياسية.

ولذلك ألح رجال حركتنا في أول اجتماعهم بسعادة الجنرال نوكيس في وجوب إدخال إصلاحات عميقة على النظام العدلي الموجود بالمغرب، وقد لفت سعادته أنظارهم لأهمية المشروع وعبر عن تخوفه من أن يعتبر هذا الاصلاح تدخلا في الشؤون الدينية، وقد أجبناه عن النقطة الأولى بأننا نعترف بعدم إمكان تغيير النظام العدلي من أساسه دفعة واحدة، وفي وقت قصير ونقترح وضع برنامج عام كامل لاصلاح العدلية، وان يعمل على تطبيق هذا البرنامج بالتدريج مع الشروع باتخاذ تدابير موقتة مناسبة وتحضير القضاة الأكفاء.

أما التخوف من أن يرى الناس في الاصلاح تدخلا في الدين فقد أجبنا عنه بأنه لا يبقى له محل إذا كان النظام العدلي الجديد مقتبسا من أنظمة يجري بها العمل في الأمم الاسلامية كمصر والشام، أو كان على نمط النظام التونسي خصوصا وتونس تحت الحماية الأفرنسية فهي تشبه المغرب من هذه الناحية وبصفة عامة متفقا مع أصول الشريعة الاسلامية.

وقد كان سعادة الجنرال نوكيس يظهر استعداده لجمع لجنة خاصة ليبحث الموضوع، وكان يريد أن يضم إليها ممثلين من الشباب المثقف بالمغرب، بل إنه ذكر في اللجنة التي كان شكلها سنة 1931 قبل سفره من المغرب وقال انه يكفي أن تبعث من جديد، وأن يعمل على تطويرها بإضافة الشباب إليها.

وها نحن الآن نرى بمزيد الأسف أن عمل الادارة في هذا الباب كان سلبيا بكل معنى الكلمة بل أنها لم تعمد إلى جمع هذه اللجنة نفسها.

الصحة العامة :

سبق لسعادة المقيم العام أن أعلن في شهر نونبر الماضي، برنامجا مهما يتعلق بالصحة العامة وان قسما من هذا البرنامج يتعلق بمدينة القنيطرة في طور التنفيذ.

ونحن لا نيأس من تنفيذ البرنامج بأسره، غير أن الذي يولمنا كثيرا هو ما نراه من تقصير الادارة فيما يرجع لشراء الأدوية وإسكان المرضى بينما هي تخصص اعتمادات مالية للبناءات الضخمة فهل المقصود من هذه البنايات هو عرضها على السواح الأجانب ؟

هذا وان قلة الأدوية لا تلاحظ في مستشفيات المدن الكبرى كما تلاحظ بالبوادي، فإن الذين يحضرون في مستوصفات الأسواق يقدرون درجة التقتير في توزيع الأدوية على المرضى، بل إن بعض الأدوية التي تباع بثمن مرتفع مفقودة بالمرة رغم الاضطرار إليها لعلاج بعض الأمراض المعدية الخطيرة، وكثيرا ما يضطر الطبيب لعجزه عن إيجاد الدواء الناجع للمريض أن يبعثه إلى حال سبيله أو أن يموه عليه ببعض الادهان التي لا تضر ولا تنفع.

النتيجـــة :

لا فائدة من استخراج نتيجة من الحوادث المتقدمة، فهي البرهان القاطع على أن سياسة الحماية ترتكز على التسويف والميز العنصري، فبينما هي تقوم للأوربي بكل شيء لا تقوم للمغربي إلا بشيء طفيف مع أن المغربي هو الذي يقدم القسط الكبير من مدخول الدولة.

إن الاصلاحات التي نطلبها تستدعي زمانا، ذلك ما نفهمه ولا ننكره، ولكننا نريد أن تتجه الحماية في تلك الطريق وأن تشرع في العمل، فلا نريد أن نكون من المغترين ولا من المشاركين في سياسة لا تتفق مع مصلحة البلاد، بل نريد أن نشارك فيما فيه خير حقيقي لبلادنا وهذه المشاركة لا نعتبرها ممكنة إلا ضمن مطالبنا المستعجلة التي أقرها حزبنا واتخذها الحزب.

احتجاج على توقيف الأستاذ الجامعي :

سعادة الجنرال

أتشرف بأن أرفع إلى سعادتكم ماياتي :



الأستاذ بوشتى الجامعي

في يوم الخميس الفارط عزم زميلنا العلامة السيد بوشتى الجامعي على زيارة مدينة وزان الجبلية لتمضية العطلة الأسبوعية بها، ولما اقترب من البلدة بنحو ثلاثة كيلومتر أخذته الشرطة هو وجميع الوافدين رفقته حيث زجت بهم في السجن بدعوى أنهم لا يحملون رخصة السفر، لوزان ثم عادت فأطلقت الجميع أما الأستاذ فقد أبقي في السجن حيث قضى ليلته ونهار الأمس حتى الساعة الثانية بعد الزوال فأطلق وأمر بمغادرة البلدة فورا.

إننا ــ ياسعادة الجنرال ــ نستغرب جدا هذا الحادث ونحتج من أجله بكل قوانا لأنه أولا يفرض على زميلنا ومن معه رخصة لا نعتبرها مشروعة داخل المغرب وخصوصا بين أنحاء المنطقة السلطانية ولم يتقدم أن طولب بها في زيارته لهذه المدينة التي له فيها تلامذة كثيرون، وثانيا لأن فيه إهانة لشخصية محترمة محبوبة مثل شخصية الأستاذ الجامعي وثالثا لأننا نرى في إطلاق غيره وإبقائه هو ثم إخراجه من المدينة ما يدل على أن هناك سببا آخر لا يدل على حسن نية السلطة المحلية بتلك الجهة، وفوق ذلك فإنا نعتبر هذا التصرف تحديا من الادارة لعواطفنا واستفزازا لشعورنا هذا التحدي وذلك الاستفزاز هما اللذان الفنا أن نراهما يشتدان كلما غاب عن المغرب المسؤولون المركزيون رغبة في إحداث القلاقل وإثارة الاضطرابات.

لذلك نتمنى أن نرى موقف سعادتكم الحازم في هذه القضية الواقعة ضمن دائرتكم حتى لا يكون لهذا التصرف أثره الوخيم في نفوس المغاربة ونحن من بينهم.

وتفضلوا ياسعادة الجنرال بقبول فائق الاحترام وعظيم المتمنيات الطيبة.

تأسيس الحزب الوطني

لقد كنا نتابع الأحداث عن كثب، ونوالي الاجتماعات تارة بفاس وأحيانا بالرباط فبعد تقديم المطالب المستعجلة وما تبعها من أحداث واعتقالات، انتفضت حركتنا الوطنية، وبعد انسحاب الأستاذ الوزاني من الكتلة، وقيامه بحملات ضد الكتلة، ثم حلها من طرف الادارة الاستعمارية كان لابد من الزيادة في التنظيم والدعاية وتكوين الفروع. وتضاعف النشاط بعدما كشف «نوكيس» عن نيته عندما زار فاسا وهدد الاخوان كما أشرنا إلى ذلك من قبل، بعد كل هذا لم يبق مجال للاستسلام، فاما ان تقفز حركتنا الوطنية إلى الأمام بأخذ حرياتنا دون أن ننتظر من يهبها لنا، واما أن تنتكس حركتنا فنرجع إلى الوراء. لقد بعثنا بأخوينا : بلافريج وابن عبد الجليل إلى فرنسا لنقيم الحجة على أننا مصرون على نيل حقوقنا بكل الطرق التي يفرضها علينا الحق والانصاف، دون رغبة في التشويش والقلاقل، وبذلك نعطي لفكرة التعاون تفسيرها الصحيح، اما أن نبقى في مؤخرة القافلة، فذاك ما لا نقبله ولا يرضاه منا شعبنا.

وفي ليلة من ليالي شهر أبريل سنة 1937 وكان وفدنا لازال بباريس عقدنا اجتماعا موسعا بمنزل الأخ محمد اليزيدي، وتدارسنا فيه الأوضاع من جميع الجوانب، وكنا أثناء ذلك متصلين بأخوينا هاتفيا بباريز، فقررنا ولعل ذلك باقتراح من «بلافريج» ان نعلن عن تأسيس حزب ونطلق عليه اسم (الحزب الوطني لتحقيق المطالب) ثم صدر بلاغ من الحزب نشرته جريدة «المغرب» التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي. يعلن عن تأسيس الحزب الوطني لتحقيق المطالب وبادرت مدينة فاس باعتبارها المركز الأساسي للحركة الوطنية بفتح مركز عام للحزب الجديد الذي كان هو مركز الكتلة ثم بعد تدخل الادارة الفرنسية التي لم تستسغ هذا المركز واعتبرت فتحه من جديد، تحديا للمقيم العام الذي كان اقفله بالقوة، عوض بمركز آخر كان الاخوان بفاس قد هيأوه وهكذا انتزعنا الاعتراف بحزبنا بصمودنا وثباتنا، وأصبح الحزب الوطني حزباً معترفاً به عمليا، وان لم يضع قوانينه لدى الادارة، وهكذا انفتح المجال أمام غيرنا، فأعلن الأستاذ الوزاني عن فتح مركز بالقطانين، وربحت المعركة الوطنية هذه الجولة مع باطل الاستعمار.

كان لابد بعد إعلان تأسيس الحزب، الاتجاه إلى التنظيم والتأطير وتنويع النشاط وتكثير الأنصار، وقبول المنخرطين وهو ماقام به رجال الحركة الوطنية سواء بفاس أو بغيرها من المدن الأخرى.

واستمرت جريدة «الأطلس» في أداء رسالتها الوطنية معززة بجريدة «المغرب» التي كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ثم بعد ذلك أصبحت يومية، ثم صدرت جريدة «العمل الشعبي» باللغة الفرنسية، ثم جريدة «العمل» بعد منع العمل الشعبي لقد كان نشاطنا نشاطا مضاعفا، سواء في المجال السياسي بتكوين اللجان العاملة داخل الحزب أو في المجال الثقافي والتعليمي والرياضي والديني والاجتماعي، فتأسست لجان التعليم والاصلاح الديني والتقويم الخلقي والدعاية والنشر وتربية الشباب والدفاع عن فلسطين والأماكن المقدسة، وباشرت كل لجنة مهامها بكل نشاط في أمهات المدن المغربية، خصوصا بفاس والرباط وسلا والبيضاء ومراكش ووجدة ومكناس وآسفي والقنيطرة وتازة.

صراع بين الحزب الوطني وبين الاقامة العامة

دخل الحزب الوطني في صراع صامت مع الاقامة العامة التي كان على رأسها الجنرال «نوكيس» فالحزب متشبث بمطالب الشعب المغربي، و«الجنرال نوكيس» يكتفي بالوعود المعسولة وسياسة التخدير.

إن الوعود لا تطعم الجائع، ولا تعلّم الجاهل، ولا تشغّل العاطل، ولا تضمن العيش للفلاح الفقير، لقد كانت الأزمات متوالية بالمغرب، ومظاهر البؤس متجلية في كل أنحاء البلاد سواء في الجنوب أو الشرق أو الغرب، حتى ان صحفية فرنسية زارت بلادنا فوصفتها بأنها بلاد الجوع، لقد كتبت الصحفية الشهيرة السيدة «مادلين باز» في جريدة البوبلير لسان الحزب الاشتراكي بباريز تقول : (وهل أستطيع أن أصف ما يعانيه المغاربة من وخز الجوع، وتضور المسغبة ؟ ينبغي لي أن أنتقل بالقارئ إلى تلك البلاد ليشاهد بعينه كيف يظل الناس صائمين الأيام الطوال، وكيف يفطرون من بعد ذلك بحفنة من طعام، لا تغني عنهم شيئا، وهنالك يرى شعبا بأسره، يضعف يوما فيوما متوجها نحو هوة الهلاك).

إن المتتبع للصحافة الوطنية التي كانت تصدر إذذاك مثل «الأطلس» و«المغرب» و«العمل الشعبي» و«الدفاع» يقتنع كل الاقتناع بأن الحالة كانت مزرية بالمغرب، فزيادة على مظاهر البؤس المتجلية، هناك أزمة الصناع والعمَّال، وهناك كثرة البطالة، وهناك المظالم المتعددة الأشكال التي يعاني منها المواطنون من طرف القواد والشيوخ والمراقبين المدنيين، وهناك محاربة التعليم الديني والقرآني والعربي، وهناك فرض الضرائب على المستضعفين وما يسمى بحقوق الأبواب وما يسمى بالدور، زيادة على سياسة التجهيل التي بقيت متبعة من لدن

سلطات الحماية، ففي الوقت الذي كانت الحماية تنفق بسخاء على أبنائها الفرنسيين وأبناء الأقلية اليهودية، تبخل كل البخل على تعليم أبناء مواطنينا المسلمين.

لقد نشرت جريدة «الأطلس» في عددها رقم 14 إحصائية تحت عنوان : (الأرقام أصدق خبرا وأوفى بلاغة) وقدمت لهذه الأرقام بمايلي : (نعرض في هذا الفصل المبالغ التي تنفقها الحكومة على أولاد 200 ألف من الأوروبيين إلى جانب ما تصرفه على أولاد ثمانية ملايين من المغاربة وانا نكتفي بتسطير الأرقام عن كل تعليق وللقارئ أن يقارن بين ما ينفق على تعليمنا وبين ما يصرف على تعليم الفرنسيين، وهذه البيانات كلها مأخوذة من قرارات رسمية صادرة عن الاقامة العامة.

سنة 1932

التعليم الثانوي لأبناء الفرنسيين	20.337.350
التعليم الفني للأوربيين والاسرائليين	3.233.200
التعليم الابتدائي والصناعي للأوربيين والاسرائليين	30.399.600
الجميع =	53.970.150
التعليم الثانوي لأبناء المسلمين	4.531.127
التعليم الابتدائي والصناعي لأبناء المسلمين	13.420.450
الجميع =	17.951.577

سنة 1933

التعليم الثانوي لأبناء الأوربيين	21.751.520
التعليم الابتدائي والصناعي لأبناء الأوربيين والاسرائليين	33.910.715
الجميع =	55.662.235

التعليم الثانوي لأبناء المسلمين		4.407.620
التعليم الابتدائي والصناعي لأبناء المسلمين		13.462.130
	الجميع =	17.869.750

سنة 1934

التعليم الثانوي للفرنسيين		22.855.700
التعليم الابتدائي والصناعي للفرنسيين والاسرائليين		33.716.430
	الجميع =	56.572.136
التعليم الثانوي للمسلمين		4.603.400
التعليم الابتدائي والصناعي للمسلمين		14.707.500
	الجميع =	19.310.950

سنة 1935

التعليم الثانوي للفرنسيين		24.980.070
الابتدائي والصناعي للفرنسيين والاسرائليين		31.948.280
	الجميع =	56.928.350
التعليم الثانوي والابتدائي والصناعي للمسلمين		18.606.390

سنة 1936

الثانوي والابتدائي والصناعي للفرنسيين والاسرائليين		48.943.690
الثانوي والابتدائي والصناعي للمسلمين		15.280.390

لقد مضى على تعيين المقيم «نوكيس» بالمغرب، وتقديم رجال الحركة الوطنية مطالب الشعب المغربي له ما يقرب من السنة، ورغم وعوده المتكررة فإن الحالة بقيت كما كانت، ولم ينفّذ شيء لا من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ولا من غيرها ولقد علقت على هذا جريدة «الحزب الوطني» «الأطلس» فقالت : (والآن مرت علينا فترة من الزمان تقرب من السنة، ونحن ننتظر ونترقب تلك الاصلاحات كعلاج لبؤس بلادنا، وتعاسة الطبقات العاملة فيها. هل حان وقت إعلان خيبة تلك الآمال ؟ فإننا صرنا نتوهم ان الجنرال لم يظهر في ذلك المظهر الا لتخذير الحركة، ومحاولة إخماد صوتها البعيد المدى في أعماق طبقات الشعب). إلى أن تقول : (إنّ الحزب الوطني، همه هو الدفاع عن هذه الطبقات التعسة، لأنها هي روح البلاد وهي قوتها الحية، فهو دائما إلى جانب الضعيف، ضد كل قوي متجبر).

إن الخطاب مع المقيم العام صار يتغير، ولهجته صارت ترتفع بعض الشيء في الصحافة الوطنية، خصوصا بعدما أصبح المسؤولون الفرنسيون وعملاؤهم. يزيدون في ضغطهم واضطهادهم للمواطنين، وتشجيعهم ومساعدتهم المعمرين، فكثرت الشكايات من مختلف أنحاء البلاد، وارتفعت الاحتجاجات من هنا وهناك. تستغيث من كثرة الاعتداءات. فأصوات الفلاحين في البادية والصناع في المدن، بحّت من كثرة الشكايات الناتجة عن المظالم المتعددة الأشكال والألوان، ومظاهر البؤس والحرمان لا تزيد الا تضاعفا، وأغلبية الشعب في حرج عظيم، وفقر مدقع، ولا من ينظر في مطالبهم، ولا من يستمع لرغباتهم، وزاد في الطين بلة ان الادارة زاد تكالبها، وتضاعف اضطهادها عندما رأت سكان البادية أنفسهم، يقبلون على الانخراط في الحزب، فيتكاثر عددهم اليوم بعد اليوم، والأسبوع اثر الأسبوع، والادارة إن كانت تعامت مرغمة على تكوين فروع للحزب في الحاضرة، فإنها لا يمكن أن تسمح لانتشار الوعي الوطني في البادية، وهذا مازاد في حقدها وعنادها واضطهادها، وهذا ما جعل قادة الحزب أنفسهم، يضجون ويرفعون أصواتهم بالاستنكار لهذه السياسة الحمقاء التي لا تعير وزنا لمتطلبات الشعوب، ولا تستجيب لرغبات المنكوبين والمظلومين والمضطهدين، فكتب الزعيم علال مقالا افتتاحيا في جريدة «الأطلس» جعل عنوانه : (عصورنا الوسطى) وقال فيه : (لقد هال الرجعيين الموجودين في الادارة المغربية أن تنتشر الفكرة الوطنية في الأوساط، وان تصبح عقيدة المغاربة كلهم في الحاضرة والبادية، ففكروا وقدروا ووضعوا برنامجا مدققا لاضطهاد حملتها والتنكيل بهم، وهكذا ابتدأت الحلقة في مكناس، ثم انتقلت للقبائل كلها، ووصلت إلى مراكش، ولا تفرغ حلقة حتى ترتبط بها أختها، لتستحكم السلسة ويتم الخنق للحريات إلى أن يقول : وقد مثل في هذه الأدوار من ضروب الغطرسة والتعنت ما لم نشاهد مثله، وربما لم نقرأهُ لا في تواريخ خرافية لبعض الملوك الأسطوريين ولو كان المجال واسعا لبسطنا تلك الأنواع، ليتجلى للقارئ مقدار ما يعانيه المغاربة في سبيل الاحتفاظ بالمغرب الاسلامي، ولكن نضرب لهم مثلا : نشير لقضية اطلاق السبيل في قبيلة بني يازغة، وتعذيب

المغاربة في نواحي تاهلا وسائر قبائل الأطلس، أما في مراكش فالضرب اللاذع، والتكيل والنفي في مقدمة ما ارتكبه الكلاوي من فظائع مع من أوقعهم سوء البخت في يده من عشيرته الأقربين، (وفي آيت أوريبل) من زمور تمنع الحكومة الناس من إقامة موسم قرآني من عادتهم أن يقيموه سنويا، إلا بشرط عدم تلاوة القرآن، وعدم الدعاء لجلالة السلطان، في وقت يسمحون فيه بإقامة أعظم موسم كنسي تبشيري في القبيلة نفسها، وإذا تكلم المسلمون رموا بالتعصب وإثارة الفتنة، وبغض الدولة الحامية، وعداوة الديموقراطية وفي نفس العدد، كتب المرحوم محمد اليزيدي تحت عنوان : (ما سلم حتى لَسَع) كأنا بالباشا الكلاوي لمَّا وصل إلى مراكش، استدعى خليفته «البياز» ليستفسره عما قام به من التصرفات بعد حوادث 21 شتنبر المنصرم، فقص عليه «البياز» خبر أعماله بتفصيل، وبين له كيف استطاع بعدما كان التجأ إلى زاوية الاهمال والنسيان، ان يلعب دورا عظيما انتقم فيه لنفسه قبل كل شيء، فسلط أعوانه على جميع الأفراد الذين كانوا يناوشونهُ ويناقشونه الحساب، فأخرجوهم عنوة من بيوتهم، وساقوهم في كثير من الوحشية والتعدي إلى المحكمة، لكي تسجل أسماؤهم مع المجرمين، في حين أن الكثيرين منهم، لم يشاركوا حتى في المظاهرة، فقال له سيده الكلاوي : حسن كل هذا، ولكن سأريك ما هو أحسن، آتوني «بأزَفَّلْ» و«الفُلفُل» واحضروا الاغلال والقيود، وهيا بنا ننتهز الغفلة لكي نحيَى ولو أسبوعا في العهد البالي، فأطاعه زبانيته، وأحضروا له ما طلب، وما هي إلا ساعة، حتى أخذ يستدعي البرءاء، وينكل بهم، فيذيقهم من حر السوط على ظهورهم، ومن لذعة الفلفل في أفواههم) وكتب اليزيدي أيضا : (وقد يظن بعض المسؤولين أن مقاومة حركتنا بالعنف، فيها الدواء الناجع للقلق الذي يسود الأوساط المغربية، وفيها رفع الاستياء الذي ملأ القلوب، وشغل الأفكار، حتى أمسى الناس سكارى وما هو بسكارى، يجب أن يعلموا أننا ما كنا نخشى مقاومتهم في الوقت الذي كنا فيه أفرادا معدودين، فأحرى في هذه الأيام التي استوى فيها لفظ المغربي بلفظ الوطني فأصبح أهل بلادنا كلهم يفكرون كما نفكر، ويشعرون بما نشعر به، فلهم أن يسجنوا ولهم أن يعذبوا أو يقتلوا أو يصلبوا، أن كل ذلك لا يثنينا عن غايتنا، ولا يؤثر شيئا في عزائمنا، وكتب المرحوم أحمد بلا فريج في افتتاحية قال فيها : (ولكن التفاف الشعب المغربي حول الحركة الوطنية ملأ قلوب المستعمرين والنفعيين رعبا، وجعلهم يتساءلون عن هذه الروح التي دبت في هذا الشعب، بعدما حسبوه جثة هامدة لا حركة لها، فأخذوا يتكلمون عن الحركة الوطنية كسلطة ثالثة، تحريشا بها. وقالوا أن المغرب كان يعرف سلطة المخزن، وسلطة فرنسا، فأصبحت فيه سلطة ثالثة، تأمر فتطاع وتقاوم فتنجح) إلى غير ذلك من المقالات والاحتجاجات والمراسلات التي تصور الحالة التي كان عليها المغرب إذذاك، والتي لم تتغير قيد أنملة رغم الوعود المعسولة، والابتسامات الخادعة، والأحاديث الكاذبة، هذا ما جعل الحزب الوطني يقرر الانتقال إلى مرحلة جديدة في المقاومة. فكانت الدعوة إلى مؤتمر وطني مصغر انعقد بالرباط يوم 13 أكتوبر 1937 وكان الميثاق الوطني الصريح الذي أعقبته أحداث وانتفاضات وسجون ومنافي.

تجمع وطني بسلا

وإعدادا للمؤتمر المذكور قرر الحزب أن تقام اجتماعات ومهرجانات في الفروع وهكذا عقدنا بسلا اجتماعا موسعا بمنزل الأخ محمد البقالي بتاريخ 22 رجب 1356 الموافق 29 شتنبر 1937 تناول فيه الكلمة كل من الاخوة : أبو بكر القادري، محمد البقالي، سعيد حجي، محمد العزوزي، وكان برنامج الاجتماع كمايلي : (1) آيات من كتاب الله العزيز (2) دقيقة ترجم على شهداء مكناس، (3) كلمة افتتاحية لأبي بكر القادري، (4) نصيبنا من الحرية لمحمد البقالي، (5) الحرية توخذ ولا تعطي لسعيد حجي، (6) المغرب في طريق الحرية لمحمد العزوزي، (7) كلمة عن الحريات المطالب بها لأبي بكر القادري، (8) قراءة البرقية الموجهة إلى جلالة الملك والموافقة عليها، (9) اختتام الاجتماع بآيات قرآنية وأناشيد وطنية.

ولقد جاء في الكلمة الافتتاحية التي ألقيتها مايلي : لقد دعا الحزب الوطني لعقد هذا المهرجان لدراسة مسألة الحريات التي تعتبر ضرورية لحياة الشعب المغربي، والتي لا يمكن أن ينهض ويتبوأ مكانه اللائق به. كشعب ذي تاريخ مجيد ومكانة عالية إلا إذا نالها وحصل عليها والشعب المغربي لا يمكنه أن يبقى من دون الشعوب الموجودة على البسيطة، مغلول الأيدي، مقطوع اللسان، محكوما عليه بالصمم، لا لا لم يكن المغرب في يوم من الأيام كما يريدون أن يصوروه، وكما يودون أن يكون، انه شعب أبي، تواق إلى المعالي، متطلع إلى المدنيَّة، عامل على أن يعيش حرا كريما في سائر ميادين الحياة، وهو مستعد لأن يبذل في هذا السبيل كل عزيز وغال، حتى يحصل على مبتغاه، ويدرك مرماه، ويعد في صفوف الأمم الحية الناهضة ولا يكون ذلك إلا بإفساح المجال له، وإعطائه الحريات التي يتطلبها، والتي برهن غيرما مرة، وفي كل مناسبة على شدة تمسكه بها، وحرصه الشديد على نيلها وإدراكها.

لقد قام الشعب المغربي منذ سنة تقريبا مطالبا بحريته المسلوبة، وحقه المهضوم، فأوذى كثير من أبنائه المخلصين وامتلأت السجون، وتوالت المظاهرات، وهو في كل هذا لا يطالب بأخذ حق الغير، ولكن يريد أن يعترف له بحقه في الحياة. يريد أن يعيش في بلاده حر الأفكار. يريد أن يعيش كما تعيش سائر الشعوب الحرة في بلدانها، يريد أن يعترف له بالوجود ككائن موجود، له حقوق يجب أن تعطى له، ولديه مطالب يجب أن يعمل على تنفيذها، أن الشعب المغربي ليس بالشعب الثائر، وان حركتنا ليست حركة طائشة، واننا لا نضمر الحقد لأحد، ولا يوجد في قلوبنا كُره لمخلوق، ولكننا لا نريد أن تسلب منا الحقوق، وتهتك منا الأعراض، وتهان لنا الكرامات، ونعتبر في صفوف الأموات، وكل من أراد أن يسلبنا حقوقنا، أو يهتك أعراضنا، أو يهين كرامتنا، لابد أن يلقى منا المقاومة بكل الوسائل التي بأيدينا إلى أن يرجع الحق لنصابه.

إن أمتنا ليس مفتقرة إلى شيء مثل افتقارها إلى الحريات، فكل إصلاح يود المخلصون القيام به لصالح أمتهم، وكل عمل يجب القيام به إذا كان لفائدة شعبهم، وكل خدمة يتطلبها الوطن المقدس لابد لنا من أدائها، فيجب على المسؤولين أن يفسحوا لنا المجال لأداء واجبنا نحو وطننا، ولا يعرقلون مساعينا، بل يجب أن تمد لنا يد المساعدة حتى نتعاون وإياهم على ما فيه صلاح أمتنا. فتبا لشخص لا يهتم بشؤون أمته، وخزيا لفرد يعمل على اذلال أبناء جلدته، فإلى الثبات أيها الاخوان أدعوكم، وإلى العمل لما فيه مصلحة البلاد أهيب بكم، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم.

برقية إلى جلالة الملك

ولقد جاء في البرقية الموجهة إلى جلالة الملك المعظم : ياجلالة الملك نحن المجتمعين بمنزل السيد محمد البقالي بدعوة من الحزب الوطني نتشرف بأن نرفع هذه البرقية إلى جلالتكم المؤيدة بالله لنذكركم بتنفيذ مطالب شعبكم التي أصبح يرى ضرورة تنفيذها وبالأخص ما يتعلق بالحريات التي استصرخكم من أجلها، والتي أقرها المؤتمر الأول لكتلة العمل الوطني ياجلالة الملك، اننا نطالب بإصدار أوامركم المطاعة بإعطائنا حرية الصحافة تامة، ومساواتها مع صحافة الفرنسيين (2) حرية الجمعيات والنقابات (3) حرية الاجتماعات العامة (4) حرية التجول داخل المغرب بدون أدنى مراقبة والسماح لمن يريد أن يسافر خارجه سواء للدراسة أو غيرها (5) كما نطالب بإعطائنا حرية التظلم. والضرب على الأيدي العاتية التي تريد أن تستغل الشعب لمصلحتها الشخصية. ونغتنم هذه الفرصة، فنرفع إلى جلالتكم احتجاجنا الشديد على الحوادث الدموية الواقعة بمكناس والحوادث الأخيرة الواقعة بعاصمة الجنوب «مراكش» وكذلك الاضطهادات الواقعة في البادية من لدن السلطة المحلية، ونطالب بإطلاق سراح جميع المعتقلين، وايقاف أيدي الطغاة عند حدها.

لازلتم يامولانا ملجأ لرعيتكم، المتفانية في محبتكم، والمخلصة لشريف أعتابكم، وعلى الطاعة والمحبة والسلام.

(سلا في 22 رجب 1356 ــ 29 شتنبر 1937

ثم وجهنا برقية أخرى باسم سكان سلا نحتج على القمع الذي يقوم به الكلاوي ضد إخواننا بمراكش وهذا نص البرقية : (إلى جلالة الملك المعظم، نحن سكان سلا من عموم الطبقات، تجار وصناع وعلماء وأعيانا وفلاحين نتشرف بأن نرفع إلى جلالتكم استياءنا العميق من التصرفات الشاذة التي تؤذي إخواننا سكان مراكش، ونحتج أشد الاحتجاج على هذه الاضطهادات التي تمثل العصور المظلمة، من سجن الأبرياء وهتك الحرمات، وتعذيب

المعتقلين، ونطالب بوقف هذه التصرفات، وإطلاق سراح المعتقلين ظلما وعدوانا، تهدئة للخواطر المضطربة) (انتهى).

لقد كان المغرب يغلي غليانا، وكان الشباب الوطني متحفزا ومستعدا لكل الأعمال وكل التضحيات، وكانت الادارة تفكر وتدبر وتمكر، وتنتظر الفرصة المناسبة لتكر على الحزب الوطني ورجاله وأنصاره، وكانت الاقامة العامة تهيىء الأفكار والعقول لقبول ما تخطط له من ضرب للحركة الوطنية، وتتعاون التعاون الكلي مع العملاء من المغاربة الذين ضاقوا من تشهير الصحافة الوطنية بأعمالهم المنكرة، ومظالمهم المتوالية، وخيانتهم المكشوفة.

وجاء مؤتمر الحزب الوطني والميثاق الوطني الذي قرره، ليفجّر الوضع، وتجعله الاقامة العامة سببا مباشرا للانقضاض على الحزب ونفي رجاله، وسجن أعضائه، والانتقام من أنصاره.

تباطؤ الادارة الفرنسية في تنفيذ مطالب الشعب المغربي واشتداد الأزمة في المغرب

رغم الوعود التي أعطاها المقيم الفرنسي العام «نوكيس» بأنه سيدرس المطالب التي تقدمت بها كتلة العمل الوطني ويعمل على تنفيذ الممكن منها ــ حسب قوله ــ فإن دار لقمان بقيت على حالها، ولم تعط الأهمية لتلبية الرغبات الشعبية وتحقيق مطالبها في العيش الكريم والحياة الرغيدة.

لقد توالت الأزمات، واشتد الخناق على طبقة العمال والصناع والفلاحين الصغار، وانتشر البؤس في كثير من نواحي المغرب، وخصوصا في الجنوب والشرق، حيث كانت طبقات البائسين تعمر الطرقات في مراكش ووجدة وغيرهما من الجهات، حتى كان البؤساء يموتون من الجوع، كل هذا والمظالم تتوالى على المواطنين، خصوصا بالبادية، حيث تغتصب الأراضي الفلاحية من أصحابها، وينكل بمالكيها ان هم اعترضوا أو احتجوا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا لا يجدون ملجأ إلا لدى إخوانهم الوطنيين الذين ينصتون إليهم، ويؤازرونهم في مواقفهم، ولقد كان موقف الجرائد الوطنية موقفا حازما ضد ما يلاقيه الفلاحون والصناع والعمال وجميع الطبقات المتضررة فكانت تكتب المقالات تلو المقالات دفاعا عن المظلومين والمضطهدين، كمقال الأستاذ الزعيم علال في آخر عدد صدر من جريدة «الأطلس» قبل منعها من الصدور الذي نشرنا فقرات منه عندما تكلمنا عن جريدة «الأطلس» وكمقالات المرحومين : اليزيدي وبلافريج والشرايبي وابن عبد الجليل وغيرهم، تلك المقالات التي كانت تثير غضب الاقامة العامة الفرنسية، فتعمد إلى مراقبة الجريدة أو منع صدور العدد، أو حذف بعض المقالات، في الوقت الذي تشد فيه الخناق على الوطنيين في البوادي، وصدهم عن الانخراط في كتلة العمل الوطني التي أصبحت تدعى بالحزب الوطني.

أحداث مكناس

في هذه الظروف القائمة استصدر الفرنسيون قرارا وزيريا صدر في الجريدة الرسمية عدد 1268 بتاريخ 13 فبراير 1937 يقضي بالاستحواذ على ماء مدينة مكناس وإعطاء أكثره طبق ما خططت إدارة الأشغال العمومية الفرنسية إلى المعمرين الفرنسيين ليسقوا الأراضي التي انتزعوها من أصحابها الشرعيين، ويخصصوا القليل للمدينة ونواحيها بما فيها الدار العالية الأمر الذي أثار ردود فعل قوية من طرف سكان مدينة مكناس، فقامت قومة رجل واحد ورفعت احتجاجات وعرائض للسلطات العليا، وألفت لجان الدفاع عن ماء مكناس، وقامت مظاهرات صاخبة، شارك فيها الآلاف من السكان، وظهر فيها تكاثف المكناسيين على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم وانتماءاتهم السياسية، ولقد قابل الجند الفرنسي المتظاهرين بغاية القسوة والوحشية، فسقط العدد العديد من الشهداء المدافعين عن حقهم وأصيب الكثيرون من المتظاهرين بجروح، وراج ان عدد القتلى بلغ الستين فيهم الرجال والنساء والأطفال، استطعنا أن نتعرف على أسماء بعضهم، ولم نتعرف على البعض الآخر، ومن جملتهم الشهداء الذين سجلت أسماءهم في الرخامة التذكارية الموضوعة في المقبرة، وهم أربعة عشر شهيدا يضاف إليهم شهداء آخرون تعرفنا على أسمائهم في ذلك الوقت ومنهم الشهيد حم بن الحسين وعمرو بن محمد الصنهاجي أما الجرحى فكثيرون كان من جملتهم الطفل محمد بن محمد الوزاني ومحمد حمادو ادريس القلعي وسالم بن قاسم الرحماني ورقية بنت محمد الحياني وغيرهم ولقد عمدت الادارة الفرنسية إلى إلقاء القبض على عدد من المناضلين، كان من جملتهم السادة أحمد بن شقرون ومحمد برادة ومولاي ادريس المنوني ومحمد بن عزو وابن السيد المدني السلوي، وحكمت عليهم بثلاثة أشهر سجنا باعتبارهم مسؤولين عن تنظيم المظاهرات والداعين إليها.

ولدى سماع الجماهير الوطنية بإلقاء القبض على الوطنيين المخلصين المذكورين ومحاكمتهم ثارت ثائرتهم، وزاد حماسهم، وتوالت مظاهراتهم، وصاروا يصيحون : الماء، الماء ولقد حوصرت المساجد بالجيش، وحلقت الطائرات على المدينة مهددة سكانها، وصار الجو في منتهى الخطورة، وتألفت لجان، أسمت نفسها لجان الدفاع عن الماء، وتوالت المظاهرات، وألقي القبض على آخرين، واهتمت الجرائد الوطنية الاهتمام الكبير بالموضوع فكتبت المقالات المتعددة، وأعطت تفاصيل عن الأحداث، وأعلنت تضامنها المطلق مع المكناسيين المطالبين باسترجاع ماء أبي فكران لصالح المدينة، وأهاليها، وهكذا قامت جريدة «الأطلس» وجريدة «المغرب» وجريدة «العمل الشعبي» وجريدة «عمل الشعب» وجريدة «الدفاع» بفضح الأعمال والتصرفات التي قامت بها الادارة الاستعمارية، فلم تطق الادارة الاستعمارية رؤية ما يكتب ضدها، وهكذا صارت تحجز تلك الجرائد أو تمنعها أو تريد فرض المراقبة عليها

ولقد أصدرت لجنة الصحافة التابعة للحزب الوطني مناشير متعددة، تستنكر موقف الادارة من الصحافة الوطنية، ومن قضية الاضطهادات والتصرفات التي قامت بها السلطات الاستعمارية وها نص أحد المنشورات التي وزعتها لجنة الصحافة : (أيها الأخ الكريم ــ سلام عليك (حجز «العمل الشعبي» ثم منعه) ــ بمجرد ما وقعت الحوادث المؤلمة بمكناس، أصدرت لجنة الصحافة، عدد جريدتنا الفرنسية «العمل الشعبي» حافلا بالموضوعات الوقتية، ومن بينها مقال ضاف، يصور حوادث مكناس بأسبابها ونتائجها، كما وقعت، لا كما يريد أن يصورها المغرضون وقد كان لهذا العدد من الصدى في الأوساط التي أمكنها الاطلاع عليه ما أبان الحقيقة للصحافة اليسارية التي حملت مسؤولية الوقائع للإدارة والجيش. ولذلك فإن السلطة التي تريد أن تحتكر الأخبار، حجزت ذلك العدد، ثم لم تكتف بذلك بل أصدرت قرارا عسكريا بمنع جريدة «العمل الشعبي» لسان الحزب الوطني باللغة الفرنسية.

حجز العدد 30 من «الأطلس»

هذا وقد طلبت الادارة أن تطلع على العدد 30 من «الأطلس» وأخذته من المطبعة، بالرغم عن صاحبها، ثم استدعت المدير المسؤول وفاوضته في حذف مقال اللجنة الافتتاحي الذي يعلق على الحوادث، وعنوانه : (في المستقبل يجب أن تحترم عواطف المغاربة وتعتبر مطالبهم) وفي حذف مقال الأخ عمر بن عبد الجليل تحت عنوان : (موازنة بين الصهيونية والاستعمار) تعليقا عن الحوادث أيضا، ولكن المدير اشترط أن يبقى محل ما يحذف أبيض، فلم تقبل الادارة ذلك، وأبلغته حينئذ منع ذلك العدد، كما طلبت أن تطلع على العدد (31) قبل صدوره، وإزاء هذا الطلب، اجتمعت لجنة الصحافة ورأت أن طلب الادارة الاطلاع على جريدة، معناه المراقبة عليها قبل صدورها، وذلك لا يتفق حتى مع قوانين الصحافة المغربية الجائرة، فالمراقبة لا تكون عادة إلا في وقت حصار، لهذا قررت اللجنة أن لا تصدر عدد (31) لأن كرامة الحزب الوطني لا تسمح أن تقدم جريدة لقرائها أخبارا مصفاة في الاستعلامات، فالحزب يفضل أن لا تصدر صحيفته على أن تخرج كما تريده الادارة، وقد بعثت احتجاجا للسلطات العليا على هذا التصرف الجائر، وإليك نصه : (نحتج بشدة على منع «العمل الشعبي» وعلى تأسيس مراقبة غير مشروعة على الصحافة العربية، وننكر على البلاغات الرسمية ادعاءها الاستئثار بالحقيقة، هذا وان الحزب ينتظر موقف سعادة المقيم الذي يصل اليوم إلى المغرب، ليتخذ قراره اللازم إزاء هذه التصرفات).

في 8 شتنبر 1937
(لجنة الصحافة)



صور النصب التذكاري

لقد ابتدأت المظاهرات الاحتجاجية ضد غصب ماء «بوفكران» يوم الأربعاء فاتح شتنبر 1937 حيث انطلقت من مسجد الزيتونة، والمتظاهرون يصيحون (الماء ماؤنا، تفديه أرواحنا) وعقبتها مظاهرة ثانية انطلقت من المسجد الأعظم، ثم مظاهرة ثالثة التي سقط فيها أول شهيد وهو المرحوم الشاب السيد احمد العمراني، ولقد أبلى فيها كل الوطنيين البلاء الحسن وقاوموا اللفيف الأجنبي والجيوش الأجنبية بكل ما أمكنهم سواء برمي الأحجار أو غير ذلك وشاركت

المرأة الوطنية في المقاومة والتي مثلتها السيدة رقية الريفية التي ألقت بقطع من الرحى الحجرية على الجيش الفرنسي المعتدى، فصوب لها أحد الجنود ضربة بالرصاص لم تقتلها بسبب الألطاف.

لقد كان لأحداث «مياه أبي فكران» الأثر الكبير لدى مختلف المدن المغربية التي أعلنت تضامنها مع إخوانها المكناسيين، واستنكارها لأعمال واعتداءات الجيش الفرنسي الظالم، فوقعت اجتماعات في المساجد أديت فيها الصلوات على أرواح الشهداء الذين قدموا أنفسهم ضحايا في سبيل الدفاع عن حقوقهم، وتكونت وفود ذهبت إلى الاقامة العامة محتجة ومتضامنة مع المعتقلين المكناسيين.







صورة السجناء الأولين الذين احتجوا ضد السلطات الفرنسية لدى اغتصابها ماء أبي فكران : وهم : السادة : ادريس المنوني، أحمد بن شقرون، محمد برادة، محمد بن عزّو، ابن المدني السلوي.

الحمد لله وحده

أيها الأخ الكريم، سلام عليك.

حجز «العمل الشعبي» ثم منعه :- بمجرد ما وقعت الحوادث المؤلمة بمكناس أصدرت لجنة الصحافة عدد جريدتنا الفرنسية «العمل الشعبي» حافلا بالموضوعات الوقتية ومن بينها مقال ضاف يصور حوادث مكناس بأسبابها ونتائجها وقعت لا كما يريد أن يصورها المغرضون. وقد كان لهذا العدد من الصدى في الأوساط التي أمكنها الاطلاع عليه ما أبان الحقيقة للصحافة اليسارية التي حملت مسئولية الوقائع للإدارة والجيش. ولذلك فإن السلطة التي تريد أن تحتكر الأخبار حجزت ذلك العدد. ثم لم تكتف بذلك بل أصدرت قرارا عسكريا بمنع جريدة «العمل الشعبي» لسان الحزب الوطني باللغة الفرنسية.

حجز العدد 35 من الأطلس :- هذا وقد طلبت الإدارة أن تطلع على العدد 35 من «الأطلس» وأخذته من المطبعة بالرغم عن صاحبها ثم اشتد عنت المدير المسئول وفاوضته في حذف مقال اللجنة [illegible] الذي يعلق على الحوادث، وعنوانه «في المستقبل: يجب أن نحترم عواطف المغاربة وتعتبر مطالبهم»، وفي حذف مقال الأخ عمر ابن عبد الجليل تحت عنوان «موازنة بين الصهيونية والاستعمار» تعليقا عن الحوادث أيضا، ولكن المدير اشترط أن يبقى محلهما بحذف أبيض. فلم تقبل الإدارة ذلك وأبلغته حينئذ منع ذلك العدد، كما طلبت أن تطلع على العدد 31 قبل صدوره، وإزاء هذا الطلب اجتمعت لجنة الصحافة ورأت أن طلب الإدارة الاطلاع على الجريدة معناه المراقبة عليها قبل صدورها، وذلك لا يتفق حتى مع قوانين الصحافة المغربية الجائرة؛ فالمراقبة لا تكون عادة إلا في وقت حصار. لهذا قررت اللجنة أن لا تصدر عدد 31 لأن كرامة الحزب الوطني لا تسمح أن تقدم جريدته لقرائها أخبارا مصفاة في الاستعلامات. فالحزب يفضل أن لا تصدر صحيفته على أن تخرج كما تريد الإدارة. وقد بعث احتجاجا للسلطات العليا على هذا التصرف الجائر، وإليك نصه :- نحتج بشدة على منع العمل الشعبي وعلى تأسيس مراقبة غير مشروعة على الصحافة العربية، وننكر على البلاغات الرسمية ادعاءها الاستئثار بالحقيقة.

هذا وإن الحزب ينتظر موقف سعادة المقيم الذي يصل اليوم للمغرب ليتخذ قراره اللازم إزاء هذه التصرفات.

في 8 شتنبر 1937

لجنة الصحافة

صورة المنشور الذي وزع على الجمهور اثر حجز جريدة «العمل الشعبي» وجريدة «الأطلس».

أحداث مراكش

امتازت مدينة «مراكش» وكل الجنوب المغربي عن بقية النواحي المغربية بأن سلط عليها نوعان من الاستعمار : استعمار أجنبي، واستعمار بلدي، ذلك أن الجنوب المغربي كان يتحكم فيه التحكم المطلق الباشا الكلاوي الذي كانت تنعته جريدة «الأطلس» بالمقيم الأسمر، بالاضافة إلى المقيم الأبيض، الجالس بعاصمة الرباط، والذي يمثل سلطة الاستعمار الفرنسي.

لقد سلط «الكلاوي» زبانيته برئاسة خليفته «البياز» على إخواننا في مراكش والجنوب فكان ينهبهم نهبا، ويضيق عليهم الخناق في جميع جوانب الحياة، وكان آلة مسخرة في يد السلطات الاستعمارية ويتصرف التصرف المطلق في رقاب العباد، فجميع املاك الدولة تحت تصرفه يستفيد من مداخيلها ومزارعها كما يشاء، ويعيش عيشة الملوك الاقطاعيين بينما كان الشعب يعاني من الفقر والحاجة والضياع والظلم المسلط عليه من الموظفين والأعوان والمقدمين، وكانت الحركة الوطنية ورجالها يعانون المتاعب والأهوال، والمحن والسجون، والمنافي والأبعاد، وفي سنة 1937 كثرت البطالة، وعم الفقر، واشتد الحال بالطبقات الفقيرة وانتشر المتسولون والفقراء في الطرقات، فأصبحت مدينة «مراكش» وكأنها مركز للمشردين والمتسولين، وصارت الصحافة الوطنية تتحدث عن المآسي التي يعاني منها السكان على اختلاف طبقاتهم، وصار «الكلاوي»، يمنع تلك الصحافة من الرواج في منطقته أو مملكته، حتى لا تزيد فضيحته أمام الرأي العام الدولي، وضاق الفرنسيون من الحملات الوطنية ضد سياستهم التفقيرية، فأعطوا تعاليمهم للزيادة في التضييق على الوطنيين وأمروا بإلقاء القبض على العلامة المؤرخ الأستاذ المختار السوسي ونفيه إلى «سوس» معتقدين انه العامل الأساسي في إثارة الأفكار ضدهم وضد سياستهم، ولكن هذا النفي أثار كثيرا من الاستياء، وكثيرا من الاحتجاجات، سواء من مدينة «مراكش» نفسها، أو من مختلف المدن المغربية، وتضامن الحزب الوطني مع الأستاذ المختار، وكتبت صحفه المقالات المستنكرة، ونشرت البرقيات المتضامنة، كل هذا وأزمة العيش لا تزيد إلا استفحالا، ووطأة البؤس لا تزيد إلا انتشارا، وتضامنت بعض الصحف اليسارية الفرنسية مع الحركة الوطنية، واستنكرت السياسة التفقيرية المتبعة، الأمر الذي جعل الادارة الفرنسية تقع في حيص بيص، وهكذا فكرت في استدعاء شخصية فرنسية تزور مراكش، تقيم لها حفلات، وتستقبلها الاستقبال الرسمي المعتاد لِتَرَى بعينها ان ما يروحه الوطنيون ضد السلطات الاستعمارية ان هو إلا محض كذب، وان «مراكش» تعيش حالة مرضية، ليس فيها بؤس ولا حرمان، كما يدعيه الوطنيون.

وجاءت تلك الشخصية التي كانت المسيو «رامادي» وزير الأشغال العمومية الفرنسية يصاحبه الجنرال «جوان» فاستقبلوهما على عادتهم المتبعة بحشر جماهير من المدعوين الرسميين وبالطبول والمزامير والشخصيات وكأن السكان في عرس وافراح.

لقد كانت هذه الزيارة يوم 24 شتنبر 1937، وهو نفس الشهر الذي وقعت فيه أحداث مكناس التي تحدثنا عنها، وبينما السيد الوزير يتلقى التهاني من الأعيان والمتعاونين، إذ هوجم هجوما قويا من طرف البؤساء والجائعين، فلقد كان إخواننا بالمرصاد لهذه المظاهر الخادعة التي يقوم بها، وينظمها الكلاوي والسلطات الفرنسية معه، وهكذا استطاعوا أن يجمعوا آلاف البؤساء والجياع والمشرذين، في بعض «الفنادق» حتى إذا ما كانت ساعة الاستقبالات الرسمية أمروهم باختراق صفوف المحتفلين بقدوم الوزير «رادمادبي» ورفع أصواتهم بالاحتجاج ضد السياسة التفقيرية المتبعة والمطالبة بالخبز للجائعين، واللباس للعراة، وما هي إلا لحظات حتى اختلط البؤساء والجياع الذين كان عددهم يفوق المحتفلين بعشرات المرات، فأحاطوا بالوزير الفرنسي من كل جانب، فلم يسع رجال الادارة إلا أن يعملوا على افتكاك الوزير من قبضتهم، بعد ما ترك قطعا من ملابسه في أيدي البائسين الذين كانوا يشدون عليه بقوة، وذهبوا به إلى مركز رئيس الناحية الفرنسي، وهو يسمع الهتاف بسقوط الاستعمار الغاشم، والمطالبة بإطعام الجائعين والمحرومين.

ولقد نشأ عن هذه التظاهرة والمظاهرة التي وقعت يوم 26 سبتمبر إلقاء القبض على جمهور من الوطنيين كان من جملتهم الاخوة : عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن ومحمد الملاخ رحمه الله حيث نقلوا إلى سجن مدينة «تارودانت» وألزموا بأشغال شاقة لمدة أسابيع.

ولقد أعلنا تضامننا مع إخواننا البؤساء والجياع والمسجونين، ورفعنا احتجاجات ضد السلطات المحلية في مراكش، وضد السلطات الفرنسية أيضا، كما وقع اجتماع تضامني في الدار البيضاء ألقيت فيه عدة كلمات وكذلك بمدينة فاس حيث ألقى الزعيم علال كلمة ضافية وكذلك المرحوم عمر بن عبد الجليل، وعلقت الصحف الوطنية على كل ما وقع.



الأستاذ عبد القادر حسن العاصمي



الأستاذ عبد الله ابراهيم

خطاب في الاحتفال بالذكرى الخامسة والأربعين لانتفاضة المكناسيين ضد المعمرين

هذا الخطاب كنت كتبته لألقيه في الاحتفال الذي أقامه المجلس البلدي المكناسي بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للانتفاضة المكناسية.

أيها الاخوة الأبرار

إنها لمنقبة جديدة لمدينة مكناس، باتخاذكم قرار الاحتفال بالذكرى الخامسة والأربعين للانتفاضة الشعبية التي قامت بها هذه المدينة المجاهدة ضدا على السلطات الاستعمارية التي قررت اغتصاب ماء أبي فكران، وحرمان أصحابه منه، وتخصيصه لسقي الأراضي التي اغتصبها المعمرون الفرنسيون من أصحابها وذويها الشرعيين.

لقد كانت انتفاضة شعبية مباركة، برهنت على أن شعبنا لا يستكين للضيم، ولا يرضى أن تداس حقوقه، وتنتصب أرضه، وتهان كرامته، ويصبح طعمة يستفيد منها الأجنبي المستعمر الدخيل.

ستبقى انتفاضة مكناس ضد اغتصاب المعمرين الفرنسيين لأرضه ومائه، معلمة من معالم تاريخنا الوطني، تؤكد للأجيال الجديدة أن رجال هذه البلدة الأمينة كانوا حراسا أشداء ضد اعتداءات المعتدين، وأمناء صادقين على ثراتهم الوطني، وحقوقهم المشروعة.

إن يوم الخميس، ثاني شتنبر سنة 1937 سجل لمكناس مجدا وفخرا لا يمكن أن ينساه تاريخنا الوطني، حيث التحم الشعب بجميع طبقاته، رجاله ونسائه، شيوخه وشبانه، ووقف صارخا رافعا صوته يقول للمستعمرين الماكرين : لا، لتخطيطاتكم، لا، لاغتصابكم أراضينا ومياهنا، لا، لسياستكم التفقيرية، لا، لسياستكم التجهيلية، لا، لوقوفكم ضد مصالحنا وحقوقنا وحرياتنا.

لقد كان يوما مشهودا في تاريخ النضال الوطني، شده له الفرنسيون، وارتاع من اتحاد المواطنين فيه المعمرون، وأدرك دهاة الاستعماريين أن الأمر جد لا هزل فيه، وأن ما كانوا يتصورونه من غفلة هذا الشعب عن حقوقه، ليس إلا أماني حالمة، وتصورات خاطئة.

ولكي نستطيع أن ندرك قيمة هذه الانتفاضة الشعبية التي وقعت بمدينة مكناس، ونضعها

في موضعها الحقيقي، لابد لنا من الرجوع إلى أوائل الثلاثينيات ليتضح لنا أن سنة 1930 كانت بداية افتضاح المخططات الاستعمارية التي اعتمدت سياسة «فرق تسد» والتي أرادت أن تفصل سكان الحواضر عن سكان البوادي ليسهل عليها فرض السيطرة الكاملة على بلادنا، وبسط النفوذ الكامل على مقدراتها، وتسخير جميع إمكانياتها لفائدة جالية أجنبية، لم تأت إلى المغرب إلا للقضاء على شخصيته العربية الاسلامية من جهة، والاستيلاء على ثرواته الزراعية والمعدنية من جهة أخرى.

لقد كانت السياسة الفرنسية تهدف إلى استعمار استيطاني كامل، يعطي كل الامكانيات للمعمرين الأجانب الذين طاب لهم المقام بهذه الديار، لما رأوا فيها من خيرات وبركات، ويحرم المواطنين من أبسط الحقوق الانسانية، حيث تسلط عليهم المظالم من جميع الجوانب وحيث يحرمون من أراضيهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، ومن ثقافتهم العربية الاسلامية، ويسلط عليهم مراقبون مدنيون وعسكريون، وقواد إقطاعيون ظالمون، ينهبون ما تبقى لهم من أرض ومال نهبا، ويسوقونهم سوق الأنعام، ضاغطين على حرياتهم، ومستعملين معهم أشد أنواع الظلم والارهاق.

لقد أدركت طائفة من الشباب المغربي، منذ عام 1930 الأخطار العظيمة التي ستحل ببلادها إذا استطاعت الادارة الاستعمارية تطبيق مخططاتها، وهكذا كانت انتفاضة 1930 بداية انبعاث وطني، يمكن أن نقول : انه غير مجرى الأحداث ببلادنا، فلقد اتضح للعالم أجمع أن سياسة تقسيم البلاد إلى قسم عربي، وقسم بربري ليست إلا تهيئا لتطبيق مخططات جهنمية تقضي على شخصية بلادنا العربية الاسلامية، وتسخرها لفائدة الاستعمار الأجنبي المتسلط عليها.

لقد كانت أحداث 1930 وما تبعها من انتفاضات شعبية، تعبيرا عن رفض المخططات الأجنبية الاستعمارية في مختلف المجالات، ومطالبة بضرورة تمتيع المغاربة بجميع الحقوق، سواء منها السياسية أو الثقافية أو العدلية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وبالرجوع إلى المطالب التي تقدمت بها الكتلة الوطنية سنة 1934 إلى جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه وإلى السلطات الفرنسية، نلاحظ أن الكتلة الوطنية أرادتها اصلاحات شاملة تزيل كل مظاهر الاستعمار الاستيطاني ببلادنا، وترفض الصبغة الاستغلالية التي تصطبغ بها السياسة الفرنسية.

وليس الوقت ملائما لإعطاء نظرة وافية عن بنود هذه الاصلاحات المطالب بها إذذاك، ولكن من المناسب أن ناتي ببعض البنود المتعلقة بالاصلاحات الفلاحية التي من شأنها إذا طبقت أن تقضي على المخططات التي كان يخطط لها المعمرون الفرنسيون الذين جعلوا من مكناس عاصمة لهم، فلقد جاء في مطالب الشعب المغربي في موضوع الفلاحة مايلي بالحرف :

1) المحافظة على حقوق القبائل في استعمال الغابات المجاورة لها والتخفيف من الواجبات المفروضة على ذلك.

2) المحافظة على حقوق الفلاح في مياه الشرب والورد والسقي.

3) اصلاح الآبار الموجودة وحفر آبار جديدة بالجهات المحتاجة إليها.

4) حماية الفلاحين من اعتداءات بعض المستعمرين الذين يضربونهم بالسياط، ويسجنونهم في المطامير، ويفرضون عليهم الغرامات، والزام المستعمرين باتباع الطرق المشروعة في كل نزاع يقع بينهم وبين الفلاحين.

5) تحرير الفلاحين من التكاليف المنافية للحرية الشخصية كمؤنة موظفي الترتيب والمحافظة، ومن العمل الاجباري عند المستعمرين أو الولاة والموظفين.

6) إعفاء الفلاحين من الحضور الاجباري في المواسم السنوية، وعدم إلزامهم بشراء الخيل وسرجها ودفع فرائض للولاة بتلك المناسبة.

7) إلغاء الاستعمار الرسمي وإبطال التشريع الذي يجعل نزع الملكية لفائدة المعمرين من باب المصلحة العامة.

8) مقاومة الربا والضرب على يد المرابين.

9) توسيع القروض المعدة للفلاح.

إن إلقاء نظرة ولو سريعة على هذه المطالب، تعطي الدليل على أن الاهتمام كان مسلطا على قضايا الفلاحة والفلاحين، وان الحركة الوطنية دخلت في صراع علني مع الادارة الاستعمارية التي كانت تبذل جهدا في تثبيت مركز المعمرين الفرنسيين، وتساعدهم بجميع أنواع المساعدات ضدا على مصالح المواطنين أصحاب البلاد الشرعيين.

لقد تقدمت الكتلة الوطنية بمطالبها المذكورة في دجنبر 1934 فكان الجواب من السلطات الفرنسية هو الزيادة في الضغط والارهاق الأمر الذي دعا الكتلة إلى عقد تجمعات شعبية في مختلف المدن المغربية لاعلان التضامن مع المطالب المستعجلة التي لا تقبل تأخرا ومماطلة ولكن الجواب كان أيضا هو السجن والتنكيل والاضطهاد وبعد تكوين حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا بعثت كتلة العمل الوطني مذكرة إلى رئيس الوزارة الفرنسية وبعض المسؤولين الفرنسيين جاء فيها. ان حالة الأمة المغربية لم يدخل عليها تحسين حقيقي، وان التبعة كلها تقع على سياسة الاقامة العامة لأن الشعوب التي إلى حماية فرنسا أو تحت انتدابها، توصلت كلها إلى تحقيق قسط من مطالبها، ماعدا المغرب، فقد كادت تنتهي المفاوضات بالاتفاق بين فرنسا وسوريا، كما أن الدستور اللبناني قد استؤنف العمل به، وفتحت المفاوضات بين لبنان وفرنسا في شأن اتفاق نهائي، وحصل التونسيون بمناسبة 14 يونيو الفارط على حريات

الصحافة والاجتماع، وعلى تطبيق القوانين الاجتماعية التي تقررت أخيرا بفرنسا أما المغرب فانا لا نراه حصل من طول انتظاره إلا على الخيبة، حيث ان التدابير التي اتخذتها الاقامة، لا يمكن أن يكون لها أثر بل نرى فيها خطرا على مصير البلاد، ومن تلك التدابير، تأسيس هيآت أهمها اللجنة الدائمة للدفاع الاقتصادي، وان إنشاء هذه اللجنة وتركيبها ووظيفها مخالف في كل ذلك لمبدأ الحماية ولا يمكن للمغاربة أن يروا في أعضائها الأهلية للدفاع عن مصالحهم ثم إن من جملة القرارات الجائرة إعطاء 46 مليونا للمعمرين لكي يؤدوا ما عليهم من الديون، ويأخذوا تعويضا عن الخمور البائرة عندهم، وكذلك تأجيل الديون التي على المعمرين المفلسين، كل هذا والفلاّحة المغاربة الذي يعدون بالملايين لم يصيبوا إلاّ الإهمال الكلي والصناع المعوزون لم ينالوا إلا خمسين ألف فرنك... إلى أن تقول المذكرة : وانا لنطالب باستعجال للجائعين بالخبز، وللطبقات العاملة بالشغل، وبتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية ولعموم الشعب المغربي بالمدارس وبحرية الصحافة وحرية الاجتماع».

وبدل ان تتجه الاقامة الفرنسية العامة إلى تلبية هذه المطالب اتجهت إلى عكسها فحاولت من جديد العمل بظهير نزع الملكية لصالح المعمرين، واستولى المعمرون على المياه الصالحة للشرب، وحولوها لصالح أراضيهم المغتصبة كما حوّلوا ماء بعض الوديان لصالحهم كماء وادي ايمور بناحية مراكش والوادي الذي تستقي منه قبيلة بني يازغة من أحواز صفرو وأخيرا ماء أبي فكران الذي يروي مكناس وضواحيها بماء السقي والشرب.

ولقد قابل السكان جميعهم هذه المخططات الاستعمارية بما تستحقه من مقاومة واحتجاج سواء في ناحية مراكش أو ناحية صفرو أو مكناس الأمر الذي جر عليهم كثيرا من البلاء والاضطهاد من طرف السلطات الاستعمارية.

ففي مكناس أصدرت إدارة الأشغال العمومية أمرها بتحويل ماء أبي فكران لصالح الأراضي التي يستغلها المعمرون الفرنسيون، مدعية انها ملك للدولة، وأنها هي التي لها حق التصرف فيها، فأثبت سكان مكناس حسب رسوم عدلية لديهم، ان الماء مخصص للمدينة، ولكن الادارة الاستعمارية لم تلتفت لذلك ولم تعره أي اهتمام، وأصرت على تحويله لفائدة سقي أراضي المعمرين.

وأمام هذا الاصرار الاستعماري أخذ الاحتجاج يأخذ طابع تجمعات شعبية، يظهر فيها السكان تعرضهم ضد قرار الادارة الاستعمارية، ورفضهم الباتّ لهذا القرار.

وهكذا وقع تجمع أمام إدارة بلدية مكناس رفعت فيه الأصوات بالاحتجاج والاستنكار فأمر المراقب المدني لمدينة مكناس بإلقاء القبض على نخبة من رجال الحركة الوطنية الأبرار منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومن جملتهم إخواننا السادة : أحمد بن شقرون ومحمد برادة ومحمد بن عزو وادريس المنوني ومحمد السلوي ثم حكمت عليهم محكمة الباشا بثلاثة أشهر سجنا.

ولدى انتشار الخبر بالمدينة اغتاظ المواطنون المكناسيون وقرروا إعلان تضامنهم مع إخوانهم المعتقلين وهكذا كان يوم الخميس ثاني شتنبر 1937 يوما مشهودا في تاريخ مدينة مكناس حيث هبت الجماهير إلى مسجد التوتة مرددين تلاوة آيات من القرآن الكريم، قارئين : قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه إلى آخر السورة ومعلنين في الخطب التي ألقيت استنكارهم للسياسة الاستعمارية، وتضامنهم مع إخوانهم المعتقلين ولقد كان من جملة الخطباء أخوانا الأستاذ العيساوي المسطاسي والأستاذ العرايشي وغيرهما.

وبعد الخروج من المسجد حاول الجند الأجنبي تفريق صفوف المتظاهرين وتشتيت جموعهم مصوبين لهم فوهات رشاشاتهم، ومطلقين نيران بندقياتهم عليهم، ولكن استعمال القوة لم يزد المحتجين إلا صلابة، والمتظاهرين إلا ثباتا فلقد قابلوا الرمي بالرصاص بالرمي بالحجارة، واشترك في المقاومة الرجال والنساء والأطفال فكان الجميع يصيح : الماء ــ الماء، نريد ماءنا، ماؤنا نفديه بأرواحنا نريد إطلاق سراح إخواننا المعتقلين في سبيل مصلحتنا.

ولقد كان للمرأة المكناسية دور وأي دور في هذه الانتفاضة حيث كان تلقي الأحجار على الجيش الأجنبي من فوق السطوح، ونوافذ البيوت واستعمل البعض منهن أجزاء الأرحيه راميات لها على رجال القوة الغاشمة التي كانت تفتك بالمواطنين وتسقطهم صرعى يتخبطون في دمائهم، ولم ينته يوم الخميس المذكور إلا والجرحى من الطرفين يقرب من المائة والضحايا من الشهداء يتجاوز الخمسة عشر، وألقي القبض على العديد من المتظاهرين، حيث زج بهم في أعماق السجون ثم أعطت السلطة الاستعمارية أمرها بدفن الشهداء في اليوم نفسه، حتى لا يغتنم المحتجون والمتظاهرون اجتماعات صلاة يوم الجمعة الموالي فيؤدون عليهم الصلاة ويعقبونها بمظاهرات جماهيرية ثانية.

لقد اهتمت الصحافة إذذاك بهذه الأحداث، وعلقت عليها عدة تعاليق، سواء داخل المغرب أو خارجه، ورغما من الرقابة المفروضة على الصحافة المغربية كالأطلس والعمل الشعبي والمغرب اليومية وغيرها، فإن البعض منها استطاع أن يعطي ولو صورة متواضعة عن الواقع، بينما صدرت الأطلس مثلا وصفحاتها بيضاء، نظرا لأن الرقيب لم يسمح بإصدار ما كتب فيها.

لقد اهتز المغرب لأحداث مكناس، وأعلنت فروع الحزب الوطني تضامنها مع المكناسيين، وتوالت بعض وفود الحزب على الاقامة العامة بالرباط مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، ومعاقبة المسؤولين الاداريين الذين استفزوا المواطنين وأطلقوا عليهم الرصاص وتركوهم مضرجين في دمائهم، لا لذنب ارتكبوه إلا مطالبتهم بحقوقهم في ماء بوفكران.

إن أحداث مكناس الدامية أثبتت للرأي العام الوطني والدولي أن الحركة الوطنية تغلغلت في نفوس الوطنيين، وان المخططات التي يبيتها الاستعماريون لقيت وستلقى المقاومة المستميتة

والمعارضة القوية، وان ما تقوم به السلطة الاستعمارية من اضطهاد وعنف لا يزيد المقاومة إلا اشعالا، ولا تزيد النفوذ الوطني إلا تمركزا.

لقد زادت السلطة الاستعمارية من اضطهادها، وزادت الحركة الوطنية من تنظيمها ومقاومتها، فأتت حوادث مراكش الواقعة ما بين 24 و25 شتنبر 1937، لتجعل الاقامة أمام أحد اختياريين لا ثالث لهما : اما أن تعمل على تلبية مطالب الشعب وإعطاء بعض الحقوق واما أن تستمر في تعنتها واضطهادها واعتقالاتها ولقد اختارت الاعتقال والاضطهاد والعنف والتعذيب والتشريد الأمر الذي دعا الحزب الوطني إلى الدعوة إلى عقد مؤتمر مصغر بمنزل أخينا المرحوم السيد الحاج أحمد الشرقاوي مساء يوم الأربعاء 7 شعبان 1356 هجرية الموافق لـ 13 أكتوبر 1937 حضره ممثلون من مختلف فروع الحزب في وجدة وتازة وبركان وفاس ومكناس ووزان وسيدي قاسم والغرب والقنيطرة وسلا والرباط والبيضاء ومراكش والجديدة وآسفي والصويرة وسطات ومولاي بوشعيب ووادي زم وأبي الجعد.

ولقد تناقش المؤتمرون حول الوضع المتأزم في المغرب وما يعانيه المغاربة من مظالم وأهوال ثم أصدروا ميثاقا وطنيا جاء فيه مايلي :

نظرا للأزمات المادية والمعنوية التي تجتازها بلادنا المغربية في الوقت الحاضر، والتي نتجت عن سياسة الميز والإرهاب التي تسير عليها سياسة الاقامة العامة. ونظرا لكون الحماية لم تحقق ما وعدت به في كثير من المناسبات من تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة بالرغم عما تتطلبه حالة البلاد في ميادين الاسعاف والاجتماع والعدالة.

ونظرا لحادثة مكناس المؤلمة التي أريقت فيها دماء الشهداء الأحرار، ورمي بها الجمهور الاعزل بطلقات الرصاص، واعتقل فيها العديد من الأبرياء ليقدموا للمحاكم العسكرية، بمجرد تضامنهم مع المسجونين المقاومين لنزع ملكية الماء.

ونظرا للاضطهادات التي تقوم بها السلطة في بوادي المغرب لكل من ينتمي لحركتنا الاصلاحية أو يتصل بنا، حيث سجنت المآت وعذبتهم أشد العذاب، وأثقلتهم بالحديد والاغلال، وشردت المداشر، وفوتت العقارات والأمتعة، ونظرا لكون الادارة سلطت فريقا من الجيش المنظم (الصبايحية الثامنة) على مدشر المطرناغة من بني يازغة، حيث أباحت له السبيل، فارتكب أشنع الفظائح من هدم الخيام، ونهب الأموال والانعام والفتك بالأعْراض وتعذيب الأبرياء إلى أن يقول الميثاق :

وبعد أن استمع المؤتمرون لبيانات الحزب الوطني عن كل ما تقدم. ودرسوه من جميع وجوهه قرروا مايلي :

1) يستنكر المؤتمرون باسم الشعب المغربي جميع أنواع الاضطهادات المفجعة بمكناس

ومراكش وبني يازغة والبوادي المغربية ويحتجون على تلك الأعمال الهمجية التي تمثل روح العصور المظلمة، ويطالبون بإطلاق سراح المعتقلين وإعطاء تعويضات عادلة لسائر المنكوبين عما غصب لهم، إلى أن يقول : (7) يقررون أن كل تفاهم مع الحكومة لا يكون إلا بعد العدول عن خنق الحريات والاضطهادات وبعد الشروع في تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة، ويعتبرون أن في رعاية جلالة مولانا المنصور بالله لشعبه الكريم، وفي عطف الأحرار من رجال الديمقراطية الفرنسية ما يسهل الوصول إلى ذلك.

(8) يعاهد المؤتمرون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق، ويعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك.

وبمجرد ما توصلت إدارة الحماية الفرنسية بهذا الميثاق التي اعتبرته اشهارا للحرب ضدها، قامت قيامتها، فألقت على زعماء الحزب الوطني وفي طليعتهم الرئيس المرحوم علال الفاسي الذي نفته إلى مجاهل افريقيا أزيد من تسع سنوات، ثم توالت الاحتجاجات والمظاهرات والاعتقالات والتنكيل في مختلف المدن والبوادي المغربية مما لا يسع المجال لتفصيله.

أيها الاخوة الأبرار

لقد كانت انتفاضة مكناس الجبارة، داخلة في سلسلة من الأحداث التي وقعت بالمغرب، دفاعا عن حقوق الشعب المغربي وحريته المغتصبة وتمهيدا لاعلان الموقف الوطني الصريح ضد الوجود الاستعماري ببلادنا والذي يطالب باستقلال المغرب وحريته ذلك الموقف الذي أعلنته وثيقة حادي عشر يناير 1944 الذي تقدم بها حزب الاستقلال إلى جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، هذا الاستقلال الذي تحقق في سنة 1956 بفضل تضامن الملك والشعب، والتضحية التي قدمها العرش المغربي في شخص جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وولي عهده إذذاك جلالة الحسن الثاني نصره الله وأسرته الكريمة وبفضل الدماء التي أراقها شهداء المغرب الأبرار، وأبناء المغرب الأحرار.

فهنيئا لمدينة مكناس بما قدمته من تضحيات في سبيل اعزاز البلاد وكرامتها، والمجد والخلود لكل من عمل على إعلاء كلمة الله والرحمة للشهداء الأبرار والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 2 شتنبر 1982
13 ذي القعدة 1402

مؤتمر الحزب الوطني سنة 1937

لقد انعقد المؤتمر الوطني بالرباط يوم 13 أكتوبر 1937 بمنزل المرحوم السيد الحاج احمد الشرقاوي الكائن قرب القناصل، وحضره ممثلون عن مختلف الفروع الحزبية الموجودة إذذاك وترأسه الأستاذ علال الفاسي الذي ألقى خطابا قويا شرح فيه الأوضاع التي تتردى فيها البلاد، والاضطهادات التي يتعرض لها الأحرار في الحواضر والبوادي، وطلب من الحاضرين أن يتدارسوا الحالة دراسة عميقة، ويتخذوا القرارات المناسبة لها، ثم أعطى الكلمة لمن يطلبها فتكلم المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل والمرحوم السعيد حجي ثم أعطيت الكلمة لأبي بكر القادري، فألقى مشروع الميثاق الوطني الذي أقره المؤتمر والذي حدد المواقف التي سيتخذها الحزب إزاء الظروف التي تمر بها البلاد، ولقد جاء في القرارين الأخيرين من الميثاق مايلي : (7) يقررون (المؤتمرون) أن كل تفاهم مع الحكومة، لا يمكن إلا بعد العدول عن خنق الحريات والاضطهادات، وبعد تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة، ويعتبرون أن في رعاية جلالة مولانا المنصور بالله لشعبه الكريم، وفي عطف الأحرار من رجال الديموقراطية الفرنسية، ما يسهل الوصول إلى ذلك (8) يعاهد المؤتمرون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق، ويعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك.

لقد قرر المؤتمر الوطني القطيعة مع الاقامة العامة التي كانت تعد بتحقيق المطالب. وتبين بعد مرور سنة كاملة على أنها تخادع وتنافق. ولقد قرر المؤتمر أكثر من القطيعة أن المؤتمرين سيدخلون مرحلة جديدة للعمل على تحقيق مطامح الشعب، واستعدادهم للتضحية اللازمة لذلك، فلم يبق مجال للوعود المعسولة دون تلبية للرغائب، ولا يحق للوطنيين أن يبقوا مكتوفي الأيدي، ينتظرون الأحلام، وإخوانهم في الحواضر والبوادي يسومهم الفرنسيون واذنابهم سوء العذاب، فليقف الأحرار وقفة صادقة مع شعبهم، فإما تحقيق للمطالب وإما تضحية في سبيل الله والحق والحرية ذاك كان شعورنا في تلك الظروف، وذاك كان تفكيرنا. وأثبت هنا نص المحضر الذي حررته الكتابة العامة للمؤتمر، ووزعت نسخ منه على المناضلين في الحزب : حضرة الأخ الكريم : ان الظروف الحاضرة والأزمة العظيمة التي يتخبط فيها الشعب المغربي دعيا الحزب الوطني إلى أن يعقد مؤتمرا فوق العادة، يحيط به فروعه علما بمجاري الأحوال، ويتشاور وإياهم في الخطة التي ينبغي لمسؤوليه أن يسيروا عليها، وبالفعل انعقد المؤتمر مساء يوم الأربعاء 13 أكتوبر بدار الأخ الأستاذ أحمد الشرقاوي، حيث حضره مندوب عن كل فرع وهيأة من فروع وهيآت الحزب، بوجدة، وبركان، وتازة، وفاس، ومكناس ووزان، وسيدي قاسم،

والغرب، والقنيطرة، وسلا، والرباط، والبيضاء ومراكش، والجديدة، وآسفي، والصويرة، ومولاي بوشعيب، وسطات، ووادي زم وأبي الجعد.

ولما وصلت التاسعة، واكتمل عقد الوافدين الذين كانت تخفق على رؤوسهم، الرايات المغربية الحمراء، وقف الأخ علال، وبدأ بتحية شهداء مكناس، وطلب من الحاضرين الصمت بضع دقائق للترحم عليهم، ثم عاد فافتتح بخطاب ارتجالي، بين به الغاية من الائتمار وقال : ان المؤتمر خاص بدراسة الحالة السياسية، وألفت نظر المؤتمرين إلى كون التهجمات الحكومية، كانت فيما سبق توجه إلى المقدسات، واحدة دون الأخرى، أما هذه المرة، فالسلطة تهجمت على جميع مقدساتنا الدينية، وحرياتنا السياسية والاجتماعية، وطلب من المؤتمر أن يراعي في مقرراته هذا الاعتبار، إلى جانب المدى الذي وصلت إليه حركتنا الوطنية، وبعد كلام، أعطى الموضوع للأخ الشرقاوي، حيث أملى على الحاضرين باسم الحزب تقريرا إضافيا مفصلا لجميع الحوادث الجارية بمكناس ومراكش وبني يازغة وبقية البوادي المضطهدة، وبعد أن استمع المؤتمر لتلك البيانات المدققة، أعطيت الكلمة لمن يطلبها، فتقدم الأخ سعيد حجي وتكلم باسم الفرع السلوي، فشرح اغتباطه لاستبسال المغاربة في سبيل الحرية، وقال : ان ما نلاقيه اليوم، ثمن لابد منه لمطالبنا، وأعقبه الأخ الأستاذ عمر بن عبد الجليل فلاحظ أن الاضطهادات عمت اليوم جميع المغرب، وجميع المشروعات، لأن الحركة استطاعت أن تعم بدعوتها جميع المغرب، وان تحدث ما لم يكن من المشاريع القيمة، وأعلن وجوب مراعاة هذا الاعتبار عند التقرير، وتكلم باسم فرقة الدار البيضاء، الأخ محمد بن الحسن البيضاوي، فأكد وجوب التضحية في سبيل المبدأ، والاستبسال في المطالبة، ثم وقعت مناقشات في الاتجاه الذي يجب أن يأخذه المؤتمر فشارك فيها الأخ عبد الله الوليدي نائب فرع وزان والأخ الأستاذ الضرباني من فرقة الدارالبيضاء، وغيرهما من ممثلي الفروع وبعد أن انتهت المناقشة، وقف الأخ علال، وأعطى الكلمة للأخ الأستاذ أبي بكر القادري ليملي صيغة المشروع الذي يعرضه المسؤولون في الحزب ليكون ميثاقا للمؤتمر، فأملاه فقرة فقرة، ووقعت مناقشات مختلفة، شارك فيها الحاضرون كلهم في جو من الثقة، والاعتدال، وأخيرا قررت الصيغة النهائية لميثاق المؤتمر الوطني، إزاء هذه الاضطهادات الجارية في البلاد، ثم سرد على الحاضرين صيغة برقيات، توجه باسمهم للمراجع العليا بالمغرب وباريز لبعض الهيآت والأوساط الديموقراطية، كما سرد نص برقية توجه باسم المؤتمر لتحية سفير المغرب بباريز (مندوب الحزب في باريز الأخ أحمد بلافريج) وإعلان تأييده في عمله وبعد ذلك أعلن الأخ انتهاء المهمة التي اجتمع إليها المؤتمر، وانفض المؤتمرون وكلهم استعداد للعمل، والتضحية، في سبيل مثلهم العليا).

أما نص الميثاق الوطني الصادر عن المؤتمر فهو الآتي :

الحزب الوطني
لتحقيق المطالب
بالمغرب

الكتابة العامة
لمؤتمر الحزب الوطني

حضرة الاخ الكريم

ان الظروف الحاضرة والازمة العظيمة التي يتخبط فيها الشعب المغربي دعت الحزب
الوطني الى ان يعقد مؤتمرا فوق العادة فحضره جموع عظيمة من جهات ٢٧ شوال
وبتشكل ورواياهم في الحكم التي ينبغي لمسؤوليه ان يسيروا عليها وبالاجمال انعقد
المؤتمر مساء يوم ٢٧ رجب 13 اكتوبر برئاسة الاخ الاستاذ احمد الشرقاوي وحضره
مندوبون عن كل جزء وهيئة من فروع وهيئات الحزب بوجدة وبركان وتازة وفاس
ومكناس ووزان وسيدي قاسم والغرب والقنيطرة وسلا والرباط والبيضاء ومراكش
والجديدة وآسفي والصويرة ومولاي بوشعيب وسطات ووادي زم وابي الجعد
ولما دقت الساعة التاسعة واكتمل عقد الوافدين الذين كانت تخفق على رؤوسهم
الرايات المغربية الحمراء وقف الاخ علال وبدأ بتحية شهداء مكناس وطلب من الحاضرين
الصمت بضع دقائق للترحم عليهم ثم عاد فابتدأ بخطاب ارتجالي بين فيه الغاية
من الاجتماع وقال ان المؤتمر خاص بدراسة الحالة السياسية والاجتماعية ثم ذكر المؤتمرين
الى كون الهجمات الحكومية كانت منذ سنة توجه الى المؤسسات واحدة بعد
الاخرى. اما هذه المرة فانها نجحت على جميع مؤسساتنا الوطنية
وحرياتنا السياسية والاجتماعية. وطلب من المؤتمرين ان يبدوا رأيهم في
هذه الحالة آخذين بالاعتبار الى جانب المغزى الذي وصلت اليه حركتنا
الوطنية. وبعد كلام أعطي الموضوع للأخ الشرقاوي حيث ألقى
على الحاضرين باسم الحزب تقريرا ضافيا مفصلا لجميع الحوادث
الجارية بمكناس ومراكش وبني يازغة وبقية البوادي المضطهدة
وبعد ان استمع المؤتمرون لتلك البيانات المؤلمة. أعطيت الكلمة
لمن يطلبها. فتقدم الاخ سعيد حجي وتكلم باسم الفرع السلاوي
بشرح اغتباطه لما ستناله المغاربة في سبيل الحرية وقال
إن ما نلاقيه اليوم ثمن لا يوفيه لمطالبنا. وأعقبه الاخ الاستاذ
عمر بن عبد الجليل فلاحظ ان الاضطهادات عمت اليوم جميع
المغرب وجميع الطبقات وعاشت لان الحركة ابتدأت عند
ان

نص المنشور الموزع على الجمهور اثر عقد مؤتمر الحزب

الميثاق الوطني

إن المؤتمرين المجتمعين بدار الأخ السيد أحمد الشرقاوي بالرباط مساء يوم الأربعاء 7 شعبان سنة 1356، 13 أكتوبر 1937 والممثلين لفروع الحزب الوطني بمدن وجدة وتازة وبركان وفاس ومكناس ووزان وسيدي قاسم والغرب والقنيطرة وسلا والرباط والبيضاء ومراكش والجديدة وآسفي والصويرة وسطات ومولاي بوشعيب ووادي زم وأبي الجعد.

نظرا للأزمات المادية والمعنوية التي تجتازها بلادنا المغربية، في الوقت الحاضر والتي نتجت عن سياسة الميز والارهاق التي تسير عليها سياسة الاقامة العامة.

ونظرا لكون الحماية لم تحقق ما وعدت به في كثير من المناسبات من تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة، بالرغم عما تتطلبه حالة البلاد في ميادين الاسعاف والاجتماع والعدالة.

ونظرا لحادثة مكناس المؤلمة التي أريقت فيها دماء الشهداء الأحرار، ورمي بها الجمهور الأعزل بطلقات الرصاص، واعتقل فيها العديد من الأبرياء ليقدموا للمحاكم العسكرية، الكل لمجرد تضامنه مع المسجونين المقاومين لنزع ملكية الماء.

ونظرا للاضطهادات التي تقوم بها السلطة في بوادي المغرب لكل من ينتمي لحركتنا الاصلاحية، أو يتصل بنا، حيث سجنت المآت وعذبتهم أشد العذاب، وأثقلتهم بالحديد والاغلال، وشردت المداشر وفرقت العقارات والأمتعة.

ونظرا لكون الادارة سلطت فريقا من الجيش المنظم (الصبايحية الثامنة) على مدشر المطر ناغة من بني يازغة حيث أباحت السبيل، فارتكب أشنع الفظائع، من هدم الخيام، ونهب الأموال والأنعام، والفتك بالأعراض، وتعذيب البرءاء.

ونظرا لكون السلطة أطلقت اليد للبياز ثم الكلاوي وأعوانهما ليرهقوا المراكشيين، فسجنوا ونفوا وعذبوا وجلدوا وكبلوا وانتهكوا الحرمات، فاعتدوا على علماء الشريعة ورجال الدين، واقفلوا ديار الصناع والوطنيين، بعدما طردوا سكانها، وبددوا أمتعتها، وهجموا على المدارس القرآنية، فشردوا تلاميذها، ونفوا أساتيذها، وأهانوا الكتب والألواح والدفاتر، ثم اقفلوها، وصادروا الصحافة الوطنية، وفرضوا الغرامات والعقوبات على من يقرأها.

وبما أن المسؤولين من الولاة، سمحوا بتنظيم حج تبشيري لكنيسة (طيريزة) بصفتها قديسة البعثات التبشيرية بالخميسات، وبمنع الطلبة (بآيت وريبل) من زمور من عقد موسمهم القرآني السنوي إلا بشرط عدم قراءة القرآن، وعدم الدعاء لجلالة السلطان، كما سمحوا من قبل بمنع

الاحتفال بالمولد النبوي في مراكش مما يدل على أن روح السياسة البربرية ما تزال مسيطرة على إدارة الحماية.

ونظرا لخنق الصحافة المغربية بالحجز والتعطيل والمراقبة ونظرا لرفض الطلبات الموجهة للحكومة في شأن تأسيس جمعيات مختلفة، ونظرا للاتهامات التي توجهها الصحف الاستعمارية المأجورة لحركتنا وتصويرها بصورة مخالفة للواقع.

وبعد أن استمع المؤتمرون لبيانات الحزب الوطني عن كل ما تقدم ودرسوا الموقف من جميع وجوهه، قرروا ماياتي :

1) يستنكر المؤتمرون باسم الشعب المغربي جميع أنواع الاضطهادات المفجعة بمكناس ومراكش وبني يازغة والبوادي المغربية، ويحتجون على تلك الأعمال الهمجية التي تمثل روح العصور المظلمة، ويطالبون بإطلاق سراح المعتقلين، وإعطاء تعويضات عادلة لسائر المنكوبين عما غصب لهم.

2) يحتج المؤتمرون بصفة خاصة على مقاومة الصحافة المغربية ويقررون محاربة كل التدابير والمحاولات المراد منها، وتعطيل الصحف أو حجزها أو وضع مراقبة عليها، ويطالبون للصحافة المغربية، بالحقوق التي تتمتع بها الصحف الأجنبية في المغرب.

3). يستنكرون إصرار الحكومة على رفض السماح للمغاربة بتأسيس الجمعيات كيفما كانت غايتها.

4) يعتبر المؤتمرون مسؤولية هذه السياسة ملقاة على روح الرجعية التي تسيطر على دوائر الحماية، والتي سبق لها أن أثارت سخط المغرب والعالم الاسلامي في القضية البربرية.

5) يلتزم المؤتمرون بمقاومة هذه التصرفات الجائرة بكل الطرق المجدية المشروعة، ويكلون اختيار الوسائل والظروف للمسؤولين في الحزب الوطني.

6) يستنكرون كل التهم الباطلة، والافتراءات المصطنعة التي تلفقها الدوائر الرجعية والصحف الاستعمارية لحركتنا ويعلنون أن حركتهم ليست لها صلة بأي عامل خارجي، ولا تعتبر أبدا مسؤولة الا عما يصدر من طرف المسؤولين في الحزب الوطني.

7) يقررون أن كل تفاهم مع الحكومة لا يكون إلا بعد العدول عن خنق الحريات والاضطهادات، وبعد الشروع في تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة، ويعتبرون أن في رعاية جلالة مولانا المنصور بالله لشعبه الكريم، وفي عطف الأحرار من رجال الديموقراطية الفرنسية، ما يسهل الوصول إلى ذلك.

8) يعاهد المؤتمرون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق، ويعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك.

الحمد لله وحده

الحزب الوطني
لتحقيق المطالب
بالمغرب

الميثاق الوطني

إن المؤتمرين المجتمعين بدار الأخ السيد أحمد الشرقاوي بالرباط عشاء يوم الأربعاء 7 شعبان
سنة 1356 – 13 أكتوبر 1937 الممثلين لفروع الحزب الوطني بمدن وجدة وتازة وبركان
وفاس ومكناس ووزان وسيدي قاسم والغرب والقنيطرة وسلا والرباط والبيضاء ومراكش
والجديدة وآسفي والصويرة وسطات ومولاي بوشعيب وواد زم وأبي الجعد

نظرا للأزمات المادية والمعنوية التي تجتازها بلاد المغرب في الوقت الحاضر والتي
نتجت عن سياسة الحيف والإرهاب التي تسير عليها [illegible] الفاقة العامة

ونظرا لكون الحماية لم تحقق ما وعدت به في كثير من المناسبات من تنفيذ مطالب
المغرب المستعجلة بالرغم عما تتطلبه حالة البلاد في ميادين الاقتصاد والاجتماع والعدالة

ونظرا لحادثة مكناس المؤلمة التي أريقت فيها دماء الشهداء الأحرار ورمي بها الجمهور
الأعزل بطلقات الرصاص واعتقل فيها العديدون الأبرياء ليقدموا للمحاكم العسكرية
الكل لمجرد تظلمه من المعمرين المغتصبين لنزع ملكية الماء

ونظرا للاضطهادات التي تقوم بها السلطة في بوادي المغرب لكل من ينتمي
للكتلة الإصلاحية أو يتصل بها حيث سجنت المئات وعذبتهم أشد العذاب وأدخلتهم
بالحديد والأغلال وشردت الأسر وصودرت العقارات والأمتعة

ونظرا لكون الإدارة سلطت فريقا من الجيش المنظم (الصبايحية [illegible]) على قرى
[illegible] من بني يزناسن حيث أباحت له السبيل في ارتكاب أشنع الفظائع من هتك الحرم
ونهب الأموال والأنعام والفتك بالأعراض وتعذيب الأبرياء

ونظرا لكون السلطة أطلقت اليد للقياد زمن الكلاوي وأعوانه ليرهقوا المراكشيين
فسجنوا ونفوا وضربوا وجلدوا وقتلوا وانتهكوا الحرمات واعتدوا على علماء الشريعة
ورجال الدين وأقفلوا دار الصناع والوطنيين بعد ما طردوا الساكنين بها وصادروا أمتعتها
وهجموا على المدارس القرآنية فشردوا التلاميذ وزجوا أساتيذها ونهبوا الكتب والألواح
[illegible] وصادروا الصحافة الوطنية وفرضوا الغرامات والعقوبات على من يقرأها

وبما أن المسؤولين من الولاة سمحوا بتنظيم حج تبشيري لكنيسة كبيرة [illegible]
فرنسا البعثات التبشيرية بالخميسات وجمع الطلبة [illegible] وربطها [illegible]

النص الأصلي للميثاق الوطني الذي وزع على الجمهور

حمل المرحوم محمد اليزيدي نص الميثاق الوطني إلى الاقامة العامة الفرنسية، فاستقبله مدير ديوان المقيم العام «نوكيس» المسمى (بكايا) وما مكنه اليزيدي من نص الميثاق واطلع عليه. حتى تغيرت فيه الألوان، وصار يشرح لليزيدي الأخطار التي يتعرض لها الحزب، بسبب هذا الميثاق، وبالأخص الفقرات الأخيرة فيه، واقترح أن تحذف بعض فقراته الشديدة، ولكن اليزيدي أكد له أنَّ مقررات الميثاق ليست مقررات فردية يجوز التغيير والتبديل فيها، ولكنها مقررات جماعية لا يمكن أن يقع فيها أي تغيير إلا بمشاركة جميع الذي أقروها، وهكذا أدرك مدير ديوان المقيم العام أن الأمر جد لا تراجع فيه، وأن كأس الوطنيين قد فاض.

وبلغنا بعد ذلك أن المقيم «نوجيس» بعدما اطلع بدوره على نص الميثاق الوطني ارتاع له، فقرر في الحين بعث مديره العام إلى فرنسا لاطلاع المسؤولين في الحكومة الفرنسية على ما وصلت إليه الحالة، واقناعهم بضرورة العمل الحازم الحاسم للقضاء على الحزب الوطني، واتخاذ الصرامة معه، ونفي واعتقال رؤوسه المدبرة، والقضاء على هذه الروح الثورية التي صار يبثها في أنصاره.

ويقول الأستاذ علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية» ان حاكم ناحية فاس مع مبعوث من الاقامة العامة المسمّى «كوجي» استدعياه، طالبين منه، إيجاد حل للمشكل قبل أن تتخذ الاقامة قرارها، ولكن «علالا» كان يدرك إذذاك أن هذا الاقتراح إنما هو من باب التخدير، ولذلك بقي صامداً في موقفه، محتجاً على الاقامة العامة التي لم تظهر أي استعداد لتلبية مطالب الشعب المغربي، وأنه لا يصوغ له إلا (الاستنكار لأعمال الحماية ضد الدين وضد الوطن والانسانية).

مضت عشرة أيام على تقديم الميثاق الوطني للاقامة العامة، وجاء يوم 25 أكتوبر 1937 ليصدر المقيم العام أمره بإلقاء القبض على أربعة زعماء هم : علال الفاسي ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار. حيث نفي الأول إلى الكابون في افريقيا الاستوائية، ونفي الثلاثة الآخرون إلى أماكن مختلفة في الصحراء المغربية.

المظاهرات والاصطدامات بالمغرب

ما علم مسؤولوا الفروع الحزبية بإلقاء القبض على علال وصحبه، حتى قامت المظاهرات في كثير من الجهات، في فاس والرباط وسلا والقنيطرة ووجدة ومراكش والدار البيضاء وغيرها أما الادارة الفرنسية، فلقد اتخذت جميع الاجراءات لمنع المظاهرات والتجمعات، ولقد وقفت على رسالة كتبها المراقب المدني بسلا (أبَادِي) مؤرخة بـ 26 أكتوبر 1937 إلى باشا المدينة جاء فيها بالحرف.

إلى المحترم الأجل العلامة الباشا السيد الحاج محمد الصبيحي بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد ورد أمر من جناب المقيم العام، مضمونه أخذ جميع الاحتياطات اللازمة وإعلام الأهالي بأن زعماء حزب علال الفاسي هم مسؤولون بجميع ما يحدث من التشويش والمظاهرات بمناسبة إلقاء القبض على من قبض، وكل ما يخالف الأمن العام، تقطع مادته بكل ما يمكن من القوة، وإذا كان رغما عن التنبيهات التي تعطى يقع هيجان، فإن المتسبب فيها أو ناشؤوها يقع عليهم القبض، وبعبارة أخرى فينبغي أخذ اللازم في تهدىء الأفكار وفشل عزائم أرباب الهرجان (كذا) والمراقبة بالوسائل المناسبة المؤدى إلى حفظ الأمن العام ونظامه بالمدينة إذا وقع ما يخالف ذلك، وهذا ما وجب به الاعلام والسلام.

حرر في 26 أكتوبر سنة 1937 تم الطابع والتوقيع (ابادي)

وفي 30 أكتوبر 1937 وجه المراقب المدني المذكور : (ابادي) رسالة أخرى إلى الباشا الصبيحي جاء فيه : إلى المحترم الفقيه العلامة الباشا السيد الحاج محمد الصبيحي بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته، فتبعا لكتابنا عدد المؤرخ في 26 من أكتوبر الجاري فإني أذكركم بأن الصرامة الكبيرة تستعمل ضد المهيجين والمسببين فيه والمشاركين مطلوبة الآن في هذا الوقت.

وإني متحقق بإعانتكم وأشكركم على ما أبديتموه في هذه الحالة الحريجة من الوقوف والصرامة والسلام.

ثم الطابع الوتوقيع (ابادي)

تجمع بالمسجد الأعظم في (سلا)

بمجرد ما بلغنا خبر إلقاء القبض على الاخوان الأربعة عقدنا اجتماعا مستعجلا قررنا فيه عقد تجمع بالمسجد الأعظم، تعقبه مظاهرات وتستدعى له جميع الطبقات الشعبية، للتعبير عن احتجاجنا وتضامننا التام مع إخواننا ومطالبتنا بإطلاق سراحهم، ثم ذهبت إلى الرباط حيث عقدت اجتماعا مع المرحوم السيد الحاج أحمد الشرقاوي، حضره المرحومان : عبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي، تذاكرنا فيه حول ضرورة التضامن مع إخواننا المعتقلين، ولقد وجدتهم متشائمين بعض الشيء من نجاحهم في إقامة مظاهرات تضامنية مستعجلة، ولكني أكدت عليهم بضرورة المبادرة مهما كانت الظروف، وبالفعل كانت تحركاتهم ناجحة فقامت الرباط بواجبها التضامني وألقي القبض على كثير من مناضليها كان في طليعتهم الحاج أحمد الشرقاوي والفقيه محمد غازي والمعطي الشرقاوي وعبد اللطيف العتابي وحّ المهدي الزبدي وأبناء روديااس ادريس والمختار وعبد النبي البنيوري ومحمد بنموسى ومحمد عليوة وغيرهم.

وبعد رجوعي إلى سلا اتصل بي الأستاذ حّ احمد معنينو وخبرني بأنه تلقى أمرا من الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني بالتضامن معنا في المحنة التي نزلت بنا داخل الحزب فاتفقت معه على عقد اجتماع مشترك بين الحزب الوطني والحركة القومية لاتخاذ موقف مشترك والمشاركة في التجمع الذي كنا قررنا إقامته بالمسجد الأعظم، ولدى اجتماعنا قررنا أن يطوف الاخوة المناضلون في الأسواق للدعوة إلى التجمع في المسجد الأعظم واقفال الدكاكين احتجاجا على إلقاء القبض على الزعماء، ولدى طواف المناضلين في الأسواق والدعوة إلى الاضراب، ألقي القبض على الأخوين : محمد البقالي ومحمد بن المكي القادري، وسيقا إلى المحكمة حيث حكم عليهما بشهر سجنا.

وبعد صلاة العصر من نفس اليوم الذي هو 27 أكتوبر 1937 قصدنا جميعا المسجد الأعظم ولاحظت من بين الحاضرين المرحوم السعيد حجي الذي حضر ولم يخطب كما لاحظت عدم حضور بعض الاخوة، ومنهم الحاج احمد معنينو.

وبعد الصلاة قمت وارتجلت خطابا تحدثت فيه عن الغاية من اجتماعنا وانه تعبير عن احتجاجنا ضد إلقاء القبض على الزعماء الأربعة المذكورين، وتضامننا المطلق معهم، وإصرارنا على المطالبة بالحريات العامة : حرية الاجتماع وحرية تكوين الجمعيات وحرية الصحافة وحرية النقابة وحرية التظلم، وما أن أنهيت خطابي حتى رأيت خليفة الباشا السيد المكي الصبيحي آتيا من أحد أركان المسجد ومعه بعض أعوانه وما أن قرب مني حتى خاطبني بأدب، طالبا مني أن أصحبه إلى المراقبة المدنية فما وسعني إلا أن أصحبه، فلقد كنت عارفا أن نتيجة خطابي ستكون السجن، ذلك أن الاقامة العامة كانت قررت أن كل من يخطب بالمسجد سيكون جزاؤه السجن من سنة إلى سنتين.

EMPIRE CHÉRIFIEN

PROTECTORAT FRANÇAIS

CONTROLE CIVIL
ET
SERVICES MUNICIPAUX
DE SALÉ

الإيالة الشريفة
الحماية الفرنساوية
المراقبة المدنية
وإدارة الأشغال البلدية
بسلا

عدد

الحمد لله وحده

الى المحترم الاجل الفقيه العلامة الباشا السيد الحاج محمد الصبيحي

بعد السلام التام

عليكم ورحمة الله وبركاته

بمقتضى ما لكم من جانب المقيم العام [illegible] جميع الاحتياطات
الضرورية و[illegible] الاهالي بان زعماء حزب علال الفاسي هم
مسؤولون عن جميع ما يحدث من التشويشات والمظاهرات
بمناسبة القاء القبض على من قبض، وكل من يحاول
[illegible] بكل ما يمكن من العقوبة
[illegible] التشويشات التي [illegible]
[illegible]
وبعبارة اخرى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وهذا ما وجب به الاعلام
والسلام
حرر في 26 اكتوبر سنة 1937

في اليوم الذي ألقي فيه القبض على الزعيم علال وصحبه وهو 26 أكتوبر 1937 وجهت المراقبة المدنية هذا الخطاب إلى باشا مدينة سلا (وهذا نصه الأصلي).

خرجت صحبة خليفة الباشا من الباب القبلي من المسجد، فتبعتنا مظاهرة من الذين كانوا في المسجد، وما أن وصلت إلى المراقبة المدنية، حتى اقتبلني المراقب المدني والباشا اقتبالا سريعا أسرع من البرق لدرجة أنني لم أتمكن من مخاطبتهم ولو بكلمة واحدة، إذ ما وقفت أمامهما حتى أخذ بيدي بعض الأعوان وأخذوني إلى سيارة صغيرة كانت بالباب، حيث وجدت بها شرطيين أجلساني بينهما وأخذاني إلى سجن الرباط، وعلمت بعد ذلك أنه بعد إلقاء القبض عليه داخل المسجد، قام أحد الشباب الوطني وهو السيد البشير بايحيا فألقى قصيدة الشيخ سيد محمد بناصر التي مطلعها : يامن إلى رحمته المفر، فأخذوه هو بدوره إلى السجن.

كان يوم 27 أكتوبر يوم الأربعاء، وفي يوم الجمعة الموالي 29 أكتوبر قرر الاخوة أعضاء الحزب الوطني وأعضاء الحركة القومية المتضامنة مع الحزب القيام بمظاهرة بعد صلاة الجمعة، وفعلا بعد الصلاة قام المرحوم الشاب السيد محمد العزوزي، وألقي خطبة احتجاجية ضد إلقاء القبض على الزعماء الأربعة، ثم قام بعده الشاب المرحوم السيد عبد السلام بنسعيد وألقي بدوره خطابا في نفس الموضوع، ثم دعوا إلى القيام مجتمعين للقيام بمظاهرة خارج المسجد، فخرج الجميع يرددون اسم الله اللطيف قاصدين منزل الباشا ليبلغوه احتجاجهم ضد إلقاء القبض على الزعماء وبمجرد وصولهم أمر الباشا بإلقاء القبض على الخطيبين : محمد العزوزي وعبد السلام بنسعيد تم ألقي القبض كذلك على آخرين كان من بينهم : سعيد بن العيساوي المهداوي الذي حكم عليه بثلاثة أشهر سجنا وعبد الرحيم بن أحمد الفاسي الذي حكم عليه أيضا بثلاثة أشهر سجنا ومحمد الزيزي الذي حكم عليه بشهر واحد سجنا. وادريس محمد الفلاقي الذي حكم عليه بشهر سجنا أما محمد العزوزي وعبد السلام بنسعيد فقد حكم عليهما بعام سجنا، وأما أنا فقد بلغني وأنا بالسجن أن الباشا حكم علي بعام سجنا.

لقد ارتاعت المراقبة المدنية من المظاهرات المتتالية وخشيت أن يفلت الزمام من بين يديها فكتب المراقب المدني «أبادي» رسالة ثالثة مؤرخة بـ 30 أكتوبر 1937 إلى الباشا جاء فيها : (على إثر أحداث البارحة، استطعت أن ألاحظ بأنه كان من الصعب عزل المتظاهرين الحقيقيين من غير الحقيقيين أو الذين كانوا فقط فضوليين، ومن جهة أخرى فإن غير المتظاهرين قد يصابون بجروح من جراء رمي القذائف التي تأتي من جهة أخرى.

لهذا اطلب منكم أن تعملوا على اعلام السكان بمايلي : في حالة ما إذا علم السكان إما عن طريق صرخات أو مشاركة في مظاهرة قد تؤدي إلى الفوضى ان يلزموا المكان الذي هم فيه جالسين، أو أن يدخلوا المسكن الأقرب، ويطلبوا اللجوء إليه.

وأطلب منكم كذلك أن تؤكدوا للسكان بأن كل الاجراءات قد اتخذت من أجل الحفاظ على النظام في المدينة، وبأن كل اغلاق للحوانيت لا يمكن أن يفهم الا بأنه من أجل الحوادث الحالية، وسوف يعتبر مشاركة مع أصحاب الفوضى، كذلك فإن كل مشاركة

EMPIRE CHÉRIFIEN

PROTECTORAT FRANÇAIS

CONTROLE CIVIL
ET
SERVICES MUNICIPAUX
DE SALÉ

الإيالة الشريفة

الحماية الفرنساوية

المراقبة المدنية

وادارة الاشغال البلدية

بسلا

عدد 15 الحمد لله وحده

الى المحترم الاجل الفقيه العلامة الباشا السيد الحاج محمد الصبيحي

بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته

جوابا لكتابكم عدد 3 المؤرخ في 26 اكتوبر الجاري بان

انه كاهيكم بلات الشوارع الكبيرة تستحق [illegible]

والمسبب فيه او المشاهد رئيس مخزنية الان في هذا الوقت

وانه متحسب باعانتكم واشكركم على هذا بمرحمتكم في هذه

الحالة التي يحترم الشعوب والحلقة والسلام

حرر في 30 اكتوبر سنة 1937.

رسالة أصلية وجهها المراقب المدني الفرنسي إلى باشا سلا

للأطفال في العمليات الفوضوية، سينتج عنها قمع شديد ضد الآباء الذين عليهم أن يتخذوا كل الاجراءات، فيمنعوا أطفالهم من الاقتراب من التجمعات واطلاق الصرخات وأخيرا إذا كان من الواجب أخذ وسائل لحفظ النظام، فإني أرغب منكم أن تفكروا في جعل تقوية الحرس ليل نهار من طرف سكان المدينة والسلام.

في 30 أكتوبر 1937 الامضاء : «ابادي»

مظاهرة كبرى بمدينة القنيطرة

استجابت مدينة القنيطرة للنداء الذي وجهه مسؤولوا فرع الحزب، فقامت مظاهرة صاخبة كبرى يوم 27 اكتوبر أيضا ترأسها مندوب الحزب الوطني الأخ الشهيد السيد محمد الديوري رحمه الله وشاركت فيها المدينة بحذافيرها ووقع فيها اصطدام بين المتظاهرين ورجال الأمن أدى إلى موت عدد كثير وجرح آخرين، ومن جملة الذين شاركوا في هذه المظاهرة وألقى عليهم القبض إثر ذلك المناضلون الآتية أسماؤهم :



الوطني الغيور الشهيد
محمد الديوري

محمد الديوري ومحمد الجيلالي بناني وأخوهُ مُحمد وسيدي احمد بن دله ومولاي ادريس البوعناني والجيلاني بناني وسيدي مشيش العلمي والصديق المكينسي وسي بوشتى الجامعي ومحمد بن زاكور والسيد محمد بليزيد والسيد عبد القادر برادة والسيد أحمد برادة والعربي الدكالي وعبد الله المرابط ومحمد الزرهوني وغيرهم.

ولقد حكم على أكثرهم بالسجن سنتان، ثم نقلوا إلى مدينة الريش بالصحراء ذاقوا أنواعا من البلاء نتيجة الخدمة الشاقة التي تحملوها صابرين محتسبين، ونتيجة البرد القارس الذي لم تألفه أجسامهم، ثم نقلوا بعد ذلك إلى سجن علي اومومن ثم إلى الدار البيضاء، حيث التقينا جميعا فيه أواسط سنة 1938، كما سنتحدث عنه إن شاء الله.

مظاهرات مدينة فاس

أما بفاس فلقد قامت مظاهرات عديدة شارك فيها بالاضافة إلى مناضلي الحزب الوطني مناضلوا الحركة القومية، وكان الجو العام جوتوتر، وقامت فاس بواجبها التضامني مع قادتها

وزعمائها، فأضربت المتاجر، ونزل الجيش الفرنسي إلى طرق وشوارع المدينة، وتوالت الاصطدامات وكان في مقدمة المتظاهرين وعلى رأسهم، الشهيد عبد العزيز ادريس والأخ الهاشمي الفلالي اللذان كان يخطبان في الجماهير محتجين ومتضامنين مع إخوانهم، وانتهت المظاهرات بإلقاء القبض على الجموع الكثيرة من الوطنيين المخلصين، كان في طليعتهم : الشهيد عبد العزيز بن ادريس والشهيد الشاعر السيد محمد القرى والأخ الهاشمي الفيلالي والمرحوم محمد إبراهيم الكتاني والمرحوم رشيد الدرقاوي والفقيه سيدي محمد بن عبد الله وحّ عبد القادر العلج والعربي التسولي وابن زاكور ادريس وعدد كثير من شباب الحزب والحركة القومية التي كانت أعلنت تضامنها مع الحزب في محنته، وبعد محاكمتهم نقلوا جميعا إلى سجن «كلميمة» بالصحراء حيث ذاقوا ألوانا من العذاب تحدث عنها بتفصيل أخونا المرحوم إبراهيم الكتاني في كتابه عن هذه الأحداث. ولقد نقل هؤلاء الاخوة بعد ذلك إلى سجن علي اومومن ثم إلى سجن الدار البيضاء حيث جمعنا وإياهم سقف واحد.

مظاهرات مدينة وجدة

لم يكد خبر إلقاء القبض على الزعماء الأربعة حتى قامت المدينة عن آخرها تحتج وتتضامن وقامت مظاهرة كبرى ترأسها المرحوم سيدي عبد السلام الوزاني وشارك فيها جمهور غفير من الوطنيين كان في طليعتهم السادة : احمد بن دالي محمد بن التهامي برادة محمد الدرفوفي سي بوزيان، المناضل محمد منصور ومحمد بن تاهيلة وبناصر بن الحاج العربي وغيرهم، وبعد إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم وسجنهم بوجدة نقلوا إلى عين علي مومن ثم إلى سجن «غبيلة» بالدار البيضاء حيث التقوا بنا وبإخوانهم في نفس السجن.

وفي مدن أخرى وقعت مظاهرات لم أستطع أن أتعرف إلى وصفها نظرا لأن الذين قاموا بها لم يلتحقوا بنا إلى سجن الدار البيضاء.

لقد قام المغرب بواجبه التضامني مع قادة الحزب الوطني، وتبين للمقيم العام «نوكيس» أن الحزب ليس بجماعة أطفال كما صرح بذلك في بعض خطبه، ولكنه جماعة مناضلين طلاب حقوق يعرفون واجباتهم، ويناضلون من أجلها ويضحون كامل التضحية في سبيلها وأن الذين قدموا أنفسهم ضحايا في سبيل حريتهم تجاوز الخمسة آلاف مناضل امتلأت بهم سجون المغرب، وتحملوا كل أنواع العذاب والاضطهاد والتشريد صابرين محتسبين.

ولقد علمنا بعد خروجنا من السجن أن الزعيم علال الفاسي نقل بعد اعتقاله إلى الصحراء ثم منها إلى «سان لوي» بالسينغال ومنها إلى الكابون بافريقيا الاستوائية، حيث بقي فيها مدة تزيد عن التسع سنوات، أما المرحوم عمر بن عبد الجليل فلقد اعتقل أولا باغبالو نكردوس ثم نقل إلى تينجداد ثم إلى ايتزر وأما المرحوم محمد اليزيدي فقد نفي إلى «انيف» ثم نقل إلى

«اسول» ثم إلى «واويزغت» واما المرحوم محمد بن الحسن الوزاني فقد نفي إلى «اسول» ثم نقل إلى «ايتزر» حيث بقي فيها إلى سنة 1946 وأما المرحوم احمد مكوار فقد نفي إلى «اسول».

ومن المآسي الكبرى التي وقعت أثناء فترة الاعتقال تعذيب كثير من المعتقلين وضربهم بالسوط واستشهاد بعضهم نتيجة التعذيب والامتحان، وعلى رأس المعذبين كان الشهيد الفقيه الشاعر السيد محمد القرى من رجال الحركة القومية الذي لقي ربه داخل زنزانة السجن وهو يقاسي أنواع الآلام، كما أن الاخوة الهاشمي الفلالي وعبد العزيز ابن ادريس ومحمد الديوري الذين كانوا مع إخوانهم يطالبون بالخدمات الشاقة ويتلقون من الزبانية التعذيب الأليم بالضرب بالسياط وغيرها ويرفعون الأحجار الصلبة الكبيرة في أيام البرد القارس والزبانية من ورائه يتفرجون عليه، كان جميع هؤلاء الاخوة يلاقون من التعذيب ألوانا، ففي سبيل الله ما لاقوا وما تحملوا.

(نوكيس) يخطب بفاس

بعد الأحداث التي وقعت بفاس وغيرها من المدن المغربية قام المقيم العام «نوكيس» بزيارة لمدينة فاس يوم 31 أكتوبر باعتبارها مركز القيادة الوطنية، فاستدعى بعض الحرفيين وبعض الأعيان وممثلي الصحف الأجنبية التي تصدر بالمغرب، وألقي تصريحا قال فيه (انه لن يحجم عن اتخاذ أشد التدابير صرامة، ولن يغض الطرف عن أعمال الوطنيين، وانه مؤيد من طرف الأحزاب الفرنسية المنضوية في الجبهة الشعبية، لأنها أدركت خطر الوطنيين حيث رأت انه في مدة شهر واحد قاد الوطنيون أعضاء الحزب الوطني البلاد إلى الغليان والاثارة، ثم قال : ولكي نقضي على خطط الوطنيين كان واجبا أن نستعمل متى لزم ــ قوة جيشنا، ان هذه قضية سلامة عامة، اذن فقد قمنا بواجبنا، واستعملنا القوة، وسنستمر في استعمالها).

وفي يوم 29 نونبر قام «نوكيس» أيضا بزيارة للمجلس البلدي الفاسي وألقى فيه خطابا تعرض فيه للوطنيين وأعمالهم واغلاطهم ــ حسب رأيه ــ ووصفهم بالصبيان، وان حركتهم متأثرة بالخارج فأجابه الوطنيون غير المعتقلين بمايلي في منشور وزع على الشعب، وجاء فيه :



الجنرال نوكيس

12/7
090

لسان الشعب

كتاب مفتوح الى جناب المقيم العام

يا جناب المقيم

مما جاء في الخطاب الذي القيتم يوم السبت 29 نوفمبر (13 رمضان) في المجلس البلدي الفاسي قولكم "اجل انني لا اجهل ان القائمين بهذه الحركة ومن ارتكبوا منهم افعالا اوجبت عقابهم اكثرهم صبيان ...... ولكنكم تعلمون مثلي ان من بين النصائح السيئة التي حركت هؤلاء الاطفال ما هو وارد من الخارج ..."

ان لجنة العمل الوطني تتاسف جدا لصدور مثل هذه العبارات في كثير من المناسبات من رجل مثل الجمهورية الحرة الفرنسية ويعرف تمام المعرفة احوال المغرب وما وصل اليه الجيل الحاضر من التطور كما تتعجب كثيرا من تجاهل بعض الرجال المسؤولين عندهم على نجابة ما هو كاف لتكوين جيل من الرجال على ان من يسائل نجد امامه في بلادنا شعبا فتيا بل شعبا قادرا على التفكير في مصالحه له تقاليد ثقافية وتاريخية

وفي استطاعتنا يا جناب المقيم ان نبرهن لكم على ان القائمين بحركتنا والمرافعين عنها ليسوا باطفال بل اغلبهم رؤساء عائلات يعرفون حق المعرفة القضية التي يدافعون عنها والمطالب التي يطالبون بتنفيذها. وليسوا ايضا بمغرورين ولا يتبعون اي اشارة من الخارج بل رائدهم الوحيد هو اخلاصهم وحبهم للنهوض بامتهم.

وتفضلوا يا جناب المقيم بقبول فائق احترامنا.

لجنة العمل الوطني

لسنا بأطفال

كتاب مفتوح إلى جناب المقيم العام :

ياجناب المقيم، مما جاء في الخطاب الذي ألقيتم يوم السبت 29 نونبر (13 رمضان). في المجلس البلدي الفاسي قولكم : أنني لا أجهل أن القائمين بهذه الحركة، ومن ارتكبوا منهم أغلاطا أوجبت عقابهم، أكثرهم صبيان... ولكنكم تعلمون مثلي أن من بين النصائح السيئة التي حركت هؤلاء الأطفال ما هو وارد من الخارج) إن لجنة العمل الوطني تتأسف جدا لصدور مثل هذه العبارات في كثير من المناسبات من فم رجل يمثل الجمهورية الحرة الفرنسية ويعرف تمام المعرفة أحوال المغرب، وما وصل إليه الجيل الحاضر من التطور، كما تتعجب كثيرا من تجاهل بعض الولاة المسؤولين انه مر على الحماية ما هو كاف لتكوين جيل من الرجال... على أن فرنسا لم تجد أمامها في بلادنا شعبا همجيا، بل شعبا قادرا على التفكير في مصالحه، له تقاليد ثقافية وتاريخية، وفي استطاعتنا ياجناب المقيم أن نبرهن لكم على أن القائمين بحركتنا والمدافعين عنها، ليسوا بأطفال بل أغلبهم رؤساء عائلات، يعرفون حق المعرفة القضية التي ينافحون عنها، والمطالب التي يطالبون بتنفيذها، وليسوا أيضا بمغرورين، ولا يتبعون أي إشارة من الخارج بل رائدهم الوحيد، هو إخلاصهم، وحبهم للنهوض بأمتهم، وتفضلوا ياجناب المقيم بقبول فائق احترامنا. (لجنة العمل الوطني).

وبالمناسبة أود أن أسجل هنا أن نغمة اتهام الوطنيين بالأطفال ابتدأت منذ سنة 1930 لدى مقاومة الشعب المغربي لظهير 16 ماي 1930 المتعلق بتقسيم المغرب إلى عرب وبربر، وخلق النزعة العنصرية التي يرفضها الاسلام الذي وحد المغاربة جميعهم في بوتقة واحدة.

أقول لدى اتهام الفرنسيين رجال الحركة الوطنية بأنهم أطفال لم يبلغوا الحلم، كنا نبحث عن بعض الرجال الملتحين لنضمهم إلى صفوفنا، ونجعلهم في الصفوف الأولى إذا ما أقمنا بعض الاحتفالات ونختار البعض منهم لنقدمهم ضمن الوفود التي كانت تقدم بعض العرائض والمطالب للمسؤولين، حتى نلقمهم حجرا، ونبرهن لهم على أن حركتنا حركة شعب كامل برجاله وشبابه وشيوخه.

الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية تتضامن معنا

بمجرد ما ألقي القبض على أعضاء الحزب الوطني ومناصريهم من رجال الحركة القومية قامت مظاهرات بالمنطقة الخليفية سواء بتطوان أو العرائش أو غيرهما، خطب فيهما كل من

الأستاذ عبد الخالق الطريس والشيخ المكي الناصري وغيرهما وكانت اجتماعات تضامنية بالمساجد، وكان اقفال للمتاجر، وكان توجيه لبرقيات احتجاجية للمسؤولين في المغرب وفرنسا، كما أن الصحافة الوطنية بالشمال قامت بواجبها التضامني الكامل، وترديد الصدى عن الأعمال التي قامت في هذه المنطقة الجنوبية.

وبعد مرور فترة على الأحداث الأليمة التي وقعت رأي إخواننا رجال حزب الاصلاح الوطني ضرورة القيام بحركة في الخارج، تفضح الأعمال المنكرة التي أتتها فرنسا في المغرب، فأوفدوا المرحوم التهامي الوزاني وكيل حزب الاصلاح للاتصال بالحاج أحمد بلافريج والأمير شكيب أرسلان في سويسرا لتنسيق العمل معهما وتأسيس مكتب للدفاع عن القضية المغربية بسويسرا، وهذه رسالة في الموضوع تلقاها المرحوم سعيد حجي من المرحوم الطيب بنونة الكاتب العام لحزب الاصلاح وتقول الرسالة :

أخي العزيز الوطني المخلص، سعيد حجي

نحية واحتراما. وبعد فقد كلفتني اللجنة التنفيذية للحزب أن أتخابر مع سيادتكم، في أمر يهمكم للغاية، لأنه في صالح القضية الوطنية المقدسة، بعد أن حدث الانقلاب الأخير في سياسة فرنسا، تجاه الوطنية المغربية، وحصل ما تعلمونه من سجن ونفي واضطهاد للزعماء الأبرار، والوطنيين المخلصين، بقي حزب الاصلاح يقوم ببعض الواجب في الدفاع عن الوطنية المغربية بالاحتجاج والمقاومة والاضراب والمظاهرة ضد فرنسا، ولكننا رأينا الأيام تمر، وعملنا لا يجدي نفعا إزاء سياسة الاستعمار، فقررنا أن نعمل في الخارج، وأوفدنا وكيل الحزب الأستاذ التهامي الوزاني إلى أوروبا، وهناك اتصل بالأخ أحمد وبالأمير، ودرس معهما الموقف الحرج، ورجع من طرفهما يحمل هذه النتيجة، وهي تكوين مكتب للدفاع عن القضية المغربية في سويسرا، وبعد اطلاعنا على الفكرة، وبحثها من سائر الوجوه، قررنا أن نكتب لكم، لما لنا من الثقة الكاملة في وطنيتكم مقترحين عليكم أن تكونوا من ضمن العاملين في هذا المكتب، وان ترشدونا إلى أشخاص مخلصين، نستطيع مخابرتهم في هذا الموضوع أيضا، واننا ننتظر جوابكم الشافي في الموضوع لنزيدكم بيانا عن كل شيء، ونرجو أن يكون الجواب عاجلا ومسجلا بواسطة (ادريس العرفاوي بوادي احرضان بطنجة) وتقبل خالص التحيات من الجميع. والمجد والسمو للمغرب.

تطوان 19 في الحجة 1356هـ الكاتب العام : **الطيب بنونة**

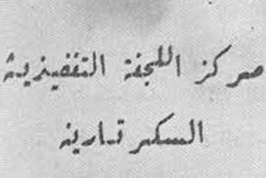
لم يمكنني أن أتعرف إلى جواب السعيد حجي على هذا المقترح كما أنني لم أطلع من خلال اتصالاتي أو مطالعاتي على رأي السعيد في هذا المقترح، وهل طبق بالفعل أم لا ؟ وكل ما يمكنني أن أثبته هنا أن الاخوان بتطوان كانوا مهتمين بالأحداث، متتبعين لها، مؤكدين تضامنهم المطلق مع إخوانهم وعملهم الموحد لصالح القضية المغربية.

التفاتة إلى السجون

ليس هذا العنوان الذي اخترته للتحدث عن السجن والسجناء من وضعي، وإنما هو في الواقع من وضع أخي وصديقي المرحوم السيد محمد اليزيدي، فعندما حمى الوطيس بيننا نحن أعضاء الحزب الوطني وبين الاقامة العامة الفرنسية، كان لابد من انتظار ما ستصل إليه الحماية الفرنسية من اعتقالنا ونفينا ان لم يدفعها الغرور والغطرسة إلى ما هو أشد من ذلك، ومن هنا كان لابد من إلقاء نظرة على السجون التي هي أحب إلينا مما يريدونه لنا. وهكذا كتب اليزيدي مقالا تحدث فيه عن سجن الرباط وأهواله ومتاعبه إلى آخر ما جاء في ذلك المقال الممتع المنشور بجريدة «الأطلس» في العدد 33 الصادر بتاريخ ثلاثين من الشهر التاسع 1937 أي قبل إلقاء القبض علينا بنحو الشهر.

لقد تحدثت عن القرار الذي اتخذته الاقامة العامة سنة 1937 من أن كل من يلقي خطابا بأحد المساجد، يكون عقابه السجن سنة أو سنتين، وأني ألقيت خطابا ارتجاليا يوم 27 أكتوبر 1937 طالبت فيه بالحريات العامة للشعب المغربي وأعلنت تضامننا المطلق مع الزعماء الأربعة الذين ألقى عليهم القبض من السلطات الاستعمارية، مطالبا بإطلاق سراحهم، وانني بمجرد انتهائي من الخطاب ألقى خليفة الباشا علي القبض ثم صحبني إلى المراقبة المدنية ومنها إلى سجن الرباط.

لقد كان معلوما لدينا في ذلك الابان، أن مصيرنا هو السجن إذا قمنا بمظاهرة أو ألقينا خطابا بأحد المساجد، وكان الكثيرون يعرفون هذا، وكان بعض العملاء المتصلين بالمراقبة المدنية، ومنهم ترجمان تونسي كان موظفا بالمراقبة اسمه رشيد الارناوط، كان يزور أخي الأكبر في متجره بالسوق الكبير ليخوفه ويهول له الموقف، وما سيتعرض له الوطنيون من محنة وعذاب إذا ما تعرضوا للسجن والابعاد، فكان أخي ينفعل لما يسمع، ويتأثر عظيم التأثر، ويخشى عليّ من السجن والمحنة والعذاب، وعندما ألقى القبض على الزعماء الأربعة، ورأى أخي الاجتماعات تتوالى بمنزلنا طوال يوم 26 أكتوبر وصبيحة يوم 27، ونحن في تصميم على التضامن والاحتجاج والتظاهر، آمن بأن المصير هو السجن لا محالة، فلم يستطع البقاء بمعزل عن التدخل، وخاطبني وأنا أتهيأ للذهاب إلى المسجد لأترأس المظاهرة والتجمع اللذين قررنا القيام بهما بعد صلاة العصر يوم 27 أكتوبر، وخاطبني قائلا : ياأخي لا تعرض نفسك للأخطار، فيكفي ما قمتم به من أعمال، وما أديتموه من واجبات، أما تعريض نفسك للتهلكة، فلا يجوز ولا يقبل، فالله يقول : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فناقشته في الموضوع قائلا :



مركز اللجنة التنفيذية

السكرتارية



حزب الاصلاح الوطني

بالمغرب الاقصى

رقم 260

الله أكبر

اخي العزيز الوطني المخلص سعيد حجي تحية واحتراما

وبعد فقد كلفتني اللجنة التنفيذية للحزب أن اتخابر مع سيادتكم في أمر يهمكم للغاية لانه في صالح القضية الوطنية المقدسة.

بعد أن حدث الانقلاب الاخير في سياسة فرنسا تجاه الوطنية المغربية وحصل ما تعلمونه من سجن ونفي واضطهاد للزعماء الابرار والوطنيين المخلصين بقي حزب الاصلاح يقوم ببعض الواجب في الدفاع عن الوطنية المغربية بالاحتجاج والمقاومة والاضراب والمظاهرة ضد فرنسا، ولكننا رأينا الايام تمر وعملنا لا يجدي نفعا ازاء سياسة الاستعمار فقررنا أن نعمل في الخارج واوفدنا وكيل الحزب الاستاذ التهامي الوزاني الى اوربا وهناك اتصل بالاخ احمد بالافريج ودرس معهما الموقف الحرج ورجع من طرفهما يحمل هذه النتيجة وهي تكوين مكتب للدفاع عن القضية المغربية في سويسرا، وبعد الاطلاع على الفكرة وبحثها من سائر الوجوه قررنا ان نكتب لكم لما لنا من الثقة الكاملة في وطنيتكم مقترحين عليكم ان تكونوا من ضمن العاملين في هذا المكتب، وأن ترشدونا إلى اشخاص مخلصين نستطيع ان نخابرهم في هذا الموضوع ايضا، وإننا ننتظر جوابكم الشافي في الموضوع لنزيدكم بيانا عن كل شيء ونرجو أن يكون الجواب عاجلا ومسجلا بواسطة: (ادريس العرباوي بوادي احرضان - تطوان) وتقبل خالص التحيات من الجميع. والحمد لله النصر للمغرب

تطوان 19 ذي الحجة 1356هـ

الكاتب العام

الطيب [illegible]

إن التهلكة الحقيقية ياأخي، هي تخلينا عن القيام بواجبنا المفروض علينا من مقاومة المحتل الأجنبي والنضال في سبيل بلادنا وتحريرها، ولما لم ير أنه أقنعني عن طريق إبعادي عن التهلكة، صار يخاطبني عن طريق والدتي قائلا : ان اقدامك على ما تريد الاقدام عليه، يعني أنك لا تعير اهتماما لوالدتك التي ستنغص عليها الحياة بسبب سجنك، ومن المعلوم أن البرور بالوالدين من آكد الواجبات أو كما قال، فأجبته بأن البرور بوالدتي يقتضي مني أن لا أنساها وان أبر بها دائما، ولكن هذا لا يقتضي مني الاخلال بواجباتي الأخرى ومنها الدفاع عن وطني وحقوق أبناء وطني فالجهة منفكة كما يقولون، فلم يقتنع بما قلته له، ورأى أني مصر على المضي في طريقي وطال الحوار أو النقاش ولعله وصل إلى الحدة والغضب، فلم يسعني إلا أن أخاطبه بحزم وأدب وأحسم المذاكرة في الموضوع قائلا ما مضمنه ان لم تخني الذاكرة : القضية ياأخي تهمني وحدي، وليس من حق أي أحد أن يصرفني عن أداء واجبي، أو يتدخل في شؤوني، ثم قمت فقبلت رأس والدتي ويدها مودعا إياها راجيا منها الدعاء الصالح، فكان غياب عن والدتي وعن أخي أيضا سنة كاملة، حيث لم أرهما إلا يوم 27 أكتوبر سنة 1938.

أخذوني إلى سجن الرباط يوم 27 أكتوبر 1937، وليست هذه أول مرة أزور فيها ذلك السجن الذي يمكن أن يطلق على الأقسام الخاصة بالسجناء المغاربة فيه بالاصطبل، فلقد زرته مرتين قبل هذه، أولاهما كانت سنة 1935 حيث قضيت فيه نحو الأسبوع وثانيتهما سنة 1936 حيث قضيت فيه نحو الشهر، وذلك اثر المظاهرة التي نظمناها مطالبين بالحريات العامة.

عندما تضع رجلك على باب السجن وتسير في الاسطوان المظلم، يكون عن يمينك القفص الحديدي وهو المكان المعد لاستقبال الزائرين الذين يزورون أهاليهم المسجونين مرة كل أسبوع إن كان السجن عاديا، وتجد عن يسارك مكتباً لرئيس السجن، ويدخله السجين أول ما يدخل إلى السجن، ليسجل اسمه، وينزع منه كل ما لديه من دراهم إن كانت له دراهم، ومن أوراق وغير ذلك من أشياء الجيب كما تنزع منه الساعة التي في يده أو في جيبه، كما ينزع منه أي كتاب أو جريدة في يده، ثم يعطي له الرقم الخاص به، ليسجل بعد ذلك في لوحة عليه في الغالب أن يعلقها في عنقه وكان رقم سجني لما انتقلت إلى الدار البيضاء هو : 44809 وبعد انتهاء مرحلة التسجيل وأخذ الأمتعة الخفيفة، يوخذ السجين إلى الحمام حيث يكون ملزماً بغسل جسده وتبخير ثيابه إلا إذا كان له حظ، فيعفي من التبخير، ثم تأتي المرحلة الثالثة ليوخذ إلى الزنزانة الخاصة به إن كان محظوظا أو إلى البيت الكبير المعد للسجناء العاديين مجرمين وغير مجرمين، وهذا البيت الكبير أو البيوت الكبيرة التي كانت في الأصل عبارة عن مخازن ربما للأسلحة أو غيرها، ليس فيها نوافذ إلا نافذة صغيرة في السقف، تعطي بعض الضوء في النهار، ولا يوجد فيها إلا مرحاض واحد، رغم أن البيت يضم بين جدرانه ما يقرب من مائة سجين حسب الاقبال الكثير على السجن أو قلته. ولا تسأل عن المحنة التي

يعانيها السجناء المساكين عندما يريدون قضاء حاجتهم أو الوضوء، ولا تسأل عن المحنة التي يعانون منها عند النوم إن كان البيت مكتظا بالضيوف، فهم مطالبون عند النوم أن يقفوا الواحد أمام الآخر مصطفين متلاحمين، حتى يأذن لهم الرئيس (كابران) ان امتدوا، فيمتد كل واحد بسرعة كبيرة، حتى يستطيع أن يجد مكانه للنوم، وإلا فالويل له، إذ سيبقى مضغوطا عليه.

والسجناء عادة مطالبون أن يكونوا دائما على استعداد للقيام مصطفين إذا ما سمعوا كلمة «فيكس» ورؤوسهم عارية من كل غطاء، وعادة ينادي عليهم بالقيام للاحصاء في الصباح والمساء، وأحيانا عندما يتفقدهم رئيس السجن أو مديرهُ أو خلفاؤهما. وأسعد وقت لدى هؤلاء السجناء هو عندما ينادرون تلك البيوت للخدمة غير الشاقة حيث يشمون الهواء النقي، ويشعرون بشيء من الراحة ومن ضيق التنفس.

ويوجد بالسجن قسم علوي يصعد إليه بنحو خمسة عشرة درجة، وهو مخصص للأوربيين من السجناء، وبهذا القسم عدة زنازن صغيرة كل زنزانة بها مصطبة عالية مبنية بالاسمنت وأمامها طاولة صغيرة ملتصقة بالأرض ومبنية بالاسمنت أيضا وهي مخصصة ليأكل عليها السجين، والسجين الأوربي مهما كان مجرما كثير الاجرام يعطي له فرش وإزار وغطاء محترم، أما المغربي فيمكَّن من حصير و«كاشتين» أي ملاءتين بتجاوز كبير في هذه التسمية، واحدة يفرشها فوق الحصير لينام عليها، والأخرى يتغطى بها.

لقد كنت محظوظا عندما لم يأخذوني إلى البيوت الكبيرة السفلى مع بقية السجناء العاديين وإنما أخذوني إلى إحدى الزنزانات العليا التي كيفما كان وضعها فإنها أحسن بكثير من البيوت السفلى، ولعلي إن لم تخنى الذاكرة، قضيت بضعة أيام أو أسابيع منفردا معزولا، فلم أستطع التعرف إلى أي شخص أو إلى أي خبر وحتى إلى المدة التي حكم علي بها بالسجن إلا بعد أيام معدودات حيث نودي علي بالنزول إلى أسفل السجن من أجل تتميم بعض الاجراءات التي يلزم بها كل سجين من أخذ صورته وأخذ بصماته إلى آخر تلك الاجراءات.

أمام المكان المعد لأخذ صور للمساجين وبصماتهم وجدت صفوفا من السجناء، لاحظت من بينهم أخوان من إخواني الوطنيين، هما : المرحومان : محمد العزوزي وعبد السلام بنسعيد، فتحدثت إليهما همسا فأخبراني بأنه حكم علي بعام سجنا، وهما بدورهما حكم على كل واحد منهما بعام سجنا، فسألتهما مستفسرا عن مواقف بعض الاخوان ومن بينهم الحاج أحمد معنينو، الذي كان اتصل بي مؤكدا أنه تلقى أمرا من الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني بضرورة التضامن معنا، فأجابا بأنه يوجد في بيته ولم يلق عليه القبض، ثم اطلعاني على المظاهرة التي قام بها أعضاء الحزب مع إخوانهم في الحركة القومية، ومن المعلوم أن محمد العزوزي كان عضوا نشيطا في الحزب الوطني وكان معلما معي بالمكتب الاسلامي الذي

سمي فيما بعد بمدرسة النهضة أما عبد السلام بنسعيد فكان عضوا في الحركة القومية، وكان من الطلبة الذين التحقوا بالقرويين بعد طرده من مدرسة أبناء الأعيان، جزاء تضامنه معي لدى طردي من المدرسة نفسها سنة 1933.

التحق بالسجن سجناء آخرون من الوطنيين، سواء من الرباط أو من سلا، فلم تسعهم الزنازن الصغيرة الموجودة، فاتخذت إدارة السجن قرارا بجمعهم في بيت كبير من البيوت القليلة الموجودة في أحد أجنحة القسم الأوروبي، وهكذا التقينا ـ جميعا. فكانت فرحتنا كبيرة بهذا اللقاء، وكان تعارف وتآخي مع إخوان من الرباط لم أتعرف عليهم من قبل.

والسجن الانفرادي له مزاياه ومساويه، والسجن الجماعي له محاسنه وقبائحه، فالسجن الانفرادي يدفعك إلى التفكير والتعبد والمطالعة ان سمح لك بالكتب، ولكن السجين المسكين يضجر ويقنط من الانفراد والانعزال والصمت الدائم ليل نهار، وكثيرا ما يتمنى السجين المنفرد ان يتكلم ولو مع الجدران أي ولو من وراء الجدران، ففي بعض الأحيان عندما يتعب ويكل السجين من السكوت، ويعلم بطريقة أو أخرى أن بجانبه في الزنزانة المجاورة سجينا يعرفه، يطرق عليه الجدار المتصل بزنزانته دقة أو دقتين أو أكثر، فيجيبه السجين بدقات مثلها، ويشعر السجينان أنهما يتكلمان ولو من وراء الجدار، والشعور بأن معك الغير يؤنسك ولو للحظات.

والعزلة الدائمة مزعجة، خصوصا لمن طبعه اجتماعي ولم يألف العزلة في حياته، وأشد أنواع العزلة، ما يقضيه السجين إذا ما حكم عليه بالسجن الانفرادي وكتب على باب زنزانته كلمة (Isolé) بالفرنسية أي أنه منعزل انعزالا كاملا.

ولقد قضيت بعض الفترات في هذا السجن الانعزالي، ولكنني كنت أتغلب على الانعزال بتلاوة القرآن الكريم، فلقد كان القرآن أنيسي في وحدتي، لا أختم «سلكة» حتى أفتح أخرى، وكم شكرت ربي وحمدته على إن بقيت حافظا لكتابه، أتلوه آناء الليل وأطراف النهار.

في فترة من فترات السجن لم أبق منفردا وإنما كان معي في الزنزانة أخوان عزيزان هما : الحاج أحمد الشرقاوي وفي بعض الفترات : محمد البقالي، وخلال هذه الفترة بدأت تصلني بعض الكتب فأقبلت على المطالعة بنَهَم ومن جملة الكتب التي طالعتها في ذلك الوقت : فجر الاسلام وضحاهُ لاحمد أمين، والنثر الفني لزكي مبارك، والاعتصام للشاطبي وعلوم البلاغة للمراغي وإحياء علوم الدين للغزالي إلى غير ذلك من الكتب التي كان أخي يبعث لي بها. وأتذكر أنني في فترة الانعزال، كان أحد الحراس الكورسيكيين يفتح علي نافذة الباب الصغرى، فيخاطبني «بهتلر» وكنت إذذاك أقص شاربي، فأحفهُ من ذات اليمين وذات اليسار، فيبقى متجمعا تحت أنفي، وأذكر بهذه المناسبة أن هذا الحارس الكورسيكي وكان ظريفا ضحوكا ناولني ذات يوم الأكلة التي وصلتني من عائلتي وما أن وقع بصره على أصابع يدي،

حتى نطق متأسفا، كيف تستطيع هذه اليد وهذه الأصابيع أن تستعمل في الأشغال الشاقة التي ربما تكون معرضا لها ؟

أما سجننا الجماعي، فكانت فيه عدة محاسن، فزيادة على التعرف على إخوان لم تكن لي معرفة بهم، خصوصا من «الرباط» فلقد اكتسبت صداقات وربحت أصدقاء، تقوت صلتي بهم، فأحببتهم وأحبوني، وأخلصت لهم وأخلصوا لي، وبقيت صداقاتنا قوية بعد خروجنا من السجن، وبقيت ذكرياتنا حية طوال الأيام.

والانسان عندما يعيش مع آخرين آناء الليل وأطراف النهار، لابد أن يزيد معرفة بطبائع البشر، ولابد أن يتدرب على الصبر والمصابرة، حتى يعيش العيشة الهنيئة التي لا يشوبها كدر، ولابد أن يوطن نفسه على أن يتحمل ويتجاوز مهما كانت طبائع آخرين فيها نوع من الشراسة والغضب.

طول عشرتك لاخوانك وأصدقائك في السجن، تزيدك معرفة بهم، وإدراكا لبعض حقائق نفوسهم، ومهما أتيح لك أن يعايشك، صديق متحل بالأخلاق السامية، والصبر على المكاره، فأنت تكتسب منه تلك الصفات، ويتقوى إيمانك، ويزداد صبرك وإيمانك، فإذا أنت مستفيد من سجنك، مطمئن كل الاطمئنان لخطك الذي سرت فيه مستسلم لارادة الله الذي لا يخيب من رجع إليه بصدق ويقين.

لقد كانت أوقات السجن مليئة، فمن مطالعات، إلى مناقشات إلى تعبد بتلاوة القرآن، إلى أغاني ومزاح، وأحيانا إلى ذكر الله على طريقة بعض الطرقيين، وأذكر بهذه المناسبة اننا ذات ليلة صرنا نذكر الله بالجهر، فما كان من المرحوم الفقيه غازي الا أن يقف لنتحلق عليه، وهو في وسط الحلقة يرفع صوته بالذكر، ويسير المتحلقين عليه مثل ما يفعل بعض الطرقيين في الزوايا، حتى كانت الأصوات تتعدى البيت الذي نحن فيه ليستمع إليها الآخرون، وما هي إلا لحظات حتى يأتي حارس ليطلب منا الهدوء والسكون، فيجيبه البعض قائلا : ليس من حقك أن تسكتنا ونحن في عبادة أو كما قالوا.

يقضي السجين فترة من سجنه، لا يأكل إلا ما يقدم للمسجونين من شربة خليط من العدس غير المنقي وبعض الخضر التي لا يستطيع الانسان أن يشتريها أو ينظر إليها إذا كان خارج السجن حرا طليقا، ولكن الانسان في السجن غيره خارج السجن، فكثيرا ما كنا نأخذ أكلة العدس مثلا، فنجمعها من الآنية التي تعطى لنا فيها بيدنا لنعزل منها الحجر والحصى والأوراق، ان لم أقل الأزبال المخلوطة معها، ثم نتلقفها بعد ذلك، ونحمد الله تعالى أنه كان يسمح لنا بعد مضي فترة من الزمان أن تصلنا أكلاتنا من عائلاتنا ان لم تكن يومية فعلى الأقل مرة في الأسبوع، ونحمد الله كذلك على أنه كان يطوف علينا. سجين ملحق بالقسم الاقتصادي في السجن، ليسجل ما يطلبه السجين إن كان له رصيد في الصندوق من بعض

المأكولات المجففة التي كانت توجد بما يسمونه (بالكانتينة) ومن جملة ما يسجل ويطلبه السجين، «الدخان» والدخان الذي كان يعطى إذذاك كان يسمى (فافوريت) وآخر يسمى (بالشعْرة) وهذا الأخير يكون معه ورق خفيف يجعل فيه بطريقة تجعله مثل بقية السجائر، والسجائر في السجن هي العُملة المتداولة بين السجناء، فبالسجائر تشترى بعض الحاجيات التي تكون مفتقرا إليها وتكون عند بعض المسجونين.

السجناء الوطنيون إذا كانوا في بيت كبير ينظمون أنفسهم جماعة جماعة في ساعة تناول الغداء والعشاء، وإذا ما كان البعض منهم لا تصله أكلات منظمة من عائلته، فإنه يكون ضمن الجماعة المنسوب إليها، يشاركها في طعامها وشرابها، ولا يشعر بأي غبن او إهمال داخل جماعته، فروح التعاون سائدة، وإن كانت بعض الجماعات ربما يكون عيشها أرغد من أختها، فالأرزاق متفاوتة، وإن كان لا يجوز لمومن أن يبيت شبعان وجارُه بجانبه جائع.

ونظرا لأن الوقت قد يطول، ولا يكون للكثيرين ما يشتغلون به من مطالعة أو غيرها فقد اخترع السجناء طريقة للاشتغال، وذلك بالتخطيط على ورقة سميكة، مربعات متعددة وبجانبها قطع ورقية سميكة صغرى، يلعبون بها فوق الورقة السميكة لعبة «الضامة» وقد يجعلون من ورقة سميكة قطعا أخرى أكبر للعبة الورق هذا إذا لم يستطيعوا الحصول على (الكارطة) المعروفة يلعبون بها في الأوقات التي يكون فيها الحراس متغيبين وهو ما بين 12 والثانية ظهرا وبعد السادسة مساء ولقد كان معنا لاعبون أشداء في لعبة الورق (الكارطة) سواء لعبة ما يسمونه (بالتّريس) وكان اللاعب الماهر فيه هو المرحوم المعطي الشرقاوي أو ما يسمونه (بالروندة) وكان الماهر فيه هو الحاج محمد عليوة أو ما يسمونه (بالبينتي) أما اللعب المسمى بالتجاري فلم يكن يلعبه إلا القليل، واللاعبون الأشداء قليلون، وهم لا يقبلون أن يلعبوا إلّا مع الماهرين أمثالهم، وهناك طائفة لا تلعب، ولكنها تريد أن تتفرج ولربما (تنبِّر) وكان على رأس المنبِّرين المرحوم الفقيه محمد غازي، فقد كان رحمه الله يكون مستغرقا في مطالعة كتاب، حتى إذا ما كان بجانبه لاعبوا «التريس» لا تشعر إلا وقد حول نظره عن الكتاب الذي يطالعه، وصار يتابع اللاعبين بجانبه، وينبّر عليهم ولربما يعبر عن اغتياظه بكلمة «علاش» أو «لا» إذا ما أخطأ اللاعب الذي كان ينبر عليه.

من المشاكل التي يعاني منها السجين إذا كان في زنزانة صغيرة ومعه سجينان آخران، وأقول «سجينان» لأن نظام السجن كان لا يسمح أن يكون بالزنزانة سجينان، فأما سجين واحد، وأما ثلاثة أو أكثر إذا كانت الزنزانة تسع أكثر.

أقول : من المشاكل التي يعاني منها السجين أن المرحاض وأنبوب الماء فوقه، يوجدان في ركن من أركان الزنزانة، والمرحاض غير مغطى، وليس أمامه أي ستار، فإذا ما أراد السجين أن يقضي حاجته فإنه سيكون مفضوحا أمام من معه، ولكن لا مناص، لقد كنا نتحايل فنغتنم

فرصة نوم الرفيقين لنتوضأ، وكان البعض يضطر ليضع قطعة من الثوب على ركبته أثناء قضاء حاجته، وكان آخرون يطلبون من رفاقهم أن يغمضوا أعينهم أو يتحولوا بأنظارهم إلى الحائط ساعة قضاء الحاجة وفي فترة من فترات سجننا بسجن الدار البيضاء أثناء أزمة 1953 طلب المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل من أفراد عائلته أن يتحايلوا حتى يدخلوا إزارا إلى السجن ليستعمل ستارا أثناء قضاء الحاجة، وبالفعل وصلته قطعة من الثوب خضراء، كان اثنان يقفان أثناء وضوء صاحبهما ليأخذ واحد طرفا من القطعة والآخر الطرف الآخر، ليسترا الجالس على الكرسي أثناء قضاء حاجته، وبقي المرحوم بوشعيب يعلق على هذه القطعة الخضراء من الثوب أياما معدودات، حتى كان حّ عمر يتضايق من تعليقاته رحمهما الله جميعا.

ومشكلة أخرى اعترضتنا — والمشاكل كثيرة ومتعددة — هي مشكلة الغسل أو التيمم لأداء الصلوات فأحيانا لا يتيسر للسجين أن يغتسل رغم وجوب الغسل عليه، ولا يوجد لديه الصعيد الطيب الذي يتيمم عليه فهل يصوغ أن يتيمم السجين على الجدار أو الأرض المبلطة بالاسمنت أو لا يصوغ له ذلك وهل يؤدي صلاته دون وضوء وتيمم أو تسقط عليه، والمسألة خلافية، والفقهاء قالوا قديما في البيتين المشهورين :

ومن لم يجد ماء ولا متيمّما فأربعة الأقوال يحكين مذهبا
يصلي ويقضي عكسه قال مالك وأصبغ يقضي والأداء لاشهبا

فالمسألة خلافية بين الفقهاء، وقد اهتديت انا لأخرج من هذا الخلاف فطلبت من أخي أثناء زيارته لي أن يجعل حجرة صماء داخل آنية الطعام الذي يوجهه لي، وتختلط مع قطع اللحم والخضر حتى لا يشعر بوجودها الحراس الذي يراقبون الأطعمة التي ترد على السجناء، وهكذا وصلتني «الحجرة» المنشودة، فخرجت سالما من خلاف الفقهاء رحمهم الله.

إذا ما حل عيد من الأعياد الثلاثة، فإنّ «الأشغال والخدمات تقف، فلا يبارح السجناء زنازنهم وفي عيد الأضحى المبارك، تذبح ثلاثة أكباش أو أربعة، ويوسع على السجناء بإضافة قطع من اللحم إلى الأكلة التي تقدم للسجناء، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإننا لدى سجننا بعد أحْداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944 كنا بإحدى الزنزانات وكان معي بنفس الزنزانة الأخ عبد الرحيم بوعبيد وأخ آخر نسيت اسمه، وجاء يوم عيد الأضحى، وبينما نحن جالسون نتذاكر ونعلق إذا بباب الزنزانة يفتح علينا، وإذا نحن بالمرحوم المهدي بن بركة يدخل علينا حاملا في يده قطعاً من الكبد المشوي أبى أن يختص بها دون إخوانه، ذلك أنه كان مكلفا أو مساعدا في القسم الاقتصادي بالسجن، ولما علم رئيس السجن أنه أستاذ في الرياضيات وكانت له أي للرئيس بنت أو ابن تدرس في ليسي كورو الذي كان المهدي يعطي دروسا فيه — أقول لما علم أنه أستاذ في الرياضيات طلب منه أن يعطي دروسا تكميلية لابنته أو ابنه، ونظرا لهذا الامتياز الذي حصل عليه، كأستاذ لبنت رئيس السجن، فقد أصبح له وزن

داخل إدارة السجن وكذلك بعض الحرية داخل السجن، حيث ينتقل بين الزنزانات ليسجل ما يطلبه السجناء من سكر أو دخان أو مربّى يشترونه من متجر السجن «الكانتينة» لقد اغتنم المهدي فرصة عيد الأضحى فحصل على قطعة من كبد الأضحيات التي ذبحت للسجناء، وبعد شويها اتفق مع الحارس ولعله بإذن من الرئيس أن يفتح باب زنزانتنا (ليعيد معنا) وهكذا فتحت له الأبواب، وحصل التلاقي، وكانت ساعة من أمتع ساعات العمر، وأذكر أن المهدي رحمه الله وقد انتهينا من أكلنا وصرنا نشرب الشاي، أشعل سيجارة من السجائر التي لديه وناول الأخوين اللذين معنا سيجارة لكل واحد، ولما بقيت وحدي لم أتناول سيجارة ألحّ كل الالحاح على أن لا أخرج عن الجماعة وأتناول بدوري سيجارة، فلم يسعني والحالة هذه تحت إلحاحه وتضامن الاخوان معه، إلا أن آخذ سيجارة وأجعلها في فمي، فكانت أول مرة أجعل فيها سيجارة في فمي، وإن كنت لم أتذوق لها طعما مطلقا.

ومن ذكرياتي عن السجن في فترة 1937 ان حل علينا يوم عرفة، وكان قد مضى علينا في السجن ما يقرب من أربعة أشهر، فقررت أن أصوم ذلك اليوم كما هي السنة، ولكني بالاضافة إلى الصوم عن الطعام صمت حتى عن الكلام، فكان ان فتحت في الصباح قراءة القرآن ابتداء من سورة الفاتحة، وما جاء وقت الغروب حتى كنت أقرأ سورة قل أعوذ برب الناس، فختمت القرآن جميعه في ذلك اليوم، سائلا الباري عزت قدرته أن يتقبل مني ختم القرآن، ويتجاوز عما كان في تلاوته من السهو والنسيان.

* * *

في فجر ذات يوم ونحن نائمون، نُودِيَ علينا ان تهيأوا للرحيل والانتقال، إلى أين يارب سيذهبون منا ؟ لسنا ندري، لم يقع نقل جميع السجناء، وإنما تم نقل الذين كان محكوما عليهم بأكثر من ستة أشهر — على ما أظن — وما هي إلا بضع دقائق حتى كنا واقفين أمام باب السجن لتقلنا السيارات التي أعدت لنقلنا.

واتجهت السيارة التي كنت فيها إلى ناحية الدارالبيضاء، وكم كان شعوري رقيقا وحساسا وأنا أنظر إلى اسفار الشمس لتطل علينا بذلك اللون الباسم الضاحك الذي لا شعاع فيه وكأنني لم أعش في أية لحظة من لحظات حياتي ذلك الأفق الوضاء في ذلك الصباح الهادئ الناعم. وسرنا وسرنا ولا ندري إلى أين نسير، والحراس معنا لا ينبسون ببنت شفة أمامنا، وما هي إلا ساعات معدودات حتى كنا بسجن «العذير» ما بين آزمور والجديدة وسجن «العذير» هذا، سجن فلاحي، لا يرسل إليه إلا المحكوم عليهم بالمدد الطويلة، أو الأشغال الشاقة، ففيه — مثل سجن علي أو مومن — يلتقي السجناء من الطراز الرفيع المثقل بالسنوات العديدات، وقد يقضي فيه السجين عشرين سنة، حتى يصبح عالمه هو عالم المسجونين، لا يعرف غيره، وأذكر أنه كان يوجد بهذا السجن شخص نحيف السجم، قصير القد، ربما كان ارتكب

جريمة كبيرة، فحكم عليه بمدة طويلة، قضاها كلها بهذا السجن حتى ألفَه، كان هذا السجين يتنقل بحرية داخل السجن، يجمع ما تبقى من السيجارات التي يرميها السجناء في صحن السجن، وعندما يتجمع لديه قسط لا بأس به من بقايا السيجارات التي كانوا يسمونها «بالبينتات» يبيع ذلك لبعض السجناء الذين ليس لهم رصيد ليشتروا به السيجارات المستعملة.

هذا السجين المسكين، خبرته إدارة السجن بأن مدة سجنه أوشكت على الانتهاء، وانه سيطلق سراحه عما قريب، فارتاع لهذا الخبر السيء المُحْزن، وصار يشتكي لأصدقائه ومعارفيه السجناء، إلى أين سيذهب ؟ وكيف سيعيش إذا ما فتحت أبواب السجن أمامه، ومن سيعوله ؟ وفي أي مكان سيستقر وينام ؟ أسئلة كثيرة صار يضعها على نفسه، لأنه لا يعرف عالما غير عالم السجن والسجناء، ولست أدري كيف كان مصيره بعد سراحه ؟

* * *

عندما وصلنا إلى سجن «العذير» وبعد الترتيبات الادارية المعهودة من تسجيل وأخذ الأرقام، أدخلونا إلى بيت متسع يقع في ركن من أركان السجن، ولم يكن في ذلك البيت وطاء ولا غطاء، وإنما هي الأرض التي خلقنا الله منها وفيها يعيدنا ومنها يخرجنا تارة أخرى، وبعد فترة زمانية أعطونا حصيرا وكاشتين (ملاءتين) واحدة للفرش والأخرى للغطاء، والواقع أنني لم أتضايق من هذا البيت الجديد، فهو على كل حال نظيف ومتسع، وأحسن من بيوت سجن الرباط.

استقررنا كل في مكانه الخاص به، وما هي إلا لحظات حتى فتح علينا الباب ليدخل علينا حجام من السجناء حاملا في يده موسى للحلاقة من صنع السجن نفسه، وهي عبارة عن قطعة حديدية كبيرة الحجم بالنسبة لأدوات الحلاقة التي نعرفها.

إن القاعدة المتبعة في نظام هذا السجن ان السجين عندما تطأ قدمه أبواب السجن يحلق رأسه أولا وقبل كل شيء، وهكذا طلب منا نحن السجناء الجدد أن نستعد لاعطاء رؤوسنا لتُجز كما تجز الأغنام، وتناولنا النظرات مع بعضنا بعضا، ورأينا أنه لا مناص من الامتثال، وكنت السابق لهذا الجز الأليم الفظيع، فجاء الحلاق الجزار أمامي لأعطيه رأسي متكلا على الله، وما أن شرع في عمليته، حتى اكتشفت ولاحظ إخواني وهم ينظرون إلي بحزن وألم ان أداة الحلاقة (الموسى) المصنوع داخل السجن يرسم خريطة في رأسي والدم يسيل، والألم يتكاثر، بسبب أن الموسى حافية لا تحلق الشعر إلا بمشقة وجهد، أتحمل آلامهما، وبسبب ان الحلاق استعمل الماء وحده دون خلطه بشيء من الصابون، وهذا ما أثار استنكار الرفقاء الذين كانوا ينظرون إلى الحلاق وهو مشمر على عضديه وكأنه يقوم بغزوة في رأسي، فقالوا له : لماذا لا تستعمل الصابون ليساعدك على الحلاقة ؟ فأجاب بأنه ليس لديه صابون، فأظهروا له أنهم

لا يقبلون أن يقع لهم ما وقع لي، ولذلك لابد من البحث عن قطعة من الصابون ليعطوه رؤوسهم، وهكذا أمام إصرارهم اضطر إلى الخروج للبحث عن الصابون فرجع بعد فترة وجيزة حاملا قطعة صغيرة من الصابون قال انه ظفر بها من بعض السجناء.

وجاء المساء لنستمع إلى أصوات تتلو القرآن الكريم، آتية من قريب فإذا هي أصوات سجناء وطنيين آخرين، يوجدون في بيت مجاور لنا وغير بعيد عنا، وإذا هم إخواننا الذين ألقي عليهم القبض في قبيلة آيت أوريبل القريبة من الخميسات في زمور.

لقد كانت جماعة كبيرة من الوطنيين المنتمين للحزب الوطني حوكم جميع أفرادها بسبب انتمائهم للحزب، وتمسكهم بدينهم، وحفاظهم على قرآنهم، ومن جملة ما قامت به هذه الجماعة المومنة إقامة احتفال ديني بالمسجد الأعظم بالخميسات إعلانا عن تمسكها بالاسلام ورفضها للاعراف البربرية التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما أنها احتجت ضد إقامة موسم مسيحي بالخميسات للقديسة «سانت تيريز» داعية الكاثوليكية بالمغرب، وفي الوقت نفسه أرادت أن تقيم تجمعا قرآنيا بالمنطقة ولعلها في آيت وريبل بالذات وكان يقام كل سنة فتدخلت السلطة الفرنسية ومنعت هذا الاحتفال واشترطت أن لا يقام إلا إذا لم يقرأ فيه القرآن فقامت مظاهرات كبرى بالخميسات تدخل فيها الجيش وألقى القبض على الكثيرين من أفراد تلك الجماعة، وأغلبيتهم الساحقة كانت تحفظ القرآن الكريم. ومن جملة المقبوض عليهم شاب اسمه حمادي عمر وشيخ جليل اسمه سي سعيد وعبد الحميد الزموري وغيرهم.

لقد كنا نستمع لأولئك الاخوة الزموريين وهم يتلون الكتاب الحكيم النازل من رب العالمين فتمتلئ قلوبنا خشية، ونزيد إيمانا، بأن من يريد أن يطفئ نور الله بغطرسته وقوته، فإن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

* * *

لم يطل مقامنا «بالعذير» وإنما تقرر نقلنا إلى سجن «غبيلة» بالدار البيضاء، حيث جمعتنا المحنة بإخوان لنا من فاس ووجدة والرباط والقنيطرة والدار البيضاء وبعد مضي بضعة أشهر على سجننا، وسراح الاخوة الذين كان محكوما عليهم بأشهر معدودات، رأت السلطات الاستعمارية أن لا نبقى متفرقين في السجون، وإن تجمعنا في سجن «غبيلة» بالدار البيضاء وهكذا نقلت المساجين الوطنيين الذين كانوا بسجن «العذير» وسجن «علي اومومن» وسجن «وجدة» ولربما غيرهم نقلت الجميع إلى الدار البيضاء، وهكذا وجدنا أنفسنا متلاقين متحابين يقوى بعضنا بعضا، ويهنئ بعضنا بعضا على هذا التلاقي في سبيل الله ونصرة الحق والحرية والعدالة التي يطمح إليها شعبنا، ويعمل من أجل تحقيقها المضحون بأنفسهم وأموالهم وجميع

ما يملكون. لقد وجدنا أنفسنا مع إخواننا وأنصارنا وأحبابنا إخوانا على سرر متقابلين، بل إن لقاءنا بهذا السجن، ضاعف من إيماننا وقوة عزيمتنا والأمل في مستقبلنا، ورغم ما يعانيه المسجين من فقدان للحرية، وتنكيل من الأعداء، فإن اجتماعنا ولقاءنا في سجن البيضاء، كان بلسما للجراح. وتقوية للنفوس.

ولا يمكن أن ننسى ونحن في هذا السجن أن جماعة من الشباب الوطني الفاسي كانت إذا ما خرجنا من زنزانتنا الكبيرة لأجل الاستراحة «Promenade» تنظم نفسها اثنين اثنين، لتدور في الساحة الكبيرة المعدة للاستراحة وهي تنشد بغنة مؤثرة النشيد الذي كان وضعه الرئيس علال الفاسي بمناسبة ذكرى هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي قال فيه :

رفرفي فوق المغانـــــي	روح هادينـا الأميــــن
واغمرينـــا بالمعانــــــي	واملئينـــا باليقيـــــــن
ان للهجـــرة نـــــورا	يمـلأ الدنيـا سنـــاه
ان للقـلب ســــرورا	كل عام بلقــــــاه
حبـذا نفس تملـــت	منـه بالسر العظيــــم
وعن الأدنى تخلـــت	تطلب المجـد المقيـم
أيهـا الهـادي إلينـــا	قد خرجنا عن سبيلك
غير انا قد رجعنـــا	فاهدنـا صوب مقيـلك
نحـن أبطـال العزيمـــة	لا نبالـي ما لقينــــا
بمبـــاديك القويمـــــة	نتـأسى ما بقينـــــا
هكـذا قد علمتنــــا	همـة الصحب العتيـدة
الفـــدا قد عودتنـــا	والتفانـي في العقيـــدة

أصبح الجميع يتغنى بهذا النشيد الذي كان يزيدنا والحق يقال قوة في العزم، واستماتة في الحفاظ على المبادئ، وصبرا على المكاره. مهما كانت شدتها، فالقضية في نظرنا نحن الشباب الوطني ليست دفاعا عن الوطن فحسب، ولكنها دفاع عن المبادئ المثلى التي لقنها رسولنا الأمين لصحابته الأمجاد والتي بقيت إرثا ثمينا عندنا، لابد من الحفاظ عليه، والتضحية في سبيل اعزازه، والتأسي بمن جاهدوا وناضلوا وضحّوا في سبيل العقيدة المثلى، فهكذا علمتنا سيرة الصحابة الكرام، لانجاح بدون تضحية، ولا فلاح بدون التفاني في نصرة العقيدة.

ما إن مرت على لقائنا بضعة أيام، حتى زدنا تعرفا على بعضنا، فأمحت الفوارق بين المدن، إن لم أقل بين الطبائع، فصرنا كتلة موحدة التوحيد الحقيقي، وهل هناك وحدة هناك أهم وأقوى من وحدة العقيدة ؟ شعور قوي بالعزة والكرامة والاخوة ملأ نفوس الجميع، إقبال على أن ياخذ الأخ بيد أخيه، خصوصا في مجال التعليم والتثقيف، لم تكن جماعتنا كلها متعلمة، ولكن فينا

المثقف والمتعلم والتاجر والصانع والمحترف، وتطلع الأميون وأنصاف المتعلمين إلى التثقيف، فنظمت حلقات للتعليم في مستويات مختلفة، ولم تمض إلا بعضة أسابيع أو شهور حتى انمحت الأمية من الجماعة، وتكون أفراد لم يكن لديهم أي إلمام بالقواعد الأولى للعربية، فأصبحوا يحسنون التعبير، ويعربون الجمل، ويتدربون على الكتابة، ويخطئون الذين يلحنون أمامهم، ويستطيعون أن يطالعوا ما يقدم إليهم من كتب تتناسب مع مستواهم.

وفي دائرة التنظيم الذي لابد منه في قوانين السجون لابد أن يكون على رأس كل زنزانة كبيرة رئيس (شاف) تختاره إدارة السجن من بين السجناء، وكان رئيسنا في زنزانتنا هو المرحوم الشهيد محمد الديوري وأحياناً كان هو المرحوم أحمد بن دالي من وجدة ويظهر أن اختيارهما كان لأمرين أساسيين : أولهما أنهما كانا يحسنان الفرنسية، فيسهل على رئيس السجن ومديره وحراسه الفرنسيين التعامل معه وتبليغه التعاليم التي يودون أن يبلغوها لنا، وثانيهما انه رحمه الله كان ذا بسطة في الجسم، وتظهر على ملامحه علامات الجدية والصرامة، فلابد أنه بهذه الصفات يستطيع أن يفرض احترامه والانقياد إليه.

والواقع أننا كنا نظمنا أنفسنا تلقائيا، ونحن في أكثريتنا ملمون كل الالمام بقوانين السجن وتقاليده ولا نحتاج لمن يدربنا عليها، وسوف لا يجد السيد (الشاف) مشقة في تسيير هذه الجماعة.

ومن المقررات التي قررنا أداء الصلوات جماعة، وكان إمامنا على حسب ما أذكر هو أخونا العلامة الطيب الذكر المرحوم سيدي عبد السلام الوزاني الذي كان من جملة السجناء الذي ألقي عليهم القبض في مدينة «وجدة» وكان له اعتبار وأي اعتبار هناك حيث كان مديرا لمدرسة حرة أسسها الحزب الوطني بوجدة، ولربما تعتبر أول مدرسة حرة أسست فيها.

وكان في بعض الأحيان يؤدي بنا الصلوات الأخ الشهيد سيدي عبد العزيز بن ادريس والذي كان مثالا في الصبر والاستقامة والدين المتين، وأذكر أن سيدي عبد العزيز بن ادريس كانت له عناية كبيرة بعلم الفلك والتوقيت، ولم يسبق لي آنذاك ان كنت ملما حتى بالأوليات في هذا العلم، فكان رحمه الله يشرح لي في بعض الأوقات بعض قواعد هذا العلم، وكان باب زنزانتنا في بعض الظروف مصنوعا من شباك حديدي يمكن أن يطل منه على نجوم السماء، فكنا نجلس أمام الشباك ليشرح لي بعض قواعد النجوم في مسالكها.

ليست الأوقات كلها أوقات دراسة أو تعبد، لكن لابد من تخصيص بعض الأوقات للتسلية ولعب الورق أو الضامة أو غيرهما، وكما أشرت إلى ذلك من قبل، فإنه يوجد من اللاعبين ماهرون ومتوسطون وضعفاء، ولعلي كنت من هؤلاء الاخيرين، فإن المثل يقول من خالط قوما أربعين يوما تخلق بأخلاقهم أحب أم كره، ونظرا لأني عاشرت اللاعبين أشهرا متعددة، فلقد شجعوني لاخذ أحيانا قليلة في اللعب مع بعضهم، ولكنني لم يفتح علي في هذا الميدان، ولم

أعطه العناية التي يستحقها، فيمكنني أن أشد بعض الثلمة، وأتمم الجماعة إن كانت ناقصة ولكن الأنظار لا يمكن أن تتجه لي لأني لست «شديدا» وبالمناسبة أشير إلى أن لعب (الكرطة) ممنوع على السجناء، لأنه باب التسلية، والسجين ليس من حقه أن يتسلى، ولذلك فإن إدخال «الكارطة» إلى السجين ممنوع منعا كليا، ولكنَّ حيَل السجناء متعددة وكثيرة، وكثير من الممنوعات تكون رائجة في السجن، ومنها لعب «الكارطة» ان ادارة السجن تعطي الأوامر للحراس كي يفاجئوا السجناء أحيانا بتفتيش زنازنهم لعلهم يعثرون فيها على بعض الممنوعات ومنها «الكارطة» ولكن السجناء على تمام الاحتياط، فقد يأخذون الشيء الممنوع ويجعلونه في مكان لا يخطر ببال الحارس انه مخبأ فيه، كالمرحاض مثلا، فإنه يوجد بالمرحاض خزان صغير للماء «La chasse» وما بين هذا الخزان العلوي والجدار يمكن أن توضع بعض الممنوعات مثل الكارطة، ولا توخذ منه إلا في الأوقات التي تقفل فيها الأبواب الاقفال النهائي أي في وقت الزوال وفي العشي، حيث يتيقن السجناء انه مضمون الاقفال، وبالرغم عن ذلك فإن المراقبة الحراسية بالمرصاد، سواء بالطريقة العادية أو بالطريقة السرية، ومن هذه الأخيرة، جعلوا كوة صغيرة جدا لا تتعدى سنتيمتراً واحداً في باب الزنزانة وبها زجاجة مكبرة ومنها يستطيع الحارس أن يطل من خلف الباب، ليطلع على ما يقوم به السجين أو السجناء داخل الزنزانة، ولقد لاحظنا ذات يوم أن أحد الحراس الذين يحرسوننا كان أعور، وخبرنا أحد السجناء غير الوطنيين، أن هذا الحارس كان يكثر من الرقابة على السجناء من الكوة الصغيرة، فعمد هؤلاء إلى تكسير الزجاجة المكبرة حتى لا يبقى داخل الكوة الصغيرة حائل بين عينه وبين مسمار وضعوه في تلك الكوة، وما أن وضع الحارس عينيه في تلك الكوة، حتى دفع أحد السجناء بذلك المسمار في عين الحارس فكانت الكارثة عليه، بفقده لها، وحكايات السجناء مع الحراس وغيرهم من السجناء أنفسهم، حكايات متعددة لا مجال لذكرها بهذه المناسبة.

السجناء الذين جمعنا بهم سجن «غبيلة» كثيرون، منهم من وجدة السادة : احمد بن دالي، محمد بن التهامي برادة، سي بوزيان، محمد الدرفوفي، محمد بن تاهلة، محمد منصور، سيدي عبد السلام الوزاني.

وأحد هؤلاء الاخوة وهو السيد يحيى.... كان كثير النكتة ومن جملة ما ذكره لنا ذات يوم وهو يتظاهر بالجدية فيما يقوله : انه يرفع أمره إلى الله سبحانه فيما قامت به والدته إزاءه، فقلنا له : وما فعلت بك والدتك حتى تشكو أمرك إلى الله ؟ فأجاب : لقد قامت بأمر عظيم نحوي، وانا أعاني منه اليوم ما أعاني، قلنا له هل لك أن توضح لنا أكثر ؟ قال : منذ صغري حتى كبرت وهي تدعو لي بهذا الدعاء : (سِرْ يا ولدي يحيى، الله يعطيك خبزة باردة، الناس يخدموا وانت تأكل) قال يحيى : لم أكن ألقى لهذا الدعاء بالا، حتى جئت معكم إلى السجن، فأصبح السجان يدفع لي ــ مثلكم ــ خبزة باردة كل صباح، وأنا جالس هنا

مقهور، لا شغل لي «والصوبة» أي الشربة تاتينا في الصباح والمساء فأدركت الآن أن هذه دعوة والدتي استجابها الله، فوالدتي التي جنت علي بدعواتها صباح مساء، فأمري وأمرها إلى الله.

ومن السجناء الذين أتذكر أسماءهم من فاس، الاخوة : عبد العزيز ادريس، الهاشمي الفلالي، بوشتى الجامعي.

من السجناء الذين جمعني بهم السجن من مدينة القنيطرة الاخوة : محمد الديوري، احمد بن دلة، محمد بن الجيلالي بناني، مولاي ادريس البوعناني، سيدي مشيش العلمي، الصديق المكينسي، وفيما يتعلق بسيدي مشيش العلمي، كان رجلا كبير السن، جليل القدر، ذا لحية بيضاء، عليه مهابة، وكان بالاضافة إلى ذلك من الأسر الشريفة العريقة، ومن أكابر التجار في القنيطرة، وكان أول من أتى إلى القنيطرة وعمرها بالتجارة، وعمل على تقديمها وعمرانها أوائل الحماية الفرنسية، بعد أن كانت قصبة أو قرية صغيرة لا يؤبه لها، وبهذا الاعتبار فقد كانت مكانته عالية، ومقامه مقاما محترما للغاية، كان عائشا في البذخ والسعة، ووفرة الأموال، يقصد بيته الأفاضل من الناس من مختلف الجهات، فأنت إذا زرت «القنيطرة» وكنت من ذوي الوجاهة أو العلم أو الثراء لابد أن تقصد بيت سيدي مشيش العلمي، ولابد أن يستضيفك سيدي مشيش العلمي.

هذا الرجل ذو هذه المكانة، كان يتعاطف التعاطف الكلي مع الحركة الوطنية ومع رجال الحزب الوطني، وبهذا الاعتبار فإن الاستعماريين ينظرون إليه نظرة حذرة، ويرون فيه الرجل التاجر المؤيد للحزب وللحركة، حتى إذا جاءت 27 اكتوبر 1937 كان من جملة المعتقلين الذين جمعنا وإياهم سجن «غبيلة» بالدار البيضاء والمهم في الأمر أن هذا الرجل رغم كبر سنه، وعظمة مكانته ونشوئه في البذخ والترف، لم تفارق الابتسامة ملامح وجهه، وهو في غيابات السجون، ولم يشبه قنط ولا اشمئزاز وقد خرج من حياة الرخاء والسعة والراحة، إلى حالة النوم على الحصير، والاكتفاء بالقدر اليسير من الطعام، والحياة بين جدران أربعة مقفلة عليه أناء الليل وأطراف النهار، فهو راض تمام الرضى، وهو مطمئن تمام الاطمئنان، وإذا تلاقيت معه لا يخاطبك إلا بكلمة كان يقولها رحمه الله وهي كلمة «مْرُونقة» لم يكن معنا سيدي مشيش في نفس الزنزانة التي كنا فيها، ولكنه كان في زنزانة أخرى، وكنت إذا ما رأيته مارا في الساحة لدى خروجه من زنزانته للراحة أو لاستقبال أحد أولاده الذين يزورونه، أزيد تقديرا له، ويقينا بأن حركة وطنية تضم في صفوفها مثل هذا الرجل لابد أن تنجح، ولأبد أن يحقق الله لها الانتصار، وسيدي مشيش هذا كان له إلمام بالطب الشعبي المعتمد على العشوب الطبيعية، ولعله أخذ ذلك عن والده أو بعض أقاربه الذين درسوا الطب بمصر في عهد السلطان المولى الحسن الأول، فهو إذا ما زاره أحد أقاربه في السجن يطلب منه دائما أن يزوده ببعض العشوب، ومنها عشب يسمى (بنانوخة) يساعد بها بعض المرضى أو يستعملها هو لنفسه.

ومن السجناء الذي انتقلوا معنا من سجن الرباط إلى «العذير» ثم «غبيلة» المرحوم الفقيه محمد غازي والمرحوم سيدي ح احمد الشرقاوي والمرحوم عبد اللطيف العتابي والمرحوم المعطي الشرقاوي والمناضل الصامد ح محمد عليوة، فهؤلاء عرفتهم في السراء والضراء، فكانوا إخوة صادقين في وطنيتهم، ومخلصين في عقيدتهم ثابتين على مبادئهم، وإذا كان المثل المغربي يقول : إنك لا تعرف الأشخاص حق المعرفة إلا إذا سافرت معهم، فإني أقول لا يمكنك أن تتعرف إلى صدق الناس في وطنيتهم وعقيدتهم، إلا إذا سجنت معهم، فالسجن معيار للثبات والصدق وحسن المعاشرة والايثار، ولا تعرف أهمية هذه الصفات إلا في الامتحان.

ومن الذين تعرفت عليهم من الخميسات المرحوم حمادي عمر، وكان من الزمرة المومنة الصادقة.

كثير من الذكريات تبقى عالقة بالأذهان رغم مرور الأزمان، وأكثر منها تنسى مع مرور الأعوام ومن جملة ذلك ما لا أزال أذكره في حق الأخوين : عبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي، فلقد كانا يعيشان في السجن كالشقيقين، فقلما تجدهما مفترقين، سواء في وقت الأكل أو في وقت اللعب، وإن كان «العتابي» لا يحسن أية لعبة، وان كان كثير التعاليق وإذاعة الأخبار وذات يوم زار السجن أحد الأطباء أو أحد المساعدين لست أدري، ومعه بعض الأدوية أو بعض الحقن قال انها اختراع جديد، وان لها فوائد كثيرة، وكان قصده أن تجرب على المساجين، فطلب منا نحن المساجين أن نستعملها دون الزام ــ والحق يقال ــ فما كان من العتابي والمعطي إلا أن يبادرا بقبولهما استعمالها، وهكذا لقحا بذلك الدواء، فلم تمض إلا ساعات معدودات حتى أصابتهما حمى شديدة، اضطر بسببها المسؤولون في السجن إلى أخذهما لعيادة السجن قصد معالجتهما وبعد أيام، عديدات رجعا إلينا، وهما في حالة ضعف وتعب، بسبب فضولهما رحمهما الله. ومن الذين مرضوا في السجن مرضا خطيرا أخونا الحاج أحمد الشرقاوي، فلقد أجريت له عملية جراحية على معدته، بسبب ما كان يعاني من ألم، ففارقنا مدة تزيد على الشهر ان لم تخنى الذاكرة أما أخونا محمد غازي فلقد كان مصابا بداء البواسير، فأخذوه أيضا إلى عيادة السجن ولست أدري أأجروا عليه عملية جراحية أم لا ؟ ولكن الذي أريد أن أسجل هنا انه لدى مقامه بعيادة السجن أعطوه بعض ألبسة السجناء، ومن جملتها معطف كبير، كان يسميه رحمه الله «بكران كبوط» وكم كنا نمزح معه وهو ممتط ذلك المعطف الخشن المصنوع داخل السجن ومن ثوب لا يلبسه إلا السجناء.

ومن الذكريات التي ربما لا يدرك قيمتها إلا الذين ذاقوا مرارة السجن وآلامهُ ومتاعبه، والتي لم أسجلها نظرا لكثرتها. فمن ذلك، ان نظام السجن يقتضي إطفاء الأنوار على السجناء في الليل ولا تنار زنزانة السجن إلا في وقت محدود للغاية، فالسجين ليس من حقه أن يتمتع بالضوء إلا

بالمقدار الذي يسمح له مثلا بتناول طعام العشاء، أما في فصل الصيف حيث يكون النهار طويلا، فإن السجناء، ليس من حقهم أن يتمتعوا بالضوء أصلا، لأن المفروض أنهم يتناولون عشاءهم في العشي، ولذلك فلا ضرورة تدعو إلى إنارة الزنازن أصلا إلا إذا كان شهر رمضان فإن الانارة تقع ولكن في وقت محدود للغاية والسجناء — ونحن منهم — يالفون كل ما يفرضه النظام، أحبوا أم كرهوا، ولكنهم مع ذلك يبقون متذمرين، ويريدون ومنهم المتدينون الذين يريدون أن لا تطفأ عليهم الأنوار إلا بعد أدائهم صلاة العشاء، ولكن الله غالب على أمره.

ذات ليلة حلا لبعض الاخوان أن يسهروا بعض الشيء، ويتحدثون إلى بعضهم بعضا رغم فقدان النور، فاهتدى أحدهم إلى حيلة ظن أنها ستخفى على الرقباء، والحراس، وكان لديه حك (علبة من القزدير) يكون مملوءا بمادة طابه (التنفيحة) وطابة مثل السجائر ليست ممنوعة فاهتدى إلى أن يجعل في تلك العلبة قطرات من الزيت، استخرجها من الطعام الذي وصله من عائلته، ثم جعل فيها قطعة صغيرة من الثوب فتلها كثيراً حتى صارت عبارة عن خيط صغير غليظ بعض الشيء، ثم جعلها في العلبة، مبرزا رأسها من جانب العلبة، ثم أشعلها، فأنارت بعض الشيء الجانب الذي كان جالسا فيه، واعتبر الجميع هذا اختراعا عظيما من حق صاحبه أن يسجله حتى لا يسرقه منه آخرون، ولكن ما هي الا ساعة أو ما يقرب منها، حتى لاحظنا أن الحارس بالمرصاد، وانه سيكتشف هذا الاختراع الذي سيؤدي بصاحبه إلى ما أدى إليه صاروخ العراق، وهكذا في الحين أطفئت العلبة، وكفى الله المومنين القتال.

السجين محروم من كثير مما يتمتع به غيره، ومن ذلك فليست لديه كؤوس يتناول بها الشاي أو القهوة التي قد تاتيه في قنينة نحاسية أو إذا ما أتته في قنينة زجاجية فلابد أن تفرغ في أخرى غير زجاجية حتى لا يستعمل الزجاج في الانتحار مثلا، لقد كان يصلنا الشاي والسكر، وكانوا يمدوننا بالماء الساخن لنستعمله في تهييء الشاي، وهنا تكون المشكلة، فالماء لا يمكن أن يحتفظ بحرارته حتى تهيأ به شاي يمكن أن يشرب، وهنا ظهر مخترع بارع لدينا، لقد طلب من بعض السجناء كانت لديه «طنجرة» من مادة تسمى «بالبروص» ولما وزع علينا الماء الساخن، جعله فيها ثم جعل فيها الشاي والسكر وغطاها «بفوطة» وجعل فوق «الفوطة» ملاءة من ملاءة السجن قفلها عليها مثل ما يقفل على طنجير «الكسكس» وطلب منا أن ننتظر كثيرا حتى يطبخ الشاي طبخا متقنا فيمكن تناوله وشربه بشهية. وكان اختراعا موفقا بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك. وهنا أسجل مبرة كان قام بها نحوي أحد آباء الرفقاء السجناء الوطنيين هو المرحوم السيد أحمد عليوة الذي لم يسبق لي أن عرفته، لقد زار ولده الأخ الحاج محمد عليوة ذات ليلة، فطلب منه أن ياتيه بكأس من «البروص» ليتناول به الشاي، لأن كؤوس الزجاج ممنوعة — كما ذكرت من قبل — والسجناء يتناولون القهوة والشاي في كأس من قزدير يسمونه «كار» أي ربع ليتر. ولكن ذلك الأب الكريم تعرف على ذات يوم، في القفص الحديدي — الذي يلتقي من ورائه السجناء مع ذويهم الذين يزورونهم، ولعل ولده

حدثه عني ـــ فلما أتى بالكأس لولده، أتى معه بكأس ثان قال لولده انه اشتراه لي، فكانت منه التفاتة رحمه الله.

إنني آسف لأني لم أسجل ارتساماتي وذكرياتي على السجن والسجناء في وقتها، واني أكتب هذه الذكريات وقد مضت عليها سنوات تزيد على الخمسين، وهي قُل من كثر، وهي في الواقع تذكرنا بفترة من فترات حياتنا لابد من العودة إليها لأخذ العبرة، وحمدا لله على التوفيق.

* * *

بعدما مضت علينا تسعة أشهر في السجن، صرنا نعد الأيام عدا، فلم يبق أمامنا إلا ثلاثة أشهر لنغادر السدود والقيود، وشعور السجين، يختلف بين أوائل أيامه في السجن وبين أواخرها، فمهما اقترب موعد المغادرة، طالت الأيام والليالي عليه، وصار الشهر سنة، والأسبوع شهرا، وصدق الله العظيم : (وخلق الانسان عجولا) وكم كان بعض الرفقاء يستعجلون أكثر من اللازم خروجهم، وينتظرون اليوم الموعود، فالمحكوم عليهم بستة أشهر سجنا ويقضون أربعة أشهر أو خمسة، يكون الشهر الباقي عليهم طويلا وطويلا جدا، بينما المحكوم عليهم بسنة أو سنتين يكونون في ذلك الوقت مستسلمين وغير عادين ما بقي لهم من شهور في السجن حتى إذا قرب موعد مغادرة السجن بشهرين أو شهر طالت عليهم المدة، فصاروا يعدون الأيام والليالي الباقية وربما يكتب السجين الأيام الباقية عليه مثل حصة الصلاة، فمهما مر يوم من الأيام، إلا وجعل عليه علامة الانتهاء، وكم كنا نجلس مع بعضنا نتحادث فنرى واحدا من إخواننا شارد الذهن، يفكر في يوم الخروج، فينطق المرحوم الفقيه محمد غازي قائلا : أمامنا ثلاثة أشهر لمغادرة السجن، فالشهر الذي ابتدأناه الآن لا ينبغي أن يحسب لأن كل مبتدإ متموم والشهر الذي سنخرج فيه لا ينبغي أن يحسب أيضا لأنه شهر المغادرة، فيكون الذي بقي علينا في السجن هو شهر واحد وهو الشهر الوسط، فنضحك ونتسلى ونسلي غيرنا بأن ما بقي علينا قضاؤه في السجن هو شهر واحد.

ومادمت لم أغادر السجن ومتاعبه وذكرياته، اثبت هنا التفاتة قيمة ومعبرة أتت من الملك الصالح سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه، ذلك أنه بلغنا ونحن في السجن نبأ إصابته بمرض اضطر معه إلى دخول المستشفى للعلاج أو لاجزاء عملية جراحية، فارتعنا وتألمنا لهذا الخبر. ثم بلغنا انه تماثل للشفاء وخرج معافيً سليما فحمدنا الله ودعونا لملكنا الهمام بالتوفيق والسداد، والنصر والتأييد وطول العافية، ولقد بدرت بادرة من إخواننا الوطنيين الذين كانوا في سجن (علي اومومن) فبعثوا برسالة من السجن إلى جلالته يهنؤونه بسلامته وشفائه، ويدعون له بطول العمر ودوام الصحة، فما مضت مدة على إرسالهم لهذه الرسالة حتى وردت عليهم برقية جوابية من الصدر الأعظم محمد المقري يقول فيها :



جلالة الملك الصالح محمد الخامس في منفاه
وبجانبه ابنته الصغيرة للا أمينة

الحمد لله.

إلى المعتقلين بسجن (علي اومومن) الذين أولهم الهاشمي الفلالي وآخرهم مَحمد بن الجيلالي بناني. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد توصلنا بمكتوبكم مهنئين فيه جلالة الملك، بمناسبة ما منَّ الله عليه به من شفاء، وقد رفعنا كتابكم إلى جلالة الملك، فاطلع على تهانيكم، وهو يدعو لكم بالخير، وعلى المحبة والسلام.

في 5 محرم 1357 موافق لـ 7 مارس 1938
الامضاء : **محمد المقري**

* * *

ولعل هذه الرسالة الملكية تعتبر فريدة في التاريخ، فما سمعنا وما قرأنا أن ملكا من الملوك كاتب جماعة من المسجونين، يزودهم بصالح دعائه، ويبادلهم محبة بمحبة، وتقديرا بتقدير، ولقد كان ما بعث به محمد الخامس إلى السجناء الوطنيين بسجن علي أومومن صفعة قوية للمقيم العام الفرنسي «نوكيس» الذي كان يصول ويجول بعد أن فتح السجون وملأها بالصادقين الأوفياء لدينهم ووطنهم وملكهم، لا لذنب اقترفوه أو جرائم أتوها، وإنما لأنهم طالبوا بحرية بلادهم واستنكروا المظالم التي يعاني منها إخوانهم في الحواضر والبوادي ولقد كانت أيضا صفعة ثانية لادارة الأمور الأهلية التي كانت تدس الدسائس لتفرق بين الملك وشعبه، وتجعل الملك يشك في صدق الوطنيين نحوه وتعلقهم بعرشه، فكان جواب الملك لاخواننا رفضا لتلك الترهات، وقضاء على تلك الدسائس.

لم أرد أن أعطي وصفا دقيقا لما كان نعانيه من حرمان داخل السجن مثل ما يفعل بعض كتاب المذكرات، لأن الوطني عندما يوطن نفسه على الدفاع عن بلاده، لابد أن يكون راضيا سلفا عن تحمل المتاعب ومستعدا نفسيا لها، ولكني مع ذلك لا يمكنني أن أغفل عن ذكر ما تحمله إخواني الوطنيون الفاسيون والقنيطرون من أهوال، وما قاسوه من محن، لم نتحمل نحن مثلها ولا قريبا منها. ففي سبيل الله مالاقوه من تعذيب وتنكيل، وهنيئا لهم صبرهم وتحملهم، وهنا لا يمكنني كذلك أن لا أسجل موقف الحركة القومية من التضامن مع الحزب في محنته، وما قاساه الكثيرون من أعضائها مع إخوانهم في الحزب الوطني من متاعب وأهوال ولابد أن أترحم على الشهيد الفقيه محمد القري ولابد أن أنوه بصمود الاخوة : الهاشمي الفلالي وعبد العزيز بن ادريس وعبد الهادي الشرايبي وأحمد بن التهامي الوزاني وابراهيم الكتاني ورشيد الدرقاوي والشهيد محمد الديوري ومَحمد بن الجيلالي بناني واحمد بن دله وادريس البوعناني وغيرهم والصديق المكينسي ممن لم استحضر أسماءهم، فلقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين.

أثناء فترة سجننا، كان الحزب قد نظم بعض اللجان أسماها لجان الدعاية والاستخبار، وهذه اللجان كانت تقوم ببعض النشاطات السرية مثل طبع المنشورات وتوزيعها ببعض المناسبات، كرد على بعض التصريحات الذي يفضي بها رجال الادارة الفرنسية وكالمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، وكالتأكيد على أن الحركة الوطنية لم تمت بفقدان زعمائها ورؤسائها الذين غصت بهم السجون والمنافي وهلم جرا.

* * *

ثلاثمائة وخمسة وستون يوما قضيتها على التمام والكمال في عالم السجن والقيود، لا أقول إنها ضاعت من عمري، ولا أقول إنني ندمت على قضائها في السجن، لأني ذهبت إلى السجن، وأنا مومن كل الايمان بأن واجبي كان يفرض علي أن أقدم ما أستطيع أن أقدمه ثمنا لحرية بلادي وحرية مواطني أمتي وسواء أكان السجن سنة أو سنتين أو أكثر أو أقل، فالغاية واحدة، هي الاصرار على المطالبة بالحريات العامة لأبناء شعبي، والمطالبة بتحقيق المطالب المستعجلة لأبناء وطني.

* * *

في السجن عبر ومعاني ودلالات لا يدركها حق الادراك إلا المسجونون، في السجن يتعرف الانسان إلى حقيقته، وإلى حقيقة الآخرين، سواء منهم الذين يضمهم السجن معه، أو الذين يكونون خارج السجن، السجن مدرسة ليست كبقية المدارس التي يتعرف إليها الطلقاء، ويعيش بين جوانبها الأحرار، في السجن يتعرى الانسان عما يكسو به نفسه من مغالطات ومظاهر غير حقيقية، ويظهر للناس طوعا أو كرها بحقيقته التي هو عليها، فالمعايشة ليل نهار، وفي الاصباحات والمساءات، وفي مختلف فصول السنة الأربعة، تظهرك لمن معك على حقيقة طبعك، وحقيقة تعاملك، وحقيقة أخلاقك، وحقيقة تصرفاتك، والانسان السجين يستفيد من عشرته للآخرين الذين يوجدون معه في السجن ما لا يستفيده خارج السجن، وما لا يستفيده من مطالعة كتاب أو كتب، عاشر من تشاء خارج السجن السنة والسنتين والسنوات العديدة، تتعرف إلى بعض طبائعهم وحقائق نفسياتهم، ولكن يغيب عليك الكثير من هذه الطبائع والنفسيات، وعاشر الناس في السجن السنة أو السنتين، تعرف الكثير مما كان يخفى عليك من طبائعهم وحقائق نفسياتهم، ومن هنا أستطيع أن أقول إن السجن مدرسة من مدارس الحياة الحقيقية، المتخرج منها لابد أن يحصل على شهادة في معرفة الحياة، في السجن تتجلى أمامك حقيقة رفيقك الملازم لها، سواء في عمق وطنيته أو هدف تدينه، أو الاخلاص في صداقته، أو في تسامحه وإيثاره، أو في صموده وثباته، أو في صبره وتحمله، أو في سمو أخلاقه وطهارته، أو في رزانته وتعقله، أو في شراسته وتنطعه، أو في تظاهره على غير حقيقته،

السجن مرآة حقيقية تستطيع أن ترى فيها السجين كما هو دون تزييف أو ماكياج أو اصطناع. في السجن تأخذ دروسا عدة، إذا كنت ترغب في الاستفادة، وتتعلم من دروس الحياة ما ينير لك السبيل لدى معترك الحياة، قد تكون لك فكرة عن شخص خارج السجن حسنة أو سيئة، حتى إذا سجنت معه، وجدت نفسك خاطئا الخطأ كله، فتتغير نظرتك إليه، لأن حقيقته انكشفت إليك، ونزعت منك ذلك الانطباع الذي عندك نحوه.

في السجن تعلمت الكثير، واستفدت الكثير، وزادتني السجون التي أتت بعد هذه السجنة والتي أتمنى — إن شاء الله — أن أتحدث عنها — زادتني معرفة بالناس والحياة، أفادتني في تعاملي مع الآخرين.

في مرحلة السجن يتاح للانسان أن يراجع نفسه، ويتفكر التفكر الحقيقي فيما هو مقدم عليه في مراحل حياته المقبلة، ويقرر كيف سيبني مستقبله ؟ وكيف يكون تعاونه مع إخوانه، والسجين الوطني يدرك تمام الادراك أن التضحية في سبيل الله والوطن شيء شريف، ولكنه يدرك أيضا أن مرحلة المقاومة طويلة وشاقة ومضنية، ودون الوصول إلى تحقيق المطامح عقبات ومشاق وسجون وتضحيات، ويسائل نفسه هل بعد انقضاء هذه المرحلة التي هو فيها، سيبقى موطد العزم على الاستمرار إلى أن تتحقق الأهداف ؟ أم ستضعف عزيمته وتنهار إرادته، أمام المتاعب والمشاكل والعقبات. كثير من الناس، كانوا وطنيين متحمسين حتى إذا ما ابتلوا بالسجن أو النفي والتعذيب، خارت قواهم، وضعفت معنويتهم، فوقفوا في الطريق، ولم يواصلوا السير إلى النهاية. فعاشوا وكأنهم لم يساهموا بأي مقدار في معركة النضال والكفاح، وبعض الناس انهارت معنويتهم-الانهيار الكلي بسبب سجنهم وامتحانهم، فلم يكتفوا بعدم مواصلة السير، بل مالوا إلى الجناح الآخر، جناح الاستسلام المطلق ومقاومة الاتجاه الوطني، وكثيرون والحمد لله، لم يزدهم الامتحان إلا ثباتا ورسوخا في العقيدة، وعزما وإرادة في معركة الكفاح، وهكذا هي الحياة، لا ينظر إليها الانسان بالمنظار الواحد، ولا يتحمل متاعبها إلا من وفقهم الله وقوى عزائمهم، فلم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا، بل صبروا وصابروا، واستماتوا وكافحوا وثبتوا، فكانت العاقبة لهم، وكان النصر حليفهم ولو بعد حين.

تجديد العزم وتقوية الارادة، والثقة بالله بأنه لا يخلف وعده، وينصر من ينصره بصدق وإيمان تجعل السجين المومن مطمئنا كل الاطمئنان للمستقبل، معتقدا إن هي إلا إحدى الحسنيين، اما انتصار قريب أو بعيد، أو جزاء محقق عند رب العالمين، وهكذا عشنا مع إخواننا في السجن، متيقنين بأن نصر الله قريب، وان العاقبة للعاملين الصادقين.

خلال فترة السجن الطويلة، لم أكن أفكر في أي شيء ينغص علي حياتي الجديدة، فليست لدي أموال أخشى أن تضيع وتتبدد، وليس لدي أبناء أتشوف إلى رؤيتهم والتلذذ بالحديث معهم، فأنا لازلت شابا في مقتبل العمر لم أتخط الثالثة والعشرين من عمري ولم

أفكر في الزواج بعد، خصوصا بعد أن انغمرت في الميدان الوطني الانغمار الكلي، وعشت فترة المطالبة بالحريات العامة والمطالب المستعجلة بكل إصرار واندفاع وتوثب. لم أكن أفكر في أي شيء يفسد علي توجهاتي الوطنية، ولكن خواطر قوية تخطر لي أحيانا فتدفعني دفعا إلى التفكير فيها، وأعني بها أمي، والدتي التي رعتني وليدا صغيرا، واحتضنتني شابا يافعا، وحرصت الحرص كله على العناية بي طوال الثلاثة والعشرين من عمري، فلقد كانت رحمها الله تقوم بمهمة الوالد والوالدة في آن واحد، حيث ان والدي توفي وأنا في الثامنة من عمري، فبقيت هي الراعية، وهي الأم الحنون الرؤوف العطوف الشفوق، لم أكن أفكر في عيشها وأكلها وشربها، فلها ابنان غيري من واجبهما الاهتمام بشأنها وبكل ما تحتاج إليه، وان كنت أكثر قربا منها. نظرا لأني أصغر أبنائها وعشت حياتي كلها تحت رعايتها، كانت تخطر ببالي الآونة بعد الأخرى، فأتصور كآبتها وحزنها لفراقي، وأتصور متاعبها وهي بعيدة عني، حيث أن السجن في نظرها وتصورها عبارة عن قبر للحياة كما يقولون، ليس فيه إلا المحنة والعذاب والحرمان ومقاساة الشدائد، وكل هذا يزيد في حزنها، ويضاعف من ألمها، لقد كان يزورني أحيانا أخي عبد الله، فأؤكد عليه أن يطمئنها ويسليها، ولكن قلبها مع ذلك كان جريحا ومتألما، فهي تسمع أخباري ولكنها لم ترني ولم تزرني طوال سنة كاملة، فلقد نشأت نشأة محافظة متزمتة إلى أقصى حدود المحافظة والتزمت، ولقد كان من تقاليد عائلتنا القادرية، ان الشريفة القادرية، لا تغادر بيتها لزيارة ذويها أو أحبابها أو للذهاب إلى الحمام مثلا، إلا بعد أذان صلاة المغرب، أما الخروج في واضحة النهار، فممنوع منعا كليا إلا في حالة واحدة شاذة، هي موت قريب قربا كبيرا كالأب والأم مثلا.

أم نشأت هذه النشأة لا يتصور أن تزور ولدها ــ مهما كان عزيزا عليها ــ في السجن، ولذلك فهي تكتفي بما تسمعه من أخبار، وتدعو له من وراء ستار، وتسلم أمرها للملك الجبار.

كنت أفكر في أمي عندما تخطر لي هذه الخواطر، سواء في هذه السجنة أو فيما سيعقبها من سجون، فتقف أمامي هذه الآية القرآنية الكريمة التي تقول : (قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبنَاؤُكم وإخوَانُكم وأزواجُكُم وعَشِيرتُكم وأموالٌ اقتَرَفْتُموها وتِجَارة تَخْشَوْنَ كَسَادها، ومسَاكِنُ ترضونها، أحبَّ إلَيكُم مِنَ اللَّه ورَسُولِه وجِهَاد في سَبِيله، فتربَّصوا حَتّى ياتِيَ اللَّه بأمْره) فأستعيذ بالله من وساوس ابليس، وأوطد العزم على أني بعد خروجي من السجن سأبذل كل ما في استطاعتي لجبر خاطرها، وإدخال السرور على قلبها، وإبدال حزنها فرحا، وترحها سرورا وكذلك فعلت بمعونة الله وتوفيقه، فلقد قررت بعد إطلاق سراحي بسنة واحدة أن أتزوج لأتحصن أنا بالزواج، ولأرى والدتي في منتهى الحبور والانشراح، وهي تحتفل بزواج فلذة كبدها، فرحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها في جوار الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

* * *

ما إن حل شهر أكتوبر من سنة 1938، حتى بدأنا نعد العدة، ونحسب الأيام لمغادرة سجن «غبيلة» بالدار البيضاء، لقد كنت دخلت السجن أنا والفقيه المرحوم محمد غازي والمرحوم سيدي أحمد الشرقاوي في يوم واحد، هو يوم 27 اكتوبر 1937، وصباح يوم 27 أكتوبر 1938، نودي علينا ان خذوا أمتعتكم، وغادروا زنزانتكم واقصدوا إدارة السجن لتحوزوا ما عندها من بعض حوائجكم كالساعة اليدوية وما شاكلها، وهكذا كان. حزنا كل ما عندنا لدى إدارة السجن، وكنا نظن أن سراحنا سيتم في تلك اللحظات، واننا عندما نضع أقدامنا بباب السجن سنكون قد تحررنا من عالم السدود والقيود، وظفرنا بحريتنا الكاملة، ولكنا فوجئنا بأن سيارة كانت تنتظرنا بباب السجن لتأخذنا إلى مكان مجهول بالرغم عنا، ترى إلى أين سيسيرون بنا ؟ وسارت السيارة الأمنية متجهة إلى ناحية الرباط لقد جرت العادة ان السجناء عندما يقضون المدة المحكوم عليهم بها أن يطلق سراحهم في اليوم المقرر، دون إبطاء أو تأخير، فيجدون أهاليهم ينتظرون بباب السجن ليأخذوهم إلى بيوتهم، فلماذا تأخذنا نحن سيارة الأمن ؟ أهناك تدابير جديدة ضدنا ؟ أهناك سجن آخر أو نفي آخر ينتظرنا ؟ وصارت السيارة تغذ السير إلى الرباط، حيث وقفت بباب إدارة تابعة لناحية الرباط، كانت تسمى (بيرو آراب) الواقع بشارع لعلو، حيث أمرنا بالنزول وحيث أدخلنا إلى مكتب أقفل علينا عدة ساعات، ونحن لا ندري من أمرنا شيئا.

مكثنا الصباح كله بذلك البيت المقفل علينا، وبعد الزوال فتح علينا الباب، وقابلنا أحد التراجمة ــ نسيت اسمه ــ وكان معروفا في الرباط، حيث خبرنا بأن سراحنا قد تم، وأصبحنا أحرارا من كل قيد، ويظهر انهم كانوا يفكرون في إضافة هدية جديدة إلينا، بنفينا إلى جهة معينة مثل ما فعلوا بعد ذلك مع بعض الاخوة، ولكنهم عدلوا عن ذلك لأسباب أجهلها.

كان ذلك بعد ظهر يوم 27 أكتوبر 1938، حيث وجدت أخي عبد الله ولعل بعض الاخوة كانوا معه ينتظرون خروجي في باب (بيرو أراب) فكان عناق وكان سلام، وكانت دموع منهمرة من الفرحة وأخذت طريقي راجلا مع من معي، مارا على شارع سيدي فاتح، حيث نأخذ الحافلة التي ستأخذنا إلى «سلا» وقرب سيدي فاتح تأتي المفاجأة، هذا أخي الأكبر سيدي محمد (رحمه الله) راجلا بدوره ليتلقى لي، ويهنئني بسلامة العودة، وما أن التقت عيناي بعينيه، وما أن قرب مني حتى ارتمى علي يقبل رأسي ويكاد يقبل رجلي، وهو يقول : أخي، أخي، كان منظرا مؤثرا للغاية، لقد مضت سنة كاملة لم يرني فيها، لا لأنه لا يحبني أو لا يشتاق إلى رؤيتي، ولكنه ذو عاطفة متأججة، لا يستطيع أن يراني من وراء السدود والقيود، لقد أوقفته بمشقة، لأن التأثر كان بلغ منه مبلغاً، خارت معه قواه، وضعفت ركبتاه، فلم يستطع القيام إلا بعد عناء.

وأخذنا طريقنا إلى الحافلة ثم إلى البيت، حيث وجدت والدتي رحمها الله تنتظرني بعطفها وحبها وحنانها ودعائها، فعانقتها وقبلت رأسها، ويديها وسألتها الرضى والدعاء الصالح، فرأيت

الفرحة بادية على أسارير وجهها، وهي تدعو لولدها بالتوفيق والسداد والصحة والعافية والهناء. وانفتح باب منزلنا لتحج إليه الأفواج من كل الطبقات، مهنئة بسلامة العودة، والدعاء إلى الباري جلت قدرته أن يتقبل هذه التضحية، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم (والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (ولله العزة ولرسوله وللمومنين).

بعد قضاء سنة كاملة في السجن
من 27 أكتوبر 1937 الى 27 أكتوبر 1938

بعد فترة استراحة قصيرة من محنة السجن، بدأت أتصل بالاخوة أعضاء الحزب، سواء بسلا أو الرباط مستفسرا عن الحالة العامة، وعن النشاط الموجود، والواقع أنني أحسست بخيبة أمل، فلقد كنت أظن أن بعض الاخوة الذين لم يلق عليهم القبض أو الذين سجنوا وامتحنوا ولكن كانت مدة سجنهم قليلة، سيواصلون عملهم الوطني بالطريقة التي يمكنهم بها مواصلة العمل بها، مهما كانت ضعيفة، ولكني بالعكس من ذلك وجدت الحالة في شبه ركود، وهادئة تمام الهدوء فليس هناك اتصال بين الفروع، وليس هناك أي نشاط ظاهر باستثناء بعض المنشورات الخطية والمخرجة بطريقة شبه بدائية، كانت توزع، وفي دائرة محدودة جدا، تطالب بإطلاق سراح المعتقلين، وتحتج على بعض تصرفات الادارة.

لقد اتصلت بإخواني الوطنيين بسلا والرباط والذين كان من ضمنهم الاخوة : محمد غازي واحمد الشرقاوي وعبد اللطيف العتابي والمعطي الشرقاوي والحفيان الشرقاوي ومحمد البقالي، والسعيد حجي والمعطي أباخاي، محاولا التعرف على الأحوال خلال السنة الكاملة التي تغيبت فيها، وحاولت الاتصال بالسيد محمد السعداني الذي قيل لي أنه مسؤول بفاس، ولكني لم أظفر بلقياه، ثم كتبت رسالة للأخ المرحوم الحاج أحمد بلافريج الذي كان موجودا إذذاك بجنيف، أستفسره فيها عن صحته لأنه كان بلغنا ونحن بالسجن أن عملية جراحية خطيرة أجريت على إحدى رئتيه، وكانت الجراحات إذذاك على الرئة لازالت في طور التجربة ثم سألته رأيه فيما يجب أن نقوم به من أعمال بعد خروجنا من السجن، فلم تمض إلا فترة يسيرة حتى وردت علي منه هذه الرسالة، أثبتها بنصها :



صورة الحاج أحمد بلافريج يلقي خطاباً في طنجة

الحمد لله.

أخي الشريف أبابكر

تحية وأشواقا

سررت كثيرا بكتابك، وحمدت الله على سلامتك وعافيتك، فأهنئك بهذه التضحية الجديدة، وأشكرك على عطفك وعواطفك التي لاشك عندي فيها.

أرجو أنكم لا تجدون مشقة كبيرة في إحكام النظام، والرجوع بالحركة إلى سيرها الطبيعي، هذه الحوادث الأخيرة مرحلة جديدة، تتطلب حقها من الدرس والاعتبار، إلا أنه في انتظار تمامها، ينبغي البحث على خطة موقتة نافعة، مع شديد الأسف لا يمكن بسط مثل هذه الأفكار في البريد. على كل حال، يرى الحاضر ما لا يراه الغائب فأطلب لكم التوفيق من الله. صحتي مازالت تتحسن ولله الحمد، سلامي لسائر الاخوان.

ودمت بخير وعافية لأخيك : أحمد بلافريج

الحمد لله 12/11/38

أخي الشريف أبا بكر تحية وأشواقا.

سررت كثيرا بكتابك وحمدت الله على سلامتك وعافيتك - وأهنيك
بهذه التضحية الجديدة وأشكرك على عطفك وعواطفك التي لا شك
عندي فيها.

أرجو أنكم لا تجدون مشقة كبيرة في أحكام النظام والرجوع بالحركة
إلى سيرها الطبيعي - هذه الحوادث الأخيرة مرحلة جديدة تتطلب
منها من الدرس والاعتبار الا انها من [illegible] تماما بحيث البحث
عن خطة مؤقتة ناجعة - مع شديد الأسف لا يمكن بسط مثل هذه
الأمور في البريد. على كل حال [illegible] لإبداء [illegible] بالحب
لكن [illegible] إن شاء الله.

صحتي ما زالت تتحسن ولله الحمد - سلامي لمن سأل من الإخوان

ودمت [illegible]

أحمد.

الصورة الخطية التي كتبها لي المرحوم
الحاج أحمد بلافريج

اتصلت بالمرحوم السعيد حجي، فأعطاني معلومات ضافية عما قام به من نشاط خلال السنة كلها والتي كانت محل اعتراض من طرف كثير من الاخوان الذين وجدناهم ينتقدونه شر انتقاد، متهمين إياه بأنه كان يعمل على تأسيس حزب جديد أو حركة جديدة، لا تتلاءم ولا تتماشى مع خطة الحزب ومبادئه، فاستمعت لما يقال دون أنْ أقبل أو أرفض، وطلبت منه أن نعقد معه جلسة أو جلسات خاصة، تستمع إليه فيها الجماعة الوطنية المسؤولة في سلا والرباط، وهكذا عقدنا جلسة خصوصية بمنزل المرحوم سيدي الحفيان الشرقاوي، شارك فيها الاخوان : محمد غازي وأحمد الشرقاوي والمعطي الشرقاوي وعبد اللطيف العتابي والمعطي أباخاي، زيادة على صاحب البيت، وعرض فيها علينا سير الحركة خلال السنة التي كنا معتقلين فيها، وأكد أنه بذل جهدا كبيرا لصالح الحزب وصالح المعتقلين وصالح القضية الوطنية، ككل، وتعرض لاتصاله بالاقامة العامة وأسبابه ودوافعه ونتائجه، والأساس التي كانت تجرى عليه المفاوضات بينه وبين المقيم العام (نوكيس) كما ذكر أنه كان على اتصال بالمراسلة المستمرة مع بلافريج، وانه في مرحلة من مراحل المفاوضات التي كانت — في نظره — ستؤتي أكلها، طلب رسميا من الاقامة العامة أن تأذن له في السفر إلى جنيف للاتصال ببلافريج والمذاكرة معه بتوسع، وبالفعل سافر إلى جنيف، ولكن سوء حظه منعه من الاتصال ببلافريج لأنه في يوم وصوله كانت تجرى عليه عملية جراحية في المستشفى، وكان الساهر على صحته إذذاك هو الأمير شكيب أرسلان، فاضطر إلى الاكتفاء بشرح الأوضاع مع الأمير شكيب ليبلغه بدوره إلى بلافريج بعد ابلاله من المرض، وفيما يتعلق باتصالاته مع آخرين أكد أن كل ما يروج بينه وبينهم من مذاكرات، مسجل في محاضر موقع عليها من طرفهم ويمكن الاطلاع عليها لمن أراد من إخوانه.

لقد كنت أسعى لأسبُر أغوار الحقيقة، دون أن أنساق في التأييد والتحبيذ، أو أسير في الانتقاد والتحطيم، فإذا كان السعيد صديقا لي، فإن القضية المقدسة التي نضحي من أجلها، أهم وأعظم من صداقته، ولكن الصداقة والاخوة والارتباط الوطني لا يمكن أن تعصف بها الرياح لمجرد الاشاعات والاجتهادات.

لقد علمتني تجاربي واتصالاتي ومعرفتي بالناس — رغم أنني كنت لازلت في مقتبل عمري — ان لا انساق مع الدعايات قبل أن أفحصها فحصا دقيقا ونزنها جهد الامكان، انني كنت أتساءل مع نفسي وأنا في السجن. لماذا لا يقوم السعيد بأعمال وطنية تأييدية لاخوانه مثل ماقام بها إخوانه ؟ ولكنني كنت أترك الجواب حتى أعرف الحقائق التي ربما تخفى عني وأنا بين جدران السجن.

لقد طلبنا من السعيد أن يطلعنا على محاضر الجلسات التي ذكر، والتي سجلت فيها الخطوات والنشاط الذي قام به مع من كان يتعاون معهم والتي من جملتها أساسا البرنامج

الذي وضعوه أساسا للتفاوض مع الاقامة العامة، فأطلعنا عليه، وقرأنا بعض محاضر الجلسات بتوقيع الثلاثة الموقعين عليها، ثم اطلعنا على رسالة أخيرة من بلافريج يوافق فيه مبدئيا على البرنامج المذكور والذي كانت ستحل عن طريقه الأزمة، ويسرح المعتقلون. إن اجتماعنا مع السعيد كان مفيدا لأنه أزال بعض الالتباسات، وان كانت الغيوم لم تتبدد حوله من طرف بعض الناس، وكيفما كان الأمر، فلقد اتكلنا على الله وصرنا نعمل على وضع خطة جديدة للعمل تتناسب والظروف التي أصبحنا فيها.

لقد كان همنا الأول أن نبعث نشاطا جديدا في صفوف الحركة الوطنية، وان نقوم ببعض الأعمال التي تبرهن على وجودنا الوطني حتى نستفيد من الظروف الجديدة التي أصبحت تخيم على البلاد بل على العالم جميعه، ومن جملة ما قمنا به في ذلك الوقت، توجيه نداء لأهم العاملين، نرجو فيه تزويدنا بآرائهم فيما يجب القيام به، وتعيين لجنة موقتة مسؤولة، تسهر على تسيير حركتنا الوطنية، وتنسق أعمال الوطنيين.

لقد كان لنا جناحان في العمل الوطني : الجناح العلني، ويدخل فيه سائر الوطنيين المنتمين لحزبنا، والجناح السري ويضم أعضاء الطائفة الذين كانوا غير معتقلين، ويمكن الاتصال بهم، وأخذ رأيهم.

في هذه الظروف ونحن نعمل على ترميم صفوفنا ولم شتاتنا، وبعث حركتنا، أخذ الجو السياسي العام يتلبَّد بالغيوم، وتوالت الحوادث والأخبار المنذرة بسوء المصير، فكان الاتفاق الألماني الروسي، وكان رجحان كفة الديكتاتورية القاهرة، فبدأنا نشعر الشعور الحقيقي بأن الخطر كاد يلتهمنا، واننا صرنا في مهب الرياح، وكانت تصلنا أخبار من هنا وهناك، فيها الصحيح وفيها المزيف، فرأينا أن الموقف يتطلب الدرس والتمحيص، واتخاذ القرار المناسب لتطور الحوادث، لقد كنا ندرك كل الادراك أننا في قبضة عدو قاهر، لازلنا نشكو من جراحه، ولازال إخواننا في السجون والمنافي يقاسون من آلامه وغطرسته، ولازال متنمرا ضد حركتنا وضد بلادنا، فما هي السبيل التي سنسلك إزاء الأحداث المستجدة، هل سنركن إلى الاستسلام والسكرت والضعف ؟ أم نأخذ قرارا شجاعا نتحمل فيه المسؤولية كيفما كانت العواقب، ولا نراعي فيه إلا المصلحة العليا للوطن.

والينا الاجتماعات لدراسة الموقف، فكنا نجتمع في اليوم مرتين، ويستغرق كل اجتماع ثلاث ساعات فنستعرض حوادث اليوم والساعة من جميع الجوانب، وندرس المواقف التي تسير عليها الأحداث لدى مختلف الدول، ولم يبق تفكيرنا في ذلك الظرف مقتصرا على الأحداث المحلية، سابقة كانت أو لاحقة، وإنما أصبحنا نفكر تفكيرا شموليا، ونربط بين ما هو واقع ببلادنا، وما هو مقدار ارتباط بلادنا بالأحداث الدولية، لقد كانت تحصل بيننا مجادلات عنيفة وحَادّة، كادت تؤدي بنا إلى الانزواء والاستسلام إلى الأقدار، وأخيرا قررنا أن نوجه نداء لاخواننا المنضوين في الجماعة السرية (الطائفة) هذا نصه :

أيها الأخ المخلص.

لا تخفى عليك الأطوار التي يجتازها العالم في هذه الظروف، والتخوفات التي تخامر كثيرا من الشعوب من جراء حرب طاحنة، تقضي على الأخضر واليابس، وتهلك الحرث والنسل، فأنت ترى أن الاستعمار طغى وتجبر، وان الأمم الضعيفة في حيرة وارتباك، لأنها لا تعرف ماذا سيكون مصيرها ؟ لاشك أنك تنظر إلى المستقبل بعين الفزع والخوف، فلا تدري ما سيكون مصيرك ومصير أمتك، حين وقوع الكارثة، خصوصا لما ترى أن بلادك ستكون معرضة للأخطار أكثر من غيرها، لاشك أنك تبحث عن الطريق الذي عليك أن تسلكه لتؤدي المهمة الملقاة على عاتقك، ولتعمل على حفظ كيان بلادك التي وهبت نفسك لخدمتها، ان الكثيرين من إخوانك ورؤساء حركتك مبتعدون عنك، وليس في طوقك الاسترشاد بآرائهم، ولكنك تدرك أنهم لو كانوا بجانبك لحللوا الأوضاع، واتخذوا القرار المناسب لتوقي الأخطار أما الآن فإنك تشعر بأنك مسؤول أمام الله، وأمام أمتك، إن لم تقم بما يفرضه عليك الواجب وما تحتمه عليك مصلحة الأمة التي هي مقدمة عندك على جميع المصالح، ثم يقول البيان : إنك ترى أيها الأخ أن الدول العربية والاسلامية، هبت تفكر في مصيرها، وهب زعماؤها ورؤساؤها يضعون الخطط ويصرحون التصريحات التي يعتقدون أنها في صالح بلادهم، فتونس والجزائر وسوريا والعراق ومصر وغيرها من الدول الاسلامية، تفكر الآن في مصيرها وتحتاط لما عساه أن يعتريها ويصيبها إذا ما نشبت حرب، ثم يقول البيان : ماذا ينبغي أن يقوم به كل عامل مغربي في هذه الظروف الحرجة سواء داخل المغرب أو خارجه ؟ نظرا لمقرراتنا المبنية على أساس خدمة المغرب لا على أساس عداء فرنسا، فما هو موقفنا في هذه الظروف الحرجة ؟ وما هي التصريحات التي ينبغي أن يصرح بها العاملون ؟ نظرا لتغيب كثير من رجال الحركة وتعذر الاتصال بهم، يجب تعيين لجنة تنفيذية موقتة مسؤولة، فمن هم الأشخاص الذين ترون فيهم صلاحية للقيام بهذا الواجب ؟).

وأثناء اجتماعاتنا المتوالية عرض علينا السعيد حجي رسالة شخصية كان بعث بها إلى بلافريج لما تعكر الجو الدولي، يقترح عليه فيها ما يراه واجبا إزاء الظروف، وبعد أن درسنا الرسالة المذكورة واطلعنا على جواب بلافريج بالموافقة على تلك الاقتراحات، اتفقنا على إعلان تصريح يعبر عن رأينا الوطني في الظروف التي جدت، وهي ظروف نذر الحرب فحرر التصريح وعدّل، ووقع الاتفاق على صيغته النهائية، ثم استقبلنا من طرف المقيم العام حيث ألقى الفقيه محمد غازي التصريح أمامهُ.

لقد فوجئت إدارة الاستعلامات بمقابلة المقيم العام، لنا وبالتصريح الذي ألقى أمامه، حيث أنه ـــ أي التصريح ـــ أفسد عليها الخطة التي كانت دبرتها ضد الوطنيين جميعا والتي ابتدأتها بإلقاء القبض على بعض إخواننا في مراكش. عبد الله إبراهيم ومحمد الملاخ وعبد

القادر حسن، ويجب أن أشير هنا إلى أنه في تلك الظروف لم يكن الخط السياسي منسجما تمام الانسجام بين الاقامة العامة وبين إدارة الاستعلامات التي كان على رأسها الجنرال «ميلي» لقد اعتبر بعض الوطنيين ان التصريح كان في منتهى الحكمة، وانه شد الطريق على المتآمرين ضد حركة الوطنيين سواء من إدارة الاستعلامات أو حتى من بعض المغاربة الذين كانوا مجدين في العمل لعرقلة كل عمل وطني يسهل الطريق لاطلاق سراح المعتقلين، ويفسح المجال العام أمام العاملين لخير القضية الوطنية، ولكن بعض الأشخاص وهم قلة لم يرتاحوا للخطة ولم تمض إلا أيام قلائل على إعلان التصريح المذكور حتى علمنا أن أعضاء الحركة القومية بالرباط وسلا كتبوا عريضة ذيلت بإمضاءات شعبية وبمسؤوليهم في سلا والرباط تقدموا بها إلى المقيم العام يوم إعلان الحرب مباشرة يعلنون فيها ما تضمنه تصريحنا[1].

لقد كان هدفنا من اتخاذ موقف علني مسؤول في تلك الظروف يرمي إلى :

1) رفض طغيان الديكتاتورية الألمانية الهتليرية التي أصبحت تهدد كل قيم الحرية والانسانية في العالم.

2) قطع الطريق أمام المتآمرين على الحركة الوطنية المغربية سواء من الفرنسيين الذين كانت تمثلهم إدارة الأمور الأهلية أو من بعض المغاربة الذين كانوا يعملون جاهدين على أن تبقى الحركة الوطنية محذورة، ويبقى الوطنيون في السجون والمعتقلات.

---

(1) لم يتعرض الأستاذ بوطالب في ذكرياته وشهاداته التي نشرها بجريدة الشرق الأوسط لهذه العريضة التي تقدم بها وفد الحركة القومية تحت اسم المثقفين بتاريخ فاتح سبتمبر 1939 وكانت موقعة من السادة ادريس روديا س، أحمد بو هلال، الصديق روديا س، عبد السلام بنسعيد، محمد اشماعوا، أحمد بن احساين وغيرهم وقد قدمها للمقيم العام (نوغيس) المذكورون أسماؤهم ونصها كما نشرتها جريدة «الوداد» : (اننا ياسعادة المقيم العام نتشرف بإحاطتكم علماً بأن تتبعنا لتطورات الحالة الدولية، وما تنذر به من خطر في هذه الظروف، أوجب علينا أن نؤكد لكم بصريح العبارة، تضامننا التام معكم لمصلحة البلدين، المغرب وفرنسا وان جميع هيآت المثقفين المغاربة، لا يتأخرون عن مؤازرتكم بما وسعهم من حجة وبيان، لتوضيح مصلحة المغرب العليا لدى جميع الطبقات، وتقبلوا فائق الاحترام.

ولقد جاء في جريدة «الوداد» التي نشرت العريضة بتاريخ 27 رجب 12 سبتمبر 1939، العدد 40 التعليق التالي : أما الوفد الثاني (أي وفد الحركة القومية) فقد ارتأى أن يستصحب عريضة هامة ممهرة من طبقات المثقفين وهيآتهم ليمثل لسعادة المقيم العام، أهم طبقة من الشعب المغربي، تحس مع سعادته ذلك الاحساس القوي المبني على إدراك المصلحة العليا للمغرب وفرنسا، لا مطلق الاخلاص والولاء، وقد أقبل المثقفون على إمضاء العريضة حتى أمهرت بمآت الامضاءات. ولم يتأخر أحد، إلا من ضاق الوقت عن وصولها إلى يده، ثم قالت الجريدة المذكورة مُتحدثة عن استقبال المقيم العام لوفد المثقفين القوميين : (وحظوا بمقابلة سعادته، معربين له عن استعدادهم التام لمساعدة ممثل فرنسا، فأجاب سعادة المقيم العام : أنه لا يشك في حسن إدراك المثقفين المغاربة لمصلحة المغرب العليا، وهو يقدر ذلك الادراك ويعتمد عليه.

3) فسح المجال أمام التحركات التي أصبحنا نقوم بها بعد تنظيم حركتنا وتأسيس لجنتنا التنفيذية الموقتة.

4) العمل على تحرير المعتقلين والمنفيين من إخواننا.

5) المطالبة بتحقيق المطالب التي بقينا متمسكين بها قبل دخولنا للسجن وبعد خروجنا منه.

6) التعاون المادي والمعنوي من أجل مواجهة الأخطار التي قد يتعرض لها المغرب أمام طغيان الحركة النازية الديكتاتورية.

إننا وإن كنا لم نشر إلى هذا البرنامج الذي كنا اتفقنا عليه فإننا صرنا عمليا نعمل لتحقيقه بالوسائل التي كانت في إمكاننا، والتي كان لها بعض الأثر، وخصوصا فيما يتعلق بإطلاق سراح المسجونين والمعتقلين(*) حيث إن المقيم العام قرر إصدار عفو على المسجونين بمناسبة شهر رمضان المعظم قبل سفره إذذاك إلى الجزائر، وكان عدد هؤلاء الاخوة الذين سيطلق سراحهم ستة أفراد، من جملتهم الاخوة : الهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس ومحمد الديوري، ورغما من أن إدارة الاستعلامات أرادت أن تخلق تهمة تلصقها بهم من أنهم يتعاطفون مع الألمان ولا يوافقون على الخطة التي سلكها إخوانهم، فلقد استطعنا أن ننفي عنهم كل تلك التهم. فسرحوا في أوائل رمضان، واستقبلوا من طرف رئيس ناحية البيضاء حيث أكدوا له تضامنهم التام معنا وحسن تقديرهم للموقف الذي وقفناه ولكن إدارة الاستعلامات بقيت مصرة على موقفها منهم، فبدلا من أن يطلق سراحهم نهائيا أبعدوا إلى بعض النواحي بتهمة أنهم يحاولون الفرار إلى المنطقة الخليفية، وهكذا نفي الاخوان الهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس إلى قصبة تادلة ونفي محمد الديوري ومن معه إلى الصويرة.

لم نبق مكتوفي الأيدي أمام هذه الاجراءات التعسفية الظالمة فكتب السعيد رسالة شخصية إلى المقيم العام شرح فيها الموقف بالتفصيل وأكد له انه لا سبيل لأي تعاون إلّا على أساس إطلاق سراح المعتقلين، وكان من نتائج هذه الرسالة مقابلة المقيم للسعيد والتأكيد على ضرورة إطلاق المعتقلين الستة أو لا وقبل كل شيء فاقترح المقيم أن تعقد الجماعة اجتماعا مع الجنرال ميلي لبحث الموضوع، وبعد زيارته والمناقشة معه، أصر على أن المعتقلين الستة يدبرون للهروب إلى المنطقة الخليفية، فأكدنا له أن هذا كله كذب واتفقنا معه على أن يسمح للسعيد وغازي بزيارتهم في منفاهم ليأخذوا منهم تأكيدا بأن التهمة كاذبة وملفقة، وهكذا سمح لغازي والسعيد بزيارتهم لتحقيق ذلك. فأكدوا أن التهمة مكذوبة ومن صنع إدارة الاستعلامات، وبالرغم عن ذلك وقع تباطؤ في إطلاق سراحهم، فقررنا باجماع توقيف كل اتصال وكل كتابة وكل تعاون ما لم يطلق سراح المعتقلين الستة، وجاء شهر ذي القعدة لتهيىء الحماية باخرة تأخذ الحجاج إلى الديار المقدسة، فاقترحت على السعيد أن يرافق الحجاج

(*) راجع المقالات التي كتبتها جريدة «المغرب» إذذاك، والرسالة التي رفعها بعض الوطنيين إلى مسيو «وطبسان» أثناء زيارته للمغرب أثناء الأزمة.

بحمد الله وحده   قصبة تادلا 12 ذي القعدة 58

اخواننا الوطنيين سلا الأعزاء تحية واحتراما
وصلنا كتابكم وطيه هديتكم المشتملة على حوائجكم
الطيبة واحساساتكم الشريفة نحو اخوانكم
المنفيين فقط والواجب المقصود ان يكونوا بعداء
عنكم وعن كل اخوانهم الذين يشعرون لهم من ود
واشفاق ما تشعرون. والله خير ما سرنا في ذلك تذكار
لشتات مبادلة ذكريات ربطها الاخوان عشية في عالم
السجون والشيوخ وبينها محتجبا الآن في عالم
الغربة. وان جلستنا لما تقدر معه ما نستطيع
ان نعرب عن هديته او فضله عن اخ مخلص:
بواسطة السيد [illegible] الذي نتشرف بتناول الاشياء

عبد العزيز ادريس   الهاشمي الفيلالي

[illegible]

رسالة الأستاذين الهاشمي الفيلالي وعبد العزيز بن ادريس إلى إخوانه وطنيي «سلا»

باعتباره صحفيا، فأجاب بالقبول شريطة أن يطلق سراح الستة المذكورين، وهكذا لم يسع الاقامة العامة إلى أن تعطي أمرا حتميا بإطلاق سراحهم، حيث جاءوا إلى الرباط، وتحادثوا معنا حول الموقف، ثم استقبلهم بدورهم المقيم العام مقابلة طيبة باستثناء إخواننا القنيطريين الذين كانت مقابلتهم غير طيبة، وبلغنا أن ذلك كان بإيحاء وشيطنة من الجنرال ميليي و«سيكو»(1).

إن الموقف الذي اتخذناه قبل إعلان الحرب بمدة قليلة جدا، لم يكن موقفا مرتجلا وغير مسؤول، ولكنه منسجم كل الانسجام مع الخطة الأساسية التي كانت يسير عليها الوطنيون قبل حدوث أزمة 1937 التي تكالبَ فيها علينا الاستعمار بغطرسته وظلمه واضطهاده في شخص المقيم العام «نوكيس» فلقد درسنا الموقف كما ذكرت من قبل دراسة عميقة، لم نكن فيها صبيانا يتلاعب بنا، ولم نكن فيها مغرورين ولا مخدوعين ولا من الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. لقد اجتمع أعضاء الطائفة الموجودون إذذاك ومن جملتهم زيادة على كاتبه والسعيد المرحومون : محمد الفاسي ومسعود الشيكر ومحمد غازي واحمد الشرقاوي والحفيان الشرقاوي وعبد الجليل القباج وتدارسوا الموقف من جميع جوانبه الذي كان من جملته أننا قد نعرض أنفسنا للطعن من بعض الأفراد أو الجماعات التي لا تتبين الرشد، ولا تقدر المصلحة الحقيقية حق قدرها. كنا ندرك هذا كل الادراك، ولكنا بالرغم عن ذلك أعطينا لأنفسنا حق النظر حسب ما تمليه علينا ضمائرنا، لا حسب ما سيقوله عنا خصومنا المتربصون بنا الدوائر، لقد تدارسنا الموقف قبل إعلان التصريح المذكور في اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية الموقتة فقررنا مايلي : اجتمعت اللجنة التنفيذية الموقتة، المخول لها من الهيأة العليا المتركبة من الأربعة والخمسة والمنفرد حق النظر في الموقف وتقرير الخطة المناسبة له، وبعد أن درست الموقف الحالي من جميع وجوهه، سواء من ناحية الموقف الداخلي للحزب أو من ناحية موقف الحكومتين المغربية والفرنسية أو من ناحية الحالة الدولية العامة، أصدرت البيان التالي :

نظرا لكون الخطة العامة للحزب، مبنية على مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها على ذلك، والتعاون النزيه كلما أظهرت استعدادها، ونظرا لكون خطة الميثاق المؤرخ في 13 أكتوبر 1937 في فصله السابع، إنما كانت خاصة بالظروف المبنية في نص الميثاق المذكور، ونظرا لكون الظروف الدولية العالمية متحرجة وقد يستهدف المغرب معها لأخطار جسيمة لا قبل له بها، وحيث أن ذلك يوجب إعادة النظر في الخطة العامة المبدئية للحزب

---

(1) اتيت بهذه التفاصيل والجزئيات لتكذيب ما كتبه البعض في مذكراته من أن الموقف الذي اتخذناه كان على حساب الوطنيين المعتقلين، كما يصحح ما كتبه الأخ غلاب من أن خروج المعتقلين لا علاقة له بهذه المحاولات.

الذي جرى عمله عليها قبل صدور الميثاق المذكور، وهي : مطالبة الحكومة بما فيه مصلحة البلاد والتفاهم معها على ذلك، والتعاون النزيه معها كلما اظهرت استعدادها).

وكتب بتاريخ 14 يوليه 1939 تم التوقيعات :
(الحسن بن محمد ــ يوسف بن تاشفين ــ يعقوب المنصور ــ أبو عنان) وهي الأسماء الرمزية للموقعين أعضاء اللجنة التنفيذية الموقتة وهم : أبو بكر القادري ــ محمد غازي-أحمد الشرقاوي ــ سعيد حجي.

وخلال بعض اجتماعاتنا اقترح علينا المرحوم السعيد حجي أن يستأنف إصدار جريدته اليومية : (المغرب) موضحا أنه لا يصوغ أن يبقى الجو فارغا من أي توجيه سياسي وطني في الظروف الحاضرة، وبعد دراستنا للموضوع من جميع جوانبه وإخبار المرحوم بلافريج بما عزم عليه السعيد من إصدار جريدته وافقناه على إصدار الجريدة، ووصلته رسالة من بلافريج بالموافقة على أساس : إذا لم يمكنك أن تعبر عن فكرك كاملا فلا تقل عكسه أبدا.

وأمانة للتاريخ يجب أن أسجل هنا أن نظرة بعض الاخوة للسعيد لم تكن نظرة ثقة واطمئنان، كاملين، وكنت أطلب من الاخوة الذين يبدون بعض الملاحظات أن يوضحوا ملاحظاتهم بالضبط لنؤاخذه على أساسها، وكان السعيد بدوره يقبل الملاحظات النزيهة، ويعمل على تلافيها، بل وصل به الحال أن قال لي : أنه يطالب بلجنة تحكيم تنظر في الملاحظات الموجهة إليه، وهو سلفا قابل لما تصدره من حكم، سواء كان معه أو ضده، ولكن الجو في الأخير صار يتحسن ويصفو دون لجوء إلى محاكمات، خصوصا بعد عقد اجتماعات متعددة بالدار البيضاء والرباط، والتي شارك فيها أحيانا بعض المنتقدين والملاحظين.

وفي هذه الأثناء أذاع راديو برلين خبرا مضمنه التحاق الزعيم علال الفاسي بالرفيق الأعلى، فارتعنا، وارتاع جميع العاملين لهذا النبأ المزعج، وصرنا نتساءل عما يجب أن نقوم به من عمل، إزاء هذه الكارثة إن صحت، ونظرا للعلاقة التي كانت بين السعيد وبعض المسؤولين في الاقامة العامة، فلقد اتصل بأولئك المسؤولين مستفهما عن الخبر، وملحاً أن يصدر بلاغ يكذب الخبر، ولكن الاقامة العامة لم تقبل أن تصدر بلاغا في الموضوع، وإنما أكدت للسعيد أن الخبر الذي أذاعه راديو برلين لا أساس له من الصحة، وان علالا يتمتع بصحة جيدة.

لم نقم بأي نشاط مهم لصالح العهد الجديد الذي صار بعد التصريح، فلقد كنا أوجدنا برنامجا للعمل يحدد الأهداف والوسائل أما الأهداف، فهي إطلاق ما بقي من إخواننا معتقلا أو مبعدا، وهم أساسا : محمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج وعلال الفاسي، ونظرا لتصلب الادارة فيما يتعلق بعلال خصوصا، فلقد

كان من جملة المقترحات المطروحة إذذاك، إخراجه من منفاه السحيق بالكابون ونقلة إلى مكان قريب صالح ريثما يطلق سراحه مع إخوانه.

كانت قضية المعتقلين والمبعدين هي الأساس في كل تحركاتنا، وكنا متحفظين كل التحفظ في كتابة أي مقال أو إعطاء أي تصريح تستفيد منه الحكومة دون مقابل لفائدة إخواننا المعتقلين وأذكر أن بعض الاخوة كتب مقالات موقعة بأسمائهم «للمغرب» فأوقفناها وأشعرناهم بذلك لأننا اعتبرناها مجانية من الوجهة السياسية.

والواقع أننا كنا واعين تمام الوعي أن ظروف الحرب ستمر بخيرها وشرها، وأننا لابد أن نعمل حسب استطاعتنا على الاستفادة منها لصالح بلادنا، وتحقيق هذا الصالح يتوقف على محاربة المخططات التي كانت وضعتها إدارة الأمور الأهلية بالقضاء على أي وجود وطني يمكنه أن يستفيد عاجلا وآجلا من ظروف الحرب.

لقد كان صراع بيننا وبين الادارة الاستعمارية التي كانت تتمثل أساسا في إدارة الأمور الأهلية التي كان على رأسها الجنرال ميلي، وكنا نغتنم فرص الخلاف بينه وبين المقيم «نوغيس» لكسب ما يمكن كسبه، وبالأخص فيما يتعلق بسراح المعتقلين والمبعدين ويمكنني أن أقول بكل تواضع أننا نجحنا بعض النجاح في إفساد خطة إدارة الاستعلامات بإطلاق سراح بعض معتقلينا وان كان سراح البعض منهم كاليزيدي تأخر إلى سنة 1941.

وإني أكرر ما كنت كتبته منذ سنوات من أن (الموقف الذي وقفناه هو الذي هيأ الظروف المناسبة لبقاء الوجود الوطني الذي أمكنه أثناء فترة الحرب تنظيم الاتصال وتوثيقه مع الملك الصالح محمد الخامس نور الله ضريحه، والتهييء للمطالبة بالاستقلال ثم التقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 باتفاق وانسجام معه رحمه الله).

موقف المغرب ملكا وشعبا من الحرب العالمية الثانية

بدأت بوادر الحرب العالمية الثانية تتجلى في الأفق أوائل الثلاثينات عندما أرادت ألمانيا أن تتحرر من القيود التي كبلتها بها دول الحلفاء بعد انهزامها في الحرب العالمية الأولى 1914.
وكانت الحركة الوطنية المغربية ــ رغم أنها كانت في بداية نشأتها ــ تتتبع الأحداث التي تقع ومنها الحرب الأهلية الاسبانية التي اشعلها الجنرال «فرانكو» في شمال المغرب، ومنها الحرب

الصينية اليابانية التي نتج عنها غزو اليابان للصين في يونيه 1937، ومنها غزو إيطاليا للدولة الالبانية في أبريل 1939، ومنها ضم ألمانيا لبعض الأقطار المجاورة مثل بولندا في سبتمبر 1939، هذا الضم الذي أفاض الكأس، واقنع الحلفاء أن أطماع «هتلر» لا حد لها، وانه لابد من مقابلة القوة بالقوة.

لقد كانت الجماعات الوطنية تدرك الأخطار التي ستهدد العالم الانساني جميعه إذا ما انتصرت النّازية باعتبارها مذهبا عنصريا يحتقر الشعوب غير المنتمية للشعوب الجرمانية وعلى رأسها الشعوب السامية، ومنها الشعوب العربية بالطبع.

لقد كان جميع الوطنيين الذين ينظرون إلى المستقبل بعين العقل لادراك مصلحة الشعب يتخوفون كل التخوف من انتصار النازية والفاشية، واستغلال السلطات الاستعمارية ظروف الحرب للقضاء على الحركات الوطنية على اختلاف اتجاهاتها السياسية وكان ملك البلاد وروحها والمسؤول الأول عن مصالحها في طليعة الذين قدروا الظروف حق قدرها فأعلنوا تضامنهم مع الحلفاء ضدا على النازية الجشعة المتربصة بالشعوب الدوائر غاضين الطرف عما قاساه ويقاسيه المغرب إذذاك من هجمة منكرة من طرف الاقامة العامة الفرنسية المشخصة في شخص الجنرال «نوكيس» الطاغية المتعنت، وفي إدارة الأمور الأهلية التي كان على رأسها جنرال لا يقل شراسة وعداء للمغرب وحركته الوطنية من (نوكيس) وأعني به الجنرال (ميليي).

إن الظروف التي كان يعيشها المغرب إذذاك، هي التي تحدث عنها جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه : (التحدي) (ص 41) حيث قال بالحرف : (لقد كانت ظروف العالم وهو يعيش الحرب، ظروفاً مفجعة، فعندما اكتسحت ألمانيا «بولونيا» وأعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على الرايخ الثالث وقف والدي وقفة صادقة كما كان جدي قد فعل عام 1914 — إلى جانب فرنسا، ودون أن يكون قد وقع عليه أي ضغط، قال بصفة رسمية : (علينا جميعاً نحن المغاربة أن ننضم إلى القضية المشتركة، وأن لا نبخل على فرنسا بثروتنا البشرية ولا بثرواتنا المادية) وقد برَّ والدي بوعده، إذ لم نكتف بكون رماتنا وفرساننا قد قاتلوا، وكان عليهم أن يقاتلوا — مرة ثانية — إلى جانب فرنسا فحسب، بل ان الشعب المغربي تحمل كذلك الحرمان القاسي ليساند القضية الفرنسية، وقد طلب الملك منذ شهر شتنبر 1939 من كل وزرائه وممثليه ومن كل رجال العلم والدّين من المغاربة أن يحملوا الشعب المغربي على أن يكون وفياً لفرنسا ومخلصاً لها، مقابل الجميل الفرنسي للمغرب، أما الباقي، كل الباقي، فقد أسدل عليه ستار النسيان) وها أنا أثبت نص الظهير السلطاني الذي قرئ في جميع المدن المغربية بمناسبة إعلان الحرب ضد ألمانيا النازية :

خطاب من جلالة الملك
سيدي محمد بن يوسف

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه ومولاه
(فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين)

خديمنا الأرضى الطالب فلان وأهل مدينة (كذا) أخص منهم الشرفاء والعلماء والأعيان، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعده فكلكم يذكر ما تركته الحرب العظمى من سوء الذكرى للناس إذ لم تنسج عليه عناكيب النسيان ولم تزله من الأفكار مراسيم الالتباس، وكلكم يتذكر عدد الأسر المنكوبة، والنواحي المغصوبة، والمدن المهدمة، والثروات المحطمة.

ومع أن النصر كان قد كلل اعلام فرنسا واعلام محالفيها الذين كان المغرب من بينهم حائزا قصب السبق والافتخار. وحصل على ما خلد المجد والاعتبار فإن الدولة الفخيمة لم ترد أن تستبد بكل نتائج النصر، بل جعلت في الصالح العام مساعيها، عالمة أن ذلك من أعظم الفخر، فإنها صارت تبذل كل ما في وسعها لتعميم اطمئنان القلوب، وإزالة وسائل الاضطراب والكروب، حتى لا يهدد خبال الحرب القصور ولا المعاطن بل أقصى أملها أن يعم السلم كل الآفاق وسائر الأماكن، إلا أن أعداءها وأعداءنا لم يقدروا تلك الجهود المصروفة، ليشمل الهناء كل القلوب الملهوفة، بل اغتنموا كل الفرص وأدنى الأسباب ليوقدوا نار العدوان، وتعم أقطار الوجود زوابع الفتنة، وعواصف الاضطراب، وقد قال ﷺ (الفتنة نائمة لعن الله موقظها) ولا حاجة إلى استلفات الأفكار، وتنبيه أعين ذوي التميز والاعتبار، إلى مزايا السلم والهناء السائدين بالمغرب في سائر الأرجاء منذ أمضى أسلافنا الكرام عقد الحماية، وتبادلوا مع الدولة الفرنسوية عهود الوداد والرعاية فقبل ذلك العهد، كانت الفتنة سائدة بين أفراد القبيلة الواحدة، تنشب على أدنى سبب نيران العدوان بين الأقارب والجيران، فلا أمن يسهل المواصلات، ولا هناء ييسر للناس طرق المعاملات، ولا ضمان لأحد على ذويه ولا أقاربه ولا على ماله ولا طرق مكاسبه، ان سعي الناس فبلا أمل في المستقبل، وان تحركوا فبلا رجاء في العمل، ومنذ تأسست الحماية، تبثت في مساكنكم دعائم الأمن والرعاية وعم الأمن سبلكم كما ساد الهناء مدنكم لا ما يهدد الأنفس والأعراض ولا ما يعد خطرا على الدين، ولا يحول دون القيام به

اعتراض، كل يسعى فيما فيه نفعه ونفع أهله، من غير أن يكدره مكدر، أو يصده مانع عن تعاطي شغله، ذلك كله حال يجب علينا أن نقوم به لله شاكرين، وان نكون لانعمه الجمة من الذاكرين وقد قال ﷺ (من أسدى إليكم معروفا فكافؤوه فإن لم تقدروا فادعوا له وان المومن من إذا عاهد وفى» وهذه فرنسا الصديقة التي لم تأل جهدا في المحافظة على السلم، قد أخذت اليوم أهبتها للدفاع عن شرفها وشرفنا، وعن مجدها ومجدنا، وعن مستقبلها ومستقبلنا جميعا، فيجب علينا أن نقوم بواجبات محافظة العهد الجديد المتين ولا يحافظ على العهود مثل عباد الله المومنين، ولنقوم بشرف عنصرنا المجيد وتاريخنا الزاهر، ومبادئ ديننا الزكي الطاهر يتعين علينا اليوم أن نودي واجب الشكران للدولة الفرنسوية، اعترافا [illegible] أ[illegible]ته إلينا من الإحسان. وان من بخل بذلك الواجب الأكيد، يخرج بذلك عن سنن أسلافنا الأماجد، ويخالف أوامر البارئ سبحانه وقد أمر تعالى أن نكون من الشاكرين، ونفر من حزب الجاحدين. فمن هذا اليوم الذي اتقدت فيه نيران الحرب والعدوان، إلى اليوم الذي يرجع فيه أعداؤنا بالذل والخسران، يتعين علينا أن نبذل لها الإعانة الكاملة، ونعضدها بكل ما لدينا من الوسائل، غير محاسبين ولا بخيلين فقد كنا معاهدين لفرنسا ومشاركيها في ساعة الرخاء، ومن الاتصاف أن نشاركها اليوم في ساعة الشدة والبأساء، حتى يكلل النصر أعمالها، ويزهر سرور النجاح أيامها، والله ولي النصر والتوفيق والسلام، في 18 رجب الفرد الحرام عام 1358هـ الموافق 3 شتنبر سنة 1939م كما أن جلالته أرسل رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية بواسطة المسيو «موريز المعتمد بالاقامة العامة جاء فيها حسبما نشرته جريدة «الوداد» العدد 40 المؤرخ بـ 12 سبتمبر 1939 : في هذه الساعة العصيبة التي يجتازها العالم، نرغب أن نعرب من جديد لسعادتكم عن شعور الولاء لفرنسا الذي يخالجنا ويخالج معنا رجال المخزن وجميع رعايانا، وإننا سنكون بجانبها من صميم قلوبنا وسنقدم لها دون قيد أتم وسائل مساعدتنا، ونجدد لكم في الختام تأكيد ودنا الثابت.

موقف الدول والرؤساء العرب في الحرب العالمية الثانية

وقف زعماء العرب وقادتهم وقادة المسلمين في مصر والعراق وشرق الأردن وسوريا وفلسطين موقف المناصر للحلفاء المتضامن معهم ضد النازية والفاشية وكتبت الجرائد المصرية كجريدة الوفد المصري والمقطم والبلاغ والدستور والمقالات المناصرة للحلفاء.

وبعث رئيس وزراء سوريا إذذاك برقية إلى رئيس وزراء فرنسا جاء فيها : في هذه الساعات العصيبة التي قد لا تسلم سوريا فيها من الخطر الجاثم على صدر العالم يهم بلادنا أن تؤكد تعلقها بقضية الدول الديموقراطية وولاءها لفرنسا من غير قيد ولا شرط.

وأعرب جميل مردم الرئيس السابق لوزراء سوريا والدكتور شهبندر زعيم المعارضة في سوريا والقائد الوطني الثائر عن مساندتهما للسياسة التي سلكتها بلادهما إزاء الحرب، كما أن زعماء الأحزاب التونسية على اختلاف نزعاتهم صرحوا أنهم يؤيدون فرنسا في كل عمل من شأنه الدفاع عن تونس إذا ما هوجمت من طرف ألمانيا، وصرح المهاتما غاندي زعيم الهند الأكبر أن عواطفه الخاصة هي مع انكلترا وفرنسا إلى غير ذلك من المواقف التي وقفها الزعماء الوطنيون في كل البلدان ضدا على ألمانيا النازية وتأييدا للحلفاء وفي طليعتهم فرنسا وانجلترا.

موقف الحركة القومية في الحرب العالمية الثانية

أما رجال الحركة القومية بالمغرب فلقد رفعوا عريضة إلى المقيم العام الفرنسي «نوكيس» الذي اضطهدهم وإخوانهم رجال الحزب الوطني ـــ أعلنوا فيها كمثقفين تضامنهم التام معه لمصلحة المغرب وفرنسا. ولقد جاء في العريضة التي قدموها إلى المقيم العام المذكور مايلي :

سعادة المقيم العام لفرنسا الحامية الجنرال نوكيس

إننا يا سعادة المقيم العام نتشرف بإحاطتكم علما بأن تتبعنا لتطورات الحالة الدولية، وما تنذر به من خطر في هذه الظروف، أوجب علينا أن نؤكد لكم بصريح العبارة تضامننا التام معكم لمصلحة البلدين : المغرب وفرنسا وأن جميع هيآت المثقفين المغاربة لا يتأخرون عن

موازرتكم بما وسعهم من حجة وبيان، لتوضيح مصلحة المغرب العليا لدى جميع الطبقات وكان الوفد الذي استقبله المقيم العام الجنرال نوكيس صباح يوم الجمعة فاتح شتنبر 1939 متركبا من السادة : ادريس روديانس المسؤول الأساسي في الحركة القرمية بالرباط إذذاك، واحمد بوهلال والصديق روديانس من الرباط أيضا ومن عبد السلام بنسعيد المسؤول إذذاك عن الحركة القومية بمدينة «سلا» ومحمد شماعو مدير جريدة (الوداد) و(احمد بن احساين النجار) مدير جريدة التقدم. وهما من المتعاطفين مع الحركة القومية.

ولقد علقت جريدة «الوداد» في عددها المؤرخ بـ 12 شتنبر 1939 على نبأ تقديم العريضة المذكورة فقالت بالحرف : قد ارتأى (أي وفد المثقفين القومين) أن يستصحب عريضة هامة ممهرة من طبقات المثقفين وهيآتهم، ليمثل لسعادة المقيم العام أهم طبقة من الشعب تحس مع سعادته، ذلك الإحساس القوي المبني على إدراك المصلحة العليا للمغرب وفرنسا، لا مطلق الاخلاص والولاء، وقد أقبل المثقفون على إمضاء العريضة حتى أمهرت بمآت الامضاءات، ولم يتأخر أحد، إلا من ضاق الوقت عن وصولها إلى يده، ثم زادت فقالت : وحظوا بمقابلة سعادته، معربين له عن استعدادهم التام لمساعدة ممثل فرنسا، فأجاب سعادة المقيم، انه لا يشك في حسن إدراك المثقفين المغاربة لمصلحة المغرب، العليا، وهو يقدر ذلك الإدراك، ويعتمد عليه :

أتيت بهذه التفاصيل المتعلقة بموقف المغرب ملكا وشعبا أثناء قيام الحرب العالمية الثانية لأرد المسائل إلى نصابها إزاء ما كتبه المرحوم محمد بن الحسن الوزاني في مذكراته : (حياة وجهاد) الجزء الخامس، فلقد جاء في الصحيفة 235 مايلي :

(ومع هذا عمد بعض المعتدلين ـــ لحاجة في نفوسهم ؟ إلى التقرب من الاقامة العامة وقتما تأزم الوضع الدولي، فصار ينذر بخطر حرب عالمية ثانية، وهكذا تألف وفد من أعضاء الحزب المنحل وهم : محمد غازي، واحمد الشرقاوي وأبو بكر القادري وبواسطة احمد بن غبريط تقدموا إلى الجنرال نوكيس الذي تسلم منهم بتاريخ 29 غشت 1939 خطابا هذا تعريبه : ثم أتى بنص الخطاب مترجم عن مجلة فرنسية استعمارية كما قال، وهي (مجلة افريقيا الفرنسية) ويقصد التصريح الذي ألقاه المرحوم محمد غازي أمام المقيم العام في التاريخ المذكور والذي عبر فيه باسم الحزب الوطني عن موقفه إزاء ظروف الحرب المستجدة كما أشرنا إلى ذلك من قبل بتفصيل ثم قال الوزاني بعد ذلك معلقا ومنتقدا : (ومع أن ذلك الخطاب صريح في مبناه ومعناه، وغني بنفسه عن كل تعليق فإننا لا نتمالك عن إبداء بعض ملاحظاتنا ومآخذنا عليه، أولها أنه لا محل له من الاعراب مطلقا بعد كل ما حدث في المغرب من اعتقالات ومحاكمات، وإراقة دماء وإزهاق أرواح مما تقدمت الاشارة إليه... الخ ثم إن حركة ذلك الوفد كانت على الأقل فضولية من الحيثيات الوطنية والسياسية والعملية، كما

كانت افتياتا على الوطنية الصادقة ممثلة في المخلصين الأوفياء الذين كانوا في جحيم المعتقلات والمنافي، ولهذا أعدت تلك الحركة ممعنة في الطيش والتهور ومنافية للعزة والشهامة، كما اعتبرت طعنة بالخنجر من الخلف موجهة إلى ضحايا القمع من المعتقلين والمنفين، إلى أن يقول : ومن أشد ما نلاحظه على ذلك الوفد أنه ادعى النطق باسم الوطنيين المغاربة أجمعين، كما لو كان مفوضا منهم أو كانت له أي صلاحية لتمثيلهم والتحدث عنهم وهم في أعماق السجون إلى أن يقول : وان يعجب المرء لشيء فعجبه من تحدث كتاب «الحركات الاستقلالية» لعلال الفاسي عن ذلك بقوله : (ص 265) (ومع كل ما كابدته الوطنية المغربية، ومع كل ما واصلت الاقامة العامة فعله من ظلم وإرهاق، فإن الحزب الوطني أبى إلا أن يعرب مرة أخرى عن حسن نواياه فأرسل وفدا للمقيم العام يعلن له تضامن المغاربة مع... (جلالة السلطان إلى آخر ما كتب في الموضوع) وإذا كان لنا من تعليق على ما كتبه المرحوم الوزاني في موضوع اتصال وفد الحزب الوطني بالاقامة العامة أثناء نذر الحرب العالمية الثانية وإعطاء تصريح سياسي بموقف الحزب في ذلك الظرف الدقيق، فإننا نشير دون انفعال إلى مايلي : (1) ان الوزاني يرى انه (لا محل لذلك التصريح من الاعراب بعد الأحداث التي وقعت في المغرب سنة 1937) وهو رأي خاص له لا يمكننا أن نلومه عليه، ولكن هل من حقه أن يلوم غيره ويتحامل عليه ويعتبر حركته فضولية وتعتبر افتياتا على الوطنية الصادقة ممثلة في المخلصين الأوفياء، فهل يعتبر أعضاء الوفد وإخوانهم الذين تحدثوا باسمهم متنكرين للمبدأ الوطني الصادق مع أنه يعرفهم حق المعرفة، وعمل معهم وبجانبهم السنين الطوال ؟ وهل الوطنيون الصادقون هم الذين يزكيهم وحده، ويختم على الاعتراف لهم بصدق الوطنية انه يعرف محمّد غازي حق المعرفة، ويعرف وطنيته وصدقه وإيمانه وتضحيته وعلمه وأخلاقه انه يعرف احمد الشرقاوي وثباته وصدق وطنيته وتضحيته بماله وجسمه في سبيل بلاده، انه يعرف هذا الكاتب الضعيف حق المعرفة ولا أزيد أكثر، فهل معرفته تنوسيت حتى صار يصفهم بالطيش والتهور والتجرد من العزة والشهامة. وهل كان مومنا حقا بأنهم افتاتوا على الوطنية وقبضوا على الخنجر ليطعنوها من الخلف ؟ وهل كان علال الفاسي الذي كان معتقلا ومبعدا ومغرباً عن وطنه وأهله وذويه في ادغال افريقيا لدى تصريح وفد الحزب إبان الحرب هل كان متنكرا لوطنيته وتضحيته عندما أقر بعد رجوعه من المنفى بأن الموقف السليم هو ما وقفه وقد حزبه أثناء الحرب ؟ انني لا أود أن أنساق مع قلمي لا زيف تلك الدعاوات التي ادعاها ورمى بها الحزب الوطني ورجاله، فقد التزمت طوال حياتي أن لا أدخل في اللجاجات والخصومات السياسية المغرضة، ولكني مع ذلك رأيت من واجبي أن أسجل الأحداث كما وقعت وكما قيل عنها حتى لا يلتبس الحق بالباطل، ويختلط الزائف بالصحيح والذي دفعني أكثر للحديث عن هذا الموضوع بالذات أن المرحوم الوزاني كتب في مقدمة كتابه (جزء أول ص 10) أن ما يسجله من حقائق ووقائع ومواقف ويورده من تعاليق وأحكام

بالنسبة للأعمال والأشخاص، سيكون مجردا عن كل غرض وهوى، وسيكون مقيدا بشيء واحد هو تدوين أهم ما يتألف منه تاريخ الحركة الوطنية بكل صدق وصراحة ونزاهة وأمانة) كما أن ما يعرضه الكتاب من حقائق وأسرار يمكن اعتباره أكيدا بل ضروريا لتفسير الأحداث، وتوضيح المواقف بالنسبة للحركة عامة، وللأشخاص خاصة) ويوكد بعد ذلك (ص 13) ان عذره فيما يكتب، الصدق في القول والاخلاص في العمل والوفاء للتاريخ) ثم يوكد في نفس الصحيفة أن ما يثبته في كتابه من الحقائق (لم يخضع على الاطلاق لاعتبارات شخصية وسياسية، ولم يتأثر بشهوة أو غرض، ولم ينبعث من ضغينة أو نقمة، بل كان كله صادرا عن التجرد والنزاهة وصفاء القلب).

لقد وصف المرحوم الوزاني أعضاء الحزب الوطني بما وصفهم به، واتهم علال الفاسي بأنه يزيف التاريخ واستنكر الاستنكار القوي الصريح موقف الحزب ورجاله أثناء قيام الحرب العالمية الثانية، ولكنه سكت سكوت الموتى عن موقف أنصاره أعضاء الحركة القومية إذذاك والذين أشرنا إلى مواقفهم ومقابلتهم للمقيم العام ضمن شخصيات هو نفسه حكم عليها الحكم القاطع بأنها أرادت ملء الفراغ المهول الذي خلفه الوطنيون المغيبون، فهل يعتبر هذا السكوت أمانة للتاريخ، ولا يخضع للاعتبارات الشخصية والأنانية والحزبية ؟ وهل تجلت النزاهة والتجرد وصفاء القلب والتجرد عن الهوى، هل تجلت هذه الصفات في سكوته عما قام به إخوانه وخلانه وأعضاء حركته ؟ وإن يعجب الانسان فلابد أن يعجب بما ورد في صفحة (237) من كتاب المرحوم الوزاني المذكور حيث قال بالحرف (وانه لمن الغريب جدا أن يعلن مغاربة للمقيم العام الفرنسي تضامنهم مع جلالة السلطان في حين أن الذين أعلنوا التضامن معه هو الجنرال» نوكيس) ثم يقول : ومهما يكن من الأمر فإن ذلك الموقف المتسم كله بالتناقض والتخاذل لم يتخذ إلا من جماعة الحزب دون الحركة القومية التي ثبت رجالها سواء في الشدة والرخاء) فهل المرحوم الوزاني وهو يحرر مذكراته أوائل الستينات حسبما يظهر لم يكن يعرف حق المعرفة ويعلم حق العلم أن أصحابه لم يكتفوا بتقديم تصريح مثل ما فعل أعضاء الحزب الوطني، بل إنهم حرروا عريضة قالت جريدة الوداد إنها كانت ممهرة وممضاة بمآت الامضاءات قدمها وفدهم المتركب من مسؤوليهم في الرباط وسلا ؟

لا أريد أن أسترسل في التساؤلات، ولكن أريد فقط أن أؤكد أن الموقف الذي وقعته الحركة الوطنية والذي وقفه جلالة ملك البلاد أثناء الحرب هو الموقف السليم السياسي الحكيم واننا وقد اتخذنا موقفنا بعد الدرس والتمحيص لم نكن مندفعين ولا متنكرين لوطننا ووطنيتنا وإخواننا واننا وقد فارقنا السجون والمعتقلات في تلك الفترة كنا نعد العدة للقيام بالعمل الحاسم إزاء الاستعمار، ونتهيأ للمطالبة بالاستقلال، رغم ظروف الحرب القاسية، ونقدم أنفسنا ضحايا فداء لقضية بلادنا وإعلاء لشأن وطننا، ورفعا لصوت مواطنينا، وذاك ما هيأنا له أوائل الأربعينيات، وذاك ما جعلنا نتقدم بوثيقة المطالبة بالاستقلال يوم حادي عشر يناير عام 44 والتي سنتحدث عنها وعن ظروفها في مرحلة قادمة ان فسح الله في العمر ووفقنا وأعاننا.

ولنعد إلى قضية وفد الحزب الوطني الذي تقدم إلى الاقامة العامة الفرنسية بمناسبة الحرب العالمية الثانية، لنلاحظ ما كتبه الأستاذ عبد الهادي بوطالب في «ذكريات وشهادات ووجوه» التي كان ينشرها بجريدة الشرق الأوسط، فلقد تحدث بتطويل في موضوع موقف الحزب وأكد أن موقف الحزب كان هو التضامن مع فرنسا وأن الحركة القومية وهو من أعضائها لم تتخذ أي موقف ثم قال متسائلا ؟ فهل كان للحركة القومية موقف مغاير لموقف الحزب الوطني ثم أجاب عن سؤاله فقال : من الممكن إعطاء سكوتها هذا التأويل، كما يمكن أن يكون مرده إلى ظروفها الداخلية التي تميزت في هذه المرحلة بفقدها قيادتها التي انكمش أغلبها على نفسه بعد خروجها من جحيم المعتقل ومعاناتها ضروب التنكيل والتعذيب وبعد أن قدمت من صفوفها أول شهيد وطني سياسي في شخص المرحوم محمد القري كما هو معلوم، ولم يتجل موقفها إلا سنوات فيما بعد عندما طرح الزعيم الوزاني موضوع خيار التضامن في كتابه : (مذكرات حياة وجهاد) فهل يمكننا أن نتساءل هل إن الأستاذ بوطالب لم يطلع بدوره على موقف قادة الحركة القومية في الرباط وسلا والذي أشرنا إليه من قبل، وهل لم تصله أخبار العريضة التي ذيلت بمآت التوقيعات ؟ وإذا فرضنا أنه لم يطلع وقته على أخبار العريضة القومية فهل فاته أن يبحث عن الجرائد التي كانت تصدر في ذلك الوقت ومنها جريدة «الوداد» التي كان يساهم في الكتابة فيها نخبة من مثقفي الحركة القومية، ليطلع على أن رجال الحركة القومية بالرباط وسلا، اتخذوا موقف التضامن المطلق مع المقيم العام «نوكيس» لمصلحة البلدين : المغرب وفرنسا، وان الذين قدموا العريضة التضامنية إلى المقيم من رجال الحركة القومية الذين لا يشك في قوميتهم ووطنيتهم، ومنهم المرحوم ادريس رودياس والمرحوم عبد السلام بنسعيد والمرحوم احمد بوهلال والمرحوم الصديق روديا س، زيادة على الآخرين الذين بلغوا المآت حسب ما نشرته جريدة «الوداد» فكون الحزب الوطني تضامن مع فرنسا، والحركة القومية لزمت الصمت كما جاء في المقال، وبالأحرف الكبرى في العنوان، مناف للحقيقة والواقع ويحتاج إلى التصحيح، وكنت قد اطلعت على مقال نشرته جريدة الشرق الأوسط وكتبه أحد الوطنيين وأثار فيه انتباه الأستاذ بوطالب إلى ما جاء في كتابي عن (سعيد حجي) والذي تحدثت فيه عن موضوع الحرب العالمية الثانية وموقفنا منها والذي لا أشك أن الأستاذ بوطالب اطلع عليه إن كان لم يطلع عليه قبل ذلك.

إن بسط الحقائق التاريخية والتعليق عليها ومناقشتها أمر مفيد للغاية خصوصا وأن تاريخ الحركة الوطنية لازال لم يكتب باستيعاب، ولا يستطيع أي أحد أن يدعي أنه هو وحده يعرف الحقائق، فالعمل الوطني متعدد الأطراف والأشكال ورجال الحركة الوطنية متعددوا المشارب والأفكار، ولا يضيرنا في شيء أن تكون اجتهاداتنا مختلفة، ونظراتنا إلى بعض القضايا السياسية الوقتية متباينة، ولكن الذي يضير هو الأحكام المسبقة على الأفراد والهيآت دون التزام بالنزاهة الفكرية عمليا وواقعيا والله من وراء القصد.

اهتمام الحركة الوطنية المغربية بالقضايا الاجتماعية والثقافية والدينية

لم يكن اهتمام الحركة الوطنية بالقضايا السياسية ومكافحة الاستعمار فحسب، ولكنها اتجهت في الوقت نفسه إلى الاصلاحات الاجتماعية والثقافية ونشر لواء العلم بين مختلف الطبقات، وهكذا اتجهت إلى تأسيس المدارس وتوجيه البعثات الطلابية إلى الخارج والمطالبة بإصلاح التعليم في القرويين وروافدها وتنظيم الدراسة على أسس جديدة سواء منها الدروس المسجدية أو غيرها، وإعطاء اهتمام خاص للطبقات الشعبية بتنظيم دروس لمحاربة الأمية، والنظر إلى ما تقاسيه الطبقة العاملة من إهمال وما تكابده من أتعاب، وما تعانيه من مظالم، والمطالبة بإعطائها حقوقها كاملة غير منقوصة، وتكوين خلايا عمالية كانت النواة الأولى لتكوين نقابات عمالية وصناعية، وتكوين جمعيات خيرية إحسانية، كما اهتمت بقضية الأوقاف الاسلامية التي كانت يتصرف فيها الاستعماريون كما يشاءون وتشاء أهواؤهم، بينما الموظفون الدينيون يعانون الحرمان ويتقاضون الأجور الزهيدة المزرية، وحتى قضية الأفراح والأعراس نالت حظها من الاهتمام، فطالبت الحركة الوطنية بعدم المغالاة في المهور، وتبديد الأموال في الحفلات الزائدة، على المعتاد، ومقاومة انتشار الخمور إلى غير ذلك من النشاطات والاهتمامات التي تبرهن على أن نظرات الحركة الوطنية، كانت نظرات مستقبلية وأفكاراً حرة بناءة، وانها إن كانت حركة معارضة، فإنها في الوقت نفسه حركة بناء وتقدم ونهوض، وسيدرك القارئ كل هذا من خلال بعض النماذج التي نثبتها في هذا الفصل من الكتاب :

إنشاء مدارس حرة إسلامية

بعد بسط الحماية الأجنبية على المغرب، عمدت السلطات إلى إنشاء بعض المدارس الابتدائية في بعض المدن المغربية، وجعلتها خاصة بأبناء الأعيان، ولكن الاقبال عليها كان قليلا جدا في الأول، لأن أغلبية المغاربة كانوا يعتبرونها وكرا لبث الأفكار الاستعمارية الصليبية، وللانحراف عن التكوين الاسلامي والتربية الاسلامية، وهكذا لم يلجها إلا القليلون من أبناء الأعيان، وبما أن التعليم الابتدائي في المغرب كان منحصرا في الكتاتيب القرآنية، وكانت أساليب التعليم ومناهجه فيها عتيقة، ومتأخرة، فلقد فكر بعض الذين كانت أفكارهم مستنيرة في بعض المدن المغربية أن يعملوا على تأسيس كتاتيب قرآنية متجددة التي أسموها مدارس

حرة، وكانت هذه الكتاتيب في الغالب تؤسس في بعض الزوايا (الطرقية) ثم تطورت فصارت تكتري لها دور تؤسس فيها.

وحسبما ورد لدى بعض مؤرخي الحركة الوطنية فإن أول مدرسة من هذا النوع أسست بمدينة تطوان وكان المؤسس لها هو المرحوم السيد محمد بن علي الخطيب الذي لم يكتف بتعليم البنين بل صار يعمل على تعليم البنات، ولست أدري متى كان تأسيسها بالضبط كما أسست بعد ذلك المدرسة الأهلية التي كان يديرها أخونا المرحوم الفقيه السيد محمد داود ويرعاها المرحوم الحاج عبد السلام بنونة، أما بفاس فإن الأستاذ عبد الكريم غلاب ذكر في كتابه عن تاريخ الحركة الوطنية أن أول مدرسة حرة أسست هي مدرسة سيدي بناني وذلك سنة 1919، ثم جاءت بعدها مدرسة رحبة القيس سنة 1920 ثم المدرسة الناصرية سنة 1921، ثم مدرسة القلقليين، وان جمعية تأسست سنة 1929 لتشجيع التعليم الحر برئاسة الحاج محمد بن المفضل بن جلون واختيار الأستاذ علال الفاسي كاتبا عاما لها والسيد أحمد مكوار أمينا للمال، ثم تأسست مدارس أخرى بعد ذلك كان بعضها تابعا للحزب الوطني والبعض الآخر تابعا للحركة القومية ومن المدارس الهامة التي أسست بفاس مدرسة الفقيه سيدي محمد بن عبد الله التي أصبحت ثانوية بعد ذلك.

وأما بالرباط فلقد أسست عدة مدارس كان من جملتها المدرسة المعطوية والمدرسة الكتانية والمدرسة الحراقية ويأتي في طليعة الذين كانوا مهتمين بالتعليم الحر في العشرينات المرحوم الشاعر السيد محمد بن اليمني الناصري والفقيه السيد الصديق الشدادي أما في الدار البيضاء، فلقد أسست مدرسة حرة في العشرينات أسسها وأشرف عليها المرحوم الشيخ محمد بن اليمني الناصري، ولقد زارها الوطني الكبير القائد السيد عبد الله بنسعيد بتاريخ 18 محرم 1341، فألقى أمامه الشيخ الناصري المذكور الخطاب الآتي :

في هذا اليوم المبارك الذي نعده عيدا سعيدا من أسعد الأعياد وأزهرها وأبهاها تعضيدا وتقوية وتشجيعا لنا على القيام بأعمالنا والمثابرة عليها واذكاء لذكائنا وإيقادا لمصابيح أفكارنا وإحياء لميت شعورنا وحظا على التمسك بمبادئنا الاسلامية القومية وتشريفا وتكريما وتعظيما وتفخيما، فأهلا وسهلا ومرحبا بمثال العلم والعمل والبطولة والزعامة والوطنية الصادقة والاخلاص النادر والارادة الثابتة والقوة الأدبية والعزم الصادق الذي لا يفل والأدب الغض الذي لا يمل، ولعظم شأنكم في نفوسنا، وتمكن جلالة قدركم من قلوبنا معشر هذه الشبيبة التي هي بين يديك الآن تستمد من شخصك المحبوب، كل وصف حميد، ورأي سديد، سنتخذ يوم زيارتكم هذه لهذه المدرسة الاسلامية الشريفة التي تضمنا جدرانها عيدا... والسلام عليكم ومن معكم من الأفاضل ورحمة الله وبركاته في : 18 محرم الحرام 1341، ولقد كان هذا الخطاب ارتجاليا من صاحبه، ولقد أجابه القائد عبد الله بن سعيد بكلمة ارتجالية، جاء فيها :

الحمد لله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله، من العوالم استضاءت بأنواره وتجلياته وأسراره وآله وأصحابه.

أيتها الشبيبة الشريفة الوطنية، انني أعد يوم زيارتكم من أعز الأيام وأسعدها حيث رأيت أبناء أمتي على مدارج الترقي والشفوف بعدما كانت عليه من الخمول وعدم ترتيب التعليم الذي هو أساس الفضائل والكمالات، فها أنا أهنئ نفسي وأتمايل طربا بما رأيت منهم، كما أهنئ والديهم وجميع بني وطني وأحضهم على مديد المعاونة وأحض التلاميذ على الدؤوب وعدم الملل والكسل حتى يكون كل فرد منهم من جملة العلماء الأكابر العارفين جاهلين نصب أعينهم دوما قول الشاعر :

اطلب العلم لا تضجر من مطلبـــــــه فآفة الطالب أن يضجرا
أمــا تــرى الحبــل بتكـــراره في الصخرة الصماء قد اثرا

وقول الآخر :

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنـــــــــــــى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وفي الختام أهدي عاطر الثناء وجزيل الشكر للمعلمين والمديرين الكرام السجايا وأهنئهم على ما قاموا به من هذا الأمر الخطير، وأطلب الله الحنان المنان أن يمد الجميع بكامل عنايته وجزيل إفاضته، فإنه الذي من أمله ما خاب ومن تغلق به انفتحت له جميع الأبواب (كذا في الأصل) (ومعلوماتكم) ولا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومن المدارس الهامة التي أسست في الثلاثينات المدرسة التي كان يديرها العلامة المرحوم الشريف سيدي عبد السلام الوزاني بمدينة وجدة، والتي أعطت ثمارا مهمة للغاية.

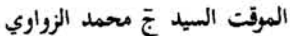
أما في سلا فلقد عمدت نخبة من الرجال الغيورين إلى فتح مدرسة أوائل العشرينات وكان مركزها الأول بالزاوية الغازية ثم انتقلت إلى الدار التي حبسها على التعليم الاسلامي الحر المرحوم بكرم الله مولاي احمد الصابونجي وكانت بحومة درب لعلو.

ولقد وقفت على كناش سجلت فيه أسماء التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة لأول مرة وكذلك أسماء بعض المعلمين الذين كانوا يعطون الدروس فيها، وهذا الكناش بخط المرحوم السيد حَ مَحمد بن القاضي أحد أعضاء الهيأة التي أسست هذه المدرسة والذين من جملتهم المحترم أحمد بن الحاج الطيب عواد والموقت السيد الحاج محمد بن المكي الزواوي، واني أثبت ما كتبه الحاج مَحمد بن القاضي في أول الكناش وهو : (الحمد لله وحده، اتخذ هذا الكناش السعيد لتقييد أسماء تلاميذ المدرسة الاسلامية الوطنية المؤسسة على تقوى من الله ورضوان بالزاوية الغازية بطالعة سلا، لتعليم القرآن العظيم وسائر علوم الدين المأمور كل إنسان بتعليمها ليخرج من ظلمة الجهل الذي هو أقبح من كل قبيح، وتقييد أسماء التلاميذ وأسماء



ج محمد بن القاضي





الموقت السيد ج محمد الزواوي

آبائهم وأنسابهم، فتح الله بصيرتهم ونور سريرتهم وتقييد ما يدخل في صندوق المدرسة السعيدة لتقوم بذلك وظائفها وضرورياتها من أجور الأساتذة ولوازم الكتابة وغير ذلك من الضروريات فنطلب الله جلت قدرته أن يكون عملا خالصا لوجهه الكريم ومن الأعمال الصالحة التي لا تنقطع بالموت، انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير، وقد فتحت هذه المدرسة المباركة في يوم الأحد ثالث ذي القعدة الحرام عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339هـ موافق جوي سنة 1921م التوقيع : (محمد فتحا بن محمد ضما بن القاضي كان الله له، أحد أعضاء الجمعية المكلفة بالمدرسة المذكورة) ومن المعلمين الذين ذكرت أسماؤهم في هذا الكناش : الفقيه السيد محمد بن الطاهر زنيبر والفقيه السيد محمد الأعتابي المراكشي والفقيه السيد محمد الهياض، والفقيه السيد زين العابدين ابن عبود والفقيه مولاي الشريف أسما القادري وكانت الأجور التي يتقاضاها المعلمون تتراوح ما بين 150 فرنك (سنتيما) إلى 250 فرنكا.

وقد التحقت بهذه المدرسة بعد وفاة والدي رحمه الله سنة 1341هـ وفيها حفظت القرآن حفظا متقنا حيث ختمت السلك ثلاث مرات قراءة وأملاء وكتابة، وكان عمدتي في الدراسة فيها قرآنا وعلوما هو أخي مولاي الشريف القادري المتوفى شهيدا سنة 1935م رحمه الله.

وكان الصباح جميعه مخصصا لحصة القرآن الكريم كتابة وحفظا، أما المساء فمخصص للدروس العلمية على اختلافها من فقه ونحو وتوحيد وسيرة وما يتبع ذلك، وكانت الامتحانات تجري فيها بشكل بدائي حيث يكتفي أثناء الحفلة السنوية أن يلقي المعلم على تلاميذه بعض الأسئلة في الاعراب والصرف وما شاكل ذلك، فيجيب عنها إجابة عفوية إن كان مجتهدا، ويتعثر المتكاسلون، كما أن برنامجها كان يعتمد على حفظ (الأمهات) مثل الأجرومية والألفية ولامية الأفعال والجمل ولامية الطغرائي ومنظومة ابن الونان، وألفية مصطلح الحديث وما شاكل ذلك، وأذكر أنه لدى إجراء بعض الامتحانات علي، امتحنني في الألفية وغيرها السيد محمد

بن القاضي فكان يأخذ بيده نسخة من المنظومة فيبتدئ من أولها ويامرني بعرضها عليه ثم ينتقل من باب إلى أن تنتهي المنظومة وهكذا، وأذكر كذلك أنني لم أخيب ظنه والحمد لله.

ومن المدارس التي كانت أسست بعد المدرسة المذكورة مدرسة الفقيه السيد محمد بن احساين النجار بحومة باب سبتة، وكان يربي تلاميذه على أساس الطريقة الكتانية، وكان رحمه عمدة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بمدينة سلا، يعطي دروسا مسجدية في الحديث وغيره، وكان شخصية قوية، وكانت له جولات وصولات طرقية حتى خارج مدينة سلا بل حتى خارج المغرب حيث كان له اتباع وأنصار في الجزائر الشقيقة.

والمدرسة الثالثة التي كانت موجودة بسلا وتعتبر دون المدرستين المذكورتين سواء من حيث التنظيم أو حتى عدد التلاميذ، فهي مدرسة الفقيه الحاج العربي بن امبارك العبادي وكانت توجد بزاوية منسوبة للشيخ ابن الصديق قرب درب ابن شعبان وقرب محكمة القاضي الشرعي حاليا، والشيخ الحاج العربي هذا كان درقاوي الطريقة من أتباع. الشيخ ابن الصديق (طنجة) ولقد انتقل إلى الدار البيضاء أيام الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقليل، وكان يعطي دروسا ببعض المساجد، ولم يسبق لي أن أنصت إلى دروسه.

ولدى بروز الحركة الوطنية التجديدية في الثلاثينات وما بعدها اتجه الوطنيون إلى إنشاء مدارس حرة قرآنية في مختلف المدن والقرى المغربية كان من جملتها المكتب الاسلامي) الذي سمى بمدرسة النهضة بمدينة «سلا» والذي تحدثت عنه بتفصيل في كتابي (قصة النهضة) الذي صدر سنة 1984 ومعهد جسوس بالرباط الذي أسسه المرحوم الحاج احمد بلافريج سنة 1933م والمدرسة الغازية التي كان يشرف عليها المرحوم سيدي احمد الشرقاوي والمدرسة الحرة بمدينة وجدة التي كان يشرف عليها، ويديرها العلامة المرحوم سيدي عبد السلام الوزاني وغير ذلك من المدارس التي كانت منبثة في غير ما جهة من جهات المغرب، مثل مدرسة التقدم بمدينة القنيطرة التي كان يشرف عليها الشهيد المرحوم السيد محمد الديوري ويديرها في المرحلة الأولى المرحوم العلامة السيد بوشتى الجامعي ثم تولى إدارتها الشريف الجليل مولاي العربي العلوي ثم أتى بعدهما أخونا الأستاذ السيد احمد بن الحاج السلمي، ومثل المدرسة الحرة بوزان التي كان يشرف عليها ويديرها أخونا المرحوم الفقيه السيد محمد الفرسيوي، ومثل المدرسة الحرة بمراكش التي كان يديرها ويشرف عليها أخونا العلامة المرحوم سيدي محمد المختار السوسي ومثل المدرسة الحرة بمكناس التي كان يديرها ويشرف عليها الأستاذ المرحوم السيد الجيلاني مزوار والمدرسة الحرة بفكيك التي كان يديرها الأستاذ الحاج محمد فرْج. ومدرسة مدينة «تازة» الحرة والمدرسة الحرة بطنجة التي أنشأها وأدارها أخونا العلامة سيدي عبدالله كنون الحسني، إلى غير ذلك من المدارس التي لم أقصد الاحاطة بذكرها جميعها وإنما ذكرت الذي ذكرت كنماذج لا غير، لأبرهن على أن الحركة

الوطنية أعطت الاهتمام الكبير لقضية التعليم والأخذ بيد أبناء المغاربة الذين كانوا محرومين من العلم في عهد الحماية البغيض، ولقد تضاعف عدد المدارس الحرة في الأربعينات بمساندة ومؤازرة الملك الصالح سيدي محمد الخامس نور الله ضريحه كما سنتحدث عنه بحول الله لدى تاريخنا لفترة الأربعينات والخمسينات.

مقاومة انتشار الخمور بسلا

كانت الحركة الوطنية تُبدي اهتماما للمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الشعب المغربي، فلم تكن تتجه لمقاومة النفوذ الأجنبي فحسب وإنَّما كانت بالاضافة إلى ذلك تعطي عنايتها لكل ما من شأنه أن ينهض بالأمة المغربية ويرفع عنها كابوس الاستعمار والانحلال.

ففي سنة 1934 اجتمعنا اجتماعا تلقائيا نحن جماعة من الشباب الوطني بسلا فاقترح الأخ المرحوم السيد محمد حصار أن نقوم بحملة عملية ضد وباء انتشار الخمور، ومحاولة اقفال المتاجر التي تبيعها لجمهرة المسلمين، ومنع عرضها داخل الأحياء الاسلامية على الأقل. وصبيحة يوم عاشوراء عام 1353 اجتمعنا بالمكتب الاسلامي بالزاوية القادرية وبعد المذاكرة اتجهنا نحن جماعة من الشباب قليلة العدد إلى أول مكان تباع فيه الخمر، ويقع قرب باب شعفة في طريق زناتة، وهو دكان صغير كان يبيع فيه الخمر شخص جزائري، فتقدم المرحوم حصار الذي كان متزعما للفكرة وخاطب صاحب المحل بأن دين الاسلام لا يبيح للمسلمين تعاطي الخمور، لا شربها ولا بيعها ولا التعامل بها ومن أجل ذلك فإن وجود متجر لبيع الخمر بهذا الحي الاسلامي يعتبر تحديا لشعور المسلمين جميعهم ثم طلب من صاحب المتجر أن يفرغ المحل من كل الخمور وينقلها إن شاء لحارات اليهود ؟ (المْلاَّح) وفي حالة ما إذا لم يلب ما طلب منه، فتكون الجماعة ملزمة بإفراغه بالقوة.

وهكذا ما سمع صاحب الدكان ما نطق به أمامه الفقيد حصار ورأى الحاضرين متضامنين معه حتى صار يجمع قاروراته في عربة ويذهب بها إلى أماكن أخرى، وتوالى الطواف على مختلف الخمارات لافراغها، وصفق الجمهور المغربي المسلم لهذه البادرة التي صدرت من الشباب الوطني، ولكن الادارة الاستعمارية ساءها أن تقوم فئة من الشباب بمقاومة الخمارات وإقفالها، فأمرت بإلقاء القبض على الذين اعتبرتهم مسؤولين وهكذا ألقي القبض على الأخوين محمد حصار وحّ احمد معنينو، وحكم عليهما بشهرين سجناً فزجّ بهما في أعماق السجون، وكنت من جملة الذين سيقع عليهم القبض، لولا غلطة وقعت للمخبرين حيث نقلوا إلى مسؤوليهم ان من جملة الذين يطوفون على أماكن بيع الخمور ويغلقها سيدي عبد الله القادري الذي هو أخي فاستدعته الادارة وسألته ولما أجاب بالنفي سرحته، كما استدعت الشريف

سيدي عبد القادر الوزاني ولم يلق عليه القبض، وإثر إلقاء القبض على هذين الوطنيين قمنا بحركات احتجاجية تضامنية مطالبين بتسريحهما ولقد قابلت صحبة السيدين محمد اشماعو وابو بكر السماحي المراقب المدني مؤكدين تضامننا المطلق مع أخوينا ومطالبين بسراحهما واغلاق حانات الخمور من المدينة ومنع بيعها منعاً كليا كما حررنا رسالة احتجاج ضد انتشار الخمور من جهة وضد إلقاء القبض على الأخوين حصار ومعنينو من جهة أخرى، وها نص العريضة الموجهة إلى جلالة الملك والتي رفعها وفد كنت قد ألفته وهو مؤلف من كاتبه والمرحومين السيد ادريس الشدادي، والسيد عمر بن الأمين، والفقيه السيد عبد الهادي أطوبي والحاج محمد بن علي عواد والسيد الحاج بوبكر بن عبد الله عواد. والشريف الجليل سيدي محمد بن الطيب العلوي حفظه الله.

ياجلالة مولانا السلطان

أيد الله ملككم ورفع ذكركم، وأبد دولتكم، وأبقاكم ذخرا للاسلام والمسلمين. مولانا ! لقد أصيبت رعيتكم المخلصة بمصيبة عظمى في دينها وأخلاقها وصحتها وماليتها من أجل الخمور التي أصبحت تباع في جميع الأحياء وكافة الجهات، حتى لا تخلو اليوم مدينة من المدن ولا قرية من القرى من الخمارات التي تستغل جهالة ضعفاء المسلمين.

وفي مدينة «سلا» بالخصوص قد انتشرت الخمارات انتشارا فظيعا، في أماكن لا يوجد فيها يهود ولا مسيحيون، بل هي أماكن عربية خاصة بالمسلمين، لا تحتوي إلا على العائلات الاسلامية، وفي جوار المعاهد الدينية.

والقائمون بهذه الخمارات أجانب من الجزائريين والاسبانيين والسينغاليين، على أنهم لم يكتفوا بنشر الخمور وبيعها في أماكن إسلامية خاصة، بل اتخذوا أماكنهم مراكز للعهر والدعارة واجتماع المومسات.

ولقد حدثت من أجل ذلك عدة حوادث خطيرة، فتنت المسلمين وأصبحوا مهددين في أعراضهم وكرامتهم.

وآخر حادثة من هذه الحوادث حادثة المرأة التي اعتدى عليها سكران، ففزعت من ذلك ومرضت، وها هي الآن محتضرة مشرفة على الموت. وقد قام باستنكار هذه الفضائح كافة رعاياكم المسلمين بسلا، وقدموا بذلك عدة مواجب وعرائض لسعادة الباشا وحضرة المراقب، وتكلم ضد ذلك أعضاء البلدية، فلم يجابوا إلى شيء من مطالبهم العادلة.

وأخيرا اضطر فريق من رعيتكم إلى الذهاب لأصحاب الخمارات وإقناعهم بالتي هي أحسن بوجوب مفارقة الأحياء الاسلامية إلى غيرها من أحياء اليهود والافرنج، فقبلوا نصحهم في تلك الساعة، ولكن ألقي القبض بعد ذلك على شابين محترمين من شباب سلا وهما السيد الحاج أحمد معنينو والسيد محمد حصار، من أجل توسطهما بين المسلمين وأصحاب الخمارات

الأجانب الذي أضروا بالأمة والملة وقد شجعهم على فتح خماراتهم مرة أخرى ما رأوه من معاملة السلطة لأولئك المرشدين.

ياجلالة مولانا السلطان ! ان رعيتكم السلوية ترجو من جلالتكم انقاذها من خطر الخمور التي أوجب ديننا المقدس حماية المسلمين من شرها، وترجو إصدار أمركم العالي بإقفال الخمارات الموجودة في المدن الاسلامية داخل الأحياء المغربية الخاصة بالمسلمين وعدم السماح بها لا للمغاربة ولا للأجانب وإصدار الأمر العالي للباشوات والعمال بالمراقبة التامة والصرامة الكاملة ضد السكارى من المسلمين. وإن رعيتكم السلوية تلتمس من فضل جلالتكم الاذن بتسريح الشابين المسلمين المخلصين السيد محمد حصار والسيد احمد معنينو اللذين دفعتهما الغيرة الدينية لاقناع أصحاب الخمارات بالانصراف عن الأحياء الاسلامية إلى غيرها من الأحياء الأخرى، وتلتمس من مخزنكم الشريف القيام ببحث كاف عن الأضرار العظيمة التي لحقت رعاياكم المسلمين في سائر أطراف المملكة من الوجهة الدينية والصحية والمالية، بسبب الخمور التي انتشرت انتشارا لم يسبق له نظير، ووضع تشريع صارم يصون الأمة الاسلامية من هذا البوار والخراب.

ودمتم ياجلالة السلطان ملجأ أمتكم ومطمح رعيتكم، وعلى تمام الطاعة والاخلاص والولاء والسلام.

سلا : حرر بتاريخ 12 محرم الحرام 1353هـ

ولقد نشرت هذه العريضة مع صورة لأعضاء الوفد الذي قدمها بأحد إعداد مجلة «السلام» التي كان يصدرها إذذاك أخونا الفقيه المؤرخ المرحوم السيد محمد داود.. كما أن جريدة «عمل الشعب» أخبرت بالحادثة ولم يقع معنا تضامن كبير في هذه الحركة مع الأسف الشديد كما أنني بعثت بمراسلة إلى جريدة «الحياة» التطوانية في موضوع هذه الحركة يرجع إليها في أحد أعداد جريدة «الحياة» التي لا توجد عندي أعدادها.



صورة أعضاء الوفد السلاوي الذين رفعوا إلى جلالة الملك عريضة الاحتجاج ضد انتشار الخمور واعتقال محمد حصار وحّ احمد معنينو وهذه أسماؤهم، الجالسون من اليمين هم السادات : مولاي إدريس الشدادي، الحاج محمد بن علي عواد، محمد بن الطيب العلوي والواقفون من اليمين هم السادات : أبو بكر القادري، أبو بكر عواد، عبد الهادي أطويي، عمر بن الأمين.

زيارة جلالة محمد الخامس لمدينة فـاس

من عادة ملوك المغرب أن يتفقدوا مدن وقبائل مملكتهم الآونة بعد الأخرى، وفي يوم 8 ماي 1934 قصد جلالة محمد بن يوسف رحمهُ الله مدينة فاس، فاغتنمها الوطنيون مناسبة لاظهار عواطفهم نحو ملكهم، وتعلقهم بعرشه المجيد، فنظموا الاستقبالات الشعبية ونصبوا الأقواس، في الطرق التي سيمر منها الموكب الملكي، وخارج مدينة فاس في الطريق المؤدية إليها، استقبله وفد من الشباب الوطني مسلما عليه، معبرا عن ولائه وتعلقه بعرشه المجيد. وبمجرد حلوله بالمدينة انطلقت الألسنة بالهتاف بحياته وحياة المغرب، وانطلق الشباب الوطني يتغنى بالأناشيد الوطنية الحماسية التي كان من جملتها النشيد الذي وضعه الزعيم علال الناسي رحمه الله والذي مطلعه :

يـامليـك المغـــرب   يابن عدنان الأبـــي
نحن جنـد للفـــدا   نحجمي هذا الملـك

ولقد كان في برنامج زيارة جلالة الملك لفاس أن يؤدي صلاة الجمعة بجامع القرويين، ولكن الادارة الاستعمارية عندما رأت ذلك الاستقبال الحماسي العظيم النظير، ورأت تعلق الشعب بملكه، وتعبيره عن الآمال المعلقة عليه، ورأت تجاوب الملك مع شعبه، ورضاه التام عنه، خشيت من هذا الالتحام الملكي الشعبي فقررت أن لا يُؤدي الملك صلاة الجمعة بالقرويين، حتى لا يتكاثر الحماس، واختلقت بعض المبررات حاولت أن تقنع بها جلالته حتى لا يقدم على أداء الصلاة بالقرويين ويكتفي بأداء الصلاة بمسجد القصر، ولكن جلالته أصر على أداء الصلاة بالقرويين طبق ما كان مقررا، ووفق العوائد والتقاليد المتبعة، وإزاء هذا التباين في الرأي بين جلالته وبين السلطات الاستعمارية، صارت تختلق الأكاذيب كدعواها إهانة الجمهور للعلم الفرنسي، ورميه في الأرض، ومطالبتها جلالته بموافقته على اعتقال بعض رجال كتلة العمل الوطني الذين يعتبرون مسؤولين عن كل ما جرى، ولكن جلالته رفض الرفض القاطع الموافقة على اعتقال رجال الكتلة، وقرر أن يرجع إلى الرباط موقفا رحلته ومنهيا لها، معبرا عن استيائه من موقف الادارة الاستعمارية محتجا على تصرفاتها الطائشة. وفعلا رجع إلى الرباط ثم أمر باستدعاء رجال كتلة العمل الوطني الذين وقعوا على برقية تضامنية مع جلالته، حيث استقبلهم الصدر الأعظم ورئيس الديوان الملكي وبلغاهم رضى جلالة الملك ودعاءه لهم بالتوفيق، وأمام هذا الموقف الصارم الذي وقفه جلالة الملك ضدا على الادارة الاستعمارية،

قررت الادارة أن تنتقم من كتلة العمل الوطني بتوقيف جريدة (عمل الشعب) التي كانت أصدرت عددا ممتازا بهذه المناسبة ومنع جريدة «الحياة» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ عبد الخالق الطريس ومجلة «مغرب» التي كان تصدرها الكتلة في باريس، ومجلة «السلام» التي كان يصدرها الفقيه المرحوم الأستاذ محمد داود من الدخول إلى المنطقة السلطانية. وهكذا فقد المغرب كل الأصوات التي كانت تنطق باسمه، وأصبح مكمم الأفواه، محروما من الكلام والاعتراض، وإزاء هذا الموقف الذي وقفته الادارة الاستعمارية، توالت اجتماعات رجال الكتلة لاتخاذ الموقف المناسب، فتقرر أن تغتنم هذه الفرصة للانكباب على وضع برنامج الاصلاحات المغربية أو مطالب الشعب المغربي التي تحدثنا عنها في فصل سابق ولقد كان رأي بعض الاخوان أن تقوم الكتلة بعمل إيجابي ضد السلطة الاستعمارية وكان المرحوم السعيد حجي من جملة هؤلاء، فهذه رسالة يوضح فيها رأيه كتبها إلى المرحوم الحاج عمر ابن عبد الجليل وكان إذذاك بباريز أثبتها بالحرف :

حضرة الأخ العزيز

سلاما وتحية.

وبعد، منذ غادرتم المغرب إلى باريس لمواصلة العمل الوطني، والأحوال بالمغرب تسير من سيء إلى أسوإ، والعاملون أمام ذلك الحال في موقف غريب.

وقد فكرت أن أكتب إليكم هذه الرسالة لأوضح لاخوتكم وللأخ الوطني الغيور السيد محمد الوزاني وضعية حركتنا في الظروف الأخيرة كما تترآى لنا، فمنذ اليوم الذي منعت فيه الصحف الوطنية بالمغرب، والادارة تستغل كل فرصة للتنكيل بالوطنيين، وتعمل جهدها في محاربتهم، بينما الوطنيون لم يقدموا على عمل مثمر، يخرج الحركة من هذا الطور الشاذ، إلى حالة تتقدم فيها.

وقد اجتمعنا كثيرا بسائر الاخوان العاملين، فلم نجد أمامنا إلا محاولات لا تنتج أي عمل صحيح، فقد منع الأخ علال من التدريس بالقرويين، فأتى للرباط، واجتمعنا، وتليت علينا رسالتكم في شأن الاحتجاج ضد هذا المنع، وتجديد الحركة على اثره، فتذاكرنا في شأن بيان ينشر على الشعب، يوضح ما تقوم به السلطة من أعمال مستهجنة، وموقفنا إزاء ذلك، وسعينا في التفاهم معها، وإعراضها عنا. فكان الأخ الناصري يمثل المعارضة لفكرة البيان، والأخ اليزيدي يؤيده وكذلك علال وفي ختام الحديث، قرر نشر البيان، وكلفت هيأة منا بوضع المشروع النهائي للبيان، ولم يمر يومان، حتى طويت فكرة البيان وأغلقت والخلاصة أن رأي الأخ الناصري أنه من واجبنا أن نرتب البيت قبل الخارج. هذه الفكرة سليمة المنطلق، ومقبولة لدى كل عامل، لكن هناك بعض ملاحظات، يجب أن ندركها جيدا، وهي أن ما يفكر فيه من

تنظيم البيت، يحتاج إلى وقت طويل، ولا يمكن مطلقا لحركتنا أن تقف هذا الوقت الطويل ريثما تنتهي من ذلك، بل ربما إذا وقفت ستموت، ولابد لاحيائها من مجهود عنيف، وثانيا، إن ترتيب البيت بالصورة التي نتصورها في عالم النظريات لا يوافق ما في شعبنا من استعداد، وما له من تربية، ثم إن حركتنا حديثة العهد، ولا يمكن تنظيمها إلا تنظيما له حظ من البساطة وعلينا بعد أن نخرج حركتنا من دور البساطة هذه إلى دور آخر أرقى، وذلك يكون مع الأيام. ومع كثرة وتنوع الحوادث، والسير إلى الأمام.

أما الأخ (ي) فالذي يظهر لنا منه الآن، انه حائر، أو بعبارة أوضح، في مفترق الطرق، وهو يؤيد فكرة ترتيب البيت، ولكن لا يعمل لها بطريقة تستمد قوتها من القلب، وكذلك سائر الاخوان، ولكن إلى متى هذه الحيرة ؟

تعقيب :

هذه الرسالة مكتوبة بخط المرحوم سعيد حجي، وهي موجودة عندي ضمن كثير من الأوراق التي كتبها بخط يده.

المطالبة بإصلاح وزارة الأحباس

الحمد لله وحده. ذي العظمة والجلال
والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنقذ من الضلال

ياجلالة مولانا المعظم وملاذنا الأفخم ان رعاياكم المخلصين سكان مدينة سلا المتشبثين باذيال جلالتكم، المتمسكين بمحبتكم وطاعتكم، قد لاذوا بحماكم المحروس بالله مستنصرين، واعتصموا بجنابكم العالي مستنجدين، راجين من جلالتكم تحسين حالة احباس المسلمين، والضرب على أيدي الذين تلاعبوا بها في غير اغراض المحبسين.

مولانا، ان الاحباس التي هي قوام ديننا الحنيف، وعماد شريعتنا المطهرة وثرات السلف الصالح، وصنيعة الأوائل للأواخر، والتي حرسها أسلافكم الكرام، المقدسة أرواحهم في دار السلام، وأوصوا باعلاء شأنها، وتنميتها وصيانتها، والمحافظة على صبغتها، لتبقى مددا قويا وافيا، وموردا صافيا ضافيا، لاعلاء الدين، ونشر الهداية بين المسلمين، قد أصبحت اليوم كما نشاهدها وتعلن عليها إدارة الأحباس، شركة لمجمع المال ولو بالتقتير على المشاريع التي لولاها ما حبس المحبسون، والتضييق على مستحقيها من الاشراف والمساكين وأهل العلم وغيرهم

ممن قصد نفعه الواقفون، حتى أيقن الكل انها إذا لم تتداركها عنايتكم، وتتولى انقاذها جلالتكم، بإصلاح خطأ المفسدين، والضرب على أيدي العابثين المستخفين بأمور الدين، تزداد حالتها خطرا وتزيد رعيتكم قلقا وضجرا.

مولانا ؟ ان إدارة الأحباس رغما عن أنظمتها الوقتية، وتحسيناتها العصرية لا يهمها أن تصرف مالية أحباس المسلمين في خدمة دينهم الحنيف، ونشر ملتهم السمحاء، بل غاية اهتمامها تفويت الاملاك الحبسية، حسب أغراضها الشخصية وصرف عدة الملايين في أجور المهندسين، ومصالح المستخدمين.

مولانا ؟ ان مساجدنا بيوت الله المطهرة التي أذِن سبحانه وتعالى أن ترفع عن كل اهمال، ويذكر فيها اسمه ويسبح فيها بالغدو والآصال، ووقف الاسلاف احباسا معينة على ادخال الماء إليها وتنظيفها وإنارتها وإعانة المؤذنين والقراء والمدرسين فيها، أصبحت مهملة خاوية معطلة خالية، بسبب سوء تصرف الادارة الحبسية وعدم اهتمامها بالوظائف الدينية، وشدة التضييق على القائمين بها، رغم بخسهم أجورهم المستحقين لها، وأصبح الماء الذي هو عماد الطهارة، ينقطع عنها تارة ويجري تارة، بل في بعض الأحيان ينقطع بالكلية، فتتعذر بذلك الشعائر الدينية.

مولانا ؟ ان إدارة الأحباس قد أساءت جدا إلى الضعفاء المكترين لأملاك الأحباس، وشدت عليهم الخناق، وهتكت حرماتهم وحملتهم من واجب الكراء ما لا يطاق وجهلت ان المحبسين ما قصدوا بتحبيسهم تلك الأملاك إلا التسهيل على الضعفاء، والرفع بهم وبجميع المعوزين البؤساء، وقد أدى هذا الضيق والجناح إلى ازهاق الأرواح فبعض الاشراف الملتجئين بمسكن من الأوقاف، تخلد بذمته بعض من الكراء وتعذر عليه التعجيل بالأداء، فلما عاين تلك المعاملة القاسية وتهدد بالعقاب، ولم يجد من الأحباس شفقة ولا رحمة تهون عليه المصاب، اختار الموت على الافلاس، وقذف بنفسه في البحر وذهب ضحية سوء تصرف الأحباس، فمعاملة كهذه من إدارة الأحباس، جديرة بالاهتمام سيما من جلالة مولانا الامام الذي يسهر دائما على مصالح أمته، ولا يرضى بأدنى سوء يلحق أحدا من رعيته.

مولانا ؟ ان ما تشاهده رعيتكم من سوء معاملة إدارة الأحباس قد عاق كثيرا من الناس عن التحبيس وصار من يحبس «وهو قليل» يشترط في حبسيه ان لا تتداخلَ فيه إدارة الأحباس فإن تداخلت فيه رجع لورثته وهذا أقوى دليل يبرهن لجلالتكم عن سوء معاملة الادارة، التي اتخذت مالية الأحباس لهوا وتجارة، وصار المحبسون يتقون دخولها الذي لا يسلم من التغيير والتبديل وتحريف قصد المحبس.

مولانا ؟ هذه شكوى رعاياكم السلويين نرفعها لجلالتكم ضامين صوتنا إلى صوت إخواننا الرباطيين الذي تقدم إلى جلالتكم بمطالب مغربية في شأن تحسين الحالة الحبسية، نحن

موافقون عليها أتم الموافقة لمطابقتها لرغبات شعبكم غاية المطابقة، راجين من سمو مقامكم وعظيم اهتمامكم تدارك الخطر، وتلافي الضرر، منتظرين بشوق عظيم، وتلهف شديد، إشراق ذلك اليوم المبارك السعيد الذي تصدر فيه أوامركم العالية، بتحقيق رغبات رعيتكم الاسلامية، وتنفيذ مطالبها على التمام، وفق المنى والمرام.

مولانا ؟ ان عصركم الباهي الزاهر المملوء بشريف المناقب وعظيم المفاخر يبشر ببلوغ الأمل، والنجاح في العمل، فلنقدم في الختام، فائق التعظيم والاحترام لجلالة مولانا الامام، أبقاه المولى ملجأ للأنام، ومخلدا آثار أجداده، الكرام ومجددا لما اندثر من معالم الاسلام، وأراه في ولي عهده وفلذة كبده ما يسر على الدوام.

تسيير الجمعية الخيرية السلاوية من طرف رجال الحركة الوطنية

مما اهتمت به حركتنا الوطنية تنظيم الأعمال الخيرية وهكذا صرنا نعمل على تأسيس بعض الجمعيات الخيرية أو الانخراط في الموجود منها لاصلاحها وأثبت هنا نص قانون عملنا على إنشائه لاصلاح الجمعية الخيرية السلوية.

نص قانون الجمعية الخيرية

الفصـــل الأول :

المادة (1) : ان اللجنة الخيرية لملجأ ضريح سيدي بن عاشر أصبحت تسمى بـ «الجمعية الخيرية الاسلامية السلاوية».

المادة (2) : مركز الجمعية بمدينة سلا.

المادة (3) : تنحصر الجمعية في تنظيم الأعمال الخيرية بالمدينة وتحسين حالة البؤساء والأيتام والعجزة وتحسين ملجأ ضريح سيدي بن عاشر وتوسيعه وتأسيس ملاجئ أخرى مضافة له حسب ما تتطلبه الحاجة وبحسب ما تسمح به الظروف وتأسيس ميتم لجمع المتشردين بأزقة المدينة وإعانة العائلات والأفراد والفقراء العاجزين عن العمل وليس لهم موارد ويستحيون من التسول ومعالجة

المرضى منهم والسعي على قدر الامكان في إيجاد مشاريع اقتصادية لاشغال ما لا عمل له منهم وتعليم الأولاد من بينهم ومساعدة الغرباء الفقراء المسلمين المغاربة بتسهيل الأسباب المادية التي تردهم إلى أوطانهم بحسب ما تسمح به مالية الجمعية وميزانيتها.

المادة (4) : كل مغربي مسلم بلغ سن الرشد قاطنا بسلا ويؤدي للجمعية مبلغ عشر فرنكات على كل ثلاثة أشهر على الأقل يعتبر عضوا عاملا طبيعيا له حق الانخراط في هذه الجمعية.

المادة (5) : كل شخص مسلما كان أم لا مغربيا أو أجنبيا تبرع سنويا أو شهريا بمبلغ لا يتجاوز ما حدده ظهير 14 ماي سنة 1924 يمكن إعطاؤه لقب عضو شرفي.

المادة (6) : الرئاسة الشرفية للجمعية لسمو الأمير مولاي الحسن.

المادة (7) : تفقد العضوية بالاستعفاء أو الطرد المقرر من جانب الجمعية العمومية بطلب من الهيئة الادارية أو من ثلث أعضاء الجمعية العمومية بعد سماع الدفاع مشافهة أو كتابة.

الفصـــل الثـانـــي :

المادة (1) : الهيئة الادارية تؤلف من رئيس ونائب رئيس وكاتب ومساعد كاتب وأمين الصندوق ومساعد لأمين الصندوق وثمانية أعضاء.

المادة (2) : على الرئيس إدارة الجلسات وحفظ نظامها وان يطلب من أمين الصندوق تقريرا عن مالية الجمعية متى أراد ودعوة أعضاء الادارة إذا مست الحاجة إلى اجتماع استثنائي وان يمثل الجمعية أمام المقامات الرسمية.

المادة (3) : لنائب الرئيس ما للرئيس عند غيابه.

المادة (4) : على الكاتب أن يسجل محاضر الجلسات وتأمين المراسلات ودعوة الأعضاء إلى الاجتماع قبل الوقت المحدود بثلاثة أيام على الأقل وأن يطلع الرئيس على جميع ما يرد من الرسائل بأوقاتها وأن يحفظ الأوراق.

المادة (5) : على الأمين أن يكون مسؤولا على القبض والصرف كافة وان يرتب قيود مالية الجمعية بأنواعها المنظمة على القواعد المالية وهو الذي يحفظ مال الجمعية وضبط الوارد والصادر منها وأن يكون صندوقه وقيوده مهيئين للمراقبة والتفتيش في أي وقت كان.

المادة (6) : على كل أعضاء الهيئة الادارية الثمانية أن يقوموا بالوظيفة التي تكلفه به أغلبية الهيئة الادارية.

المادة (7) : الهيئة الادارية هي التي تقيم الميزانية ولا تنفذها إلا بمصادقة الجمعية العمومية.

المادة (8) : إذا حضر نصف أعضاء الهيئة الادارية على الأقل تكون الجلسة قانونية وقرارتها نافذة بالأكثرية وإذا تساوت الأصوات يرجح جانب الرئيس.

المادة (9) : على الهيئة الادارية أن تقدم تقريرا سنويا تفصل فيه أعمالها وبيان صرف ميزانيتها وبيان مالية الجمعية وحالتها الأخلاقية.

المادة (10) : مدة العضوية سنة واحدة.

المادة (11) : القيام بالوظائف مجانا.

المادة (12) : لا يصح لأحد أن يكون عضوا بالهيئة الادارية إلا إذا كان عضوا بالجمعية.

المادة (13) : الرئاسة لسعادة باشا المدينة.

المادة (14) : تنتخب الجمعية العمومية الهيئة الادارية بالانتخاب السري الحر وبأغلبية الحضور.

المادة (15) : لا يمكن لأحد أن يشارك في انتخاب الهيئة الادارية إلا إذا كان مؤديا كل ما عليه لصندوق الجمعية.

الفصل الثالث : مالية الجمعية

المادة (1) : تكون مالية الجمعية من الاشتراكات والتبرعات وموارد المجزرة وموارد أملاك الأوقاف المرصودة على الفقراء بلفظ المحبس والاعانات البلدية والحكومية والحبسية وريع الحفلات التي تقيمها الهيئة الادارية لهذا الغاية ومن كل وسيلة مشروعة ترى الهيئة الادارية فيها منفعة للجمعية.

المادة (2) : لا يجوز صرف مبلغ من أموال الجمعية إلا بإمضاء الرئيس وأمين الصندوق بعد موافقة الهيئة الادارية التي هي المسؤولة عن الصرف.

المادة (3) : تبقى أموال الجمعية في عهدة أمين الصندوق ولا يجوز إيداعها في مصرف.

المادة (4) : لا يمكن تغيير شيء في قانون الجمعية هذا إلا باقتراح من الهيئة الادارية أو من ثلثي أعضاء الجمعية وبعد مصادقة الجمعية العمومية ولا يصح تغيير في الهيئة الادارية إلا بمصادقة الحكومة الشريفة.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الباشا الأجل الفقيه السيد الحاج محمد الزهيري رعاك الله
وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أمير المؤمنين نصره الله وبعد فيصلك ما كتب به سيدنا أيده الله في
تزوج بنات هذا الصنف لعلة في منع ما تقدم ذكره من البدع في الأعراس والأفراح والمآتم
والأتراح حيث بلغ لعلمه الشريف أن الناس خرجوا في ذلك عن الحد المحدود والمشروع
المتعارف المعهود وعلى أن هذه مسألة الشورى التي مدار الغنا والإطعام يتنافس
فيهما ويتباهى ويتفاخر بهما من غير التفات لما في ذلك من الإسراف والتبذير
والإضرار بالأيتام والضعفاء إذ ربما أنها أساس للحجاب الشريف عن بقية فالتشكي من
هذه تلك العوائد فيبين فيها ما وقع الاتفاق على إلغائه وما وقع الاتفاق على
حذفه وإلغائه وعليه فيأمر سيدنا أعزه الله أن تنادي بعقد جمع برياسة
بحضرة قاضي البلد ومحتسبها ونخبة من أعيانها للمذاكرة في حذف ما يجب حذفه
من العوائد المذكورة وإلغاء ما هو ضروري منها مع سلوك ما يمكن فيه من
الاختصار ثم ترفع الأسماء في ذلك بالعدول وبعد تحرير رسم به وجهه لجناب
الأعتاب ليرى فيه مولانا نصره الله الموفق الأسد ويصدر أمره الشريف بما يكون عليه
العمل فيه فلتتنبه لذلك وتعمل على مقتضاه ومع أن ... المولوي الشريف أسماه الله
وعلى المحبة والسلام في ١٧ رجب عام ١٣٦١

والعوائد

محمد المقري

المادة (5) : إذا انحلت الجمعية «لا قدر الله» فعلى الهيئة الادارية أن تستدعي الجمعية العمومية لتقرر تصفية حساباتها ومآل أموالها بشرط أن يكون هذا المآل لجمعية أخرى معترف بها بأنها من المصلحة العامة بالمنطقة (الفرنساوية) بالايالة الشريفة.

أمر مولوي شريف بمقاومة العوائد الضارة في الأعراس والأفراح

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الباشا الأجل الفقيه السيد الحاج محمد الصبيحي. رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله. وبعد، فبينما سيدنا أدام الله نصره، وتوّج بالإصلاح عصره يفكر في منع ما تفاحش من البدع والعوائد في الأعراس والأفراح، والمآتم والأتراح، حيث بلغ لعلمه السامي، أن الناس خرجوا في ذلك عن الجو المحدود، والمهيع المتعارف المعهود، وعلى الأخص مسألة (الشورة) التي صار الخاص والعام، يتنافس فيها ويتباهى، ويتفاخر فيها من غير التفات لما في ذلك من الاسراف والتبذير، والضرر باليتيم والفقير، إذ رفع أهالي فاس للجناب الشريف عريضة بالتشكي من ضرر تلك العوائد، مبينين فيها ما وقع اتفاقهم على بقائه، وما وقع اتفاقهم على حذفه وإلغائه وعليه فيأمرك سيدنا أعزه الله أن تبادر بعقد جمع برياستك، يحضره قاضي البلد ومحتسبها ونخبة من أعيانها للمذاكرة في حذف ما يجب حذفه من العوائد هناك، وإبقاء ما هو ضروري جداً منها، مع سلوك ما يمكن فيه من الاختصار، ثم يقع الاشهاد في ذلك بالعدول، وبعد تحرير رسم به، وجّهه لشريف الأعتاب ليرى فيه مولانا برأيه الموفق الأسدّ، ويصدر أمْره العام بما يكون عليه العمل فيه، فلتباشر ذلك على مقتضاه، وفق الأمر المولوي الشريف أسماه الله وعلى المحبة والسلام.

في 17 رجب عام 1361هـ

محمد المقري

كلمة أخيرة

أعود لأؤكد أن ما يوجد بين دفتي هذا الكتاب، ليس تاريخاً للحركة الوطنية المغربية الحديثة ككل، ولكنه تسجيل لبعض الأحداث الهامة التي عشتها أو شاركت فيها من قريب أو بعيد، وحتى بعض الأحداث التي عشتها أو ساهمت فيها، لم يتعرض لها الكتاب، لسبب أو آخر، فأنا لم أتعرض للأحداث والوقائع التي قامت بها الحركة الوطنية في الشمال، لأني لم أعشها بنفسي ولأن كتابتي عنها لا تساوي مهما كانت ما سجله مؤرخوا وكتابوا تلك المنطقة، ولذلك اكتفيت بالاشارة إلى بداية اتصالي بإخواني في الشمال ودوافعه وأسبابه، وأشرت إلى ارتباط الحركة الوطنية في الجنوب والشمال، وتوثيق العلاقة فيما بينهما، وتوضيح المبادئ الأساسية التي يجب التمسك بها من طرف الجميع وفي كل الظروف مع ترك التصرف الحر للمسؤولين في كل من المنطقتين حسب ما تفرضه ظروف كل منهما في الفترة التي يتحدث عنها هذا الكتاب، كما أنني لم أتعرض بتفصيل للمساهمة العملية التي ساهمت بها في ميدان التعليم الحر، والتي دامت نصف قرن كامل، لأني أحلت القارئ الكريم على ما كتبته في الموضوع في كتابي (قصة النهضة) والذي سجلت فيه بتفصيل ظروف اشتغالي بالتعليم وأسبابه ودوافعه والمراحل التي قطعها التعليم الحر في ظرف نصف قرن من الزمان، مع الاشارة إلى المناهج التي اعتمدناها أثناء تلك المرحلة، والمبادئ التي كنا نناضل من أجلها ليبقى تعليمنا مرتبطاً كل الارتباط بإنسيَّته المغربية العربية الإسلامية. إلى آخر ما سجلته من أحداث تتعلق بكفاح الوطنية المغربية في سبيل نشر التعليم وتطويره وتجديده وقضية أخرى من الأهمية بمكان لم أتعرض لها في كتابي هذا رغم أنها نالت من اهتّمامي طوال حياتي ما لم تنله أية قضية أخرى — غير اهتمامي بقضية تحرير بلادي من قبضة الاستعمار — وأعني بها قضية الشعب الفلسطيني المجاهد الأبي، ومؤازرته ومساندته في معركته مع الصهيونية والاستعمار، فلقد كان التزامي بمساندة فلسطين في كفاحها التحرري، مسامتاً تقريباً لالتزامي بقضية بلادي أي منذ الثلاثينات، فلم أتخلف عن هذه المساندة العملية في أي وقت من الأوقات، ولقد سجلت مختلف هذا المراحل في الكتاب الذي ألفته حول القضية الفلسطينية، وجعلت عنوانه : (المغرب والقضية الفلسطينية) فلم أشأ أن أكرر ما سجلته في ذلك الكتاب مرة أخرى، محيلاً القارئ العزيز إلى الكتاب المشار إليه.

وبالاضافة إلى ذلك فإن هناك أحداثاً وقعت، وأعمالا قمنا بها أثناء كفاحنا الوطني سواء في المجال الثقافي أو التكويني أو الاجتماعي أو حتى السياسي قد أكون غفلت عنها فلم أتعرض لها كعملنا على تأسيس منظمات تربوية في المجال الكشفي أو الرياضي أو الثقافي أو الاسلامي، لأني لم أستكمل المعلومات التي فاتتني ولم أُتمكن من الحصول على الوثائق الضرورية التي تثبت وتؤكد ما أسجله، لأني مومن بأن تسجيل الأحداث وتوثيقها متوقف إلى حد بعيد على تأييدها بالوثيقة الثابتة، حتى يزول الالتباس، وتتوضح الحقائق خصوصاً وقد صارت تظهر بعض الكتابات الخالية من التحقيق والانضباط، إن لم أقل المملوءة بالتحريف والتزوير والتناقض وقلب الحقائق.

لقد بذلت جهدي — يعلم الله — لأسجل الحقائق كما عشتها، وكما أتصورها، غير باخس حق حتى الذين اختلف معهم في الرأي والاتجاه، معتبراً كما قلت وأكدت، أن الحق يعلو ولا يعلى عليه.

إنني وأنا أكتب هذه الكلمة الختامية، أود أن أشير إلى أن هذه الفترة التي تحدثت عنها في هذا الكتاب، تعتبر من أهم الفترات في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، لاعتبارات متعددة، ولكي يدرك الباحث أهميتها لابد أن يقارن بينها وبين فترة العشرينات وما قبل العشرينات، فالتطور الفكري والاجتماعي والسياسي في الثلاثينات ينبغي أن ينظر إليه كظاهرة صحية هامة برزت للعيان، وصارت تشق طريقها رويداً رويداً في مختلف المجالات الحياتية ابتداء من عام 1930، فنظرة جيل الثلاثينات إلى الواقع المغربي في مختلف مجالاته، تختلف كثيراً عن نظرة جيل العشرينات وما قبلها، فلقد تفتحت الأفكار وصارت تطالب بالتغيير : التغيير في الحياة الاجتماعية التي كان يعيش عليها المغاربة والتغيير في الحياة السياسية، والتغيير في الحياة الثقافية، فالأفكار التي كانت مسيطرة على المجتمع من جمود على التقاليد الموروثة كيفما كانت نوعيتها، صارت تتغير، والشبان (العصريون) أصبحوا ينظرون إلى آبائهم نظرات فيها كثير من الانتقاد وعدم الرضى، والتشبث بالعوائد والاعتقاد في الخرافات صار يضعف ويتضاءل شيئاً فشيئاً، والجبن والاتكال اللذين كانا مسيطرين على النفوس، صار الشبان الوطنيون يتحررون منهما.

لقد كانت طفرة أو انتفاضة بعثتها في النفوس أحداث القضية البربرية فانكشفت السياسة الاستعمارية على حقيقتها، وبرزت فكرة المقاومة لتلك السياسة بمظهرها العلني، وأصبح الشبان الوطنيون ينظر إليهم المجتمع كمشاعل مضيئة، تنير الطريق أمام الحائرين والمتأخرين، لقد كانت الشبيبة العصرية المتأثرة بالأفكار الأروبية، والمقلدة للاتجاهات الغربية، والتي برزت أواخر العشرينات في بعض المدن المغربية، كانت ينظر إليها بحذر وانتقاد، لأنها كانت في نظر الطبقات المجتمعية، حادت عن الطريق السويّ، وابتعد الكثيرون منها عن المنهج

المستقيم الذي يدعو إليه الدين، وتدعو إليه الأخلاق الاسلامية المثلى، حيث اعتبرت التقدم والنهوض، يتجليان في المظاهر الخداعة، دون الاهتمام بالروح الحقيقية للتقدم والنهوض حتى قال الشاعر عبد الرحمان حجي ناعياً عليهم منتقداً في قصيدة طويلة جعل عنوانها : (كشف النقاب، عن أخلاق الشباب) قال :

أرى خلق الشباب قد اضمحلّا   وسوء الخلق قدحُهم المعلّى
قد ألقوا في المخازي كل دلو   فجاءوا بالغواية ليس إلّا
وراشوا في التشدق كل سهم   وقالوا ينبغي أن (نستقلا)
وجالوا في ميادين الملاهي   وجروا من رداء الفسق ذيلا
يظنون التمدن في ثياب   مزخرفة وصقل الوجه صقلا
علت منهم أنوف شامخات   تنيم بأنّ في الأحلام جهلا
قد انتحلوا شعار المجد قولا   ولست أرى وراء القول فعلا

إلى آخر القصيدة، التي وإن كان فيها بعض المبالغات والشطحات، فإنها كانت تصف شباباً غرته بالفعل بعض المظاهر الغربية، فحسب التمدن والتقدم في السير على منوالها دون تمييز بين صالحها وطالحها. أقول كان ينظر إلى هذه الشبيبة العصرية بمنظار فيه كثير من الانتقاد والاعتراض، فجاءت أحداث الظهير البربري لتقلب الأوضاع وتغير النظرات، فحتى أولئك الشبان الذين أخذتهم الحياة العصرية، وأغرت بعضهم اغراء مخيفاً، رجعوا إلى حقيقتهم، وتساءلوا عن مصيرهم، واندفعوا وراء زعيم كان في الواقع يعتبر من المتطرفين في تقليد الحياة العصرية، ناع على الجمود والجامدين، شاهر سلاحه اللساني، حتى على الأصلاء المتفتحين، لقد أدرك الجميع الخطر ورجعوا إلى الحقيقة الأساسية، وهي ضرورة الحفاظ على حقيقة هذا الشعب، والدفاع عنها، والاستماتة في سبيلها، وما حقيقة الشعب إلا في الحفاظ على عقيدته ووحدته وأصالته وإنسيته المغربية، وهكذا غيرت أحداث القضية البربرية من تفكير الشباب، وعقلية الشيوخ، فالتقى الجميع يقاوم ويكافح ويناضل للوقوف ضد المخططات الاستعمارية من جهة، ولتغيير الواقع الاجتماعي الجامد، وللسير قدماً لبناء نهضة مستقبلية على أسس واضحة، تلتزم بالثوابت الأساسية لهذا الشعب، وتناضل في سبيل المقدسات، وتنظر إلى المستقبل بعيون متفتحة، غير متنكرة للجديد المفيد، وغير ناسية ولا مهملة الأصيل القويم.

لقد بدأت المقاييس تتغير شيئاً فشيئا. فلم يبق المجتمع راكداً، لا يفرق بين العقائد والمقدسات الحقيقية، وبين الخرافات والأوهام التي ما أنزل الله بها من سلطان، وتدخل الفكر السلفي النقي الطاهر، ليقاوم التدجيل الذي كان يستغله بعض الدجالين المتعاونين مع الاستعمار، ويطهر العقيدة من الخرافات والأوهام، وأصبح الكثيرون يفرقون بين ما هو دين حقيقي، يدفع إلى العزة والكرامة وعدم الركون إلى الأجنبي الدخيل، وبين ما هو شعوذة وتخريف

واستسلام للأفكار الاستسلامية التواكلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهكذا تفتحت الأعين على حقائق جديدة، ومعتقدات نقية، وإرادات قوية في التغيير والتبديل والسير فيما هو أحسن، وهكذا أصبح الشباب الوطني من الرواد الأول، ينظر إليه نظرة فيها كثير من التقدير والاحترام، لأنه أعطى المثال من نفسه للشعب على أنه مؤهل للقيادة الحقة، لا بأقواله فحسب بل بسلوكه وأعماله وتضحياته المتوالية المتكررة حسب الظروف التي كانت تجد، لقد تجاوبت الأفكار الوطنية التي كان يدعو إليها الرواد الأوائل مع ضمير الشعب المغربي، لأنها كانت تعبر بعمق عما كان يحس به وينتظر تحقيقه، في المجال السياسي والمجال الاجتماعي والديني، والسبب يرجع إلى أن شعبنا شعب حر أصيل، عميق في ارتباطه بالاسلام، مدرك بحسه الوطني ضرورة الحفاظ على وحدته الترابية والجنسية والثقافية واللغوية، وذاك ما لمسه في الأفكار الوطنية التجديدية التي أبرزتها الحركة الوطنية التي أراد الله أن تنبع وتتضح إثر المناداة باسم الله اللطيف الذي اخترق العقول والقلوب والأفهام، إثر صدور الظهير البربري الذي أراد مخترعوه أن يكون أساس التفريق، فأبى الله إلا أن يكون أساس التآخي والتوحيد.

وان يعجب الباحث من الروح التي كانت سائدة في تلك الفترة التاريخية ــ فترة الثلاثينات ــ وتجاوب الأفكار بين مختلف الشبان الوطنيين في مختلف المدن والأقاليم المغربية، فأنه يزيد إعجاباً بوحدة الأفكار، وتلاقي المفاهيم، والاتفاق على المبادئ والأصول، رغم اختلاف المشارب، وتنوع الثقافات، وتباين المستويات. فالمبادئ والأصول الأساسية للوطنية المغربية، لا يختلف فيها المثقفون ثقافة عربية إسلامية محضة، عن إخوانهم المثقفين ثقافة أجنبية عصرية، والكل يعمل للدفاع عن الشخصية المغربية ومكوناتها الحضارية من دين وثقافة وأصول مغربية، والكل متشبث بالقومية المغربية وثراتها الحضاري الأصيل. هذه الروح المغربية الأصيلة، هي التي طبعت الوطنية المغربية في مظهرها الجديد، فلم تسر في التقليد الغربي كما يريد الغربيون، ولم تنسق مع الأفكار والمبادئ الغربية كما انساقت معها بعض الشعوب، ولم تنبذ الثوابت الأساسية الصحيحة التي يعتنقها الشعب المغربي، بل بقيت ملتزمة بها الالتزام القوي المتين، معتقدة أن هذه الثوابت وفي طليعتها التشبث بالاسلام، ستبقى قوة دافعة وحصنا حصيناً للحفاظ على الذاتية المغربية كما كانت في الماضي وكما ستبنى عليها النهضة المستقبلية وهذا ما جعل الوطنية المغربية تختلف عن غيرها من الوطنيات في بلدان أخرى، حيث اعتقد مؤسسوا ومناضلوا بعض الحركات الوطنية حتى في البلدان العربية والاسلامية أن الفكر الوطني فكر علماني، وأن مهمة الحركة الوطنية مهمة تحريرية تجديدية دنيوية لا ينبغي أن يتسلط اهتمامها إلا بالقضايا الحياتية مثل ما هي الحالة في البلدان الأروبية، لقد جعلت الوطنية المغربية من جملة مبادئها وغاياتها وأهدافها الدفاع عن الاسلام والالتزام بالسير في المنهاج التحرري التقدمي البناء الذي يدعو إليه، معتقدة كل الاعتقاد أن الالتزام بالخط الاسلامي في الحياة، لا يتنافى مطلقاً مع المقتضيات التي تتطلبها النهضة الحديثة في

مختلف مجالات الحياة الانسانية. وان نظرة على ما كتبه أو صرح به القادة الأوائل للحركة الوطنية في فترات الثلاثينات تؤكد هذه الحقيقة، وتعتبر تلك الكتابات والتصريحات مرجعاً أساسياً لمن يريد أن يتعرف على الأسس التي انبنت عليها الوطنية المغربية، وأرى أن قراءة المقال الذي كتبه المرحوم أحمد بلافريج في مجلة «مغرب» والذي عنوانه : اشتراكيون أم رجعيون ؟ من المقالات الهامة التي تعطي فكرة واضحة عن الاتجاه الذي كانت تتجهه الحركة الوطنية المغربية في نشأتها الأولى، وأشير إلى مقال «بلافريج» بالخصوص لأنه يمثل رأي النخبة الوطنية الأولى التي كانت تعتبر في نظر الأحرار الأجانب من الفرنسيين وغيرهم، من الذين تكونوا في المدارس الغربية الحديثة، واطلعوا على أسس النهضة الأوربية، وأشربوا بمبادئها.

ان فترة الثلاثينات هي التي طبعت الحركة الوطنية بطابعها الحقيقي، وعلى ضوئها وفي خط مبادئها سارت طوال كفاحها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في الأربعينات والخمسينات حتى تحررت بلادنا من قبضة الاستعمار الأجنبي، وفي ضوء المبادئ المذكورة نعمل جاهدين لبناء مستقبلنا في عهد الاستقلال، وكل انحراف عن هذا الخط وعن هذه المبادئ، سيلقي المقاومة من شعبنا المتمسك بأصوله وقواعده ومقدساته لقد استفادت الحركة الوطنية المغربية من كل التيارات والآراء والأفكار التي كانت تروج في العصر، ولكنها لم ترضخ أبداً للذوبان في الغير، والسقوط في الافخاخ المنصوبة. فاحتفظت بطابعها الخاص، وذاتيتها الحصينة، وسارت تدعو وتعمل للتقدم والنهوض ضمن المبادئ التي سطرتها لنفسها، والتي لا تتصادم مطلقاً مع ما يومن به شعبنا، ويسير على هديه القادة الأولون الصادقون، وان نظرة خاطفة على دفتر مطالب الشعب المغربي المقدمة إلى الدوائر المسؤولة في دجنبر 1934 تعطي فكرة واضحة على أن الوطنية المغربية عملت للتجديد والتطوير وبناء المجتمع الحديث على الأسس السليمة الضامنة للمستقبل السعيد في مختلف مجالات الحياة، دون تخوف من المعطيات والأفكار الجديدة التي فرضها تطور العصر، ومتطلبات التحديث، كما وأنها سلطت اهتمامها على كل مجالات الحياة الانسانية، اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية الأمر الذي يدل على أن نظرتها كانت نظرة شمولية، لا تغفل أي جانب أساسي من جوانب الحياة.

إن فترة العشر سنوات التي سجلنا في هذا الكتاب بعض أحداثها الهامة، لم نعش فيها حياة راكدة جامدة، ولم تسر حياتنا فيها سيراً متشابها، ولكن كان فيها مد وجزر، ونجاح وفشل، واستقرار وتوتر، وتقلبات وأحداث، وتجارب ووقائع، وأن أخطر ما وقع فيها، هو فكرة الانفصال التي كانت ظاهرة مرضية غير سليمة بالنسبة لحركة وطنية في بداياتها جعلت همها الأساسي تحقيق تحرير البلاد واستقلالها، وذلك لا يكون ولا ينجح إلّا بالرأي الموحد والعمل الموحد، وإذا كان الضمير الوطني تغلّب — والحمد لله — على الفكر الأناني عندما أراد

الاستعمار الاستفادة من الخلاف الذي وقع، فإننا كنا نتمنى أن يستفيد الجميع من الدرس، ولكن الرياح كانت تجري بما لا تشتهيه السفن.

وبعد فها هو هذا الكتاب الذي أسميته : (مذكراتي في الحركة الوطنية فيما بين عام 1930 و1940) وضعته بين يدي القراء الكرام، أرجو أن يجدوا فيه ما يفيدهم عن فترة الثلاثينات، سائلا الباري تعالى أن يوفقني حتى أضع الكتاب الثاني عن فترة الأربعينات وبداية الخمسينات حتى تكتمل الحلقة وتحصل الفائدة المرجوة، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه صلاح بلادنا وأمتنا، ويهدينا سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو بكر القادري

غشت 1992

صفر 1413

فهـــرس الكـتـــاب

كتب صدرت للمؤلف

1 ـ تراجم وأحاديث عن شخصيات :

1) محمد حصار : ترجمته وإنتاجه وما قيل فيه.
2) سعيد حجي : حياته ونشاطه الثقافي والسياسي (جزآن).
3) رجال عرفتهم : جزء أول (زعماء وعلماء).
4) رجال عرفتهم : جزء ثان (الشيخ الجريري).
5) رجال عرفتهم : جزء ثالث (ج. عمر عبد الجليل).
6) رجال عرفتهم : جزء رابع (زعماء وعلماء).

2 ـ رحـــلات :

1) مشاهدات في الولايات المتحدة الاميريكية.
2) ستة أيام في اليابان.
3) مذكرات افريقية وأسيوية.
4) في سبيل وحدة إسلامية.

3 ـ حول المجتمع الإسلامي :

1) في سبيل بعث إسلامي.
2) في سبيل وعي إسلامي.
3) في سبيل مجتمع إسلامي.

4 ـ قضايا التعليم :

1) التعليم الأوَّلي في الإسلام.
2) قصة النهضة.

5 ـ مشاكل اجتماعية :

1) الخمر آفة خطيرة على المجتمع.
2) دفاعاً عن المرأة المسلمة.

6 ــ في التشريع الإسلامي :

1) السنة المصدر الثاني للتشريع.
2) مبادىء وأصول في التشريع الإسلامي.

7 ــ حول الرسالة الإسلامية :

1) رسالة الرسول محمد ﷺ رسالة عالمية خالدة.

8 ــ حول القضية الفلسطينية :

1) المغرب والقضية الفلسطينية.

9 ــ حول الحركة الوطنية :

1) مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من عام 1930 ــ 1940 (جزء أول).

بطاقة تعريف

- المؤلف من مواليد سنة 1914 بمدينة (سلا) (المغرب).
- حاصل على جوائز علمية.
- عضو أكاديمية المملكة المغربية.
- عضو المجلس الوطني الاستشاري (سابقاً).
- عضو مجلس الدستور (سابقاً).
- عضو مجلس الوصاية.
- عضو المجلس الأعلى للتربية الوطنية (سابقاً).
- عضو مجلس التخطيط والانعاش (سابقاً).
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- عضو مجلس الرئاسة لحزب الاستقلال.
- الأمين العام للجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني.
- الأمين العام المساعد للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية (سابقاً).
- رئيس جمعية شباب النهضة الإسلامية.
- مدير مجلة «الإيمان» ومجلة «الرسالة» (سابقاً).
- عضو المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي (سابقاً) (باكستان).
- عضو المؤتمر الإسلامي الإفريقي الاسيوي (باندونغ) (سابقاً).
- عضو المؤتمر الإسلامي الإفريقي (داكار) (سابقاً).
- عضو المؤتمر الإسلامي الياباني (طوكيو) 1982.
- عضو المؤتمر الإسلامي (بسريلانكا).
- شارك في عدة مؤتمرات وندوات داخل المغرب وخارجه.
- عضو المؤتمر الإسلامي بقبرص التركية والقنصل الشرفي لدولة قبرص التركية.
- له عدة كتابات في جريدة «العلم» اليومية ودعوة الحق وجريدة الحسنى ومجلة البينة.
- من الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944.
- قضى عدة سنوات في السجن أيام الاستعمار الفرنسي.



الإيداع القانوني رقم 1993/124

هذا الكتاب

يرقى هذا الكتاب إلى مستوى الشهادة على عصر بكامله، فمؤلفه من صناع تاريخ المغرب الحديث، ومن رواد الحركة الوطنية المغربية، وممن أبلوا البلاء الحسن في الكفاح الوطني من أجل حرية المغرب واستقلاله، ومن قادة الرأي الذين ساهموا في صياغة الفكر الوطني. وهو بهذا الاعتبار شاهدٌ على عصره حقيقةً. ولذلك كانت لشهادته قيمة وأهمية في سياق حركة التأليف التي نشطت مؤخرا، والتي تسجل مراحل من تاريخ الحركة الوطنية المغربية.

(ومذكراتي في الحركة الوطنية المغربية)، كتاب المرحلة، فهو تسجيل دقيق لأحداث عقد من الزمن، هو بكل المقاييس أحفل عقود هذا القرن بالأحداث الضخام، وبالتطورات الحاسمة، وبالتحولات الكبرى التي عرفها المغرب. فلقد كانت سنة 1930 بداية المواجهة الصريحة مع الاستعمار في هذه البلاد. ومن عامئذ أخذ المدُّ الاستعماريُّ في التصاعد، وبدأت الساحة المغربية تشهد ميلاد حركة وطنية فتية، كان أبوبكر القادري مؤلفُ هذا الكتاب أحد شبابها البارزين، وركنا من أركانها.

ولم يقصر المؤلف جهده على تسجيل الوقائع والمشاهد والأحداث والمواقف التي عاشها من عام 1930 إلى عام 1940، بل غاص في أعماق مرحلة ما قبل فرض الحماية على المغرب، واستقصى أهم التحولات التي شهدها المغرب في العقدين اللذين أعقبا تاريخ توقيع عقد الحماية (1912/3/30)، فمهد لكتابه بمدخل تاريخي هام أبرز فيه ملامح المرحلة الصعبة والغامضة التي كانت مقدمةً لدخول المغرب عهد الحماية وضياع استقلاله لأول مرة في التاريخ. وبذلك وضع المؤلف القارئ في الصورة الكاملة لتاريخ المغرب الحديث بربطه بين أجزاء الماضي في سياق متلاحق، وفي نسيج متماسك، وفي منهج مترابط الحلقات.

ويضم الكتاب معلومات وأسرارا وحقائق، بعضُها يكشف عنها الستار لأول مرة، وبعضها الآخر تقال فيها كلمة الحق بصراحة كاملة بعد أن رويت في مؤلفات أخرى بصورة مبهمة، أو بطريقة مغلوطة، أو خضعت للتزييف والتشويه لدوافع شتى. ويسوق المؤلف المادة التاريخية مدعمة بالوثائق الدامغة. وهذه ميزةٌ منهجيةٌ ينفرد بها هذا الكتاب.

والمؤلف في روايته لتاريخ الحركة الوطنية المغربية، إنما يركز على الأحداث والمواقف التي عاشها وشارك فيها وصنعها مع إخوانه. ولذلك فإن روايته مفعمة بحرارة اليقين، بالصدق، بالصراحة وبالمكاشفة. وهذه هي مزايا كتاب (مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية) الذي يصدر اليوم الجزء الأول منه، في انتظار صدور الجزء الثاني إن شاء الله ليغطي مرحلة الأربعينيات.

ولابد أن يوضع هذا الكتاب في سياق واحد مع كتب أخرى أصدرها المؤلف مثل (قصة النهضة). و(المغرب والقضية الفلسطينية)، و(رجال عرفتهم) بأجزائه الأربعة، لترابط المعلومات بينها، ولأن هذه الكتب يكمل بعضها بعضا.

وقبل هذا وذاك، فإن هذا الكتاب جديد كلَّ الجدة، مثيرٌ للاهتمام، غنيٌّ بالمعلومات، وهو لذلك جديرٌ بالقراءة، حقيق بالتقدير.



60 درهما